مَعَارِجُ الْقَبُول بِشَرْحِ سُلَّمِ الوُصُول
إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ فِي التَّوْحِيدِ

تَأليفُ الشَّيخِ العَلاَّمَةِ
حَافَظ بنِ أحْمد حَكمي

خَرَّجَ أحاديثَهُ
عبْد البَاقي سَالم عَبْد الحَافظ

عَلَّقَ عَلَيْه
عَـلاء فَرِيد عبْد الهَادِي

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب:	مَعَارِجُ الْقَبُول بِشَرْحِ سُلَّمِ الوُصُول إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ فِي التَّوْحِيدِ
المؤلف:	حَافظ بنِ أحْمَد حَكميّ
الطبعة:	طبعة أولى / ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م
الناشر:	مكتبة الإيمان – مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيداع:	
الترقيم الدولي:	

مكتبة الإيمان – المنصورة

أمام جامعة الأزهر

٢٢٥٧٨٨٢/٠٥٠

مصر – المنصورة / بلقاس – المعصرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقّدمةُ المحقِّقِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢} [آل عمران: ١٠٢].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١} [النساء: ١].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فيسعدنا أن نقدم لقراء الأمة الإسلامية كتاب (مَعَارِجُ القَبُول بِشَرْحِ سُلَّمِ الوُصُولِ) للشيخ (حافظ بن أحمد حكمي رحمه الله).

فهذا الكتاب بحق موسوعة في بابه، كاد أن يحوي جميع أبواب العقيدة، مع حُسْن الترتيب والتنسيق بينها.

وتميَّز هذا الكتاب عن غيره بأنه يذكر المسألة ثم يتبعها مستدلاً عليها بجملة كثيرة جدًّا من الآيات القرآنية، بما يقطع يقينًا بصحة ما ذكر، ثم يزين ذلك بجملة أخرى من الأحاديث النبوية مؤكدًا ما ذهب إليه أولاً.

فالمصنف - رحمه الله - قد برع بصورة كبيرة في توظيف القرآن والسنة النبوية في الوصول إلى الحق، مما يجعل أي منصف أضله الهوى أو الشيطان، عند وقوفه على ما عرضه المصنف من الأدلة، أن يرجع عن غيه وضلاله.

ونحب أن نشير إلى أن الكتاب الموسوم بـ (معارج القبول) إنما هو شرح من المصنف رحمه الله لأرجوزة وضعها - هو أيضًا - في التوحيد، سَّماهَا: سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ.

وعلى كل حال فالكتاب نافع، لا يخرج القارئ لـه إلا بفائدة حتمًا - إن شاء الله -، فيقف على الحق، ويعرف كيف يرد على أهل الزيغ والباطل، بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

عملنا في هذا الكتاب:

- قمنا بفضل الله تعالى بتدقيق نصِّ الكتاب وضبطه من التصحيف قدر الإمكان.
- وقمنا بتخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا، حتى لا نخرج الكتاب عن كونه كتاب عقيدة.
- فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو في واحد منهما، اكتفينا بالعزو إليه، لشهرتهما والقطع بصحة ما فيهما، وإن رغمت أنوف.
- وإن وجدنا الحديث في كتاب بسند صحيح ربما اقتصرنا عليه، وربما ذكرنا من شاركه في روايته، ولا نتوسع في هذا غالبًا.
- أما إن كان الحديث سنده ضعيف، فنذكر الكتاب الذي وجدناه فيه ومن شاركه في روايته بسنده هذا، وقد لا نذكره اختصارًا، ثم نتبع ذلك ببيان سبب ضعفه وما فيه من علة.
- وربما ذكرنا في بعض الأحيان باختصار أن هناك طرقًا للحديث ربما قَوَّتْهُ، أو لا، ولم نتوسع في هذا حتى لا نأخذ نظر القارئ عن المقصود الأصلي وهو قراءة الكتاب، وأن لا يشتت انتباهه بين متن وهامش.
- ثم قمنا بالبحث في بطون كتب العقيدة القديمة منها والحديثة؛ لنبسط ونقرب المعلومة للقارئ الكريم. فوضعنا - بفضل الله تعالى - تعليقات عقائدية تزيد الكتاب جمالاً وبهاءً وتوضيحًا، حتى يسهل فهمه، وتُدْرَك معانيه.
- ووضعنا في بعض الأحيان تعليقات على الأحاديث لإزالة مبهماتها، ويقف القارئ على المقصود من ورائها.
- وكثيرًا ما نذكر معنى غريب الحديث من كتب الشروح المختلفة.

وقد قام بتخريج الأحاديث والحكم عليها: عبد الباقي سالم عبد الحافظ

وقام بوضع التعليقات العقائدية: علاء فريد عبد الهادي.

هذا ولا ندَّعي أننا وصلنا في عملنا هذا إلى الكمال، ولكننا بذلنا جهدنا، وكان قصدنا أن ننفع المسلمين قدر استطاعتنا.

فندعو الله أن يتقبل منا عملنا فيه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يضع لهذا الكتاب القبول بين جموع المسلمين، وأن يرد المسلمين لدينهم ردًّا جميلاً، وأن يبعدهم عن الزيغ والضلال.

- ونحب أن نشكر الأستاذ: (فتحي هاشم) صاحب مكتبة الإيمان، على حرصه على نشر كتب العلم، وأن تخرج في صورة نافعة للمسلمين، فندعو الله أن يجعل هذا في ميزان حسناته، وندعوه - سبحانه - أن يوفقه في نشر كل نافع ومفيد

كتبه

علاء فريد عبد الهادي

أبو عبد الرحمن / عبد الباقي سالم عبد الحافظ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نبذة عن مؤلف الكتاب الشيخ العلامة

حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

العلامة حافظ الحكمي رحمه الله

بقلم ابنه

الدكتور/ أحمد بن حافظ الحكمي

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - الرياض

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن على الحكمى أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، وهو عَلَمٌ من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الدين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجرى).

والحكمى: نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة) بطن من (مذحج) من (كهلان: ابن سبأ بن يشجب بن يعرب ين قطحان).

مولده ونشأته:

ولد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٢٤هـ (١٩٢٤م) بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضايا) الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) حاضرة المنطقة، على الساحل، قريبة منها حيث تقيم قبيلته التي إليها ينتسب.

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (سامطة) في

نفس المنطقة، وهو ما يزال صغيرًا، لأن أكثر مصالح والده من أراضٍ زراعية ومواشٍ ونحوهما كانت هناك، وإن بقيت أسرته الصغيرة تنتقل بين قريتي (السلام) و(الجاضع) لظروفها المعيشية.

ونشأ حافظ في كنف والديه نشأة صالحة طيبة، تربى فيها على العفاف والطهارة وحُسْنِ الخلق، وكان قبل بلوغه يقوم برعى غنم والديه التى كانت أهم ثروة لديهم آنذاك جريًا على عادة المجتمع في ذلك الوقت، إلا أن حافظًا لم يكن كغيره من فتيان مجتمعه؛ فقد كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم، فلقد ختم القرآن وحفظ الكثير منه وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة بعد، وكذلك تعلم الخط وأحسن الكتابة منذ الصغر.

طلبه العلم:

عندما بلغ حافظ من العمر سبع سنوات أدخله والده مع شقيقه الأكبر محمد(١) مدرسة لتعليم القرآن الكريم بقرية (الجاضع) فقرأ على مدرسه بها جزأي (عم، وتبارك)؛ ثم واصل قراءته مع أخيه حتى أتم قراءة القرآن مجودة خلال أشهر معدودة، ثم أكمل حفظه حفظًا تامًا بعد ذلك.

اشتغل بَعْدئِذٍ بتحسين الخط فأولاه أكبر جهوده حتى أتقنه، وكان ينسخ من مصحف مكتوب بخط ممتاز، إلى جانب اشتغاله مع أخيه بقراءة بعض كتب الفقه والفرائض والحديث والتفسير والتوحيد ومطالعة وحفظًا بمنزل والده إذ لم يكن بالقرية عالم يوثق بعلمه فيتتلمذ على يديه.

وفي مطلع سنة ١٣٥٨هـ قدم من (نجد) الشيخ الداعية المصلح عبد الله بن

---

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوى الفضل فيها، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة، تولى إدارة معهد سامطة العلمى أكثر من عشرين عامًا بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذى كان أول مدير لهذا المعهد، أسأل الله أن يطيل في عمره وأن ينفع به وأن يمتعه بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائمًا.

محمد بن حمد القرعاوى[1] إلى منطقة (تهامة) في جنوب المملكة، بعد أن سمع عما كان فيها من الجهل والبدع - شأن كل منطقة يقل فيها الدعاة والمصلحون أو ينعدمون - ونذر نفسه مخلصًا على أن يقوم بالدعوة إلى الدين القويم، وتصحيح العقيدة الإسلامية في النفوس، وإلى إصلاح المجتمع وإزاحة ما كان عالقًا في أذهان الجهال من اعتقادات فاسدة وخرافات مضلة.

وفي سنة ١٣٥٩هـ قدم شقيق حافظ عمى (محمد بن أحمد) برسالة منه ومن أخيه حافظ يطلبان فيها من الشيخ القرعاوى كتبًا في التوحيد، ويعتذران عن عدم القدرة على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعناية بشئونهما، كما يطلبان منه - إن كان في استطاعته - أن يتوجه إليهما بقريتهما ليسمعا منه بعض ما يلقى من دروس، وفعلاً لبىَّ الشيخ طلبهما وذهب إلى قريتهما، وهناك التقى بحافظ وعرفه عن كثب، وتوسم فيه النجابة والذكاء، وقد صدقت فيه فراسته.

ومكث الشيخ عدة أيام في (الجاضع) ألقى فيها بعض دروسه العلمية التى حضرها مجموعة من شيوخ القرية وشبابها ومن بينهم حافظ الذى كان أصغرهم سنًّا، لكنه كان أسرعهم فهمًا وأكثرهم حفظًا واستيعابًا لما يلقى الشيخ من معلومات، يقول عنه الشيخ عبد الله القرعاوى: " وهكذا جلست عدة أيام في الجاضع، وحافظ يأخذ الدروس وإن فاته شيء نقله من زملائه، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطه، والطلبة الكبار كانوا يراجعونه

(١) ولد الشيخ عبد الله القرعاوى - وهو جدى لأمى - في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥هـ وتوفى بمدينة الرياض سنة ١٣٨٩هـ - رحمه الله تعالى، وقد كان له الفضل الكبير في النهضـــة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تهامة وعســير) وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية - انظر بحثًا عنه وعن دعوته وآثارها كتبته في: مجلة (العرب) التى تصدر في الرياض: (مجلد ٨٠/ج ٧، ٨، ص ٥٢٣ - ٥٣٠).

في كل ما يشكل عليهم في المعنى والكتابة لأنى كنت أملى عليهم إملاء ثم أشرحه لهم[١].

وعندما أراد الشيخ العودة إلى مدينة (سامطة) التي جعلها مقرًّا له ومركزًا لدعوته، طلب من والدى حافظ أن يرسلاه معه ليطلب العلم على يديه في (سامطة) على أن يجعل لهما من يرعى غنمهما بدلاً عنه، ولكنهما رفضا طلب الشيخ أول الأمر وأصرَّا على أن يبقى ابنهما الصغير في خدمتهما لحاجتهما الكبيرة إليه.

وشاء الله أن لا تطول حياة والدته بعد ذلك إذ توفيت في شهر رجب سنة ١٣٦٠هـ فيسمح والده له ولأخيه محمد بأن يذهبا إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه؛ فكان حافظ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة) فيملى عليه الدروس، ثم يعود إلى قريته، وكان ملهمًا يفهم ويعى كل ما يقرأ أو يسمع من معلومات.

ولم يعمر والده بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربه وهو عائد من حج سنة ١٣٦٠هـ رحمه الله - فتفرغ حافظ للدارسة والتحصيل، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمة دائمة يقرأ عليه ويستفيد منه.

وكان حافظ في كل دراساته على شيخه مبرزًا ونابغة، فأثمر في العلم بسرعة فائقة، وأجاد قول الشعر والنثر معًا، وألف مؤلفات عديدة في كثير من العلوم والفنون الإسلامية - سنقف على أسمائها ولقد كان كما قال عنه شيخه: " لم يكن له نظير في التحصيل والتأليف والتعليم والإرادة في وقت قصير " [٢].

---

(١) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبد الله القرعاوى بخطه وذكر فيها شيئًا موجزًا عن حياته، احتفظ بها لدى.

(٢) المصدر السابق.

علمـه:

مكث حافظ يطلب العلم على يد شيخه الجليل عبد الله القرعاوى، ويعمل على تحصيله، ويقتنى الكتب القيمة والنادرة من أمهات المصادر الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها ويستوعبها قراءة وفهمًا.

وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره - ومع صغر سنه - طلب منه شيخه أن يؤلف كتابًا في توحيد الله، يشتمل على عقيدة السلف الصالح، ويكون نظمًا ليسهل حفظه على الطلاب، يعد بمثابة اختبار له على القدر الذي استفاد من قراءاته وتحصيله العلمى؛ فصنف منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) التى انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ وقد أجاد فيها، ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له.

ثم تابع تصنيف الكتب بعد ذلك، فألف في التوحيد، وفي مصطلح الحديث، وفي الفقه وأصوله، وفي الفرائض، وفي السيرة النبوية، وفي الوصايا والآداب العلمية، وغير ذلك نظمًا ونثرًا، وقد طبعت جميعها طبعتها الأولى على نفقة المغفور له جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

ويتضح لنا من آثاره العلمية أن أبرز مقروءاته ذات الأثر في منهجه العلمى ومؤلفاته هى تلك الكتب التى ألفها علماء السلف الصالح من أهل السنة في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصوله، أما في مجال العقيدة فقد بدا شديد التأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كثير الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذ عنهما، هذا إلى جانب استيعابه لكثير من مصادر التاريخ والأدب واللغة والنحو والبيان المؤلفة في مختلف العصور *الإسلامية*.ولقد كان - رحمه الله - عميق الفهم سريع الحفظ لما يقرأ، وقد مَرَّ بنا قولٌ لشيخه يشيد فيه بتلميذه حافظ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطه - على حد تعبير الشيخ -

وكان زملاؤه الكبار يراجعونه في كل ما يشكل عليهم منذ مراحل تعليمه الأولى.

أدبــه:

يُعَدُّ الشيخ حافظ من أجلِّ علماء منطقة تهامة وأقدرهم على قول الشعر، فقد كان يعشق الشعر منذ صغره ويحفظه ويقوله سليقة دون تكلف، فلا غرابة إذا رأيناه يخرج أكثر مؤلفاته نظمًا.

ولقد كان أكثر ما يقول الشعر - في غير ما كتبه من منظومات علمية - إما نصيحة أو مساجلة لصديق أو وصفًا أو خاطرة، إلا أنه لم يدون جُلَّ ما قال إن لم يكن كله، وما بأيدينا منه الآن نذر يسير جدًا حفظه عنه بعض تلاميذه.

ومن أهم قصائد الشعر تلك القصيدة الميمية التي أنشأها في الوصايا والآداب العلمية، هي طويلة جدًّا، نختار منها هذه الأبيات التى يصف فيها العلم ومنزلته:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعت ::: أذن وأعرب عنه ناطقٌ بفم

العلم غايته القصوى ورتبته الـ ::: علياء فاسعوا إليه يا أولى الهمم

العلم أشرف مطلوب وطالبه ::: لله أكرم من يمشى على قدم

العلم نور مبين يستضيء به ::: أهل السعادة والجهَّال في الظلم

العلم أعلى حياة للعباد كما ::: أهل الجهالة أموات بجهلهم

ثم يقول مرغِّبًا في العلم، وحاضًّا طالبه على الحرص عليه، والسعي قدر المستطاع لنيل أكبر قسط منه، وعدم الرضا بغيره عوضًا عنه، فمن حصل عليه فقد ظفر، ويوصي طلبة العلم بمساعدة غيرهم في تحصيله وتقريب مباحثه، ويشير عليهم قبل ذلك كله بأن يخلصوا نياتهم - في طلبه - لوجه الله الكريم:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً ::: فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدس العلم واعرف قدر حرمته ::: في القول والفعل والآداب فالتزم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له ::: لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنصح فابذله للطلاب محتسبًا ::: في السر والجهر والأستاذ فاحترم
ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه ::: وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
والنية اجعل لوجه الله خالصة ::: إن البناء بدون الأصل لم يقم

وهناك أيضًا قصيدته الهمزية التى قالها في تشجيع الإسلام وأهله والدعوة إلى التمسك بأساسه وأصله، وهي لا تزال مخطوطة لم تنشر من قبل، وتقع في أكثر من مائتي بيت، من بحر الكامل على روى الهمزة، استعرض فيها ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كل ذلك بأسلوب قوى رصين، وتعبير جزل، بالإضافة إلى ما تفجر في جوانب أبياتها من شهور فياض، ومعان سامية، وأهداف نبيلة، وروح عالية؛ تحدث في أولها عن الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وقيامه بالدعوة إلى الله، فقال:

ويعز ربى رسله والمؤمنين ::: جميعهم بالنصر والإنجاء
حتى استتم بناءهم بمحمد ::: أكرم به للرسل ختم بناء
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم ::: ممن تُقل بسيطة الغبراء
ما لامرئ أبدًا خروج عن شريـ ::: ـعته ونهج طريقة البيضاء
لم يقبض المولى تعالى روحه ::: حتى أشاد الدين بالإعلاء
وأتم نعمته وأكمل دينه ::: ولخلقه أداه أي أداء
ومضى وأمته بأقوم منهج ::: وعلى محجة هديه البيضاء

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهجهم في الحكم، وانتقل بعدهم يصف واقع المسلمين في العصور التي تلت عصر الخلفاء الراشدين، وعندما وصل إلى القرن السابع الهجري عصر شيخ الإسلام (ابن تيمية) وجدناه يقول:

وأتى بقرن سابع من هجرة ::: عَلم به يؤتمُّ في الظلماء
أعني بذاك الحبر أحمد من إلى ::: عبد الحليم نمى بلا استثناء
كما هاجم البدع الضلال وأهلها ::: بدلائل الوحيين خير ضياء
وقواعد التحريف هدَّ أصولها ::: أعظم به هدمًا لشر بناء
وله جهاد ليس يعهد مثله ::: إلا بعهد السادة الخلفاء

وبعد أن ذكر ما قام به ابن تيمية من قمع للفتن وإبادة للطغيان، تابع المسيرة إلى العصور الإسلامية التالية، مصورًا طبيعة الحياة التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة، مشيرًا إلى بعض المصلحين الذين سعوا لتصحيح الأوضاع في بلادهم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري وغيره.

ثم ذهب يُوجِّهُ الخطَابَ إلى العلماء وطلاب العلم في عصره، مستنهضًا هممهم للدعوة إلى الله والإخلاص في العمل، والقيام بالواجب الملقى على عواتقهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان، قائلاً:

هل تسمعون معاشر العلما ألا ::: تصغون نحو مقالتي وندائي؟!
يا طالبي علم الشريعة فانهضوا ::: وادعوا عباد الله باستهداء
انحوا بهم نحو الصراط المستقيـ ::: ـم ورفض كل طريقة عوجاء
كيف انتصار المسلمين وجلهم ::: عن دينهم في غفلة عمياء؟!

وقد أطال في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفاية كنماذج حية من شعر الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله والتي تدل على تدفق شاعريته ، وجودة شعره الإسلامي وسمو غاياته

أعمالــه:

عندما لمس الشيخ عبد الله القرعاوى تفوق تلميذه حافظ ونبوغه العلمي أقامه مدرسًا لزملائه والمستجدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروسًا نافعة استفادوا منها فائدة كبرى.

ثم عينه شيخه في سنة ١٣٦٣هـ مديرًا لمدرسة (سامطة) السلفية - أول وأكبر مدرسة افتتحها الشيخ في المنطقة لطلاب العلم - وأسند إليه أمر الإشراف على مدارس القرى المجاورة.

واتسعت بعد ذلك مدارس الشيخ في منطقتي (تهامة وعسير) فما من مدينة أو قرية إلا وأسس بها مدرسة أو أكثر تدرس العلوم الإسلامية[١]، وجعل بها من تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شئون إدارتها، ولما كان الشيخ يقوم في فترات متعددة بجولات على مئات المدارس التى كان قد أسسها في المنطقة جعل تلميذه الأول الشيخ حافظًا الحكمي مساعدًا له يتولى الإشراف على سير التعليم وأمور الإدارة أثناء تجوال الشيخ على مدارسه، فنهض حافظ بالعبء الملقى على عاتقه وأدى الأمانة خير الأداء.

ثم تنقل الشيخ حافظ - للقيام بواجبه مع شيخه - في عدة أماكن منها قرية (السلامة العليا) ومدينة (بيش: أم الخشب) في الجزء الشمالي من منطقة (جازان) وغيرهما، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسها ويساعد شيخه في تحمل المسئولية والإشراف على سير التعليم ومواصلة تدعيم مهام الدعوة والإصلاح.

(١) انظر شيئًا عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في: (مجلة المنهل التي تصدر في جدة: مجلد ٨، عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ - في المقابلة التي أجريت مع الشيخ عبد الله القرعاوي - : ص ١٨٥ - ١٩٦) وعدًا لأوائل هذه المدارس وأهمها في مقالي الذي كتبته عن الشـيخ عبد الله القرعاوى في: (مجلة العرب التي تصدر في الرياض: المجلد ٨/ ص ٥٢٦).

وهكذا مضى الشيخ حافظ يؤدى واجباته في سبيل النهوض بأبناء منطقته، وليرفع من مستواهم الثقافي والاجتماعي، وليفيدهم من علمه قدر ما يستطيع، فقد كان يجتمع إليه طلبة العلم من كل مكان للتتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدة عظمى، ومن طلبته الآن علماء أفاضل يتولون مناصب القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية وغيرها.

وفي سنة ١٣٧٣هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بـ (جازان) عاصمة المنطقة، فعين الشيخ حافظ أول مدير لها في ذلك العام.

ثم افتتح معهد علمي تابع للإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية آنذاك (جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية حاليًا) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤هـ فعين الشيخ حافظ مديرًا له؛ فقام بعمله هذا خير قيام، وكان يلقى فيه بعض المحاضرات ويملى على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعية واللغوية المفيدة، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تقرر لها كتب علمية وفق المناهج المحددة، كان يمليها أحيانًا بنفسه، وقد يمليها عن طريق المدرسين بالمعهد أحيانًا أخرى.

صفاته:

كان الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - مثالاً يحتذى لكل طالب علم يريد التحصيل والعلم النافع، ومثالاً لكل عالم جليل متواضع يحب لتلاميذه وزملائه كل خير وصلاح.

ويكفى أن أورد هنا ما قاله عنه شقيقه الأكبر (عمى) الشيخ محمد بن أحمد الحكمي - حفظه الله - في رسالة كتبها إلى إجابة لطلبي:

" كان - رحمه الله - على جانب كبير من الورع والكرم والعفة والتقوى، قوى الإيمان، شديد التمسك، صداعًا بالحق، يأمر بالمعروف ويأتيه، وينهى عن المنكر ويبتعد عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم.

" كانت مجالسه دائمًا عامرة بالدرس والمذاكرة وتحصيل العلم، تغص بطلابه في البيت والمسجد والمدرسة، لا يمل حديثه، ولا يسأم جليسه ".

" كان جُلُّ أوقاته ملازمًا لتلاوة القرآن الكريم، ومطالعة الكتب العلمية، وبالإضافة إلى التدريس والتأليف والمذاكرة.

" وكان خفيف النفس يحب الرياضة والدعابة والمزاح مع زملائه وطلابه وزواره، مما يجذب قلوب الناس إليه، ويحبب إليهم مجالسته والاستفادة منه".

وفاتـه:

لم يزل الشيخ حافظ مديرًا لمعهد سامطة العلمى حتى حج في سنة ١٣٧٧هـ، وبعد انتهائه من أداء مناسك الحج لبَّى نداء ربه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) بمكة المكرمة على إثر مرض أَلَمَّ به، وهو في ريعان شبابه، إذ كان عمره آنذاك خمسًا وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودفن بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديدًا، والمصيبة به فادحة، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاءً حارًا يعكس مدى الفاجعة التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زهران بن عواض الألمعى، يقول في أولها:

لقد دوى على (المخلاف) صوت ::: نعى النحرير عالمها الهماما
تفجَّعت الجنوب وساكنوها ::: على بدر بها يمحو الظلاما
وذاعت في الدنا صيحات خطب ::: فهزت من فجائعها الأناما
فكفكفت الدموع على فقيد ::: على الإسلام شمَّر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوت علم ::: وواسى مقعدًا ورعى يتامى
أ (حافظ) كنت للعلياء قطبًا ::: وللإسلام طودًا لا يُسامَى
وبحرًا في العلوم بعيد غور ::: كثير النفع قوامًا إماما
وما مُتُّم فمنهجكم منار ::: يضيء دروبنا وبها أقاما[1]

وممن رثاه أيضًا تلميذه الأستاذ إبراهيم بن حسن الشعبي بقصيدة، نقتطف منها قوله:

(١) القصيدة في ديوان (الألمعيات) للدكتور زاهر الألمعي: ص ١٢٦ - ١٢٧.

توفى (حافظ) ركن البلاد ::: وخلف حسرة لى في الفؤاد
وقد ضاقت عليَّ الأرض ذرعًا ::: بما رحبت ولم تسع البوادي
وساء الحاء مني حين وافى ::: بنا نعى الفتى البطل العماد
لقد كنت المقدم في المزايا ::: من الخيرات يا قطب النوادى
وكنت القائد المدعو فينا ::: فمن تختار بعدك للقياد؟
سلاح للمشاكل كنت قدمًا ::: ومصباح البحوث بكل وادى
وفي كل العلوم مددت باعًا ::: وهمتك العلية في ازدياد

وقد خلَّف الشيخ - رحمه الله - بعد رحيله مكتبة علمية كبيرة عامرة بكل علم وفن، أوصى بأن تكون وقفًا على طلاب العلم ورواد المعرفة، فضمت إلى معهد سامطة العلمى لينتفع بها المدرسون والطلاب، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خلف من تأليفه آثارًا علمية نافعة في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كل طالب علم، وسنشير إليها.

وله من الأبناء أربعة، هم: أحمد - كاتب هذه الأسطر - وعبد الله، ومحمد، وعبد الرحمن، وفقهم الله جميعًا وسدد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

مؤلفاتــه:

لوالدي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة في: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ والسيرة النبوية، والنصائح والوصايا، والآداب العلمية، من هذه المؤلفات ما هو منظوم، ومنها ما هو منثور، وهي كما يلي:

(أ) في التوحيد:

١ - (سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ) أرجوزة في أصول الدين، مطلعها:

أبدأ باسم الله مستعينًا ::: راض به مدبرًا معينا

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ، وهى أول ما أَلَّفَ، طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٦ ص).

٢ - (معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) وهو شرح مطول لأرجوزة (سلم الوصول) - المتقدم ذكرها - انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦هـ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة.

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعة الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمنًا طويلاً على توزيعه مجانًا على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة، لما فيه من فوائد جمة، وما يحويه من معلومات قيمة في موضعه، ولحسن عرضه وتبويبه واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

٣ - (أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب، انتهى من تسويده في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥هـ، وطبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ٦٧ ص).

٤ - (الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة) منظومة دالية، مطلعها:

الحمد لله لا يحصى له عدد ::: ولا يحيط به الأقلام والمدد

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٩ ص).

(ب) في المصطلح:

٥ - (دليل أرباب الفلاح، لتحقيق فن الاصطلاح) كتاب جليل حافل في مصطلح الحديث، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سمة ١٣٧٤هـ (في ١٧٤ ص).

٦ - (اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة، مطلعها:

الحمد كل الحمد للرحمن ::: ذي الفضل والنعمة والإحسان

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٨ ص).

(ج) في الفقه:

٧ - (السبل السوية، لفقه السنن المروية) منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه المعروفة، مطلعها:

أبدأ باسم خالقي مُحَمَّد لا ::: محسبلا مكتفيًا محوقلا

طبعت طبعتها الأولى بمكة د.ت (في ١٣٤ ص).

(د) في أصول الفقه:

٨ - (وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه، مطلعها:

الحمد للعدل الحكيم الباري ::: المستعان الواحد القهار

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتًا، طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ٣٥ ص).

٩ - متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الروي في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، مطلعها:

الحمد لله في الدارين متصل ::: هو السلام فلا نقص ولا علل

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٠ ص).

(هـ) في الفرائض:

١٠ - (النور الفائض، من شمس الوحي، في علم الفرائض) رسالة منثورة في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٣٦٥/٨/١٥هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ٤٦ ص).

(و) في التاريخ والسيرة النبوية:

١١ - (نيل السول، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ) منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتًا)، مطلعها:

الحمد لله المهيمن الأحد ::: وباري البرايا الواحد الفرد الصمد

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ٥٢ ص).

(ز) في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢ - نصيحة الإخوان المشهورة بـ (القاتية)، وعنوانها: (هذا سؤال بشأن القات والدخان والشمة) وهي قصيدة تائية، مطلعها:

حمدًا لمن أسبغ النعما وألهمنا ::: حمدًا عليها بألطاف خفيات

وقد طبع معها رد عليها لأحد أهل اليمن، ثم جواب الشيخ عليه، وفي الجواب الأخير فوائد جليلة، طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧هـ (في ١٥ ص).

١٣ - (المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية) قصيدة ميمية رائعة في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مطلعها:

الحمد لله رب العالمين على ::: آلائه وهو أهل الحمد والنعم

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٤ ص).

وقد طبعت جميع هذه الكتب من مؤلفات الوالد الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - طبعتها الأولى - ما أرَّخ منها وما لم يؤرِّخ - في سنتي ١٣٧٣هـ - ١٣٧٤هـ على نفقة جلالة الملك سعود بن عبد العزيز غفر الله له، بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، عدا كتاب (معارج القبول) الذي طبع طبعته الأولى د.ت (نحو سنة ١٣٧٧هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخ - من بعد - بعض الرسائل والمنظومات المخطوطة التي لم تطبع بعد، سنعمل على طبعها ونشرها في وقت قريب إن شاء الله، حتى ينتفع بها كما انتفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعة، أهمها:

١- مفتاح دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام.

٢- شرح الورقات، في أصول الفقه - (لأبى المعالي الجويني).

٣- همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهله، والتمسك كل التمسك بأساسه وأصله.

٤- مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية.

وكل مؤلفاته - رحمه الله - تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهى كتب قيمة يكفى للدلالة على جودتها وقيمتها أن بعضها عرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتى الديار السعودية آنذاك، رحمه الله - فاستحسنها واستجادها وأشار إلى الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، لما فيها من فوائد جمة، ونصائح عامة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ، وعلى اتباع السلف الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

رحم الله الشيخ حافظًا الحكمي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عما قدم خير الجزاء، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين.

أحمد بن حافظ الحكمي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن لـه شريك في الملك ولم يكن لـه ولي من الذل وما كان معه من إله؛ الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه:{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾} [الحج: ٦٢].

عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر:{ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا} [سبأ: ٢]. كيف لا وهو الذي خلق وقدَّر:{أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [الملك: ١٤].

رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين:{ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾} [الروم: ٥٠].

الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك لـه في ملكه ولا معين، المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال:{أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الأعراف: ٥٤]. لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه:{أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ } [الأنعام: ٦٢]

لـه ملك السماوات الأرض وما بينهما وإليه المصير.

القدوس الذي اتَّصَفَ بصفات الكمال، وتقدَّس عن كل نقص ومحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرام[1] على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

المؤمن الذي أمَّن أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخره عذاب الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة، وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية، المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير.

العزيز الذي لا مغالب لـه ولا مرام لجنابه، الجبار الذي لـه مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به، المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا لـه ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير، الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أى صورة شاء من أنواع التصوير:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾} [التغابن: ٢ - ٣]،{مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾} [لقمان: ٢٨].

الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة، القهار الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره.

الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة، الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه،

---

(١) المقصود والله أعلم: أنه يمتنع على ذي العقل الواسع أن يصفه من تلقاء نفسه، وإنما بما وصف به نفسه سبحانه، أو بما وصفه به رسول ، وليس المقصود بـ (حرام) المصطلح الفقهي على إطلاقه.

أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ماذا نقص من فضله الغزير يرزق كل ذي قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرًا متقنًا محكمًا، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر مسلم أموالاً وأولادًا وأهلاً وخدمًا ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته قضى ذلك قضاءً حتمًا مبرمًا وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير.

الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم يفتح على هذا مالاً وعلى هذا ملكًا وعلى هذا علمًا وحكمة:{ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾} [الحديد: ٢١]،{ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾} [فاطر: ٢].

العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآتٍ ظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل حقير، علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين:{ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾} [الأنعام: ٥٩]، ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره(١)، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره:{وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ } [فاطر: ١١].

القابض الباسط فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا لـه القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم، كل

(١) ما في صلبه وداخله.

ذلك إليه إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير.

الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع، فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفعه، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفعه، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لمن هو مانع، فلو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع:{وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾} [الأنعام: ١٧].

المعز المذل الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن والاه وأعزه من مذل، وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير.

السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الورى، القائل لموسى هارون:{إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: ٤٦]، فمن نفي عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبًا وقد خاب من افتري:{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾} [الأنعام: ١٠٣].

الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً:{إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [هود: ٥٦]، فلا يحيف في حكمه ولا يجور:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦] الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا ووعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفي الحديث:{**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**}[١]،{وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]،

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٤٠٩] مسلم [٢٥٨٣].

وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا بل يحصي عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير.

اللطيف بعباده معافاةً وإعانةً وعفوًا ورحمةً وفضلاً وإحسانًا، ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلاً وإجمالاً وسرًّا وإعلانًا، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا؟ وكيف عملوا؟ وأين عملوا؟ ومتي عملوا حقيقة وكيفية ومكانًا وزمانًا:{إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ١٦].

الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم، وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب، خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء، وذل لعزته وكبريائه كل كبير.

الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد، أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير.

العليُّ الذي ثبت لـه كل معاني العلو، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنًا من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ في أصح الروايات، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير.

الكبير الذي كل شيء دونه والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصًّا بينًا محكمًا، الحفيظ على كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما، حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير.

المغيث لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجاه الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنعم المولى ونعم النصير.

الجليل الذي جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال، الجميل الذي لـه مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال.

الكريم الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألة ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال(١)، ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير.

الرقيب على عباده بأعمالهم، العليم بأقوالهم، وأفعالهم الكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم، المجيب لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير.

الواسع الذي وسع كل شيء علمًا ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا:{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾} [الأنعام: ١٠٣].

الحكيم في خلقه وتدبيره إحكامًا وإتقانًا، والحكيم في شرعه وقدره عدلاً وإحسانًا، ولـه الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهانًا، فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل، فله الملك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير.

(١) (صحيح) مسلم [٢٥٧٧].

الودود الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات[1]، المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أى مكان كان وفي أى وقت من الأوقات، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو الستير.

المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد، الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد الشهيد الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدًا:{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣] هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير.

القوي المتين الذي لم يقم لقوله شيء وهو الشديد المحال، الولي للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه، وإذا أراد بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ، الحميد الذي ثبت له جميع أنواع المحامد، وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال، فله الحمد كما يقول وخيرًا مما نقول لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف ثناء على العلي الكبير.

المحصي الذي أحصى كل شيء عددًا وهو القائل:{وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ } [يس: ١٢]. المبدئ المعيد الذي قال وهو أصدق القائلين:{كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ} [الأنبياء: ١٠٤]،{وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧]. وأنى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا؟!، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير.

[1] قال تعالى ٥٤):{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ}.

المحيي المميت الذي انفرد بالإحياء والإماتة، فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام، الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم: ٢٥] فلا يحتاج إلى شيء إليه فقير.

الواحد الأحد الذي لا شريك لـه في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضد لـه ولا ند ولا شبيه ولا كُفْءَ ولا عديل.

الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، فإليه منتهى لطلبات، ومنه يسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في صفات الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل.

القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول لـه: كن فيكون، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه على كل شيء قدير، المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير، الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء هكذا فسره البشير النذير.

الوالي فلا منازع لـه ولا مضاد، المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد، البر وصفًا وفعلاً، ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسله، أنه لا يخَل الميعاد، التواب الذي يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير.

المنتقم الذي لم يقم لغضبه شيء وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام، العفو بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام، الرؤوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام فقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨} [التحريم: ٨].

مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ذو الجلال والإكرام والعزة والبقاء، والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء، المقسط الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير.

الجامع لشتات الأمور وهو:{جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ} [آل عمران: ٩] الغني المغني فلا يحتاج إلى شيء، ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين، ولا تنقصه معصية العاصين من العباد، وكل خلقه مفتقرون إليه، لا غنى لهم عن بابه طرفة عين، وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد، وبجوده عم جميع الأنام من طائعٍ وعاصٍ وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير.

نور السماوات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه. وقال ﷺ مستعيذًا به:{**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت لـه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله**}(١).

فبصفات ربنا تعالى نؤمن، ولكتابه وسنة رسوله نحكم، وبحكمهما نرضى ونسلم، وإن أبي الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾} [فصلت: ٤٠].

الهادي الذي بيده الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى:{مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا} [الكهف: ١٧]،{مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} [الأنعام: ٣٩]،{قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ} [البقرة: ١٢٠]،{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾} [الحج: ٨].

البديع الذي أبدع السماوات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال، الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير.

---

(١) (سنده ضعيف) الدعاء للطبراني [١٠٣٦] الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي [١٨٥١] والكامل في الضعفاء [ج٦ - ص١١١] تاريخ دمشق [ج ٤٩ - ص١٥٢] الأحاديث المختارة [١٦٢] وعلته: محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة: صدوق، ولكنه مدلس، وقد عنعن، ولم أقف له على تصريح بسماع أو تحديث.
وهو عند عبد الرزاق [٩٢٣٤] بسند ضعيف مرسل، عن طاووس رفعه: وبالسند أبو أيوب الثقفي: ضعيف انظر تهذيب التهذيب [٦٨٥].

الرشيد في كل أقواله وأفعاله، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم، الصبور الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه، ينسبون لـه الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم يعافيهم، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضروه، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم، ووبال عصيانهم عليهم واستغنى الله والله غني حميد: {زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧} [التغابن: ٧].

أحمده تعالى على جزيل إنعامه وإفضاله، وأشكره على جليل إحسانه ونواله ولـه الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله، ولـه الحمد على عدلـه قدرًا وشرعًا، ولـه الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، الملك الحق العلي الكبير، تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير، وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكُفْءِ والنظير، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين والمشير، وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدي المنير بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين والهدي المستبين، والمنهج المستنير، والشرك مضطرمة ناره، طائر شراره، مرتفع غباره، لا مغير لـه ولا نكير، فقام بتبليغ الرسالة حق القيام، وجاهد في الله حق جهاده إعلاء لكلمة الله الملك العلام، حتى جاء الحق وزهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة وانفجر الإيمان والإسلام، ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره،

ونكست راية الشرك، انكسرت شوكته وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير، ﷺ وعلى آله وصحبه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم تابعيهم:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠} [الحشر: ١٠]. وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم، وجعلنا من المقتدين بهم المهتدين بهديهم المتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهما نسير.

أما بعد، فاعلموا - رحمكم الله - أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار:{وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ} [النور: ٤٠] وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها فإن الله تعالى أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء وتفصيل كل شيء وقال:{مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ} [الأنعام: ٣٨]. وقال:{وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣} [الفرقان: ٣٣]. وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغًا ومبينًا ليقرأه على الناس علي مكث ويبينه لهم أتم البيان ويحكم بينهم

فيما هم فيه يختلفون، ويهديهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ} [النحل: ٨٩]. وقال تعالى:{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١]. وقال تعالى:{وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]. وقال تعالى:{ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾} [النحل: ٦٤].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾} [المائدة: ١٥ - ١٦].

ولا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ والاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ قال الله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٠ - ٢٤] الآيات. وقال تعالى:{ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾} [الأنعام: ٣٦].

ولم ينج الله تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال تعالى:{عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾} [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وقد كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى:{ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾} [الأعراف: ١٥٨]. وقال تعالى:{ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾} [سبأ: ٢٨].

ولم يتوفه الله تعالى حتى أكمل لـه الدين وبلغ البلاغ المبين، وبين للناس ما نزل إليهم أوضح التبيين:{**وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك**}(١)، وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علمًا، وهدى الله به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كما قال تعالى:{ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾} [البقرة: ٢١٣].

(١) (سنده صحيح) ابن ماجة [٤٣/٤٤] أحمد [١٧١٨٢] المستدرك [٣٣١] الطبراني في الكبير [١٥٠٢٣] السنة لابن أبي عاصم [٤٨/٤٩].

قال ابن عباس رضى الله عنه : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين(١) وكذلك هي في قراءة عبد الله(٢) وأبي بن كعب وهذا التفسير مروي عن قتادة ومجاهد أيضًا(٣).

وقولـه:{وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ} [البقرة: ٢١٣] أي: من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض(٤).

وقولـه تعالى:{فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ} [البقرة: ٢١٣].

قال النبي ﷺ :{**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فنحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه وهدانا لله فالناس لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى**}(٥) رواه عبد الرزاق، وهو في الصحيح من طرق بألفاظ.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٦) عن أبيه في قولـه تعالى:{فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ} [البقرة: ٢١٣] فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد فهدى الله أمة محمد ليوم

(١) (سنده صحيح) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٥٩٧٠] والطبري في تفسيره [ج٢ - ص ٣٤٧] وجاء مرفوعا بسند صحيح عند ابن أبي حاتم [١٥٩٦٩] وابن حبان [٦١٩٠] عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ،(أَنَّ رَجُلا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ مُكَلَّمٌ، قَالَ: كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: عَشَرَةُ قُرُونٍ، قَالَ: كَمْ كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: عَشَرَةُ قُرُونٍ).

(٢) يعني ابن مسعود.

(٣) انظر تفسير الطبري [ج٢ - ص ٣٤٧].

(٤) انظر تفسير ابن كثير [ج١ - ص٣٣٧].

(٥) (صحيح) البخاري [٨٥٦] مسلم [٨٤٩].

(٦) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره [٢٠٣٤] عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعيف، انظر التقريب [٣٨٦٥].

الجمعة، واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس، وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة، واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله تعالى أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فقالت اليهود: كان يهوديًا، وقالت النصارى نصرانيًا، وجعله الله حنيفًا مسلمًا، فهدى الله أمة محمد إلى الحق من ذلك، واختلفوا في عيسى - عليه الصلاة والسلام - فكذبت به اليهود وقالوا لأُمِّهِ بهتانًا عظيمًا، وجعلته النصارى إلهًا وولدًا، وجعله الله تعالى روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد ﷺ إلى الحق من ذلك.

وقال الربيع بن أنس في قولـه عز وجل :{فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ} [البقرة: ٢١٣] أى عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا علي الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك لـه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا رسلهم وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة:{وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣] وكان أبو العالية(١) رحمه الله تعالى يقول: في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن.

---

(١) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحى البصرى مولى امرأة من بنى رياح بن يربوع، حى من بنى تميم. أدرك الجاهلية، و أسلم بعد موت ، و دخل على أبى بكر الصديق، و صلى خلف عمر بن الخطاب. قال يحيى بن معين، و أبو زرعة، و أبو حاتم: ثقة.
من أقواله: قال أبو العالية: إذا أخذت بما اجتمعوا عليه فلا يضرك ما اختلفوا فيه.و قال أبو العالية: إني لأرجو أن لا يهلك عبد بين نعمة يحمد الله عليها، و ذنب يستغفر الله منه.
وعن خالد بن دينار: سمعت أبا العالية يقول: ما مسست ذكرى بيمينى منذ ستين أو سبعين سنة، انظر تهذيب الكمال.

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل قال:{**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**}(١).

وفي الدعاء المأثور:{**اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إمامًا**}(٢).

---

(١) (صحيح) مسلم [٧٧٠].

(٢) انظر تفسير ابن كثير [ج١ - ص ٥٧١] وذكره ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة بدون سند [٣٧]، وصدره بقوله (من أدعية من تقدم) وهو في مستخرج الطوسي [٣٨] مصدر بنفس العبارة(من أدعية من تقدم) فكأنه دعاء مأثور عن بعض الصالحين، وليس بحديث أصلا. فقول المصنف (من الدعاء المأثور) يقصد المأثور عن الصالحين، لا المأثور عن النبي

اختلاف الفرق الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا الله - تعالى - عن الأمم السابقة أنهم اختلفوا اختلافًا شديدًا وافترقوا افتراقًا بعيدًا وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الاختلاف والتفرق.

ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه، بل زجرنا عن الاختلاف زجرًا شديدًا وتوعد على ذلك وعيدًا أكيدًا فقال تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾} [آل عمران: ١٠٥]. قال ابن عباس رضى الله عنه تبيضُّ وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل البدع والاختلاف(١).

ثم فصل تعالى مآل الفريقين، وأين توصل أهلها كل من الطريقين فقال تعالى:{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾} [آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧].

وحذرنا عن ذلك نبينا محمد ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال ﷺ :{**ألا وإن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهم الجماعة**}(٢).

وفي بعض الروايات:{**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم**

(١) (سنده ضعيف جدا) ابن أبي حاتم في تفسيره [٤٠٠٠] علته: مجاشع بن عمرو، قال يحيى بن معين: قد رأيته أحد الكذابين لسان الميزان [ج٥ - ٥٥] وعلي بن قدامة: به لين انظر اللسان [ج٤ - ٦٨٢].

(٢) (سنده صحيح لغيره) سنن أبي داود [٤٥٩٧] أحمد في المسند [١٦٩٧٩] من حديث معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، ورواه ابن ماجة من حديث أنس رضى الله عنه [٣٩٩٣] وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه [٢٦٤٠].

وأصحابي}[1].

وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق من الافتراق، وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق فافترقوا في أسماء الله تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة، وغلاة ممثلة، وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة، وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة، وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة، إلى غير ذلك من فرق الضلال، وطوائف البدع والانتحال، وكل طائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقًا وتشعبت طرقًا، وكل فرقة تكفر صاحبتها وتزعم أنها هي الفرقة الناجية المنصورة.

الفرق الناجية

وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه، وليس أحد من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا من طريق سننه المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحجة البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها، وإنما تصلح هده الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها، الذابين عنها يقفون عندها ويسيرون

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٦٤١] المستدرك للحاكم [٤٠٨] الإبانة الكبرى [٢٧٤] السنة للمروزي [٥٩] الشريعة للآجري [٢٤] علتهم جميعا: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي: ضعيف في حفظه انظر التقريب [٣٨٦٢].

ورواه الطبراني في الأوسط [٥٠٤٣] من حديث عبد الله بن سفيان عن يحيى بن سعيد الأنصار عن أنس مرفوعا. ورواه بهذا السند العقيلي في الضعفاء [٩٣٨] وقال: ليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يعرف هذا الحديث من حديث الأفريقي. وقال العقيلي أيضا: عبد الله بن سفيان الخزاعي واسطي عن يحيى بن سعيد ولا يتابع على حديثه.

بسيرها، لا ينحرفون عنها يمينًا ولا شمالاً، ولا يقدمون عليها لأحد مقالاً، ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضرهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها، المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها، وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بما أخبر الله به من كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد ﷺ في سنته، وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهًا بلا تحريف ولا تعطيل، فهم الوسط في فِرق هذه الأمة، كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فهم والله (أهل السنة والجماعة) وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة، فانتدبوا لنصرة الدين دعوة وجهادًا، وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى، ولم يخشوا في الله لومة لائم، ولم يبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة وشردوا بأهلها واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السنة من أصلها، فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة، وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة، فمنهم المتقصي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها، ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين، إلا ويقيض الله لها جيشًا من عباده المخلصين، فحفظ الله بهم دينه على العباد

وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداق وعد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزلـه، كما قال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩]. وإعلاءً لكلمته وتأييدًا لحزبه إذ يقول:{وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصافات: ١٧٣].

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبين أن أنظم مختصرًا يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، يفصح عن عقيدة السلف الصالح ويبين فأجبته إلى ذلك مستعينًا بالله، راجيًا الثواب من الله، قائلاً: لا حول ولا قوة إلا بالله، وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه علي ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسر الله تعالى ذلك بمنه وإفضاله، وأعانني - ولـه الحمد والمنة - على إكماله، وسَّميته:

(سُلَّمُ الوُصْول، إلى مَبَاحث علمِ الأصُول)

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحباب، سئل مني أن أعلق تعليقًا لطيفًا، يحل مشكله ويفصل مجمله، مقتصرًا على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه، واستقدرته بقدرته، فعنَّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسئول، مستمدًا من الله تعالى الإعانة على نيل السؤل، وسميته:

(مَعَارِجُ القَبُول بشَرْحِ سُلَّمُ الوُصْول إلى علمِ الأصُول

والله أسأل أن يعين على إكماله بمنه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله، وأن يهدينا الصراط المستقيم، ويجعلنا من أنصار التوحيد وأهله،

إنه سميع قريب مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

١- أبدأ باسم الله مستعينًا ::: راض به مدبرًا معينا

(**أبدأ**) في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله ومنه هذا التصنيف (**باسم الله**) متبركًا و (**مستعينًا**) به أو إياه بالباء وبدونه أى طالبًا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى معلمًا لنا في فاتحة الكتاب:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥} [الفاتحة: ٥]. وقال النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنه :**{إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله}**[١] وهو خطاب شامل لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمر الواقع في جواب الشرط نهى لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدر الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره والعاقل يفهم ذلك بادئ ذي بدء.

* * *

(١) (سنده صحيح) الترمذي [٢٥١٦] أحمد [٢٦٦٩] المستدرك [٦٣٠٣].

خلاصة القول في تفسير البسملة

والكلام على تفسير البسملة مستوفى في كتب المفسرين، ولنذكر خلاصة ذلك فنقول: الباء أداة تخفض ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانة، وتطويلها في القرآن تعظيمًا: لكتاب الله عز وجل ، وإسقاط الألف من الاسم طلبًا للخفة لكثرة استعمالها، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط، ولذلك لما كتبت الألف في:{ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١} [العلق: ١]. ردت الباء إلى هيئتها، والاسم هو المسمَّى وعينه وذاته فإنك تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، فتدعوه بأسمائه التي سمَّى بها نفسه كما قال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى:{قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ} [الإسراء: ١١٠]. ولو كانت أسماء الله غيره لكان الداعي بها مشركًا إذا دعا مع الله غيره، ولكانت مخلوقة؛ إذ كل ما سوى الله مخلوق، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء الله تعالى وصفاته، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وسيأتي بسط القول في ذلك - إن شاء الله تعالى - في الكلام على الأسماء.

(الله) علم على ذاته تبارك وتعالى وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ} [الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨} [طه: ٨]. ألا ترى أنك تقول: الرحمن من أسماء الله تعالى، والرحيم من أسماء الله ونحو ذلك، ولا تقول: الله من أسماء الرحمن، وقال النبي ﷺ :{**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**}(١) واختلفوا في كونه مشتقًّا أو لا، ولقد ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم

(١) (صحيح) البخاري [٢٥٨٥] مسلم [٢٦٧٧].

اشتقاقه؛ لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول: يا الله، ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام.

وقال آخرون[1] إنه مشتق واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتق من أله يأله إلاهة، فأصل الاسم الإله، فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبًا فقيل: الله[2]، ومن أقوى الأدله عليه قولـه تعالى:{وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: ٣]. مع قولـه عز وجل :{وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ} [الزخرف: ٨٤] ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا لـه، ومعني أله يأله إلهة عبد يعبد عبادة فالله المألوه أى المعبود، ولهذا الاسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل ، وقيل: إنه هو الاسم الأعظم.

(**الرحمن الرحيم**) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥]. والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى:{وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣]. ذكره ابن جرير بسنده عن العزرمي بمعناه[3].

---

(١) منهم الكسائي والفراء.

(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والصحيح أنه مشتق وأن أصلـه الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا ما شذ، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى.
الذين قالوا بالاشتقاق وإنما أرادوا أنه دال على صفة لـه تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، بدائع الفوائد [ج١ - ص٢٦] بتصرف.

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبري [ج١ - ص ٧٨] وتفسير القرطبي [ج١ - ص ١٠٥].

وفي الدعاء المأثور:{**رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**}[(١)].

والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم فلهذا قال تعالى:{وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣]،{إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١١٧] ولم يأت قط إنه بهم رحمن، ووصف نبيه محمدًا ﷺ بأنه رءوف رحيم فقال تعالى:{حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]. ولم يصف قط أحدًا من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك، والله أعلم.

(**راض**): خبر لمبتدأ محذوف تقديره، وأنا راض (**به**): أى بالله عز وجل . (**مدبرًا**): حال من الضمير المجرور، أى: بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزمة الأمور بيده وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾} [الطلاق: ١٢].

(١) (هذه الفقرة من الدعاء سندها حسن بالشواهد) فقد جاءت في أحاديث مختلفة بألفاظ مختلفة، منها عند الطبراني في الكبير [١٦٧٣٩] من حديث معاذ بن جبل، وسنده صحيح، إلا أن الراوي عن معاذ هو سعيد بن المسيب، ولم يسمع منه. ولمعاذ طريق آخر روى عنه عطاء الخراساني، وهو منقطع أيضا في مسند الشاميين للطبراني [٢٣٤١]، وطريق ثالث في الكبير والراوي عن معاذ عبد الرحمن بن معمر والسند به ضعف [١٦٧٤٦]، وهذه الفقرة في حديث عن عائشة في مسند البزار بسند ضعيف جدا [٦٢] والحاكم [١٨٩٨] به: الحكم بن عبد الله بن سعد: قال أحمد أحاديثه كلها موضوعة لسان الميزان [١٣٦٨].
وفي المعجم الصغير من حديث أنس بسند حسن [٥٥٨] ولفظه: (رحمن الدنيا والآخرة تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء) وانظر تفسير ابن كثير [ج١ - ص ١٢٦].

و(**معينًا**) لي على جميع أموري الدينية والدنيوية فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا علم لي إلا ما علمنيه فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه.

* * *

القول في حمد الله وشكره والاستعانة به

٢- والحَمْدُ للهِ كما هَدَانا ::: إلى سَبِيلِ الحَقِّ واجْتَبانا

أى: (و) أثنى بحمده فأقول: (**الحمد لله**) كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾} [الفاتحة: ٢] وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطبًا لنبيه خطابًا يدخل فيه جميع أمته:{قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ} [النمل: ٥٩]. فلله الحمد كالذي يقول وخيرًا مما نقول سبحانه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد في الأولى والآخرة.

وعن الأسود بن سريع رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى، فقال ﷺ :{**أما إن ربك يحب الحمد**}(١) رواه أحمد والنسائي.

وعن الحكم بن عمير رضى الله عنه وكانت له صحبة قال: قال رسول الله:{**إذا قلت الحمد لله فقد شكرت الله فزادك**}(٢) رواه ابن جرير.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**}(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما أنعم الله**

(١) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٥٦٢٤] الأدب المفرد للبخاري [٨٥٩] النسائي في سننه الكبرى [٧٧٤٥] المستدرك [٦٥٧٥] وعلته: الانقطاع، فالحسن البصري لم يسمع الأسود رضى الله عنه.

(٢) (سنده ضعيف جدا) الطبري في تفسيره [ج١ - ص٨٩] وعلته: عيسى بن إبراهيم: متروك الحديث، وموسى بن أبي حبيب: ذاهب الحديث، انظر للأهمية لسان الميزان [ج٦ - ٣٩٨].

(٣) (سنده حسن) الترمذي [٣٣٨٣] ابن ماجة [٣٨٠٠] من أجل: موسى بن إبراهيم بن كثير.

على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى - ليعني من هدايته للحمد - أفضل مما أخذ}(١) رواه ابن ماجه.

وللقرطبي عنه عن النبي ﷺ قال:{**لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك}**(٢).

قال القرطبي وغيره: أى لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا، لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى، قال الله تعالى:{ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾} [الكهف: ٤٦].

وقال علي رضى الله عنه : الحمد لله كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال. وقال ابن عباس رضى الله عنه : الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي، وقال رضى الله عنه : الحمد لله كلمة كل شاكر، وقال رضى الله عنه : الحمد لله هو الشكر لله، هو استخذاء لـه والإقرار لـه بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك.

وقال الضحاك: الحمد لله رداء الرحمن، وقال كعب الأحبار: الحمد لله ثناء الله، وفي معنى الحمد لله وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى.

ولما كان من أكبر نعم الله علينا، وأجل مننه الواصلة إلينا هدايته إيانا، إلى صراطه المستقيم، الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره، ناسب الثناء عليه بها فقلت: (**كما هدانا**) أى على ما

(١) (سنده حسن) ابن ماجة [٣٨٠٥] المعجم الأوسط [١٣٥٧] من أجل: شبيب بن بشر.

(٢) (سنده ضعيف جدا) تاريخ دمشق [ج ٥٤ - ص ١٦] عند ترجمة: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن همام أبو المفضل [٦٥٦٥] وقال في ترجمته: قال الخطيب سمعت من يذكر أن أبا المفضل لما حدث عن ابن العراد قيل له: من أيهما سمعت من الأكبر أو الأصغر وكانا أخوين؟ فقال: من الأكبر، فسئل عن السنة التي سمع منه فيها؟ فذكر وقتا مات العراد الأكبر قبله بمدة، فكذبه الدار قطني في ذلك وأسقط حديثه.

هدانا إرشادًا ودلالة بكتبه ورسله، وتوفيقًا وتسديدًا بمشيئته وقدره إلى (**سبيل الحق**) وهو دين الإسلام والإيمان واجتبانا لـه، وبذلك قال تعالى ممتنًا علينا ولـه الحمد والمنة:{وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ }

[البقرة: ١٩٨]. وقال تعالى:{لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾} [آل عمران: ١٦٤]. وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾} [الحج: ٧٧ - ٧٨].

ولما كان الحمد الخبري أبلغ من الإنشائي لدلالته على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولاً ثم عطفت عليه الإنشائي جمعًا بينهما فقلت:

٣- أَحْمَدُهُ سبحانه وأَشْكُرُهْ ::: ومن مَسَاوِي عَمَلي أَسْتَغْفِرُهْ

(**أحمده**) أى أنشىء لـه حمدًا آخر متجددًا على توالي نعمه وتواتر فضله، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه (**سبحانه**) أى: تنزيهًا لـه عما يليق بنعوت جلاله وصفات كماله، وهذه العبارة تتضمن معنى قولـه في الحديث المتفق عليه:{**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**}[١].

(١) (صحيح) البخاري [٦٠٤٣] مسلم [٢٦٩٤].

وأشكره على ما أنعم وألهم امتثالاً لقوله عز وجل :{فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} [البقرة: ١٥٢].

واختلف العلماء في معنى الحمد والشكر هل هما مترادفان أو لا؟ فذهب إلى ترادفهما ابن جرير الطبري صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما، وذهب جماعة من المتأخرين إلى التفرقة بينهما، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسني والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى:{ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ} [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ } [الأنعام: ١]. وقال تعالى:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ } [سبأ: ١]. وقال تعالى:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ} [فاطر: ١]. وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ::: يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى:{ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ } [سبأ: ١٣]. والحمد يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه،

والحمد أعم من جهة أسبابه، وفي الحديث:{**الحمد لله رأس الشكر**}(١) فمن لم يحمد الله لم يشكره وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:{**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**}(٢) والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(**ومن مساوئ**) جمع مساءة (**عملي**) مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، (**أستغفره**) السين للطلب أى أطلب منه مغفرة تلك المساوئ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

٤- وأَسْتَعِينُهُ على نَيْلِ الرِّضا ::: وأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ في ما قَضَى

(**وأستعينه**) أطلب منه العون (**على نيل الرضا**) أى على فعل الأعمال الصالحة التي بسببها ينال رضاه أن يرزقنيها وينيلني رضاه بفضله ورحمته (**وأستمد**) أى أطلب منه الإمداد بأن يرزقني (**لطفه**) بي (**فيما قضى**) وقدَّر من المصائب، وأن يجعلني راضيًا بذلك مؤمنًا به مستيقنًا أنه من عند الله وأن وقوعه خير عندي من كونه لم يقع، وأن يهدي قلبي كما قال تعالى:{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾} [التغابن: ١١]. وكما قال ﷺ :{**وأسألك الرضا بعد القضاء..**}(٣) الحديث، فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة.

* * *

(١) (سنده ضعيف) عبد الرزاق في المصنف [١٩٥٧٤] والبيهقي في الشعب [٤٣٩٥] وفي الآداب [٧١٦] علته الانقطاع فقتادة لم يسمع من عبد الله بن عمرورضى الله عنه.
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٣٤].
(٣) (سنده صحيح) النسائي [١٣٠٥] الحاكم في المستدرك [١٩٢٣] ابن حبان [١٩٧١] وهو جزء من حديث طويل، وهو من رواية حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر رضى الله عنه. وعطاء كان قد اختلط، إلا أن رواية حماد بن زيد عنه قبل الاختلاط. وله طريق آخر لعمار بن ياسر عند النسائي في سننه [١٣٠٦] وسنده حسن.

القول في كلمة الشهادة

٥- وبَعْدُ إني باليَقينِ أَشْهَدُ ::: شَهَادَةَ الإخْلاصِ أَنْ لا يُعْبِدْ

٦- بالحَقِّ مألوه سوى الرحْمنِ ::: مَنْ جلَّ عَنْ عَيْبٍ وعَنْ نُقْصَانِ

(**وبعد**) هو ظرف زماني يؤتى به للتنبيه على ما بعده وفصله عما قبله، ويبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويغني عن إعادة المضاف إليه (**إني باليقين**) القاطع على الجازم بدون شك ولا تردد (**أشهد شهادة**) مصدر مؤكد (**الإخلاص**) مضاف إلى شهادة من إضافة الصفة إلى الموصوف (**أن**) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مستكن والتقدير أنه، والخبر (**لا يعبد**) بضم الياء وفتح الباء بالبناء للمفعول (**بالحق**) يتعلق بيعبد (**مألوه**) نائب الفاعل ليعبد ومعناه معبود (**سوى**) أداة استثناء بمعنى إلا (**الرحمن**) أى لا معبود بحق إلا الله عز وجل ، والتقييد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عبدت، والمنفي هو استحقاق العبادة عن غير الله عز وجل لا وقوعها، وهذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولما لم يمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمتها بمعناها، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في تفسيرها (**مَن جلَّ**) في صفات كماله ونعوت جلاله (**عن عيب وعن نقصان**) وهما لفظان مترادفان فكل عيب يسمى نقصانًا وكل نقصان يسمي عيبًا والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله، بل لـه والجلال المطلق والكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٧- وأن خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا ::: مَنْ جاءنا بالبَيِّنَاتِ والهُدَى

٨- رَسُولَهُ إلى جميع الخَلْقِ ::: بالنُّور والهُدَى ودِينِ الحَقِّ

(و) أشهد (**أن خير**) أفضل (**خلقه**) هاء الضمير يعود إلى الرحمن (**محمدًا**) يدل على خير أو عطف بيان، ومعناه الكثير المحامد فهو أبلغ من محمود (**من جاءنا بالبينات والهدى**) من عند الله عز وجل ، هذه الجملة صلة مَنْ وهو محله النصب نعت لمحمد ﷺ والخبر (**رسوله**) الرسول بمعنى المرسل

وهو من أُوحى إليه وأُمر بالتبليغ، فإن أُوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط، فكل رسول نبي ولا عكس (**إلى جميع الخلق**) كافة، قال الله عز وجل :{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾} [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾} [الأعراف: ١٥٨].

وفي الصحيح من حديث الخصائص:{**وكان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**}(١) وفيه أيضا:{**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**}(٢).

(**بالنور المبين**) وهو القرآن الذي قال الله عز وجل فيه:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾} [النساء: ١٧٤]، وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾} [الشورى: ٥٢] الآية. وقال تعالى:{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ} [التغابن: ٨]. وغير ذلك من الآيات.

(**والهدى**) الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم (**ودين الحق**) الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد غيره، قال الله عز وجل :{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾} [الصف: ٩] وكل من القرآن والرسول والإسلام يسمى نورًا وهدىً وصراطًا مستقيمًا، وكل الثلاثة متلازمة، تقول أرسل الله عز وجل رسوله وأنزل عليه كتابه بدين الإسلام،

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٨] مسلم [٥٢١].
(٢) (صحيح) مسلم [١٥٣].

وتقول: دين الإسلام هو الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وكل منها نور مبين، وهدى مستبين، وصراط مستقيم.

القول في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب

٩- صَلَّى عليه رَبُّنا ومَجَّدا ::: والآلِ والصَّحْبِ دَوامًا سَرْمدا

(**صلى عليه ربنا**) قال أبو العالية: الصلاة من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى ذكره عنه البخاري[١]، ومنه قوله تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ} [الأحزاب: ٤٣].

وفي الصحيح من الحديث القدسي:{**وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**}[٢].

(ومجَّدا) بألف الإطلاق أى شرفه وزاده تشريفًا وتمجيدًا (**والآل**) [٣] أى آله ﷺ وهم أتباعه وأنصاره إلى يوم القيامة كما قيل:

آل النبي همو أتباع ملته ::: على الشريعة من عجم ومن عرب
لو لم يكن آله إلا قرابته ::: صلى المصلى على الطاغي أبي لهب

ويدخل الصحابة في ذلك من باب أَوْلَى ويدخل فيه أهل بيته من قرابته وأزواجه وذريته من باب أولى وأولى.

(**والصحب**) جمع صحابي وهو من رأى أو لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخللت ردة في الأصح، وهم أفضل القرون في هذه الأمة، وسيأتي في آخر المتن الكلام على فضل بعضهم على بعض إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) (سنده حسن لأبي العالية) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم [٤٥١٩] فضل الصلاة على النبي لإسماعيل بن إسحاق [٩٥] تفسير مجاهد [١٣٤٣].

(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٧٠] مسلم [٢٦٧٥].

(٣) نصر ذلك الإمام أحمد رحمه الله، ونصره ابن القيم رحمه الله.

التعريف بموضوع الكتاب

١٠- وبَعْدُ هذا النَّظْمُ في الأصُولْ ::: لمن أراد مَنْهَجَ الرَّسُولْ
١١- سَألَنى إياهُ مَنْ لاَ بُدَّ لي ::: مِنَ امْتِثَالِ سُؤلِهِ[1] المُمْتَثِلِ

(وبعد) تقدم الكلام عليه قريبًا، أى وبعد الشهادتين والصلاة والسلام على محمد ﷺ وآله وصحبه **(هذا النظم)** الألف واللام للعهد الحضوري، موضوعه **(في الأصول)** والمراد بها هنا أصول الدين من الإيمان بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وأركان الإسلام الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل منها، والكلام على رسالة نبينا محمد ﷺ وما يتعلق بها، والكلام في مسألة الخلافة، والاعتصام بالكتاب والسنة وما تحتوي عليه كل مسألة من ذلك، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانها مفصلاً **(لمن أراد)** من المؤمنين **(منهج الرسول)** سبيله ومسلكه وهو ما عليه أهل السنة والجماعة **(سألني.. إلخ)** البيت بين واضح.

١٢- فقلتُ مع عَجْزي ومعَ إشْفَاقي ::: مُعْتمدًا على القديرِ البَاقي

(فقلب) جواب سألني **(مع عجزي)** عدم قدرتي على ذلك **(ومع إشفاقي)** خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها، وذلك لقصر باعي وقلة اطلاعي، والذي قوى عزمي على ذلك هو كوني **(معتمدًا)** أى متوكلاً **(على القدير)** الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض **(الباقي)** الذي كل هالك إلا وجهه لـه الحكم وإليه ترجعون، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

* * *

(١) يعني: طلبه.

مقدمة

تعريف العبد بما خلق له

وبأول ما فرض الله تعالى عليه

وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه

١٣- اعلَمْ بأنَّ الله جَلَّ وعَلا ::: لم يَتْرُك الخَلْقَ سُدًى وهَملا

١٤- بل خَلَقَ الخَلْقَ ليعبدوه ::: وبالإلهية يُفْرِدوه

(اعلم) كلمة يأتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطاب بها في هذا الموضوع لكل المكلفين **(بأن الله جل)** شأنه وتنزه عن كل نقص **(وعلا)** بكل معاني العلو **(لم يترك الخلق سدى)** ولا **(هملا)** أى لا يأمرهم ولا ينهاهم في الدنيا ولا يبعثهم فيجازيهم في الآخرة؛ لأنه تعالى ما خلقهم إلا بالحق لا عبثًا ولا باطلاً، بل لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، قال الله تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)} [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} أى الخلق:{بَاطِلًا} لا بل الحق:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم: ٣١] ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا:{سُبْحَانَكَ} أى عن أن تخلق شيئًا باطلاً تباركت وتعاليت.

وقال تعالى:{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)} [النحل: ٣ - ٤] يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السماوات بما حوت، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث، ثم نزه تعالى نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك لـه، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك لـه ثم نبه تعالى على خلق جنس الإنسان من نطفة أى مهينة ضعيفة، فلمَّا استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب

رسله، وهو إنما خلق ليكون عبدًا لا ضدًّا، وهذا كقوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾} [يس: ٧٧ - ٧٩]. وقال تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾} [المؤمنون: ١١٥] أى أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد ولا إرادة منا ولا حكمة لنا وقيل للعبث أى: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب:{وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} أى: لا تعودون في الدار الآخرة، لا ليس الأمر كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ثم نبعثكم ليوم لا ريب فيه ونجازي كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وهذا يقوله تعالى لأهل النار توبيخًا وتقريعًا وتبكيتًا بعدما رأوا الحقائق عين اليقين، ثم قال تعالى منزهًا نفسه عما حسبوه:{ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ } [المؤمنون: ١١٦] أى: تقدَّس أن يخلق شيئًا عبثًا فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك:{لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ } [المؤمنون: ١١٦] وقال تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾} [ص: ٢٧] يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثًا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، وليس الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون بعثًا ولا معادًا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط:{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ } [ص: ٢٧] أى: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بيَّن تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين .فقال تعالى:{ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾} [ص: ٢٨] أى: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقب فيها هذا

الفاجر، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظَّلُوم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا المظلوم من هذا الظالم، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك دارًا أخرى لهذا الجزاء والمواساة.

وقال تعالى:{ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى} [الروم: ٨] يقول تعالى منبهًا على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال تعالى:{ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم} يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله عز وجل الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خُلقت سُدىً ولا باطلاً بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، ولهذا قال تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ } [الروم: ٨]، وقال تعالى:{ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ } [العنكبوت: ٤٤] أى للحق وإظهار الحق لا على وجه العبث واللعب:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} أى في خلقها:{لَآيَةً } أى لدلالة:{لِّلْمُؤْمِنِينَ } على أنه تعالى المتفرد بالقدر والخلق والتدبير والإلهية، وقال تعالى:{ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [العنكبوت: ٤٤] أى بالعدل:{وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الجاثية: ٢٢] وقال تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الحجر: ٨٥] أى: لا على وجه العبث واللعب:{وَأَجَلٌ مُّسَمًّى} [الأنعام: ٢] أى: وإلى مدة معينة مضروبة يعني: يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السماوات، وهو الإشارة إلى فنائهما، وقال تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)} [القيامة: ٣٦] قال السدى: يعني لا يبعث، وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهى، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: والظاهر أن

الآية تعم الحالتين، أى ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة.

(**بل خلق**) الله تعالى (**الخلق ليعبدوه**) عز وجل بما شرعه على ألسنة رسله وأنزل به كتبه (و) مع عبادتهم إياه لا يشركون بعبادته أحدًا كائنًا من كان بل (**بالإلهية يفردوه**) دون ما سواه، فمن عبد الله تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات ومات على ذلك حبط جميع عمله وصار هباء منثورًا حيث أشرك مع الله في عبادته من هو مثله مخلوق لعبادة الله عز وجل ، قال الله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦] قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : أى إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم لعبادتي، يؤيده قوله عز وجل :{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنه : إلا ليعبدون، إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا [(١)]، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج ومجاهد: إلا ليعرفون، وقال الربيع اأنس: أى إلا للعبادة طوعًا أو كرهًا وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [لقمان: ٢٥] فهذا منهم عبادة ولا ينفعهم مع الشرك، وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون. اهـ من تفسير ابن كثير.

وقال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس: (وما خلقت الجن والإنس من المومنين إلا ليعبدون) ثم قال في آية أخرى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ} [الأعراف: ١٧٩] وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا

---

(١) (سنده ضعيف) ابن جرير في تفسير [ج٢٢ - ص٤٤٤] علته: على بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، انظر تهذيب الكمال.

لعبادتي، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال: هم على ما جُبلوا عليه من الشقاوة والسعادة، وقيل: معناه إلا ليخضعوا إليَّ ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته ولا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خُلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر، وقيل:{إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل :{ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [العنكبوت: ٦٥] الآية. اهـ. من تفسير البغوي رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الأقوال في هذه الآية وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها؛ أرجحها الأول وهو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه : إلا لآمرهم وأدعوهم لعبادتي، يؤيده قوله تعالى:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} [التوبة: ٣١] وقوله تعالى:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ} [البينة: ٥] الآية وغيرها من الآيات، ويؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من جميع عباده وأرادها وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمره وأتى بما أراده وشاءه منه فله رضاه والجنة ومن خالف في ذلك فله سخطه والنار، ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم بد من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية الله تعالى من سبيل، ولا يخرج عن قضائه تعالى وقدره شيء من المخلوقات مثقال ذرة، فإنه لا راد لقضائه، ولا معقب

لحكمه، ولا مضاد لأمره، ولا ناقض لما أبرمه، ولا دافع لما قدره[(١)]، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قولـه تعالى:{ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ } [الإسراء: ٢٣] فقال لابن عباس وقتادة والحسن: وأمر ربك، وقال الربيع بن أنس: وأوجب ربك، وقال مجاهد: وأوصى ربك، وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم: (ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) ولو أنه - تبارك وتعالى - قضى في الكون أن لا يعبد إلا إياه لم يشرك به أحد من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعًا ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وهذه المشيئة منه للعبادة من عباده شرعًا عامة لمؤمنهم وكافرهم، وأما مشيئته للعبادة الكونية القدرية فخاصة للمؤمنين، فلهذا اتفقت فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئة الشرعية لما سبق لهم في المشيئة القدرية الكونية، وأما الكافر فلم يوافق المشيئة الشرعية لما سبق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة، فتبين بهذا أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحد منها، ولا محيد لـه عنها، سواء سبقت لـه بالشقاوة أو السعادة، وأما المشيئة الشرعية فمن كان سبق لـه في القدرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالف كان كذلك.

وأما معنى العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله في هذا إلى أن الإرادة نوعان: إرادة شرعية، وإرادة كونية.
قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذه الآية يعني قولـــه تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦} [الذاريات: ٥٦] تشبه قولـه تعالى:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ } [النساء: ٦٤] ثم قد يطاع و قد يعصى، وكذلك ما خلقهم إلا للعبادة ثم قد يعبدون و قد لا يعبدون.
وهو سبحانه لم يقل أنه فعل الأول ليفعل هو الثاني و لا ليفعل بهم الثاني فلم يذكر أنه خلقهم ليجعلهم هم عابدين فإن ما فعله من الأسباب لما يفعله هو من الغايات يجب أن يفعله لا محالة و يمتنع أن يفعل أمرًا ليفعل أمرًا ثانيًا و لا يفعل الأمر الثاني و لكن ذكر أنه فعل الأول ليفعلوا هم الثاني فيكونون هم الفاعلين لـــه فيحصل بفعلهم سعادتهم و ما يحبه و يرضاه لهم.
مجموع الفتاوى [ج ٨ - ص٥٦].

والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة - يعني الظاهرة - وكذلك حب الله ورسوله وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين لـه والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله - يعني الباطنة - وجماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل، وسيأتي - إن شاء الله تعالى - زيادة بحثها في بابها من المتن(١).

١٥ – أَخْرَجَ فيما قد مضى من ظَهْرِ ::: آدَمَ ذُرِّيَتَه كالذَّرِّ
١٦ – وأخَذَ العَهْدَ عليهم أنهُ ::: لا رَبَّ مَعْبُودَ بحَقٍّ غَيْرَهُ

(**أخرج**) أى الله تبارك وتعالى (**فيما**) أى الزمن الذي (**قد مضى**) وذلك بعد خلقه آدم عليه الصلاة والسلام (**من ظهر آدم**) أبي البشر رضى الله عنه (**ذريته**) كل من يوجد منهم إلى يوم القيامة (**كالذر**) أى كهيئته (**وأخذ**) عز وجل (**العهد عليهم**) وتفسير العهد (**أنه**) الضمير للشأن أو الحال هو ربهم (**لا رب معبود**) مستحق للعبادة ولذا قيد (**بحق غيره**) وإلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حق بل بالظلم العظيم، قال الله تبارك وتعالى:{وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾} [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: ومدارها: يعني العبودية على خمس عشـرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية.
وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه.
والأحكام التي للعبودية خمسة واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح فيجتمع بذلك المعنى. مدارج السالكين [ج١ - ص ١٠٩].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ قال فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي**}[١] أخرجاه في الصحيحين.

وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم** رضى الله عنه **بنَعْمَان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا**}، قال تعالى:{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً } [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣] إلى قوله:{الْمُبْطِلُونَ } رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٢] وقد روي من طرق كثيرة موقوفًا.

(١) (صحيح) البخاري [٦١٧٣] مسلم [٢٨٠٥] أحمد [١٤١٣٩] واللفظ لأحمد.

(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند مرفوعا [٢٤٥٥] المستدرك [٤٠٠٠/٧٥] سنن النسائي الكبرى [١١١٩١] كلهم من حديث ابن عباس مرفوعا، وقد جاء الحديث موقوفا على ابن عباس عند ابن أبى حاتم في تفسيره [٨٥٢٩].

ورجح ابن كثير رحمه الله في تفسيره الموقوف [ج ٢ - ص٣٤٧].

فقال رحمه الله: قد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر به وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر هكذا قال وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبر عن أبيه به وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب ابن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت.

قلتُ: ومثل هذا وإن كان موقوفا فله حكم الرفع، لأن مثل هذا لا يقوله الصحابي من عند نفسه.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢] الآية - فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال:{**إن الله خلق آدم** رضى الله عنه **ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**} فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ :{**إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار**}(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أى رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أى رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال لـه داود، قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال ستين سنة، قال: أى رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم**

(١) (سنده ضعيف) الموطأ [١٥٩٣] أبو داود [٤٧٠٣] الترمذي [٣٠٧٥] النسائي في الكبرى [١١١٩٠] أحمد [٣١١] ابن حبان [٦١٦٦] الحاكم [٣٢٥٦] تفسير ابن أبي حاتم [٩٢٩٨] قَالَ أَبُو عِيسَى: مُسْلِمُ ابْنُ يَسَارٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُمَرَ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ في هَذَا الإِسْنَادِ بَيْنَ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ وَبَيْنَ عُمَرَ رَجُلاً مَجْهُولاً.

تعطها لابنك داود؟ قال فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم، فنسيت ذريته}(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره نحو ما تقدم إلى أن قال:{**ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب، لم فعلت هذا بذريتي؟ قال: كي تشكر نعمتي، وقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورًا؟ قال: هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك}**(٢) ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم.

وعن هشام بن حكيم رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتبدأ الأعمال أم قد قُضِى القضاء؟ قال فقال رسول الله ﷺ :{**إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار}**(٣) رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه.

(١) (سنده حسن) الترمذي [٣٠٧٦] المستدرك [٣٢٥٧] مسند أبي يعلى [٦٣٧٧] من أجل: هشام بن سعد المدني أبو عباد.

(٢) (سنده ضعيف) عند ابن أبي حاتم في تفسيره [٩٣٠٥] وعلته: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعيف انظر التقريب [٣٨٦٥].

(٣) (سنده حسن لغيره) ابن جرير [١٥٣٧٧] الطبراني في الكبير [١٧٨٩٠/١٧٨٨٩] معرفة الصحابة لأبي نعيم [٥٩٣٥] الإبانة الكبرى [١٣٤٧] السنة لابن أبي عاصم [١٦٨] الأسماء والصفات للبيهقي [٧١٢] وللبيهقي في القضاء والقدر [٢٢٧] الشريعة للآجري [٣٤٤] القدر للفريابي [١٨] قال أبو نعيم: رواه الزبيدي، عن راشد، فاختلف عليه، ورواه عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن راشد، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن هشام، وكذلك رواه بقية، عن الزبيدي في رواية أبي عتبة عنه، ورواه إسحاق بن راهويه، عن بقية، عن الزبيدي، ولم يقل فيه: عن أبيه.

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال: يا أصحاب اليمين، فقالوا: لبيك وسعديك، قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى قال: يا أصحاب الشمال، قالوا: لبيك وسعديك، قال: ألست ربكم قالوا: بلى ثم خلط بينهم، فقال لـه: يا رب لم خلطت بينهم؟ قال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صلب آدم**}(١) رواه ابن مردويه، وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: (أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى الماء)(٢) رواه ابن جرير.

ولـه عنه رضى الله عنه قال: (إن الله تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وتكفل لهم بالرزق ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفي به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول، على الفطرة)(٣).

ولـه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ**

(١) (سنده ضعيف جدا) الطبراني في الكبير [٧٩٤٣] علته: جعفر بن الزبير الحنفى: متروك الحديث، التقريب [٩٣٩] الرد على الجهمية للدارمي [٢٥٥/٤٢] وعلته: بشر بن نمير: متروك متهم، التقريب [٧٠٦] وانظر تفسير ابن كثير [ج - ص٣٤٧].

(٢) (سنده ضعيف) رواه الطبري في تفسيره [ج٦ - ص١١٠] به: سفيان بن وكيع بن الجراح: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف) الطبري في التفسير [ج٦ - ص١١٠] علته: جويبر: ضعيف.

بالمشط من الرأس فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين}(١) وصحح ابن كثير وقفه.

وعن أُبَيِّ ابن كعب رضى الله عنه في قولـه تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢] الآيات، قال: فجمعهم لـه يومئذ جميعًا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق:{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئًا، وإني سأرسل إليكم رسلاً ليذكروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك فأقروا لـه يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لو سويت بين عبادك قال: إني أحببت أن أُشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ} [الأحزاب: ٧] الآية، وهو الذي يقول:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ} [الروم: ٣٠]

(١) (سنده صحيح موقوف على عبد الله) الطبري في تفسيره مرفوعا وموقوفا [ج٦ - ص١١٠] والصحيح الموقوف، وهذا ما رجحه ابن كثير في تفسير [ج٢ - ص٣٤٧] فقال رحمه الله: أحمد بن أبي طيبة هذا هو: أبو محمد الجرجاني قاضي قومس، كان أحد الزهاد، أخرج له النسائي في سننه، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه. وقال ابن عَدِيّ: حدث بأحاديث أكثرها غرائب.

وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قوله، وكذا رواه جرير، عن منصور، به. وهذا أصح والله أعلم.

الآية ومن ذلك قال:{هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾} [النجم: ٥٦] ومن ذلك قال:{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ} [الأعراف: ١٠٢] الآية، رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه(١).

وفي البغوي قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال: ألست بربكم، قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعًا في صلبه، فأهل القبور محبوسون؛ حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول:{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ} [الأعراف: ١٠٢].

وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقروا طوعًا وقالوا: بلى، وأهل الشقاوة قالوا: تقية وكرهًا، وذلك معنى قوله تعالى:{أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} [آل عمران: ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاق، قال ابن عباس رضى الله عنه : ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة، وروي عنه أيضًا أنه بدهناء من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم رضى الله عنه عليه، وقال الكلبي: بين مكة والطائف، وقال السدي: أخرج آدم رضى الله عنه من الجنة فلم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته، وروي أن الله تعالى أخرجهم جميعًا

(١) (سنده حسن) الطبري في تفسيره [ج٤ - ص ٣٧٢] المسند من زوائد عبد الله [٢١٢٧٠] المستدرك [٣٢٥٥] تفسير ابن أبي حاتم [٩٣٠٤] من أجل: أبو جعفر الرازي ومدار الحديث عليه.

وصورهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسنًا ينطقون بها ثم كلمهم قبلاً يعني عيانًا وقال: ألست بربكم؟ وقال الزجاج: وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهمًا تعقل به كما قال تعالى:{قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} [النمل: ١٨].

قال البغوي: فإن قيل: ما معنى قوله:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: ١٧٢] وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟. **قيل**: إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم عن ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علموا أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره.

قوله تعالى:{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} أى: أشهد بعضهم على بعض، قوله:{شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا} قرأ أبو عمرو أن يقولوا، أو يقولوا، بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، واختلفوا في قوله:{شَهِدْنَا} قال السدي: هو خبر من الله عز وجل عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، وقال بعضهم هو خبر عن قول بنى آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا، وقال الكلبي ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية: بلى، قال الله عز وجل : للملائكة اشهدوا قالوا: شهدنا.

قوله:{أَنْ تَقُولُوا} يعني وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أى: لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أى: عن هذا الميثاق والإقرار.

فإن قيل: كيف يلزم الحجة واحدًا لا يذكر الميثاق؟

قيل: قد أوضح الله تعالى الدلائل علي وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندًا ناقضًا للعهد ولزمته الحجة، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر صاحب المعجزة.

قولـه:{ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ } [الأعراف: ١٧٣] يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون: إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم أى: كنا أتباعًا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذرًا لأنفسكم وتقولوا:{أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ } [الأعراف: ١٧٣] أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد:{ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ } [الأعراف: ١٧٤] أى نبين الآيات ليتدبرها العباد:{وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ} [الأعراف: ١٧٤] من الكفر إلى التوحيد. ا هـ البغوي.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{كل مولود يولد على الفطرة}** وفي رواية:**{على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء}**[١] أخرجاه.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{يقول الله تعالى: إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم}**[٢].

وعن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال:**{ما بال أقوام يتناولون الذرية؟}** فقال رجل يا رسول الله: أليسوا أبناء المشركين؟ فقال:**{إن خياركم أبناء المشركين، إلا إنها**

(١) (صحيح) البخاري [١٢٩٢] مسلم [٢٦٥٨] واللفظ لمسلم.
(٢) (صحيح) مسلم [٢٨٦٥].

ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها}(١).

قال الحسن ولقد قال الله تعالى في كتابه:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: ١٧٢] قالوا ولهذا قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ} ولم يقل من آدم:{مِن ظُهُورِهِمْ} ولم يقل من ظهره: (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن كقوله تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: ١٦٥] وقال:{وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ} [النمل: ٦٢] وقال تعالى:{كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ} [الأنعام: ١٣٣] ثم قال تعالى:{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢] أى أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً، قال والشهادة تكون بالقول كقوله تعالى:{قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا} [الأنعام: ١٣٠] الآية وتارة تكون حالاً كقوله تعالى:{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ} [التوبة: ١٧] أى حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى:{وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾} [العاديات: ٧] كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى:{وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} [إبراهيم: ٣٤].

قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه.

(١) (سنده رواته ثقات) مسند أحمد [١٦٣٤٦] وبه: الحسن البصري: مدلس وقد صرح بالتحديث من الأسود في مسند أحمد، إلا أن العلماء قالوا، لم يسمع من الأسود، فلربما كان هذا وهما من أحد الرواه، والله أعلم. قال ابن المدينى: لم يسمع من الأسود بن سريع، لأن الأسود خرج من البصرة أيام على. و كذا قال ابن مندة. و قال عباس الدورى: لم يسمع الحسن من الأسود بن سريع.قال البزار: قال: و لم يسمع من الأسود بن سريع، انظر تهذيب التهذيب [ج٢ - ٤٨٨].

فإن قيل: إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال تعالى:{أَن تَقُولُواْ} أى لئلا تقولوا:{يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢] أى عن التوحيد:{ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا } [الأعراف: ١٧٣] الآية اهـ.

قلت: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة:

الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم رضى الله عنه وأشهدهم على أنفسهم:{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ} الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة وهو أنه - تبارك وتعالى - فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالى:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ } [الروم: ٣٠] الآية، وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع رضى الله عنه وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثالث(١): هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديدًا للميثاق الأول وتذكيرًا به:{ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥} [النساء: ١٦٥] فمن أدرك هذا الميثاق وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف، لأنه جاء موافقًا لما في فطرته وما جبله الله عليه، فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد، ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهَّوداه أبواه أو نصَّراه أو مجسَّاه فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذبًا بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال:{بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢] جوابًا لقوله تعالى:{أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ} وقامت عليه حجة الله وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذاب:{وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ} [الحج: ١٨] ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيرًا قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملاً لو أدركه كما في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ :**{الله تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين}**(٢)

تعالى:{وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ} [الأحزاب: ٧].

وفي قولــــه تعالى:{وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ} [آل عمران: ٨١].

وهذا الميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وهو يتضمن ثلاثة أشياء:

١ - إقامة دينه وإبلاغ رسالته.

٢ - أن يؤمن كل نبي بمن بعده، ولا يمنعه مكانه وما معه من الكتاب والحكمة من الإيمان بمن بعده.

٣ - الإيمان بمحمد ﷺ إن أدركوه، ووصية أمتهم بالإيمان به، إن أدركوه.

(٢) (صحيح) البخاري [١٣١٧] مسلم [٢٦٦٠].

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ :{**الله أعلم بما كانوا عاملين**}[١]،[٢].

١٧ – وبَعْدُ هذا رُسْلَهُ قد أرسلا ::: لهم وبالحق الكتاب أنزلا
١٨ – لكي بذا العَهْدِ يَذْكُروهم ::: ويُنْذروُهم ويُبَشِّروهم
١٩ – كي لا يكونَ حُجَّةً للناسِ بَلْ ::: لله أعلى حُجَّةً عز وجل
٢٠ – فمَنْ يَصْدُقُهُم بلا شقَاق ::: فقد وفَّى بذلك الميثاق
٢١– وذاك نَاجٍ من عذاب النار ::: وذلك الوَارِثُ عُقْبَى الدار
٢٢ – ومن بِهِمْ وبالكتابِ كَذَبَا ::: ولازَمَ الإعْراضَ عنه والإبا
٢٣ – فذاك نَاقَضُ كلاَ العَهْدَيْنِ ::: مُسْتَوْجِبِ للخِزْي في الداريْنِ

(**وبعد هذا**) أى الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به (**رسله**) بإسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم (**قد أرسلا**) بألف الإطلاق (**لهم**) أى إليهم (**وبالحق**) متعلق بأنزل

(١) (صحيح) البخاري [١٣١٨] مسلم [٢٦٥٩].
(٢) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لباب (فضل من يموت لـــه ولد) وفي هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة وقد نقل جماعة فيهم إجماع المسلمين.
وقال المازري: أما أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فالإجماع متحقق على أنهم في الجنة وأما أطفال من ســواهم من المؤمنين فجماهير العلماء على القطع لهم بالجنة ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعا لقولـــه تعالى:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور: ٢١] وتوقف بعض المتكلمين فيها وأشـــار إلى أنه لا يقطع لهم كالمكلفين والله أعلم [ج١٦ - ص١٨٣].
وقال في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة:
وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب:
قال الأكثرون هم في النار تبعا لآبائهم. وتوقفت طائفة فيهم.
والثالث: وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، ويستدل لــه بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحولـــه أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال: (وأولاد المشركين) رواه البخاري في صحيحه.
والجواب: عن حديث (الله أعلم بما كانوا عاملين) أنه ليس فيه تصريح بأنهم في النار وحقيقة لفظه الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا ولم يبلغوا إذ التكليف لا يكون إلا بالبلوغ. [ج١٦ - ص٢٠٨].

أي بدين الحق (**الكتاب**) جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل (**أنزلا**) بألف الإطلاق والأمر الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتب هو (**لكي بذا العهد**) الميثاق الأول (**يذكروهم**) تجديدًا لـه وإقامة لحجة الله البالغة عليهم (**وينذروهم**) عقاب الله إن هم عصوه ونقضوا عهده (**ويبشروهم**) بمغفرته ورضوانه إن هم وفوا بعهده ولم ينقضوا ميثاقه وأطاعوه وصدقوا رسله والحكمة في ذلك لـ (**كي لا يكون حجة**) على الله عز وجل (**للناس بل لله**) على جميع عباده (**أعلى حجة**) أبلغها وأدمغها (**عز**) سلطانه (**وجل**) شأنه عن أن يكون لأحد عليه حجة، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ وهو خاتم الرسل والمصدق لما جاءوا به وكتابه مصدق لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمن عليه:{۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥] وقال تعالى لنبيه ﷺ :{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١} [الحج: ٤٩ - ٥١] وقال تعالى لـه ﷺ :{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧] الآيات وقال تعالى لـه:{ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣} [فاطر: ٢٣] وقال تعالى:{ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦} [سبأ: ٤٦] الآيات وقال تعالى:{ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [البقرة: ٢٤ - ٢٥]

الآية وغير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعيًا إلى عبادة الله عز وجل لا شريك لـه والكفر بما سواه من الأنداد ومبشرًا لمن صدقه وأطاعه بالجنة ونذيرًا لمن كذبه وعصاه من النار.

ثم أخبر تعالى أن المراد بذلك:{ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥] وقال تعالى:{قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ} [الأنعام: ١٤٩] وتقدير البحث في الرسالة واتفاق الرسل في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله عز وجل .

(**فمن يصدقهم**) يعني الرسل (**بلا شقاق**) تكذيب ولا مخالفة (**فقد وفي**) لربه عز وجل (**بذلك الميثاق**) العهد الأول، وهؤلاء هم القليل من الثقلين، ولكن هم جند الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وحزبه المفلحون الفائزون في الآخرة وجواب الشرط (**فذاك ناج من عذاب النار**) إذ لم يرتكب أسباب دخولها من معصية الله وتكذيب رسله كما ارتكب ذلك من خلق لها (**وذلك الوارث عقبى الدار**) وهي الجنة لفعله أسبابها التي أمره الله عز وجل بها من الوفاء بعهد الله وميثاقه وتصديق رسله وكتبه والعمل بجميع طاعته تبارك وتعالى، (**ومن بهم**) أي بالرسل (**وبالكتاب**) أي الكتب التي أنزل الله عليهم ليبلغوها إلى عباده ويبينوها ليعملوا بما فيها (**كذبا ولازم الإعراض عنه**) عما أرسل الله به رسله (**والإبا**) أي الامتناع، وهم الذين قال الله تعالى فيهم:{ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾} [غافر: ٧٠] الآيات وقال تعالى فيهم:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا } [طه: ١٢٤] الآيات وغيرها، وهؤلاء أكثر الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى:{فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } [الإسراء: ٨٩] وقال تعالى:{وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾} [الأعراف: ١٠٢] وقال تعالى:{ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأنعام: ١١٦]

وغير ذلك من الآيات.

وجواب الشرط (**فذاك**) أى المكذب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله الآبي منه المعرض عنه المصر على ذلك حتى مات عليه هو (**ناقض كلا العهدين**) الميثاق الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول وإقامة الحجة (**مستوجب**) بفعله ذلك (**للخزي في الدارين**) أى: في الدنيا والآخرة كما قال تعالى:{ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾} [القصص: ٤٢] وقد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد والناقضين لـه وما لكل منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قول الله عز وجل :{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ} [الرعد: ١٨] أى فيما دعاهم إليه على ألسنة رسله وهم الفريق الأول:{الْحُسْنَى} الجنة:{وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ} وهم الفريق الثاني:{لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [الرعد: ١٨] وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين من طرق عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي**}[1] وقد تقدم ذكره قريبًا.

{۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ} [الرعد: ١٩] يعني الفريق الأول:{كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} يعني الفريق الثاني، لا والله ليسوا سواء:{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾} [الرعد: ١٩ - ٢٠] يتناول كل العهود والمواثيق التي أمر الله عز وجل بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق وتناولها للميثاق المذكور من باب أولى:{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ} [الرعد: ٢١]

---

(١) (صحيح) سبق تخريجه.

من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسله وعدم التفريق بين أحد منهم:{وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ} [الرعد: ٢١ - ٢٢] على قدر الله وعلى ملازمة طاعته وعن معصيته:{وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾} [الرعد: ٢٢] فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى:{جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

ثم ذكر الفريق الثاني بصفاتهم السيئة وبين جزاءهم عليها والعياذ بالله تعالى فقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾} [الرعد: ٢٥] فسبحان الله وبحمده ما أبلغ حكمته وأعدل حكمه ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

فصل

في انقسام التوحيد إلى نوعين

وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

٢٤ - أولُ واجِبٍ على العبيدِ ::: مَعْرِفَةُ الرحْمنِ بالتوحيدِ

٢٥ - إذ هو من كل الأوامر أعْظَمُ ::: وهو نوعان أيا مَنْ يَفْهَمُ

٢٦ - إثباتُ ذات الربِّ جلَّ وعلا ::: أسمائِهِ الحُسْنَى صِفَاتِهِ العُلَى

(**أول واجب**) فرضه الله عز وجل (**على العبيد**) هو (**معرفة الرحمن**) أى معرفتهم إياه (**بالتوحيد**) الذي خلقهم لـه وأخذ عليهم الميثاق به ثم فطرهم شاهدين مُقرِّين به، ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبهم عليهم (**إذ**) حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك وتعالى بالتوحيد (**هو من كل الأوامر**) جمع أمر وهو خطاب الله عز وجل المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (**أعظم**) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به ولا يخرج منه إلا بضده ولم يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به، ولا يخلد في النار ويحرم الجنة إلا بضده ولم تدعُ الرسل إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده.

(**وهو**) أى التوحيد (**نوعان**)[1]:

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله

(١) يقسم العلماء التوحيد بأ طريقتين:

الأولى: يقسمه فريق من العلماء إلى ثلاثة أقسام منفصلة. هي:

١ - توحيد الربوبية. ٢ - توحيد الألوهية. ٣ - توحيد الأسماء والصفات.

الثانية: يقسمه بعضهم إلى قسمين فقط:

١ - توحيد المعرفة والإثبات، ويتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، ويسمى: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي.

٢ - توحيد الطلب والقصد، وهو التوحيد الطلبي القصدي الإرادي.

وقد اعتمد المؤلف الطريقة الثانية في تصنيفه.

عز وجل وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك لـه وتجريد محبته والإخلاص لـه وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربّا وإلهًا ووليّا وأن لا يجعل لـه عدلاً في شيء من الأشياء وهو توحيد الألوهية.

والقرآن كله من أولـه إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين، لأنه إما خبر عن الله عز وجل وما يجب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك لـه وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الطلبي الإرادي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم اقرأ في الجمع بين التوحيدين:

{طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾} [طه: ١ - ٨] وآية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها من القرآن واقرأ في الأمر والنهي: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟} [الحشر: ٧] واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾} [غافر: ٥١]

واقرأ في إخزاء أهل الشرك في الدنيا والآخرة:{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾} [القصص: ٣٩ - ٤٢].

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو **(إثبات)** بالرفع بدل بعض من قولنا نوعان أى الأول منهما **(إثبات ذات الرب جل وعلا)** فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها ومحال أن توجد بدون موجد ومحال أن توجد أنفسها، قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾} [الطور: ٣٥ - ٣٦].

قال ابن عباس رضى الله عنه :{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} أى من غير رب، ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلا بد لـه من خالق فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق،{أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن ما لا وجود لـه كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به:{أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} وهذا في البطلان أشد؛ وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون موجدًا لغيره وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك لـه:{بَلْ لَا يُوقِنُونَ} أى ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك.

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية:{ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾} [الطور: ٣٥ - ٣٧] كاد قلبي أن يطير(١) أخرجاه في الصحيحين.

وكثيرًا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى:{وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾} [الذاريات: ٢٠] أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال عز وجل :{وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾} [الذاريات: ٢١] قال قتادة من تفكر في خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة وكذا ما في لابتداء الإنسان من الآيات العظيمة إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا إلى أن نفخ فيه الروح.

وقال تعالى:{ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾} [الذاريات: ٤٧ - ٤٩].

يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي:{وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا} أى جعلناها سقفًا رفيعًا:{بِأَيْي۟دٍ} أى بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد:{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} قال ابن عباس رضى الله عنه : لقادرون، وعنه أيضًا: لموسعون الرزق على خلقنا، وقيل: ذو وسعة، وقال ابن كثير: أى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي:{وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا } أى

---

[٤٦٣] واللفظ للبخاري.

جعلناها فراشًا للمخلوقات:{فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ} الباسطون نحن، قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي:{وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والجامد والنامي، والمتحرك والساكن، والحر والبرد، وغير ذلك:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أى لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك لـه ا هـ. ابن كثير والبغوي.

وقال تعالى:{إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾} [البقرة: ١٦٤].

قال أبو الضحى: لما نزلت:{وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾} [البقرة: ١٦٣] قال المشركون: إن كان هكذا فليأتنا بآية، فأنزل الله عز وجل :{إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} (١) تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع:{وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ} هذا يجيىء ثم يذهب ويخلفه الآخر، ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى:{لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾} [يس: ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان، كما قال تعالى:{يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ}

---

(١) (سنده حسن لأبي الضحى) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج٢ - ص ٦٥] وشيخ الطبري: سفيان بن وكيع: ضعيف، ولكن رواه ابن أبي حاتم في تفسيره[١٤٦٢] بسند حسن عن أبي الضحى.

[الحج: ٦١] أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا:{وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ} [البقرة: ١٦٤] أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء:{وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [البقرة: ١٦٤] كما قال تعالى:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾} [يس: ٣٣] إلى قوله:{وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦]،{وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ} [البقرة: ١٦٤] على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفي عليه شيء من ذلك، كما قال تعالى:{۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾} [هود: ٦]،{وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ} [البقرة: ١٦٤] فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح، وتارة تأتي مبشرات بين يدي السحاب، وتارة تسوقها، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صبا وهي الشرقية، وتارة دبور وهي غربية وغير ذلك والله أعلم:{وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ} [البقرة: ١٦٤] أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى:{لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤] أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى:{لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقًا وصانعًا غنيًا بذاته وكل ما سواه فقير إليه، قائم بذاته وكل ما سواه لا يقوم إلا به، قدير لذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة لـه إلا بما أقدره، متصف بجميع صفات الكمال، وكل ما سواه فلازمه النقص، وليس الكمال المطلق إلا لـه وهو الله تبارك وتعالى.

وقال تبارك وتعالى:{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾} [الروم: ٢٠ - ٢٥].

يقول تعالى:{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ} الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب:{ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ } فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين، ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظامًا شكله شكل إنسان ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحمًا ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير، ثم أخرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى والحركة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال ولـه فكرة وغور ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيَّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة.

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك**}(١)

---

(١) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٩٣] الترمذي [٢٩٥٥] أحمد [١٩٥٩٧].

رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال حسن صحيح.

{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا } أى خلق لكم من جنسكم إناثًا تكون لكم أزواجًا:{لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا} كما قال تعالى:{ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا } [الأعراف: ١٨٩] يعني بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورًا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل الأزواج من جنسهم:{وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً} وهي المحبة:{وَرَحْمَةً} وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك:{إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } في عظمة الله وقدرته:{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ} الدالة على قدرته العظيمة:{خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ } أى خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار:{وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ } يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء فرس، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل من اختلاف لغات بني آدم:{وَأَلْوَٰنِكُمْ} أى واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة، وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى، فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كلٌّ لـه عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة

أو الكلام ظاهرًا كان أو خفيًا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ} أى ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} سماع تدبر واعتبار:{ وَمِنْ آيَاتِهِ} الدالة على عظمته أنه:{يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} أى تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه؛ ولهذا قال تعالى:{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أى بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء:{اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: ٥] وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة، ولهذا قال تعالى:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم: ٢٤ - ٢٥] كقوله تعالى:{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٥] وقوله تعالى:{ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ} [فاطر: ٤١] وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال: والذي قامت السماوات والأرض بأمره، أى هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسماوات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، ولهذا قال تعالى:{ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} أى من الأرض كما قال تعالى:{ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾} [الإسراء: ٥٢] وقال تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾} [النازعات: ١٣ - ١٤] وقال تعالى:{ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾} [يس: ٥٣].

والأيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصي، وفيما ذكرنا كفاية وغني يغني عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئًا، فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم، وشأن الله تعالى أكبر من ذلك، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته:{وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤] فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى، ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا:{إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [إبراهيم: ٩ - ١٠].

وهذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده تعالى شك فإن الفِطرة شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى معرفته فقالوا:{فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [إبراهيم: ١٠] الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فإن شواهد الحدوث الخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلابد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم:{أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ} [إبراهيم: ١٠] أى أفي إلهيته وتفرده بوجود العبادة لـه شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك لـه، فإن غالب الأمم كانت مُقِرَّةً بالخالق ولكن تعبد معه

غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين: لا، أي لا شك فيه.

ذكر مناظرة أخرى بين رسل الله وأعدائه

قال الله تبارك وتعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾} [البقرة: ٢٥٨].

قال المفسرون: وغيرهم من علماء النسب والأخبار: هذا المحاج هو مالك بابل واسمه: نمرود بن كنعان، ذكروا أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلى عبادة الله وحده لا شريك لـه حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق جل وعلا عنادًا ومكابرةً فَحَاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية فلما قال الخليل عليه الصلاة والسلام:{رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ } قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق: يعني أنه إذا أتي بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما عفا عن الآخر فكأنه قد أحيا وأمات هذا الآخر، وهذا ليس بمعارضة للخليل - عليه الصلاة والسلام - بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيب محض وهو انقطاع في الحقيقة فإن الخليل - عليه الصلاة والسلام - استدل على وجود الخالق جل وعلا بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وإماتتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إليه في وجودها ضرورة لعدم قيامها بأنفسها ولابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إماتتها ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام:{رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ } فقول هذا الجاهل أنا أحيي وأميت إن عني أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عني ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزمًا ولا عارض الدليل.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا المحاجّ قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود الخالق وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة:{قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ} أى هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شىء، فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت فَأْتِ بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شىء، ودان لـه كل شىء فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شىء من هذا، بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها، فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق لـه كلام يجيب الخليل عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى:{فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ}.

* * *

ذكر مناظرة أخرى من ذلك أيضًا

قال الله تبارك وتعالى:{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾} [الشعراء: ٢٣ - ٢٨].

يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقاولة والمحاجَّة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية ثم الحسية، وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله:{فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾} [النازعات: ٢٣ - ٢٤] وقال:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى} [القصص: ٣٨] وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى:{وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾} [النمل: ١٤] ولهذا قال لموسى رضى الله عنه على سبيل الإنكار لرسالته وإظهار أنه ما ثَمَّ ربٌّ أرسله:{وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الشعراء: ٢٣] لأنهما قالا لـه:{إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الشعراء: ١٦] فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلاً:{رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ} [الشعراء: ٢٤] أى خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك لـه هو الله الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوي عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولابد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، الجميع مذللون مسخرون وعبيد لـه خاضعون ذليلون:{إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ} [الشعراء: ٢٤] أى إن كانت لكم قلوب موقنة

وأبصار نافذة:{قَالَ} أى فرعون:{لِمَنْ حَوْلَهُ} من أمرائه ومرازبته وكبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله:{أَلَا تَسْتَمِعُونَ} أى ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري، فقال لهم موسى:{رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ} أى هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى:{ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ } [فصلت: ٥٣].

ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه:{ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾} [الشعراء: ٢٧] أى ليس لـه عقل في دعواه أن ثم رَبًّا غيري:{قَالَ} أى موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبه فأجاب موسى رضى الله عنه بقولـه:{رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} أى هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها وهو الله لا إله إلا هو خالق الظلام والضياء ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضيائه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وكل في فلك يسبحون يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربًا والمغرب مشرقًا والثابت سائرًا والسائر ثابتًا كما قال تعالى عن الذي حاج إبراهيم في ربه في الآية السابقة ولما قامت الحجج علي فرعون وذهبت شبهه وغلب وانقطعت حجته، ولم يبق لـه قول سوى العناد عدل إلى استعمال جاهه

وقوته وسلطانه وسطوته، واعتقد أن ذلك نافعًا لـه ونافذًا في موسى عليه الصلاة والسلام فقال: وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال:{قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾} [الشعراء: ٢٩] إلى آخر ما قص الله عز وجل عنه حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ومناظرة الرسل لأعداء الله في الباب يطول ذكرها ومقامات نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هم مُقرُّون به وبربوبيته، غير أنهم لم يقدِّرُوه حقَّ قدره بل عبدوا معه غيره، ولهذا قال تعالى في شأنهم:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [لقمان: ٢٥]،{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [العنكبوت: ٦٣]،{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [الزخرف: ٨٧] إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى.

* * *

ذكر ما نقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب

عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن الرشيد سأله عن ذلك[١] فاستدل لـه باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه: ذكروا لى سفينة في البحر موقرة[٢] فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتي تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقولـه عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا علي يديه.

وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل ، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبرليسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس لـه باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح اهـ. يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الديك.

---

(١) يعني توحيد المعرفة والإثبات.

(٢) يعني محملة.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في رياض الأرض وانظر ::: إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ::: بأحداث هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ::: بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز ويروي لأبي العتاهية رحمهما الله تعالى:

فيا عجبا كيف يُعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله في كل تحريكة ::: وفي كل تسكينة شاهدُ
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه واحدُ

وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى، فقال: يا سبحان الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟.

ومن خطب قس بن ساعدة الإيادي وكان على ملة إبراهيم رحمه الله تعالى: أيها الناس، اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأحياء وأموات، ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثام، إن في السماء خبرًا، وإن في الأرض عبرًا، يحار فيهن البصر، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تفور، ومنايا دوان [1]، ودهر خوان، كحد النسطاس ووزن القسطاس، أقسم قس قسمًا لا كاذبًا فيه ولا آثمًا لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط، ثم قال: أيها الناس، إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، وهذا زمانه وأوانه، ثم قال: مالي أرى الناس يذهبون فلا

---

(١) يعني قريبة.

يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا، وفي بعض ألفاظها قال: شرق وغرب، ويتم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام، لقد ضل الأنام، نشو مولود، ووأد مفقود، وتربية محصود، وفقير وغني، ومحسن ومسيء، تبًّا لأرباب الغفلة ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الآمل أمله، كلا بل هو إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدي، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى، أما بعد فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد، وأين العليل والعواد؟ كلٌّ لـه معاد، يقسم قس برب العباد، وساطع المهاد، لتحشرن علي الانفراد، في يوم التناد، وإذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير، فريق في الجنة وفريق في السعير.

* * *

وأسماء الله الحسنى هي التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها لـه عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾} [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى:{قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ} [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾} [طه: ٨]، وقال تعالى:{هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾} [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**} أخرجاه في الصحيحين [(١)]، ورواه الترمذي وزاد:{**هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني**

(١) (صحيح) تقدم تخريجه.

المعطي المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور} ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ. ورواه الدارمي وزاد: كلها في القرآن.

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة[١] إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، أسأل الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الغفور الودود الشكور المجيد المبدئ المعيد النور البارئ - وفي لفظ القائم - الأول الآخر الظاهر الباطن العفو الغفار الوهاب الفرد - وفي لفظ القادر - الأحد الصمد الوكيل الكافي الباقي المغيث الدائم المتعال ذا الجلال والإكرام المولى النصير الحق المتين الوارث المنير الباعث القدير - وفي لفظ المجيب - المحيي المميت الحميد - وفي لفظ الجميل - الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني الملك المقتدر، الأكرم الرءوف المدبر المالك القاهر الهادي الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا الطول ذا المعارج ذا الفضل الخلاق الكفيل الجليل.

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر - رحمه الله تعالى - قال: سألت أبي جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال: هي في القرآن، ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا ملك، وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسمًا: يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا علي يا عظيم يا تواب يا بصير يا ولي يا واسع يا كافي يا رءوف

---

(١) (حديث ضـــعيف) الترمذي [٣٥٠٧] ابن ماجة [٣٨٦١] ابن حبان [٨٠٨] المســـتدرك للحاكم [٤٢/٤١] البيهقي [١٩٦٠٢] الدعاء للطبراني [١١١] فذكر الأسماء من تصرف الرواة.

يا بديع يا شاكر يا واحد يا سميع يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا غني يا حميد يا غفور يا حليم يا إله يا قريب يا مجيب يا عزيز يا نصير يا قوي يا شديد يا سريع يا خبير، وفي آل عمران: يا وهاب يا قائم يا صادق يا باعث يا منعم يا متفضل، وفي النساء: يا حسيب يا رقيب يا شهيد يا مقيت يا وكيل يا علي يا كبير، وفي الأنعام: يا فاطر يا قاهر يا لطيف يا برهان، وفي الأعراف: يا محيي يا مميت، وفي الأنفال: يا نعم المولى ويا نعم النصير، وفي هود: يا حفيظ يا مجيد يا ودود يا فعال لما تريد، وفي الرعد: يا كبير يا متعالي، وفي إبراهيم: يا منان يا وارث، وفي الحجر: يا خلاق، وفي مريم: يا فرد، وفي طه: يا غفار، وفي قد أفلح: يا كريم، وفي النور: يا حق يا مبين، وفي الفرقان: يا هاد، وفي سبأ: يا فتاح، وفي الزمر: يا عالم، وفي غافر: يا قابل التوب يا ذا الطول يا رفيع، وفي الذاريات: يا رزاق يا ذا القوة يا متين، وفي الطور: يا بر، وفي اقتربت: يا مقتدر يا مليك، وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام يا رب المشرقين يارب المغربين يا باقي يا معين، وفي الحديد: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، وفي الحشر: يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصور، وفي البروج: يا مبدئ يا معيد، وفي الفجر: يا وتر، وفي الإخلاص: يا أحد يا صمد انتهى[١].

وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله في (تلخيص الحبير)[٢] تسعة

(١) (سنده ضعيف لأبي جعفر) حديث إن لله تسعة وتسعين اسما لأبي نعيم الأصبهاني [٤٦] وسند أبي نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد (الطبراني)، حدثنا أحمد بن عمرو الخلال المكي، حدثنا محمد بن أبي عمر المكي، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: سألت أبي جعفر بن محمد..).

وعلة هذا السند: أحمد بن عمرو الخلال: شيخ الطبراني مجهول الحال.

(٢) انظر تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر رحمه الله [ج٤ - ص١٧٢ - ٢٠٥٦] فقد تكلم عليه بما يشفي.

وتسعين اسمًا من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها وهكذا:

الله الرب الإله الواحد الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الأول الآخر الظاهر الباطن الحي القيوم العلي العظيم التواب الحليم الواسع الحكيم الشاكر العليم، الغني الكريم، العفو القدير اللطيف الخبير السميع البصير المولى النصير القريب المجيب الرقيب الحسيب القوي الشهيد الحميد المجيد المحيط الحفيظ الحق المبين، الغفار القهار الخلاق الفتاح الودود الغفور الرءوف الشكور الكبير المتعال المقيت المستعان الوهاب الحفي الوارث الولي القائم القادر الغالب القاهر البر الحافظ الأحد الصمد المليك المقتدر الوكيل الهادي الكفيل الكافي الأكرم الأعلى الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول رفيع الدرجات سريع الحساب فاطر السماوات والأرض بديع السماوات والأرض نور السماوات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ا هـ.

وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم، وعدها ابن العربي المالكي في (أحكام القرآن) مرتبًا لها على السور، لكنه أخطأ في بعض ما عده كما سنشير إليه قريبًا إن شاء الله تعالى.

واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال:{**ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحًا**}.

فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال:{**بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**}(١).

واعلم أن من أسماء الله عز وجل مالا يطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصًا، تعالى الله عن ذلك، فمنها المعطي المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده، بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقم، لم يأت في القرآن إلا مضافًا إلى " ذو " كقوله تعالى:{عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ} [آل عمران: ٤] أو مقيدًا بالمجرمين كقوله تعالى:{إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢].

واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منهما أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات، كقوله تعالى:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢] وقوله:{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ} [آل عمران: ٥٤] وقوله تعالى:{نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧] وقوله تعالى:{وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٤ - ١٥] ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناسٍ مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يقال: الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

(١) (سنده ضعيف) أحمد [٣٧١٢/ ٤٣١٨] ابن حبان [ج٣/٩٧٢] الحاكم [١٨٧٧] المعجم الكبير [١٠٣٥٢] مسند أبي يعلى [٥٢٩٧] مسند البزار [١٩٩٤] وقد ذكرت شواهده وعلله في الدعوات الكبير للبيهقي [١٥٥] من تحقيقي.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهال! المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه (تكلم) بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق لـه منها أسماء، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا بل تمدح في موضع؛ وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها علي الله تعالى مطلقا فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق لـه منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن وهذا لا يقولـه مسلم ولا عاقل والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قلت: ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عده ابن العربي، فإن الفاعل والزارع إذا أطلق بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحًا، أما سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي

صفات كمال ومدح وتوحد كما قال تعالى:{كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾} [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى:{أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾} [الواقعة: ٦٣ - ٦٤] الآيات، بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه ولـه.

وأكبر مصيبة أن عد في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحًا قبل ذلك بقولـه: وفي سورة المجادلة اسمان فذكرهما، وهذا خطأ فاحش، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقًا ولا مفهومًا، فإن الله عز وجل قال:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟} [المجادلة: ٧] الآية، وأين في هذا السياق رابع ثلاثة وسادس خمسة؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول: رابع كل ثلاثة في نجواهم وسادس كل خمسة كذلك، فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية، والله أعلم.

واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنًا والتزامًا فدلالة اسمه تعالى " الرحمن " على ذاته عز وجل مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمنًا، وعلى الحياة وغيرها التزامًا، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى، وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقولـه الملحدون في أسمائه، تعالى الله عما يقولون علواّ كبيرًا، فإن الله عز جل هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي فليس بعده شيء وما سواه، فان، فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية إذ كل ما سواه كذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي - نقمة الله على بشر المريسي وذويه: باب الإيمان بأسماء الله تعالى وأنها غير مخلوقة؛ قال: ثم اعترض المعترض - يعني ابن الثلجي - أسماء الله تعالى المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي فادعى أن أسماء الله غير الله، وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص، يعني الخبيث أن الله تعالى كان مجهولاً كشخص مجهول لا يهتدي لاسمه ولا يدري ما هو حتي خلق الخلق فابتدعوا لـه أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروه إياها من غير أن يعرف لـه اسم قبل الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق، لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبدا أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملاً لا يدري ما اسمه، والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه لأن أسماء الله تعالى هي تحقيق صفاته سواء عليك قلت: عبدت الله أو عبدت الرحمن أو الرحيم أو الملك العزيز الحكيم، وسواء على الرجل قال: كفرت بالله، أو قال: كفرت بالرحمن الرحيم أو بالخالق العزيز الحكيم، وسواء عليك قلت: عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز أو عبد المجيد وسواء عليك قلت: يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم أو يا مالك يا عزيز يا جبار بأي اسم دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه فإنما تدعو الله نفسه من شك فيه فقد كفر، وسواء عليك قلت: ربي الله أو ربي الرحمن كما قال تعالى:{وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} [الأنبياء: ١١٢] وقال تعالى:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ} [الحشر: ١] وقال:{ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾} [الأحزاب: ٤٢] كذلك قال في الاسم:{سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾} [الأعلى: ١] كما قال تعالى:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ} [الجمعة: ١].

ولو كان الاسم مخلوقًا مستعارًا غير الله لم يأمر الله تعالى أن يسبح مخلوق غيره، وقال تعالى:{لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} [الحشر: ٢٤]

ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل بأسمائها المخلوقة المستعارة فقال تعالى:{إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم} [النجم: ٢٣] وكذلك قال هود لقومه حين قالوا:{أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} [الأعراف: ٧٠] فقال لهم نبيهم:{أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم} [الأعراف: ٧١] يعني أن أسماء الله تعالى لم تزل كما لم يزل عز وجل وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه فإن لم تكن أسماء الله بخلافها، فأي توبيخ لأسماء هذه الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها وأسماء الله تعالى مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد وكلها من تسمية العباد وتسمية آبائهم بزعمهم، ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرَّفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن الله عرفهم بها نفسه، فأي تأويل أوحش في أسماء الله تعالى من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول أو بيت أو شجرة أو بهيمة لم يسبق لشيء منها اسم ولم يعرف ما هو حتى عرفه الخلق بعضهم بعضًا، ولا تقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله تعالى صفاته ليس شيء منها مخالفًا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفًا لأسمائه، فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر، لأنك إذا قلت: الله فهو الله، وإذا قلت: الرحمن فهو الرحمن وهو الله، فإذا: قلت الرحيم فهو كذلك، وإذا قلت: حكيم عليم حميد مجيد جبار متكبر قاهر قادر فهو كذلك، وهو الله سواء لا يخالف اسم لـه صفته ولا صفته اسمًا، وقد يسمى الرجل حكيمًا وهو جاهل، وحكمًا وهو ظالم، وعزيزًا وهو حقير، وكريمًا وهو لئيم، وصالحًا وهو طالح، وسعيدًا وهو شقي، ومحمودًا وهو مذموم، وحبيبًا وهو بغيض، وأسدًا وحمارًا وكلبًا وجديًا وكليبًا وهرًّا وحنظلة وعلقمة وليس كذلك، والله تعالى وتقدس اسمه كل أسمائه سواء لم يزل كذلك ولا يزال،

لم تحدث لـه صفة ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقًا قبل المخلوقين ورازقًا قبل المرزوقين وعالمًا قبل المعلومين وسميعًا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيرًا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة، قال الله تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] وقال:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ} [السجدة: ٤] وقال في موضع:{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ } [الفرقان: ٥٩] لأنهما بمعني واحد، ولو كان كما ادعي المعارض - يعني ابن الثلجي وإمامه المريسي - لكان الخالق والمخلوق استويا جميعا على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف لأن لحدوث الخلق حدًا ووقتًا وليس لأزلية الله تعالى حد ولا وقت لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال، ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس فقال: أرأيت لو كتبت اسمًا في رقعة ثم احترقت الرقعة أليس إنما تحرق الرقعة ولا يضر الاسم شيئًا، فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه: إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم، إذا احترقت الرقعة احترق الخط وبقي اسم الله لـه وعلي لسان الكاتب لم يزل قبل أن يكتب لم تنقص النار من الاسم ولا ممن لـه الاسم شيئًا وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئًا، وكذلك لو كتبت الله بهجائه في رقعة ثم أحرقت الرقعة لاحترقت الرقعة وكان الله سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صور رجل في رقعة ثم ألقيت في النار لاحترقت الرقعة ولم يضر المصوَّر شيئًا، وكذلك القرآن لو احترقت المصاحف كلها لم ينقص من القرآن نفسه حرف واحد، وكذلك لو احترق القراء كلهم أو قتلوا أو ماتوا لبقي القرآن بكماله كما كان لم ينقص منه حرف واحد لأنه منه بدا وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص، وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه

في القرآن، كان القرآن عنده مخلوقًا من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماء الله تعالى عنده من ابتداع البشر من غير أن يقول تعالى:{إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [القصص: ٣٠] بزعمه قط، وزعم أني متى اعترفتُ بأن الله تعالى تكلم بـ:{إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } لزمني أن أقول تكلم بالقرآن، ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا في القرآن، وقد كسره الله عليهم على رغم أنوفهم فقال:{إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } ولا يستحق مخلوق أن يتكلم بهذا، فإن فعل ذلك كان كافرًا كفرعون الذي قال:{أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾} [النازعات: ٢٤] فهذا الذي ادعوا في أسماء الله عز وجل أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنتهم وأسسوا بها ضلالتهم غالطوا بها الأغمار والسفهاء وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذهبهم فإن الفقهاء منهم لعلى يقين، أرأيتم قولكم إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها؟ وكيف خلقها؟ أجعلها أجسامًا وصورًا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء أم موضعًا دونه في الهواء؟ فإن قلتم: لها أجسام دونه فهذا ما تنقمه عقول العقلاء، وإن قلتم: خلقها في ألسنة العباد فدعوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن الله تعالى كان بزعمكم مجهولاً لا اسم لـه حتي أحدث الخلق فأحدثوا لـه أسماء من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد في أسماء الله والتكذيب بها، قال الله تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾} [الفاتحة: ٢ - ٤] كما يضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتم لقيل: الحمد لله رب العالمين المسمى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وكما قال:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ} [آل عمران: ٢ - ٣] كما قال:{تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ} [الزمر: ١] كذلك قال:{تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾} [فصلت: ٢]،{تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢]،{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾} [النمل: ٦] كلها بمعنىً واحد وكلها هي الله، والله هو أحد أسمائه - إلى أن قال - وكما قال تعالى في كتابه:{أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [القصص: ٣٠]

كذلك قال على لسان نبيه ﷺ: **{أنا الرحمن}** ثم روى بسنده حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي الرحم شققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته}**[1] فيقول الله تعالى: **{أنا شققت لها من اسمي}** وادعت الجهمية مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسم الذي شقها منه، ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين حتى علمهم الله تعالى من عنده وكان بدء علمها منه فقال تعالى: { وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾} [البقرة: ٣١ - ٣٣] وقال رسول الله ﷺ: **{إن لله تسعة وتسعين اسمًا ومن أحصاها وحفظها دخل الجنة}**[2] وساق الأسماء الحسنى كما قدمنا ثم قال: فهذه كلها أسماء الله تعالى لم تزل لـه كما لم يزل بأيها دعوت فإنما تدعو الله نفسه، قال: ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله تعالى لم يزل إلهًا واحدًا بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث لـه منها شيء كما لم تزل وحدانيته. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

واختلف العلماء في معنى قولـه ﷺ: **{من أحصاها}** فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى، وقال الخطابي: يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

---

(١) (سنده صحيح) سنن أبي داود [١٦٩٤] مسند أحمد [١٠٤٧٤].
(٢) (صحيح) تقدم.

وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها فإذا قال " الرزاق " وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل أحصاها عمل بها فإذا قال " الحكيم " سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال " القدوس " استحضر كونه مقدسًا منزهًا عن جميع النقائض، واختاره أبو الوفاء بن عقيل، وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح لـه الاتصاف بها - يعني فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة اهـ.

والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به، بل جاء في المراق[١] من الدين أنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام طويل على أولية الله تعالى وما في ذلك الشهود من الغنى التام قال: وليس هذا مختصًا بأوليته تعالى فقط بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب - سبحانه - يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير

(١) المرَّاق: جمع المارق وهو الخارج عن الدين.
(٢) (صحيح) البخاري [٣١٦٦] مسلم [١٠٦٤].

لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا لـه مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه، وعِلْمُهُ صاعِدٌ إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء:{ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾} [السجدة: ٥] فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإرادته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء، وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول من جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها فهي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير - ﷻ - الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته، وتيقن أنها بمرأى منه ومشاهدة

لا يغيب عنه منها شيء، وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه، وأنه بكامل قيوميته لا ينام ولا ينبغي لـه أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يضل ولا ينسى وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية وأعلى منه مشهد الألوهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن ألوهية ما سواه باطل ومحال كما أن ربوبية ما سواه كذلك فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلى لـه ويسجد ويستحق نهايه الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده ولـه الحكم؛ فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنى بغيره فقر وفاقة وكل عز بغيره ذل وصغار وكل تكثر بغيره قلة وذلة؛ فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات ويستحيل أن يكون معه إله آخر؛ فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره - إلى أن قال - فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء وهو مشهد جامع للأسماء والصفات، وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله - ﷻ - فإن هذا الاسم هو الجامع ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله؛ ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ} [الأعراف: ١٨٠] فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها وكل مشهد سواه، فإنما هو مشهد لصفة من

صفاته فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم لـه غناه بالإله الحق وصار من أغنى العباد ولسان مثل هذا يقول:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم ::: وإن الغنى العالي عن الشيء لابه

انتهى.

وقولـه تعالى:{وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ} [الأعراف: ١٨٠] قال ابن عباس وابن جريج ومجاهد: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وقيل: هي تسميتهم الأصنام آلهة، وروي عن ابن عباس رضى الله عنه يلحدون في أسمائه أى يكذبون، وقال قتادة: يلحدون يشركون في أسمائه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدُولُ عن القصد والميل والجور والانحراف، منه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفر. ا هـ.

وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين وهو ما ذكره ابن عباس وابن جريج ومجاهد من عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاة لله عز وجل ومشاقة لـه وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات الله عز وجل ويشبهونها بصفات خلقه مضادة لـه تعالى وردًّا لقولـه عز وجل :{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ} [الشورى: ١١]،{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا} [طه: ١١٠] وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة، وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحاد النفاة وهم قسمان: قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا: رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، واطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تسترًا وهو لا ينفعهم، وقسم لم يتستروا بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلف أولئك وصفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم لـه ولا صفة، وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى، مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله.

وكل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يُكَفِّرُ مقابله، وهم كما قالوا: كلهم كفار بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

(**صفاته العلى**) أي وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه تعالى ووصفه بها نبيه ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال من صفات الذات وصفات الأفعال، مما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعزة والعلو وغيرها، ومما أخبر به عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺ ولم يشتق منه اسمًا كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين ورضائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام دينًا، وكراهته انبعاث المنافقين وسخطه على الكافرين وغضبه عليهم وإثبات وجهه ذى الجلال والإكرام ويديه المبسوطتين بالإنفاق وغير ذلك مما هو ثابت في الكتاب والسنة والفطر السليمة وسيأتي الكلام على ما ذكر من ذلك في المتن في محله، وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة الكتاب إن شاء الله تبارك وتعالى.

٢٧ – وأنَّه الربُّ الجَليلُ الأكبرُ ::: الخالقُ البارئُ والمصورُ
٢٨ – بارى البَرَايا منشئُ الخلائقِ ::: مُبْدِعُهُمْ بلا مِثَالٍ سَابِقِ

(**وأنه الرب**)[١] أى: وإثبات ربوبيته بأنه رب كل شيء ومليكه رب الأولين والآخرين رب المشرقين ورب المغربين رب السماوات والأرضين وما بينهما رب العالمين رب الآخرة والأولى مالك الملك فلا شريك لـه في ملكه، يأتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء ويقطع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها، وسخر الشمس والقمر؛ كلٌّ يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، خلق فَسَوَّى وقدَّر فهدى، وأضحك وأبكى وأمات وأحيا وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وأغنى وأقنى وأوجد وأفنى، يبدي ويعيد ويفعل ما يريد، رفع سمك السماء فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، وبسط الأرض ودحاها، فراشًا لعباده ومهادًا، ونصب الجبال عليها أوتادًا، سخر الفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا،

(١) الرب: تأتي بمعنى السيد، والصاحب، والمالك، وتطلق على الله سبحانه وتعالى، وعلى غيره من المخلوقين، لكنها لا تطلق على غير الله إلا مقيدة، فنقول: رب الدار، رب الدابة، ولا تطلق كلمة الرب من غير إضافة إلا على الله ﷻ.

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون، خالق الكون وما فيه، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا وأسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، علم وألهم، ودبر فأحكم وقضى فأبرم، لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا شريك لـه في ملكه ولا إله غيره ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

(**الجليل**)(٢) أى المتصف بجميع نعوت الجلال وصفات الكمال، المنزه عن النقائص والمحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، لـه الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، ولـه الحمد في الآخرة والأولى.

(**الأكبر**) الذي السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما في كَفِّهِ كخردلة في كف آحاد عباده(٣)، لـه العظمة والكبرياء وهو أكبر كل شيء شهادة، لا منازع لـه في عظمته وكبريائه، ولا ينبغي العظمة والكبرياء إلا لـه ومن نازعه في صفة منهما أذاقه عذابه وأحل عليه غضبه؛ ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى.

---

(١) نرى المصنف رحمه الله يفسر الأسماء ولوازمها بمضامين آيات في كتاب الله عز وجل ، وهذا المنهج الحق في التعامل مع أسماء الله وصفاته بعيدا عن جدليات المتكلمين وإلحاد الفلاسفة و آرائهم.

(٢) الجليل: ليس من أسماء الله عز وجل حسب شروط الإحصاء المعهودة عند العلماء، والتي من أهمها أن يكون الاسم ورد بلفظه في القرآن أو السنة الصحيحة وهذا الشرط لا ينطبق على اسم (الجليل) ولكن هذا داخل في باب الصفات فمعلوم أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وما قيل عن الجليل يُقال عن (الأكبر).

(٣) ما قيل عن (الجليل) سابقا يقال عن (المبدئ، الباقي) إذ أنها لم تتوفر فيها شروط الإحصاء الصحيح لأسماء الله الحسنى، فهي صفات، وليست أعلام على ذات الله عز وجل .

(الخالق) أى المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى:{يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ} [الزمر: ٦]، وقال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا } [الحج: ٥] الآية، قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾} [المؤمنون: ١٢ - ١٤]، وقال تعالى:{أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾} [مريم: ٦٧]، وقال تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ} [الأنعام: ١]، وقال تعالى:{ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ} [الزمر: ٦٢] وقال تعالى:{ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [الصافات: ٩٦] فالله تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق لـه مربوب لـه لا خالق غيره فجميع السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات لـه محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها وإليه منتهاها:{أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ} [الشورى: ٥٣].

(البارىء) أى المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود، والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل كما قيل:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ::: ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد فالخلق التقدير، والفري التنفيذ.

(**المصور**) الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أى الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، يقال: هذه صورة الأمر أو مثاله فأولاً يكون خلقًا ثم برءًا ثم تصويرًا، وهذه الثلاثة الأسماء التى في سورة الحشر في خاتمتها:{ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٤]، قال ابن كثير - رحمه الله تعالى: أى الذي إذا أراد شيئًا قال لـه: كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقولـه تعالى:{فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾} [الانفطار: ٨].

(**باري البرايا**) جميع الموجودات (**منشىء الخلائق**) أى جميع المخلوقات (**مبدعهم**) أى خالقهم ومنشئهم ومحدثهم يفسر ذلك (**بلا مثال سابق**) أى بلا نظير سالف، ومنه سميت البدعة بدعة لأنها على غير مثال سابق في الشرع، وقال الله تعالى:{بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [البقرة: ١١٧] أى محدثها وموجدها على غير مثال سبق، وهذا مفسر للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلام عليه ولله الحمد والمنة.

٢٩ - الأَوَّلُ المبدي بلا ابتداء ::: والآخرُ الباقي بلا انتهاء

(**الأول**) فليس قبله شيء (**المبدى**[1]) الذي يبدىء الخلق ثم يعيده (**بلا ابتداء**) لأوليته تعالى (**والآخر**) فليس بعده شيء (**الباقي**) وكل ما سواه فَانٍ (**بلا انتهاء**) لآخريته تعالى قال الله عز وجل :{هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾} [الحديد: ٣]، وقال تعالى:{قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾} [يونس: ٣٤]، وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾} [العنكبوت: ١٩ - ٢٠]، وقال تعالى:{وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾} [القصص: ٨٨]

(١) لا يهمه ولا يتعبه.

وقال تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾} [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى:{يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾} [غافر: ١٦] وقال رسول الله ﷺ :{**اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر**}(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ.

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال:{**اقبلوا البشرى يا بني تميم**} قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال:{**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**} قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال:{**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض**}(٢) الحديث.

وقال عمر رضى الله عنه : قام فينا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه(٣).

رواه البخاري وفي حديث ابن عمر رضى الله عنه :{**أنه تعالى يطوي السماوات بيده ثم يقول: أنا الملك أنا الملك أنا الجبار المتكبر أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون**}(٤).

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧١٣] الترمذي [٣٤٨١] ابن ماجة[٣٨٧٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٠١٩].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٠٢٠].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٩٧٧] مسلم [٢٧٨٨] بلفظ قريب.

وفي حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك لـه، حينئذ يقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قائلا:{**لله الواحد القهار**}[١] أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه.

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه قال:{**ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء والأموات، قال: وينزل الله** عز وجل **إلى السماء الدنيا ويقول: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار**}[٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في أثناء كلامه على هذه الأسماء الأربعة وهي الأول والآخر والظاهر والباطن: هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه، واعلم أن لك أنت أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثر، فأولية الله عز وجل سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخريه كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهي إلى أوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من

(١) ستأتي في أحاديث الصور في الجزء الثاني إن شاء الله.

(٢) (سنده حسن) ابن أبي حاتم، عند تفسير سورة غافر، عند تفسير: قَوْلُهُ تَعَالَى:{لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ} [غافر: ١٦].

باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده؛ فالأول قدمه والآخر دوامه وبقاؤه والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماءً ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا، بل الباطن لـه ظاهر والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب والسر عنده علانية.

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ثم ساق الكلام على التعبد بهذه الأسماء فشفي وكفي رحمه الله تعالى، ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسير رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا بأوجز عبارة وأخصرها فسبحان من خصه بجوامع الكلم ﷺ :

٣٠ – الأحدُ الفردُ القديرُ الأزليّ ::: الصمدُ البرُّ المهيمن العليّ
٣١ – عُلُوُّ قهرٍ وعلو الشانِ ::: جل عن الأضاد والأعوانِ
٣٢ – كذا له العلوُّ والفوقيهْ ::: على عباده بلا كيفيةْ

(**الأحد الفرد**) الذي لا ضد لـه ولا ند لـه ولا شريك لـه في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه لـه ولا نظير لـه في شيء من أسمائه وصفاته، فهو أحد في إلهيته، لا معبود بحق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه، وهو أحد في ربوبيته فلا شريك لـه في ملكه ولا مضاد ولا منازع ولا مغالب، أحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيه لـه ولا مثيل:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]،{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾} [طه: ١١٠]، فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات - من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق

والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر والنفع - فلو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهم على إماتة من هو محييه أو إعزاز من هو مذله أو هداية من هو مضله أو إسعاد من هو مشقيه، أو خفض من هو رافعه أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه أو ضر من هو نافعه أو عكس ذلك لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنَّي لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماض فيهم حكمه عدلٌ فيهم قضاؤه نافذة فيهم مشيئته لا امتناع لهم عما قضاه ولا خروج لهم من قبضته، ولا تحرك ذرة في السماوات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فسحقًا لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيته من هو مخلوق مربوب مثلهم لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، واتخذوهم من دونه أربابًا وأندادًا سووهم به وعدلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم من دونه، وهم يرون ويعلمون أنهم محدثون بعد أن لم يكونوا، مسبوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم فقراء إلى من يقوم بهم، ألحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته على اختلافهم في صناعة الإلحاد فبين مشبه لـه تعالى بالعدم وهم نفاة أسماء وصفاته بل هم نفاة وجود ذاته، وبين مشبه لـه بالمخلوقات ممثل صفاته تعالى بصفات الحادثات المحدثات حاكمين عليه بعقولهم واصفين لـه بما لم يصف به نفسه، وآخرون جحدوا إرادته ومشيئته النافذة وقدرته الشاملة وأفعاله وحكمته وحمده وجعلوا أنفسهم هم الفاعلين لما شاءوا الخالقين لما أرادوا من دون مشيئة لله ولا إرادة، وجحدوا أن يكون الله خلقهم وما يعملون، وآخرون جعلوا قضاءه وقدره حجة لهم على ترك أوامره ونواهيه، وأنهم لا قدرة لهم ولا اختيار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعله وترك ما لا يطاق تركه، وجعلوا معاصيه طاعات إذ وافقت مشيئته

الكونية وقدره الكونى فخاصموه بمشيئته وأقداره وعطلوا أوامره ونواهيه ونسبوه إلى الظلم - تعالى ربما عن ذلك - وأن تعذيبه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة ولم يصم ولم يحج ولم يعمل الطاعات ولم يترك المعاصي كتعذيب الذكر لم يصر أنثى والأنثي لم تصر ذكرًا، وأن أمرهم بالصلاة وغيرها كأمر الآدمي بالطيران والأعمي بنقط المصاحف، أولئك خصماء الله يوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواّ كبيرًا ورضي الله عن المؤمنين إذ عرفوه حق معرفته وقدروه حق قدره ووحدوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأثبتوا لـه ما أثبته لنفسه، ونفوا عنه التمثيل، وآمنوا بقضائه وقدره وتلقوه بالرضا والتسليم، وأن ذلك موجب ربوبيته ومقتضي إلهيته واللائق بحكمته وحمده، وتلقوا أمره بالسمع والطاعة والامتثال والانقياد، ووقفوا عند نواهيه وحدوده فلم يعتدوها، ونزلوا كلا من القدر والشرع منزلته ولم ينصبوا الخصام بينهما، فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتج به، والأمر والنهي يطاع ويمتثل، فالإيمان بالقدر من كمال التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بالأمر والنهي موجب شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بالشهادتين ولو نطق بهما بلسانه، وهذا البحث سيأتي تفصيله عن قريب إن شاء الله في موضعه، وإنما ساقنا إليه ها هنا الكلام علي كمال أحدية الله عز وجل في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه، وأنه لا معارض لمشيئته ولا معقب لحكمه، وأن المخلوق لا تصرف لـه في نفسه فضلاً عن غيره ولا قدرة لـه على ما لم يقدره الله تعالى عليه، فكيف يسوي به ويعدل به ويشرك معه في إلهيته أو ينسب إليه التصرف في شيء من ملكوته، وكم يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهًا غيره بأحديته في الربوبية والأسماء والصفات وإقرار المشرك بها، وأن آلهته التي أشرك لا تتصف بشيء منها ويلزمه

إفراده بالألوهية الملازمة للمربوبية كما قال تعالى:{رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥} [مريم: ٦٥] وقال تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠} [الروم: ٤٠] وقال تعالى:{قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥} [يونس: ٣٤ - ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات.

(**القدير**) الذي لـه مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة الذى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول لـه: كن فيكون، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما، أى لا يكرثه[1] ولا يثقله، الفعال لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أى وقت شاء، قال الله تعالى:{إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣} [النساء: ١٣٣]، وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة:{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ } [الحج: ٦٢] الآية، وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى:{ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦} [الحج: ٦] وقال تعالى:{ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ } [غافر: ٨٢]،{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا } [فاطر: ٤٤]، وقال تعالى:{ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ } [لقمان: ٢٨] وقال تعالى:{إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢} [يس: ٨٢]،

(١) لا يهمه ولا يتعبه.

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)} [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)} [ق: ١٥]، وقال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨)} [ق: ٣٨]، وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)} [يس: ٨١ - ٨٢]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [الملك: ١]، وقال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)} [المعارج: ٤٠ - ٤١]، وقال تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨)} [المؤمنون: ١٨]، وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)} [فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)} [العنكبوت: ٢٠ - ٢٢].

والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها، بل كل آيات الله الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة كما أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم، وكفى العبد دليلاً أن ينظر في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين وخلقه في أحسن تقويم، وشق لـه السمع فسمع والبصر فأبصر واللسان فنطق والفؤاد فعقل إلى غير ذلك، فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت،

ونظر بعين بصيرته إلى مبدعات الحي الذي لا يموت، ورأى الآيات الباهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت:{ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾} [الأعراف: ١٨٥].

وفي حديث الاستخارة المتفق عليه:{**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم...**}(١) الحديث.

(**الأزلي**) بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته وليس شيء من أسمائه وصفاته متجددًا حادثًا لم يكن قبل ذلك، كذلك لـه كمال الربوبية ولا مربوب، واسم الخالق ولا مخلوق، وهو العليم قبل إيجاده المعلومات والسميع قبل إيجاده المسموعات، والبصير قبل إيجاده المبصرات، وكذلك سائر أسمائه وصفاته أزلية بأزلية ذاته، باقية ببقاء ذاته لم يزل متصفًا بها في أوليته وكذلك لم يزل متصفًا بها في سرمديته، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارى، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين والرازق قبل وجود المرزوقين، وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت والحياة.

وكذلك وصف نفسه - تبارك وتعالى - فقال:{وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا }،{وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }،{وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٥٨]،{وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا }،{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا }،{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا } إلى غير ذلك، قال ابن عباس: أى لم يزل كذلك اهـ.

ولا يجوز أن يعتقد أن الله تعالى وصف بصفة لم يكن متصفًا بها لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال وفقدانها صفة نقص، ولا يجوز كونه قد حصل لـه

(١) (صحيح البخاري [١١٠٩].

الكمال بعد أن كان متصفًا بضده، وتقدم في الأزلية حديث عمران بن حصين رضى الله عنه في بدء الخلق:{**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء**}(١).

(**الصمد**) قال عكرمة عن ابن عباس: يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا لـه، ليس لـه كفؤ وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار.

وعن أبي وائل: " الصمد " الذي قد انتهى سؤدده. ورواه عن ابن مسعود رضى الله عنه.

وعن زيد بن أسلم: الصمد السيد.

وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضًا: الصمد الحي القيوم الذي لا زوال لـه.

وقال عكرمة: الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولم يطعم.

وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضًا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي: الصمد الذي لا جوف لـه.

---

(١) (صحيح) تقدم تخريجه.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب.

وقال عبد الله بن بريدة أيضًا: الصمد نور يتلألأ.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده.

وقال الطبراني في كتاب السنة لـه بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل ، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف لـه ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك.

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : أنسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾} [الإخلاص: ١ - ٢] (١) والصمد الذي:{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾} [الإخلاص: ٣] لأنه ليس شيء يولد إلا وسيموت وليس شيء سيموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث:{ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾} [الإخلاص: ٤] قال: لم يكن لـه شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء، حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم فقالوا: أنسب لنا ربك، قال فأتاه جبريل رضى الله عنه بهذه السورة:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} فذكر نحوه ولم يذكر فيه أُبي ابن كعب، وهذا أصح من حديث أبي سعد. اهـ.

(١) (سنده حسن) الترمذي [٣٣٦٤/ ٣٣٦٥] أحمد [٢١٢٥٧] المستدرك [٣٩٨٧] من حديث أبي بن كعب، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله عند أبي يعلى في مسنده [٢٠٤٤] وبه مجالد: وهو ضعيف.

قلت: وهذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ :{**إنها تعدل ثلث القرآن**}[1] مشتملة على توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات، جامعة بين الإثبات لصفات الكمال وبين التنزيه لـه تعالى عن الأشباه والأمثال متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر من الدهرية والوثنية والملاحدة من المشبهة والمعطلة وأهل الحلول والاتحاد ومن نسب لـه الصاحبة والولد وغيرهم، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا والله أعلم.

(**البر**) وصفًا وفعلاً، قال ابن عباس: اللطيف، وقال الضحاك: الصادق فيما وعد.

(**المهيمن**) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل: هو الشهيد على عباده بأعمالهم، يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء كما قال تعالى:{وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [البروج: ٩] وقولـه:{ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ} [يونس: ٤٦] وقال:{ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد: ٣٣] وقال الحسن: الأمين، وقال الخليل هو الرقيب الحافظ، وقال ابن زيد: المصدق، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي، وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب، والله أعلم بتأويله. اهـ.

(**العلي**) فكل معاني العلو ثابتة لـه (**علو قهر**) فلا مغالب لـه ولا منازع، بل كل شيءٍ تحت سلطان قهره:{ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾} [ص: ٦٥]،{ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾} [الزمر: ٤] وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قولـه تعالى:{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام: ١٨]، أى وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء، وذل لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٦٧] مسلم [٨١١] واللفظ للبخاري.

(وعلو الشأن) فتعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجير وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفؤ والنظير، وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثًا وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهى ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدلـه على أن يظلم أحدًا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئًا من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعَم أو يُرزَق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل قال الله تعالى:{وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ٦٢]، وقال تعالى:{ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ } [محمد: ١٩]، وقال تعالى:{ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ} [الأحقاف: ٤] وقال:{ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾} [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى:{ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾} [سبأ: ٢٢]، وقال تعالى:{وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ} [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [الإخلاص: ١ - ٤]، وقال تعالى:{وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾} [الجن: ٣]، وقال تعالى:{رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾} [مريم: ٦٥]، وقال تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ } [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى:{مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ } [يونس: ٣]، وقال تعالى:{مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ } [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى:{وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ } [المؤمنون: ٨٨]،

وقال تعالى:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ } [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ } [ق: ٣٨]، وقال تعالى:{ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ } [ق: ١٥]، وقال تعالى:{ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ } [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى:{ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٠] وقال تعالى:{ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ } [المؤمنون: ١٧]، وقال تعالى:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } [مريم: ٦٤] وقال تعالى عن موسى لما قال له فرعون:{ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ } [طه: ٥١ - ٥٢]، وقال تعالى:{ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ } [سبأ: ٣]، وقال تعالى:{ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ } [ص: ٢٧]، وقال تعالى:{ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ } [الدخان: ٣٨ - ٣٩]، وقال تعالى:{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ } [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى:{ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ } [القيامة: ٣٦]، وقال تعالى:{ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا } [النساء: ٤٠]، وقال تعالى:{ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦]، وقال تعالى:{ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ } [طه: ١١٢]، وقال تعالى:{ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ } [الأنعام: ١٤]، وقال تعالى:{ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ } [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، وقال تعالى:{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ } [فاطر: ١٥]، وقال تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ } [طه: ١١٠]،

وقال تعالى:{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا وهذان المعنيان من العلو[١] لم يخالف فيهما أحد ممن يدعي الإسلام وينتسب إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه، وأحسن الظن بنفسه وعقله ومتبوعه، وأساءه بالكتاب والسنة، وكثير منهم اغتر بقول كان مقصود قائله الزيغ والفساد والكفران، فحسب - لإحسان الظن به - أن مقصوده التحقيق والإيمان والعرفان، واتبعوا السبل المضلة فتفرقت بهم عن صراط الرحمن، فمنهم من نزهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائنًا من خلقه، ووقع في أعظم من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان، ولم ينزهه حتى عن الأماكن الخسيسة، ومنهم من نزهه عن العلو والفوقية وجعله هو الوجود بأسره، ومنهم من نزهه عن وجود ذاته ووصفه بالعدم المحض، ومنهم من نزهه عن أفعاله ومشيئته فرارًا من وصفه بالظلم، ووقع في تعطيله عن قدرته ونسبته إلى العجز، وغلا بعضهم في ذلك حتى أنكر علمه السابق ووصفه بضده، ومنهم من غلا في مسألة القدر وإثباته وخاصم به الأمر والنهي فرارًا مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم ذلك، تعطيل الشريعة ونسبته تعالى إلى الظلم، وإلى تكليف عباده ما لا يطاق، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا ففروا من الهدى إلى الضلالة ومن الرشد إلى الغي ومن الإسلام إلى الكفر ومن السنة إلى البدعة ومن النور إلى الظلمات وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه فجعلوا إمامهم وقدوتهم الكتاب والسنة وساروا معهما حيث سارا ووقفوا حيث وقفا، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلا، وآمنوا بالقدر خيره وشره

(١) يقصد رحمه الله: علو القهر، وعلو الشأن، أما علو الذات فهو الذي وقع فيه من وقع من أهل الزيغ والضلال، كما أوضح المصنف اختلاف ضلالهم في ذلك.

وتلقوه بالرضا والتسليم، وانقادوا للشريعة فقابلوا أوامرها ونواهيها بالامتثال والتعظيم، فما أثبت الله لنفسه أثبتوه، وما نفاه عن نفسه نفوه، فإذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها قالوا:{ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧]، وإن أحسنوا قالوا:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [الأعراف: ٤٣]، وإن أساءوا قالوا:{رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣]، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦].

(**كذا**) ثابت لـه (**العلو والفوقية**) بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة (**على عباده**) فوقهم مستويًا على عرشه عاليًا على خلقه بائنًا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والفطر السليمة، والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره، ولنشر على بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها، وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معاني العلو لـه تبارك وتعالى كاسمه الأعلى واسمه العلي واسمه المتعالي واسمه الظاهر واسمه القاهر وغيرها، قال تعالى:{سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾} [الأعلى: ١] ولما نزلت قال النبي ﷺ :{**اجعلوها في سجودكم**}(١)، وقال تعالى:{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: ٣٤] وقال تعالى:{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾} [الحج: ٦٢]،

(١) (سنده فيه كلام) أبو داود [٨٦٩] ابن ماجة [٨٨٧] أحمد [١٧٤٥٠] الطيالسي [١٠٠٠] المستدرك [٨١٨] ابن خزيمة [٦٧٠] ومدار الحديث على موسى بن أيوب عن عمه إياس بن عامر عن عقبة بن عامر، وموسى وعمه، مختلف فيهما.

وقال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣]، وقال تعالى:{إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]، وقال تعالى:{عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾} [الرعد: ٩]، وقال تعالى:{هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]، وقال النبي ﷺ في دعائه:**{وأنت الظاهر فليس فوقك شيء}**(١) وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام: ١٨]، وهذه الأسماء تدل على ثبوت جميع معاني العلو لـه تبارك وتعالى ذاتًا وقهرًا وشأنًا.

ومن ذلك التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى في سورة الأعراف:{إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى في سورة يونس:{إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ} [يونس: ٣]، وقال تعالى في سورة الرعد:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [الرعد: ٢]، وقال تعالى في سورة طه:{ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥]، وقال تعالى في سورة الفرقان:{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ} [الفرقان: ٥٩]، وقال تعالى في سورة ألم تنزيل السجدة:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ} [السجدة: ٤ - ٥] الآية، وقال تعالى في سورة الحديد:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾} [الحديد: ٤].

(١) (صحيح) مسلم [٢٧١٣] الترمذي [٣٤٨١] ابن ماجة[٣٨٧٣].

وفي حديث أنس في فضل الجمعة وتسميته في الآخرة يوم المزيد... الحديث بطوله، وفي آخره قال:{**وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش**}(١) وقد رواه الشافعي في مسنده وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة وابن خزيمة وغيرهم، وقد جمع أبو بكر بن أبي داود طرقه في جزء، وسيأتي إن شاء الله تعالى بطوله وألفاظه في إثبات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى.

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا جمع الله تعالى الخلائق حاسبهم فيميز بين أهل الجنة وأهل النار وهو تعالى في جنته على عرشه**}(٢) قال محمد بن عثمان الحافظ هذا حديث صحيح.

وعن قتادة بن النعمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه**}(٣) رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري.

---

(١) (له طرق تقوي بعضها) كما سيأتي عن الذهبي رحمه الله، مسند الإمام الشافعي رحمه الله [٢٨٦] فشيخ الإمام الشافعي: إبراهيم بن محمد: ضعيف، وكان الإمام الشافعي حسن الرأي فيه.
قال الحافظ الذهبي رحمه الله في العلو [٥٧] إبراهيم وموسى ضعفاء أخرجه الإمام محمد بن إدريس في مسنده وقد أخرجه الدارقطني من طريق حمزة بن واصل المنقري عن قتادة عن أنس ومن طريق عنبسة الرازي عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أنس عن ابن محمد بن شعيب بن سابور عن عمر مولى غفرة عن أنس.
وأخرجه القاضي أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة له عن رجاله عن جرير بن عبد الحميد عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن أبي حميد وهو أبو اليقظان عن أنس ورواه من طريق سلام بن سليمان عن شعبة وإسرائيل وورقاء عن ليث أيضا.
وساقه الدارقطني من رواية شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عثمان بن أبي سليمان عن أنس.
والظاهر أن عثمان أبو اليقظان وحدث به الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن سالم ابن عبد الله عن أنس بن مالك.
وهذه طرق يعضد بعضها بعضا رزقنا الله وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم.

(٢) ذكره ابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) [ص٥٥] ط العلمية.

(٣) العلو للذهبي [١١٩] وقال رحمه الله: رواته ثقات رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة له.

وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن خلق السماوات والأرض، فذكر حديثًا طويلاً، قالوا: ثم ماذا يا محمد؟ قال:{**ثم استوى على العرش**} قالوا أصبت يا محمد، لو أتممت: ثم استراح، فغضب غضبًا شديدًا، فأنزل الله تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾} [ق: ٣٨] رواه ابن منده والحاكم وصححه، وفي إسناده البقال ضعفه ابن معين[١].

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض: قال:{**كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش وفاستوى عليه**}[٢]، رواه أبو داود وابن ماجه، وقال الذهبي إسناده حسن، ورواه الترمذي وحسنه لكن لفظه:{**وخلق عرشه على الماء**} قال يزيد بن هارون: العماء أى ليس معه شيء.

وعن ابن عباس رضى الله عنه وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قولـه تعالى:{ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ} [البقرة: ٢٩] قال: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئًا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمَّاه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضًا ثم فتقها فجعلها سبع أرضين الحديث، إلى أن قال: فلما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش [٣]،

---

(١) (سنده ضعيف) الحاكم في المستدرك [٣٩٩٧] العظمة لأبي الشيخ [٨٧٨٤] الأسماء والصفات للبيهقي [٧٦٥] وعلته: سعيد بن المرزبان، أبو سعد البقال الكوفي الأعور: ضعيف مدلس، انظر التقريب [٢٣٨٩].

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣١٠٩] سنن ابن ماجة [١٨٢] أحمد [١٦٢٣٣/١٦٢٤٥] السنة لابن أبي عاصم [٦١٢] وانظر العلو للذهبي [٢٦] وعلة السند عند جميعهم: وكيع بن حدس: قال ابن القطان: مجهول الحال، انظر تهذيب التهذيب. (عماء) العماء السحاب.

(٣) (سنده ضعيف) التوحيد لابن خزيمة [٥٩٥] والبيهقي في الأسماء والصفات [٨٠٧] تفسير الطبري [ج١] وعلة السند: أسباط بن نصر كثير الخطأ، والسدي: يهم. ولم أقف على ترجمة لأبي مالك، وأبي صالح.

رواه السدي وابن جرير الطبري في تفسيره والبيهقي في الأسماء والصفات.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده فقال:{**يا أبا هريرة، إن الله تعالى خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع...**}(١) الحديث بطوله رواه النسائي في تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى، وفيه أخضر بن عجلان قال الذهبي وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم يكتب حديثه، ولينه الأزدي، وحديثه في السنن الأربعة وهذا الحديث غريب من أفراده.

ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى، قال الله عز وجل :{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام: ١٨]، وقال:{ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾} [النحل: ٥٠]، ولما حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم قال لـه النبي ﷺ :{**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة**} وفي لفظ:{**من فوق سبع سموات**}(٢) وأصله في الصحيحين وهذا سياق ابن إسحاق.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كانت زينب رضى الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات(٣).

---

(١) (سنده ضعيف) سنن النسائي الكبرى [١١٣٩٢] العلو للذهبي [٢٢٥] وقال: الأخضر بن عجلان: وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولينه الأزدي، وحديثه في السنن الأربعة، وهذا الحديث غريب من أفراده.

قلت: والأخضر مع هذا: صدوق حسن الحديث، إلا أن علة الحديث في عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، فهو مدلس، ولا يدلس إلا عن المجروحين، وهو قد عنعن.

(٢) (ضعيف مرسل) وهذا لفظ (سبعة أرقعة) العلو [٦١] وله شاهد من مراسيل علقمة بن وقاص الليثي في الأموال لابن زنجويه [٤٢١] وغريب الحديث للحربي [١١٩٦] أما لفظ(من فوق سبع سموات) فسندها حسن عند النسائي في سننه الكبرى [٥٩٣٩] وهذا من أجل: محمد بن صالح بن دينار التمار.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٩٨٤].

وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ :{**ويحك أتدري ما تقول**} وسبح رسول الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال:{**ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا**} وقال بأصبعه مثل القبة عليه:{**وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**}(١).

قال ابن بشار في حديثه:{**إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته...**}(٢) وساق الحديث، ولـه عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال:{**ما تسمون هذه**} قالوا: السحاب، قال:{**والمزن**} قالوا: والمزن، قال:{**والعنان**} قالوا: والعنان، قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيدا، قال:{**هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض**}؟ قالوا: لا ندري، قال:{**إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك - حتى عد سبع سموات - ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال(٣) بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**}

---

(١) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٧٢٦] الطبراني في الكبير [١٥٤٧] السنة لابن أبي عاصم [٥٧٥] تفسير لابن أبي حاتم [١٣٠٧٠] وعلته: جبير بن محمد بن جبير بن مطعم: مقبول كما في التقريب. كما به تدليس ابن إسحاق.

(٢) (سنده ضعيف) انظر الحديث السابق.

(٣) أوعال: واحده (الوعل) وهو تيس الجبل، أي ذكر الأروى، وهو جنس من المعز الجبلي، لـه قرنان قويان (المعجم الوجيز).

زاد أحمد:{**وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**}[1].

وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قوله** عز وجل :{سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾} [يس: ٥٨] **(قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم**}[2] وفي إسناده الرقاشي ضعيف، ومعناه ثابت في الكتاب والسنة.

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه...**}[3] وذكر الحديث، وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه:{**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**}[4] قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: هكذا قال:{**في داره**} في المواضع الثلاثة يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه.

وعن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي رضى الله عنه فقال: إن رسول الله حدثني عن ربه عز وجل فقال:{**وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي**

---

(١) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٧٢٣] الترمذي [٣٣٢٠] ابن ماجة [١٩٣] أحمد [١١١٠] علته: عبد الله ابن عميرة الكوفى: مقبول كما في التقريب.أما طريق أحمد بن حنبل فيه: يحيى بن العلاء: وهو متروك الحديث.

(٢) (سنده ضعيف جدا) سنن ابن ماجة [١٨٤] رؤية الله للدراقطني [٦١] أمالي ابن بشران [١٦٣] صفة الجنة لأبي نعيم [٨٨] علته: الفضل بن عيسى بن أبان: منكر الحديث، وأبو عاصم العباداني: لين الحديث انظر التقريب.

(٣) (سنده صحيح) التوحيد لابن خزيمة [٤٥٨] الإيمان لابن مندة [٨٧٤] السنة لابن أبي عاصم [٨١٦].

(٤) (صحيح) البخاري [٧٠٠٢] في داره: في جنته.

فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي}[١] رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش والعسال في المعرفة وضعفه الذهبي.

وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر، فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها}**[٢] رواه الدارمي، ولـه شاهد في البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه[٣].

وفي حديث عمران بن حصين في بدء الخلق:**{كان الله** عز وجل **على العرش وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون}**[٤] حديث صحيح أصله في البخاري.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:**{إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى ييسر لـه نظر الله لـه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة أصرفوه عنه فإن يسرته لـه أدخلته النار}**[٥].

---

(١) (سنده ضعيف) العرش لابن أبي شيبة [١٩] والإبانة [١٣٤] بالسند: الهيثم بن الأشعث: ضعيف انظر الضعفاء للعقيلي [١٩٥٨] وله طريق آخر عند الطبراني في الأوسط [٥٠٠١] وبه: مختار بن غسان: مقبول كما في التقريب، و عيسى بن مسلم: لين الحديث انظر التقريب، وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي: ليس بذاك القوي، الضعفاء والمتروكين [٣٨١].

(٢) (سنده ضعيف) العلو للذهبي [٦٧] الطبراني في الكبير [٦٣٨٤] معرفة ا لصحابة لأبي نعيم [١٤٣٧] نقض الإمام الدارمي على المريسي الجهمي [ص٣٣٧] علته: عبد السلام بن عجلان، به ضعف انظر لسان الميزان [ج٤ - ٣٤] وعبيدة، أبو خداش الهجيمى: مجهول التقريب [٤٤١٤].

(٣) (صحيح) البخاري [٥٤٥٢] لفظه: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة).

(٤) (صحيح) و لفظه عند البخاري [٣٠١٩] (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض).

(٥) (منقطع، ورواته ثقات) الدارمي في الرد على الجهمية [٨٠] اعتقاد أهل السنة للالكائي [١٢١٩].

رواه البغوي وسكت الذهبي عنه، وعنه رضى الله عنه قال:{**العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم**}(١) قال الذهبي رواه عبد الله بن أحمد في السنة وأبو بكر بن المنذر وأبو أحمد العسال وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ وأبو القاسم اللالكائي وأبو عمرو الطلمنكي وأبو بكر البيهقي وأبو عمر ابن عبد البر في تواليفهم، وإسناده صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة أن حسان بن ثابت رضى الله عنه أنشد النبي ﷺ :

شهدت بإذن الله أن محمدًا ::: رسول الذي فوق السماوات من علُ
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهمو ::: يقول بذات الله فيهم ويعدل
وأن أبا يحيى ويحيي كلاهما ::: له عمل من ربه متقبل(٢)

ومن ذلك التصريح بأنه تعالى في السماء، قال الله تعالى:{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾} [الملك: ١٦ - ١٧] وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروض لم تحصل من ترابها قال: فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:{**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**} قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشر الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال ﷺ :{**ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**}؟

(١) (سنده حسن) التوحيد لابن خزيمة [١٤٩] الإبانة [١٢٨] العظمة لأبي الشيخ [٥٦٥] الأسماء والصفات للبيهقي [٨٥١].
(٢) (مرسل منقطع) أبو يعلى [٢٦٥٣] مصنف ابن أبي شيبة [٢٦٠١٧] والأدب لابن أبي شيبة [٣٦٥] والانقطاع بين حبيب وحسان رضى الله عنه.

قال: فلما ولي الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال:{**لا لعله أن يكون يصلي**} فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ :{**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**} قال: ثم نظر إليه وهو مقف[1] فقال:{**إنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**} وأظنه قال:{**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**}[2].

وعن معاوية بن الحكم في حديث طويل قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال:{**ائتني بها**} فأتيته بها فقال لها:{**أين الله؟**} قالت: في السماء، قال:{**من أنا؟**} قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال:{**أعتقها فإنها مؤمنة**} أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم[3].

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ لـه فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع؛ فيبرأ**}[4] رواه أبو داود.

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**الراحمون**

(١) مقف: ذاهب ومولٍ.
(٢) (صحيح) البخاري [٤٠٩٤] مسلم[١٠٦٤].
(٣) (صحيح) مسلم [٥٣٧].
(٤) (سنده ضعيف جدا) أبو داود [٣٨٩٣] والنسائي الكبرى [١٠٨٧٦]، وبه: زيادة بن محمد: منكر الحديث، وانظر الدعوات الكبير للبيهقي [٤٨٩] من تحقيقي، فقد ذكرت شواهده وعلله هناك.

يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله}(١) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

ولـه عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي:{**يا حصين كم اليوم إلـهًا}** قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال ﷺ : {**فأيهم تعد لرغبيك ورهبتك}** قال: الذى في السماء، قال:{**يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك}** قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني فقال ﷺ :{**قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي}**(٢) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها}**(٣) رواه مسلم في صحيحه.

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزبل، فسمعت فأبلغته رسول الله ﷺ فخرج فصعد على منبره وقال:{**ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله خلق سموات سبعًا فاختار العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم فاختار العرب فاختار مضر فاختار قريشًا فاختار بني هاشم**

---

(١) (سنده ضعيف) سنن أبي داود [٤٩٤١] الترمذي [١٩٢٤] علة الحديث: أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو: مقبول وللحديث شواهد في الصحيح.

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٤٨٣] شبيب بن شيبة بن عبد الله: ضعيف. والحسن البصري: مدلس وقد عنعن.

(٣) (صحيح) مسلم [١٤٣٦].

فاختارني، فلم أزل خيارًا من خيار، فمن أحب قريشًا فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم}(١) قال الذهبي هو حديث منكر رواه جماعة في كتب السنة وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله** عز وجل }(٢) وذكر باقى الحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ لـه وفي الباب أحاديث تأتي إن شاء الله تعالى في ذكر الموت وفتنة القبر.

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لما أسري بي مررت برائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، كانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت: باسم الله تعالى، فقالت ابنته: أبي؟ قالت لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، فقالت: أخبر بذلك أبي؟ قالت نعم: فأخبرته فدعا بها فقال: من ربك، هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها}**(٣)

---

(١) (سنده ضعيف) المستدرك [٦٩٥٣] المعجم الكبير للطبراني [١٣٦٥٠] علته: حماد بن واقد الصفار، ومحمد بن ذكوان، فكلاهما ضعيف. قال أبو حاتم في العلل: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وكذا قال الذهبي في العلو [٣٩] هو حديث منكر.

(٢) (سنده صحيح) ابن ماجة [٤٢٦٢] أحمد [٨٧٥٤] النسائي في الكبرى [١١٤٤٢].

(٣) (سنده ضعيف) أحمد [٢٨٢٢] ابن حبان [٢٩٠٤] المستدرك [٣٨٣٥] الطبراني في الكبير [١٢٢٧٩] مسند أبي يعلى [٢٥١٧] دلائل النبوة للبيهقي [٦٧٦] الدارمي في الرد على الجهمية [٢٧] والحديث وإن كان رواته ثقات، إلا أن عطاء بن السائب اختلط بآخره، وكان حماد بن سلمة ممن روى عنه قبل الاختلاط وبعد الاختلاط، فلم يتميز حديثه فترك.

- وللحديث شاهد عند ابن ماجة [٤٠٣٠] من حديث: الوليد بن مسلم. حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنه عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ. والوليد بن مسلم معروف بتدليس التسوية، انظر طبقات المدلسين [١٢٧] ومدلس التسوية، لكي تقبل روايته يطلب منه التحديث في جميع طبقات السند، وهذا لم يفعله

وساق الحديث بطولـه، رواه الدارمي وأبو يعلى الموصلي وقال الذهبي: هذا حديث حسن الإسناد.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لما ألقى إبراهيم** رضى الله عنه **في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء وأنا واحد في الأرض أعبدك**}(١) رواه الدارمي في النقض وقال الذهبي حسن الإسناد.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبرائيل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع لـه القبول في الأرض**}(٢) رواه البخاري.

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة، أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله** عز وجل ، **فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل** رضى الله عنه **فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثلما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله** عز وجل }(٣)

الوليد هنا، وإن كان صرح بالتحديث عن شيخه. ويضاف على هذا سعيد بن بشير ضعيف. وضعفه العلماء في روايته عن قتادة أكثر.

قال محمد بن عبد الله بن نمير: منكر الحديث، ليس بشيء، ليس بقوى الحديث، يروى عن قتادة المنكرات، انظر تهذيب الكمال [٢٢٤٣] قال الساجى: حدث عن قتادة بمناكير، و قال ابن حبان: كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ، يروى عن قتادة ما لا يتابع عليه. انظر تهذيب التهذيب.

(١) (سنده ضعيف) الدارمي في الرد على الجهمية [٧٥] أبو نعيم في الحلية [ج١ - ص١٩] به: محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي: ليس بالقوي، انظر التقريب [٦٤٠٢].

(٢) (صحيح) البخاري [٥٦٩٣] مسلم [٢٦٣٧].

(٣) (سنده ضعيف) التفسير للطبري [ج١٠ - ص٣٧٢] التوحيد لابن خزيمة [٢٠٦] معجم ابن

رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ لـه.

ومن ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده، قال الله تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾} [الأعراف: ٢٠٦]، وقال تبارك وتعالى:{وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾} [الأنبياء: ١٩]، وقال تبارك وتعالى:{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾}

[فصلت: ٣٨]، وقال تبارك وتعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩]، وقال تبارك وتعالى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ} [التحريم: ١١] الآية.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي}**[١].

الأعرابي [٨٦٣] تعظيم قدر الصلاة [٢١٦] العظمة لأبي الشيخ [١٦٢] الشريعة للآجري [٦٦٦] الأسماء والصفات للبيهقي [٤٢٣] مسند الشاميين [٥٧٧] عند جميعهم الوليد بن مسلم مدلس تدليس التسوية، ولم يصرح بالتحديث، والراوي عنه نعيم بن حماد، وهو ضعيف، ورواه أيضا عنه: عمرو بن مالك الراسبي، وهو أيضا ضعيف.

وهو عند البخاري [٤٨٠٠] ولفظه: عن أَبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ في السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِى قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِى سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ ».

(١) (صحيح) البخاري [٣٠٢٢] مسلم [٢٧٥١].

ولمسلم عنه في حديث طويل:{**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله في من عنده**}(١).

وفيهما عنه رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**}(٢).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، وذكر الحديث إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال:{**ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها**} فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال:{**يتمُّون الصفوف الأول ويتراصُّون في الصف**}(٣).

ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**احتج آدم وموسى عند ربهما** عز وجل **فحج**(٤) **آدم موسى...**}(٥) وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بتمامه.

ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع: منها رفعه عيسى رضى الله عنه، قال الله تعالى:{وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾} [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، وقال تبارك وتعالى:{يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟} [آل عمران: ٥٥]، وسيأتي إن شاء الله

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٩٩] من حديث أبي هريرة.
(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٧٠] مسلم [٢٦٧٥].
(٣) (صحيح) مسلم [٤٣٠].
(٤) يعني: غلبه في الحجة وأقام عليه الدليل.
(٥) (صحيح) البخاري [٣٢٤٠] مسلم [٢٦٥٢] وسيأتي في الجزء الثاني بتمامه إن شاء الله.

تعالى ذكر الأحاديث الواردة في نزولـه إلى الأرض حكمًا عدلاً في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد ﷺ في أشراط الساعة.

ومنها صعود الأعمال إليه كما قال تعالى:{إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ} [فاطر: ١٠]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**}(١) ورواه مسلم أيضًا والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**الذين يذكرون من جلال الله** عز وجل **من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن(٢) حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لا يزال لـه عند الله شيء يذكر به**}(٣) رواه أحمد وابن ماجه.

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى الله** عز وجل **كأنها شرارة**}(٤) قال الذهبي غريب وإسناده جيد.

وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه مرفوعًا:{**واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**}(٥).

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله**

---

(١) (صحيح) البخاري [١٣٤٤] مسلم [١٠١٤] والفلوُّ المُهْر الصغير.

(٢) يتعاطفن: يجتمعن.

(٣) (سنده صحيح) مسند أحمد بن حنبل [١٨٤١٢] سنن ابن ماجه [٣٨٠٩] المستدرك [١٨٤١].

(٤) (سـنده رواته ثقات) مسـتدرك الحاكم [٨١] ولفظه عند الحاكم (واتقوا دعوات المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار). (كأنها شرار) كناية عن سرعة الوصول لأنه مضطر في دعائه.

(٥) (صحيح) البخاري [١٤٢٥] مسلم [٢٩/ ١٩] وسيأتي بتمامه في الجز الثاني إن شاء الله.

لا ينام ولا ينبغي لـه أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه}[1] وفي ذلك أحاديث لا تحصى في الصحيحين وغيرهما.

ومنها: صعود الأرواح إلى الله عز وجل أعني أرواح المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ } [الأعراف: ٤٠]، وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح - وفيه قال:{**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة، فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون لـه فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى...}**[2] وذكر الحديث،

---

(١) (صحيح) مسلم [١٧٩].

(٢) (إسناده حسن) مسند أحمد [١٨٥٥٧] وسيأتي بتمامه في الجزء الثاني.

وسيأتي إن شاء الله بطولـه، وقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك وفيه أحاديث جمة سنذكر منها ما يسره الله تعالى في بابه إن شاء الله.

و**منها**: عروج الملائكة والروح إليه قال الله تبارك وتعالى:{مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: ٣ - ٤] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**}(١).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى، تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم** عز وجل **وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول تعالى: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني، قال: يقولون: لو رأوك كانوا لك أشد عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها، قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة، قال: فَمِمَّ يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها، قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد**

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٣٠] مسلم [٦٣٢].

غفرت لهم، قال: يقول: ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم}[1]

متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى عليه الصلاة والسلام فلطمه فذهب بعينه فعرج إلى ربه** عز وجل **فقال: يا رب بعثتني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه، قال: ارجع إلى عبدي فقل لـه: فليضع يده على ثور فله بكل شعرة وارت كفه سنة يعيشها، فأتاه فبلغه ما أمره فقال: ثم ماذا بعد ذلك، قال: الموت، قال: الآن، فشمه شمة قبض فيها روحه، ورد الله على ملك الموت بصره}** وفي لفظ:**{فلطم عينه ففقأها فرجع فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل لـه: إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور}** وفيه:**{قال يا رب فالآن، وقال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر}**، قال رسول الله ﷺ :**{لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر}**[2] متفق عليه.

ومن ذلك معراج نبينا محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة المشهورة في الصحيحين وغيرهما، قال البخاري رحمه الله تعالى باب المعراج: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: بينما أنا نائم في الحطيم - وربما قال في الحجر مضطجعًا - إذ أتاني آت فقد قال: وسمعته

(١) (صحيح) البخاري [٦٠٤٥] مسلم [٢٦٨٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٢٦] مسلم [٢٣٧٢].

يقول: فشق - ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعنى به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول: من قَصِّهِ إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال لـه الجارود: هو البراق يا أبا حمزة فقال أنس: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح؛ قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فَرَدَّا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعدت إلى السماء الثالثة فاستفتح؛ قيل: من هذا، قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا، قال جبريل؟ قيل: ومن معك، قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، فقال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم

قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا، قال جبريل؟ قيل: ومن معك، قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل لـه: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قال: مرحبًا به فنعم المجيء، جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام، قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لى البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرتَ؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك

لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي(١).

ومن ذلك التصريح بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب لـه، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر لـه**}(٢) وقد ثبت في ذلك أحاديث كثيرة عن نحو ثلاثين صحابيًا، وقد ثبت أيضا نزولـه تعالى ليلة النصف من شعبان(٣)، وعشية عرفة(٤)، وعند فناء الخلق:{**حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**}(٥) وكذا نزولـه تعالى لفصل القضاء بين عباده كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمته، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن. ومن ذلك تنزل الملائكة، ونزول الأمر من عنده، وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى، قال الله عز وجل :{ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ} [النحل: ٢] وقال حكاية عنهم:{ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ} [مريم: ٦٤] وقال تعالى:{ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة: ٥] الآية وقال تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} [الطلاق: ١٢]

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٧٤].
(٢) (صحيح) البخاري [١٠٩٤] مسلم [٧٥٨].
(٣) (سنده ضعيف) الترمذي [٧٣٩] به الحجاج بن أرطأة: ضعيف، وقال الترمذي سمعتُ محمد (يعني البخاري) يضعف هذا الحديث، وقال يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير.
(٤) (سنده رواته ثقات) ابن خزيمة في صحيحه [٢٨٤٠].
(٥) تقدم.

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾} [النساء: ١٣٦] وقال تعالى:{نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ} [آل عمران: ٣]،{كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ} [إبراهيم: ١]،{وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ} [الأنبياء: ٥٠]،{تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾} [السجدة: ٢]،{تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾} [الزمر: ١]،{إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾} [الزمر: ٢]،{تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾} [غافر: ٢]،{تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾} [فصلت: ٢]،{تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ} [فصلت: ٤٢]،{وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾} [الإسراء: ١٠٦]،{وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾} [الشعراء: ١٩٢]،{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤] وغير ذلك من الآيات. وفي الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه :{**بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء**}(١) وقد تقدم في حديث الذهيبة قولـه ﷺ :{**يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**}.

وفي الصحيح قال المغيرة رضى الله عنه :{**أخبرنا نبينا محمد ﷺ عن رسالة ربنا تبارك وتعالى أنه من قتل منا صار إلى الجنة**}(٢) وفيه: قالت عائشة رضى الله عنها من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول:{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة: ٦٧] (٣) وفيه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه : قال رجل يا رسول الله أى الذنب أعظم - وذكر الحديث إلى أن قال: فأنزل الله تصديقها:{وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ} [الفرقان: ٦٨] (٤)

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٤٨] مسلم [٢٤٧٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٩٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٩٣].
(٤) (صحيح) البخاري [٥٦٥٥] مسلم [٨٦].

الآيات، وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة. ومن ذلك رفع الأيدي إليه والأبصار كما في أحاديث القنوت(١) وأحاديث الاستسقاء(٢) وحديث دعائه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا الجزور وهو ساجد(٣) وحديث استغاثته ربه ببدر ومناشدته إياه حتى سقط رداؤه(٤)، وكذا في أُحُد والخندق وَحُنَيْن واستغفاره لرفيق أبي موسى يومئذ وغير ذلك، فكتب السنة مملوءة بهذا النوع. وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة، وذلك معلوم بالفطر، فكل من حَزَبه أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل ، وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود(٥) وهو في الصحيح بدون رفع البصر(٦).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما طرف صاحب الصور مُذ وكل به مستعدا ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان**}(٧) أخرجه الحاكم وصححه.

---

(١) (سنده ضعيف) الطبراني في الكبير [٣٦٠٦] البيهقي في السنن الكبرى [ج٢ - ٢٩٦٤] علته: علي بن صقر بن نصر بن موسى السكري، قال الدارقطني: ليس بالقوي، انظر تاريخ بغداد [٦٣٤١] وأحاديث قنوت النبي ﷺ في الصحيحين دون رفع اليدين. وصحَّ عند أحمد [١٢٤٢٥] من حديث أنس أن النبي ﷺ في قصة مقتل القراء (صلى الغداة ورفع يديه ودعا على من قتلهم).

وانظر أحكام رفع اليدين في القنوت وغيره، وحكم رفع البصر في الدعاء، كتابنا (السراج الوضاء في أحكام الدعاء).

(٢) (صحيح) البخاري [٨٩٠] مسلم [٨٩٧].

(٣) (صحيح) البخاري [٤٩٨] مسلم [١٧٩٤].

(٤) (صحيح) مسلم [١٧٦٣].

(٥) (سنده ضعيف) سنن أبي داود [١٧٠] وعلته كما في التقريب: زهرة بن معبد: عن ابن عم له عن عقبة بن عامر، لم يسمَ.

(٦) (صحيح) مسلم [٢٣٤].

(٧) (سنده صحيح لغيره) الحاكم في المستدرك [٨٦٧٦] وله شاهد بسند صحيح عند ابن حبان [٨٢٣] من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا (كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ؟).

وأخرج البغوي عن ثابت البناني قال: كان داود رضى الله عنه يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول:{**إليك رفعت رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء**}(١) قال الذهبي إسناده صالح.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**يحشر الناس حفاة عراة مشاة قيامًا أربعمائة سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، قد ألجمهم العرق من شدة الكرب، وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**}(٢) أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي..**}(٣) الحديث بطوله، قاله الذهبي إسناده حسن، وفيه أحاديث غير ما ذكرنا.

ومن ذلك إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بإصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه:{**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى**

---

(١) (سنده حسن إلى ثابت) الزهد لأحمد بن حنبل [٤٦١] مسند ابن الجعد [١٣٨٨] الحلية لأبي نعيم [ج٢ - ص٣٢٧] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي [٥١٢].

(٢) الذهبي في العلو [١٨٠] وقال: أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة.

(٣) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [١٠٩٣] صفة الجنة لابن أبي الدنيا [٢٩] الطبراني في الكبير [٩٧٦٣] تعظيم قدر الصلاة [٢٤٣] الرؤية للدراقطني [١١٧] وأشار الدارقطني لاحتمالية انقطاعه في الرؤية فقال: وروى هذا الحديث الأعمش عن المنهال ولم يذكر فيه مسروقا.

وهذا لأن الحديث من رواية أبي عبيد بن عبد الله بن مسعود عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. وبإسقاط مسروق يكون الحديث منقطعا، لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله، وإلى هذا أشار أيضا الذهبي في العلو [١٢٧] فقال: فيه انقطاع محتمل.

السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد}[١]ثلاث مرات وذكر الحديث.

وللبخاري من حديث ابن عباس في خطبته ﷺ يوم النحر - وفيه - ثم رفع رأسه فقال:**{اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت}**[٢] الحديث.

ومن ذلك النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته وإضافته غالبا إلى خالقه تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه، قال الله تعالى:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾} [النمل: ٢٦] وقال تعالى:{ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾} [المؤمنون: ١١٦] وقال تعالى:{وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [هود: ٧] وقال تعالى:{رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ} [غافر: ١٥] وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾} [البروج: ١٤ - ١٥] إلى غير ذلك.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه : كان النبي ﷺ يقول عند الكرب:**{لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم}**[٣].

وفيه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة}**[٤].

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش..}**[٥] الحديث.

---

(١) (صحيح) مسلم [١٢١٨].
(٢) (صحيح) البخاري [١٦٥٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٩٩٠] مسلم [٢٧٣٠].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٩٨٧].
(٥) (صحيح) البخاري [٢٢٨١] مسلم [٢٣٧٤].

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار**}[1].

وقال:{**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمنه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض**} وفي رواية:{**وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**}[2].

وفيه عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله..**}[3].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**}[4] رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه:{**أذن لى أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام**}[5] وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات وفيه جملة أحاديث غير ما ذكرنا وقد تقدم منها جملة وافية.

ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى رضى الله عنه في أن إلهه الله عز وجل العلي الأعلى خالق كل شيء وإلهه، قال الله تعالى في سورة القصص:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾} [القصص: ٣٨]

(١) (صحيح) البخاري [٦٩٧٦] مسلم [٩٩٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٤٠٧] مسلم [٩٩٣].
(٣) (صحيح) الموطأ [١٧٠٩] البخاري [١٣٥٧- ٦٤٢١] مسلم [١٠٣١].
(٤) (سنده صحيح) أبو داود في سننه [٤٧٢٧].
(٥) (سنده صحيح) ابن أبي حاتم تفسير سورة الحاقة عند تفسير قوله تعالى:{وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا} [الحاقة: ١٧].

وقال تعالى في سورة المؤمن:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾} [غافر: ٣٦ - ٣٧] ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السماوات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، فكل جهمي ناف لعلو الله عز وجل فهو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه، وكل سني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على عرشه بائن من خلقه فهو موسوي[1] محمدي متبع لرسل الله وكتبه. ومن ذلك ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلى للجبل فاندك الجبل، قال الله عز وجل :{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا} [الأعراف: ١٤٣].

قال الترمذي في جامعه في تفسير سورة الأعراف: حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية:{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا} [الأعراف: ١٤٣] قال حماد: هكذا - وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى - قال فساخ الجبل وخر موسى صعقًا[2] هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ورواه أيضا من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن حماد نحوه.

(١) موسوي: نسبة إلى نبي الله موسى ﷺ.
(٢) (سنده صحيح) الترمذي [٣٠٧٤] المستدرك [٦٧/ ٤١٠٤] السنة لابن أبي عاصم [٤٨٠] تفسير ابن أبي حاتم [٨٩٧٩].

ومن طريق معاذ أيضًا رواه أحمد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ في قولـه تعالى:{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ} قال: قال هكذا - يعني أنه أخرج طرف الخنصر - قال أحمد: أرانا معاذ، فقال لـه حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه؟(١).

ورواه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية من طريق هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ :{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا} قال: ووضع الإبهام قريبًا من طرف خنصره قال فساخ الجبل، قال حميد لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال: يقولـه رسول الله ﷺ ويقول أنس وأنا أكتمه؟(٢).

ورواه الحاكم في مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ورواه الخلال من طريق هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة... فذكره وقال: هذا إسناد صحيح لا علة فيه.

ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق الهيثم بن جميل قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد، ومن طريق حجاج يعني ابن منهال عن حماد بن سلمة، ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة.

---

(١) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٢٢٨٢].
(٢) (سنده صحيح) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج٦ - ص ٥٠] السنة لعبد الله بن أحمد [١٠٩٥].

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى على هذه الآية قبل سياق الحديث بهذه الطرق: أَفَلَيْسَ العلم محيطًا يا ذوي الألباب أن الله عز وجل لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة لكان متجليًا لكل شيء، وكذلك جميع ما في الأرض لو كان الله تعالى متجليًا لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومدنها وقراها وعماراتها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكّا كما جعل الله الجبل الذي تجلى لـه دكًا قال الله تعالى:{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا} انتهى. وبالجملة فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام وجميع كتبه المنزلة وجميع أهل السماوات ومؤمني أهل الأرض من الجن والإنس أتباع رسل الله وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلها الشياطين[١] عن دينها جميعها شاهدة حالاً ومقالاً أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تألهه وتفزع إليه وتدعوه رغبًا ورهبًا هو فوق كل شيء عال على جميع خلقه استوى على عرشه بائنًا من مخلوقاته وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفى عليه منهم خافية، ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو إلى من يعلم سره ونجواه متوجهًا إليه بقلبه وقالبه يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعي من أعلى، لا من أسفل كما يقول الجهمية قبحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علوّا كبيرًا.

* * *

(١) التوحيد لابن خزيمة [ص٩٦] ط دار الحديث.

ذكر أقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة العلو

روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضى الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضى الله عنه : أيها الناس، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت، ثم تلا:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ } [آل عمران: ١٤٤] حتى ختم الآية (١).

وللبخاري في تاريخه رضى الله عنه قال: لما قبض رسول الله دخل أبو بكر رضى الله عنه عليه فأكب عليه وقبل وجبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيّا وميتًا، وقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت(٢). ولابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال: لما قدم عمر رضى الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: لو ركبت برذونًا يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر رضى الله عنه : ألا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا فأشار بيده إلى السماء قال الذهبي إسناده كالشمس(٣). وروى الزهري عن سالم أن كعبًا قال لعمر: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: إلا من حاسب نفسه، فكبر عمر ثم خر ساجدًا (٤).

وعن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ولا رهبة، وجعل كتاب الله

(١) (سند حسن) الدارمي في الرد على الجهمية [٧٨].
(٢) (سنده منقطع) البخاري في تاريخه معلقا [٦٢٣].
(٣) (سنده صحيح) ابن أبي شيبة [٣٣٨٤٤] والسنة للخلال [٤٠٦].
(٤) (سنده ضعيف) الدارمي في الرد على الجهمية [٨٩].

مرآة بين عينيه، قال ابن غنم: فحدثت بهذا عثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك[١] رواه أبو نعيم. وعن أبي يزيد المدني قال: لقيت عمرَ امرأة يقال لها خولة بنت ثعلبة، فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات[٢] قال الذهبي هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر رضى الله عنه، وفي لفظ عن عمر رضى الله عنه أنه مرَّ بعجوز فاستوقفته فوقف يُحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك أتدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة التي أنزل الله فيها:{قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا} [المجادلة: ١] وهذا الحديث رواه عثمان بن سعيد الدارمي، وقال ابن عبد البر: حدثنا من وجوه عن عمر رضى الله عنه فذكره[٣].

ومن شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه :

شهدت بأن وعد الله حق ::: وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ::: وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ::: ملائكة الإله مسومينا

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: رويناه من وجوه صحاح[٤].

وروى الدارمي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال:{**ما بين السماء الدنيا**

(١) (سنده صحيح) الزهد لأحمد بن حنبل [٦٦٩] الدارمي في نقضه للمريسي الجهمي [ص ٥١٦] مختصرا، وابن سمويه في فوائده، ذكره عنه بإسناده الذهبي في العلو [١٧١].
(٢) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره، سورة المجادلة. الدارمي في الرد على الجهمية [٧٩] وذكره الذهبي في العلو [١٦٩] وقال: فيه انقطاع أبو يزيد لم يلحق عمر، وهو كما قال رحمه الله.
(٣) (سنده ضعيف) الأسماء والصفات للبيهقي [٨٨٦] والرد على الجهمية [٧٩] علته الانقطاع كما في الحديث السابق.
(٤) (سنده ضعيف) الاستيعاب لابن عبد البر [ج ١ - ص٢٧٢] الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا.
[٢٣٧] والنفقة على العيال لابن أبي الدنيا [٥٦٤] وانظر العلو للذهبي [٨٣] وقال: منقطع.

والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه}(١).

وروى الأعمش عن خيثمة عنه:{**إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر لـه نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: أصرفوه عنه فإنه إن يسرته لـه أدخلته النار}**(٢) أخرجه اللالكائي بإسناد قوي.

وعنه رضى الله عنه قال:{**إن تعالى يبرز لأهل جنته في كل جمعة وكثب من كافور أبيض فيحدث لهم من الكرامة ما لم يروا مثله ويكونون من الدنو منه كمسارعتهم إلى الجمع}**(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد.

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: البحر المسجور يجري تحت العرش(٤). وتقدم حديث أبي هريرة رضى الله عنه وفيه:{**وينزل الله تعالى في ظل من الغمام من العرش إلى الكرسي}**.

---

(١) (سنده حسن) الرد على الجهمية [٨١] التوحيد لابن خزيمة [١٤٩] الإبانة الكبرى لابن بطة [٢٥٣٧] الطبراني في الكبير [٨٩٨٧] العظمة لأبي الشيخ [٢٠٠] الأسماء والصفات للبيهقي [٨٢١].

(٢) (منقطع، ورواته ثقات) الدارمي في الرد على الجهمية [٨٠] اعتقاد أهل السنة للالكائي [١٢١٩].

(٣) (سنده ضعيف) الإبانة لابن بطة [٣٥] السنة لعبد الله بن أحمد [٤٧٦] التوحيد لابن خزيمة [٦٠٢] رؤية الله للدارقطني [١٨١] الزهد لابن المبارك [٢٠٥١] صفة الجنة لأبي نعيم [٤٢١] الطبراني في الكبير [٩٠٦٨] جميعهم من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عبد الله، وهو لم يسمع من أبيه.

(٤) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [ج ١١ - ص ٤٨٢] به محمد بن حميد الرازي: ضعيف، وأبو صالح لم يسمع من علي.

وعن أم سلمة رضى الله عنها في قولـه تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥} [طه: ٥] قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر[١]، قال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه.

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: قالت الملائكة يا ربنا منا الملائكة المقربون ومنا حملة العرش ومنا الكرام الكاتبون وذكر الحديث[٢]، قال الذهبي إسناده صالح. وعن عائشة رضى الله عنها قالت:**{وايم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته - يعني عثمان** رضى الله عنه **- ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله}**[٣] رواه الدارمي.

وعن أسماء بنت عميس أن جعفرًا رضى الله عنه جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت ما شأنك؟ قال:**{رأيت فتى مترفًا من الحبشة شابًا جسيما مر على امرأة فطرح دقيقًا كان معها فنسفته الريح فقالت أكِلُكَ إلى يوم يجلس الملك على الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم}**[٤] رواه ابن ماجة وغيره.

(١) (سنده ضعيف) الإبانة الكبرى [٢٥٣١] اعتقاد أهل السنة للكالائي [٦٦٣] قال الذهبي في العلو [١٨١] هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأى، و مالك الإمام، وأبى جعفر الترمذى، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة و أبو عمير لا أعرفه.

(٢) (سنده ضعيف) الدارمي في الرد على المريسي [ص ٢٥٦] وبه: عبد الله بن صالح، كاتب الليث: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف) الرد على الجهمية للدارمي [٨٣] قال ابن أبى حاتم: رواية نافع عن عائشة و حفصة مرسلة، انظر تهذيب التهذيب.

(٤) (سنده ضعيف) رد الدارمي على المريسي [ص٤١٧] التوحيد لابن خزيمة [١٥٢] الأهوال لابن أبي الدنيا [٢٣٦] مساوئ الأخلاق للخرائطي[٥٩٣] علل الحديث لابن أبي حاتم [٢١٧١] وقال: قيل لأبي زُرْعَةَ أيهما الصحيح سعيد بن معبد أو سعد بن معبد فقال سعيد أصح. فالحديث من رواية: زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن معبد قال: حدثتني أسماء بنت عميس...
سعيد هذا لم: أعرفه، وزكريا بن زائدة روايته عن أبي إسحاق السبيعي في اختلاطه (السبيعي).
والحديث عند ابن ماجة [٤٠١٠] من حديث جابر بن عبد الله، وسنده يقترب من الحسن.

وعن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال:{**لما لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك، فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السماوات والأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نَفَسٌ واحِدٌ فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات**}(١) وقد روي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالى وارتفاع مكاني، لا أزال أغفر ما استغفروني**}(٢).

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال:{**إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع قدميه، وما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السماوات في خلق الرحمن** عز وجل **مثل قبة في صحراء**}(٣) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة.

وللدارمي عنه رضى الله عنه أنه استأذن على عائشة رضى الله عنها وهي تموت فقال:{**كنت أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبًا، وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجدًا من مساجد الله تعالى يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار**}(٤).

---

(١) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية [ص ٦٦].
(٢) (سنده ضعيف) المستدرك للحاكم [٧٦٧٢] أحمد في المسند بإسنادين [١١٢٥٥ /١١٢٦٢] الأول به عبد الله بن لهيعة: ضعيف، وتابع عمرو بن الحارث ابن لهيعة في روايته عند الحاكم، ودراج أبو السمح: ضعيف، والسند الثاني من رواية عمرو بن أبي عمرو عن أبي سعيد، ويبدو أن عمرو لم يسمع من أبي سعيد.
(٣) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [١٠٢١] التوحيد [١٥٦].
(٤) (سنده صحيح) الدارمي في الرد على الجهمية [٨٤].

وذكر الطبراني في شرح السنة عن مجاهد قال: قيل لابن عباس أن ناسًا يكذبون بالقدر، قال:{**يكذبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحد لا ينبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فخلق الخلق وكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه**}(١).
ولإسحاق بن راهويه عن عكرمة في قوله تعالى:{ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ} [الأعراف: ١٧] قال ابن عباس رضى الله عنه : لم يستطع أن يقول من فوقهم، علم أن الله تعالى من فوقهم(٢).

وليحيى بن سعيد الأموي عن عدي بن عميرة رضى الله عنه قال: خرجت مهاجرًا إلى النبي ﷺ، فذكر قصة طويلة وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته(٣).
وأقوال الصحابة في هذا الباب وتفاسيرهم أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا كفاية.

* * *

(١) (سنده صحيح) تفسير الطبري [ج ٣ - ص ٤٠٣] الإبانة الكبرى [١٣٦٣] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي [٦٦٠] والقضاء والقدر للبيهقي [٤٢١].
(٢) (سنده ضعيف) المطالب العالية لابن حجر [٣٠٨٤] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي [٥٠٤] إبراهيم بن الحكم بن أبان: ضعيف.
(٣) (سنده ضعيف) العلو للذهبي [٤٨] واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم [ص ٦٦].

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى

ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة[١]

عن كعب الأحبار رضى الله عنه قال: قال الله عز وجل في التوراة:{**أنا الله فوق عبادي، وفوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي، ولا يخفى عليَّ شيء في السماء ولا في الأرض**} قال الذهبي رواته ثقات.

وعنه رحمه الله قال: إن الله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، وذكر الأثر، رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة، قال الذهبي: إسناده نظيف، وأبو صالح ليَّنُوه وما هو بمتهم بل سيئ الإتقان.

وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه إذا كان إذا حدث عن عائشة رضى الله عنه قال: (حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع سموات)، قال الذهبي: إسناده صحيح.

ويروى عن عطاء بن يسار رحمه الله أن موسى رضى الله عنه قال: (يا رب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها). وعن عبيد بن عمير قال: (ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى سماء الدنيا فيقول: من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر لـه، حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل)، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في رده على الجهمية. وعن شريح بن عبيد الله أنه كان يقول: (ارتفع إليك ثغاء التسبيح، وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير)، إسناده صحيح.

(١) انظر العلو للذهبي رحمه الله فقد أكثر المصنف النقل عنه [ص ١١٨] ط مكتبة أضواء السلف - الرياض.

وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال:{**أهبط الله تعالى آدم، قال: يا آدم إني مهبط معك بيتًا يطاف حولـه كما يطاف حول عرشي ويصلي عنده كما يصلي عند عرشي**} وذكر الأثر، قال الذهبي هو ثابت عن أبي قلابة.

وعن عمرو بن ميمون قال:{**لما تعجل موسى إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً يغبطه، فسأل الله تعالى أن يخبره باسمه فقال: لا ولكني أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة**} قال الذهبي إسناده قوي. وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: (ما أخذت السماوات والأرض إلا من العرش كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة).

وعنه رحمه الله تعالى في قولـه عز وجل :{عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا} [الإسراء: ٧٩] قال: (يجلسه أو يقعده على العرش) قال الذهبي لهذا القول طرق خمسة، وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروزي مصنفًا.

وعن نوف البكالي:{**أن موسى** رضى الله عنه **لما سمع الكلام قال: من أنت الذي يكلمني قال: أنا ربك الأعلى**} قال الذهبي إسناده صحيح.

وعنه قال: إني أجد في التوراة لو أن السماوات والأرض كن طبقًا من حديد فقال: رجل من الأرض لا إله إلا الله لخرقتهن حتى تنتهى إلى الله عز وجل رواه حماد بن سلمة.

وعن أبي عيسى يحيى بن رافع رحمه الله تعالى أن ملكًا لما استوى الرب على كرسيه سجد فلا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة فيقول: لم أعبدك حق عبادتك.

وعن قتادة رحمه الله تعالى قال: قالت بنو إسرائيل:{**يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم**} قال الذهبي هذا ثابت عن قتادة.

وعن عكرمة رحمه الله تعالى قال: بينما رجل في الجنة اشتهى الزرع، فيقول للملائكة: ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول الرب عز وجل من فوق عرشه:{**كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع**} قال الذهبي إسناده ليس بذاك.

وصح في السنة للالكائي عن ثابت البناني قال كان داود رضى الله عنه يطيل الصلاة، ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول:{**إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء**}.

وفي الحلية بإسناد صحيح عن مالك بن دينار بأنه كان يقول:{**خذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه**}.

وعن مجاهد في قولـه تعالى:{وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا} [مريم: ٥٢] قال: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم:{قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣] هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات.

وعن سفيان قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال:{**الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق**}.

وعن حسان بن عطية قال: (حملة العرش أقدامهم ثابتة في الأرض السابعة رؤوسهم قد جاوزت السماء السابعة وقرونهم مثل طولهم عليها العرش).

وذكر أيوب السختياني المعتزلة وقال: (إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء)، قال الذهبي: هذا إسناد كالشمس وضوحًا وكالإسطوانة ثبوتا عن سيد أهل البصرة وعالمهم رحمه الله تعالى.

وقرأ ابن محيصين رفيق ابن كثير بمكة:{وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢} [الذاريات: ٢٢].

وعن الضحاك في قوله تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ} [المجادلة: ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا، وفى لفظ: هو فوق العرش وعلمهم معهم أين ما كانوا، أخرجه العسال وابن بطة وابن عبد البر بإسناد جيد.

وعن سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال: لو سألت أين الله؟ لقلت: في السماء.

وعن حبيب بن أبي حبيب قال شهدت خالد بن عبد القسري وخطبهم بواسط فقال:{**أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا**} ثم نزل فذبحه.

قال الذهبي: والمعتزلة تقول هذا وتحرف نص التنزيل في ذلك، وزعموا أن الرب مُنَّزهٌ عن ذلك، وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في التمهيد: وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ} [المجادلة: ٧] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به.

* * *

طبقة أخرى (١)

عن نوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر جهم، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهمًا فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال لـه أبو حنيفة، فأتيه، فأتته فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابًا إن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال لـه رجل: أرأيت قول الله عز وجل :{وَهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب إلى الرجل إني معك، وأنت غائب عنه، رواه البيهقي ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء، قلت وإنما أراد بقولـه: هو كما تكتب إلى الرجل... إلخ نفى الحلول، إلا فربنا تبارك وتعالى سواء عنده الغيب والشهادة والسر والعلانية.

وعن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال: سألت أبي حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء أو في الأرض فقال قد كفر، لأن الله تعالى يقول:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] وعرشه فوق سمواته، فقلت إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر رواه شيخ الإسلام الأنصاري في الفاروق.

وروى المقدسي عنه رحمه الله تعالى أنه قال: من أنكر الله عز وجل في السماء فقد كفر.

وعن أبي جريج رحمه الله تعالى قال: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق.

---

(١) انظر العلو للذهبي رحمه الله [ص ١٣٤] ط مكتبة أضواء السلف - الرياض.

وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال:{**كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله** عز وجل **فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة من صفاته**}، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، وللثعلبي عنه في قوله تعالى:{ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤] قال: هو على عرشه كما وصف نفسه، وسئل رحمه الله تعالى عن أحاديث الصفات فقال: أمرّها كما جاءت[١].

وعن مقاتل بن حيان في قوله تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم، رواه عبد الله بن أحمد في السنة.

وللبيهقي عنه قال: بلغنا والله أعلم في قوله تعالى:{هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ} [الحديد: ٣] هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه، وعن سفيان الثوري في قوله:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: ٤] قال علمه، وقال في جميع أحاديث الصفات أمرّوها كما جاءت.

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء، وسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه، وفي رواية قال:

(١) أي: دون نفي لما تقتضيه ولا تشبيه ولا تكييف ولا تحريف، وليس المقصود أنها كما يفهم البعض غير معلومة المعنى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فكيف يخبر سبحانه عن نفسه، وكيف يخبر رسوله ﷺ عنه، بكلام غير معقول، وإنما مقصوده رحمه الله: أن يعمل بالنصوص كما وردت بعيدا عن حذلقة المتكلمين وضلالات المنحرفين.

الكيف غير معقول[١]، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج.

وقال سلام بن أبي مطيع: ويلكم ما تنكرون هذا الأمر، والله ما في الحديث شيء إلا وفي القرآن ما هو أثبت منه، قول الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥]،{وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ} [آل عمران: ٢٨]،{تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ} [المائدة: ١١٦]،{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ} [الأعراف: ٥٤]،{وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ} [الزمر: ٦٧]،{مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥]،{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا} [النساء: ١٦٤]،{يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ} [القصص: ٣٠] فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب.

وصح عن ابن الماجشون أنه سئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعته الجهمية في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، فلم تجد العقول مساغًا فرجعت خاسئة حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق، وإنما يقال:**{كيف}**لما لم يكن مرة ثم كان، أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس لـه مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وساق فصلاً طويلاً في هذا المعنى، وذكر جملة من نصوص الصفات رحمه الله.

وقال حماد بن زيد: إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله، يعني الجهمية، رواه ابن أبي حاتم الرازي.

وقال محمد بن إسحاق إمام أهل المغازي: كان الله تعالى كما وصف نفسه إذ

---

(١) معنى قولهم (الكيف غير معقول) أن كيفية استوائه سبحانه على عرشه لا تستطيع العقول مهما وصلت إليه من علم أن تحيط به، فينبغي الوقوف في هذا على حد ما أخبر سبحانه عن نفسه، ولا يُسأل كيف استوى؟.

ليس إلا الماء عليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، الظاهر في علوه عَلَى خلقه فليس شيء فوقه، الباطن لإحاطته بخلقه فليس شيء دونه، الدائم الذي لا يبيد، وكان أول ما خلق النور والظلمة ثم السماوات السبع من دخان، ثم دحا الأرض، ثم استوى إلى السماء فحبكهن وأكمل خلقهن في يومين، ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

* * *

طبقة أخرى

روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد قال: كلام الجهمية أولـه عسل وآخره سم. وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله.

وصح عن علي بن الحسن بن شقيق قال: قلت لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا عز وجل ؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض، فقيل هذا لأحمد بن حنبل فقال: هكذا هو عندنا.

وعنه رضى الله عنه أن رجلاً قال لـه: يا أبا عبد الرحمن قد خِفْتُ الله من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء، رواه عبد الله بن أحمد.

وقال نوح الجامع وسأله رجل عن الله عز وجل في السماء هو؟ فحدث بحديث النبي ﷺ حين سأل الأمة:{**أين الله**} قالت: في السماء قال:{**أعتقها فإنها مؤمنة**} ثم قال: سماها النبي ﷺ مؤمنة أن عرفت أن الله عز وجل في السماء، رواه عبد الله بن أحمد أيضًا. وقال عباد بن العوام كلمت بشرًا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا.

وثبت عن أبي يوسف رحمه الله قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء، أفلس ومن تتبع غريب الحديث كذب، وقد ضرب عليا الأحول وطوف به في شأن الكلام وضرب آخر كان معه.

وقال محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء.

وكتب بشر المريسي قبحه الله تعالى إلى منصور بن عمار رحمه الله تعالى يسأله عن قوله:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] كيف استوى؟ فكتب إليه: استواؤه غير محدود والجواب فيه تكلف ومسألتك عن ذلك بدعة والإيمان بجملة ذلك واجب، قال الله تعالى:{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ} [آل عمران: ٧].

وقيل ليزيد بن هارون: من الجهمي؟ قال من زعم أن قوله تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي رواه عبد الله بن أحمد.

وقال سعيد بن عامر الضبعي وذكر الجهمية فقال: هم شرٌّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش.

وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث:{**إذا جلس الرب جل جلاله على الكرسي**} فاقشَعَرَّ رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها، وقال مرة: نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول: كيف كذا ولا لم كذا.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم.

وقال وهب بن جرير: إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر.

وقال الأصمعي لما قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، قال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة.

وقال الخليل بن أحمد في قوله:{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ} [البقرة: ٢٩] يقول ارتفع، وقال الفراء صعد.

وعن عبد الله بن أبي جعفر الرازي أنه ضرب رأس قرابة لـه كان يرى رأي جهم وكان يضرب بالنعل على رأسه ويقول: لا، حتى تقول: الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه.

* * *

طبقة الشافعي وأحمد رضى الله عنه [1]

روى الحافظ المقدسي عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشاهدة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائر الإعتقاد.

وقال عبد الله بن مسلمة القعنبى: من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي.

وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: ناظرت جهمًا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أنَّ في السماء ربّا.

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي: نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، نقول:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] ومن زعم غير ذلك فهو مبطل جهميّ.

وقال هشام بن عبيد الله الرازي وحُبس رجل في التجهم فجيء به إليه ليمتحنه فقال لـه: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه فإنه لم يتب بعد. وقال محمد بن مصعب العابد: من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى في الآخرة فهو كافر بوجهك، أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سموات، ليس كما تقول أعداء الله الزنادقة.

وقال أبو عمران الطرسوسي قلت لسنيد بن داود: هو عز وجل على عرشه بائن من خلقه؟ قال نعم.

وقال نعيم حماد بن نعيم في قولـه:{وَهُوَ مَعَكُمۡ} [الحديد: ٤] قال معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، ألا ترى قولـه تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ} [المجادلة: ٧] الآية، رحمه الله تعالى:

(١) انظر العلو للذهبي [ص ١٦٣].

من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا.

وقال بشر الحافي: والإيمان بأن الله تعالى على عرشه استوى كما شاء، وأنه عالم بكل ما كان وأنه يقول ويخلق، فقوله: كُنْ ليس بمخلوق، ومن دعائه: اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أن الذل أحب إلى من الشرف، اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أن الفقر أحب إلى من الغنى، اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أني لا أؤثر على حبك شيئًا.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في أحاديث الرؤية، والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا، وحديث أين كان ربنا، فقال: هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمه وكيف يضحك قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدًا يفسره.

وقال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله - فقال: علم الله معنا وهو على عرشه. وقال مكي بن إبراهيم: دخلت امرأة جهم على زوجتي فقالت يا أم إبراهيم هذا زوجك الذي يحدث عن العرش من نجره؟ قالت: نجره الذي نجر أسنانك، قال وكانت بادية الأسنان.

وقال قتيبة بن سعيد: قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة - نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال ﷻ:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥].

وقال أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي: آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله.

وقال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهمي: وكيف ينزل؟ فقل كيف يصعد؟ قلت: الكيف في الحالين منفي عن الله تعالى لا مجال للعقل فيه.

وعن علي بن المديني أنه سئل: ما قول أهل الجماعة؟ قال يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله عز وجل فوق السماوات على عرشه استوى، فسئل عن قوله تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧]

فقال: اقْرَأ ما قبله:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ} [المجادلة: ٧].

وسئل أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام أهل السنة: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه، وقيل له: ما معنى:{وَهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: ٤] قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة.

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني: قلت لإسحاق بن راهويه قوله تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧] كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله: هو على عرشه بائن من خلقه، ثم قال: أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] رواه الخلال في السنة.

وقال إسحاق بن راهويه: دخلت على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم، قلت: فلم تتكلم في هذا؟ وروى الخلال عنه قال: قال الله تعالى:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة.

وقال رجل لابن الأعرابي رحمه الله تعالى: يا أبا عبد الله ما معنى قوله:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذاك، إنما معناه استولى، فقال: اسكت ما يدريك ما هذا، العرب لا تقول الرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل: استولى، والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة:

إلا لمثلك أو ما أنت سابقه ::: سبق الجواد إذا استولى على الأمد

وقال ذو النون المصري رحمه الله: أشرق لنور وجهه السماوات، وأنار لوجهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور.

* * *

طبقة أخرى [١]

وقال المزني في عقيدته: الحمد لله أحق ما بدى وأولى من شكر وعليه أثنى، الواحد الصمد، ليس لـه صاحبة ولا ولد، جل عن المثل فلا شبيه لـه ولا عديل، السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع عال على عرشه، فهو دان بعلمه من خلقه، والقرآن كلام الله ومن الله، ليس بمخلوق فيبيد، وقدرة الله ونعته وصفاته كلمات غير مخلوقات، دائمات أزليات ليس محدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد، جلت صفاته عن شبه المخلوقين عال على عرشه، بائن من خلقه، وذكر ذلك المعتقد، وقال: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاته، قلت: مثل أى شيء؟ قال: سميع بصير عليم قدير، رواه ابن منده.

وسئل محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى عن حديث عبد الله بن معاوية عن النبي ﷺ :{**ليعلم العبد أن الله معه حيث كان**}[٢] فقال: يريد أن الله علمه محيط بكل ما كان والله على العرش.

وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح في كتاب الرد على الجهمية: باب قولـه تعالى:{وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [هود: ٧] قال أبو العالية: استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد في استوى: علا على العرش، وقالت زينب أم المؤمنين رضى الله عنها : (زوجني الله من فوق سبع سموات) [٣]، ثم إنه بوب رحمه الله تعالى على أكثر ما تنكره الجهمية من الصفات مُحتَجًّا بالآيات والأحاديث.

---

(١) انظر العلو للذهبي [ص ١٨٣].
(٢) (سنده حسن لغيره) البيهقي في الشعب [٣٢٩٧] وفي سنده: عمرو بن الحارث بن الضحاك: مقبول كما في التقريب، ولـه شـاهد من حديث عبادة بن الصـامت عند البيهقي في الآداب [٨٢٥] وسنده حسن، ولفظه (إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان).
(٣) (صحيح) البخاري [٦٩٨٤].

وقال أبو زرعة الرازي وسئل عن تفسير:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله.

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم أن الله تبارك تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا.

وقال محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي: ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، رواه أبو القاسم الطبري.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن الله على العرش بائن من خلقه أحاط بكل شيء علمًا، لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه رواه صاحب الفاروق.

وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله تعالى قال: قال لي عبد الله بن طاهر: بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء، فقلت: وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء، رواه الحاكم في ترجمته.

وقال عبد الوهاب الوراق: من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث، إن الله عز وجل فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة.

وكتب حرب الكرماني إلى عبد الرحمن بن محمد الحنظلي: إن الجهمية أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا يرى في الآخرة، ولا يعرف لله مكان، وليس على العرش، ولا كرسي، وهم كفار فاحذرهم.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في كتاب النقض(١): قد اتفقت الكلمة بين المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته يعلم ويسمع من فوق العرش لا تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء، وقال أبو محمد بن قتيبة رحمه الله تعالى: كيف يسوغ لأحد أن يقول: إن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ} ومع قوله:{إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ} [فاطر: ١٠] كيف يصعد إليه شيء هو معه، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهو معه، قال: لو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها عجميها وعربيها تقول: إن الله في السماء ما تركت على فطرها.

وقال أبو بكر بن عاصم الشيباني: جميع ما في كتابنا - كتاب السنة الكبير - من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كفيتها، فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش.

وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله في جامعه لما روى حديث أبي هريرة وهو خبر منكر عند أهل الحديث:**{لو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله}**(٢) فقال: قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنة من سننه - باب في الجهمية - وساق في ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ

(١) انظر كتاب نقض الدارمي على المريسي [ص ٣٤٠] ط الرشد.
(٢) (ضعيف) الترمذي [٣٢٩٨] أحمد [٨٨١٤] من رواية الحسن البصري عن أبي هريرة، وهو لم يسمع من أبي هريرة. وقال الذهبي في العلو [ص ١٩٧] خبر منكر.

:{**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله**} [(١)]، وفي رواية:{**فإذا قالوا ذلك فقولوا:**{ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤} [الإخلاص: ١ - ٤] **ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا وليستعذ من الشيطان**}[(٢)] وذكر حديث الأوعال وحديث جبير بن مطعم وحديث أذن لي أن أحدث عن ملك، الحديث، وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتقدات أهل السنة وما ورد فيها من الأحاديث رحمه الله تعالى كالرؤية والنزول وطي السماوات والأرض وتكلم الله عز وجل والشفاعة والبعث وخلق الجنة والنار وفتنة القبر وعذابه والحوض والميزان وغير ذلك ورد على طوائف الجهمية والمرجئة والخوارج والروافض رحمه الله تعالى.

وقال ابن ماجة رحمه الله تعالى في سننه: باب ما أنكرت الجهمية، فساق حديث الرؤية وحديث أبي رزين وحديث جابر: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، الحديث تقدم، وحديث الأوعال وغيرها، وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل السنن ساقوا أحاديث الصفات وأمرّوها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل.

وقال ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى: ذكروا أن الجهمية يقولون: ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن الله فوقه وقالوا: إنه في كل مكان ففسرت العلماء:{وَهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: ٤] يعني علمه ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصًا من خلقه بائنًا منهم.

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: لا يجوز لمؤمن أن يقول: كيف الاستواء لمن خلق الاستواء ولنا عليه الرضا والتسليم لقول النبي ﷺ

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٦٦] مسلم [١٣٤] واللفظ لمسلم. وأبو داود [٤٧٢١].
(٢) (سنده حسن) أبو داود في سننه [٤٧٢٢].

:{**إنه تعالى على العرش**} قال: وإنما سمي الزنديق زنديقًا لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه.

* * *

طبقة أخرى (١)

قال زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وساق سائر الاعتقاد. وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين رحمه الله في عقيدته: وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر، ونقل في تفسير:{ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤] في المواضع كلها، أي: علا وارتفع، وتفسيره مشحون بأقوال السلف على الإثبات.

وقال حماد بن هناد البوشنجي: هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وصفة السنة وأهلها، إن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وسلطانه وقدرته بكل مكان.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة.

وقال أبو العباس بن سريج: قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة، مثل قوله:{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ} [البقرة: ٢١٠] وقوله:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] وذكر الاعتقاد.

وقال ثعلب إمام العربية:{عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه: ٥] علا.

---

(١) انظر العلو للذهبي [ص ٢٠٢] ط مكتبة أضواء السلف - الرياض.

وقال أبو جعفر الترمذي وسأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزول كيف هو يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وقال الطحاوي الإمام في عقيدته: والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه.

وقال أبو الحسن الأشعري(١) في ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: وأن الله على عرشه كما قال تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] قال: ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذى هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش.

وقال أبو محمد البربهاري رحمه الله تعالى: الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السر وأخفى وعلى عرشه استوى وعلمه بكل مكان.

* * *

(١) إن كثيرا من المسلمين يسيء الظن (بأبي الحسن الأشعري) رحمه الله، ويقلدونه فيما رجع عنه من العقيدة الباطلة، وقد أعلن رحمه الله رجوعه عن مذهب المتكلمين، وأذرى على فرق المعتزلة والجهمية، وأعلن موافقته لمعتقد أهل السنة والجماعة.
قال رحمه الله: وجملة قولنا: إننا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، ثم قال: وأن الله استوى على عرشه كما قال:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥].
فنقول بعد ذلك لمن ينتحلون مذهبه الباطل قبل رجوعه إلى الحق هلا قلدتم إمامكم حق التقليد ورجعتم إلى العقيدة الصافية كما رجع رحمه الله. انظر في ذلك رسالة(الصفات الإلهية بين السلف والخلف) للشيخ: عبد الرحمن الوكيل رحمه الله.

طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة [(١)]

قال أبو أحمد العسال في باب تفسير قوله تعالى:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] فساق ما ورد فيه من أقوال السلف وأئمتهم وحديث ابن مسعود وقد مر، وقال أبو بكر الصبغي في قوله تعالى:{مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك: ١٦] أى من على العرش كما صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ.

وقال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة: باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائنًا من خلقه فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي وحديث الأوعال وغيرهما من أحاديث العلو.

وقال أبو بكر الآجري: الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السماوات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين يرفع إليه أعمال العباد.

وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة له: ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه، وساق جملة أحاديث في ذلك.

وقال أبو بكر الإسماعيلي: استوى على العرش بلا كيف فإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه.

وقال الأستاذ أبو منصور الأزهري: الله تعالى على العرش:

وقال أبو الحسن بن مهدي رحمه الله في قوله تعالى:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] أعلم أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستو على العرش بمعنى أنه عال عليه، ومعنى الاستواء الاعتلاء، وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحو العرش الذي هو مستو عليه،

(١) انظر العلو للذهبي [ص ٢٢٤].

وقال ابن بطة رحمه الله: باب الإيمان بأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه، أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه.

وقال الدارقطني رحمه الله تعالى:

حديث الشفاعة في أحمد ::: إلى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث بإقعاده ::: على العرش أيضًا فلا نجحده
أمرّوا الحديث على وجهه ::: ولا تدخلوا فيما يفسده

وقال ابن منده رحمه الله تعالى: فهو تعالى موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش، استوى فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شيء محيط.

وقال محمد بن أبي زيد المغربي: وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه.

قلت: وقد أطلق هذه العبارة أعني قوله:{**بذاته**} أبو جعفر بن أبي شيبة والدارمي ويحيى بن عمار وأبو نصر السجزي وابن عبد البر وشيخ الإسلام الأنصاري وأبو الحسن الكرجي وأحمد بن ثابت الطرقي وعبد العزيز القحيطي، وعبد القادر الجبلي وطائفة.

وقال ابن فورك رحمه الله: استوى بمعنى علا، وقال في قوله:{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك: ١٦] أي من فوق السماء.

وقال ابن الباقلاني في إبانته: فإن قيل فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] وقال:{إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ} [فاطر: ١٠] وقال:{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك: ١٦] إلى آخر كلامه.

وقال أبو أحمد القصاب في عقيدته: كان ربنا عز وجل وحده لا شيء معه، ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجة إليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق.

قلت: تفسير الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقص منه.

وقال الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى: طريقنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالمًا بعلم، بصيرًا ببصر، سميعًا بسمع، متكلمًا بكلام، إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه.

وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون منه، وذكر سائر الاعتقاد.

وقال أبو القاسم اللالكائي في قوله تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥].

وإن الله على عرشه، قال الله عز وجل :{إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠] وقال:{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك: ١٦] وقال:{وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام: ١٨] فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه في كل مكان، روي ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد.

وقال يحيى بن عمار: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قولـه تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: ٤] فهذا الذي قلناه كما قال الله تعالى وقاله رسول الله ﷺ.

قلت: لفظة:{**بذاته**} مستغنى عنها بصريح النصوص الكافية الوافية:

وقال القادر بالله أمير المؤمنين في معتقده المشهور: وأنه خلق العرش لا لحاجة واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو صفه بها رسوله ﷺ فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز.

وقال أبو عمرو الطلمنكي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قولـه تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سمواته.

وقال أبو نصر السجزي: أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد ابن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله - سبحانه - بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان.

وقال أبو عمرو الداني في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامه وقوله قديم ::: وهو فوق عرشه العظيم

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح حديث النزول: هذا حديث صحيح لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وقال أيضًا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قولـه تعالى:{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧]، هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقولـه.

وقال أبو يعلى رحمه الله بعد أن ذكر حديث الجارية: الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء، وقد أخبرنا تعالى بأنه في السماء فقال:{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك: ١٦] وهو على العرش.

وقال أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد لـه: باب القول في الاستواء، قال الله تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] وقال:{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ} [الأعراف: ٥٤]،{وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام: ١٨]،{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ} [النحل: ٥٠]،{إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠]،{ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك: ١٦] وأراد من فوق السماء كما قال تعالى:{فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ} [طه: ٧١] وقال:{فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ} [التوبة: ٢] أي على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات.

* * *

طبقة أخرى (١)

قال أبو الفتح نصر المقدسي: وإن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه.

وقال شيخ الإسلام الأنصاري صاحب منازل السائرين في التصوف قال في كتاب لـه: باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنًا من خلقه من الكتاب والسنة، فَسَاَق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال: وفي أخبار شتى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان.

وقال البغوي رحمه الله تعالى في قولـه عز وجل :{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ} [الأعراف: ٥٤] قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد وأولَّت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة فإنهم يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، ثم ذكر قول مالك المتقدم وقال: وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمرّوها كما جاءت بلا كيف وقال أبو الحسن الكرجي في بائيته:

عقائدهم أن الإله بذاته ::: وأن استواء الرب يعقل كونه
على عرشه مع علمه بالغوائب ::: ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب (٢)

وقال الشيخ عبد القادر الجيلي - رحمه الله تعالى - في كتاب الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن

(١) انظر العلو للحافظ الذهبي [٢٥٥].
(٢) ما أشار إليه الشيخ رحمه الله: من الغيبيات التي يجب التصديق بها دون السؤال عن كيف، وذلك لأنها أحد أركان الإيمان الستة، وهي محض ابتلاء من الله عز وجل ، يختبر بها عباده؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

أن الله واحد أحد، إلى أن قال: وهو مستو على العرش، محتو على الملك محيط بالأشياء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، يرفعه ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل، وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل، على كل نبي أرسل، بلا كيف.

وقال أبو عبد الله القرطبي: وقد كان السلف الأول رضى الله عنه لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا يعلم حقيقة كيفيته.

قلت: أراد بالجهة إثبات العلو لله تعالى، أما لفظ الجهة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يلزم من إثبات العلو إثباتها، لأن العرش سقف جميع المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلو إثبات الجهة فلازم الحق حق، فما استلزمه صريح الآيات والأحاديث فهو حق بلا خلاف عند أهل السنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في العقيدة الواسطية بعد سرد الآيات والأحاديث في الصفات: فصل وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤} [الحديد: ٤] وليس معنى قوله:{وَهُوَ مَعَكُمۡ} [الحديد: ٤] أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع - عليه سلف الأمة وخلاف ما

فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، والله سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله:{فِي ٱلسَّمَآءِ} أن السماء تقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله تعالى قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره. ا هـ.

ومصنفات هذا الإمام وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله تعالى - في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة قد طبقت المشارق والمغارب.

ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم والدين من السلف والخلف لاحتجنا إلى عدة أسفار بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفاية، ونحن نشهد الله تعالى وحملة عرشه وجميع ملائكته وأنبياءه ورسله وجميع خلقه أنَّا نثبت لربنا عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته رسوله ﷺ وأجمع عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربنا وإلهنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافية، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلال ربنا وعظمته، لا نتكلف لذلك تأويلاً ولا تكييفًا بل نقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، ولا نطلب إمامًا غير الكتاب والسنة، ولا نتخطاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطق بما نطقا به ونسكت عما سكتا عنه ونسير سيرهما حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣٣- ومعَ ذا مطلعٌ إليْهمُو ::: بعلمه مُهَيْمنٌ عَلَيْهِمُ
٣٤- وذكره للقُرْبِ والمَعيَّةْ ::: لم ينفِ للعلوِّ والفوقيةْ
٣٥- فإنه العَليُّ في دُنُوِّه ::: وهو القَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّه

(**ومع ذا**) الاتصاف بالعلو والاستواء على العرش والمباينة منه لخلقه تبارك وتعالى فهو (**مطلع**) سبحانه وتعالى (**إليهمو**) الواو للإشباع (**بعلمه**) المحيط بجميع المعلومات لا تخفى عليه منهم خافية، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قولـه عز وجل :{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧} [طه: ٥ - ٧] فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمه السر وأخفى، وكذلك جمع عز وجل بينهما في قولـه تعالى:{هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣} [الحديد: ٣] وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسره رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم(١)، وكذلك جمع تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل :{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤} [الحديد: ٤] وكذلك جمع النبي ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعال إذ يقول:{**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**}(٢) وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين.

(**مهيمن**) رقيب (**عليهمو**) بواو الإشباع (**وذكره**) تبارك وتعالى (**للقرب**) في قولـه عز وجل :{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦] وقولـه تعالى:{إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ } [سبأ: ٥٠]

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧١٣] الترمذي [٣٤٨١] ابن ماجة[٣٨٧٣].
(٢) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٧٢٣] وغيره، وسبق بيان علته.

وقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين:{**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**}(١).

(و) كذلك ذكره (**المعية**) العامة في قوله:{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟} [المجادلة: ٧] وقوله عز وجل :{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: ٤] وكذا المعية الخاصة في قوله عز وجل :{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨] وقوله تعالى:{وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [الأنفال: ٤٦] وقوله لموسى وهارون:{إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: ٤٦] وقوله في قصة نبينا ﷺ مع الصديق رضى الله عنه :{إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] كل ذلك لم ينف العلو المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - تعرج الملائكة والروح إليه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض.

(**والفوقية**) عطف على العلو وهو رديفه في المعنى أى ولم ينف قوله عز وجل :{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام: ١٨] وقوله:{ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} [النحل: ٥٠] وقول النبي ﷺ :{**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**}(٢) بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوّه (**فإنه**) هو (**العلي**) المتصف بجميع معاني العلو ذاتًا وقهرًا وشأنًا (**في دنوه**) فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافيًا لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ومعيته العامة في قوله تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: ٤]

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٨٣٠، ٣٩٦٨، ٦٠٢١، ٦٠٤٦، ٦٢٣٦، ٦٩٥٢] مسلم [٢٧٠٤].
(٢) (سنده ضعيف) سبق.

معناها إحاطته بهم علمًا وقدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره، وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل إجماعهم على ذلك.

وأما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه، ويقصر تعريفه دونه، وكفاك قول الله عز وجل فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول:{**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**}[1] وفي بعض الرواية:{**وقلبه الذي يعقل به ولسانه الذي ينطق به**}.

وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا لـه بعين البصيرة، وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقولـه:{**أحبوا الله من كل قلوبكم**}[2] فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقولـه عز وجل :{**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**} ومن أشار إلى

(١) (صحيح) البخاري [٦١٣٧].

(٢) (مرسل ضعيف) دلائل النبوة للبيهقي [٧٨٠] من مراسيل أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه.

(**وهو القريب جل في علوه**) فهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه عال على جميع خلقه وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه، ويعلم سره ونجواه، وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته، ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فإن الذي عند عنق راحلته أو عند حبل وريده لا يعلم ما خفي عليه من كلامه، والله عز وجل على عرشه ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرته لا تخفى عليه منهم خافية، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط فهو سبحانه القريب في علوه، العلي في دنوه وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

٣٦ - حَيٌّ وقَيُّومٌ فلا ينامُ ::: وجَلَّ أن يُشبِهُهُ الأنَامُ

٣٧ - لا تَبْلُغُ الأوهامُ كُنْهَ ذاتِهِ ::: ولا يُكَيف الحِجَا صِفَاتِه

(**حيّ**) لا يموت كما قال تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨] وقال تعالى:{هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [غافر: ٦٥] فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء، وهو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول:{**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**}(١).

(**وقيوم**) فهو القيوم بنفسه القيم لغيره فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى:{وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ} [الروم: ٢٥]

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٩٤٨] مسلم [٢٧١٧].

وهو القائم على كل شيء والقائم بجميع أمور عباده والقائم على كل نفس بما كسبت.

وفي الصحيحين من دعائه ﷺ في صلاة الليل:{**اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض...**}[1] الحديث.

وقد جمع تعالى بين هذين الاسمين:{**الحي القيوم**} في ثلاثة مواضع من كتابه:

الأول: آية الكرسي من سورة البقرة:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥} [البقرة: ٢٥٥]

الثاني: أول سورة آل عمران:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ } [البقرة: ٢٥٥].

الثالث: في سورة طه:{ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١} [طه: ١١١]

وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعًا قال:{**اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب في ثلاث سور: سورة البقرة وآل عمران وطه**}[2].

(**فلا ينام**) أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه؛ فإن ذلك نقص في حياته وقيوميته، ولهذا أردف هذين الاسمين بنفي السِّنة والنوم فقال:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ } [البقرة: ٢٥٥] أى لا تغلبه سِنَةٌ وهو الوسن والنعاس، ولا نوم ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السِّنَة، بل هو

(١) (صحيح) البخاري [١٠٦٩] مسلم [٧٦٩].
(٢) (سنده حسن) الحاكم في المستدرك [١٨٦٦] ابن مردويه نقله عنه بسنده ابن كثير في تفسيره [ج١ - ص٤٠٩].

قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ولا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية.

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال:{**إن الله لا ينام ولا ينبغي لـه أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - أو النار - لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**}[١].

(**وجل**) عن أن (**يشبهه الأنام**) في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعة لموصوفها فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، ولو اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ ولما عطلوه عن صفات كماله ونعوت جلاله فرارًا بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظم من ذلك ولزمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وسبب ضلالهم أنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله واتهموا الوحيين فيما نطقا به ووزنوهما بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فيء، وإنما هي أوضاع مختلفة أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهار الفساد، ولغرس شجرة الإلحاد، المثمرة تعطيل الباري عز وجل عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد:

(١) (صحيح) تقدم.

جاءوا بها في قالب التنزيه ::: لله كي يغوون كل سفيهِ
قالوا صفات كماله منفية ::: عنه مخافة موجب التشبيهِ
تعطيلهم سموه: (تنزيهًا) له ::: ليروّجوا فاعجب لذا التمويهِ
والوحى قالوا نصه لا يوجب ::: العلم اليقين فأى دين فيهِ
ما الدين الا ما عن اليونان قد ::: جئنا به طوبى لمن يحويِهِ
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ::: وبقوا حيارى في ضلال التيهِ

فسموا النور الذي أنزلـه الله عز وجل على رسوله ﷺ تفصيل كل شيء وتبيانًا لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء وبيان النبى ﷺ من جوامع كلمه التي اختصه الله بها، فسموا ذلك كله:{**آحادا ظنية لا تفيد اليقين**} وسموا زخارف أذهانهم ووساوس شيطانهم:{**قواطع عقلية**} لا والله ما هي إلا خيالات وهمية ووساوس شيطانية، هي من الدين بريئة وعن الحق أجنبية، توجب الحيرة وتعقب الحسرة كثيرة المباني قليلة المعاني كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئًا لكن وجده السم النقيع والداء العضال، فخاخ هلكة نصبها الأعداء لاصطياد الأغبياء، وخدعة ماكر في صورة ناصح فعل عدو الله اللعين في قصته مع الأبوين - عليهما السلام - في دلالتهما على الشجرة التي نهاهما ربهما عنها:{ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ} [الأعراف: ٢١ - ٢٢] إلى آخر الآيات، وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني أدخله الأعداء علينا وسموه علم التوحيد تلبيسًا وتمويهًا وما هو إلا سلم الإلحاد والزندقة، وجحدوا صفات الباري عز وجل وسموا ذلك تنزيهًا؛ ليغروا الجهال بذلك، وإنما هو محض التعطيل، وسموا أولياء المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مشبهة لينفروا الناس عنهم مكرًا وخديعة، فأصبح المغرور بقولهم المخدوع بمكرهم حائرًا مخذولاً لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات

الديان لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله إياها ومتى شاء سلبه، ولم ينظروا المتصف بها من هو فلذلك نفوها عن الله عز وجل لئلا يلزم من إثباتها التشبيه، فشبهوا أولاً وعطلوا ثانيًا فلما نفوا عن الله صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص، فمن نفى عن الله كونه سميعًا بصيرًا فقد شبهه بما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا وكذلك سائر الصفات وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد، فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته ونفيها ضد ذلك، ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات فإن الله تعالى قد سمى نفسه سميعًا بصيرًا، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعًا بصيرًا وسمى نفسه الرؤوف الرحيم، وأخبر أن نبيه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم وسمى نفسه الملك فقال:{ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾} [الفاتحة: ٤]،{ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾} [الناس: ٢] وسمى بعض خلقه ملكًا فقال:{وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ} [يوسف: ٥٤] وهو العزيز وسمى بعض عباده عزيزًا وغير ذلك، فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر ولا الرأفة كالرأفة ولا الرحمة كالرحمة ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم الغني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه، فصفات الخالق الحي القيوم قائمة به لائقة بجلاله أزلية بأزليته دائمة بديموميته، لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك، لم تسبق بضد ولم تعقب به، بل له تعالى الكمال المطلق أولاً وأبدًا:{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى: ١١] فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه.

(لا تبلغ الأوهام كنه ذاته) أي نهاية حقيقتها كما قال تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾} [طه: ١١٠] وقال تعالى:{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ} [البقرة: ٢٥٥] وإنما نعرفه تعالى بما وصف به نفسه في كتبه المنزلة على رسله بأنه أحد صمد:{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [الإخلاص: ٣ - ٤]،{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥] إلى آخر الآية:{هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾} [الحشر: ٢٢ - ٢٤]،{هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾} [الحديد: ٣] إلى غير ذلك من آيات الأسماء والصفات.

(ولا يكيف الحجا) أي العقل **(صفاته)** لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو، فالواجب علينا أيها العبيد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وإمرارها كما جاءت واعتقاد أنها حق كما أخبر الله عز وجل وأخبر رسوله ﷺ، وعدم التكييف والتمثيل لأن الله عز وجل أخبرنا بأسمائه وصفاته. وأفعاله ولم يبين كيفيتها فنصدق الخبر ونؤمن به وَنِكل الكيفية إلى الله عز وجل ، فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها، علمنا اتصافه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتها ولم يحيطوا بها علمًا كما قالت أم سلمة رضى الله عنها وربيعة الرأي ومالك بن أنس وغيرهم رحمهم الله تعالى: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول

البلاغ، وعلينا التصديق والتسليم، وكذلك القول في جميع صفاته عز وجل ، وإنا والله لكالون حائرون في كيفية سراية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا وكيف يدبر الله تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته وفي استقرار الروح التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتعرج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء وكيفية إقعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه، وكيفية قيام الأموات من القبور حفاة عراة غرلاً وكيفية الملائكة وعظم خلقهم فكيف العرش الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل ، كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على ألسنة رسله - عليهم الصلاة والسلام - إيمانًا بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون:{ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ٥٢]،{ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧]،{ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾} [آل عمران: ٥٣] (١).

* * *

(١) أبوء: أعترف وأقر.

انفراده عز وجل بالإرادة والمشيئة

٣٨ - باقٍ فلا يَفْنَى ولا يَبيدُ ::: ولا يَكُونُ غَيْرَ ما يُريدُ

٣٩ - منفردٌ بالخَلقِ والإرادهْ ::: وحَاكِمٌ - جَلَّ - بما أرادهْ

(**باق**) كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء، كما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته (**فلا يفنى ولا يبيد**) بل هو المفني المبيد، وهو المبدئ المعيد، قال الله عز وجل :{وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾} [القصص: ٨٨] وقال تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾} [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

(**ولا يكون**) في الكون (**غير ما يريد**) والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم كقوله تبارك وتعالى:{فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٧]،{فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا} [الكهف: ٨٢]،{ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾} [الإسراء: ١٦] وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعًا ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمر تكوين، ألا ترى أن الفسق علة:{حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى} [السجدة: ١٣] وحق القول عليهم علة لتدميرهم وهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين، وقال:{يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]،{إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [يس: ٨٢]،{وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا} [المائدة: ٤١]،{أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} [المائدة: ٤١] وقول نوح لقومه:{وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾} [هود: ٣٤]

وقوله تعالى:{فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ} [الأنعام: ١٢٥] وقوله تعالى:{وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ} [الرعد: ١١] وقوله تعالى:{وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ} [الحج: ١٦]،{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا} [المائدة: ١٧]،{ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} [الأحزاب: ١٧] وقوله تعالى:{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا} [الفتح: ١١] وقوله:{يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ} [آل عمران: ١٧٦] وقوله:{مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ} [الإسراء: ١٨] وقول صاحب يس:{ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾} [يس: ٢٣] وقال تعالى:{قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ} [الزمر: ٣٨] وقول النبي ﷺ :**{من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين}**(١):**{من يرد الله به خيرًا يصب منه}** (٢):**{إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه بهلاكها}**(٣):**{إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل لـه العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد شرًا أمسك عنه بذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة}**(٤):**{إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل لـه إليها حاجة}**(٥):

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٨٢] مسلم [١٠٣٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٣٢١] (يصب منه) يبتله بالمصائب ليطهره من الذنوب في الدنيا فيلقى الله تعالى نقيا.
(٣) (صحيح) مسلم [٢٢٨٨].
(٤) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٣٩٦] الحاكم في المستدرك [٨٧٩٩] به سعد بن سنان، أو سنان بن سعد: ضعيف، انظر تهذيب الكمال.، وله شاهد من حديث عبد الله بن المغفل من رواية الحسن البصري عنه بالعنعنة، والبصري مدلس، عند الحاكم في المستدرك [٨١٣٣].
(٥) (سنده صحيح) الترمذي [٢١٤٧] من حديث أبي عزة. مسند أحمد [٢٢٠٣٤] من حديث مطر بن عُكامس. الحاكم [١٢٤] من حديث ابن مسعود.

{إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب الرفق}(١):**{إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم}**(٢) والآثار النبوية في ذلك كثيرة.

وكذلك لفظ:**{المشيئة}** في الكتاب والسنة وروده معلوم كقوله تعالى:{وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى:{كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ } [آل عمران: ٤٠] وقال:{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} [الأنعام: ١١٢]،{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا } [يونس: ٩٩]،{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً} [هود: ١١٨]،{لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد: ٣١]،{وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ} [الأنعام: ٣٥]، { وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا} [السجدة: ١٣]،{وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ} [محمد: ٤]،{ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ } [الإسراء: ٨٦]،{فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ} [الشورى: ٢٤]،{إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾} [النساء: ١٣٣]،{لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ} [الفتح: ٢٧]،{قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ} [هود: ٣٣] وقوله عن إمام الحنفاء:{وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا} [الأنعام: ٨٠] وقوله عن الذبيح:{سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الصافات: ١٠٢] وقوله عن شعيب رضى الله عنه :{وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا} [الأعراف: ٨٩] وقوله عن يوسف:{ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ } [يوسف: ٩٩] وقوله عن موسى: {قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا} [الكهف: ٦٩] وقوله عن قوم موسى:{وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} [البقرة: ٧٠] وقوله لنبيه ﷺ :{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الكهف: ٢٣ - ٢٤]،

---

(١) (سنده صحيح) مسند أحمد [٢٤٧٧٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٦٩١] مسلم [٢٨٧٩] بلفظ (بعثوا على أعمالهم).

{قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ} [الأعراف: ١٨٨] وقال: {خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ} [هود: ١٠٧] وعن أهل النار مثل ذلك، وقال: {رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ} [الإسراء: ٥٤] وقال: {يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ} [المائدة: ١٨] وقال: {وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ} [الشورى: ٢٧] وقال: {إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ} [الإسراء: ٣٠] وقال: {يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ} [الرعد: ٣٩] وقال: {قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ} [يونس: ١٦] وقال: {نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨} [الإنسان: ٢٨] وقال: {وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ} [المدثر: ٥٦] وقال: {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ} [الإنسان: ٣٠] فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا، وقال: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦} [آل عمران: ٢٦] وقال: {وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ} [الأحزاب: ٢٤] وقال: {يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ} [آل عمران: ٧٤] وقال: {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ} [النور: ٢١] وقال: {وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ} [البقرة: ٢٦١] وقال: {نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ} [يوسف: ٥٦] وقال: {نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ} [يوسف: ٧٦] وقال: {ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ} [المائدة: ٥٤] وقال: {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ} [إبراهيم: ١١] وقال: {فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ} [يوسف: ١١٠] وقال: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ} [الروم: ٤٨] وقال: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ} [يوسف: ١٠٠] وقال: {يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ} [البقرة: ٢٦٩] وقال: {وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ} [يس: ٦٦]، {وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ} [البقرة: ٢٠] وقال: {إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ} [الشورى: ٣٣] وقال: {لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا} [الواقعة: ٦٥]، {لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا} [الواقعة: ٧٠] وقال: {فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ} [التوبة: ٢٨] وقال: {إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦}

[فاطر: ١٦]،{إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ } [الأنعام: ١٣٣]،{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ } [البقرة: ٢٢٠]،{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ } [الشورى: ١٣]،{وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ} [البقرة: ٢٦١]،{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} [القصص: ٦٨]،{لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا} [الشورى: ٤٩ - ٥٠]،{وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} [الشورى: ٥٢]،{ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ} [آل عمران: ٦]،{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾} [الانفطار: ٨]،{وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: ١١]،{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ} [الشورى: ١٩]،{وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ } [القصص: ٨٢] وغير ذلك من الآيات.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحوا من هذه الآيات: وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه:{رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة: ٢] وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره. اهـ.

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيرة جدًا، منها قوله ﷺ في شأن الجنين:{**فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك**}(١) وقوله:{**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء (٢)، إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء (٣)، إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم (٤)، قولوا ما شاء الله وحده (٥)، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء (٦)، ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**} (٧) وكان صلى الله عليه وسلم يقول:{**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**} (٨)وقوله عن الله عز وجل :{**فذلك فضلي أوتيه من أشاء**} (٩) وقوله:{**مثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء**} (١٠) وقوله:{**تعرّضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله** عز وجل **سحائب من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده**}(١١) وقوله في حديث البيعة:

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٤٥].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٦٨١] مسلم [٢٦٢٧].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٣٣/٥٧٠].
(٤) (سنده ضعيف) الدلائل للبيهقي [١٤٩٨] بلفظه، وعند أحمد [٣٧١٠] من رواية يزيد بن هارون عن المسعودي، ويزيد روى عن المسعودي بعد الاختلاط. وهو عند الطيالسي [٣٧٧] وهو مخالف لما في الصحيحين من أن الذي قام بحراستهم هو بلالرضى الله عنه.
(٥) (سنده صحيح) الطيالسي من حديث حذيفة [٤٣٠] أحمد في المسند [١٩٦٤] من حديث ابن عباس.
(٦) (صحيح) مسلم [٢٦٥٤].
(٧) (سنده صحيح) ابن ماجة [١٩٩] أحمد [١٧٦٦٧].
(٨) (سنده صحيح لغيره) الترمذي [٣٥٢٢] وعنده شهر بن حوشب، وهو عند أحمد بسند صحيح [١٧٦٦٧].
(٩) (صحيح) البخاري [٢١٤٨].
(١٠) (صحيح) البخاري [٧٠٢٨] مسلم [٢٨١٠].
(١١) (سنده ضعيف) الشعب للبيهقي [١١٢١] الطبراني في الكبير [٧١٩] معرفة الصحابة لأبي نعيم [٧٧٩] مسند الشهاب [٦٥٢] به: عيسى بن موسى: ضعيف، يحيى بن أيوب الغافقي: مختلف عليه. والانقطاع بين صفوان وأنس رضى الله عنه. وعند ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة [٢٧] من حديث أبي هريرة بسند به عيسى بن موسى، مع انقطاعه. وفي الكنى

{ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فهو إلى الله عز وجل **، إن شاء عذبه وإن شاء غفر لـه}**(١) وفي حديث احتجاج الجنة والنار قولـه تعالى للجنة:**{أنت رحمتي أرحم بك من أشاء}**وللنار:**{أنت عذابي أعذب بك من أشاء}**(٢) وقولـه ﷺ :**{لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت وارزقني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله تعالى لا مكره لـه}**(٣) وقولـه:**{ولكن قل قدر الله وما شاء فعل}**(٤)، وقولـه عن الله عز وجل :**{ذلك بأني جواد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول لـه كن فيكون}** (٥) وقولـه:**{ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آية دون الموت}**(٦) وفي حديث الشفاعة:**{فيدعني ما شاء الله أن يدعني}** (٧) وفي حديث:**{آخر أهل الجنة دخولاً الجنة}**(٨):**{فيسكت ما شاء الله أن يسكت}** وفيه قولـه تعالى:**{لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير}**(٩) وقال:

والأسماء للدولابي من حديث ابن عمر [١٣٤٧] وبه: عمار بن زربي أبو المعتمر البصري، قال أبو حاتم: كذاب متروك الحديث. وفي المحدث الفاضل [٥٤٨] بسند ضعيف.

(١) (صحيح) البخاري [٦٤١٦].

(٢) (صحيح) البخاري [٤٥٦٩] مسلم [٢٨٤٦].

(٣) (صحيح) البخاري [٥٩٨٠] مسلم [٢٦٧٩].

(٤) (صحيح) مسلم [٢٦٦٤].

(٥) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٤٩٥] أحمد [٢١٤٠٥/٢١٤٠٦] علته شهر بن حوشب، ضعيف لسوء حفظه.

(٦) (ضعيف جدا) شعب الإيمان للبيهقي [٤٣٤٨] الأوسط للطبراني [٤٤١٢] والصغير للطبراني [٥٨٩] وعمل اليوم والليلة لابن السـني [٣٥٦] وأبو يعلى كما في إتحاف المهرة [٥٣٧٦] وعلته: في لسان الميزان [١٨٤] عبد الملك بن زرارة عن أنس بن مالك قال الأزدي لا يصح حديثه. وفي اللسان أيضا [١٢٢٨] عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة قال الأزدي لا يصح حديثه.

وللحديث طريق آخر عن أنس عند البزار كما في إتحاف المهرة عقب الطريق السـابق، وهو ضعيف أيضا: فيه: حجاج بن نصير، وأبو بكر الهذلي: وكلاهما ضعيف، انظر التقريب.

(٧) (صحيح) البخاري [٧٠٠٢] مسلم [١٩٣].

(٨) (صحيح) البخاري [٧٠٠٠] مسلم [١٨٢].

(٩) (صحيح) مسلم [١٨٧].

{فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي}(١) وقال:**{لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد}**(٢) وقال:**{إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله ما بين أيلة إلى كذا}**(٣) وقال في المدينة:**{لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله تعالى}**(٤) وفي زيارة القبور:**{وإنا إن شاء الله بكم لا حقون}** (٥) وفي حصار الطائف:**{إنا قافلون غدًا إن شاء الله}** (٦) وفي قدومه مكة:**{منزلنا غدًا إن شاء الله بخيف بني كنانة}**(٧)وفي قصة بدر:**{هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله}** (٨) وفي بعض أسفاره:**{إنكم تأتون الماء غدًا إن شاء الله}** (٩)وقال:**{من حلف فقال إن شاء الله فإن شاء مضى وإن شاء رجع غير حنث}**(١٠)وقال:**{لأغزون قريشًا}** ثم قال في الثانية:**{إن شاء الله}**(١١) وقال:**{ألا مشمر للجنة}** فقال الصحابة نحن المشمرون لها يا رسول الله، فقال:**{قولوا إن شاء الله}** قالوا: إن شاء الله(١٢)، وغير ذلك من الأحاديث الثابتة.

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٣٦] مسلم [١٨٩].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٤٩٦].
(٣) (سنده صحيح) مسند الشاميين للطبراني [٣٢٧١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي [١٧١٣] عندهما بلفظ (بين أيلة إلى الكعبة) وفي الأسماء والصفات للبيهقي [٣٥٠] عنده بلفظ (أيلة إلى دمشق).
(٤) (صحيح) البخاري [١٧٨١] مسلم [١٣٧٩].
(٥) (صحيح) مسلم [٢٤٩].
(٦) (صحيح) البخاري [٤٠٧٠] مسلم [١٧٧٨].
(٧) (صحيح) البخاري [١٥١٢] مسلم [١٣١٤].
(٨) (صحيح) مسلم [٢٨٧٣].
(٩) (صحيح) مسلم [٦٨١].
(١٠) (سنده صحيح) الترمذي [١٥٣١] أبو داود [٣٢٦٢] وهو ملفق من حديثيهما.
(١١) (سنده ضعيف) أبو داود [٣٢٨٥] سماك بن حرب: روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، انظر التقريب.
(١٢) (سنده ضعيف) ابن ماجة [٤٣٣٢] بسنده: الضحاك المعافرى: مقبول، وسليمان بن موسى: به ضعف.

(منفرد) ربنا عز وجل **(بالخلق)** فما من مخلوق في السماوات والأرض إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه فهو خالق كل صانع وصنعته وخالق الكافر وكفره والمؤمن وإيمانه والمتحرك وحركته والساكن وسكونه كما قال تعالى:{ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾} [الزمر: ٦٢] وقال تعالى:{هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾} [فاطر: ٣] وقال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾} [التغابن: ٢ - ٣] وقال تعالى:{ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [الصافات: ٩٦] وقال تعالى:{ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ} [الروم: ٤٠] وقال تعالى:{وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم
مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ } [النحل: ٨٠ - ٨١] وقال تعالى:{أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾} [الواقعة: ٥٨ - ٧٤]

وفي الصحيح من أحاديث الأشعريين ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم[١]، وفيه من حديث المصورين:{**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرًا**}[٢] وفيه:{**من صور صورة كلف الله أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**}[٣] وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة، فلله الخلق والأمر ولـه الملك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير.

(**والإرادة**) أى ومنفرد بالإرادة فلا مراد لأحد معه ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته عز وجل ومشيئته كما قال تعالى:{كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾} [المدثر: ٥٤ - ٥٦] وقال تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾} [التكوير: ٢٧ - ٢٩] وقال تعالى:{إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾} [الإنسان: ٢٩ - ٣١] **فللعباد قدرة على** أعمالهم ولهم مشيئة، والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم، ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل لهم إذا شاء وأراد.

(**وحاكم جل بما أراده**) فلا معقب لحكمه ولا راد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره:{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ} [فاطر: ٤٤] بل هو:{فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾} [البروج: ١٦]،{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ} [القصص: ٦٨]،{بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾} [البقرة: ١١٧]،{إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [يس: ٨٢]،{**إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**} [المائدة: ١] و:{**يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ**} [آل عمران: ٤٠]،{**يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ**} [آل عمران: ٤٧]

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٩٦٤] مسلم [١٦٤٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٧١٢٠] مسلم [٢١١١].
(٣) (صحيح) البخاري [٥٦١٨] مسلم [٢١١٠].

لا ناقص لما أبرم ولا معارض لما حكم ولا يقال لم فعل كذا وهلا كان كذا لأنه:{لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾} [الأنبياء: ٢٣].

وفي حديث أبي ذر عن الترمذي وغيره وفي آخره قال:{**ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام، وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول لـه كن فيكون**}(١).

٤٠- فمن يشأ وفقه بفضله ::: فمنهم الشقي والسعيد

٤١ - ومن يشأ أضله بعدله ::: وذا مقرب وذا طريد

قال الله عز وجل :{مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الأنعام: ٣٩] وقال تعالى:{ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾} [الأعراف: ١٧٨] وقال تعالى:{ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾} [الأعراف: ١٨٦] وقال تعالى:{وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ} [الإسراء: ٩٧] وقال تعالى:{مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا} [الكهف: ١٧].

وقال تعالى:{ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ} [فاطر: ٨] وقال تعالى:{فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ } [الأنعام: ١٢٥] وقال تعالى:{قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ } [الرعد: ٢٧] وقال تعالى:{ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾} [القصص: ٥٦] وقال تعالى:{ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [البقرة: ٢٧٢]

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٤٩٥] أحمد [٢١٤٠٥/٢١٤٠٦] علته شهر بن حوشب، ضعيف لسوء حفظه.

وقال تعالى:{قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾} [يونس: ٣٥] وقال تعالى:{قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ} [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى:{قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ} [آل عمران: ٧٣] وقال تعالى:{وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾} [الشمس: ٧ - ٨] وقال النبي ﷺ في خطبته:{**من يهد الله فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هادي لـه**}[١] وقال ﷺ :{**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، إنك أنت وليها ومولاها**}[٢].

(**فمنهم**) أى من عباده (**الشقى**) وهو من أضله بعدله (و) منهم (**السعيد**) وهو من وفقه وهداه بفضله، فالسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله، فلله الحمد على فضله وعدلـه (**وذا مقرب**) بتقريب الله إياه وهو السعيد (**وذا طريد**) بإبعاد الله إياه وهو الشقي البعيد، فبيده تعالى الهداية والإضلال والإشقاء والإسعاد، فهدايته العبد وإسعاده فضل ورحمة، وإضلاله وإبعاده عدل منه وحكمة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدلـه وهو الحكيم العليم الذي يضع الأشياء مواضعها وهو أعلم بمن هو محل الهداية فيهديه ومن هو محل الإضلال فيضله وهو أحكم الحاكمين، وهو عليم بالمتقين، وعليم بالظالمين، وعليم بالمهتدين، وهو أعلم بالشاكرين وأعلم بما في صدور العالمين، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى، ولـه في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولذا نقول:

٤٢- لحكمة بالغة قضاها ::: يستوجب الحمد على اقتضاها

(١) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٢١١٨] سنن الترمذي [١١٠٥] سنن النسائي [١٤٠٤ - ٣٢٧٧] سنن ابن ماجه [١٨٩٢].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٢٢].

أى أن جميع أفعاله من هدايته من يشاء، وإضلاله من يشاء، وإسعاد من يشاء وإشقاء من يشاء وجعله أئمة الهدى يهدون إلى الحق بأمره، وأئمة الضلالة يهدون إلى النار، وإلهامه كل نفس فجورها وتقواها، وجعله المؤمن مؤمنًا، والكافر كافرًا عاصيًا مع قدرته التامة الشاملة وأنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعًا ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضال ومهتد وشقي وسعيد ومقرب وطريد وطائع وعاص ومؤمن وكافر وغير ذلك هو مقتضي حكمته وموجب ربوبيته وحكمته حكمة حق وهي صفته القائمة به كسائر الصفات، وهي متضمَّنة اسمه:{**الحكيم**} وهي الغاية المحبوبة له ولأجلها خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السماوات والأرض والآخرة والأولى، فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه الحكيم في قضائه وقدره الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه، فإن أسماءَهُ وصفاته صفات كمال وجلال، وأفعاله كلها عدل وحكمة، والفعل لغير حكمه عبث، والعبث من صفات النقص، والله تعالى منزه بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله عن جميع النقائص، فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خير وحكمة من جهة إضافته إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمة وعدل، وما كان من شر في قضائه وقدره فمن جهة إضافته إلى فعل العبد؛ لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة، وأما من جهة إضافته إلى الرب عز وجل فخير محض ولحكمة بالغة وعدل تام وغاية محمودة لا شر فيها ألبتة، ولهذا قال تعالى فيما قصه عن الجن:{وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾} [الجن: ١٠] فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى وقال النبي ﷺ في دعاء الافتتاح في صلاة الليل:{**لبيك اللهم وسعديك، والخير كله في يديك، الشر ليس إليك**}[1] فنفى

(١) (صحيح) مسلم [٧٧١].

أن يضاف الشر إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقه، لأنه ليس شرّا من جهة إضافته إليه عز وجل ، وإنما كان شرًا من جهة إضافته إلى العبد، وذلك لأن الشر ليس إلا السيئات وعقوبتها، وموجب السيئات شر النفس وجهلها، ولهذا قال النبي ﷺ :{**الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**}[١] وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي علمه أمته:{**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك [٢] بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**}[٣] وقال تعالى في حكايته استغفار الملائكة للمؤمنين:{ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾} [غافر: ٩].

ومن وقاه الله السيئات وأعاذه منها فقد وقاه عقوبتها من باب الاستلزام، فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل وذلك من نفس العبد وهي أمور ذاتية لها، وأن السيئات هي موجب العقوبة والعقوبة من الله عدل محض، وإنما تكون شرّا في حق العبد لما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يداه جزاء وفاقًا كما قال تعالى:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾} [الشورى: ٣٠] وقال تعالى:{وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾} [الزخرف: ٧٦] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾} [يونس: ٤٤].

فأفعال الله عز وجل كلها خير بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من فضله علمًا وعدلاً وحكمة فيصدر منه الإحسان والطاعة والبر والخير، وإذا أراد به شرّا أمسكه

---

(١) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٢١١٨] سنن الترمذي [١١٠٥].
(٢) أبوء لك: أعترف وأقر.
(٣) (صحيح) البخاري [٥٩٤٧].

عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها، فصدر منه موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح، وليس منعه لذلك ظلمًا منه سبحانه فإنه فضله يؤتيه من يشاء، وليس من منع فضله ظالمًا ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به، وأيضا فإن هذا الفضل هو توفيقه وإرادته تعالى أن يلطف بعبده ويعينه ويوفقه ولا يخلي بينه وبين نفسه، وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك، ولهذا قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾} [الأنعام: ٥٣] وقال تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾} [العنكبوت: ١٠ - ١١] وقال تعالى:{ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ } [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى:{ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾} [الأنعام: ١١٦ - ١١٧] وقال تعالى:{ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾} [النحل: ٣٧] وقال تعالى:{ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾} [النجم: ٢٩ - ٣٠] وقال تعالى:{مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾} [البقرة: ١٠٥] وقال تعالى:{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾} [التين: ٧ - ٨] بلى ونحن على ذلك من الشاهدين، وقال تعالى:{قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ} [آل عمران: ٧٣] إلى قوله:{قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾} [آل عمران: ٧٣ - ٧٤]

وقال تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾} [النجم: ٣٢] وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾} [الحديد: ٢٨ - ٢٩].

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السماوات والأرض برحمتك نستغيث، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

(**يستوجب**) يستحق (**الحمد على اقتضاها**) الضمير للحكمة، فله الحمد على مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره، فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته وله الحمد على جميع أفعاله وله الحمد على خلقه وأمره وهو المحمود على طاعة العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، وعلى خلقه الملائكة والشياطين، وعلى خلقه الرسل وأعداءهم، وهو المحمود على عدله وحكمته في أعدائه، كما هو المحمود على فضله ورحمته على أوليائه، وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكمته وحمده كما قال تعالى:{تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ} [الإسراء: ٤٤] وقال:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾} [التغابن: ١] وقال تعالى:{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾} [القصص: ٦٨]،{ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾} [القصص: ٦٩ - ٧٠]

وعلمنا النبي ﷺ في ذكر الاعتدال من الركوع:{**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد**}[١] وفي الذكر عقب الصلوات:{**لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه لـه الملك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير**}[٢] وفي التلبية:{**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**}[٣] وفي الدعاء المأثور:{**اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله**}[٤] وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل:{**اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ولقاؤك حق والساعة حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق...**}[٥] الحديث.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، والمقصود أن الرب عز وجل لا يكون إلا محمودًا كما لا يكون إلا ربّا وإلهًا فله الحمد كله، ولـه الملك كله، لا شريك لـه في حمده كما لا شريك لـه في ملكه، وإن كان بعض خلقه

---

(١) (صحيح) مسلم [٤٧١].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٩٧١] مسلم [٥٩٣].
(٣) (صحيح) البخاري [١٤٧٤] مسلم [١١٨٤].
(٤) (سنده ضعيف جدا) البيهقي في الشعب [٤٤٠٠] من حديث أبي سعيد الخدري، علته: خالد بن يزيد العمري مكي ذاهب الحديث، انظر التاريخ الكبير [٦٢٢].
قلتُ: وهو بسند صحيح ذكره في إتحاف المهرة [١/١٢٤٩] وابن حجر في المطالب العالية [٤٢٩] من حديث إسحاق بن راهوية أخبرنا النضر بن شميل، حدثنا شعبة، عن حصين، عن عبد الله بن شداد، أنه سمع رفاعة بن رافع، رجلا من أهل بدر، كبر في صلاته، فقال: « الله أكبر، اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله » وقال الحافظ: وهو هنا غير مرفوع، وأظن أن حكمه الرفع، ثم قال: هذا حديث صحيح.
(٥) (صحيح) البخاري [١٠٦٩، ٥٩٥٨، ٦٩٥٠، ٧٠٠٤، ٧٠٦٠] مسلم [٧٦٩].

محمودًا كالرسل والعلماء فمرجع ذلك الحمد إليه، كما أن مصدره وموجبه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك، وهذا كما أنه الملك لا شريك لـه في ملكه ويرزق بعض عباده إذا شاء ملكًا وهو مالكه وملكه، وكما أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده من علمه ما شاء، وقال في ذكر عبده يعقوب رضى الله عنه :{وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ} [يوسف: ٦٨] وكذلك ما من محمود في السماوات ولا في الأرض إلا وذلك الحمد راجع إلى الله عز وجل في الحقيقة، فحمد كل محمود داخل في حمده، كما أن كل مُلك داخل في ملكه، وكل شيء فمنه ولـه وإليه، فله الحمد رب السماوات والأرض رب العالمين، ولـه الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

مسألة: فإن قيل: قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يحب الظالمين ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، فما الجواب؟

قلنا: إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كوني وشرعي، ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقولـه تعالى:{وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الإنسان: ٣٠ والتكوير:٢٩] ومثال الإرادة الكونية قولـه تعالى:{وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ} [الرعد: ١١] وقولـه تعالى:{إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾} [النحل: ٤٠] ومثال القضاء الكوني قولـه تعالى:{وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [البقرة: ١١٧] ومثال الأمر الكوني قولـه تعالى:{ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾} [الإسراء: ١٦] فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة

وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها، ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحبوب المرضي لـه والمكروه المبغض كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة، ومثال الإرادة الشرعية قولـه تعالى:{يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] وقولـه تعالى:{يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٢٦] وقولـه تعالى:{وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾} [النساء: ٢٧] ومثال القضاء الشرعي قولـه تعالى:{۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا} [الإسراء: ٢٣] ومثال الأمر الشرعي قولـه تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [النحل: ٩٠] وهذه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه، ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى:{وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾} [يونس: ٢٥] فعمم الدعوة إلى جنته وهي دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب، ممن لا يستجب وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى:{يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ} [النور: ٣٥].

مسألة: فإن قيل: أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين؟.

قلنا: بلى وقد قدمنا لك جملة وافية من الآيات والآحاديث في ذلك، ولكن قدمنا لك أيضًا أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدلـه، فحينئذ قول القائل: لم كان من عباده الطائع والعاصي؟ كقول من قال: لم كان من أسمائه الضار النافع والمعطي المانع والخافض الرافع والمنعم المنتقم ونحو ذلك إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثار صفاته، فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته بل وعلى إلهيته وربوبيته، فسبحان رب العرش عما يصفون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسْأَلون.

مسألة: واعلم أنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول: ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة الله تعالى إياها، وهل يأتي المكروه بمحبوب؟

فنقول: الحمد لله إيمانًا بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، واستسلامًا لأقداره وإرادته، وتسليمًا لعدله وحكمته؛ اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الواجب على العبد أمر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والتسليم لأقداره واليقين بعدله وحكمته والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علمناه ولا يحيط بكنه شيء منها ونهايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علمنا الله تبارك وتعالى أن السيئة لذاتها ليست محبوبة لله ولا مرضية كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء:{ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ } [الإسراء: ٣٨] ولكن يترتب عليها من محابه ومرضاته ما هو أعلم به إما في حق فاعلها من التوبة والإنابة والإذعان والاعتراف بقدرة الله عليه والخوف من عقابه ورجاء مغفرته ونفي العجب المحبط للحسنات عنه ودوام الذل والانكسار وتمحض الافتقار وملازمة الاستغفار وغير ذلك من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب عز وجل التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء، وفي

الصحيحين:{**لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**}[١] أخرجاه عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ.

فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه ربه وإلهه وسيده ومولاه من السيئات وعدم محبتها والنفرة منها، والاجتهاد في كف النفس عنها، وأطرها على محابّ الله وأن لا يصدر عنها شيء يكرهه الله عز وجل فإن غلبته نفسه بجهلها وشرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك وليتداركه بمحاب الله عز وجل ومرضاته من التوبة والإنابة والاستغفار والادّكار وعدم الإصرار، فإن الله تعالى قد أرشد إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال الله عز وجل :{۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ

مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦}

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] وغير ذلك من الآيات، وفي الحديث:{**لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**} [٢] أو كما قال، فإن ترتب على فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب عز وجل فذلك غاية مصلحة

(١) (صحيح) البخاري [٥٩٥٠] مسلم [٢٧٤٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٤٩].

العبد وسعادته وفلاحه، وإن لم يقع منه ذلك فلخبث نفسه وعدم صلاحيتها للملأ الأعلى ومجاورة المولى والله أعلم بالمهتدين، وحينئذ يترتب عليها فرائض الله عز وجل على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسل عليهم السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم فرائض الله تعالى والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة ويكفيك في فضل ذلك قول الله عز وجل :

{۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١١ - ١١٢].

ولو سردنا ما في هذا الباب من الآيات والأحاديث لطال الفصل، ونحن نستغفر الله العظيم من الخوض في هذا الباب ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء الله مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر، وهناك نذكر مراتبه ومذاهب من خالف فيه أهل السنة والجماعة، إن شاء الله تعالى والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

إثبات البصر والسمع لله عز وجل

٤٣- وهو الذي يرى دَبيبَ الذَّرِّ ::: فِي الظُّلُماتِ فوق صُمِّ الصَّخرِ

٤٤- وسامِع للجهْرِ والإِخْفَاتِ ::: بَسمْعِهِ الواسِعِ للأصواتِ

في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات، وإثبات السمع لـه المحيط بجميع المسموعات، وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى وهما متضمَّنتا اسميه:{**السميع البصير**} قال الله عز وجل :{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾} [النساء: ٥٨] وقال تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] وقال تعالى:{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾} [الحج: ٦١] وقال تعالى:{قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ} [الكهف: ٢٦] قال ابن جرير وذلك بمعنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود، وما أسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء، ثم روى عن قتادة في قولـه تعالى:{أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ} فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، وقال ابن زيد:{أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ} يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم إنه كان سميعًا بصيرًا(١) وقال البغوي رحمه الله تعالى: أى ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أى لا يغيب عن سمعه وبصره شيء، وقال تعالى لموسى وهرون عليهما السلام:{إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: ٤٦] قال ابن عباس رضى الله عنه : أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تَهْتمَّا، وقال تعالى لهما في موضع آخر:{قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾} [الشعراء: ١٥] وقال تعالى:{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾} [الزخرف: ٨٠] وقال تعالى:{ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ} [التوبة: ١٠٥]

(١) (سنده صحيح) لابن زيد، الطبري في تفسيره [ج٨ - ص ٢١١].

وقال تعالى:{أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤} [العلق: ١٤] وقال تعالى:{ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٢٠} [الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠] وقال تعالى:{لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ } [آل عمران: ١٨١] وقال تعالى:{قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١} [المجادلة: ١].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل :

{قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١} [المجادلة: ١] (١) رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا وأخرجه النسائي وابن ماجة وابن جرير وابن أبي حاتم، وفي رواية لـه عنها رضى الله عنها أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت لـه بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية:{قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ} (٢) .

قالت: وزوجها أوس بن الصامت.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى:{وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا } [النساء: ١٣٤] وذكر خبر عائشة هذا معلقًا (٣)، وروى عن

---

(١) (صحيح) البخاري معلقا مجزوما به [٦٩٥٢] النسائي [٣٤٦٠] ابن ماجة [١٨٨] واللفظ له.
(٢) (سنده صحيح) ابن ماجة [٢٠٦٣] مستدرك الحاكم [٣٧٩١] مسند أبي يعلى [٤٧٨٠].
(٣) (صحيح) سبق قريبا.

أبي موسى رضى الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال:{**اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعًا بصيرًا قريبا ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة**} (١).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبي ﷺ :{**إن جبريل** رضى الله عنه **ناداني قال: إن الله سمع قول قومك وما ردوا عليك**}(٢).

وروي في باب قوله تعالى:{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾} [فصلت: ٢٢] عن عبد الله رضى الله عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو وقرشيان وثقفي كثيرة الشحم بطونهم قليلة الفهم قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى:{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢] (٣).

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية:{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا } [النساء: ٥٨] إلى قوله تعالى:{سَمِيعًۢا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨] قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه(٤)، قال أبو هريرة رضى الله عنه : رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه رضى الله عنه.

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٨٣٠ - ٣٩٦٨، ٦٠٢١، ٦٠٤٦، ٦٢٣٦، ٦٩٥٢] مسلم [٢٧٠٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٥٤] مسلم [١٧٩٥].
(٣) (صحيح) البخاري [٤٥٣٩] مسلم [٢٧٧٥].
(٤) قال ابن حجر رحمه الله: قال البيهقي: وأراد بهذه الإشارة إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان، يريد أن له سمعًا وبصرًا، لا أن المراد به العلم، فلو كان كذلك لأشار إلى القلب لأنه محل العلم ولم يرد بذلك الجارحة فإن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين، الفتح (٣٨٥/١٣).

قال ابن يونس قال المقرىء يعني:{إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥] يعني أن لله سمعًا وبصرًا[1]، قال أبو داود رحمه الله تعالى: وهذا رد على الجهمية اهـ.

قلت: يعني أبو داود رحمه الله أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسمًا ولا صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به وأثبته لـه رسول الله ﷺ فلا يثبتون أن الله هو السميع البصير، ولا أنه يسمع ويرى ويبصر، فرارًا بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وشبهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم رضى الله عنه في دعوته أباه إلى الله عز وجل :{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾} [مريم: ٤٢] وقد أثبت الجهمية قبحهم الله حجة لعباد الأصنام وجوابًا لإنكار خليل الله وجميع رسله عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودكم أيضًا لا يسمع ولا يبصر، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا، وقالت المعتزلة: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، واطردوا جميع أسمائه هكذا فأثبتوا أسماء ونفوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني، وقولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة، وهدى الله تعالى بفضله أهل السنة لفهم كتابه وآمنوا بما وصف به نفسه وأقروا به كما أخبر ونفوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قولـه عز وجل :{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

* * *

(١) (سنده صحيح) أبو داود في سننه [٤٧٢٨] ابن حبان [٤٩٨] الأوسط للطبراني [٩٣٣٤].

الكلام على العلم الإلهي

٤٥ – وعِلمُهُ بما بَداَ وما خَفِى ::: أحَاطَ عِلْمَا بالجليِّ والخَفي

أى ومما أثبته الله عز وجل لنفسه وأثبته لـه رسوله ﷺ أنه عليم بعلم وإن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزيئات وهو من صفاته الذاتية، وعلمه أزلي بأزليته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب والشهادة والسر والجهر والجليل والحقير لا يَعْزُبُ عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة قال الله تعالى:{وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ} [البقرة: ٢٣٥] وقال تعالى:{وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ} [البقرة: ١٩٧] وقال تعالى:{وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ} [البقرة: ٢١٥] وقال تعالى:{وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾} [آل عمران: ٥] وقال تعالى:{۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾} [الأنعام: ٥٩] وقال تعالى:{عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ} [البقرة: ١٨٧] وقال تعالى:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾} [يونس: ٦١] وقال تعالى:{أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾} [هود: ٥] وقال تعالى:{وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ} [النساء: ١٧٦]

وقال تعالى:{ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠} [الرعد: ٨ - ١٠] وقال عن نبيه شعيب:{وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا} [الأعراف: ٨٩] وقال تعالى عن خليله:{رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٣٨} [إبراهيم: ٣٨] وقال تعالى:{ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ} [النحل: ٢٣] وقال تعالى:{ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [الإسراء: ٥٥] وقال تعالى:{ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧} [طه: ٧] وقال تعالى:{ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠} [طه: ١١٠] وقال تعالى:{ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٤} [الأنبياء: ٤]،{إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ۝١١٠} [الأنبياء: ١١٠] وقال تعالى:{أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧٠} [الحج: ٧٠] وقال تعالى:{ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ۝٦٤} [النور: ٦٤] وقال تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٧٥} [النمل: ٧٤ - ٧٥] وقال تعالى:{إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝١٦} [لقمان: ١٦] وقال تعالى:{ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦} [السجدة: ٦] وقال تعالى:{ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٥٤} [الأحزاب: ٥٤] وقال تعالى:{عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} [سبأ: ٣] وقال تعالى:{وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ} [فاطر: ١١] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٣٨} [فاطر: ٣٨] وقال تعالى:{يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩} [غافر: ١٩]

وقال تعالى:{إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ} [فصلت: ٥٤] وقال تعالى:{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ} [محمد: ٣٠] وقال تعالى:{ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾} [الحجرات: ١٦] وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾} [الحجرات: ١٨] وقال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾} [ق: ١٦] وقال تعالى:{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ} [ق: ٤٥] وقال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ} [النجم: ٣٠] وقال تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ} [النجم: ٣٢] وقال تعالى:{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤] وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾} [المجادلة: ٧] وقال تعالى:{تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} [الممتحنة: ١] وقال تعالى:{يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾} [التغابن: ٤] وقال تعالى:{عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ} [سبأ: ٣] وقال تعالى:{ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾} [التغابن: ١٨] وقال تعالى:{لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا} [الطلاق: ١٢] وقال تعالى:{وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [الملك: ١٣ - ١٤] وقال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾} [القلم: ٧] وقال تعالى:{عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾} [الجن: ٢٦ - ٢٨] وقال تعالى:{ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ}

[المزمل: ٢٠] الآية وقال تعالى:{إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ} [الأعلى: ٧] وقال:{قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗا} [النور: ٦٣] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾} [لقمان: ٣٤] وقال تعالى:{لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ} [النساء: ١٦٦] وقال تعالى:{ ۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ} [فصلت: ٤٧] وقال تعالى:{فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ} [هود: ١٤] وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١٨١]،{إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

[التوبة: ٢٨]،{إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [لقمان: ٣٤]،{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: ١١]،{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: ٣٥]،{إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} [الأنفال: ٤٣] ولو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم الله عز وجل لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية.

وفي الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول:{**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر (ثم يسميه بعينه) خيرًا لي في عاجل أمري وآجله - أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به**}(١).

(١) (صحيح) البخاري [١١٠٩].

وفيهما من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار:{**فيسألهم وهو أعلم بهم**}(١).

وفيهما دعاء الكرب:{**لا إله إلا الله العليم الحليم**}(٢).

وفيهما من حديث الذي أوصى أن يحرق ويذري ثم قال: لم فعلت قال: من خشيتك وأنت أعلم(٣).

وفيهما من حديث قصة موسى والخضر:{**أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أى الناس أعلم؟، فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله**} وفي رواية:{**إليه**} وفيه قول الخضر رضى الله عنه :{**يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه**}إلى أن قال:{**فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره**} وفي رواية:{**إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**}(٤).

وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**}(٥).

(١) (صحيح) البخاري [٥٣٠] مسلم [٦٣٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٩٠] مسلم [٢٧٣٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٦٧] مسلم [٢٧٥٦].
(٤) (صحيح) البخاري [٤٤٥٠] مسلم [٢٣٨٠].
(٥) (صحيح) البخاري [٤٤٢٠].

وفيهما من حديث أبي موسى الأشعري:{**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني**}(١) إلى غير ذلك من الأحاديث.

وكما أخبر الله تعالى عن علمه بما كان وما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه:{وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾} [الأنعام: ٨ - ٩] وقال تعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت: ٤٤] الآية، وقال تعالى:{وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾} [الأنعام: ١٠٩ - ١١٠] وقال تعالى:{وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾} [الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩] إلى غير ذلك وقال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها:{لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾} [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالى:{مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾} [المؤمنون: ٩١ - ٩٢] وقال تعالى:{قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾} [الإسراء: ٤٢ - ٤٣] إلى غير ذلك.

وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علم أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علمًا، وحاربوا نصوص الكتاب والسنة وجميع سلف الأمة فليس معبودهم هو العليم الخبير

(١) (صحيح) البخاري [٦٠٣٥] مسلم [٢٧١٩].

الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة لـه ولا وجود، فليصفوه بما شاءوا فبعدًا للقوم الظالمين.

الافتقار إلى الله عز وجل

٤٦- وهو الغني بذاته سبحانه ::: جل ثناؤه تعالى شأنه

٤٧- وكل شيء رزقه عليه ::: وكلنا مفتقر إليه

(**وهو الغني بذاته**) فله الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء (**سبحانه**) وبحمده تنزيهًا لـه وتحميدًا (**جل ثناؤه تعالى شأنه**) تعظيمًا لـه وتمجيدًا (**وكل شيء رزقه عليه**) لا رازق لـه سواه ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله (**وكلنا**) معشر المخلوقات (**مفتقر إليه**) لا غنى لنا عنه طرفة عين، فكما أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا به فهي مفتقرة إليه في قيامها فلا قوام لها إلا به فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فللخالق مطلق الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قال الله عز وجل :{۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾} [فاطر: ١٥ - ١٧] وقال تعالى:{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾} [التغابن: ٥ - ٦] وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾} [الحج: ٦٣ - ٦٤] وقال تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} [الأنعام: ١٤] وقال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]

وقال تعالى:{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١)} [النساء: ١٣١] وقال تعالى ردا على اليهود:{لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} [آل عمران: ١٨١] وقال ردًا عليهم أيضًا:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤] وقال تعالى ردا على المنافقين:{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)} [المنافقون: ٧] وقال تعالى:{قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)} [الإسراء: ١٠٠].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا يخبر تعالى بكمال غناه عن خلقه، وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع ولا ينقصه معصية من عصى، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلقهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم، ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نَفَسٍ من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد.

وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله محمد ﷺ :{**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل**

واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه}(١) رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه.

وفي رواية الترمذي:{**يقول الله** عز وجل : **يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلامن أغنيت فسلوني أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من عافيت، فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت لـه ولا أبالي، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد، عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول لـه: كن فيكون}**(٢).

(١) (صحيح) مسلم [٢٥٧٧].
(٢) (سنده ضعيف) الترمذي في سننه [٢٤٩٥] به: شهر بن حوشب: ضعيف.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء**[١] **الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه**}[٢].

وروى أبو داود بإسناد جيد من حديث عائشة رضى الله عنها في الاستسقاء وفيه قول رسول الله ﷺ :{**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغًا إلى حين**}[٣].

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله عز وجل : أيؤمل غيري للشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم، ويرجى غيري ويطرق بابه بالبكرات وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني، من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به، أو من ذا الذي رجاني لعظم فقطعت به، أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له، أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني، أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي فما يمنع المؤملين أن يؤملوني، لو جمعت أهل السماوات والأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة، كيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي، ويا بؤسًا لمن عصاني وتوثب على محارمي. انتهى[٤].

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: ضبطوا (سحاء) بوجهين أحدهما سحاء بالتنوين على المصدر وهذا هو الأصح الأشهر، والثاني حكاه القاضي (سحاء) بالمد على الوصف ووزنه فعلاء صفة لليد. (والسحّ) الصب الدائم، شرح مسلم (٧ج/ص٨٠).

(٢) (صحيح) البخاري [٤٤٠٧] مسلم [٩٩٣].

(٣) (سنده حسن) سنن أبي داود [١١٧٣] ابن حبان [ج٣ - ٩٩١] المستدرك [١٢٢٥].

(٤) (من الإسرائيليات) انظر تفسير الرازي [ج١ - ص٦٦] تفسير الفاتحة [آية ٧] وانظر حلية الأولياء [ج١٠ - ص ١٨٧] ترجمة: عبد الله بن خبيق. وانظر جامع الأحاديث [٣٤٥٠٧] وانظر كنز العمال [٤٣٧٥٥].

وجاء في بعض ألفاظ حديث النزول من:{**يقرض غير عديم ولا ظلوم**}(١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا لو أردنا استقصاءها لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية، فسبحان من وسع خلقه بغناه، وافتقر كل شيء إليه وهو الغني عما سواه:{وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ } [لقمان: ١٢].

تكليم الله عبده موسى

٤٨ – كلم موسى عبده تكليما ::: ولم يزل بخلقه عليما

أى ومما أثبته ربنا عز وجل لنفسه وأثبته لـه رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال الله عز وجل في سورة البقرة:{ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ } [البقرة: ٢٥٣] وقال في سورة النساء:{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤] فأكده بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح، وقال تعالى في سورة الأعراف:{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾} [الأعراف: ١٤٣ - ١٤٥] وقال تعالى في سورة مريم:{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾} [مريم: ٥١ - ٥٣]

(١) (صحيح) مسلم [٧٥٨].

وقال تعالى: في سورة طه:{وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾} [طه: ٩ - ١٧] إلى قوله:{أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ} [طه: ١٩] إلى قوله:{قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾} [طه: ٢١] إلى آخر الآيات وقال في سورة الشعراء:{وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾} [الشعراء: ١٠ - ١١] الآيات، وقال تعالى في سورة النمل:{إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ} [النمل: ٧ - ١٢] الآيات، وقال تعالى في سورة القصص:{۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾} [القصص: ٢٩ - ٣٢]

الآيات، والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى:{**أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه...**}(١) الحديث.

وفيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم رضى الله عنه :{**ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله**} وفي رواية:{**ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا**} وفي رواية:{**ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيًا**}(٢).

فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليمًا، وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه، وأخبر عنه رسوله محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأي كلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وأي بيان أوضح من بيان الله ورسوله، وبأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك:{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ} [الجاثية: ٦] وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء، أسمعه موسى رضى الله عنه كيف شاء وعلى ما أراد، وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول:{وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [الأعراف: ٢٢] وأن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣].

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٤٠] مسلم [٢٦٥٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٢٠٦، ٦١٩٧، ٦٩٧٥، ٧٠٠٢، ٧٠٧٨] مسلم [١٩٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال:{**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقولـه كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير...**}(١) الحديث.

وفيهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ويوضع لـه القبول في الأرض**}(٢).

وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى:{۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾} [المائدة: ١٠٩] وقال تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾} [سبأ: ٤٠ - ٤١]، وقال تعالى:{ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾} [النمل: ٨٣ - ٨٥] وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾} [القصص: ٦٢] وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾} [القصص: ٦٥] وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال تعالى:{ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾} [يس: ٥٨] وأنه يقول لأهل النار:{ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ } [المؤمنون: ١٠٨] والقرآن ممتلىء بذلك.

(١) (صحيح) البخاري [٤٥٢٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٤٧] مسلم [٢٦٣٧].

وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان...**}(١)، الحديث.

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى:{**يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**}(٢).

وفيه تعليقٌ عن جابر عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**}(٣).

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**}(٤).

وفيه عنه رضى الله عنه قال:{**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا أنا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**}(٥).

وفيه من حديث الشفاعة يقول:{الله عز وجل : **من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجوه...**}(٦) الحديث.

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٠٥] مسلم [١٠١٦].

(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٤٥] مسلم [٢٢٢].

(٣) (سنده ضعيف)البخاري تعليقا بصيغة التمريض [٧٠٤٣] البخاري في خلق أفعال العباد [٣٣٩] أحمد في المسند [١٦٠٨٥] الحاكم [٨٧١٥/٣٦٣٨] مسند الحارث [٤٤] الآحاد والمثاني [٢٠٣٤] معرفة الصحابة لأبي نعيم [٣٥٤٢] الأسماء والصفات للبيهقي [١٣١/ ٦٠٠] مساوئ الأخلاق للخرائطي [٦٠١] وعلته: عبد الله بن محمد بن عقيل: الجمهور على ضعفه.

(٤) (صحيح) البخاري [٣٠٧٢] مسلم [٢٨٢٤].

(٥) (صحيح) البخاري [٦٠٦٠] (قبضت صفيه) أخذت حبيبه المصافي له - كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان ويتعلق به - بالموت. (احتسبه) صبر على فقده وطلب الأجر من الله تعالى وحده.

(٦) (صحيح) البخاري [٧٠٧٢] مسلم [١٩٣].

وفيه من حديث آخر أهل الجنة دخولا الجنة:{**فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها**}(١) وفيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى:{**لتتبع كل أمة ما كانت تعبد**}(٢) وقوله عز وجل للمؤمنين:{**أنا ربكم**}.

وفيه في باب كلام الرب عز وجل مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**}(٣).

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال الله تعالى:{**أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه**}(٤).

وفيهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه : يقول الله عز وجل :{**إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها...**}(٥) الحديث.

وفيهما من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال:{**خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم، فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك...**}(٦) الحديث.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٠٢] مسلم [١٨٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٣٠٥] مسلم [١٨٣].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٨٠] مسلم [٢٨٢٩].
(٤) (سنده صحيح) ابن ماجه [٣٧٩٢] مسند أحمد [١٠٩٨٩] المستدرك [١٨٢٤] (تحركت بي) أي باسمي.
(٥) (صحيح) البخاري [٧٠٦٢] مسلم [١٢٨].
(٦) (صحيح) البخاري [٧٠٦٣] مسلم [٢٥٥٤].

وفيه من حديثه أن رسول الله ﷺ قال:{**قال الله** عز وجل : **إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه**}(١).

وفيه من حديثه أن رسول الله ﷺ قال:{**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي**}(٢).

وفيه من حديثه أيضًا في قصة المذنب المستغفر الحديث وفيه:{**فقال ربه: أعلمَ عبدي أن لـه ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي...**}(٣) وذكر الحديث.

وفيه من حديث عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال: مطر النبي ﷺ فقال:{**قال الله** عز وجل : **أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي**}(٤).

وفيه من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في ذكر طي الله تعالى السماوات والأرض وفيه:{**ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك...**}(٥) الحديث.

وفيه من حديث عبد الله عن عمر رضى الله عنه أن رجلاً سأله كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال:{**يدنو أحدكم من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقول تعالى: أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**}(٦).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما**

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٦٥].
(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٦٦] مسلم [٢٦٧٥].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٦٨] مسلم [٢٧٥٨].
(٤) (صحيح) البخاري [٧٠٦٤] مسلم [٧١].
(٥) (صحيح) البخاري [٦٩٧٧] مسلم [٢٧٨٨].
(٦) (صحيح) البخاري [٢٣٠٩] مسلم [٢٧٦٨].

فيها أكنت مفتديًا بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك - أحسبه قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك}(١).

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ :**{يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول لا: فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني}**(٢) رواه مسلم والترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب، ومعنى قوله:**{اليوم أنساك كما نسيتني}** اليوم أتركك في العذاب. ا هـ.

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها في قصة الإفك قالت: ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وحيًا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ} [النور: ١١] العشر الآيات(٣).

ولو ذهبنا ننقل الأحاديث في قال الله ويقول ويتكلم وينادي ونحو ذلك لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية.

وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلما بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى:{وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ} [الأحزاب: ٤] وقال:{سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾} [يس: ٥٨] وقال:{إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾} [الطارق: ١٣ - ١٤]

(١) (صحيح) البخاري [٦١٨٩] مسلم [٢٨٠٥].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٦٨] الترمذي [٢٤٢٨] واللفظ له.
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٦١] مسلم [٢٧٧٠].

والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك، وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه قريبًا.

وكلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري تبارك وتعالى قائمة به أزليه باقية ببقائه لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك لم تجدد لـه صفة لم يكن متصفًا بها، ولا تنفد صفة كان متصفًا بها، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

* * *

لاحصر لكلام الله ولا نفاد

٤٩- كلامه جل عن الإحصاء ::: والحصر والنفاد والفناء

٥٠- لو صار أقلاما جميع الشجر ::: والبحر تلقى فيه سبعة أبحر

٥١- والخلق تكتبه بكل آن ::: فنت وليس القول منه فان

قال الله تبارك وتعالى:{قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾} [الكهف: ١٠٩] وقال تعالى:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾} [لقمان: ٢٧].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول الله تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل:{**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**}[1] فقال تعالى:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ} [لقمان: ٢٧] أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا وجعل البحر مدادًا وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله تعالى الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مددًا وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تصدَّق ولا تكذَّب، بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى:{قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾} [الكهف: ١٠٩] فليس المراد بقوله:{بِمِثْلِهِۦ} آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جرّا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته.

(١) (صحيح) مسلم [٤٨٦] (لا أحصي ثناء عليك): لا أحصي نِعَمَك والثناءَ بها عليك، ولا أبْلغ الواجبَ فيها (الثناء): المدح والوصف بالخير.

قال الحسن البصري: لو جعل شجر الأرض أقلامًا وجعل البحر مدادًا، وقال الله تعالى: إن من أمري كذا ومن أمري كذا، لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام.

وقال قتادة: قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ } [لقمان: ٢٧] أى لو كان شجر الأرض أقلامًا ومع البحر سبعة أبحر ما كانت لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

وقال الربيع بن أنس رحمه الله: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ } الآية، يقول: لو كان البحر مدادًا لكلمات الله والأشجار كلها أقلامًا لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدره قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول.

قال: وقد روى أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود، قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير - أو عكرمة - عن ابن عباس رضى الله عنه أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد أرأيت قولك:{وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٨٥] إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ : كلاكما، قالوا ألست تتلو فيما جاءنا أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ :**{إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم}**(١) وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ } [لقمان: ٢٧] الآية، وهكذا روي عن عكرمة وعطاء بن يسار، وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم.

وقوله:{إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠] أى عزيز قد عز كل شيء وقهره

(١) (سنده ضعيف) السيرة لابن إسحاق [ج١ - ص ١٨٤] الطبري في تفسيره [ج ١٠ - ص ٢٢٠] في سنده راو مبهم.

وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف لأمره ولا معقب لحكمه، حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤونه. انتهى.

وعن جويرية رضى الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال:{**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها**} قالت: نعم، قال النبي ﷺ:{**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**} (١) رواه مسلم والأربعة.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال:{**أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر**}(٢).

والأحاديث في الباب كثيرة، والمقصود أن كلمات الله باقية لا تنفد أبدًا تامة لا تنقص أبدًا، وذلك لأن كلامه صفته وليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلامًا والبحار وأضعافها مدادًا يكتب بها كلماته لنفدت كلها وكلماته لا تنفد وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة والمخلوقات من لازمها النفاد والفناء، وكلمات الله صفته وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه وصفاته أزلاً وأبدًا:{كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ} [القصص: ٨٨].

* * *

(١) (صحيح) مسلم [٢٧٢٦].

(٢) (لم أقف عليه) بهذا اللفظ، وأظنه سبق قلم من المصنف رحمه الله فهو في صحيح مسلم [٢٧٠٩] بلفظ: قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِى الْبَارِحَةَ قَالَ: « أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُّكَ ».

كلام الله ليس بمخلوق

٥٢- والقول في كتابه المفصل ::: بأنه كلامه المنزل
٥٣- على الرسول المصطفى خير الورى ::: ليس بمخلوق ولا بمفترى

(**والقول**) الذي نعتقد وندين الله به (**في**) شأن (**كتابه المفصل**) بسكون اللام للرويّ، وهو القرآن وصفة الله تعالى بذلك فقال:{الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾} [هود: ١] وقال تعالى:{كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا } [فصلت: ٣] وقال تعالى:{ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلًا} [الأنعام: ١١٤] وغير ذلك من الآيات (**بأنه كلامه**) حقيقة حروفه ومعانيه ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، قال الله تعالى:{وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: ٦] وقال تعالى:{ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ } [الفتح: ١٥].

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه**}(١) يعني القرآن، رواه أبو داود والحاكم وصححه.

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**} (٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

---

(١) (سنده ضعيف مرسل) الترمذي [٢٩١٢] الزهد لأحمد [١٩٥] السنة لعبد الله بن أحمد [١٠٩] ورواه الحاكم متصلا [٢٠٣٩] ورواته ثقات، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات متصلا [٥٠٣] وخلق أفعال العباد للبخاري [٣٦٦] وقال: هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه.
(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٩٢٦] سنن الدارمي [٣٣٥٦] بسنده: محمد بن الحسن الهمداني: ضعيف، وعطية العوفي: ضعيف.

وروى ابن خزيمة عن نيار بن مكرم الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ رضى الله عنه قال: لما نزلت:{الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣} [الروم: ١ - ٣] إلى آخر الآيتين، خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ:{الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ} [الروم: ١ - ٤] فقال رؤساء مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة، هذا مما أتى به صاحبك؟ قال: لا والله، لكنه كلام الله وقوله، وذكر الحديث(١).

وكان ابن مسعود رضى الله عنه : يقبل المصحف ويقول: كلام ربي، كلام ربي(٢).

وعن عمر رضى الله عنه قال: إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه(٣).

وقال خباب صاحب رسول الله ﷺ : تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه(٤).

---

(١) (سنده حسن) التوحيد لابن خزيمة [٢٠٧] معجم شيوخ الإسماعيلي [٣٤٠] الترمذي [٣١٩٤] الأسماء والصفات [٥١٠].

(٢) (لم أقف عليه من قول ابن مسعود) وإنما هو من قول عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه، رواه عنه الحاكم [٥٠٦٢] والطبراني في الكبير [١٠١٨] وعبد الله بن أحمد في السنة [١١٠] ولفظه: كان عكرمة ابن أبي جهل يأخذ المصحف فيضعه على وجهه وهو يقول (كلام ربي كلام ربي عز وجل) وهو من رواية ابن أبي مليكة عن عكرمة وسنده لابن أبي مليكة صحيح، وهو لم يدرك عكرمة رضى الله عنه.

(٣) (سنده ضعيف) الشريعة للآجري [١٥٣] والدارمي في سننه [٣٤١٨] الإبانة الكبرى [٢٠١٥] وبالسند الليث بن أبي سليم: به ضعف من ناحية حفظه. وفي الزهد لأحمد [١٩٦] من مراسيل الزهري.

(٤) (سنده صحيح) الزهد لأحمد بن حنبل [١٩٧] الشريعة للآجري [١٥٤].

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : القرآن كلام الله، فمن رد منه شيئًا فإنما يرد على الله[١].

وعنه رضى الله عنه قال: إن أحسن الكلام كلام الله[٢]، ويروى ذلك عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ وهو صحيح في الصحيح[٣].

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : ما أحب أن يأتي علي يوم وليلة ولا أنظر في كلام الله، يعني: القراءة في المصحف[٤].

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله [٥].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى:{الٓمٓ} ،{الٓمٓصٓ} ، {الٓر}، {الٓمٓر }،{كٓهيعٓصٓ }، { طه }، {طسٓ}، {طسٓمٓ}، {حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾} وليس كلام الله المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، بل حروفه ومعانيه عين كلام الله.

(**المنزل**) من عند الله عز وجل (**على الرسول المصطفى خير الورى**) محمد ﷺ قال الله تبارك تعالى:{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾} [البقرة: ١٣٦]

(١) (سنده ضعيف)السنة لعبد الله بن أحمد [١١٩] به مجالد بن سعيد: ضعيف.
(٢) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [١٢٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٥٧٤٧] من حديث ابن مسعود بلفظ (إن أحسن الحديث كتاب الله) وعند النسائي بسند صحيح [١٣١١] من حديث جابر بلفظ (أحسن الكلام كلام الله).
(٤) (سنده ضعيف منقطع) السنة لعبد الله بن أحمد [١٢٢].
(٥) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [١٢٥] علته: إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل: ضعيف انظر التقريب [١٤٩].

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧] وقال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} [النساء: ١٠٥] وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ} [النساء: ٦٠] وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)} [النساء: ١٣٦] وقال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥] وقال تعالى: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)} [البقرة: ٩٧] وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} [النساء: ٤٧] الآية، وقال تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} [آل عمران: ١٩٩] الآية، وقال تعالى: {لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} [النساء: ١٦٢] وقال تعالى: {لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)} [النساء: ١٦٦] وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)} [النساء: ١٧٤] وقال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ} [البقرة: ٢٣١] وقال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] وقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ} [المائدة: ٥٩]

وقال تعالى:{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة: ٦٧] وقال تعالى:{وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: ٩٢] وقال تعالى:{ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾} [الأنعام: ١١٤] وقال تعالى:{وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ} [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى:{الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾} [الأعراف: ١ - ٣] وقال تعالى:{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ} [البقرة: ٢٣] وقال تعالى:{ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ } [التوبة: ٨٦] وقال تعالى:{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا} [التوبة: ١٢٤] وقال تعالى:{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟} [التوبة: ١٢٧] وقال تعالى:{فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ} [هود: ١٤] وقال تعالى:{الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾} [إبراهيم: ١] وقال تعالى:{الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾} [يوسف: ١ - ٢] وقال تعالى:{الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ} [الرعد: ١] وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا} [الرعد: ٣٧] وقال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩] وقال تعالى:{ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾} [النحل: ٢] وقال تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ} [النحل: ٨٩] وقال تعالى:{ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ} [النحل: ٦٤] وقال تعالى:{وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤]

وقال تعالى:{ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾} [النحل: ١٠١ - ١٠٢] وقال تعالى:{وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾} [الإسراء: ١٠٥ - ١٠٦] وقال تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا } [الكهف: ١ - ٢] وقال تعالى:{لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾} [الأنبياء: ١٠] وقال تعالى:{ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾} [الأنبياء: ٥٠] وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾} [الحج: ١٦] وقال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ} [طه: ١١٣] وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾} [النور: ٣٤] وقال تعالى:{ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾} [النور: ٤٦] وقال تعالى:{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾} [الفرقان: ١] وقال تعالى:{ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾} [الفرقان: ٦] وقال تعالى:{وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] الآيات، وقال تعالى:{ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾} [النمل: ٦] وقال تعالى:{طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾} [القصص: ١ - ٣] وقال تعالى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ } [لقمان: ٢١] وقال تعالى:{الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} [السجدة: ١ - ٣] وقال تعالى:{ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [الأحزاب: ٢] وقال تعالى:{ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ} [سبأ: ٦] وقال تعالى:{ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾} [يس: ٥] وقال تعالى:{تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾} [الجاثية: ٢]،{إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ }

[النساء: ١٠٥] وقال تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ} [الزمر: ٤١] وقال تعالى: {وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم} [الزمر: ٥٥] وقال تعالى: {حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾} [غافر: ١ - ٢] وقال تعالى: {حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾} [فصلت: ١ - ٣] وقال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤١ - ٤٢] وقال تعالى: {وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ} [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى: {كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾} [ص: ٢٩] وقال تعالى: {حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ}

[الدخان: ١ - ٣] وقال تعالى: {تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾} [الزمر: ١] وقال تعالى: {۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾} [الواقعة: ٧٥ - ٨٠] وقال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥] وقال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ} [الحديد: ٩] وقال تعالى: {فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا} [التغابن: ٨] وقال تعالى: {وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾} [القلم: ٥١ - ٥٢] وقال تعالى: {فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾} [الحاقة: ٣٨ - ٤٣] وقوله تعالى في هذه الآية: {إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾} [الحاقة: ٤٠] يعني به محمدًا ﷺ، وفي سورة التكوير يعني به: جبريل، ومعنى الإضافة في كلتا الآيتين إنما هو التبليغ؛ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسل، لا أن القرآن كلام الرسول الملَكي ولا البشري كما بين تعالى ذلك بقوله: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾} [الواقعة: ٨٠] وقال تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾} [القدر: ١]

وقال تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢} [الرحمن: ١ - ٢] وقال تعالى:{ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ} [يوسف: ٣] وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا} [الشورى: ٥٢].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلام الله وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه، وإيجازه وإعجازه يرشد إلى أنه كلام الخالق عز وجل وصفته، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله، وقد أقر بذلك كل عاقل حتى المشركون كما قال أكفر قريش الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه رسول الله ﷺ القرآن، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر لـه، قال: وماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعرفه بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقولـه الذي يقولـه حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إنْ هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت:{ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣} [المدثر: ١١ - ١٣] الآيات، رواه البيهقي وغيره [١].

ويروى عن عتبة حين قرأ عليه رسول الله ﷺ حم السجدة نحو ذلك[٢] وكذا أبو جهل قبحهم الله، فتبين بهذا أن قولهم فيه: سحر، شعر، كهانة، وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عنادًا ومكابرة، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طوق أحد من البشر.

---

(١) (سنده صحيح) الحاكم [٣٨٧٢] البيهقي في الشعب [١٣٤] وفي الدلائل [٥٠٥].

(٢) (سنده حسن لغيره) مصنف ابن أبي شيبة [٣٦٥٦٠] المستدرك للحاكم [٣٠٠٢] مسند أبي يعلى [١٨١٨] مسند عبد بن حميد [١١٢٣] الدلائل للبيهقي [٥٠٨] والدلائل للأصبهاني [٣٠٧] والاعتقاد للبيهقي [٢٥٢].

ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزلـه بعلمه وشهد به، ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عز وجل وتنزيله، وأنه تكلم به قولاً وأنزله على رسوله وحيًا، ولا نقول: إنه حكاية عن كلام الله عز وجل أو عبارة بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتم المرسلين، وكل منهما مبلغ عن الله عز وجل ، والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، قال الله تعالى:{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة: ٦٧] وقال تعالى:{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾} [المائدة: ٩٢] وقال تعالى:{فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ } [النور: ٥٤] وقال تعالى:{ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ} [الشورى: ٤٨] وقال تعالى:{قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ} [الجن: ٢٢ - ٢٣] والآيات في هذا كثيرة جدًا، يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤدٍ لما أرسله به، وهذا يعرفه كل أحد يعقل لفظة (رسول) فإن الرسول لا بد لـه من مرسِل برسالاته، فالمرسِل الله عز وجل ، والرسالة هي القرآن، والمرسَل محمد ﷺ المبلغ رسالة ربه.

وقال أنس: بعث النبي ﷺ خاله حرامًا إلى قومه وقال: أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فجعل يحدثهم(١).

وقال المغيرة رضى الله عنه : أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة(٢).

(١) (صحيح البخاري [٣٨٦٤].
(٢) (صحيح البخاري [٧٠٩٢].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول:{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ} [المائدة: ٦٧] (١).

وفي خطبته في موقف الحج الأكبر قال ﷺ :**{وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت}** وفيها إشارته بيده إلى السماء قائلاً:**{اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد}** (٢) قالها مرارًا.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال:**{لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لـه رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لـه حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح يقول يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك}**(٣)متفق عليه.

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٩٣].
(٢) (صحيح) مسلم [١٢١٨].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٩٠٨] مسلم [١٨٣١] واللفظ لمسلم.

وكان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويقول:{**إني رسول الله وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي**}(١) وغير ذلك من الأحاديث، يخبر ﷺ أنه مخبر عن الله ومبلغ رسالته وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغ لأمر الله ونهيه وخبره، وإنه لم يقل شيئًا من عند نفسه فيقول: هو من عند الله، ومن اعتقد ذلك فهو كافر من حزب أبي جهل والوليد بن المغيرة وملأهم، قال الله عز وجل :{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)} [الحاقة: ٤٤ - ٥٢].

(**ليس بمخلوق**) كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحادية والجهمية والمعتزلة وغيرهم تعالى الله عز وجل عن أن يكون شيئا من صفاته مخلوقًا، قال الله عز وجل :{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢] وقال تعالى:{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى:{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)} [يس: ٨٢] فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه وقال:{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)} [النحل: ٤٠] فكن من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق، والشيء المراد المقول لـه:{**كن**} مخلوق، وقال تعالى:{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)} [آل عمران: ٥٩] فعيسى وآدم مخلوقان بكن و:{**كن**} قول الله صفة من صفاته، وليس الشيء المخلوق هو كن، ولكنه كان بقول الله لـه: كُنْ، وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا يخلو قولـه من إحدى ثلاث: إما أن يقول: إنه خلقه في ذاته، أو في غيره أو منفصلاً مستقلاً وكل الثلاث كفر صريح، لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلاً للمخلوقات، وإن قال: إنه خلقه في

(١) (سنده صحيح) أحمد [١٤٤٩٦].

غيره فهو كلام ذلك الغير فيكون القرآن على هذا كلام كل تال لـه وهذا قول الوليد بن المغيرة فيما حكى الله عنه حيث قال تعالى:{إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾} [المدثر: ١٨ - ٢٩] الآيات، وإن قال: إنه خلقه منفصلاً مستقلاً فهذا جحود لوجوده مطلقًا إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم، كما لا يعقل سمع بدون سميع، ولا بصر بدون بصير، ولا علم بدون عالم، ولا إرادة بدون مريد، ولا حياة بدون حي إلى غير ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا، فهذه الثلاث لا خروج لزنديق منها ولا جواب لـه عنها فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

* * *

أصل القول بخلق القرآن

وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان شقيق إبليس لعنهما الله وكان ملحدًا عنيدًا وزنديقًا زائغًا مبتغيًا غير سبيل المؤمنين لم يثبت أن في السماء ربّا ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه وينتهي قولـه إلى جحود الخالق عز وجل ، ترك الصلاة أربعين يومًا يزعم يرتاد دينًا، ولما ناظره بعض السُّنَّةِ في معبوده قال قبحه الله: هو هذا الهواء في كل مكان، وافتتح مرة سورة طه فلما أتى على هذه الآية:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه: ٥] قال: لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتها، ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال: ما كان أظرف محمدًا حين قالها، ثم افتتح سورة القصص فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحف ثم قال: أى شيء هذا ذكره ههنا فلم يتم ذكره وذكره ههنا فلم يتم ذكره.

وقد روى عنه غير هذا من الكفريات، وهو أذل وأحقر من أن نشتغل بترجمته، وقد يسر الله تعالى ذبحه على يد سالم بن أحوز بأصبهان وقيل: بمرو، وهو يومئذ نائبها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيرًا.

وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم لكنه لم يشتهر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم، فإن الجعد لما أظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ولم يكن لـه كثير أتباع غيره، ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسري الأمير، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالدًا خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا تقبَّل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى

تكليمًا تعالى الله عما يقولـه الجعد علوّا كبيرًا، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، روى ذلك البخاري في كتابه خلق أفعال العباد[(١)]، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة لـه وغيرهما، وهو مشهور في كتب التواريخ، وذلك سنة أربع وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالون ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وأنزل الله تعالى في ذلك سورة المعوذتين [(٢)]. ثم تقلد هذا المذهب المخذول عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المتكلم، شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدد القول بخلق القرآن ويقال: إن أباه كان يهوديّا صباغًا بالكوفة وروى عنه أقاويل شنيعة في الدين من التجهم وغيره، مات سنة ثماني عشرة ومائتين.

ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي دواد وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن، وعلى أن الله لا يرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك، وقد ابتلاه الله تعالى بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين، ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيله فليقرأ كتب التواريخ ير العجب.

* * *

(١) انظر العلو للذهبي [٣٦٠] والســـنن الكبرى للبيهقي [٢١٤١٣] الرد على الجهمية للدارمي [٣٨٧] والتاريخ الكبير للبخاري [١٤٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٠٩٥] مسلم [٢١٨٩].

ذكر ما قاله أئمة السنة
في مسألة القرآن وحكم الجهمية

قال إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله، وقال: إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه، وقال رحمه الله تعالى من قال: إن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله قال الله تعالى:{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ} [آل عمران: ٦١] وقال تعالى:{وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾} [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى:{وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾} [البقرة: ١٤٥] وقال تعالى:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى:{وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ} [هود: ١٧] قال أحمد قال سعيد بن جبير: والأحزاب الملل كلها:{فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ} [هود: ١٧] وقال تعالى:{وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ} [الرعد: ٣٦] وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾} [الرعد: ٣٧] وقال رحمه الله تعالى: من قال ذاك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها فإن صلى خلفه أعاد الصلاة، يعني من قال القرآن مخلوق، وقال رحمه الله تعالى: إذا كان القاضي جهميًا فلا تشهد عنده.

وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار والقدرية كفار.

وقال سلمان التيمي رحمه الله تعالى: ليس قومٌ أشد بغضًا للإسلام من الجهمية والقدرية، فأما الجهمية فقد بارزوا الله، وأما القدرية فإنهم قالوا في الله.

وقال سلام بن أبي مطيع: الجهمية كفار لا يصلى خلفهم.

وقال خارجة: الجهمية كفار بلغوا نساءهم أنهن طوالق وأنهن لا يحللن لأزواجهن، لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا:{طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾} [طه: ١ - ٣] إلى قولـه:{ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥].

وقال مالك رحمه الله: من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: من زعم أن قول الله:{يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾} [النمل: ٩] مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم، وقال أيضًا: من قال إن:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾} [الإخلاص: ١ - ٢] مخلوق فهو كافر.

وقال أبو يوسف القاضي: صنفان ما على وجه الأرض شر منهما الجهمية والمقاتلية.

قلت: وأظنه يعني بالمقاتلية أتباع مقاتل بن سليمان البلخي فإنه رماه الإمام أبو حنيفة بالتشبيه؛ فإنه قال: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه، وتابع أبا حنيفة على ذلك جماعة من أئمة الجرح والتعديل من أقرانه كأبي يوسف وغيره فمن بعدهم حتى قال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوق، وكذبه وكيع وغيره والله أعلم بحاله، قال وكيع: مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة. اهـ.

وقال عبد الله بن المبارك: الجهمية كفار، وقال ليس تعبد الجهمية شيئًا وقال: من قال: القرآن المخلوق، فهو زنديق، وقال: إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصاري ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية.

وقال سفيان بن عيينة: القرآن كلام الله، من قال مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر، وقال: من قال القرآن مخلوق يحتاج أن يصلب على ذباب، يعني جبل.

وقال عبد الله بن إدريس رحمه الله وقد سئل: ما تقول في الجهمية يصلي خلفهم؟ فقال: أمسلمون هؤلاء؟ أمسلمون هؤلاء؟ لا ولا كرامة، لا يصلى خلفهم، وقال لـه رجل: يا أبا محمد إن قبلنا ناسًا يقولون القرآن مخلوق، فقال: من اليهود؟ قال: لا، قال فمن النصارى؟ قال لا، قال فمن المجوس؟ قال لا، قال فمن؟ قال: من الموحدين، قال: كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة هؤلاء زنادقة، وقرأ ابن إدريس (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) فقال: الله مخلوق؟ والرحمن مخلوق والرحيم مخلوق؟ هؤلاء زنادقة، وسئل عن قوم يقولون القرآن مخلوق فاستشنع ذلك وقال: سبحان الله شيء، منه مخلوق؟ وقال وكيع فإني أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلته، وقال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، ومن زعم أنه محدث فقد كفر، وقيل لـه: إن فلانًا يقول: إن القرآن محدث، فقال: سبحان الله، هذا الكفر.

قال السويدي وسألت وكيعًا عن الصلاة خلف الجهمية، فقال: لا تصل خلفهم، وقال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وقال زهير بن حرب: اختصمت أنا ومثنى فقال مثنى: القرآن مخلوق، وقلت أنا كلام الله، فقال وكيع وأنا أسمع: هذا كفر، وقال من قال القرآن مخلوق: هذا كفر، فقال مثنى: يا أبا سفيان قال الله:{مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ} [الأنبياء: ٢]

فأيش هذا؟ فقال وكيع: من قال القرآن مخلوق هذا كفر، وقال: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وقال رحمه الله: القرآن كلام الله أنزلـه جبريل على محمد ﷺ كل صاحب هوى يعرف الله ويعرف من يعبد، إلا الجهمية لا يدرون من يعبدون بشر المريسي وأصحابه.

وقيل لوكيع في ذبائح الجهمية، قال: لا توكل هم مرتدون، وقال: من قال: إن كلامه ليس منه فقد كفر، وقال: من قال: إن منه شيئًا مخلوقًا فقد كفر.

وقال فطر بن حماد: سألت معتمر بن سليمان فقلت: يا أبا محمد إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال: ينبغي أن تضرب عنقه، قال فطر: وسألت حماد بن زيد فقلت: يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول: القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال: صل خلف مسلم أحب إلى، وسألت يزيد بن زريع فقلت: يا أبا معاوية إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ قال: لا ولا كرامة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وقال مرة: لا أرى أن أستتيب الجهمية، وقال رحمه الله: لو كان لي من الأمر شيء لقمت على الجسر فلا يمر بي أحد من الجهمية إلا سألته عن القرآن فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء.

وقال أبو بكر بن الأسود: لو أن رجلاً جهميّا مات وأنا وارثه ما استحللت أن آخذ من ميراثه.

وقال أبو يوسف القاضي: جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني: مخلوق.

وقال يزيد بن هارون وذكر الجهمية فقال: هم والله زنادقة، عليهم لعنة الله، وقال رحمه الله: والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة من قال القرآن مخلوق فهو زنديق، وسئل عن الصلاة خلفهم قال لا.

وقال معاذ بن معاذ: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

وقال شبابة بن سوار: اجتمع رأي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم وجماعة من الفقهاء على أن المريسي كافر جاحد نرى أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وكان أبو توبة الحلبي ونعيم بن حماد وإبراهيم بن مهدي يكفرون الجهمية.

وقال بشر بن الحارث: لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال يعني الجهمية.

وقال ابن أبي مريم: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر.

وقال أبو الأسود النضر بن عبد الجبار: القرآن كلام الله، من زعم أنه مخلوق فهو كافر، هذا كلام الزنادقة.

وقال عباد بن العوّام: كلمت بشرًا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وقال عمرو بن الربيع بن طارق: القرآن كلام الله من زعم أنه مخلوق فهو كافر.

وقال هارون أمير المؤمنين: بلغني أن بشرًا المريسي يزعم أن القرآن مخلوق، لله علي أن أظفرني الله به إلا قتلته قتلة ما قتلتها أحدًا قط.

وقال هارون بن معروف: من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنمًا.

وقال يحيى بن معين رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

وقال رجل لهشيم: إن فلانًا يقول القرآن مخلوق، فقال: اذهب إليه فاقرأ عليه أول الحديد وآخر الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه، وقال أبو هاشم الغساني مثله.

وقال أبو عبيد: من قال القرآن مخلوق فقد افترى على الله وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى.

وقال إسحاق بن البهلول لأنس بن عياض أبي ضمرة: أصلي خلف الجهمية؟ قال لا:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾} [آل عمران: ٨٥].

وسئل عيسى بن يونس رحمه الله عمن يقول: القرآن مخلوق، فقال: كافر، أو كفر، فقيل له: تكفرهم بهذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسر أو أحسن ما يظهرون.

وكان يحيى بن معين رحمه الله يعيد صلاة الجمعة مذ أظهر عبد الله بن هارون المأمون ما أظهر، يعني القول بخلق القرآن.

وقال الحسين بن إبراهيم بن أشكاب وعاصم بن علي بن عاصم وهارون الفروي وعبد الوهاب الوراق وسفيان بن وكيع: القرآن كلام الله وليس بمخلوق.

وسئل جعفر بن محمد رحمه الله عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله.

وروى عن أبيه علي بن الحسين أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

وقال الزهري: سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال: كتاب الله وكلامه.

وعن إبراهيم بن سعد وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي ووهب بن جرير وأبي النضر هاشم بن القاسم وسليمان بن حرب قالوا: القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

وقال سفيان بن عيينة: لا نحسن غير هذا، القرآن كلام الله:{فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: ٦]،{يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [الفتح: ١٥].

وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: كلام الله وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق.

وقال حماد بن زيد رحمه الله: القرآن كلام الله أنزلـه جبريل من عند رب العالمين.

وقال أبو بكر بن عياش: من زعم أن القرآن مخلوق فقد افترى على الله.

وقال وكيع: القرآن من الله، منه خرج وإليه يعود.

وقال يحيى بن سعيد: كيف يصنعون بقل هو الله أحد، كيف يصنعون بهذه الآية:{إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ} [القصص: ٣٠] يكون مخلوقًا؟

وقال وهب بن جرير ومحمد بن يزيد الواسطي وابن أبي إدريس وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه عثمان بن أبي شيبة وأبو عمر الشيباني ويحيى بن أيوب وأبو الوليد وحجاج الأنماطي ويحيى بن معين وأبو خيثمة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو معمر: القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

وقال أبو عمرو الشيباني لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة - وقال القرآن مخلوق - فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به؟ قال فسكت.

وقال حسن بن موسى الأشيب أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥} [الفاتحة: ٥] فقال حسن: مخلوق هذا؟

وقال محمد بن سليمان لوين: القرآن كلام الله غير مخلوق، ما رأيت أحدًا يقول القرآن مخلوق، أعوذ بالله. ا هـ. من كتاب السنة(١).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته: القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال عفان بن مسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:{يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} [الفتح: ١٥]،{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]،{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١} [الإخلاص: ١] أمخلوق هذا؟ أدركت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون: القرآن كلام الله ليس مخلوقًا.

وقال يحيى بن يحيى: من زعم أن من القرآن من أولـه إلى آخره آية مخلوقة فهو كافر.

وقال هشام بن عبيد الله: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال لـه رجل: أليس الله تعالى يقول:{مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ} [الأنبياء: ٢] فقال: محدث إلينا، وليس عند الله بمحدث. وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رحمه الله: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيء خرج من الرب عز وجل مخلوقًا.

وقال أبو جعفر النفيلي: من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر، فقيل لـه: يا أبا جعفر الكفر كفران، كفر نعمة وكفر بالرب عز وجل ؟ قال: لا بل كفر بالرب عز وجل ، ما تقول فيمن يقول (الله أحد الله الصمد) مخلوق، أليس كافرًا هو؟

وقال عبدالله بن محمد العيشي: يستحيل في صفة الحكيم أن يخلق كلامًا يدعي الربوبية، يعني قولـه تعالى:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ} [طه: ١٤] وقولـه:{أَنَا رَبُّكَ} [طه: ١٢] قلت: والمعتزلة يقولون إن كلام الله لموسى خلقه في الشجرة، فعلى هذا تكون الشجرة هي القائلة:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} [طه: ١٤]

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل [١٦٨].

قبحهم الله في الدنيا والآخرة.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع صفاته، وحيث تصرف.

وأما كلام البخاري رحمه الله تعالى ومتانته في هذه المسألة فأشهر من أن يحتاج إلى تعريف، ولـه في ذلك (كتاب: خلق أفعال العباد) وقد بوَّب في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة علمه وجلالة شأنه.

وقال أبو حاتم وأبو زرعة: أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من مذاهبم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقال محمد بن أسلم الطوسي: القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تُلِيَ وحيثما كتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل. ا هـ من العلو للذهبي(١).

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى رضى الله عنه : وتكلم الله بالوحي وصفة نزول الوحي وتكليم الله عباده يوم القيامة وتقرير البحث في ذلك، ثم قال باب ذكر البيان في كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ ومن سنة نبينا محمد ﷺ على الفرق بين كلام الله عز وجل الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه، وقولـه والدليل على نبذ قولـه الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله تعالى مخلوق، جل ربنا وعز عن ذلك، قال الله سبحانه وتعالى:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] ففرق الله تعالى بين الخلق

(١) انظر العلو للذهبي [٥٠٢].

والأمر الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف وأعلمنا الله جل وعلا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه، وقولـه:{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾} [النحل: ٤٠] فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مكون من خلقه بقولـه: كن فيكون وقولـه:{كن} هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه عز وجل الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونًا بكلامه فافهم ولا تغلط ولا تغالط، ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أن يكون الشيء بقولـه: كن أن القول الذي هو كن غير المكون بكن المقول لـه: كن، وعقل عن الله أن قولـه: كن لو كان خلقًا، ما زعمت الجهمية المفترية على الله أنه إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق لو كان قولـه: كن خلقا فيقال لهم: يا جهلة، فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقًا بم يكونه؟ أليس قود مقالتكم التي تزعمون أن قولـه: كن إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلق حتى يصير إلى ما لا غاية لـه ولا عدد ولا أول، وفي هذا إبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية وإحداث ما لم يكن قبل، بحدث الله الشيء ونشئه، وهذا قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه ووفق لإدراك الصواب والرشاد، قال الله سبحانه وتعالى:{وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ} [الأعراف: ٥٤] فهل يتوهم مسلم أن الله تعالى سخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه، أليس مفهومًا عند من يعقل عن الله خطابه - أن الأمر الذي سخر به غيرُ المسخر بالأمر وأن القول غيرُ المقول لـه؟ فتفهموا يا ذوي الحجا عن الله خطابه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانه، لا تصدوا عن سواء السبيل فتضلوا كما ضلت الجهمية عليهم لعائن الله، فاسمعوا الآن الدليل الواضح البين غير المشْكِلِ من سنة النبي ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه على الفرق بين خلق الله وبين كلام الله تعالى.

ثم ساق الأحاديث في ذكر كلمات الله تعالى إلى حديث:{**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**}[١] ثم قال: أفليس العلم محيطًا يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه، هل سمعت عالمًا يجيز أن يقول: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله، أو يجيز أن يقول: أعوذ بالصفا والمروة أو أعوذ بعرفات أو منى من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه، ثم ساق بحثًا طويلاً فليراجع منه.

وقال أبو معاوية بن خازم الضرير رحمه الله: الكلام فيه بدعة وضلالة، ما تكلم فيه النبي ﷺ ولا الصحابة رضى الله عنه ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم الله تعالى، يعني: قول القرآن مخلوق[٢].

وذكر عند أبي نعيم هو الفضل بن دكين من يقول القرآن مخلوق، فقال: والله ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم.

وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره ولو أردنا استيعابه لطال الفصل، وقد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت الله عز وجل لنفسه وأثبته رسوله ﷺ والصحابة فمن بعدهم ونفى التكييف عنها، لا سيما في مسألة العلو وفي هذه المسألة مسألة القرآن وتكليم الله تعالى موسى، لأنها أول ما جحده الزنادقة قبحهم الله تعالى، وفي ذكر من سمينا كفاية، ومن لم نسم منهم أضعاف ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، من الله بدأ وإليه يعود، وتقلدوا كفر من قال بخلق القرآن ومنعوا

(١) (صحيح) مسلم [٢٧٠٩].

(٢) قال صاحب العقيدة الطحاوية رحمه الله: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَا بِلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ككَلامِ الْبَرِيَّةِ. فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾} [المدثر: ٢٦] فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ:{إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾} [المدثر: ٢٥] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ رب البشر، وَلا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ.

الصلاة خلفه وأفتوا بضرب عنقه وبتحريم ميراثه على المسلمين وحرموا ذبيحته وجزموا أنها ذبيحة مرتد لا تحل للمسلمين، فانظر - أيها المنصف - أقوالهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب والسنة هل تجدهم حادوا عنها قيد شبر، أو قدموا عليها قول أحد من الناس كائنًا من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ الله، بل بها اقتدوا ومنها تضلعوا، وبنورها استضاءوا وإياها اتبعوا، فهداهم الله بذلك لما اختلفت فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم:

هذا مقال المؤمنين جميعهم ::: وعصابة التوحيد أعلام الهدى
الكاشفين عوار كل مشبه ::: والقامعين لكل من قد ألحدا
زن قولهم بالوحي وانظر هل ترى ::: ميلا لهم عما إليه أرشدا
حاشاهمُ عن أن يميلوا خطوة ::: عما إليه الله إياهم هدى
بل أثبتوا لله ما قد أثبتت ::: آى الكتاب وكل نص أسندا
ومن النفاة تبرأوا وكذاك من ::: قول الممثل إذ تغالى واعتدى
جعلوا إمامهم الكتاب وسنة الـ ::: ـمختار يا طوبى لمن بهما اهتدى
ولذاك أعلى الله جل منارهم ::: والملحدون بناءهم قد هددا
وأتم نورهم الإله وغيرهم ::: في ظلمة إذ لم يكن بهم اقتدى
يا رب ألحقنا بهم واجعل لنا ::: نورًا نَمِيزُ به الضلال من الهدى

وقضى السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - على الطائفة الواقفة وهم القائلون: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل عُلم أنه كان جاهلاً جهلاً بسيطًا فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى وإلا فهو شر من الجهمية، وسيأتي - إن شاء الله - الكلام على اللفظية قريبًا وسنذكر - إن شاء الله تعالى - في آخر الفصل سائر الفرق المخالفين للسنة في القرآن وغيره من الصفات، لأنا أحببنا تجريد مذهب أهل السنة على حدته لقصد التيسير وبالله التوفيق.

(ولا بمفترى) أي وليس القرآن بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم من أعداء الله تعالى حيث قالوا فيه:{إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} [المدثر: ٢٤] وقالوا:{إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ} [الفرقان: ٤]،{ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا} [الفرقان: ٥]،{يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ} [النحل: ١٠٣] وقالوا شعر، وقالوا كهانة، وقالوا:{إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ } [ص: ٧] وقالوا:{لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ} [الأنفال: ٣١] وغير ذلك من مفترياتهم وإفكهم، وكل ذلك إنما قالوه عنادًا ومكابرة:{وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤] وقد كشف الله تعالى شبههم وأدحض حججهم وبهتهم وقطعهم وفضحهم على رءوس الأشهاد وبين عجزهم وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا فقال تعالى لمن قال:{إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾} [المدثر: ٢٤ - ٢٥] قال الله تعالى:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾} [المدثر: ٢٦ - ٣٠] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ } [الفرقان: ٤] فرد الله ذلك عليهم بقوله:{فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان: ٤]،{ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾} [الفرقان: ٥] فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى:{ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾} [الفرقان: ٦] وقال تعالى:{ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ} [النحل: ١٠١] فرد الله ذلك عليهم بقوله عز وجل :{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ} [النحل: ١٠١ - ١٠٣] قال المفسرون: إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي؛ كان بين ظهرهم غلامًا لبعض بطون قريش قيل: اسمه بلعام، وقيل: يعيش، وقيل: عائش، وقيل: جبر، وقيل: يسار وقيل: غير ذلك، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراء

بقولـه تعالى:{لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ } [النحل: ١٠٣] أى فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من لـه أدنى مسكة من عقل، وقال في رد قولهم شعرًا وكهانة:{وَمَا عَلَّمۡنَـٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ وَقُرۡءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾} [يس: ٦٩ - ٧٠] وقال تعالى:{ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾} [الطور: ٢٩ - ٣٣] الآيات، وقال تعالى:{ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٌ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾} [الحاقة: ٤١ - ٤٨] إلى آخر الآيات، وقال تعالى لمن قال:{إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا} [ص: ٧ - ٨] فرد الله تعالى ذلك عليهم بقولـه عز وجل :{بَل هُمۡ فِى شَكٍّ مِّن ذِكۡرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾} [ص: ٨ - ٩] إلى آخر الآيات، ورد عليهم تعالى في قولهم:{لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَـٰذَآ} [الأنفال: ٣١] بقولـه عز وجل :{ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾} [الإسراء: ٨٨] وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله وبان كذبهم، قال الله عز وجل :{ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾} [الطور: ٣٣ - ٣٤] وقال تعالى وتقدس:{أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٍ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَـٰتٍ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾}

[هود: ١٣ - ١٤] وقال تعالى:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾} [البقرة: ٢٣ - ٢٤] فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحول اللغة وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه وهجزه ورجزه مع شدة معاندتهم لرسول الله ﷺ وما جاء به وحرصهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم ما لا يطيقون، كلام ذي الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى، من لـه الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، الذي لا سَمِيَّ لـه ولا كفو لـه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة، والأحكام الواقعة، ونبأ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس كلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم: كاهن شاعر مجنون وغير ذلك إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله وغيرهم، ولو كان تقولـه كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عرب فصحاء مثله عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئًا، ولما عدلوا إلى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقت شيء عند العقلاء، ولكنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين، وتبيانًا لكل شيء وتفصيل كل شيء وذكرى للمؤمنين:{ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤٢]

فلا يأتي مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، ويكفيك في ذلك قولـه عز وجل :{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾} [الفرقان: ٣٣].

٥٤ - يُحفَظُ بالقَلبِ وباللِّسان ::: يُتْلَى كما يُسْمَعُ بالآذان

٥٥ - كذا بالأبصَارِ إليهِ يُنْظَر ::: وبالأيادي خطُّهُ يُسْطَرُ

٥٦ - وكلُّ ذي مخلوقة حَقِيقَهْ ::: دونَ كلام باريء الخَليقهْ

٥٧ - جَلَّت صِفاتُ رَبّنا الرحْمن ::: عن وَصْفِها بالخَلْق والحدثان

٥٨ - فالصوت والألحان صوتُ القاري ::: لكنَّما المتلُوُّ قول الباري

٥٩- ما قاله لا يقبل التبديلا ::: كلا ولا أصدق منه قيلا

(**يحفظ**) بالبناء للمفعول أى القرآن (**بالقلب**) كما قال تبارك وتعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] وقال تعالى:{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾} [العنكبوت: ٤٩] وقال:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾} [الأعلى: ٦].

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب**}[(١)] قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنّا فقال:{**ما معك يا فلان**} فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال:{**أمعك سورة البقرة**} قال: نعم، قال:{**اذهب فأنت أميرهم**} فقال

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٩١٣] أحمد [١٩٤٧] الدارمي في سننه [٣٣٠٦] المستدرك [٢٠٣٧]
المعجم الكبير [١٢٦١٩] الإبانة الكبرى [٢١٤٥] علته: قابوس بن أبى ظبيان: فيه لين انظر التقريب [٥٤٤٥].

رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها فقال رسول الله ﷺ :{**تعلموا القرآن، واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوٍ مسكًا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك**}(١) قال الترمذي هذا حديث حسن.

وفي حديث سهل بن سعد رضى الله عنه المتفق عليه في قصة الواهبة نفسها وفيه:{**قال ما معك من القرآن**} قال: معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال:{**تقرأهن عن ظهر قلبك**}: قال: نعم، قال:{**اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن**}(٢).

ولأبي داود قال: سورة البقرة والتي تليها، قال:{**قم فعلمها عشرين آية**}(٣).

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل لـه إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن**}(٤).

ولهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمع رسول الله رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال:{**يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**}(٥) والأحاديث في هذا كثيرة جدّا.

(**وباللسان يتلى**) قال الله تبارك وتعالى:{ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ} [الكهف: ٢٧] وقال تعالى:{وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ} [الإسراء: ١٠٦]

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٨٧٦] ابن ماجة [٢١٧] ابن خزيمة في صحيحه [١٥٠٩] ابن حبان [٢١٢٦] علته: عطاء الحجازى، مولى أبى أحمد بن جحش: مقبول كما في التقريب.
(٢) (صحيح) البخاري [٤٨٣٣] مسلم [١٤٢٥].
(٣) (سنده ضعيف) أبو داود [٢١١٢] به: عسل بن سفيان: ضعيف، انظر التقريب.
(٤) (صحيح) البخاري [٤٧٤٣] مسلم [٧٨٩] أحمد [٤٩٢٣] واللفظ لأحمد.
(٥) (صحيح) البخاري [٤٧٥١] مسلم [٧٨٨] واللفظ للبخاري.

وقال تعالى:{وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾} [الإسراء: ٤٥] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ} [فاطر: ٢٩ - ٣٠] إلى آخر الآية وقال تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦ - ١٩] وقال تعالى:{أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾} [المزمل: ٤] وقال تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا } [الإسراء: ١١٠] وغير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار...**}(١) لـه إلى آخر الحديث رواه البخاري.

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال:{**لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**}(٢) رواه ابن ماجه.

ولـه عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ :{**يا أهل القرآن لا تَوَسَّدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون**}(٣) والأحاديث في هذا كثيرة جدّا سيأتي ما تيسر منها في ذكر الصوت.

(**كما يسمع بالآذان**) قال الله تبارك وتعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: ٦]

(١) (صحيح) البخاري [٤٧٣٨].
(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٢٤٠٠٢] ابن ماجة [١٣٤٠] المستدرك [٢٠٩٧].
(٣) (سـنده ضـعيف) البيهقي في الشـعب [٢٠٠٧] ومعجم الصـحابة لأبي نعيم [٤٢٩٥] أخبار أصبهان [٩٦٢] به: أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم: ضعيف انظر التقريب. كما مختلف في رفعه وإرساله.

وقال تبارك وتعالى:{وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ} [المائدة: ٨٣] وقال تعالى:{وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾} [الأعراف: ٢٠٤] وقال تعالى:{وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾} [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠] الآيات، وقال تعالى:{قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾} [الجن: ١ - ٢] إلى قولـه تعالى:{وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ} [الجن: ١٣]، الجنُّ... الآيات، وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ} [الزمر: ١٨] وغير ذلك من الآيات.

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ :{**اقرأ عليَّ القرآن**} قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال:{**إني أحب أن أسمعه من غيري...**}(١) الحديث، متفق عليه.

وعن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**يا أبا موسى، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**} فقال: أما والله لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لـحَبَّرتها لك تحبيرًا(٢)رواه مسلم.

ولأبي عبيد عن عائشة رضى الله عنها قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت، فقال:{**أين كنت**} قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت فقام رسول الله ﷺ وقمت معه حتى استمع لـه، ثم التفت إليَّ فقال:{**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**}(٣)

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٠٦] مسلم [٨٠٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٧٦١] مسلم [٧٩٣] ابن حبان [٧١٩٧] والبزار [٣١٦٠] واللفظ للبزار.
(٣) (سنده صحيح) سنن ابن ماجة [١٣٣٨] الحاكم في المستدرك [٥٠٠١].

إسناده جيد، والآحاديث في هذا كثيرة.

(**كذا بالأبصار إليه**) متعلقان بـ (ينظر) أى إلى القرآن في المصحف، وهو من أفضل العبادات وأجلها، وروى أبو عبيد بإسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ :{**فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأه ظهرًا كفضل الفريضة على النافلة**}(١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أديموا النظر في المصحف(٢)، وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان إذا دخل نشر المصحف فقرأ فيه(٣)، وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا وفسر لهم (٤)، وقال ابن عمر رضى الله عنه : إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ (٥).

وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب، لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وكرهوا أن يمضي على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه.

(**وبالأيادي خطه يسطر**) كما قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾} [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] وقال تعالى:{رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾} [البينة: ٢ - ٣]

---

(١) (سنده ضعيف) أبو عبيدة القاسم بن سلام في فضائل القرآن [٧٧] ومن طريق أبي عبيدة ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال [١٩٥] وذكره ابن كثير في فضائل القرآن [ص١٣٦] وقال: وهذا الإسناد فيه ضعف فإن معاوية ابن يحيى هذا هو الصدفى أو الأطرابلسى وأيا ما كان فهو ضعيف، قلتُ: وبه: نعيم بن حماد: ضعيف، وبقية بن الوليد مدلس، وقد عنعن.

(٢) (سنده حسن) مصنف عبد الرزاق [٥٩٧٩] ابن أبي شيبة [٨٥٥٨] فضائل القرآن للفريابي [١٣٤] الطبراني في الكبير [٨٦٨٧/٨٦٩٦] شعب الإيمان للبيهقي [٢٢٢٠].

(٣) (سنده ضعيف) أبو عبيدة في فضائل القرآن [٧٩] تعظيم قدر الصلاة للمروزي [٥٧٨] الطبري في تفسيره [ج٥ - ص٢٥٠] و عندهم: (عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب.. الحديث) وعلة السند: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٤) (سنده صحيح) فضائل القرآن للقاسم بن سلام [٨١] فضائل القرآن لابن كثير [ص ١٣٦] وقال: إسناده صحيح.

(٥) (إسناده ضعيف جدا) فضائل القرآن للقاسم بن سلام [٨٠] به حجاج بن أرطأة: ضعيف، وثوير بن أبي فاختة: قال سفيان الثورى: كان ثوير من أركان الكذب.

وقال تعالى:{كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤)} [عبس: ١١ - ١٤].

وقد كتبه الصحابة في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكر وعثمان وإلى الآن يكتبه المسلمون، وقال ابن عباس رضى الله عنه : ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين[١]، وقال علي بن أبي طالب نحو ذلك، وقال أبو بكر رضى الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحد خلافه.

ولو لم يكن الذي في المصحف كلام الله لم يحرم مسه على أحد ولم يكن من شأنه أن:{ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩)} [الواقعة: ٧٩] بل ولا كان يحرم توسده، ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كلام الله، وهذا من أسفل دركات الكفر قبحهم الله.

(**وكل ذي**) المذكورات من القلب وحافظته وذاكرته واللسان وحركته والآذان وأسماعها والأبصار ونظرها والأيادي وكتابتها وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد، كلها (**مخلوقة حقيقة**) ليس في ذلك توقف (**دون**) القرآن الذي هو (**كلام**) الله تعالى (**بارئ الخليقة**).

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن خمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلوّ غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق. انتهى.

فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلي كلام الله تعالى غير مخلوق:

(١) (صحيح البخاري [٤٧٣١] (الدفتين) الجلدتين اللتين على جانبي المصحف.

جلت صفات ربنا الرحمن ::: عن وصفها بالخلق والحدثان

فليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق، تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكون ذاته محلاّ للمخلوقات، بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء، والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء، لم يسبق شيء من صفاته بالعدم، ولم يعقب بالفناء، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرًا.

(**فالصوت**) من جهوري وخفي (**والألحان**) من حسن وغيره (**صوت القاري لكنما المتلو**) المؤدَّي بذلك الصوت هو (**قول الباري**) جل وعلا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ :{**لم يأذن الله لشيء ما أذن**[١] **للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن**}[٢].

ولابن ماجه بإسناد جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ :{**لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**}[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا**}[٤] رواه البغوي ولأبي داود نحوه.

(١) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لمسلم: قولـــه ﷺ : (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ) هُوَ بِكَسْرِ الذَّال، قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَى (أَذِنَ) فِي اللُّغَة الاسْتِمَاع، وَمِنْهُ قولــه تَعَالَى:{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} [الانشقاق: ٢].
وقولـــه: (يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ) مَعْنَاهُ عِنْد الشَّافِعِيّ وَأَصْحَابه وَأَكْثَر الْعُلَمَاء مِنْ الطَّوَائِف وَأَصْحَاب الْفُنُون: يُحَسِّن صَوْته بِهِ، وَعِنْد سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ يَسْتَغْنِي بِهِ. قِيلَ: يَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ النَّاس، وَقِيلَ: عَنْ غَيْره مِنْ الأَحَادِيث وَالْكُتُب.

(٢) (صحيح) البخاري [٤٧٣٥] مسلم [٧٩٢].

(٣) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٢٤٠٠٢] ابن ماجة [١٣٤٠] المستدرك [٢٠٩٧].

(٤) (سنده ضعيف) ابن ماجة في سننه [١٣٣٧].

ولـه عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**}(١).

ولـه وللنسائي وابن ماجه بإسناد جيد عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**زينوا القرآن بأصواتكم**}(٢).

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا - أو قراءة - منه...(٣) الحديث.

ولابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**}(٤).

ولأبي عبيد عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ :{**اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قوم من بعدي يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم**}(٥).

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٨٩] أبو داود [١٤٧١].

(٢) (سنده صحيح) أبو داود [١٤٦٨] النسائي [١٠١٤] ابن ماجة [١٣٤٢].

(٣) (صحيح) البخاري [٤٥٧٣] مسلم [٤٦٣] ولفظ الحديث (يَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَـذِهِ الآيَـةَ:{ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾} [الطور: ٣٥ - ٣٧] كَادَ قَلْبِى أَنْ يَطِيرَ) وقوله: (فما سمعتُ أحداً أحسن صوتا، أو قراءة منه) لم أقف عليه.

(٤) (سنده ضعيف) ابن ماجة [١٣٣٩] علته: إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع: ضعيف، وعبد الله بن جعفر: ضعيف.

(٥) (سنده ضعيف) فضائل القرآن للقاسم بن سلام [١٩٥] البدع لابن وضاح [٢٥١] الأوسط للطبراني [٧٢٢٣] شعب الإيمان [٢٦٤٩] ابن كثير في فضائل القرآن [١١٤] علته: أبو محمد: مجهول، وبه بقية بن الوليد: يدلس تدليس التسوية.

{يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا [١] **من مزامير آل داود}**[٢].

ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى العبد لأنه عمله، والقرآن المؤدَّى بذلك الصوت هو كلام الله حقيقة، وكذلك المهارة بالقرآن والتتعتع فيه هو فعل العبد وسعيه لما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :**{الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق لـه أجران}**[٣].

وهذا الفرق واضح ولله الحمد وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما رحمهم الله تعالى، ولو كان الصوت هو نفس المتلوِّ المؤدَّى به كما يقولـه أهل الاتحاد لكان كل من سمع القرآن من أى تال وبأي صوت كليم الرحمن فلا مزية لموسى رضى الله عنه على غيره، اللهم لك الحمد ربنا، لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

* * *

(١) قال النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاء: الْمُرَاد بِالْمِزْمَارِ هُنَا الصَّوْت الْحَسَن، وَأَصْل الزَّمْر الْغِنَاء، وَ (آلُ دَاوُدَ) هُوَ دَاوُدُ نَفْسه، وَآلُ فُلان قَدْ يُطْلَق عَلَى نَفْسه، وَكَانَ دَاوُدُ ﷺ حَسَن الصَّوْت جِدًّا.

(٢) (صحيح) البخاري [٤٧٦١] مسلم [٧٩٣].

(٣) (صحيح) البخاري [٤٦٥٣] مسلم [٧٩٨] (الماهر بالقرآن) هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه (مع السفرة الكرام البررة) السفرة جمع سافر ككتبة وكاتب والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل السفرة الكتب والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة (ويتتعتع فيه) هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته.

اللفظية جهمية

مسألة: اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث أن اللفظية جهمية، واللفظية هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال أئمة السنة رحمهم الله تعالى: ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون غير بدعية الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين:

أحدهما: الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدورًا لـه.

والثاني: التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه.

فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية[1]، وهذا ظاهر عند كل عاقل، فإنك إذا سمعت رجلاً يقرأ:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} [الإخلاص: ١] تقول هذا لفظ سورة الإخلاص، وتقول هذا لفظ فلان بسورة الإخلاص، إذ اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو كلام الله عز وجل ، وهذا بخلاف ما ذكر السلف بقولهم: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري، فإن الصوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلوَّ المؤدىَّ بالصوت ألبتة، ولا يصلح أن تقول هذا صوت:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} ولا يقول ذلك عاقل، وإنما تقول هذا صوت فلان يقرأ:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} ونحو، ذلك نعم، إذا سمع كلام الله عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاة والسلام وسماع جبريل رضى الله عنه وسماع أهل الجنة

(١) الاتحادية: هم الذين يقولون بوحدة الوجود (كابن عربي) وأمثاله، ولا يفرقون بين الخالق والمخلوق، بل يجعلون الوجود بأسره، هو بعينه الله، ويجعلون كل كلام في الوجود هو كلام الله (سبحانه وتعالى عما يشركون).

كلامه منه عز وجل فحينئذ التلاوة والمتلو صفة الباري عز وجل ليس منها شيء مخلوق، تعالى الله علوّا كبيرًا.

(**ما قاله لا يقبل التبديلا**) قال الله تعالى:{مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ} [ق: ٢٩] وقال تعالى:{ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ } [الكهف: ٢٧] وقال تعالى:{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾} [الأنعام: ١١٥] وقال تعالى:{لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ} [يونس: ٦٤].

(**كلا**) أى لا يكون ذلك (**ولا أصدق منه**) أى من الله تعالى (**قيلا**) أى قولاً وهو تمييز محول عن اسم لا، والتقدير لا قيل أصدق من قيله، قال الله تبارك وتعالى:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾} [النساء: ٨٧] وقال تعالى: في الآية الأخرى:{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا } [النساء: ١٢٢] أى من أصدق من الله تعالى في حديثه وخبره ووعده ووعيده؟ والجواب: لا أحد، وفي خطبة رسول الله ﷺ قال:{**إن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ...**}[١] الحديث.

* * *

(١) (سنده صحيح) أحمد [١٤٣٧٣] النسائي [١٥٧٨].

٦٠ – وقد رَوَى الثِّقَاتُ عن خَيْرِ المَلا ::: بأَنَّهُ عز وجل وعَلاَ
٦١ – في ثُلُث الليل الأخير ينزل ::: يقولُ هل من تائبٍ فيُقْبلَ
٦٢ – هل من مُسِيءٍ طالبٍ للمغفرةْ ::: يجد كريمًا قابلاً للمَعْذِرَهْ
٦٣ – يَمُنُّ بالخيرات والفضائلْ ::: وَيسْتُرُ العَيْبَ ويُعطِي السائلْ

أى ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء صفة النزول للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجبير بن مُطْعِم، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وعمرو بن عَبَسة، ورفاعة الجهني وعثمانَ بن أبي العاص الثقفي، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وأبي الخطاب، وعمر بن عامر السلمي، وغيرهم رضى الله عنه.

فعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو شرك**}[1] رواه جماعة عن ابن وهب.

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لولا أن أشق على أمتى لأخرت العشاء الأخيرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل هبط الله** عز وجل **إلى سماء الدنيا لم يزل بها حتى يطلع الفجر فيقول: ألا سائل يعطى، ألا داع فيجاب، ألا مذنب يستغفر فيغفر لـه، ألا سقيم يستشفى فيشفى**}[2]رواه الطبراني في السنة.

---

(١) (سنده صحيح بطرقه) عند الطبراني في الكبير [٢١٥] وابن حبان في صحيحه [٥٦٦٥] السنة لابن أبي عاصم [٥١١] مسند أحمد [٦٦٤٢] ابن ماجة [١٣٩٠] مسند الشاميين للطبراني [٢٠٠] ورواه البيهقي في الشعب [٣٨٢٧] أخبار مكة للفاكهي [١٧٧٤] الإبانة [٢٥٦٥] عن جملة مختلفة من الصحابة.

(٢) (سنده حسن) مسند أبي يعلى [٦٥٧٦] اعتقاد أهل السنة [٧٤٩] النزول للدراقطني [١] من حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وعند أحمد [٩٦٧] من حديث أبي هريرة رضى

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب لـه، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر لـه**}[١] أخرجاه في الصحيحين.

وفي رواية عن أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنه أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:{**إن الله يمهل، حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى السماء الدنيا فنادى: هل من مذنب يتوب، هل من مستغفر، هل من سائل**}[٢].

وفي مسند أحمد - رحمه الله تعالى - عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**ينزل الله كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك من ذا الذي يستغفرني فأغفر لـه**}[٣] وحديث أبي هريرة رضى الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد من أكثر من ثلاثين طريقًا عن أبي هريرة رضى الله عنه إلى النبي ﷺ.

وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ولـه في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى السماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم من ذا الذي يستغفرني فأغفر لـه، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه**}[٤] رواه ابن منده قال ولـه أصل مرسل.

الله عنه وفي سنده عطاء مولى صبية: مقبول كما في التقريب.

(١) (صحيح) البخاري [١٠٩٤] مسلم [٧٥٨].

(٢) (صحيح) مسلم [٧٥٨].

(٣) (سنده صحيح) أحمد [٧٧٧٩].

(٤) (سنده ضعيف) ابن مندة في الرد على الجهمية [٥٦] علته: محفوظ بن أبي توبة سمع عبد الرزاق ضعف أحمد أمره جدا، انظر لسان الميزان [٧١].

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر لـه**}[١] حديث صحيح رواه النسائي وأبو الوليد الطيالسي.

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا لثلث الليل فيقول: ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب لـه، أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر لـه، ألا مقتر عليه رزقه، ألا مظلوم يستنصرني فأنصره، ألا عان[٢] يدعوني فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجر، ثم يعلو ربنا** عز وجل **إلى السماء العليا على كرسيه**}[٣] رواه الدار قطني.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن الله تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر**}[٤] حديث حسن رواه أحمد في مسنده ورجاله أئمة، ورواه أبو معاوية بلفظ:{**إن الله تعالى يفتح أبواب السماء، ثم يهبط إلى السماء الدنيا ثم يبسط يده فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه حتى يطلع الفجر**}[٥].

وعن رفاعة الجهني قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل الله إلى السماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا**

---

(١) (سنده صحيح) مسند أحمد [١٦٧٩٣] سنن الدارمي [١٤٨٠] سنن النسائي الكبرى [١٠٣٢١] مسند البزار [٣٤٣٩].

(٢) عانٍ: مهموم.

(٣) (سنده ضعيف) الدارقطني في النزول [٥] بإسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٤) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٣٦٧٣ /٣٨٢١/ ٤٢٦٨] الدعاء لمحمد بن فضل [١٢٩] النزول للدارقطني [٦] الشريعة للآجري [٧٠٨].

(٥) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٤٢٦٨] علته: إبراهيم بن مسلم، المعروف بالهجري: ضعيف كما في التقريب.

الذي يستغفرني فأغفر لـه، من ذا الذي يدعوني فأستجيب لـه، من ذا الذي يسألني فأعطيه، حتى ينفجر الفجر}(١) حديث صحح رواه أحمد في مسنده.

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضى الله عنه عن النبي ﷺ :**{ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب لـه هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر لـه، وأن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحرًا أو عشارًا}**(٢) رواه الإمام أحمد بنحوه.

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم ير أحد ولم يخطر على قلب بشر، ثم يهبط في آخر ساعة من الليل يقول: ألامستغفر فأغفر لـه، ألا سائل فأعطيه، ألا داع فأستجيب لـه}**(٣)رواه عثمان بن سعيد الدارمي.

وروى موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبد يدعوني فأستجيب لـه، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأقبله، فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على**

---

(١) (سنده صحيح) المسند لأحمد [١٦٢٦٣] المعجم الكبير [٤٥٥٨] الإبانة [٢٥٦١] ابن حبان [٢١٢].

(٢) (سنده ضعيف) أحمد [١٧٩٤١ي الطبراني في الكبير [٨٣٧٥] به: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف جدا) الطبراني في الأوسط [٨٦٣٥] والكبير [١٧٩١] الطبري في تفسيره [١٦٩٤٣] اعتقاد أهل السنة [٧٥٦] التوحيد لابن خزيمة [١٩٩] علته: زياد بن محمد الأنصاري: منكر الحديث كما في التقريب.

كرسيه}[1].

وعن أبي الخطاب رضى الله عنه أنه قال وقد سئل عن الوتر: أحب أوتر نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب، هل من مستغفر، هل من داع، حتى إذا طلع الفجر ارتفع[2] رواه محمد بن سعد في طبقاته.

وعن عمرو بن عامر السلمي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{إذا ذهب ثلث الليل - أو قال نصف الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأفكه، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب لـه، هل من مستغفر فأغفر لـه}**[3] رواه ابن منده.

وعن عبيد بن السباق أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال:**{ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا: ألا نزل الخالق العليم، فيخرج أهل السماء وينادي فيهم مناد بذلك، فلا يمر بأهل السماء إلا وهم سجود}**[4] رواه أبو داود.

وروى أبو اليمان ويحيى بن كثير وعبد الصمد بن النعمان ويزيد بن هارون - وهذا سياق حديثه - أخبرنا حريز بن عثمان حدثنا سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله جعلني الله فداك،

---

(١) (سنده ضعيف) الطبراني في الأوسط [٦٠٧٩] الشريعة للآجري [٧١١] علته: إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة: مجهول، ولم يسمع من جد أبيه عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

(٢) (سنده ضعيف جدا) السنة لعبد الله بن أحمد [١٠٨٩] والإبانة [١٨٠] الطبراني في الكبير [ج٢٢ - ٩٢٧] ثوير بن أبي فاختة: قال سفيان الثورى: كان ثوير من أركان الكذب، وقال الدارقطني: متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال [ج٤ - ٨٦٣].

(٣) انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم [٤٣٧٢] ذكره من حديث عمرو بن عبسة، ثم قال، وجاء مثله عن عمرو بن عامر السلمي، وقال: هذا حديث غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه، وصوابه: عمرو بن عبسة، والحديث مشهور من حديث عمرو بن عبسة. وحديث عمرو بن عبسة (سنده ضعيف).

(٤) (مرسل) السنة لابن أبي عاصم [٤٠٦] تعظيم قدر الصلاة [٢٢٠] مراسيل أبي داود [٧٢].

شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك، ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة تبقى فيها؟ يعني: الصلاة، فقال:{**يا عمرو بن عبسة، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إن الرب تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع على قرن الشيطان وهي صلاة الكفار، فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهار فأخر الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم، فإذا فاء الفيء فالصلاة مشهودة حتى تدلى للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصر عن الصلاة حتى تجب الشمس**}(١) وهو في مسلم مطولا.

قلت: وهذا في معنى قوله تبارك وتعالى:{ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾} [الإسراء: ٧٨ - ٧٩].

وفي كتاب السنة للخلال عن ابن عباس رضى الله عنه قال:{**ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا ثلث الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ويترك أهل الحقد لحقدهم**}(٢).

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر من الساعة الأولى لم يره أحد غيره فيمحو ما يشاء، ويثبت ما شاء ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك،**

(١) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٩٤٥٢] مسند عبد بن حميد [٢٩٧] النزول للدارقطني [٥٥] الإبانة [١٧٢] منقطع بين عمرو بن سليم وعمرو بن عبسة.

(٢) (سنده حسن) الرد على الجهمية للدارمي [١٣٤] اعتقاد أهل السنة [٧٦٦] دون قوله (ويترك أهل الحقد لحقدهم) وليس فيه أيضا كلمة (الأوسط).

ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول: قُومي بعزتي، ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفر أغفر لـه، هل من داع أجيبه، حتى تكون صلاة الفجر} وكذلك يقول:{وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } [الإسراء: ٧٨] **(فيشهده الله وملائكة الليل والنهار}**[1] رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وقد تقدم قريبًا بغير هذا اللفظ.

ولـه عن القاسم بن محمد عن أبيه - أو عمه - عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال:{**ينزل الله تعالى ليلة النصف فيغفر للمؤمنين...**}[2] الحديث، رواه ابن زنجويه.

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا كان ليلة النصف من شعبان هبط الله تعالى إلى السماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض إلا كافر أو مشاحن**}[3] رواه محمد بن الفضل البخاري.

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول:{**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن**}[4].

<u>قلت</u>: ولا منافاة بين أحاديث تخصيص النزول بليلة النصف من شعبان وبين الأحاديث القاضية أنه كل ليلة فإن النزول في ليلة النصف من شعبان مطلق والنزول في كل ليلة مقيد بالنصف في لفظ وبالثلث في آخر، على أنه ليس في تخصيص النزول بنصف شعبان نفي لـه فيما عداها، والأحاديث التي فيها النزول كل ليلة أكثر وأشهر وأصح بلا شك ولا مرية.

---

(١) (سنده ضعيف جدا) تقدم تخريجه قريبا.
(٢) (سنده صحيح بطرقه) تقدم تخريجه.
(٣) (سنده صحيح لغيره) وتقدم قريبا تخريجه.
(٤) (سنده صحيح لغيره) ابن ماجة [١٣٩٠] وإن كان الإسناد عند ابن ماجة ضعيف.

وقد ثبت النزول أيضًا في عشية عرفة كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**إذا كان عرفة فإن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثًا غبرًا أشهدكم أني قد غفرت لهم**}(١) ورواه الخلال في السنة من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه:{**أفضل أيام الدنيا أيام العشر**} قالوا يا رسول الله ولا مثلهن في سبيل الله قال:{**إلا من عفر وجهه في التراب، إن عشية عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي هؤلاء شعثًا غبرًا جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي، فلا يرى يومًا أكثر عتيقًا ولا عتيقة**}(٢).

وروى خلاد بن يحيى حدثنا عبد الوهاب عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقفي... فذكر الحديث وفيه:{**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق، اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم**}(٣) رواه طلحة بن مصرف عن مجاهد به.

---

(١) (سنده صحيح لغيره) ابن خزيمة في صحيحه [٢٨٤٠] شعب الإيمان للبيهقي [٤٠٦٨] الإبانة [٢٥٦٧] اعتقاد أهل السنة [٧٥١] وهو من رواية أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، والزبير مدلس وقد عنعنه.، وله شاهد من قول أم سلمة بسند حسن في أخبار مكة [٢٦٩٣] ولفظها: (ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا يوم عرفة فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي أتوني شعثا يبتغون فضل رضواني، يا أهل عرفة قد غفرت لكم).

(٢) (سنده حسن) مسند أبي يعلى [٢٠٩٠] من رواية أبي الزبير عن جابر وقد عنعنه أبو الزبير، وهو مدلس.

(٣) (سنده ضعيف) ابن حبان في صحيحه [١٨٨٧] به: سنان بن الحارث بن مصرف: مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل. وفي مصنف عبد الرزاق [٨٨٣٠] وبه: عبد الوهاب بن مجاهد ابن جبر: متروك الحديث. ورواه الطبراني في الكبير من طريق عبد الرزاق [١٣٥٦٦] أخبار مكة [٨٧٦] وبه: ابن مجاهد.
وعلى كلٍ فالحديث يشهد له الحديثان قبله، كما يشهد لهما، (أقصد طريق ابن حبان).

وقد روى النزول في رمضان، وليس هو نافيًا لـه في غيره، فَرَوَى عليٌّ بن معبد عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن طارق عن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول:{**إن الله تبارك وتعالى ينزل في شهر رمضان، إذا ذهب الثلث الأول من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يعطي؟ هل من مستغفر يغفر لـه؟ هل من تائب يتاب عليه؟**}[١].

وروى عبيد الله بن موسى قال: ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قولـه تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧] قال:{**ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمر السنة فيمحو ما يشاء غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة**}[٢] إسناده حسن وهذا الموقوف لـه حكم المرفوع عند المحدثين؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي، وقد ثبت النزول لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى في ذلك.

ونحن نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جل وعلا من غير أن نَصِفَ الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته عز وجل غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، فنسير بسير النصوص حيث

(١) (سنده حسن) السنة لابن أبي عاصم [٤١٣] أصول الاعتقاد [٥٩٣] موقوفا على ابن عباس وإن كان مثل هذا لا يقال بالرأي فله حكم الرفع، وهو في شعب الإيمان للبيهقي [٣٦٢٨] مرفوعا وإسناده ضعيف، به: محمد بن يزيد بن سنان: ضعيف.

(٢) (سنده ضعيف) البيهقي في الشعب [٣٦٦٦] به: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: ضعيف من ناحية حفظه.

سارت ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها.

وقد تكلفت جماعة من مثبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمه وفي خلو العرش منه وعدمه نفيًا وإثباتًا وذلك تكلف منهم، ودخول فيما لا يعنيهم، وهو ضرب من التكييف لم يأت في لفظ النصوص ولم يسأل الصحابة النبي ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك نصدق به كما آمنوا وصدقوا.

فإن قال لنا متعنت أو متنطع: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أى شيء من صفات الله، قلنا لـه أنت لا تلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تلزم قائل ذلك وهو رسول الله ﷺ، فإن كان ذلك لازمًا لما قاله حقيقة وجب الإيمان به إذ لازم الحق حق، وإن لم يك ذلك لازمًا لـه فأنت معترض على النبي ﷺ كاذب عليه متقدم بين يديه.

وروى البيهقي عن الحاكم عن محمد بن صالح بن هانئ سمع أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم بن أبي صالح - مجلس الأمير عبدالله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبي صالح: كفرتُ بربٍ ينزل من سماء إلى سماء، فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء(١).

وقال إسحاق رحمه الله تعالى: دخلت على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزع ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال نعم، فقلت لم تتكلم في هذا؟(٢).

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي [٩٥١].

(٢) البيهقي في الأسماء والصفات [٩٥٣] العلو للذهبي [٤٨٤].

وقال إسحاق أيضًا قال لي ابن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الذي ترووننه:{**ينزل ربنا كل ليلة**} كيف ينزل؟ قلت: أعز الله الأمير، لا كيف، إنما ينزل بلا كيف(١).

وقال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحاق، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال نعم، فقال لـه بعض القواد: كيف ينزل؟ فقال أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال الرجل أثبته فوق، فقال إسحاق قال الله تعالى:{وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾} [الفجر: ٢٢] فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟. ا هـ. من كتاب العلوّ(٢).

وهذا الذي قاله إسحاق رحمه الله تعالى هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم في جميع نصوص الصفات، وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت، والإيمان بها بلا كيف.

* * *

(١) الأسماء والصفات للبيهقي [٩٥٢] والعلو للذهبي [٤٨٥].
(٢) انظر العلو للذهبي رقم [٤٨٦] (ص ١٧٩).

مجيء الله للقضاء

٦٤ – وأنه يَجِيءُ يَوْمَ الفَصْلِ ::: كما يَشَاءُ للقَضَاءِ العَدْلِ

قال الله تبارك وتعالى:{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾} [البقرة: ٢١٠] وقال تبارك وتعالى:{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨] وقال تعالى:{ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾} [الفرقان: ٢٥] وقال تعالى:{كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾} [الفجر: ٢١ - ٢٢] وقال تعالى:{ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر: ٦٩].

وفي حديث الصور المشهور الذي ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه:{**إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدًا واحدًا من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها أنا لها، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون، قال: وينزل الجبار** عز وجل **في ظلل من الغمام ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبوح قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطة والعظمة، سبحانه سبحانه أبدًا أبدًا**}[١] وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**}[٢]

---

(١) سيأتي في الجزء الثاني مفصلا إن شاء الله. وهو في الجملة ضعيف.

(٢) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [١٢٠٣].

رواه ابن منده، وقال الذهبي إسناده حسن.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد**}[١] رواه مسلم.

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يهبط الرب تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمه، ثم يخرج عنق من النار فيظل الخلائق كلهم فيقول: أمرت بكل جبار عنيد، ومن زعم أنه عزيز كريم، ومن دعا مع الله إلها آخر**}[٢] رواه أبو أحمد العسال في كتاب السنة.

وفي الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضى الله عنه وفيه:{**يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها - أو منافقوها، شك إبراهيم، يعني ابن سعد الراوي عن ابن شهاب - فيأتيهم الله تعالى فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم**}[٣] وذكر الحديث بطوله.

ولهما نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه:{**حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج**

---

(١) (سنده صحيح) الترمذي في سننه [٢٣٨٢] ولفظه (أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد) وأشار المصنف إلى أنه في مسلم نقلا منه عن الذهبي في العلو [٢١٨] وإن كان الحديث في مسلم [١٩٠٥] إلا أنه ليس فيه موضع الشاهد.

(٢) جزؤه الثاني من أول (يخرج عنق من النار، إلى أخره) صحيح: في مسند أحمد [٨٤١١] من حديث أبي هريرة. أما جزؤه الأول فلم أقف عليه.

(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٠٠] مسلم [١٨٢].

منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد لـه كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا}(١) وذكر الحديث.

والأحاديث في هذا كثيرة، قال الذهبي رحمه الله تعالى: أحاديث نزول الباري متواترة قد سقت طرقها وتكلمتُ عليها بما أسأل عنه يوم القيامة.

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٠١] مسلم [١٨٣].

٦٥ - وأنه يُرَى بلا إنكار ::: في جنة الفردوس بالأبصار
٦٦ - كل يراه رؤية العيان ::: كما أتى في محكم القرآن
٦٧ - وفي حديث سيد الأنام ::: من غير ما شك ولا إيهام
٦٨ - رؤية حق ليس يمترونها ::: كالشمس صحوا لا سحاب دونها
٦٩ - وخُصَّ بالرؤية أولياؤه ::: فضيلةً وحجبوا أعداؤه

قال الله تبارك وتعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى:{۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] وقال تعالى:{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)} [ق: ٣٥] وقال تعالى في شأن الكفار:{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)} [المطففين: ١٥] فإذا حجب أولياؤه فأي فضيلة لهم على أعدائه، وقال تعالى:{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)} [يس: ٥٥ - ٥٨] وقال تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣)} [المطففين: ٢٢ - ٢٣] وهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفًا ولا تأويلاً ولا يردها إلا مكابر قد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله.

وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم: كأبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجرير بن عبد الله، وصهيب، وابن مسعود وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبريدة بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبدالله، وأبي أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبدالله بن عمر، وعمار بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي الدرداء، وفضالة بن

عبيد، وعدي بن أرطأة، وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضى الله عنه، وهذا أوان سردها فألق سمعك وأحضر قلبك وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر عنه، وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وإياك وسوء الظن بكلام الله وكلام رسوله فذلك الهلكة، وما ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

فعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى، والعصر والمغرب بكل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر رضى الله عنه : ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه، صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط، قال فسأله فقال:{**نعم عرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله** عز وجل ، **اشفع لنا إلى ربك** عز وجل ، **قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح**{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾} [آل عمران: ٣٣] **قال فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا، فيقول: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله** عز وجل **كلمه تكليمًا، فيقول موسى ﷺ : ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم** عز وجل ، **قال فينطلق فيأتي**

جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل : ائذن لـه وبشره بالجنة فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجدًا قدر جمعة فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع، قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه عز وجل خر ساجدًا قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، قال فيذهب ليضع ساجدًا فيأخذ جبريل بضبعيه[١] فيفتح الله عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه على بشر قط فيقول: أى رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى أنه يرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء قال: فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل : أنا أرحم الراحمين، ادْخِلُوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئًا، قال فيدخلون الجنة، قال ثم يقول الله عز وجل : انظروا في أهل النار هل تلقون من عمل خيرًا قط؟ قال فيجدون في النار رجلاً فيقولون لـه هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي ثم يخرجون من النار رجلا فيقولون لـه: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبدًا، قال الله عز وجل لـه: لم فعل ذلك؟ قال من مخافتك، قال فيقول الله عز وجل أنظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول أتسخر بي وأنت

---

(١) بضبعيه: الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها وهما (ضبعان) (الوجيز مادة: ضبع).

الملك؟ قال ﷺ وذلك الذي ضَحِكتُ منه من الضُّحَى} رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ :{**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر}** قالوا لا يا رسول الله، قال:{**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب}**(٢) قالوا لا، قال:{**فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا** عز وجل ، **فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله** عز وجل **في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله** عز وجل **تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازي. فإذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود**

---

(١) (سنده حسن) أحمد في المسند [١٥].

(٢) المقصود والله أعلم: بيان وضوح الرؤية لله عز وجل وأنها حقيقة على ما أخبر النبي ﷺ كما يرى الناس القمر ظاهرا بأعينهم، وليس كما قد يظنه البعض أن الله عز وجل يشبه القمر، تعالى الله علوا كبيرا.

وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل. ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول: أى رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلتُ ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول لا أسألك غيره، فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول أى رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله تعالى: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول أى رب فيدعو الله حتى يقول لـه: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت لـه الجنة فيرى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أى رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: أأدخل الجنة، فإذا دخلها قال الله لـه: تـمنَّ فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول لـه تـمن كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل **ذلك لك ومثله معه}** قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه، قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا، حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله، قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة ما حفظت إلا قولـه:**{ذلك لك ومثله معه}** قال أبو سعيد: أشهد أني

حفظت من رسول الله ﷺ قولـه:{**ذلك لك وعشرة أمثاله**} قال أبو هريرة: وذلك آخر أهل الجنة دخولاً الجنة(١).

ولهما عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ :{**نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس فيها سحاب، قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيز ابن الله، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون، قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبغون، فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار، حتى إذا يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال فما تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك ولا نشك بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله لـه**

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٠٤] مسلم [١٨٢].

بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة وخطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا قط، وكان أبو سعيد رضى الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم):{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾} [النساء: ٤٠] (فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل

السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض؟ فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا}(١).

وفيهما عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال:{**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا}**(٢).

وفي صحيح مسلم عن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله** عز وجل **تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم}** ثم تلا هذه الآية:{۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] (٣).

وللطبراني عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله** عز وجل **في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا**

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٠٥] مسلم [١٨٣] واللفظ لمسلم.
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٧] مسلم [٦٣٣].
(٣) (صحيح) مسلم [١٨١].

من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون: فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته فيأتيهم الرب عز وجل **فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول ما هي؟ فيقولون يكشف عن ساق، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون لـه سجدًا، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطي نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورًا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه ومشى وإذا طفيء قام، والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول: مروا، فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل، حتى يمر الذي أعطى نورا على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد تجر رجل، وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار، فلا يزال**

كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدًا إذ نجاني منها بعد أن رأيتها، قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة، وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى لـه: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجابًا لا أسمع حسيسها، قال فيدخل الجنة، قال فيرى أو يرفع لـه منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه، قال فيعطاه فينزله، قال ويرى أو يرفع لـه أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله عز وجل : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه، قال فيعطاه فينزله، قال ويرى أو يرفع لـه أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول يا رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال فيعطاه فينزله ثم يسكت فيقول الله عز وجل : مالك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله عز وجل : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه، فيقول: أتستهزئ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب عز وجل من قولـه؟ قال فرأيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، فقال لـه رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارًا كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مرارًا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال فيقول الرب عز وجل : لا ولكني على ذلك قادر، سل، فيقول: ألحقني

بالناس، فيقول: ألحقْ بالناس قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع لـه قصر من درة فيخر ساجدًا، فيقال لـه: ارفع رأسك مالك؟ فيقول: رأيت ربي، أو تراءى لي ربي، فيقال: إنما هو منزل من منازلك، قال ثم يلقى فيها رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال لـه: مه، فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة، فيقول لـه: إنما أنا خازن من خزانك، عبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح لـه القصر، قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفًا عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا، فتقول لـه: والله والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا، فيقال لـه: أشرف قال فيشرف، فيقال لـه ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره} قال فقال عمر رضى الله عنه : ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله عز وجل جعل دارًا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب:{ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾} [السجدة: ١٧] قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واها لهذه الريح، هذا رجل من أهل عليين قد

خرج يسير في ملكه، فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الله يقول:{**رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيّا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو**}[١]قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني رحمهم الله تعالى.

وروى يعقوب بن سفيان عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة**} وذكر ما يعطون:{**قال ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجابًا، فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى)**:{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥] [٢].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**}[٣].

ولأحمد عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يجمع الله** عز وجل **الأمم في صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدا لله** عز وجل **أن يصدع بين خلقه مثل لك قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا** عز وجل **ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون،**

---

(١) (سنده حسن) الطبراني في الكبير [٩٧٦٣] الرؤية للدارقطني [١٧٨] السنة لعبد الله بن أحمد [١٢٠٣] المسند للشاشي [٣٨٩].

(٢) (سنده ضعيف) اللالكائى في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٩٣، رقم ٨٥٢)به: سويد بن عبد العزيز: ضعيف.

(٣) (صحيح) البخاري [٤٥٩٧] مسلم [١٨٠].

فيقول ما تنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل ، **فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لا عدل لـه، فيتجلى لنا ضاحكًا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديًا أو نصرانيًا مكانه}**(١) وفي رواية:**{يتجلى لنا ربنا** عز وجل **ضاحكًا يوم القيامة}**(٢).

وللدارقطني عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إن الله** عز وجل **وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه** عز وجل **}**(٣) رواه الإمام أحمد وابن وهب.

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم رضى الله عنه قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال:**{يا عدي هل رأيت الحيرة؟}** قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال:**{فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله** عز وجل **- قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعّار طيّ الذين سعروا البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت كسرى بن هرمز؟ قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم لـه فيقول ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول بلى يا رب، فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم}**، قال عدي بن حاتم سمعت رسول الله ﷺ قول:

---

(١) (سنده ضعيف) مسند أحمد [١٩٦٧١] الرد على الجهمية للدارمي [١٨٠] التصديق بالنظر للآجري [٤٠] والشريعة له [٦١١] به: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٢) (سنده ضعيف) الشريعة للآجري [٦٤١] وبه: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف جدا) الطبراني في تفسيره [ج ٦ - ص٥٤٩] اعتقاد أهل السنة اللالكائي [٧٨٢] الرؤية للدارقطني [٣٩] به: أبان بن أبي عياش: متروك.

{اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قاله النبي ﷺ }[1].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا** عز وجل **حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئتهِ التي أصاب فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله** عز وجل ، **قال فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليمًا وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر الله لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله ﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيأذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع لـه ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد**

---

(١) (صـــحيح) البخاري [٣٤٠٠] (الفاقة) الفقر. (الحيرة) بلد معروف قديما مجاور للكوفة. (الظعينة) هو في الأصل اسم الهودج ثم قيل للمرأة في الهودج وقد تقال للمرأة مطلقا. (دعار) جمع داعر وهو الخبيث المفسد الفاسق والمراد بهم قطاع الطرق. (سعروا البلاد) أشعلوا فيها نار الفتنة وأفسدوها.

يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدّا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا فيدعني الله ما شاء أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن}[1] أى وجب عليه الخلود، وفي رواية لابن خزيمة:{**يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا - فذكر الحديث إلى أن قال: فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخر ساجدًا...}**[2] وذكر الحديث، وفي رواية:{**فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت لـه ساجدًا}**[3] وفي رواية:{**فآتي ربي وهو على سريره - أو كرسيه - فأخر لـه ساجدًا}**[4] وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه:{**فأستفتح، فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت لـه ساجدًا}**[5] وفي حديث أبي هريرة:{**آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر لـه ساجدًا}**[6].

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٧٢] مسلم [١٩٣].
(٢) (سنده صحيح) ابن خزيمة في التوحيد [٤٥٨] الإيمان لابن مندة [٨٧٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٧٢] مسلم [١٩٣].
(٤) (سنده صحيح) التوحيد لابن خزيمة [٣٥٨].
(٥) (سنده ضعيف) التوحيد لابن خزيمة [٤٥٩] علته: جوثة بن عبيد: لم يوثقه إلا ابن حبان كعادته في توثيق المجاهيل، وترجم لـه البخاري في التاريخ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يذكر واحد منهما جرحا أو تعديلا فيه.
(٦) (سنده ضعيف) تعظيم قدر الصلاة للمروزي [٢٣٦] زياد النميري: ضعيف.

وللدارقطني عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل :{۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ} [يونس: ٢٦] قال:{**النظر إلى وجه الله** عز وجل }(١).

ولـه وعنه رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**أتاني جبريل** رضى الله عنه **وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء، فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ قال هذه الجمعة، قلت وما الجمعة؟ قال لكم فيها خير كثير، قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيدًا لكم ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعًا لكم، قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو لـه قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس لـه قسم إلا ذخر لـه في آخرته ما هو أعظم منه، قلت ما هذه النكتة التي فيها؟ قال هي الساعة، ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة واديًا فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم** عز وجل **فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين ورأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة، ثم يرتفع على كرسيه** عز وجل **ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها، فليسوا إلى شيء**

---

(١) (سنده حسن) في الأسماء والصفات للبيهقي [٦٦٥] ورؤية الله للدارقطني [١٧٠] من حديث صهيب رضى الله عنه.

أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة}[1].

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده.

ورواه محمد بن إسحاق وعمرو بن أبي قيس، وفيه:{**فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكراسي بمنابر من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها، ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب، قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، سلوني، فيسألونه الرضا. قال: رضاي أَنْزَلَكَم داري وأنالكم كرامتي، سلوني، فيسألونه الرضا قال فيشهدهم بالرضا، ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم...}**[2] وذكر الحديث.

ورواه علي بن حرب والحسن بن عرفة وفي روايته:{**ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم}**.

ورواه الدارقطني أيضًا من طريق آخر عن أنس رضى الله عنه قال: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال:{**أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدًا ولأمتك من بعدك، قال قلت: يا جبريل ما**

---

(١) (سنده ضعيف) الدارقطني في الرؤية [٧٣/٦٩] الإبانة [ج٢٤/٣] الرد على الجهمية للدارمي [١٤٥] به الليث بن أبي سليم، وعثمان بن أبي حميد: كلاهما ضعيف، ولحديث أنس طريق آخر عند الدارمي في الرد على الجهمية [١٨٦] وبه: عمر بن عبد الله مولى غفرة: ضعيف. وفي تاريخ أصبهان [١٠٤٠] من حديث أنس وبه عصمة بن محمد: كذبه يحيى بن معين.

(٢) (سنده ضعيف) الرؤية للدارقطني [٧١] الشريعة للآجري [٦١٥] به: عثمان بن عمير وهو ابن أبي حميد: ضعيف.

هذه النكتة السوداء؟ قال: هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد، قال قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن الله اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه أعلى ذلك الوادي وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور، ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جلوسًا بعث الله عز وجل عليهم ريحًا يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل ، فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوانًا - وهو خازن الجنة - فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري، فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا لـه بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء، سلوني ما شئتم، فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي، فسلوني ما شئتم، فيقولون: ربنا وأي خير لم تفعله بنا، ألست أعنتنا على سكرات الموت، وآنست منا الوحشة في ظلمات القبور، وآمنت وحشتنا عند النفخة في الصور؟ ألست أقلت عثراتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيتنا من جوارك، وأسمعتنا لذاذة منطقك، وتجليت لنا بنورك؟ فأي خير لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عز وجل ، فيناديهم بصوته: أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، فسلوني، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول تعالى: برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم وأدنيت مني جواركم وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم

بنوري، فهذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، ثم يقول عز وجل **: سلوني، فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا، فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة، قال أنس** رضى الله عنه **فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، وما مقدار تفرقهم؟ قال: كمقدر الجمعة إلى الجمعة، قال: ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون، ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته}**(١) قال أنس رضى الله عنه : سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد ورواه أيضًا من طريق آخر.

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر بن خزيمة وابن بطة في الإبانة وغيرهم وقد جمع ابن أبي داود طرقه.

ولإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن بريدة بن الخصيب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :**{ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان}**(٢).

وللإمام أحمد وأبي داود عن أبي رزين رضى الله عنه قال: قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال:**{نعم}** قلت وما آية ذلك في

---

(١) (سنده ضعيف) الرؤية للدارقطني [٧٥] وهو أيضا ضعيف، به: حمزة بن واصل المنقري: لا يعرف ولا هو بعمدة ذكره العقيلي في الضعفاء وقال حديثه غير محفوظ، انظر لسان الميزان [١٤٧١] وضعفاء العقيلي [٣٥٩].

(٢) (سنده صحيح) التوحيد ابن خزيمة [٢١٦] ولكن بلفظ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حاجب ولا تُرْجُمَانٌ ».
وورواه في الإبانة باللفظ الذي ذكره المصنف [ج٣/٢١] والسنة لعبد الله بن أحمد [٤٠٣] وشرح أصول الاعتقاد [٦٦٥] وبه: عبد العزيز بن أبان القرشي: متروك وكذبه ابن معين وغيره انظر التقريب.

خلقه قال:{**أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟**} قلنا نعم، قال:{**الله أكبر وأعظم**}(١).

وللإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه وقد سئل عن الورود فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا، أى فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل الله لـه الدنيا وعشرة أمثالها معها(٢) ورواه مسلم في صحيحه.

وفي رواية:{**نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق**}(٣) ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين.

ولعبد الرزاق عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون لـه سجدًا فيقول: ارفعوا**

---

(١) (سنده ضعيف) سنن أبي داود [٤٧٣١] والتوحيد لابن خزيمة [٢٥٣] به: وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ: مقبول كما في التقريب.

(٢) (صحيح) مسلم [١٩١] وأحمد [١٥١٥٥].

(٣) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [٢١٨٢] غريب الحديث للحربي [٥٦٥] به: راو مبهم. وهو بمعناه في أول الحديث السابق.

رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة}[١].

وللدارقطني عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{يتجلى لنا ربنا** عز وجل **يوم القيامة ضاحكًا}**[٢].

ولأبي قرة عنه رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:**{إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم...}** فذكر الحديث، وفيه:**{فيقول أتعرفون الله** عز وجل **إن رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل لـه، قال فيتجلى تبارك وتعالى فيخرون لـه سجدًا}**[٣].

وفي سنن ابن ماجه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال تعالى: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قولـه** عز وجل **: سلام قولا من رب رحيم}** فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره[٤].

وللبيهقي عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{بينا أهل الجنة في مجلس فهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف، فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني، قالوا: نسألك**

---

(١) (سنده ضعيف جدا) الرؤية للدارقطني [٦٢] به: أحمد بن محمد بن عمر أبو سهل اليامي، كذبه أبو حاتم وابن صاعد وقال الدارقطني ضعيف وقال مرة متروك وقال ابن عدي حدث عن الثقات بمناكير ونسخ عجائب انظر لسان الميزان [ج ٨٣٨].

(٢) (سنده ضعيف جدا) الرؤية للدارقطني [٦٣] علته: نفس الحديث السابق.

(٣) مسند الحارث بن أبي أسامة كما قال ابن القيم في روضة المحبين [ص ٤٢٨] ط الكتب العلمية.

(٤) (سنده ضعيف جدا) ابن ماجة [١٨٤] والرؤية للدارقطني [٦١] الشريعة للآجري [٦١٦] الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي: منكر الحديث انظر التقريب.، و أبو عاصم العباداني: لين الحديث.

الرضا عنا، قال تعالى: رضائي أحلّكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا نسألك الزيادة، قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء جواري الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل **بكثبان من مسك أبيض أذفر فتثير عليهم ريحًا يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة يا ربنا قد جاء القوم، فيقول: مرحبًا بالصادقين ومرحبًا بالطائعين، قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضًا، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا}** فقال رسول الله ﷺ : فذلك قوله تعالى:{ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾} [فصلت: ٣٢] (١) رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية.

وللدارقطني عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله** عز وجل **يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة}**(٢).

ولابن وهب والدارقطني عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ:{**إن الله** عز وجل **لم يبعث نبيّا إلا**

(١) (سنده ضعيف جدا) البعث والنشور للبيهقي [٤٣٢] علته: كما في الحديث السابق.

(٢) (سنده ضعيف جدا) الحاكم في المستدرك [٤٤٦٣] وبه محمد بن خالد، وذكر في السند أنه الحبلي: فإن كان هو فلم أقف له على ترجمة، وذكر في تاريخ بغداد أن من شيوخ يوسف بن الحكم الخياط، محمد ابن خالد الختلي، فإن كان الختلي، فقال ابن الجوزي في الموضوعات كذبوه روى عن كثير بن هشام يتجلى لأبي بكر خاصة قال ابن مندة صاحب مناكير، انظر لسان الميزان [ج٥/ ٥١٦]، وانظر حلية الأولياء [ج٥ - ص ١١] وقد ذكر أنه محمد بن خالد الختلي.

حذره أمته، وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينًا وعاث شمالاً: يا عباد الله اثبتوا، وإنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم ينثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه (كافر) يقرأه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف، وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يسلط على نفس غيرها، وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن بردًا وسلامًا كما كانت بردًا وسلامًا على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يومًا: يومًا كسنة ويومًا كشهر ويومًا كجمعة ويومًا كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر} فقالوا: فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال:**{تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال}**(١).

وللإمام أحمد وأبي داود عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال:**{قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وإليك، اللهم وما قلتُ من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير، اللهم وما صليتُ من صلاة فعلى من صليتَ وما لعنتُ من لعنة فعلى من لعنتَ، وأنت ولي في الدنيا والآخرة، توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق**

---

(١) (سنده ضعيف) سنن ابن ماجة [٤٠٧٧] والحاكم في المستدرك [٨٦٢٠] إسماعيل بن رافع: ضعيف الحديث. مع انقطاع فيه، فيحيى بن أبي عمرو روايته عن الصحابة مرسلة.

إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أُظلم أو أعتدي أو يُعتدى عليَّ أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبًا لا تغفره، اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدًا، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لا لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، وأن لقاءك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم}(١).

وللإمام أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن أبي مِجْلَز قال: صلى بنا عمار رضى الله عنه صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى، قال أما إني دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به:{**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء ولا مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين}**(٢) وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد.

---

(١) (سنده ضعيف) مسند أحمد بن حنبل [٢١٧١٠] المستدرك [١٩٠٠] المعجم الكبير [٤٨٠٣] الأسماء والصفات للبيهقي [٣٣٩] علته: أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم في تقريب التهذيب [٧٩٧٤] ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط. كما أن ضمرة بن حبيب لم يدرك زيد بن ثابت.

(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٨٣٥١] المستدرك [١٩٢٣] صحيح ابن حبان [ج ٥ - ١٩٧١] مسند أبي يعلى [١٦٢٤] مسند البزار [١٣٩٣].

وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر:{**يا جابر، ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بخير، قال شعرت أن الله أحيا أباك، قال فأقعده بين يديه فقال: تمن عليَّ عبدي ما شئت أعطكه، قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك، أتمنى إليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى، قال تعالى: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع**}(١) وهو في المسند من حديث جابر.

وللترمذي عنه رضى الله عنه قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال: رسول الله:{**يا جابر ألا أخبرك ما قال الله** عز وجل **لأبيك؟**} قال: بلى، قال:{**ما كلم الله** عز وجل **أحدًا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا فقال: يا عبدي تمنَّ علي أعطك، قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي**}، فأنزل الله تعالى هذه الآية:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا } [آل عمران: ١٦٩] (٢) الآية قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. **قلت**: وإسناده صحيح.

وللترمذي والطبراني عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين**}(٣)

---

(١) (سنده ضعيف جدا) الحاكم [٤٩١١] الدلائل للبيهقي [١١٨٧] معرفة الصحابة [٣٨٧٥] الإبانة [٢٤٧٧] وعلتهم: فيض بن وثيق: كذبه يحيى بن معين.

(٢) (سنده حسن) الترمذي [٣٠١٠] ابن ماجة [١٩٠/ ٢٨٠٠] الحاكم [٤٩١٤].

(٣) (سنده ضعيف جدا) مسند أحمد [٤٦٢٣] الترمذي [٢٥٥٣ / ٣٣٣٠] به ثوير بن أبي فاختة: ضعيف.

وفي رواية ابن عرفة: ثم قرأ رسول الله ﷺ :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] (١) وفي رواية سعيد بن هشيم عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى**}(٢) ورواه الدارقطنى.

ولـه عنه رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة**}؟ قالوا: بلى يا رسول الله...، فذكر الحديث، إلى أن قال:{**حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن** عز وجل **فيقول: يا أهل الجنة، هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمن، فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني، فيقوم داود فيمجد ربه** عز وجل }(٣).

وروى عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي عن ابن عمر رضى الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ :{**إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه**

---

(١) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: وَهي مِن أظهر الأدلة، فَإِنَّ النَّظَرَ لــه عِدَّةُ اسْتِعْمَالاتٍ، بِحَسَبِ صِلاتِهِ وَتَعَدِّيهِ بِنَفْسِهِ: فَإِنْ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: التَّوَقُّفُ وَالانْتِظَارُ ،{انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} [الحديد: ١٣]. وَإِنْ عُدِّيَ بِـــ (فِي) فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالاعْتِبَارُ، كقولـــه:{ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ١٨٥]. وَإِنْ عُدِّيَ بِـــ (إِلَى) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالأَبْصَارِ، كقولـــه تَعَالَى:{انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} [الأنعام: ٩٩]. فَكَيْفَ إِذَا أُضِــيفَ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ مَحِلُّ الْبَصَرِ؟.

(٢) (سنده ضعيف جدا) الرؤية للدارقطني [١٩٢] رؤية الله لابن النحاس [١١] مشيخة ابن أبي صقر [٦] كوثر بن حكيم: قال أبو زرعة ضعيف وقال يحيى بن معين ليس بشيء وقال أحمد بن حنبل أحاديثه بواطيل ليس بشيء وقال الدارقطني وغيره مجهول.

(٣) (سنده ضعيف جدا) مسند عبد بن حميد [٨٥١] الرؤية للدارقطني [١٩٣] الرد على الجهمية للدارمي [١٨٩] صفة الجنة [٣٢٦] حماد بن جعفر أظنه بصري منكر الحديث [الكامل في الضعفاء].

الرحمن عز وجل **فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن** عز وجل }[1].

وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أخبرنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة: أتسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال نعم، أخبرني رسول الله ﷺ :{**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دنيء - على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله، وهل نرى ربنا، قال نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا، وقال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول ربنا** عز وجل **: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا**

(١) (سنده ضعيف جدا) نقض الدارمي [ج٢/ ص٧١٦] مسند عبد بن حميد [٨٥١] علته: كما في الحديث السابق.

يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا، قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيء، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبًا وأهلاً، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا}(١) هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قلت: ابن أبي العشرين كاتب الأوزاعي، قال أحمد وأبو حاتم ثقة، وقال النسائي ليس بذاك القوى، وقال البخاري ربما يخالف في حديثه، وفي التقريب صدوق ربما أخطأ وأما بقية رجاله فلا يسأل عنهم ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم.

ولابن بطة عن عمار بن رويبة رضى الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال:{**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم على أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا}**(٢).

وفي روايه عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال:{**إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا}**(٣).

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٥٤٩] به: عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين: فيه ضعف.
(٢) (سنده صحيح) وهو في الإبانة لابن بطة [٢٤٦٣] من حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه، والحديث في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه.
(٣) (الحديث صحيح) انظر الذي قبله.

ولأبي معاوية عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال:{**يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: نعم أنا صاحبكم، فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع، فيقال: من هذا، فيقول محمد ﷺ : قال فيفتح لـه فيجيء حتى يقوم بين يدي الله** عز وجل **فيستأذن في السجود فيأذن لـه...**}(١) الحديث.

ولابن بطة والبزار عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أتاني جبريل وإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء، قال: قلت يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قال: قلت وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة، قال: قلت: وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة، أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرًا إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز - أو يخرج - فيه أهل الجنة إلى جمعتهم ناد مناد: يا أهل الجنة أخرجوا إلى دار المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطولـه إلا الله تعالى في كثبان من المسك، قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، قال فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى ريحًا تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك**

(١) (سنده صحيح) مصنف ابن أبي شيبة [٣١٦٧٥] التوحيد لابن خزيمة [٤٥٠].

من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى، قال ثم يوحي الله سبحانه وتعالى إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يوم المزيد، قال فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا، قال فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي، فهذا يوم المزيد فسلوني، قال فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك، رب وجهك، أرنا ننظر إليه، قال فيكشف الله تبارك وتعالى الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن، ويزاد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها، قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال فيقولون: ذلك بأن الله تجلى لنا فنظرنا لـه إلى ما خفينا به عليكن، قال فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قولـه عز وجل :{ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﰐ} [السجدة: ١٧] (١).

ولابن مهدي عنه رضى الله عنه في قولـه عز وجل :{۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ}

[يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله عز وجل (٢).

قال الحاكم رحمه الله تعالى وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

---

(١) (سنده ضعيف)الإبانة لابن بطة [٢٤٧٥] القاسم بن مطيب: فيه لين.

(٢) (سنده ضعيف) التوحيد لابن خزيمة [٢٦٥] الرؤية للدارقطني [٢٢٤] اعتقاد أهل السنة اللالكائي [٧٨٣] علته: مسلم بن يزيد السعدى: مقبول انظر التقريب.

ولابن خزيمة عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس رضى الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ :{**ما من نبي إلا ولـه دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فآتي ربي وهو على كرسيه، أو على سريره فيتجلى لي ربي فأخر لـه ساجدًا**}(١).

ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس رضى الله عنه أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوًا**}(٢).

وللصنعاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا فإن منهم لملائكة قيامًا صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجودًا منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا:{**سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**}(٣).

وللدارمي عن أم الدرداء رضى الله عنه أن فضالة - يعني ابن عبيد رضى الله عنه - كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة(٤).

---

(١) (سنده ضعيف) الدلائل للبيهقي [٩١] الرد على الجهمية [٩١] به: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٢) (سنده ضعيف) الإبانة [ج٣/٣٠] الشريعة للآجري [٦١٤] قال العقيلي: جعفر بن جسر بن فرقد: حفظه فيه اضطراب شديد، وأبوه جسر: ضعيف.

(٣) الإبانة لابن بطة [ج٣/٣٣].

(٤) (سنده صحيح) السنة لابن أبي عاصم [٣٤٥] الدعاء للطبراني [١٣٢٢] شرح أصول الاعتقاد [٦٦٠] من حديث أم الدرداء عن فضالة. وهو عند الدارمي في الرد على الجهمية [٩٦] من حديث عمار بن ياسر وسنده صحيح.

وللإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:{**قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج**[١] **جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**}[٢].

وقال الصاغاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننتَ أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعت فلانًا - نسي عبّاد اسمه - ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال:{**إن لله ملائكة ترعد فرائصهم**[٣] **من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكًا يسبح الله تعالى، قال: وملائكة سجود منذ خلق السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك**}[٤].

فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة أن الله عز وجل يُرى في الآخرة كما يشاء، وأن الشهداء بعد موتهم يرونه، وأن الملائكة يرونه،

---

(١) أفحج: هو من تدانت صدور قدميه وتباعدت عقباه.

(٢) (رواته ثقات) أحمد في المسند [٢٢٨١٦] أبو داود [٤٣٢٠] الشريعة للآجري [٨٧١] الفتن للمروزي [١٤٥٤] الفتن لنعيم بن حماد [١٤٥٤] المسند للشاشي [١١٦٦] إلا أن السند به بقية بن الوليد صدوق يدلس تدليس التسوية، فعلى هذا يجب أن يصرح بالتحديث في جميع طبقات السند، وهو لم يفعل ذلك إلا مع شيخه.

(٣) فرائصهم: واحدة فريصة، وهي العضلة الصدرية.

(٤) (سنده ضعيف) الإبانة لابن بطة [ج٣/٣٤] العظمة لأبي الشيخ [٥١٥] الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا [١٠٥] به عباد بن منصور: هو إلى الضعف أقرب، وعدي بن أرطأة: مقبول.

وأن النبي ﷺ يراه عند استئذانه في الشفاعة، وأن أمة محمد ﷺ برهم وفاجرهم يرونه في عرصات القيامة، وهي للفاجر والمنافق ابتلاء وامتحان ونوع من العقوبة، وأما رؤية الفرح والسرور والتلذذ بالنظر إلى وجه الله عز وجل فهي خاصة لأوليائه المؤمنين الذين يؤذن لهم في السجود ويعطون النور التام على الصراط فيتبعونه، ثم يتجلى لهم في الجنة فيرونه كما يشاء، وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها.

وقد جاءت أحاديث صحيحة في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل منها حديث أبي موسى وحديث أنس وحديث حذيفة وحديث صهيب، وقد تقدم ذكرها قريبًا.

وللدارقطني عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى:{۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} قال النظر إلى وجه الله عز وجل [1]، ولابن جرير عنه رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن:**{الزيادة}** في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى:{۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} قال ﷺ :**{الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله** عز وجل **}** [2].

ولابن جرير عن كعب بن عجرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى:{۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} قال:**{الزيادة النظر إلى وجه الرحمن** عز وجل **وجلاله}** ورواه ابن حميد عنه بلفظ:**{الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى}**[3].

---

(١) (سنده ضعيف) الرؤية للدارقطني [٢٠٠] به: من لم أقف له على ترجمة.

(٢) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [ج٦ - ص٥٤٩] اعتقاد أهل السنة [٧٨٠] به راو مبهم.

(٣) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [ج٦ - ص٥٤٩] حلية الأولياء [ج٥ - ص٢٠٤] واعتقاد أهل السنة [٧٨١] به ابن حميد الرازي: ضعيف، وكذبه بعضهم، وإبراهيم بن المختار: ضعيف، وابن جريج مدلس وعنعن.

وللحسن بن عرفة عن أنس رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية:{۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ} قال:{**للذين أحسنوا العمل في الدنيا والحسنى هي الجنة، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله** عز وجل }[1].

وقد روى تفسير:{**الزيادة**} بالنظر إلى وجه الله عز وجل عن أبي بكر رضى الله عنه وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وأبي موسى، وعن عبادة بن الصامت وغيرهم من الصحابة رضى الله عنه، وعن التابعين عن سعيد بن المسيب عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن السابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ومقاتل وغيرهم رحمهم الله من السلف والخلف ولولا خشية الإطالة لنقلنا أقوالهم بأسانيدها، وفيما ذكرنا من المرفوع كفاية وبالله التوفيق.

* * *

(١) (سنده ضعيف جدا) اعتقاد أهل السنة اللالكائي [٧٧٩] الرؤية للدارقطني [٦٧] الرد على الجهمية لابن مندة [٨٥] نوح بن أبى مريم: كذبوه في الحديث انظر التقريب. وبه: سلم بن سالم البلخي الزاهد: ضعفه ابن معين وقال مرة ليس بشيء وقال أحمد ليس بذاك، وكان الأصم أومأ بيده إلى فيه قال ابن أبي حاتم يعنى لا يصدق، انظر لسان الميزان.

ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب

قال أبو بكر رضى الله عنه وقرأ:{۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ} فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى(١).

وقال علي رضى الله عنه : من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته(٢).

وقال حذيفة رضى الله عنه : الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى(٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، قال فيقول: ما غرك بي يا ابن آدم (ثلاث مرات) ماذا أجبت المرسلين (ثلاث مرات) ماذا عملت فيما علمت؟(٤) وقال رضى الله عنه : الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل (٥).

وقيل لابن عباس رضى الله عنه : كل من دخل الجنة يرى ربه عز وجل ؟ قال نعم(٦)، وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : يحشر الناس يوم القيامة في

(١) (سنده ضعيف مرسل) السنة لعبد الله بن أحمد [١١٢٦] الشريعة للآجري [٥٩٢] الرد على الجهمية لابن مندة [٨٤] واعتقاد أهل السنة [٧٨٤] به: سعد بن عامر البجلي: مقبول، ولم يدرك أبا بكر.
وعند الدارمي في الرد على الجهمية [١٩٠] وبه: سعيد بن نمران: مجهول انظر لسان الميزان.

(٢) (سنده ضعيف) اعتقاد أهل السنة اللالكائي [٨٥٩] به: صالح بن أبي خالد، جاء ذكره في الجرح والتعديل دون توثيق أو جرح. وبه: عمارة بن عبد: قال أبو حاتم: شيخ مجهول، لا يحتج بحديثه.انظر تهذيب الكمال.

(٣) (سنده ضعيف) التوحيد لابن خزيمة [٢٦٥] الرؤية للدارقطني [٢٢٤] اعتقاد أهل السنة اللالكائي [٧٨٣] السنة لعبد الله بن أحمد [٤٧٣] الرد على الجهمية للدارمي [١٩١] علته: مسلم بن يزيد السعدى: مقبول انظر التقريب.

(٤) (سنده صحيح) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [٦٦٥] السنة لعبد الله بن أحمد [٤٧٥] الإبانة [ج٣٢/٣].

(٥) (سنده ضعيف) شرح أصول الاعتقاد [٦١٢].

(٦) (سنده ضعيف) الشريعة للآجري [٥٩١] إبراهيم بن الحكم بن أبان: ضعيف.

صعيد واحد، فينادي: أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن تعالى، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قال أبو عفيف وهو الراوي عنه: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة، فيمرون إلى الجنة(١).

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت(٢).

وقال ابن عمر رضى الله عنه : إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله ﷻ في كل يوم مرتين (٣).

وكان فضالة بن عبيد رضى الله عنه يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك، وقد تقدم هذا الدعاء عنه(٤)، وتقدم مرفوعًا من حديث زيد بن ثابت وعبادة بن الصامت رضى الله عنه.

وقال أبو موسى رضى الله عنه :{۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ} قال: الجنة، و:{**الزيادة**} هي النظر إلى وجه الله عز وجل (٥)، وكان رضى الله عنه يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال، قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة؟ (٦).وقال أنس بن مالك رضى الله عنه في قوله عز وجل :{وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ} [ق: ٣٥] يظهر لهم الرب تبارك

(١) (سنده ضعيف) شرح أصول الاعتقاد [٦٧٥].
(٢) (سنده ضعيف) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [٦٧٦] به: محمد بن يحيى بن إسماعيل المصري: لم أقف له على ترجمة.
(٣) (سنده ضعيف جدا) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [٦٧٧] به: ثوير بن أبي فاختة: ضعيف.
(٤) (سنده صحيح) تقدم تخريجه.
(٥) (سنده ضعيف جدا) التوحيد لابن خزيمة [٢٦٧] شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [٦١١] الرد على الجهمية الدارمي [١٠٣] وانظر الرؤية للدارقطني [٥٣] به: أبو بكر الهذلي: متروك الحديث، وفي سند الدارقطني: أبان بن أبى عياش: متروك.
(٦) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٤٦٥] التوحيد لابن خزيمة [٢٥٧] أبو مراية العجلي: مجهول.

وتعالى يوم القيامة[١]، وعن جابر رضى الله عنه قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة، فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار جل وعلا فإذا تجلى لهم خروا لـه سجدًا فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم، فقد رضيت عنكم رضاء لا سخط بعده[٢].

* * *

(١) (سنده ضعيف جدا) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [٦٣٥] الدارمي في الرد على الجهمية [١٩٨] السنة لعبد الله [١١١٥] بسنده أكثر من علة.
(٢) (سنده ضعيف) الشريعة للآجري [٦١٧].

ذكر أقوال التابعين - رحمهم الله تعالى - في ذلك

قال سعيد بن المسيب والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وكعب رحمهم الله تعالى: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته، والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته نجا أولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

وقال الحسن رحمه الله تعالى: لو علم العابدون في الدين أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا.

وقال الأعمش وسعيد بن جبير رحمهما الله: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية.

وقال كعب رحمه الله تعالى ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك، فزادت ضعفًا على ما كانت، حتى يأتيها أهلها، وما من يوم كان لهم عيدًا في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئًا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك.

وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى

يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة، وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية:{۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا، فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه، فيتجلى لهم تبارك وتعالى فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى:{وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ} [يونس: ٢٦] بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى.

وقال علي بن المديني: سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا} [الكهف: ١١٠] قال عبدالله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحًا ولا يخبر به أحدًا.

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحدًا عنه إلا عذبه، ثم قرأ:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾} [المطففين: ١٥ - ١٧] قال: بالرؤية.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث:{**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا**} و:{**إن أهل الجنة يرون ربهم**} فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟

وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يومًا فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حي، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يُرَى

في الآخرة، حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى (يعني بشر المريسي قبحه الله).

* * *

ذكر أقوال الأئمة الأربعة
وطبقاتهم ومشايخهم رحمهم الله تعالى

قال مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم، وسئل رحمه الله عن قوله عز وجل :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، أتنتظر إلى الله وجل: قال: نعم، قال أشهب: فقلت إن أقوامًا يقولون تنتظر ما عنده، قال بل تنتظر إليه نظرًا، وقد قال موسى:{رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣] وقال تعالى:{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥] وذكر الطبراني وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: السيف السيف.

وقال أبو صالح كاتب الليث: أملي علي عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم:{ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾} [القمر: ٥٥] فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم:{عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] لا يرونه كما يزعمون أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم.

وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله تعالى أولياءه.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤيا فقالوا: تمر بلا كيف.

وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل: إن القرآن كلام الله، وأن الله يُرى في الجنة فهو جهمي، ذكره الطبري، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلي خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة.

وذكر ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله عز وجل ، فأنكره رجل، فصاح به وأخرجه من مجلسه، وذكر أيضًا عن ابن المبارك أن رجلا من الجهمية قال لـه: يا أبا عبد الرحمن:{**خدارًا بآن جهان جون بيند**} ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين.

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون، وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكره عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية: هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا: لا نفسر منها شيئًا ولكن نمضيها كما جاءت.

وقال عبد الوهاب الوراق: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها أنها حق.

وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل :{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥] فقال الشافعي رحمه الله تعالى: لما أن حجب هؤلاء في السخط

كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال نعم، وبه أدين الله عز وجل ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل رواه الحاكم عن الربيع عنه.

وروى الطبراني وغيره عن المزني قال سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل :{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم تبارك وتعالى ويوم القيامة.

وقال محمد بن عبد الله بن الحكم: سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالى:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل رواه أبو زرعة الرازي.

ولابن بطة عنه رحمه الله تعالى قال:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم.

وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح.

وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله - وقيل له تقول بالرؤية - فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، وقال: سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال: إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥].

وقال أبو داود: سمعت أحمد رحمه الله تعالى وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال: من قال: إن الله لا يرى فهو كافر، وقال أيضًا: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف أن الله لا يرى في الآخرة فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزي الله هذا.

وقال أبو بكر المروزي: قيل لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟ فغضب أبو عبد الله غضبًا شديدًا حتى تبين في وجهه، وكان قاعدًا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال: أخزي الله هذا، هذا لا ينبغي أن يكتب، ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهمي كافر خالف ما قاله الله عز وجل :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} وقال:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)} أخزى الله هذا الخبيث، قال أبو عبد الله: ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر.

وقال أبو طالب قال أبو عبد الله: قول الله عز وجل :{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ } [البقرة: ٢١٠]،{وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)} [الفجر: ٢٢] فمن قال: إن الله لا يرى فقد كفر.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر.

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا.

وقال حنبل بن إسحاق سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم، ينكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم، قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول، ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله، قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقرُّ بها ونمرُّها كما جاءت.

وقال الأثرم سمعت أنا عبدالله رحمه الله يقول: فأما من يقول: إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبدالله: وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا.

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق.

وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين.

وقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى: قال الله تعالى:{ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا } [الشورى: ٥١] وكلم الله موسى من وراء حجاب، فقال:{رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي } [الأعراف: ١٤٣] فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة، وقال:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥] ولا يكون حجاب إلا لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه.

قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبدالله وغيره:**{تنظرون إلى ربكم}** أحاديث صحاح، وقال تعالى: {۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} النظر إلى وجه الله عز وجل ، قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية، ونؤمن بأن الله يُرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب، قال وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن، ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

قال حنبل قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبي ﷺ أقررنا به، قال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره، قال الله عز وجل :{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟} [الحشر: ٧].

وقال عبد الله بن طاهر أمير خراسان لإسحاق بن راهويه: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام - وذكر أشياء - فإن يكونوا في هذا عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع، فقال: شفاك الله كما شفيتني، أو كما قال، ذكره الحاكم.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

وقال نعيم بن حماد للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله، فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق، قال: وتقول أن الله يُرى يوم القيامة؟ قال: نعم، فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رءوس الناس، فقال: إن الناس قد أكثروا فيك، فأردت أن أبرئك.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله تعالى:{وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ} [الأحزاب: ٤٣] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار.

قلت: واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها، وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة:{**إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**}(١).

(١) (صحيح) البخاري [٣٨٦٤] مسلم [٦٧٧].

وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود رضى الله عنه :**{من أحب لقاء الله أحب لقاءه}**(١).

وحديث أنس:**{إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله ﷺ }**(٢).

وحديث أبي ذر رضى الله عنه :**{لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة}**(٣).

وحديث أبي موسى:**{من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة}**(٤) وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد.

فهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، وهذه أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى، كلها مجتمعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في الجنة، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غاية النعيم وأعلى الكرامات وأفضل فضيلة، ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم، فنحن نؤمن بذلك كله ونشهد الله تعالى وملائكته وأنبياءه ورسله والمؤمنين على ذلك، ونضرع إلى الله تعالى وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تعالى في جنة عدن، وأن لا يحجبنا عنه فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون نعوذ بالله من ذلك، ومن جحد الرؤية فهو كاذب على الله تعالى مكذب بالصدق إذ جاءه راد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مخالف لجماعة المؤمنين كافر بلقاء الله عز وجل متبع غير سبيل المؤمنين وسيوليه الله ما تولى ويصليه جهنم إن مات مصراً على جحوده، أليس في جهنم مثوى للكافرين؟

(١) (صحيح) البخاري [٦١٤٢] مسلم [٢٦٨٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٠٧٦] مسلم [١٠٥٩].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٨٧] أحمد [٢١٣٥٣] الترمذي [٣٥٤٠].
(٤) (صحيح) البخاري [١٢٩] من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وقد وعد الله عز وجل أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة فقال تعالى: {كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾} [المطففين: ١٥ - ١٧] وتقدم تفسير ابن المبارك قولـه: {تُكَذِّبُونَ} بالرؤية.

وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو متناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا لا، قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا لا، قال: فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، فيلقى العبد فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والأبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى، فيقول أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى أى رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا، فيقول إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول لـه مثل ذلك فيقول: يارب آمنت بك وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول ها هنا إذًا، ثم يقال: الآن نبعث شاهدًا عليك، فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه}**(١).

ومن تراجم أئمة السنة على هذا الحديث: باب وعيد منكري الرؤية، والدلالة منه واضحة منطوقًا ومفهومًا ولله الحمد.

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٦٨].

ولا خلاف في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في دار الآخرة، وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه أحد قبل الموت، وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج كما سيأتي إن شاء الله بحث ذلك في موضعه وبالله التوفيق.

* * *

وجوب الإيمان بصفات الله الواردة في القرآن والسنة
وإقرارها كما أتت

٧٠ – وكل ما له من الصفات ::: أثبتها في محكم الآيات

٧١ – أو صح في ما قاله الرسول ::: فحقه التسليم والقبول

(**وكل ما**) ثبت (**له**) أى لله عز وجل (**من الصفات**) الثابتة التي (**أثبتها**) هو سبحانه وتعالى لنفسه وأخبرنا باتصافه بها (**في محكم الآيات**) من كتابه العزيز مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكر كقوله تعالى:{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ} [البقرة: ١١٥] وقوله:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} [القصص: ٨٨] وقوله تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾} [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] وقوله تعالى:{ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾} [الروم: ٣٩] وقوله:{وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾} [الليل: ١٩ - ٢٠] وقوله تعالى:{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾} [الإنسان: ٩] وقوله تعالى:{وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ} [الكهف: ٢٨] وقوله تبارك وتعالى:{وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾} [طه: ٤١] وقوله تعالى:{وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ} [آل عمران: ٢٨] وقوله عن عيسى رضى الله عنه :{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ} [المائدة: ١١٦] وكقوله تعالى:{وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ} [طه: ٣٩] وقوله تعالى:{ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: ٤٨] وقوله تعالى:{وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر: ١٣ - ١٤] وقوله تعالى:{مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] وقوله تعالى:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] وقوله تعالى:{ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ} [الزمر: ٦٧] وقوله تعالى:{ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٤٥] وكقوله تعالى:{فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى:{فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦]،{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]،{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]،

{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾} [الصف: ٤] وقوله: {وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} [آل عمران: ٥٧]، {وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٥]، {ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨] وكقوله تعالى: {۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الفتح: ١٨]، {رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ} [البينة: ٨] وقوله: {فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ} [التوبة: ٩٦]، {وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ} [الزمر: ٧] وكقوله تعالى: {سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المائدة: ٨٠] وكقوله: {كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ} [التوبة: ٤٦] وقوله في اليهود: {غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ} [الممتحنة: ١٣] وفي قاتل النفس المحرمة: {فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ} [النساء: ٩٣] وقوله: {كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾} [طه: ٨١] وكقوله تعالى: {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ} [الأعراف: ١٥٦] وكقوله: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر: ٧] وكقوله: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ} [الأنعام: ٥٤] وقوله: {وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [يونس: ١٠٧] وقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ} [آل عمران: ١٥٩] وكقوله: {وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ} [الشورى: ١٩] وقوله عن إبليس: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٢] وقوله: {سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾} [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] وكقوله: {۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [النور: ٣٥] الآية، وكقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ} [إبراهيم: ٤٧] وقوله تعالى: {إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢] وقوله: {فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥] وقوله تعالى: {هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾} [الحشر: ٢٣] وقوله تعالى: {مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾} [الناس: ٢] وقوله: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾} [آل عمران: ٢٦ - ٢٧]

وقولـه تعالى:{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأنعام: ١٩] وقولـه تعالى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧] وقولـه تعالى:{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم: ٦٤ - ٦٥] وقولـه تعالى:{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)} [الحجر: ٤٩ - ٥٠] وقولـه:{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)} [غافر: ٣] وقولـه:{وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ} [البقرة: ٢٤٥] وقولـه:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ١١٠] وقولـه:{وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣] وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات، صفات ذاته تعالى وأفعاله عز وجل .

(**أو صح في ما قاله الرسول**) من الأحاديث النبوية الصحيحة كقولـه ﷺ عن ربه عز وجل :{**يقول الله تعالى: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**}(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقولـه ﷺ :{**سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه**}(٢) رواه مسلم والأربعة من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**}(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٩٧٠] مسلم [٢٦٧٥].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٢٦].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٩٦٩] مسلم [٢٧٥١].

وعن جابر رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية:{قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ } [الأنعام: ٦٥] قال النبي ﷺ :**{أعوذ بوجهك}** قال:{أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ } [الأنعام: ٦٥] فقال النبي ﷺ :**{أعوذ بوجهك}** قال:{أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا } [الأنعام: ٦٥] فقال النبي ﷺ :**{هذا أيسر}**(١) رواه البخاري وغيره.

وقوله ﷺ :**{أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك}**(٢)رواه محمد بن إسحاق في سيرته.

وقوله ﷺ :**{وأسألك لذة النظر إلى وجهك}**(٣) الحديث تقدم في الرؤية.

وقوله ﷺ :**{مثل المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله مثل القائم المصلي حتى يرجع المجاهد}**(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وقوله ﷺ :**{من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه}**(٥) رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

وقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص:**{إنك لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تريد وجه الله تعالى إلا ازددت به رفعة ودرجة}** (٦) رواه البخاري وغيره من حديثه.

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٥٢].
(٢) (سنده ضعيف) الدعاء للطبراني [١٠٣٦] الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي [١٨٥١] والكامل في الضعفاء [ج٦ - ص١١١] تاريخ دمشق [ج ٤٩ - ص١٥٢] الأحاديث المختارة [١٦٢] وعلته: محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة: صدوق، ولكنه مدلس، وقد عنعن، ولم أقف له على تصريح بسماع أو تحديث.
وهو عند عبد الرزاق [٩٢٣٤] بسند ضعيف مرسل، عن طاووس رفعه: وبالسند أبو أيوب الثقفي: ضعيف انظر تهذيب التهذيب [٦٨٥].
(٣) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٨٣٥١] المستدرك [ج١ - ١٩٢٣].
(٤) (صحيح) البخاري [٢٦٣٥] مسلم [١٨٧٨].
(٥) (سنده صحيح) أحمد [٢٢٤٨] أبو داود [٥١٠٨].
(٦) (صحيح) البخاري [٦٠١٢] مسلم [١٦٢٨].

وقولـه ﷺ :{**وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده**}[١] رواه ابن خزيمة والبيهقي من حديث الحارث الأشعري.

وقولـه ﷺ في صفة الدجال:{**ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**}[٢]الحديث متفق عليه من حديث أنس وابن عمر وغيرهما.

وقولـه ﷺ في حديث الشفاعة:{**يقول الناس لآدم: أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده...**}[٣] الحديث متفق عليه عن أنس رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، قال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**}[٤] متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك**}[٥] متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنه واللفظ للبخاري.

وتصديقه ﷺ اليهودي الذي قال لـه: يا محمد إن الله تعالى يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا وتصديقًا لـه}[٦] متفق عليه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

(١) (سنده صحيح) ابن خزيمة في التوحيد [١٩] والأسماء والصفات للبيهقي [٦٥٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٧١٢] مسلم [٢٩٣٣].
(٣) (صحيح) سبق تخريجه.
(٤) (صحيح) البخاري [٤٤٠٧] مسلم [٩٩٣].
(٥) (صحيح) تقدم.
(٦) (صحيح) البخاري [٦٩٧٨] مسلم [٢٧٨٦].

وقولـه ﷺ :{**لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي**}[١] متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقولـه ﷺ :{**إن الله تعالى يفتح أبواب السماء في ثلث الليل الباقي فيبسط يديه فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه...**}[٢] الحديث، تقدمت ألفاظه في إثبات النزول.

وقولـه ﷺ :{**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**}[٣] متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقولـه ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى:{**فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده**}[٤] الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقولـه ﷺ :{**إن يد الله هي العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل أسفل من ذلك**}[٥] رواه ابن خزيمة من حديث حكيم بن حزام وأصله في الصحيح.

وقولـه ﷺ في قصة خلق آدم:{**فقال الله تبارك وتعالى ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته**}[٦] الحديث أخرجه ابن خزيمة والبيهقي من حديث أبي هريرة.

---

(١) (صحيح) تقدم.
(٢) (صحيح) تقدم تخريجه.
(٣) (صحيح) تقدم.
(٤) (صحيح) تقدم.
(٥) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٥٩٣١] أبو داود [١٦٤٩] ابن خزيمة في التوحيد [٨٧] وفي صحيحه [٢٤٤٠].
(٦) (سنده حسن) الترمذي [٣٣٦٨] الحاكم في المستدرك [٢١٤] ابن حبان في صحيحه [٦١٦٧].

وقولـه ﷺ في قصة سؤال موسى رضى الله عنه ربه عز وجل عن منازل أهل الجنة:{**قال يا رب فأخبرني بأعلاهم منزلة، قال: هذا أردت فسوف أخبرك، قال غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها**}(١) الحديث رواه البيهقي وابن خزيمة من حديث المغيرة بن شعبة.

وقولـه ﷺ :{**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده**}(٢) الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**إن الله** عز وجل **يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**}(٣) رواه مسلم من حديث أبي موسى رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**}(٤) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه**}(٥) الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**وما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، يدَّعون لـه الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**}(٦) رواه البخاري عن أبي موسى رضى الله عنه.

(١) (صحيح) مسلم [١٨٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٥٥] مسلم [٢٧٩٢] (خبزة) قطعة عجينة مخبوزة وهي الرغيف. (يتكفؤها) يميلها ويقلبها. والمعنى أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف الكبير يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ من الحساب والله تعالى قادر على كل شيء.
(٣) (صحيح) مسلم [٢٧٥٩].
(٤) (صحيح) تقدم تخريجه.
(٥) (صحيح) تقدم تخريجه.
(٦) (صحيح) البخاري [٦٩٤٣].

وقولـه ﷺ :{**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره**}(١) الحديث.

وقولـه ﷺ :{**عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**}(٢) رواه أحمد والبخاري من حديث ابن مسعود.

وقولـه ﷺ :{**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**}(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقولـه ﷺ في حديث الشفاعة:{**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله**}(٤).

وقولـه ﷺ :{**من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله**}(٥) رواه أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنه وفي رواية:{**من خاصم في باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع**}(٦).

وقولـه ﷺ :{**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها**}(٧).

(١) (سنده ضعيف) مسند أحمد [١٦٢٣٢] ابن ماجة [١٨١] الطيالسي [١٠٩٢] السنة لابن أبي عاصم [٥٥٤] كلهم بلفظ (ضحك بدلا من عجب) وعلتهم جميعا: وكيع بن عدس: مقبول. ومعنى الحديث: أن الله تعالى يضحك من أن العبد يصير مأيوسا من الخير بأدنى شر وقع عليه. مع قرب تغييره تعالى الحال من شر إلى خير ومن مرض إلى عافية ومن بلاء ومحنة إلى سرور وفرحة.

(٢) (صحيح) البخاري [٢٨٤٨] (عجب الله) رضي عن ذلك وأثاب عليه. (في السلاسل) هو مجاز عن دخولهم في الإسلام مكرهين ثم يحسن حالهم فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة.

(٣) (صحيح) البخاري [٢٦٧١] مسلم [١٨٩٠] وتتمة الحديث حتى يتضح معناه (يُقَاتِلُ هَذَا في سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ).

(٤) (صحيح) البخاري [٤٤٣٥] مسلم [١٩٤].

(٥) (سنده ضعيف) أبو داود [٣٥٩٨] به: المثنى بن يزيد: مجهول.

(٦) (سنده حسن) أبو داود [٣٥٩٧] أحمد في المسند [٥٣٨٥].

(٧) (صحيح) مسلم [١٤٣٦].

وقولـه ﷺ :{**وإذا أبغض عبدا دعا جبرائيل فيقول إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال فيبغضونه، ثم يوضع لـه البغضاء في الأرض**}(١) رواه مسلم.

وقولـه ﷺ :{**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**}(٢) رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ في قصة أصحاب بئر معونة:{**بلغوا قومنا عنا أنَّا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**}(٣) وهو في الصحيح من حديث أنس رضى الله عنه، وهو من التنزيل المنسوخ تلاوة.

وقولـه ﷺ في قصة سبي هوازن:{**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**}(٤) أخرجاه من حديث عمر رضى الله عنه.

وقولـه ﷺ :{**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا ونزّل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**}(٥) أخرجاه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

ولمسلم معناه من حديث سلمان رضى الله عنه، وفيه:{**كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة**}(٦).

وقولـه ﷺ :{**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**}(٧) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٣٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٣٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٦٥٩] مسلم [٦٧٧].
(٤) (صحيح) البخاري [٥٦٥٣] مسلم [٢٧٥٤].
(٥) (صحيح) البخاري[٥٦٥٤] مسلم [٢٧٥٢].
(٦) (صحيح) مسلم [٢٧٥٣].
(٧) (صحيح) البخاري [٦٩٤٨] مسلم [٢٧١٧].

وقوله ﷺ عن أيوب رضى الله عنه :**{وعزتك لا غني بي عن بركتك}**(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وقوله ﷺ :**{اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن}**(٢) أخرجاه من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

وقوله ﷺ :**{اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك}**(٣) لمسلم والأربعة عن عائشة.

وقوله ﷺ :**{إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته}**(٤) قال ثم قرأ:{وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [هود: ١٠٢] أخرجاه من حديث أبي موسى رضى الله عنه.

وقوله ﷺ :**{فإن الله لم يك لينسى شيئًا وما كان ربك نسيًا}**(٥) رواه البخارى وابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه.

وقوله ﷺ في حلفه:**{لا ومقلب القلوب}**(٦) أخرجاه من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه.

وقوله ﷺ :**{ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، فإذا أشاء أن يقيمه أقامه، وإن أشاء أن يزيغه أزاغه}**(٧) رواه أحمد والشيخان

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٧٥].
(٢) (صحيح) البخاري [١٠٦٩، ٥٩٥٨، ٦٩٥٠، ٧٠٠٤، ٧٠٦٠] مسلم [٧٦٩].
(٣) (صحيح) مسلم [٤٨٦].
(٤) (صحيح) البخاري [٤٤٠٩] مسلم [٢٥٨٣].
(٥) (صحيح) البخاري [٧٤٠] من حديث ابن عباس رضى الله عنه. وعند الدارقطني [٢٠٨٩] والحاكم [٣٤١٩] ومسند الشاميين للطبراني [٢٠٦٢] من حديث أبي الدرداء بسند حسن.
(٦) (صحيح) البخاري [٦٢٥٣].
(٧) (صحيح) مسلم [٢٦٥٤] أحمد [١٧٦٦٧] واللفظ لأحمد.

وغيرهما من حديث عائشة رضى الله عنها، وفي صدره:{**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**}(١).

وقولـه ﷺ في صفة الجنة والنار:{**لا يزال يلقى فيها - يعني النار - وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قد قد بعزتك وكرمك**} وفي رواية:{**قط قط**}(٢) بالطاء، أخرجاه من حديث أنس، وقولـه ﷺ :{**لا شخص أغير من الله**} علقها البخاري بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده(٣).

وقولـه ﷺ :{**أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة**}(٤) رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة في الترجمة السابقة.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّا، يحتاج استقصاؤها إلى بسط طويل وفيما ذكرنا كفاية، وما أشبه فسبيله سبيله.

(**فحقه التسليم**) لـه (**والقبول**) الفاء واقعة في جواب كل ما، فنقول في ذلك ما ذكره الله تعالى عن الراسخين في العلم حيث قال:{وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾} [آل عمران: ٧ - ٨] ولا نضرب كتاب الله بعضه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما يفعله الذين في

---

(١) (سنده صحيح لغيره) الترمذي [٣٥٢٢] وعنده شهر بن حوشب، وهو عند أحمد بسند صحيح [١٧٦٦٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٤٩] مسلم [٢٨٤٨] قد قد: حسبي حسبي.
(٣) (صحيح) مسلم [١٤٩٩] الدارمي في سننه [٢٢٢٧].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٩٨٠] مسلم [١٤٩٩].

قلوبهم زيغ أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله إنه سميع مجيب.

٧٢ - نُمِرُّها صريحة كما أتت ::: مع اعتقادنا لما له اقتضت

٧٣ - من غير تحريف ولا تعطيل ::: وغير تكييف ولا تمثيل

٧٤ - بل قولنا قول أئمة الهدى ::: طوبى لمن بهديهم قد اهتدى

أى جميع الآيات والصفات وأحاديثها (**نمرها صريحة**) أى على ظواهرها (**كما أتت**) عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل متصلاً إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب (**مع اعتقادنا**) إيمانًا وتسليمًا (**لما له اقتضت**) من أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفات كماله ونعوت جلاله كما يليق بعظمته وعلى الوجه الذي ذكره وأراده (**من غير تحريف**) لألفاظها كمن قال في قوله تعالى:{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا } [النساء: ١٦٤] إن التكليم من موسى وإن لفظ الجلالة منصوب على المفعولية فرارًا من إثبات الكلام كما فعله بعض الجهمية والمعتزلة، وقد عرض ذلك على أبي بكر بن عياش فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ :{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا } يعني برفع لفظ الجلالة على الفاعلية، وهو مجمع عليه بين القراء، روى ذلك ابن مردويه عن عبد الجبار بن عبد الله عن ابن عياش رحمه الله تعالى.

وروى ابن كثير أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ:{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا } فقال له: يا ابن اللخناء[1] كيف تصنع بقوله تعالى:{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف: ١٤٣]

(١) اللخناء: السقاء غيره، لخنا: انتن فهو لَخنٌ، يعني منتن، وهي لَخنة ولخناء، يعني: نتنة أو منتنة.

يعني أن هذا لا يقبل التحريف ولا التأويل، كما قال جهم بن صفوان لعنه الله في قولـه تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥} [طه: ٥] حيث قال: لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها ولأبدلتها استولى، ولـه في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه حيث قال تعالى لهم:{وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ} [البقرة: ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاهم[1] وقالوا:**{حنطة}**[2] فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجدًا وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فكان جزاؤهم ما ذكره الله تعالى حيث يقول:{ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩} [البقرة: ٥٩] وجعلهم الله عبرة لمن بعدهم، فمن فعل كمن فعلوا فسبيله سبيلهم كما مضت سنة الله بذلك:{ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ٤٣} [القمر: ٤٣].

و(**من غير تحريف**) لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضًا كتأويلهم:**{نفسه}** تعالى بالغير وأن إضافتها إليه كإضافة بيت الله وناقة الله، فعلى هذا التأويل يكون قولـه تعالى:{وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ} [آل عمران: ٢٨] أي غيره وقولـه:{كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ } [الأنعام: ٥٤] أي على غيره، ويكون قولـه تعالى عن عيسى:{تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ } [المائدة: ١١٦] أي ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قولـه تعالى لموسى:{وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١} [طه: ٤١] أراد واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقولـه عاقل، بل ولا يتوهمه ولا يقولـه إلا كافر، وكتأويلهم:**{وجهه}** تعالى بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البين، وهذا يكفي حكايته عن رده.

أما من أثبت النفس وأول الوجه بذلك فيقال لـه: إن الله تعالى قال:{وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧} [الرحمن: ٢٧] فذكر الوجه مرفوعًا على الفاعلية ولفظ

(١) واحدتها: إست وهي اسم من أسماء الدبر.
(٢) (صحيح) البخاري [٤٢٠٩].

رب مجرورًا بالإضافة وذكر:{ذُو} مرفوعًا بالتبعية نعتًا لوجه، فلو كان لوجه هو الذات لكانت القراءة:

{**ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام**} بالياء لا بالواو كما قال تعالى:{تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾} [الرحمن: ٧٨] فخفضه لما كان صفة للرب فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعًا تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز فعدلوا إلى تأويله به أولى وأنه كما يقال:{**وجه الكلام**} و:{**وجه الدار**} و:{**وجه الثوب**} ونحو ذلك، فتكلفوا الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ كل التكلف ثم نكسوا على رءوسهم فوقعوا فيما فروا منه، فيقال لهم: أليس الثوب والدار والكلام مخلوقات كلها وقد شبهتم وجه الله تعالى بذلك؟ فأين الفكاك والخلاص ولات حين مناص:{وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [فصلت: ٢٣] وكما أولوا اليد بالنعمة واستشهدوا بقول العرب:{**لك يد عندي**} أي نعمة فعلى هذا التأويل يكون قولـه تعالى:{بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] يعني نعمتاه فلم يثبتوا لله إلا نعمتين والله تعالى يقول: {أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠] ويكون قولـه تعالى:{لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَىَّ} [ص: ٧٥] أراد بنعمتي، فأي فضيلة لآدم على غيره على هذا التأويل، وهل من أحد لم يخلقه الله بنعمته؟ ويكون قولـه تعالى:{وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ} [الزمر: ٦٧] أراد مطويات بنعمته، فهل يقول هذا عاقل؟

وقال آخرون منهم:{**بقوته**} استشهادًا بقولـه تعالى:{وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ} [الذاريات: ٤٧] أي بقوة فيقال لهم: أليس كل مخلوق خلقه الله بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قولـه عز وجل :{مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَىَّ} [ص: ٧٥] وأي فضل لآدم على إبليس إذ كل منهما خلقه الله بقوته؟ ومعنى قولـه تعالى للملائكة:

لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت لـه: كن فكان، أفلم يخلق الملائكة بقوته، وأي فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفته، نبئوني بعلم إن كنتم صادقين، وكما تأولوا الاستواء بالاستيلاء واستشهدوا ببيت مجهول مروي على خلاف وجهه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصراني:

قد استوى بشر على العراق ::: **من غير سيف ودم مهراق**

فعدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام ولا على لغة العرب، فطفق أهل الأهواء يفسرون به كلام الله عز وجل ويحملونه عليه، مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك وأن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه ألبتة.

وقد سئل ابن الأعرابي وهو إمام أهل اللغة في زمانه فقال: العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون لـه فيه مضاد، فأيهما غلب قيل استولى، والله سبحانه لا مغالب لـه.ا هـ.

وقد فسر السلف الاستواء بِعَدَّةِ معان بحسب أداته المقترنة به، وبحسب تجريده عن الأداء، ولم يذكر أحد منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء حتى انتحل ذلك أهل الأهواء والبدع لا باشتقاق صغير ولا كبير، بل باستنباط مختلق وافق الهوى المتبع، وقد بسط القول في رد ذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الصواعق وبين بطلانه من نيف وأربعين وجهًا فليراجع.

وكما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمره فيقال لهم: أليس أمر الله تعالى نازلاً في كل وقت وحين؟ فماذا يخص السحر بذلك؟ وقال آخرون: ينزل ملك بأمره، فنسب النزول إليه تعالى مجازًا، فيقال لهم: فهل يجوز على الله تعالى أن يرسل من يدعو ربوبيته، وهل يمكن للملك أن يقول:{**لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر لـه**}

فهل قصرت عبارة النبي ﷺ عن أن يقول ينزل ملك بأمر الله فيقول: إن الله تعالى يقول لكم كذا أو أمرني أن أقول لكم كذا حتى جاء بلفظ مجمل يوهم بزعمكم ربوبية الملك، لقد ظننتم بالله تعالى ورسوله ﷺ ظن السوء وكنتم قومًا بورًا.

وكما أولوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز فقالوا يجيء أمره واستدلوا بقوله تعالى:{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ } [النحل: ٣٣] فقالوا في قوله تعالى:{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ} [البقرة: ٢١٠] فقالوا هو من مجاز الحذف والتقدير يأتي أمر الله، فيقال لهم: أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا عز وجل غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصل تعالى ذلك وقسمه ونوعه تنويعًا يمتنع معه الحمل على المجاز فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه ومجيء الملائكة وكذا في آية الفجر وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره، ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟ أليس أمره آتيًا في كل وقت، متنزلاً بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل نفس ولحظة:{يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾} [الرحمن: ٢٩].

وتأولوا النظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة بالانتظار قالوا إنه كقوله:{ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} [الحديد: ١٣] فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعدى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله:{ٱنظُرُونَا} ألم يضف الله تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار، ويعده بإلى التي تفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة:{قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ} [البقرة: ١٤٠] أولم يفسره النبي ﷺ بالرؤية الجلية عيانًا بالأبصار في أكثر من خمسين حديثًا صحيحًا: حتى شبه تلك الرؤية برؤيتنا الشمس صحوا ليس دونها سحاب، تشبيها للرؤية بالرؤية، لا للمرئى بالمرئي، ولم يزل الصحابة مؤمنين بذلك، ويحدثون به من

بعدهم من التابعين، وينقله التابعون إلى من بعدهم وهلم جرا، فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة، عن الصحابة، عن النبي ﷺ فأنتم عمن أخذتم؟

ومن شبهاتهم في نفي الرؤية استدلالهم بقوله عز وجل :{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] وهذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران:

أولهما: لا يُرَى في الدنيا، وهو مروي عن عائشة رضى الله عنها وبذلك نفت أن يكون رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج.

ثانيهما: تفسير ابن عباس رضى الله عنه :{لَّا تُدْرِكُهُ} أى لا تحيط به، فالنفي للإحاطة لا للرؤية وهذا عام في الدنيا والآخرة ولم ينقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيح ولا ضعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة، فهذا تفسير الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب؛ هل بينهم من أحد فسر الآية بما افتريتموه؟

ومن إفكهم ادعاؤهم معنى التأبيد في النفي:{لَن تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣] حتى كذبوا على رسول الله ﷺ حديثًا مختلقًا لفظه لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة، وهو موضوع مكذوب على النبي ﷺ باتفاق أئمة الحديث والسنة، ولم يقل أحد من أئمة اللغة العربية إن نفي:{لن} للتأبيد مطلقًا إلا الزمخشري من المتأخرين، قال ذلك ترويجًا لمذهبه في الاعتزال وجحود صفات الخالق جل وعلا، وقد رده عليه أئمة التفسير كابن كثير وغيره ورده ابن مالك في الكافية حيث قال:

ومن يرى النفي بلن مؤبدا ::: فقوله اردد وسواه فاعضدا

والقائل لموسى:{لَن تَرَانِي} هو المتجلي للجبل حتى اندك، وهو الذي وعد المؤمنين:{الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] وهو الذي قال:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فاتضح بذلك أن قوله لموسى ﷺ :{لَن تَرَانِي} إنما أراد عدم استطاعته رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوى البشرية فيها

عن ذلك كما قرر تعالى ذلك بقولـه ﷻ:{وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا} [الأعراف: ١٤٣] الآية، فإذا لم يثبت الجبل لتجلي الله تعالى فكيف يثبت موسى لذلك وهو بشر خلق من ضعف؟ وأما في الآخرة فخلق الله تعالى في أوليائه قوة مستعدة للنظر إلى وجهه عز وجل. وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأتلف كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأما من اتبع هواه بغير هدى من الله، ونصب الخصام أو الجدال والمعارضة بين نصوص الكتاب والسنة، واتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، وضرب كتاب الله بعضه ببعض وآمن ببعض وكفر ببعض وشاقَّ الرسول من بعد ما تبين لـه الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله؟ أعاذنا الله وجميع المؤمنين من ذلك. ولا يتأتي لأحد من أهل التأويل مراده ولا يستقيم لـه تأويله إلا بدفع النصوص بعضها ببعض لا محالة ولا بد، فإن كتاب الله تعالى يصدق بعضه بعضًا لا يكذبه كما هو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه، وكذلك سنة النبي ﷺ تبين الكتاب وتوضحه وتفسره وتدل عليه وترشد إليه، ولا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه إلا من اتخذ إلهه هواه، وأدلى بشبهاته لغرض شهواته:{بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠} [البروج: ١٩ - ٢٠] وهذا دأبهم في جميع نصوص الأسماء والصفات، وإنما ذكرنا هذه الجملة مثالاً وتنبيهًا على ما وراء ذلك، فمن عوفي فليحمد الله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(**ولاتعطيل**) أى للنصوص بنفي ما اقتضته من صفات كمال الله تعالى ونعوت جلاله فإن نفي ذلك من لازمه نفي الذات ووصفه بالعدم المحض، إذ ما لا يوصف بصفة هو العدم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا، ولهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى في الجهمية: إنهم يحاولون

أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد وذلك لجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وذلك يتضمن التكذيب بالكتاب والسنة، والافتراء على الله كذبًا:{۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾} [الزمر: ٣٢ - ٣٥].

(**وغير تكييف**) تفسير لِكُنْه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال: استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا ونحو ذلك من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل واعتقاد ما لم يأذن به الله، ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى:{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ} [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾} [طه: ١١٠] فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه ككيفيتها:{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟} [الحشر: ٧].

(**ولا تمثيل**) أي ومن غير تشبيه لشيء من صفات الله بصفات خلقه، فكما أنَّـا نثبت لـه ذاتًا لا تشبه الذوات؛ فكذلك نثبت لـه ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ونعتقد تنزهه وتقدسه عن مماثلة المخلوقات:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] (١)

---

(١) في قولـه:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ} [الشورى: ١١]، رَدٌّ عَلَى الْمُشَبِّهَةِ. وقولـه تَعَالَى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾} [الشورى: ١١]، رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ (الذين ينفون صفات الرب سبحانه وتعالى)، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَيْسَ لــه فِيهَا شبه.

وإذا كان القول على الله بلا علم في أحكام الشريعة هو أقبح المحرمات كما قال تعالى:{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)} [الأعراف: ٣٣] فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته من تشبيه خلقه به أو تشبيهه لخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم، وإن اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفر بالله عز وجل أقبح الكفر، وقد نزه الله تعالى نفسه عن ذلك كله في كتابه كما قال تعالى:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص: ١ - ٤] وقال تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم: ٦٥] وقال تعالى:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} [الشورى: ١١] وقال تعالى:{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)} [النحل: ٦٠] وقال تعالى:{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)} [النحل: ٧٤] وغير ذلك من الآيات، بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يرسل الله تعالى رسله ولم ينزل كتبه إلا بذلك:{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ } [الأحزاب: ٤].

(بل قولنا)

فَالْمَخْلُوقُ وَإِنْ كَانَ يُوصَفُ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ - فَلَيْسَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ كَسَمْعِ الرَّبِّ وَبَصَرِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَةِ تَشْبِيهٌ، إِذْ صِفَاتُ الْمَخْلُوقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ. (شرح الطحاوية).

تنبيه: قد توهم بعض الضلال أن الآية تثبت المثل والشبيه لـــه سبحانه وتعالى، وليس الأمر كذلك، فإن العارف بوجوه العربية، وفنون الإعراب يضحك مما قالوا.

وفي إعراب (كمثله) وجوه: أحدها: أن الكاف صلة زيدت للتأكيد. قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٍ ::: خَلْقٌ يُوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ

الثاني: أنه ليس ثم زيادة أصلا، بل هذا من باب قولهم: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعله، وثمَّ وجوه أخر ضعيفة، والأول قوي متجه (شرح الطحاوية بتصرف).

الذي نقوله ونعتقده وندين الله به هو **(قول أئمة الهدى)** من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي والثوري وابن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب الأمهات الست وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف وبلا تشبيه ولا تعطيل.

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن الله عز وجل ؛ فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة تفسيرها قراءتها، وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه مما وردت به الآيات الصريحة ووصفه به رسوله ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته ونفى عن الله النقائض فقد سلك سبيل الهدى.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، وقال أيضًا رحمه الله: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وتثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة: ليس يشبهه شيء، وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصف بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولاحد إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل متكلمًا، عالمًا، غفورًا، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى:{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ} [الأعراف: ٥٤] كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة، قلت له: والمشبه ما يقول؟ قال: من قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله تعالى بخلقه. انتهى.

وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثير منه في الاستواء والكلام والنزول والرؤية وغير ذلك.

(**طوبى لمن بهديهم قد اهتدى**) إذ هم خير القرون وأعلم الأمة بشريعة الإسلام وأولاهم باتباع الكتاب والسنة واقتفاء آثار رسول الله ﷺ، وبهم حفظ الله الدين على من بعدهم فرحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم وألحقنا بهم سالمين غير مفتونين إنه سميع الدعاء.

* * *

توحيد الإثبات [١]

٧٥ – وسم ذا النوع من التوحيد ::: توحيد إثبات بلا تردد

٧٦ – قد أفصح الوحي المبين عنه ::: فالتمس الهدى المنير منه

(**وسم ذا النوع**) والإشارة بذا إلى ما تقدم من قوله:{**إثبات ذات الرب**}إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبية والأسماء والصفات (**من**) نوعي (**التوحيد**) المشار إليهما: بقول وهو نوعان (**توحيد إثبات**) لاشتماله على إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته ونفي ما يناقض ذلك كما نفاه عن نفسه تبارك وتعالى، فنؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من صفات كماله ونعوت جلاله بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأبين دليلاً من غيره، وقد عكس الزنادقة الأمر فنفوا عنه ما أثبته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه وصفاته وكذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فبعدًا لقوم لا يؤمنون.

فائدة: قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحدًا سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤوَّل مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرَّع من هذا أن الظاهر يعنى به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف الصالح: الاستواء معلوم، وكما قال سفيان وغيره: قراءتها تفسيرها، يعني أنها بينة

(١) أنت ترى المصنف رحمه الله قد جرى في نظمه على تقسيم التوحيد إلى قسمين، كما أشرتُ من قبل. وهما: توحيد المعرفة والإثبات، ويشمل (توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات) وتوحيد القصد والطلب، وهو ما يسميه آخرون بتوحيد الألوهية.

واضحة في اللغة لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف مع اتفاقهم أيضًا أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ الباري لا مثل لـه لا في ذاته ولا في صفاته.

والثاني: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة، كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله تعالى فرد صمد ليس لـه نظير، وإن تعددت صفاته فإنها حق ولكن ما لها مثل ولا نظير، فمن ذا الذي عاينه ونعته لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع موسى كلامه؟ والله إنا لعاجزون كالون حائرون باهتون في حد الروح التي فينا وكيف تعرج كل ليلة إلى بارئها، وكيف يرسلها، وكيف تستقل بعد الموت، وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله، وكيف حياة النبيين الآن، وكيف شاهد النبي أخاه موسى يصلي في قبره قائمًا(١)، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته(٢)، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه(٣)، وكذلك نعجز عن وصف هيئتنا في الجنة ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني، فالله أعلى وأعظم، ولـه المثل الأعلى والكمال المطلق ولا مثل لـه أصلاً:{ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ٥٢] انتهى كلامه بحروفه.

قلت: قولـه: من ذا الذي عاينه فنعته، هذا لا معنى لـه، فإن المؤمنين يرونه تعالى في الجنة عيانًا بأبصارهم ولا يستطيع أحد منهم نعته تعالى:{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام: ١٠٣]،{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا}

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٣٧٥].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٢] مسلم [١٦٣].
(٣) (صحيح) سبق تخريجه.

[طه: ١١٠] وكان حقه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علمًا فنعته، وقوله الثاني: إن ظاهرها الذي يتشكل في الخيال... الخ، قد قدمنا أن هذا التصور الفاسد هو الذي يعمل جهلة النفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا من هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي ثم قاسوا وشبهوا بعد أن فكروا وقدروا ثم نفوا وعطلوا، فسحقًا لأصحاب السعير.

(**قد أفصح الوحي المبين**) من الكتاب والسنة وكذلك الصحف الأولى (**عنه**) غاية الإفصاح وشرحه الله تبارك وتعالى أكثر من شرح بقية الأحكام لعظم شأن متعلقه، (**فالتمس**) اطلب (**الهدى المنير**) أى من الوحي المبين لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرة ضل وغوى ولا بد، فإنا لا نعلم من علم الله سبحانه إلا ما علمنا هو، فنصدق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسله عنه كما ننقاد ونسلم ونمتثل لما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، بل إن تأويل الأمر والنهي أخف جرمًا من تأويل معاني الربوبية والأسماء والصفات والتكذيب بالبعث والنشور والوعد والوعيد دون التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأخبرت عنه به رسله من ذلك مع أن جرم كل منهما عظيم، أعاذنا الله وجميع المسلمين من الزيغ والضلال، آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون.

٧٧ - لا تتبع أقوال كل ما رد ::: غاو مضل مارق معاند
٧٨ - فليس بعد رد ذا التبيان ::: مثقال ذرة من الإيمان

(**لا تتبع**) أيها العبد (**أقوال كل مارد**) على بدعته وزندقته واتباع هواه (**غاو**) زائغ في دينه مفتون في عقيدته (**مضل**) لغيره (**مارق**) من الإسلام (**معاند**) لنصوص الكتاب والسنة وما دلت عليه، مكذب بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله (**فليس**) يبقى (**بعد رد ذا التبيان**) الذي جاء في الكتاب والسنة من الآيات المحكمة الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة

(**مثقال ذرة من الإيمان**) في قلب من رد ذلك؛ لأن الله تعالى هو الحق وقوله الحق:{فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ} [يونس: ٣٢] وقال تعالى:{ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾} [الكهف: ٥٦] وقال تعالى:{مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾} [غافر: ٤] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ} [فصلت: ٤٠] وقال تعالى:{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾} [النمل: ٨٣ - ٨٥] وهذه الآيات يدخل فيها كل مكذب بأي شيء من الكتاب، فكيف إذا كذب بصفات منزل الكتاب، بل جحد أن يكون الله تعالى تكلم بالكتاب، ألا لعنة الله على الظالمين.

* * *

فصل
طوائف الملاحدة في التوحيد

والملاحدة في توحيد المعرفة والإثبات فرق كثيرة وأشياع متفرقة، ولكن رؤوسهم خمس طوائف:

الأولى: سلبية محضًا يثبتون إثباتًا هو عين النفي ويصفون الباري تعالى بصفات العدم المحض الذي ليس هو بشيء ألبتة، وليس له عندهم حقيقة غير أنهم يقولون هو موجود لا داخل العالم ولا خارجًا عنه ولا مباينًا له ولا محايثًا وليس على العرش ولا غيره ولا يثبتون له ذاتًا ولا اسمًا ولا صفة ولا فعلاً بل ذلك عندهم هو عين الشرك، وهذا هو الذي صرح به غلاة الجهمية[١]، وقد كان قدماؤهم يتحاشون عنه ويتسترون منه، وكان السلف من أئمة الحديث يتفرسون فيهم ذلك وأنهم يبطنونه ولا يبوحون به، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولهم في الجهمية: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد، ويقول بعضهم: إنهم يزعمون أن إلهك الذي بالسماء ليس بشيء، ولكنه لم يصرح بذلك ويظهره إلا ابن سينا صاحب الإشارات تلميذ الفارابي، وهو منسوب إلى أرسطو اليوناني، وهو يرجع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في[٢] المعنى، وهو الذي نصره الملحد الكبير نصير الشرك الطوس وأشباهه، قبحهم الله تعالى.

الطائفة الثانية: الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وهؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة

(١) الجهمية: ينسبون للضال: جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله (سالم بن أحوز المزني) بمرو، آخر أيام بني أمية، وهؤلاء يقولون بخلق القرآن، وغلوا في التعطيل حتى نفوا الأسماء والصفات جميعا، ولا يثبتون لله تعالى ذاتا ولا اسما ولا صفة.
(٢) الدهرية الطبائعية: نسبة إلى الدهر والطبيعة، وهم منكرو الخالق سبحانه.

الحديث كأحمد بن حنبل وغيره، ولهذا قال جهم بن صفوان لما ناظره السمنية في ربه وحار في ذلك ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر فقال: هو هذا الهواء الذي هو في كل مكان، وكذلك كان يقول كثير من أتباعه، ولم يكن ولا هم يريدون ذلك وإنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماء الباري وصفاته وكلامه ورؤيته في الدنيا والآخرة وأفعاله وحكمته وغير ذلك كما تقدم حكايته عنهم قريبًا ورد شبهاتهم الداحضة.

الطائفة الثالثة: الاتحادية وهم القائلون: إن الوجود بأسره هو الحق، وأن الكثرة وهمٌ، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم، وهم طائفة ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما مما حرف فيه الكلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآيات وأتى بكفر لا يشبه كفر اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، ولا النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، وقالوا هو الله، وقالوا: ثالث ثلاثة، فإن النصارى وأشباههم خصوا الحلول والاتحاد بشخص معين وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود، فلم يكفر هذا الكفر أحد من الناس، وكان هذا المذهب الذي انتحله ابن عربي ونظمه ابن الفارض في تائيته:{**نظم السلوك**} وأصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتولد لـه الإلحاد من ذلك وصنف فيه، وكان يعرف السيمياء ويلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء ويعلم أنه حال من أحوال القوم، ولـه من المصنفات كتاب البدو، وكتاب الهو، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها أبي نميّ، وجاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجي

فيه الوحي أن ينزل عليه كما أتى النبي ﷺ بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا فما حصل لـه إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وكان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت، فالله يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال، توفي يوم ثمانية وعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة.

الطائفة الرابعة: نفاة القدر وهم فرقتان: فرقة نفت تقدير الخير والشر بالكلية وجعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم خيرها وشرها، ولازم هذا القول أنهم هم الخالقون لأنفسهم لأن في قولهم نفي تصرف الله في عباده وإخراج أفعالهم عن خلقه وتقديره، فيكون تكونهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليق هم بأنفسهم تطوروا، وبطبيعتهم تخلقوا، وهذا راجع إلى مذهب الطبائعية الدهرية الذين لم يثبتوا خالقًا أصلاً كما قدمنا مناظرة أبي حنيفة لبعضهم فأسلموا على يديه، وفرقة نفت تقدير الشر دون الخير فجعلوا الخير من الله وجعلوا الشر من العبد، ثم منهم من ينفي تقدير الشر من أعمال العباد دون تقديره في المصائب، ومنهم من غلا فنفى تقدير الشر من المصائب والمعايب، وعلى كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقًا بل جعلوا العباد معه خالقين كلهم، ونفوا أن يكون الله هو المتفرد بالتصرف في ملكوته، وهذا راجع إلى مذهب المجوس الثنوية الذين أثبتوا خالقين خالقًا للخير وخالقًا للشر قبحهم الله تعالى.

الطائفة الخامسة: الجبرية الذين يعتقدون أن العبد مجبور على أفعاله قسرًا ولا فعل لـه أصلاً بل إثبات الفعل للعبد هو عين الشرك عندهم بل هو كالهاوي من أعلى إلى أسفل وكالسعفة تحركها الريح لم يعمل باختياره طاعة ولا معصية ولم يكلفه الله وسعه بل حمله ما لا طاقة لـه به، ولم يخلق فيه

اختيارًا لأفعاله ولا قدرة لـه عليها بل الطاعة والعصيان من الأقوال والأعمال هي عندهم عين فعل الله عز وجل ، فرفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص، وأنه يعذبهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصي التي نهى الله عنها في كتبه وعلى ألسنة رسله إذا عملوها صارت طاعات؛ لأنهم يقولون: أطعنا مشيئة الله الكونية فينا، بل لم يثبتوا الإرادة الشرعية ألبتة ومن يثبتها منهم يقول في الطاعات أطعنا الإرادة الشرعية وفي المعاصي التي سماها الله معاصي أطعنا الإرادة الكونية وأما هم فلم يثبتوا معصية أصلاً بل أفعالهم جميعها حسنها وقبيحها كلها عندهم طاعات على أصلهم هذا الفاسد، وفي ذلك رد منهم على الله تعالى أمره ونهيه ووعده ووعيده وفرضه على عباده جهاد الكفار وإقامة الحدود بل في إرساله الرسل وإنزاله الكتب، فيجب عندهم تعطيل الشرائع بالكلية والاحتجاج على نفيها بالقدر الكوني ومحاربتها به وإثبات الحجة على الله لكل كافر وفاسق وعاص وهذا كفر لم يسبقهم إليه غير إمامهم إبليس اللعين إذ يحتج على الله تعالى بحجتهم هذه فقال:{فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي} [الأعراف: ١٦].

والعجب أن هذا المذهب المخذول موروث عن جهم بن صفوان مع تناقضه في إثبات أفعال الله عز وجل فإنه لا يثبت لله تعالى فعلاً يقوم بذاته أصلاً بل أفعاله خارجة عنه قائمة بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعال العباد أفعال الله، وهذا تناقض بين لكل عاقل فإن الفعل إنما يضاف إلى من قام به والقول إلى من قاله وكذا السمع والبصر والقدرة وغيرها محال أن تضاف إلى غير من قامت به ومحال أن يسمى فاعلاً بدون فعل يقوم به.

ولو ذهبنا نعد تشعب الفرق من هذه الطوائف ولوازم كل قول مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرد ذلك بالتصنيف غير واحد من الأئمة، وقد قدمنا البعض من ذلك وذكرنا أمثلة من تحريفهم النصوص، وسيأتي الكلام على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نفاة القدر والغلاة فيه في باب القدر،

والكلام على الخوارج والمرجئة والمعتزلة وأشباههم في باب الإيمان والدين، والكلام على الروافض والنواصب في باب ذكر الصحابة.

وهذه الطوائف التي خالفت في توحيد المعرفة والإثبات مرجعها إلى ثلاث: فالحلولية والاتحادية والسلبية ومن في معناهم مرجعهم إلى الطبائعية الدهرية، والقدرية النفاة بجميع فرقهم مرجعهم إلى المجوس الثنوية، والجبرية الغلاة مرجعهم إلى النزعة الجهمية الإبليسية وقد قدمنا قول المؤمنين أتباع الرسل مبسوطا بما فيه كفاية.

* * *

فصل

الطوائف السّبعة المخالفة لأهل السَّنَّةِ في القرآن

والمخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج وابن القيم في الصواعق وهذا نصه قال رحمه الله تعالى:

فصل: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى، فذهب (الاتحادية) القائلون بوحدة الوجود إن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ::: سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصَّلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله وكلامه هو كلام الله وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصَّلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة:

أحدهما: أنه معدوم لا وجود لـه إذ لو كان موجودًا لكان إما داخل العالم وإما خارجًا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائمًا بنفسه فأما أن يكون مباينًا للعالم أو محايثًا لـه إما داخلاً فيه وإما خارجًا عنه.

الأمر **الثاني**: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ: إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينًا لـه ولا حالاً فيه، إذ هو عينه، والشيء لا يباين نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده والحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين لـه ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه فرارًا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة.

ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن يكون ساريًا فيه حالاً فيه فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج، فيكون وجوده سبحانه وجودًا عقليًا إذ لو كان موجودًا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنًا عنه أو حالاً فيه وكلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح وكل صفة كمال ونقص وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب **الثاني**: مذهب (الفلاسفة) المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عن غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورًا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصورة العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج، فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته ورسله وأنبيائه، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه وهو القائم بنفسه المباين لخلقه العالي فوق سمواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته العالم بجميع المعلومات القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

المذهب الثالث: مذهب (الجهمية) النفاة لصفات الرب تعالى القائلين: إن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله تعالى هل هو جسم أو ليس بجسم وفي خلقه على ستة أقاويل:

فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن كلام الله جسم وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا جسم.

والفرقة الثانية: زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسم وأن ذلك الجسم صوت منقطع مؤلف مسموع وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة: من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والتلاوة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

والفرقة **الرابعة**: يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق، وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.

الفرقة الخامسة: أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم منهما يفعله الأحياء، وقسم منهما يفعله الأموات ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلاً للأحياء، والقرآن مفعول وهو عرض ومحال

أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلاً لله وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه إذا سمع من الشجرة فهو فعل لها، وحيث سمع فهو فعل المحل الذي حل فيه.

الفرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي.

واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك، وهذا المذهب هو من فروع ذلك الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله ولصريح المعقول والفطر من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه وصفاته ونفي قيام الأفعال به، فلما أصَّلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالاً مدبرًا متصرفًا في خلقه يعلم ويقرر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمهما وذلك ينفي حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالمين ولا إله فضلاً عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

المذهب **الرابع**: مذهب (الكلابية) أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة وهي أربعة معانٍ في نفسه: الأمر، والنهي، والخبر، والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلوّ المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا

يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلاًّ للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق.

المذهب الخامس: مذهب (الأشعري) ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب تعالى، لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم ولا لـه أبعاض ولا لـه أجزاء وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل واحد، وهو عين التوراة وعين الإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرًا ونهيًا وخبرًا واستخبارًا صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع لـه، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء وكونه قرآنًا وتوراة وإنجيلاً تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنًا، وإذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً والمعنى واحد وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة ويجوز أن يرى ويشم ويذاق ويلمس ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة الرائي وأنه يرى حقيقة وليس مقابلاً للرائي، هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام، والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة وأنهم أهل الحق ومن عداه أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيئته.

* * *

التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري

وأقول، والحق يقال: لا نشك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى من أعلم من صنف في المقالات والملل والنحل وأدراهم بمواردها ومصادرها وأبصرهم برد الباطل منها وإدحاضه وأوفاهم تقريرًا لمذهب السلف أهل السنة والجماعة وأشدهم تمسكًا به ونصرة لـه، وأكملهم تحريرًا لبراهينه عقلاً ونقلاً، وأكثرهم اشتغالاً بهذا الباب وتنقيبًا عن عامل البدع فيه واجتثاثًا لأصولها، ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالى عن الأشعري في مسألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري ويسمون أنفسهم أهل الحق ويقرون ذلك ويكررونه في كتبهم ويناظرون عليه، وأما أبو الحسن الأشعري نفسه رحمه الله تعالى فالذي قرره في كتابه (الإبانة) الذي هو من آخر ما صنف هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه وجاء به برمته واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقلية ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه والحمادين والسفيانين وعبد العزيز بن الماجشون والليث بن سعد وهشام وعيسى بن يونس وحفص بن غياث وسعد بن عامر وعبد الرحمن بن مهدي وأبي بكر بن عياش ووكيع وأبي عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف وبشر بن المفضل وعبد الله بن داود وسلام بن أبي مطيع وابن المبارك وعلي بن عاصم وأحمد بن يونس وأبي نعيم وقبيصة بن عقبة وسليمان بن داود وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم، ولولا خوف الإطالة لسقنا فصول كلامه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات وأجمل في بعض المواضع فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء والنزول والرؤية والوجه واليدين والغضب والرضا وغير ذلك وقد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث معتقد ما هم عليه مثبت لما أثبتوه محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن

مواضعه وصرف اللفظ عن ظاهره وإخراجه عن حقيقته، وبالجملة فبينه وبين المنتسبين إليه بون بعيد بل هو بريء منهم وهم منه براء[1] والموعد الله وكفى بالله حسيبًا، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

المذهب السادس: مذهب (الكرامية) وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلمًا كما يقول سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلاً، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلامًا وفعلاً حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لها أولاً فرارًا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعوهم أبطلوا حقيقة الكلام والفعل وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام ألبتة، وأما من أثبت منهم معنى قائمًا بنفسه سبحانه فلو كان ما أثبته مفعولاً لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئًا خارجًا عنهما، فهم لم يثبتوا لله كلامًا ولا فعلاً، وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا كما جعله خصومهم فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً.

---

(١) قال محب الدين الخطيب رحمه الله: المعروف أن حياة أبي الحسن الأشعري أنه مر بثلاث أدوار:

الأول: أنه كان مع المعتزلة بالبصرة.

الثاني: أنه تيقظ لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم، وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه، ومن هذا الجدل مع المعتزلة، ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم إلى دحضه والتنبيه على ما يخالف منه مذهب السلف.

أما الدور الثالث: وهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد، واتصاله بأهل الحديث، وأتباع الإمام أحمد رحمه الله، وفي هذه الحقبة ألف مقالات الإسلاميين، والإبانة، وفي هذين الكتابين أوضح مذهبه الذي أراد أن يلقى الله عليه.

المذهب **السابع**: مذهب (السالمية) ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبريل منه وسمعه موسى بلا واسطة ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضًا بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها، ثم ذكر رحمه الله تعالى قول أتباع الرسل وأطال على ذلك، ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن وساق فيه كثيرًا من كلام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه وفي كتاب خلق أفعال العباد لأنه من أحسن الأئمة توضيحًا وتفصيلاً في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة في شأنها، ثم ذكر الكلام على حروف المعجم وساق فيه أقوال الأئمة، ثم ذكر اللفظية [1]في أثناء ذلك والواقفة[2]، ثم ذكر فصلاً في الكتابة لـه في الرق وغيره، ثم فصلا في السماع، ثم فصلا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية

(١) اللفظية: هم الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق، وهذه بدعة، ويشتمل هذا القول على شيئين، الأول: وهو الملفوظ به، وهو القرآن، وهو كلام الله ليس بمخلوق، والثاني: التلفظ وصوت العبد وهو فعله وكسبه وسعيه، وقد اشتهر عن السلف كأحمد بن حنبل، وجماعة من أهل الحديث أن اللفظية جهمية.

(٢) الواقفة: هم الذين يقولون في القرآن: لا نقول هو كلام الله، ولا نقول مخلوق، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي، لأنه في حقيقة الأمر لم يؤمن بأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ، ومن كان لا يحسنه، كان جاهلا بسيطا، فهذا تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن بأنه كلام الله تعالى، غير مخلوق، وإلا فهو شر من الجهمية.

في أول من أظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابن كلاب وأنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد والبخاري وغيرهما، وفي غصون هذه الفصول أبحاث نفسية لا يستغنى عنها فلتراجع منه.

ثم قال رحمه الله تعالى:

فصل: منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته؟ على قولين، فقالت طائفة كلامه بغير مشيئته واختياره، ثم انقسم هؤلاء أربع فرق، قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو، وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم وهو قول الكلابية ومن تبعهم، وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقة قالت هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذه الأربعة، وفرقة قالت بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض، وفرقة قالت كلامه هو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلمًا، وهذا قول المعتزلة، وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم، وفرقة قالت يتكلم بقدرته ومشيئته كلامًا قائمًا بذاته سبحانه كما يقوم به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا كما قاله من لم نصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً، فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية، وفرقة قالت يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه كما يقوله طوائف الاتحادية، وقال أهل الحديث والسنة إنه لم يزل سبحانه متكلمًا إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتحدد لـه هذه الصفة بل كونه متكلمًا بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه ليس متحدًا بهم ولا حالاً فيهم، واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟ فقال فرقة لا يسمع كلامه

على الحقيقة إنما تسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم، وقالت بقية الطوائف بل يسمع كلامه حقيقة، ثم اختلفوا فقالت فرقة يسمعه كل أحد من الله تعالى، وهذا قول الاتحادية، وقالت فرقة بل لا يسمع إلا من غيره وعندهم أن موسى لم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة، وقال أهل السنة والحديث: يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبريل وغيرهما وكما يكلم عباده يوم القيامة ويكلم أهل الجنة ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغًا عنه وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل: المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ **قيل**: إن أردت المسموع عن الله تعالى فهو كلامه غير مخلوق، وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل، إن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق، وإن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق.

والذين قالوا: إن الله يتكلم بصوت أربع فرق، فرقة قالت يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه وهم المعتزلة، وفرقة قالت يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالمية والاقترانية، وفرقة قالت يتكلم بصوت حادث في ذاته بعد أن لم يكن وهم الكرامية، وقال أهل السنة والحديث لم يزل الله تعالى متكلمًا بصوت إذا شاء، والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان: أصحاب الفيض(١) والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس.

انتهى ما أردنا إيراده من كلامه رحمه الله تعالى وقد أودع هذه الأقوال وغيرها في مسألة القرآن وغيرها في نونيته الشافية الكافية، وأما مذهب أتباع الرسل فقد قدمنا فيه الشفاء الكافي من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة بما لا يحتاج معه إلى غيره، وبالله التوفيق.

(١) هم أهل الفلسفة من أمثال: ابن سينا الفارابي وغيرهم.

فصل
في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد وأنه معنى لا إله إلا الله

٧٩ - هذا وثاني نَوْعَي التوحيد ::: إفرَادُ رَبِّ العَرْشِ عَنْ نَدِيد
٨٠ - أنْ تَعْبُد الله إلهًا واحدا ::: مُعْتَرِفًا بحقه لا جاحدا

(**هذا**) أى الأمر والإشارة إلى ما تقدم من تحقيق النوع الأول من نوعي التوحيد (**وثاني نوعي التوحيد**) هو (**إفراد رب العرش عن نديد**) شريك مساو وتفسير ذلك هو (**أن تعبد الله**) سبحانه وتعالى(**إلهًا**) حال من لفظ الجلالة (**واحدا**) لا شريك له في إلهيته كما لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته، فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذى هو توحيد الإلهية وبه احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهًا مستحقًا للعبادة إلا من كان خالقًا رازقًا مالكًا متصرفًا مدبرًا لجميع الأمور حيّا قيومًا سميعًا بصيرًا عليمًا حكميًا موصوفًا بكل كمال منزهًا عن كل نقص، غنيّا عما سواه، مفتقرًا إليه كل ما عداه، فاعلاً مختارًا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات الله عز وجل لا تنبغى إلا له ولا يشركه فيها غيره؛ فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغير فحيث كان متفردًا بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون من سواه لا يشرك معه في عبادته أحد كما قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾} [البقرة: ٢١ - ٢٢]،

وقال تبارك وتعالى:{ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾} [يونس: ٣١ - ٣٢] إلى قوله:{قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾} [يونس: ٣٤ - ٣٥] وقال تعال:{ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾} [يونس: ٣ - ٥] وقال تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾} [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾} [الأنعام: ١ - ٣]

وقال تعالى:{ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾} [الأنعام: ٥٩ - ٦٤] وقال تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾} [الأنعام: ١٦٤ - ١٦٥] وقا تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾} [الرعد: ٢ - ٤] وقال تعالى:{أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾} [النحل: ١ - ٤] إلى قوله:{ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾} [النحل: ١٧] إلى أخر السورة، وقال تعالى:{قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ

ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ (٥٤)} [طه: ٤٩ - ٥٤] وقال تعالى:{ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١)} [الأنعام: ٤٠ - ٤١] وقال تعالى:{ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢)} [يونس: ١٢] وقال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)}

[يونس: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى:{ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)} [الأنبياء: ٣٠ - ٣٣] وقال تبارك وتعالى:{ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ (٩٠) مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾} [المؤمنون: ٨٤ - ٩٢] وقال تعالى:{ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾} [النور: ٤٢ - ٤٥] وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾} [الشعراء: ٧ - ٩] تعالى:{قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾} [النمل: ٥٩] إلى قوله:{أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَاهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾} [النمل: ٦٤] وقال تعالى:{ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾} [العنكبوت: ٦٠ - ٦٣] وقال تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾} [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾}

[لقمان: ٢٥ - ٢٦] إلى قوله:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)} [لقمان: ٢٩ - ٣٢] إلى آخرر السورة، وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦)} [الحج: ٦٣ - ٦٦] وقال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)} [المؤمنون: ١٢ - ٢٢] وقال تعالى:{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)} [السجدة: ٤] إلى آخر الآيات،

وقال تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾} [سبأ: ١ - ٢] وقال تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾} [فاطر: ١ - ٢] وقال تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾} [الروم: ٤٨ - ٤٩] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ} [فاطر: ٩ - ١٠] إلى قوله:{ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ } [فاطر: ١١ - ١٣] إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة، وقال تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾} [الروم: ٤٠] وقال تعالى:{۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾}

[الزمر: ٨] وقال تعالى:{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)} [الزمر: ٣٨] وقال تعالى:{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)} [غافر: ٦١ - ٦٤]، إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)} [فصلت: ٩ - ١٢] وقال:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)} [الزخرف: ٩ - ١٣] الآيات، وقال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧)} [الزخرف: ٨٧].

وغير ذلك من الآيات التي يقرر الله تعالى فيها ربوبيته ويمتنُّ بنعمه وتفرده بأنواع التصرفات، وعُبَّاد الأوثان يقرون بها لله عز وجل ، ويقرون بأن

أوثانهم التي يدعون من دونه مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئًا، ويقرون أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء، بل هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا لـه من خلقه شركاء سووهم به في استحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرد بها وقالوا لمن قال لا إله إلا الله:{ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾} [ص: ٥] فألزمهم الله تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة بل هم أقل وأذل وأحقر وأعجز عن أن يخلقوا ذبابًا أو يستنقذوا منه شيئًا سلبه.

ومن تدبر هذه الآيات التي ذكرنا وما في معناها حق التدبر علم يقينًا أن عباد الأوثان مقرون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد الله بذلك وإنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر وإلا فأنواع التوحيد متلازمة، من أشرك غير الله معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في بيان الشرك، ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه:{**كم تعبد اليوم من إله**} قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحدا في السماء، قال ﷺ :{**فمن تعد لرهبتك ورغبتك**} قال: الذي في السماء(١)، وتقدم أيضًا في هذه الآية أنهم إنما كان شركهم بالله في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع شيئًا

(١) (سنده ضعيف) سبق تخريجه.

كما قال تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾} [العنكبوت: ٦٥، ٦٦] وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا ومما لم نذكر، والمقصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر، وأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا مكابرة كفرعون ونمرود، والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا.

(معترفا) حال من فاعل تعبد **(بحقه)** تعالى عليك وعلى جميع عباده **(لا جاحدًا)** وحقه عليك أن تعبده لا تشرك به شيئًا كما قال تعالى:{ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا} [النساء: ٣٦] وقال:{ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣] وقال تعالى:{أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ} [المؤمنون: ٣٢] وغيرها من الآيات سنذكر ما تيسر منها قريبًا إن شاء الله تعالى.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي:{**يا معاذ أتدري ما حق الله تعالى على العباد، وما حق العباد على الله؟**} قلت الله ورسوله أعلم، قال:{**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا...**}[1] الحديث.

٨١ – وهو الذي به الإله أرْسَلا ::: رسله يدعون إليه أولا
٨٢ – وأنزلَ الكِتابَ والتِّبيانا ::: من أجله وفَرَّقَ الفُرْقانا

(وهو) أى توحيد الإلهية **(الذي به الإله)** عز وجل **(أرسلا رسله)** من أولهم إلى آخرهم **(يدعون إليه أولاً)** قبل كل أمر فلم يدعوا إلى شيء قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات افتقرت أو اتفقت، لا يشرك معه فيها غيره، كما قال ﷺ :

(١) (صحيح) البخاري [٢٧٠١] مسلم [٣٠].

{نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد}(١).

وقد أخبر الله عز وجل عن اتفاق دعوة رسله إجمالاً وتفصيلاً فقال تعالى:{۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ} [الشورى: ١٣] وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وكذلك بقية الرسل، وقال تعالى:{ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾} [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾} [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى:{ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ} [النحل: ٣٦] وقال تعالى:{۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥] وفي الصحيح عن المغيرة رضى الله عنه قال: قال سعد بن عبادة رضى الله عنه : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:**{تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغيَرُ منه، والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة}**(٢).

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٥٨] مسلم [٢٣٦٥] (أولاد علات) هم الأخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزمن وحسب العموم والخصوص.

(٢) (صحيح) سبق تخريجه.

وأما في مقامات التفصيل فقال تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾} [الأعراف: ٥٩] إلى آخر الآيات وقال تعالى:{ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾} [الأعراف: ٦٥] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ} [الأعراف: ٧٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ} [الأعراف: ٨٥] وقال تعالى:{۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾} [الأنعام: ٧٤ - ٧٨].

وهذا في مقام مناظرته رضى الله عنه لعبَّاد الكواكب على سبيل الاستدراج أو التوبيخ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة لحكمة الله عز وجل المسخرة بقدرته وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها وتركهم عبادته أو إشراكهم معه فيها غيره عز وجل فلما أقام عليهم الحجة:{ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾}

[الأنعام: ٧٨ - ٨٢] أي:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} يعني صدقوا ووحدوا:{وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ} أى شرك إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل .

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: لما نزلت:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ} قال أصحاب رسول الله ﷺ : أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى:{إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣] (١) فالذين آمنوا الإيمان التام الذي لم تشبه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله، ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء باجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما.

ثم قال تعالى:{وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾} [الأنعام: ٨٣] وقال تعالى:{ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

(١) (صحيح) البخاري [٣١٨١] مسلم [١٢٤].

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾} [الأنبياء: ٥١ - ٦٧] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾} [الشعراء: ٦٩ - ٨٢] وقال تعالى:{۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾} [الصافات: ٨٣ - ٩٧] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾} [مريم: ٤١ - ٤٥] فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تقدر على جلب خير ولا دفع شر ولا تغني عنه شيئًا، فتبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال، ثم بين لـه أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى:{إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا} [مريم: ٤٣] وبين أن فعله ذلك عبادة للشيطان، موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان،

عياذًا بالله من ذلك، وقال تعالى: {وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾} [العنكبوت: ١٦ - ١٧] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾} [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] وقال تعالى عن يوسف رضي الله عنه : {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ} [يوسف: ٣٧ - ٤٠] الآيات، وغيرها.

وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد ﷺ فقال تعالى: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾} [إبراهيم: ٩ - ١٢] الآيات، ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل ومحاوراتهم مع قومهم

وعواقب ذلك لطال الفصل، وأما نبينا محمد ﷺ وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى لـه معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

(**وأنزل**) الله عز وجل (**الكتاب**) اسم جنس لكل كتاب أنزلـه الله عز وجل على رسله وأشهرها الأربعة وهي التوراة على موسى موعظة وتفصيلاً لكل شيء، والإنجيل على عيسى فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، والزبور على داود الذي كان إذا قرأه أوَّبت معه الجبال والطير، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

(**والتبيانا**) من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر؛ لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعلم به وهو الكتاب، ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها.

(**من أجله**) أى من أجل التوحيد.

(**وفرق الفرقانا**) إذ يقول تعالى:{وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾} [الإسراء: ١٠٦] الآيات، وسنذكر إن شاء الله تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك وبالله التوفيق.

٨٣ – وكلف الله الرسول المجتبى ::: قتال من عنه تولى وأبى
٨٤ – حتى يكون الدين خالصا له ::: سرا وجهرا دقه وجله
٨٥ – وهكذا أمته قد كلفوا ::: بذا وفي نص الكتاب وصفوا

(**وكلف الله**) تعالى أى أَمْرٍ أَمْرُ افتراضٍ (**الرسول المجتبى**) نبينا محمدًا ﷺ (**قتال**) مفعول كلف الثاني (**من عنه**) عن التوحيد (**تولى وأبى**) أى أعرض وامتنع (**حتى**) غاية للقتال (**يكون الدين خالصًا له**) أى الله عز وجل (**سرّا وجهرًا**) لا معارض لـه ولامشاقّ (**دقه وجله**) أى قليل العبادة وكثيرها وصغيرها

وكبيرها، قال الله تبارك وتعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ٧٣] الآية، وقال تعالى:{فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾} [النساء: ٨٤] وقال تعالى:{وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾} [البقرة: ١٩٣] وقال تعالى:{ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾} [الأنفال: ٣٨ - ٤٠] وقال تعالى:{ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ } [التوبة: ٥] يعني رجعوا عن الشرك إلى التوحيد:{وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [التوبة: ٥] وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها.

وقال ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتواالزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله** عز وجل }(١) الحديث في الصحيح.

ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل وليس هذا موضع بسطها.

(**وهكذا**) كما كلف ﷺ بجهاد الكفار (أمته) المستجيبون لـه (**قد كلفوا بذا**) أي الذي كلف به (**وفي نص الكتاب**) القرآن (**وصفوا**) أي بذلك كما قال تعالى:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} [الفتح: ٢٩] الآية، وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ } [المائدة: ٥٤]

(١) (صحيح) البخاري [٢٥] مسلم [٢٢].

والآيات قبلها وبعدها، ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي عز وجل :{۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١} [التوبة: ١١١] لكانت هذه الآية كافية في انتعاش القلوب وتهييج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابحة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها والله المستعان.

* * *

٨٦ - وقد حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةْ ::: في سَبِيلُ الفَوْزِ والسَّعَادَةْ

٨٧ - من قالها معتقدًا معناها ::: وكان عاملاً بمقتضاها

٨٨ - في القولِ والفعلِ ومات مُؤْمنا ::: يُبْعَثُ يوم الحَشْرِ ناجٍ آمنا

(**وقد حوته**) أى جمعته واشتملت عليه (**لفظة الشهادة**) أى شهادة أن لا إله إلا الله (**فهي**) أى هذه الكلمة (**سبيل الفوز**) بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله عز وجل :{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: ١٨٥] (و) هي سبيل (**السعادة**) في الدارين أى طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تأخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود[(١)]، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق، إذ يقول تعالى:{فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾} [الحجر: ٩٢ - ٩٣] وقال تعالى:{ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾} [الأعراف: ٦].

فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى:{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾} [القصص: ٦٥] والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك.

وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى:{۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾} [المائدة: ١٠٩] وغير ذلك من الآيات، وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها،

(١) يشير المصنف رحمه الله تعال إلى قوله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾}
[مريم: ٧١].

ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولاً قبل كل نعمة فقال تعالى:{ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾} [النحل: ٢].

وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل :{لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا} [البقرة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك.

وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول:{لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾} [مريم: ٨٧] قال ذلك عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل (١).

وهي الحسنى التي قال الله عز وجل :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾} [الليل: ٥ - ٧] الآيات، قاله أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك ورواه عطيه عن ابن عباس(٢).

وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى:{إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦] قال ذلك البغوي.

وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل إذ يقول:{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} [الفتح: ٢٦] روى ذلك ابن جرير وعبد الله بن أحمد والترمذي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ (٣).

---

(١) الطبري في تفسيره [ج٨ - ص ٣٨١] والطبراني في الدعاء [١٥٧٠].
(٢) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [ج١٢ - ص ٦١١] سنده مسلسل بالضعفاء.
(٣) (سنده ضعيف جدا) الطبري في تفسيره [ج١١ - ص٣٦٣] زوائد المسند لعبد الله بن أحمد

وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧] أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي ﷺ (١).

وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلا قبل ذلك إذ يقول تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ } [إبراهيم: ٢٤] قاله علي بن طلحة عن ابن عباس، أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل (٢)، وكذا قال الضحاك وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد.

وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل إذ يقول:{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } [الأنعام: ١٦٠] وقال تعالى:{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ } [النمل: ٨٩] قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي، وعن أبي ذرّ مرفوعًا:**{هي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا}** (٣).

وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول:{وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ } [الروم: ٢٧] قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر.

[٢١٢٩١] الترمذي [٣٢٦٥] الطبراني في الكبير [٥٣٦] به: ثوير بن أبي فاختة: قال سفيان الثورى: كان ثوير من أركان الكذب.

(١) (صحيح) البخاري [١٣٠٣] مسلم [٢٨٧١].

(٢) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [ج٧ - ص٤٣٦] على بن طلحة لم يسمع من ابن عباس ﷺ.

(٣) (سنده ضعيف) الطبري في تفسيره [ج٥ - ص٤١٥] وابن أبي حاتم في تفسيره [٨١٩٢/ ١٥٥٦٤/ ١٦١٠٥] أخبار أصبهان [٢٧٠] أمالي ابن بشران [٦١٤] الدعاء للطبراني [١٣٩٥] به: راو مبهم. وانظر الأسماء والصفات للبيهقي [٢٠١].

وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذنًا يقول:{**أشهد أن لا إله إلا الله**} فقال ﷺ :{**خرجت من النار**}(١) وفيه عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار**}(٢) وفي حديث الشفاعة الآتي إن شاء الله تعالى:{**أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**}(٣).

وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة من أى أبواب الجنة الثمانية شاء**} وفي رواية:{**أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**}(٤).

وهي أفضل ما ذكر الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**أن نوحا** رضى الله عنه **قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كلٌّ حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله**}(٥).

---

(١) (صحيح) مسلم [٣٨٢].

(٢) (صحيح) مسلم [٢٩].

(٣) (صحيح) البخاري [٤٣٠٥] مسلم [١٨٣].

(٤):♂صحيح) البخاري [٣٢٥٢] مسلم [٢٨].

(٥) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٦٥٨٣].

وفيه عنه أيضًا عن النبي ﷺ :{**أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله**}(١).

وفي الترمذي والنسائي وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء**}(٢) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل كما في الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال:{**لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه**}(٣).

---

(١) (سنده ضعيف) مسند أبي يعلى [١٣٩٣] المستدرك [١٩٣٦] سنن النسائي الكبرى [١٠٦٧٠] ابن حبان [٦٢١٨] من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، علته دراج أبو السمح: ضعيف خاصة في حديث أبي الهيثم، وهذا من روايته عنه.

(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٦٩٩٤] الترمذي في سننه [٢٦٣٩] ابن ماجة [٤٣٠٠] ابن حبان [٢٢٥].

(٣) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٥١٨] به: إسماعيل بن عياش، و عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: كلاهما ضعيف.

وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:{**ما من عبد قال: لا إله إلا الله مخلصًا إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش**}(١).

وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال:{**ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله وقد قاموا ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**}(٢).

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، وسنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**}(٣) الحديث، وهذا لفظ مسلم.

(**من قالها**) أى قال هذه الكلمة حال كونه (**معتقدًا**) أى عالمًا ومتيقنًا (**معناها**) الذي دلت عليه نفيًا وإثباتًا (**وكان**) مع ذلك (**عاملاً بمقتضاها**) على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم العمل به (**في القول**) أى قول القلب واللسان (**والفعل**) أى عمل القلب واللسان والجوارح قال الله عز وجل

---

(١) (سنده حسن) الترمذي [٣٥٩٠] من أجل الوليد بن القاسم.

(٢) (سنده ضعيف) حسن الظن لابن أبي الدنيا [٧٧] الطبراني في الكبير [١١٥٣٣] والأوسط [٩٤٧٨] معجم ابن عساكر [١٤٦] وعلته: يحيى بن عبد الحميد الحماني: ضعيف، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعيف، وله طريق في أمالي بن بشران [٧٤٣]، والبعث والنشور للبيهقي [٧٨] وعندهما: بهلول بن عبيد: ذاهب الحديث. الوَحْشَة: وهي ضدّ الأُنْس. والوَحْشة: الخَلْوَة والهَمّ. وقيل الخلاء الذي لا ساكن به.

(٣) (صحيح) البخاري [٩] مسلم [٥٨].

:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣} [الصف: ٢ - ٣] (**ومات مؤمنًا**) أى على ذلك، وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال ﷺ :{**ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**}[١] الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطولـه.

(**يبعث يوم الحشر**) أى يوم الجمع (**ناج**) من النار (آمنًا) من فزع يوم القيامة كما قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝١٠٣} [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣] وقال تعالى:{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩} [النمل: ٨٩].

* * *

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٨٩] مسلم [٩٤].

٨٩ – فإنَّ معناها الذي عليه ::: دَلَّتْ يقينًا وهَدَتْ إليه

٩٠ – أنْ ليس بالحَقّ إلهٌ يعبد ::: إلا الإله الواحدُ المنفرِد

٩١ – بالخَلْقِ والرزقِ وبالتدبير ::: جَلَّ عن الشريكِ والنظير

(**فإن معناها**) أى معنى هذه الكلمة (**الذي عليه**) متعلق بقوله (**دلت**) بصريح لفظها (**وهدت**) أى أرشدت (**إليه**) هو (**أن ليس بالحق**) متعلق بيعبد (**إله**) هو اسم ليس ومنفيها والنكرة في سياق النفي تعم والحكم المنفي (**يعبد**) الذي هو متعلق بالحق والاستحقاق فيخرج ما عبد بباطل، ولذا سماه المشركون إلهًا فتسميته بذلك باطلة فلا يستحق أن يعبد، فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، لا إله نافيًا جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد إلا الله مثبتًا العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف بحق هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله.

وأما تقديره بموجود فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله فيكون ذلك كله توحيدًا، فما عبد على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافرًا إذ كل ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركًا بل موحدًا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود، إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا بأس ويكون التقدير لا إله حقا موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا.

(إلا الإله الواحد المنفرد بالخلق والرزق وبالتدبير.. الخ) وهو الله سبحانه وتعالى، أي هو الإله الحق فكما تفرد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفع والضر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها، وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقًا فلا شريك له فيها:{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾} [الحج: ٦٢]،{ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾} [المؤمنون: ٩١ - ٩٢]،{ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾} [الأنبياء: ٢١ - ٢٣]،{قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾} [الإسراء: ٤٢ - ٤٤]، {لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾} [المائدة: ٧٣]،{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾} [آل عمران: ٦٢]،{قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾} [آل عمران: ٦٤]،{قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ } [الزمر: ٣٨]،{ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾} [فاطر: ٤٠]،

{ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ } [الأحقاف: ٤]، { قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ } [الرعد: ١٦]، { قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ } [ص: ٦٥ - ٦٧].

* * *

٩٢ - وبشروطٍ سبعةً قد قُيِّدتْ ::: وفي نُصُوصِ الوَحْيِ حقّا وَرَدَتْ
٩٣ - فإنه لم ينتفعْ قائلها ::: بالنُّطقِ إلا حيثُ يستكملُها

(**وبشروط سبعة**) متعلق بقيدت (**قد قيدت**) أى قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار (**وفي نصوص الوحي**) من الكتاب والسنة (**حقّا وردت**) صريحة صحيحة (**فإنه**) أى الشأن وذلك علة تقييدها بهذه الشروط السبعة (**لم ينتفع قائلها**) أى قائل: لا إله إلا الله (**بالنطق**) أى بنطقه بها مجردًا (**إلا حيث يستكملها**) أى هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل لـه أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله والله المستعان.

٩٤ - العِلْمِ واليَقِينِ والقَبُولْ ::: والانقيَادِ فادْرِ ما أقُولْ
٩٥ - والصِّدْقِ والاخلاصِ والمحبَّةْ ::: وَفَّقَكَ اللهُ لما أحَبَّهْ

هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة فأصغ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعلقها، ثم اعمل على وفق ذلك، تفز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله عز وجل كما وعد الله تعالى ذلك إنه لا يخلف الميعاد:

الأول (**العلم**) بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل : { فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ } [محمد: ١٩] وقال تعالى:{إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ} [الزخرف: ٨٦] أى بلا إله ألا الله:{وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦] بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم، وقال تعالى:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾} [آل عمران: ١٨] وقال تعالى:{قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ } [الزمر: ٩]

وقال تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨] وقال تعالى:{ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾} [العنكبوت: ٤٣] وفي الصحيح عن عثمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**}(١).

(**واليقين**) أى والثانى اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل :{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الحجرات: ١٥] إلى قولـه:{أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ } [الحجرات: ١٥] فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أى لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين - والعياذ بالله - الذين قال الله تعالى فيهم:{ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾} [التوبة: ٤٥].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله:{**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**} وفي رواية:{**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة**}(٢) وفيه عنه رضى الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعث بنعليه فقال:{**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة...**}(٣) الحديث، فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٦].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧].
(٣) (صحيح) مسلم [٣١].

(و) الثالث (**القبول**) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها كما

قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾} [الزخرف: ٢٣ - ٢٥] وقال تعالى:{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾} [يونس: ١٠٣] وقال تعالى:{ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾} [الروم: ٤٧] وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب، كما قال تعالى:{۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾} [الصافات: ٢٢ - ٢٤] إلى قوله:{إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾} [الصافات: ٣٥ - ٣٦] **فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه** هو استكبارهم عن قول لا إلا إله الله، تكذيبها وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكارًا واستكبارًا:{ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾} [ص: ٥ - ٧] وقالوا ههنا:{أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ} [الصافات: ٣٦] فكذبهم الله عز وجل ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال:{بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾} [الصافات: ٣٧] إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها:{إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾} [الصافات: ٤٠ - ٤٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالى:{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾} [النمل: ٨٩].

وفي الصحيح عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**} (١).

(و) الرابع (**الانقياد**) لما دلت عليه المنافي لترك ذلك قال الله عز وجل :{ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ } [الزمر: ٥٤] وقال تعالى:{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ } [النساء: ١٢٥] وقال تعالى:{ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ } [لقمان: ٢٢] أى بلا إله إلا الله:{وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ } [لقمان: ٢٢] ومعنى يسلم وجهه، أى: ينقاد وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنًا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعني بقوله عز وجل بعد ذلك:{ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤} [لقمان: ٢٣ - ٢٤] وفي حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال:{**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**}(٢) هذا هو تمام الانقياد وغايته.

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٩] مسلم [٢٢٨٢].

(٢) (إسناده ضعيف) الأربعين للنسوي [٩] الإبانة الكبرى لابن بطة [٢٩١] السنة لابن أبي عاصم [١٤] فمدار الحديث على نعيم بن حماد، وهو (ضعيف) وبه علل أخرى ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم، حديث رقم [٤١].

(و) الخامس (**الصدق**) فيها المنافى للكذب، وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطيء قلبه لسانه، قال الله عز وجل :{الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾} [العنكبوت: ١ - ٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالى في شأن المنافقين الدين قالوها كذبًا:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾} [البقرة: ٨ - ١٠] وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار**}[١] فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا، من قلبه فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

وفيهما أيضًا من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنه من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال:{**لا، إلا أن تطوَّع**} قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ :{**أفلح إن صدق**}.

وفي بعض الروايات:{**إن صدق ليدخلن الجنة**}[٢] فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقًا.

---

(١) (صحيح) البخاري [١٢٨] مسلم [٣٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٦] مسلم [١١].

(و) السادس (**الإخلاص**) وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك. قال الله تبارك وتعالي:{ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ } [الزمر: ٣] وقال تعالى:{ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ } [البينة: ٥] الآية وقال تعالى:{ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ } [الزمر: ٢] وقال تعالى:{ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ } [الزمر: ١١]،{ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ } [الزمر: ١٤] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ } [النساء: ١٤٥ - ١٤٦] وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ :{**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**}[١].

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** عز وجل }[٢].

وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصًا إلا فتحت لـه أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**}[٣] قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ :{**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه؛ لـه الملك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصًا له بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله**}[٤].

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٠١].
(٢) (صحيح) البخاري [٤١٥] مسلم [٣٣].
(٣) (سنده حسن) الترمذي [٣٥٩٠].
(٤) (سنده ضعيف) النسائي في سننه الكبرى [٩٨٥٦] وعمل اليوم والليلة له أيضا [٢٨] به: محمد بن عبد الله بن ميمون: مقبول، هذا حين المتابعة.

(و) السابع (المحبة) لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل :{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ } [البقرة: ١٦٥] وقال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ } [المائدة: ٥٤] فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبًا لـه، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مدَّعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونه كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابِّه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء اثره وقبول هداه.

وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها قال الله تبارك وتعالى:{ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾} [الفرقان: ٤٣] الآيات، وقال تعالى:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ } [الجاثية: ٢٣] فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر الله عز وجل ونواهيه، وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه:{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ } [الممتحنة: ٤] الآيات، وقال تعالى:{لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ } [المجادلة: ٢٢] الآية، وقال تعالى:{۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ } [المائدة: ٥١] الآيات، وقال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾} [التوبة: ٢٣]

الآيتين وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ } [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ :{ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾} [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ :**{ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار}**[١] أخرجاه من حديث أنس رضى الله عنه.

وفيهما عنه وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين}**[٢].

وفي كتاب الحجة بسند صحيح عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به}**[٣].

وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخبر عن الله والأمر بما يحبه الله ويرضاه والنهي عما يكره ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره به واجتنب ما نهى الله عنه وإن كان ذلك مخالفًا لهواه كان مؤمنًا حقاً، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك.

(١) (صحيح) البخاري [٢١/١٦] مسلم [٤٣].
(٢) (صحيح) البخاري [١٥] مسلم [٤٤].
(٣) (إسناده ضعيف) سبق قريبا.

وفي الحديث:{**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه**}(١).

وقال ابن عباس رضى الله عنه : من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، وقد أصبح غالب مؤاخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا(٢).

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادَّعي قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية:{ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾} [آل عمران: ٣١ - ٣٢] وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**} قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال:{**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**}(٣).

---

(١) (سنده حسن لغيره) مصنف ابن أبي شيبة [٣٠٤٢٠] مسند الطيالسي [٧٤٧] وعلة السند: الليث بن أبي سليم، به ضعف، ولكنه يصلح في المتابعات.
- وله طريق من حديث ابن عباس عند الطبراني في الكبير [١١٥٣٧] وبه: الحسين بن قيس الرحبى (حنش) متروك، كما في التقريب، وهذا لا يصلح في المتابعات.
- وللحديث طريقان عن ابن مسعود: الأول: عند الطيالسي [٣٧٨] والطبراني في الكبير[١٠٥٣١] وبه: عقيل الجعدى، قال أبو حاتم: منكر الحديث ذاهب، ومثل هذا لا يصلح في المتابعة.
- والطريق الثاني: عند الطبراني في الكبير [١٠٣٥٧] وسنده حسن إلا أنه به الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالتحديث إلا عن شيخه. ومن يدلس تدليس التسوية، يُطلب منه أن يصرح بالتحديث في جميع طبقات السند وهذا لم يتوفر هنا.
ولكن للوليد بن مسلم متابعة من بكير بن معروف عند ابن بشران في أماليه [٧٧٤] وبكير هذا: صدوق فيه لين كما في التقريب. وفي السند من لم أقف له على ترجمة، والله أعلم.

(٢) (سنده ضعيف) الإيمان للعدني [٥٦] الإخوان لابن أبي الدنيا [٢٢] الزهد لابن المبارك [٣٥٣] شعب الإيمان للبيهقي [٩٥١٤] شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [١٣٥٤] به: الليث بن أبي سليم: ضعيف.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٨٥١].

قال حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم - وأثنى عليه - حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا - أو سمعت - جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول:{**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا لـه مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها لـه يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرْقٌ بين الناس**}[(١)].

ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله عز وجل :{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾} [التوبة: ٢٤] وغير ذلك من الآيات.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٥٢].

ثم اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينهما وبين أحاديث الوعيد التي فيها: من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام، أو لايدخل الجنة من فعل كذا، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبرنا النبي ﷺ وبأن أهل الجنة أيضًا متفاوتون في دخول الجنه في السبق وارتفاع المنازل، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه، أو لا يدخلها في الوقت الذى يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب.

وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حممًا لإمكان الجمع بأن تحريم من يدخل بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة، فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك، أو يكون المراد أنهم يحرمون مطلقًا على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله تعالى عقابهم وتطهيره بها على قدر ذنبه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد، وهذه إشارة كافية في هذا الموضع، وسنذكر إن شاء الله تعالى بسط ذلك في موضعه عند ذكر الشفاعات، ونذكر الأحاديث التي فيها هذا وهذا، والأحاديث التي يكون بها الجمع بين ذلك.

وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في هذا الباب كلامًا حسنًا بعد سياقه حديث معاذ وحديث أبي ذر وحديث عبادة وقد تقدمت مع غيرها من الأحاديث.

قال: وأحاديث هذا الباب نوعان:

أحدهما: ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، وهذا

ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، بل يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار، فقد يعفو الله عنه فيدخله الجنه بلا عقاب قبل.

وحديث أبي ذر معناه أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، وليس فيه أن لا يعذب عليها مع التوحيد.

وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا:**{من قال لا إله إلا الله نفعته يومًا من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه}**(١).

الثاني: فيه أن يحرم على النار، وقد حمله بعضهم على الخلود فيها أو على ما يخلد فيها أهلها، وهي ما عدا الدرك الأعلى من النار، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي الصحيحين:**{إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله}**(٢).

وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنه والنجاة من النار ومقتض لذلك، ولكن المقتضى عمله لا يعمل إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو أظهر.

وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، قال الحسن: نعم العدَّة، لكنَّ للا إله إلا الله شروطًا، فإياك وقذف المحصنات.

---

(١) (سنده صحيح) الدعاء لابن فضيل [١٦١] الأوسط للطبراني [٦٣٩٦] البيهقي في الشعب [٩٧].

(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٧٢] مسلم [١٩٣].

وقيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة[1].

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا لـه أسنان، فإن أتيت بمفتاح لـه أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك[2].

وهذا الحديث:{**إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله**} أخرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع عن معاذ رضى الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ :{**إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل: لا إله إلا الله**}[3].

ويدل على هذا كون النبي ﷺ رتب دخول الجنه على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال:{**تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**}[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال:{**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**} فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ :{**من سره أن ينطر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**}[5].

---

(١) يقصد الحسن البصري رحمه الله: أنه مع أول الداخلين بغير عذاب، أما إن قالها موقنا بها، وإن لم يعمل بمقتضاها نفعته يوما، إذ هو بذلك في مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه ثم صيره إلى الجنة، وإن شاء عفا عنه أولا وأدخله الجنة.

(٢) (سنده ضعيف) الأسماء والصفات للبيهقي [٢٠٨] وصفة الجنة لأبي نعيم [١٩٠].

(٣) (سنده ضعيف) مسند أحمد [٢٢١٥٥] وعلته: شهر بن حوشب: ضعيف، وهو لم يدرك معاذ بن جبل، ولفظه عند أحمد (مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله).

(٤) (صحيح) البخاري [١٣٣٢] مسلم [١٣].

(٥) (صحيح) البخاري [١٣٣٣] مسلم [١٤].

وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فاشترط عليَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأن أقيم الصلاة وأن أوتي الزكاة وأحج حجة الإسلام وأن أصوم رمضان وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله ما أطيقهما، الجهاد والصدقة، فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها وقال:{**فلا جهاد، ولا صدقة! فبم تدخل الجنة إذًا**} قلت: أبايعك، فبايعته عليهن كلهن(١).

ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج ونظير هذا أن النبي ﷺ قال:{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ** } ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى الشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة.

وفهم الصديق رضى الله عنه أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقولـه ﷺ :{**فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**} وقال: الزكاة حق المال، وهذا الذي فهمه الصديق رضى الله عنه قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس وغيرهما رضى الله عنه، وأنه قال:{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاه ويؤتوا الزكاة**}(٢) ودل على ذلك قولـه تعالى:{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ} [التوبة: ٥] الآية، ولا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، ولما قرر أبو بكر رضى الله عنه هذا للصحابة رجعوا إلى قولـه ورأوه صوابًا فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة.

---

(١) (إسناده ضعيف) مسند أحمد [٢٢٠٠٢] الطبراني في الكبير [١٢٣٣] الحاكم في المستدرك [٢٤٢١] علته: أبو المثنى العبدي: مؤثر بن عفازة: مقبول، انظر التقريب [٦٩٣٩].

(٢) (صحيح) البخاري [٢٥] مسلم [٢٢].

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري والثورى وغيرهما، وهذا بعيد جدًّا، فإن كثيرًا منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديث منسوخة، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن زيادة النص هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور.

وقد صرح الثوري بأنها منسوخة، وأنه نسختها الفرائض والحدود، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيرًا ويكون مرادهم أن آية الفرائض والحدود تبين توقف دخول أهل الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم فصارت النصوص منسوخة أى مُبَنِّيَة مفسرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أى مفسرة لمعنى تلك النصوص موضحة لها.

وقالت طائفة تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر، ففي بعضها:{**من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة**} وفي بعضها:{**مستيقنا**} وفي بعضها:{**مصدقا بها قلبه لسانه**} وفي بعضها:{**يقولها من قلبه**} وفي بعضها:{**قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه**}(١) وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يأله قلبه غير الله حبّا ورجاء وخوفًا وطمعًا وتوكلاً واستعانة وخضوعًا وإنابة وطلبًا، وتحققه بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ،أن لا يعبد بغير ما شرعه

(١) (سنده ضعيف) شعب الإيمان للبيهقي [٩] التاريخ الكبير للبخاري [٢٣٨٧] من حديث أبي قتادة ﷺ، وبه: عبد الرحمن بن فروخ: مقبول. وعبد الله بن يرفأ: لم يوثقه إلا ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل.
وله شاهد من حديث عبادة عند الطبراني في الأوسط [٩٢٧٣] وبه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعيف.

على لسان نبيه محمد ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: {**من قال لا إله إلا الله مخلصًا لـه دخل الجنة**}قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال:{**أن تحجزك عما حرم الله عليك**} وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح[١]، وجاء أيضًا من مراسيل الحسن نحوه.

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: (لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله، والإله الذي يطاع ولا يعصى هيبة وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء لـه، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قولـه لا إله إلا الله ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي منشؤها من طاعة غير الله عز وجل أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الربا وعلى الحلف بغير الله عز وجل وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوَّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وما شاء فلان، وكذا قولـه: مالي إلا الله وأنت. وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقي المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التى منشأها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ومن أتى حائضًا أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة وإن

---

(١) (سنده ضعيف جدا) الطبراني في الأوسط [١٢٣٥] به: محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، قال الدارقطني وغيره: كان يضع الحديث انظر لسان الميزان. وفي حلية الأولياء [ج٩/ص٢٥٤] وبسنده الهيثم بن جماز الحنفي: قال النسائي متروك الحديث.

كان ذلك لا يخرجه من المله بالكلية، ولهذا قال السلف: كفر دون كفر، وشرك دون شرك).

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال تعالى:{أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ} [الفرقان: ٤٣] قال الحسن رحمه الله: هو الذي لا يهوى شيئًا إلا ركبه، وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه وكلما اشتهى شيئًا أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع.

وروى من حديث أبي أمامة مرفوعًا بإسناد ضعيف:**{ما تحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع}**(١).

وفي حديث آخر:**{لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم ويقال لهم: كذبتم}**(٢).

ويشهد لهدا الحديث الصحيح عن النبي ﷺ :**{تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش}**(٣) فدل هذا على أن من أحب شيئًا وأطاعه، وكان من غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله وعاوى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه.

---

(١) (موضوع) الطبراني في الكبير [٧٥٠٢] السنة لابن أبي عاصم [٣] الإبانة لابن بطة [٢٩٢] اعتلال القلوب للخرائطي [٨٤] علته الخصيب بن جحدر: قال البخاري كذاب، انظر اللسان.

(٢) (سنده ضعيف جدا) مسند أبي يعلى [٤٠٣٤] العقوبات لابن أبي الدنيا [٦] شعب الإيمان للبيهقي [١٠٤٩٧/ ١٠٤٩٨] الزهد لابن أبي عاصم [٢٧٣] علتهم: عمر بن حمزة بن عبد الله العمري: ضعيف. وتابع عمر هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار في معرفة الصحابة لأبي نعيم [٥١٥٨] روى له البخاري وضعفه غيره، إلا أن الراوي عنه: حجاج بن نصير: ضعيف الحديث.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند العقيلي في الضعفاء [٩٩٨] ومعجم ابن المقريء [٢٢١] من حديث: عبد الله بن محمد بن عجلان، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة، في لسان الميزان: عبد الله ابن محمد بن عجلان المدني عن أبيه منكر الحديث قاله العقيلي، وقال ابن حبان لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب روى عن أبيه نسخة موضوعة.

(٣) (صحيح) البخاري [٢٧٣٠].

ويدل عليه أيضًا أن الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى:{ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠} [يس: ٦٠] وقال تعالى حاكيًا عن خليله إبراهيم رضى الله عنه لأبيه:{ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤} [مريم: ٤٤] فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن وهم الذين قال فيهم:{ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ } [الحجر: ٤٢] فهم الذين حققوا قول لا إله إلا الله وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلاً، وهم الذين صدقوا قول لا إله إلا الله، وهم عباد الله حقاً، فأما من قال: لا إله إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذَّب قولـه فعله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصيته الله في طاعة الشيطان والهوى:{وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ} [القصص: ٥٠]،{وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [ص: ٢٦].

ثم قال رحمه الله: فيا هذا كن عبدًا لله لا عبدًا للهوى، فإن الهوي يهوى بصاحبه في النار:{ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ} [يوسف: ٣٩]،**{تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار}** والله لا ينجو غدًا من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية ولايشرك بعبادة ربه أحدًا. انتهي كلامه رحمه الله تعالى.

فصل

في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها

وأن من صرف منها شيئًا لغير الله فقد أشرك

قد عرفت مما قدمنا في معنى لا إله إلا الله أن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب أى: تعبده محبة وتذللاً وخوفًا ورجاء ورغبًا ورهبًا وتوكلاً عليه وإطراحًا بين يديه واستعانة به، والتجاء إليه، وافتقارًا إليه، وذلك لا ينبغي إلا لله عز وجل خالق كل شيء ومصوره ومصرفه ومدبره، مبدى الخلق ومعيده، ومحييه ومبيده، الفعال لما يريد، الذي هو على كل شىء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله:{وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ} [يونس: ١٠٧]،{مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ} [فاطر: ٢]،{۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾} [فاطر: ١٥]،{إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾} [فاطر: ١٦ - ١٧].

والعبد إن أريد به المعبَّد أى: المذلَّل المسخَّر دخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوى والسفلي من عاقل وغيره ومن رطب ويابس ومتحرك وساكن وظاهر وكامن ومؤمن وكافر وبر وفاجر وغير ذلك، الكل خلوق لله عز وجل مسخر بتسخيره مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه وحد ينتهي إليه:{لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ} [يس: ٤٠] كل يجري لأجل مسمي لايتجاوزه مثقال ذرة، ذلك تقدير العليم، وتدبير العدل الحكيم، وإن أريد به العابد خص ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثر المشركين يعبدون الله عز وجل ويتقربون إليه بكثير من العبادات، لكن لما عبدوا مع الله غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباءً منثورًا:{مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ} [إبراهيم: ١٨] و

:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا } [البقرة: ٢٦٤] و:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۢ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا} [النور: ٣٩]، {أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾} [النور: ٤٠] ذلك بأنهم:{ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ } [الأعراف: ٣٠]،{ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ} [محمد: ٢٨] وتولوا الطاغوت فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطان وقد عهد الله إليهم أن لا يعبدوه وبين لهم عداوته وقال:{ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾} [فاطر: ٦] وقال:{أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا } [الكهف: ٥٠] فخالفوا أمر الله وتولوا أعداءه وكذبوا رسله وأنبياءه وحاربوا حزبه وأولياءه، وأرادوا تشييد الكفر وإعلاءه ورد الحق وإباءه، فأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر أولياءه ويحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ويجعل حزبه هم الغالبين، ويجعل العاقبة للمتقين، ولاعدوان إلا على الظالمين، لكن المؤمنون هم عباده هم عباده حقّا الذين أفردوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسووا شيئًا من خلقه به، أولئك الذين تضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى في الأولى:{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا} [الأنعام: ١٦٠] وقال في الثانيه:{مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾} [البقرة: ٢٦١] وقال في الثالثة:{مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾} [البقرة: ٢٤٥] تولوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور أخرجهم من ظلمات

الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور الرشاد،{ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾} [المائدة: ٥٦] ملأ الله قلوبهم بنور معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره، دنا الشيطان من قلوبهم فاحترق بنور إيمانهم فنكص على عقبيه خاسئًا حسيرًا، وأيس منهم أن يطيعوه فانقلب مذمومًا مدحورًا، فعند ذلك عزَّى نفسه اللعين وقال:{إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾} [الحجر: ٤٠] وقال عز وجل :{ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ } [الحجر: ٤٢] حفظوا الله فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره، وانكفوا عما نهى عنه، ثم تجردوا لنصرة دينه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجًا طوعًا وكرهًا، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل، نصروا الله فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم، عرفوا ما خلقوا لـه فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يعنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يَبْقَى على ما يَفْنَى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم من خاصة الله من خلقه والمصطفون عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

٩٦ – ثم العِبَادة هِيٌ إسْمٌ جامعْ ::: لكُلِّ ما يُرضِى الإلهَ السَّامِعْ

(**ثم العبادة**) التي خلق الله لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، أرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار (**هي اسم جامع**) لكل ما يحب و(**يرضى**) مبني للمعروف فاعله (**الإله السامع**) وهو الله عز وجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس

إلى الخير والدعوة إلى الله عز وجل وغير ذلك، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك، ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب، ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. اهـ.

قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف ولارجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة، ولذا ترى من يدّعي ذلك كثيرًا ما يقع في معاصي الله عز وجل ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا:{لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا} [الأنعام: ١٤٨] وقالوا:{لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ} [الزخرف: ٢٠] وغير ذلك، وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال:{رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي} [الحجر: ٣٩] وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه: فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه، وإنما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع، ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى: ادَّعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية:{قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران: ٣١] فمن ادعى محبة الله ولم يك متبعًا رسوله فهو كاذب، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته رسول الله ﷺ، وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبد تجرأ على معاصي الله وأمن مكر الله، وقد قال الله تعالى:{فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩].

وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقنط من رحمتة ويئس من روحه وقد قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ} [يوسف: ٨٧] وقال:{وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ} [الحجر: ٥٦] فالأمن من مكر الله خسران، واليأس من روحه كفران، والقنوط من رحمة الله ضلال وطغيان، وعبادة الله عز وجل بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان.

فالعبد المؤمن بين الخوف والرجاء كما قال تعالى:{وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ} [الإسراء: ٥٧] وقال تعالى:{ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ} [الزمر: ٩] وبين الرغبة والرهبة كما قال تعالى في آل زكرياء عليهم السلام:{إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠} [الأنبياء: ٩٠] فتارة يمده الرجاء والرغبة فيكاد أن يطير شوقًا إلى الله، وطورًا يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه، خائف من عقوباته ملتجئ منه إليه، عائذ به منه راغب فيما لديه.

وكذلك هو في صفات الله عز وجل لا ناف ولامشبه، وفي أفعال العباد لا جبري ولا قدري، وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته ليس بذى النصب ولا التشيع، وفي الوعد الوعيد ليس بخارجي ولا مرجئ، فدين الله بين الغلو والجفاء والتفريط والإفراط، وخير الأمور الأوساط.

وللعبادة ركنان[1] لا قوام لها إلا بهما وهما الإخلاص والصدق، وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة كما قال تعالى:{وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١} [الليل: ١٧ - ٢١]

(١) من تابع كلام المصنف رحمه الله يجد أنه وضع للعبادة ثلاثة أركان، وإن صرح بأنهما ركنان، وهي الثلاثة: الإخلاص، وصدق العزيمة، ومتابعة الرسول ﷺ.

وقال تعالى:{مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورًا ﴿١٩﴾} [الإسراء: ١٨ - ١٩] وقال تعالى:{وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾} [آل عمران: ١٤٥] وقال تعالى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾} [الشورى: ٢٠] وقال تعالى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود: ١٥ - ١٦] وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾} [البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٥].

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**}(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله لا ينظر إلا أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**}(٢).

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [١] مسلم في صحيحه [١٩٠٧] سنن أبي داود [٢٢٠١].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٥٦٤].

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ :**{من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله}**(١) متفق عليه.

ولو ذهبنا نذكر أحاديث الإخلاص لطال الفصل.

وأما الصدق فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه والاستعداد للقاء الله وترك العجز وترك التكاسل عن طاعة الله وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع، قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة: ١١٩] وقال تعالى:{مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] الآية، وقال تبارك وتعالى:{الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾} [العنكبوت: ١ - ٣] إلى قوله:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾} [العنكبوت: ١٠ - ١١] وقال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ} [البقرة: ٢١٤] الآية، وقال تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾} [آل عمران: ١٤٢] إلى قوله عز وجل :{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾} [آل عمران: ١٤٦] إلى آخر الآيات،

(١) (صحيح) البخاري [١٢٣] مسلم [١٩٠٤].

وقال تعالى:{ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} [البقرة: ١٧٧].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولاتعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**}(١).

وفي الحديث الآخر:{**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**}(٢).

وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله عز وجل .

ثم اعلم أنه لا يقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ فيعبد الله تعالى بوفق ما شرع، وهو دين الإسلام الذي لايقبل الله تعالى من أحد سواه، كما قال تعالى:{ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾} [آل عمران: ٨٥].

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :{**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**}.

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٦٤].
(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٤٥٩] أحمد [١٧١٦٤] أبو بكر بن أبي مريم: ضعيف.

وفي رواية لمسلم:{**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**}(١).

فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلابها، فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها، فإخلاص النية بدون صدق العزيمة هوس وتطويل أمل وتمنَّ على الله وتسويف في العمل وتفريط فيه، وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه يكون شركًا أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص، فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل، وكان الباعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة كان شركًا أصغر بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر، وإخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثًا في الدين وشرع ما لم يأذن الله به، فيكون ردّا على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العمل من العبد إلا بصدق العزيمة، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية واتباع السنة، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه، يعني خالصًا من شوائب الشرك موافقًا للسنة.

٩٧ – وفي الحديثِ مُخُّها الدُّعاء ::: خَوفُ توكُّل كذا الرجاء

٩٨ – ورغبة ورهبة خُشُوع ::: وخَشْيَةُ إنابَة خُضُوع

٩٩ – والاسْتِعَاذةُ والاسْتِعانَهْ ::: كذاَ اسْتِغَاثَةٌ به سُبْحَانَهْ

١٠٠ – والذبحُ والنذرُ وغيرُ ذلك ::: فافْهَمْ هُدِيتَ أَوْضَحَ المسالك

١٠١ – وصَرْفُ بَعْضِها لغيرِ الله ::: شِرْك وذاك أَقْبَحُ المَنَاهي

(و) ثبت (**في الحديث**) الذي في السنن كما سنذكره (**مخها**) أى مخ العبادة ولبها (**الدعاء**) قال الله عز وجل :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [غافر: ٦٠]

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٥٥٠] مسلم [١٧/١٧١٨].

وقال تعالى:{ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦} [الأعراف: ٥٥ - ٥٦]، وقال تعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦} [البقرة: ١٨٦] وغير ذلك من الآيات.

وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**}(١).

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**الدعاء مخ العبادة**}(٢) وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، ومعني:{**مخ العبادة**} أى خالصها.

وفيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**الدعاء هو العبادة**}(٣) ثم قرأ:{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠} [غافر: ٦٠] وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح.

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله:{**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**}(٤).

---

(١) (سنده حسن) مسند الطيالسي [٢٥٨٥] سنن الترمذي [٣٣٧٠] سنن ابن ماجه [٣٨٢٩] مسند أحمد ابن حنبل [٨٧٣٣] الدعوات الكبير للبيهقي [٣] من تحقيقي.

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٣٧١] به: عبد الله بن لهيعة: ضعيف.

(٣) (سنده صحيح) الأدب المفرد [٧١٤] سنن أبي داود [١٤٧٩] سنن الترمذي [٢٩٦٩] سنن ابن ماجه [٣٨٢٨] مسند أحمد بن حنبل [١٨٣٧٨] الدعوات الكبير للبيهقي [٤].

(٤) (سنده ضعيف) سنن الترمذي [٣٣٧٣] سنن ابن ماجه [٣٨٢٧] مسند أحمد بن حنبل [١٠١٨١] الأدب المفرد [٦٥٨] مسند أبي يعلى [٦٦٥٥] المستدرك [١٨٠٧] الدعوات الكبير للبيهقي [٢٢] في تقريب التهذيب [٨١٧٢] أبو صالح الخوزي لين الحديث.

وفيه من حديث ابن عباس مرفوعًا:{**إذا سألت فاسأل الله**}(١) وهو حديث حسن صحيح.

(**خوف**) أى ومن أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل ، قال الله تعالى:{فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [آل عمران: ١٧٥] وقال سبحانه:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن: ٤٦] وقال تبارك وتعالى:{وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾} [المؤمنون: ٦٠] وقال عز وجل :{وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ} [الإسراء: ٥٧] وقال تبارك اسمه:{ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ} [الزمر: ٩] الآية، وغيرها من الآيات.

وقال النبي ﷺ :{**والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون**}(٢) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي ذر وحسنه الترمذي.

وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :{**والله لا أدري، والله لا أدري - وأنا رسول الله ﷺ - ما يفعل بي ولا بكم**}(٣).

وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولامثل الجنة نام طالبها**}(٤).

---

(١) (سنده صحيح) الترمذي [٢٥١٦] أحمد [٢٦٦٩] المستدرك [٦٣٠٣].
(٢) (إسناده ضعيف) الترمذي [٢٣١٢] ابن ماجة [٤١٩٠] أحمد [٢١٥٥٥] علته: إبراهيم بن مهاجر: ضعيف، مع انقطاعه.
(٣) (صحيح) البخاري [١١٨٦].
(٤) (سنده ضعيف جدا) الترمذي [٢٦٠١] يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب: متروك الحديث انظر التقريب.

وفيه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله:{**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**}(١).

ولـه عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يقول الله جل ذكره: أخرجوا من ذكرني يومًا أو خافني في مقامي**}(٢).

ولـه وهو وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:{وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠] هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم:{أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ} [المؤمنون: ٦١] (٣).

وفيه من حديث أبي جحيفة قال: قالوا يارسول الله قد شبت، قال:{**شيبتني هود وأخواتها**}(٤) ومن حديث أبي بكر رضى الله عنه :{**شّيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**}(٥) وغير ذلك من الأحاديث.

(**توكل**) أى من أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل ، وهو اعتماد القلب عليه وثقته به وأنه كافيه، قال الله عز وجل :{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣] فجعله تعالى شرطًا في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهله إذ قال تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [إبراهيم: ١١]

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٤٥٠] أبو فروة يزيد بن سنان بن يزيد: ضعيف، و بكير بن فيروز: مقبول.

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٥٩٤] علته: مبارك بن فضالة: صدوق يدلس و يسوى، وقد عنعن.

(٣) (سنده حسن) الترمذي [٣١٧٥] عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني: ثقة، وقيل أنه لم يدرك عائشة.

(٤) (سنده حسن) الطبراني في الكبير [ج١٧ - ر ٧٩٠] وغيره، وله طرق مختلفة. قال الدارقطني: شيبتني هود والواقعة معتلة كلها، انظر سؤالات حمزة.

(٥) (سنده رواته ثقات) الترمذي [٣٢٩٧].

وقال موسى لقومه:{إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ } [يونس: ٨٤] الآيات، وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم:{وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾} [إبراهيم: ١١ - ١٢] وقال تعالى عن نبيه هود رضى الله عنه :{ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ } [هود: ٥٦] الآية، وكذلك عن نبيه نوح رضى الله عنه :{إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} [يونس: ٧١] الآية، وقال تعالى: عن شعيب:{وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨] وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ فتوكل على الله:{إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩] وقال تعالى:{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣] وقال تعالى:{رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾} [المزمل: ٩] وقال تعالى:{ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾} [التوبة: ١٢٩] وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين:{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾} [آل عمران: ١٧٣] وقال تعالى فيهم:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾} [الأنفال: ٢] وقال تبارك وتعالى:{وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى: ٣٦] وقال تعالى:{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ} [الطلاق: ٣] أى كافيه، وقال تعالى:{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ} [الزمر: ٣٦] الجواب: بلى، والآيات في هذا الباب كثيرة.

وقال ابن عباس رضى الله عنه في هذه الآية:{حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] قالها إبراهيم رضى الله عنه حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ

وأصحابه حين:{قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣](١).

وفي الصحيح عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله:{**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بلا حساب، هم الذين لايسترْقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**}(٢).

وفي السنن:{**الطيرة شرك، الطيرة شرك**} قال ابن مسعود وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل(٣).

وفي جامع الترمذي وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**}(٤).

وفي حديث الإيمان بالقدر:{**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**}(٥).

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه والدرامي عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إني لأعلم آية في كتاب الله** عز وجل **لو أخذ الناس بها لكفتهم**):{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣](٦).

ولابن ماجه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٢٨٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٠٧] مسلم [٢١٨].
(٣) (سنده صحيح) أبو داود [٣٩١٠] الترمذي [١٦١٤].
(٤) (سنده صحيح) الترمذي [٢٣٤٤] مسند أحمد [٣٧٣] مسند أبي يعلى [٢٤٧].
(٥) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٩٩] من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه.
(٦) (سنده ضعيف) أحمد [٢١٥٩١] ابن ماجة [٤٢٢٠] سنن الدارمي [٢٧٢٥] علته الانقطاع: أبو السليل ضريب بن نفير لم يسمع من أبي ذر ﷺ.

:{**إن قلب ابن آدم لكل واد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد هلك، ومن توكل على الله كفاه الشعب**}[1] وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

(**كذا الرجاء**) أى ومن أنواع العبادة الرجاء قال الله عز وجل :{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠] وقال تعالى:{مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾} [العنكبوت: ٥] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾} [يونس: ٧ - ٨] وغير ذلك من الآيات.

وفي الحديث:{**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**}[2].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار**}[3].

وقال ﷺ في دعاء المكروب:{**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين**}[4] الحديث رواه أبو داود عن أبي بكر.

(**ورغبة ورهبة خشوع**) أى ومن نواع العبادة الرغبة فيما عند الله عز وجل من

---

(١) (سنده ضعيف) ابن ماجة [٤١٦٦] صالح بن رزيق: مجهول.

(٢) (سنده صحيح) مسند أحمد [١٦٠٥٩] سنن الدارمي [٢٧٣١].

(٣) (صحيح) البخاري [٦١٠٤].

(٤) (سنده لا بأس به) الطيالسي [٨٦٩] أحمد [٢٠٤٤٧] أبو داود [٥٠٩٠] ابن حبان [٩٧٠] النسائي الكبرى [١٠٤٨٧] وعلته: جعفر بن ميمون التميمي في التقريب [٩٦١] صدوق يخطىء، (تكلني): تتركني.

الثواب، وهي راجعة إلى معنى الرجاء، والرهبة مما عند الله من العقاب، وهي راجعة إلى معنى الخوف، والخشوع هو التذلل لله عز وجل ، قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام:{إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠] قال تعالى:{ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾} [الإسراء: ١٠٩] قال تعالى:{وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾} [البقرة: ٤٥ - ٤٦] وقال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾} [المؤمنون: ١ - ٢] وقال تعالى:{وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ } [البقرة: ٤٠] وقال تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾} [الشرح: ٧ - ٨] وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الدعاء عند النوم:{**اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك**}(١) الحديث في الصحيحين.

ولابن أبي حاتم في خطبة أبي بكر رضى الله عنه : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، وتثنوا عليه بما هو أهله، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثني على زكريا وأهل بيته فقال تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠] (٢).

وفي الصحيح من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود:{**خشع لك سمعي وبصري ومخي وعصبي**}(٣) وغير ذلك من الاحاديث.

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٤٤ - ٥٩٥٢ - ٥٩٥٤] مسلم [٢٧١٠].
(٢) (سنده حسن) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٤٥٨٤] شعب الإيمان [١٠٥٩٣] الإلحاف: الإلحاح والإسراف من غير اضطرار.
(٣) (صحيح) مسلم [٧٧١].

(وخشية) أى ومن أنواع العبادة الخشية، وهي مرادفه للخوف، قال الله عز وجل : {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي} [البقرة: ١٥٠] وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين:{إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾} [المؤمنون: ٥٧] الآيات، وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾} [المعارج: ٢٧] الآيات، وقال تعالى في شأن كتابه العزيز:{ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} [الأنعام: ٥١] الآيات، وقال تعالى:{طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾} [طه: ١ - ٣] قال تعالى:{ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ} [يس: ١١] الآية، وقال تعالى:{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٢٣] الآية، وقال تعالى:{هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾} [ق: ٣٢ - ٣٣] الآيات، وقال تعالى: في شأن الساعة:{إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾} [النازعات: ٤٥] وقال تعالى:{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾} [الأعلى: ٩ - ١٠] وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا} [لقمان: ٣٣] الآية.

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع**}(١).

وفيه عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله تعالى**}(٢) وقال حديث حسن.

---

(١) (سنده حسن) الترمذي [١٦٣٣] سنن النسائي [٣١٠٨] أحمد [١٠٥٦٧].
(٢) (سنده حسن) الترمذي [١٦٦٩] المعجم الكبير [٧٩١٨].

وفي الصحيح:{**إن أخشاكم، وأتقاكم لله أنا**}[1] الحديث، وغير ذلك من الأحاديث.

(**إنابة**) أي ومن أنواع العبادة الإنابة وهي التوبة النصوح، والرجوع إلا الله تعالى، قال الله عز وجل :{ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ } [الزمر: ٥٤] وقال تعالى في ذكر شعيب:{وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨] وقال تعالى:{ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠} [الشورى: ١٠] وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه:{رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} [الممتحنة: ٤] وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين:{وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧} [الزمر: ١٧] وقال عن عبده داود رضى الله عنه : {فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ} [ص: ٢٤] وفي ذلك آيات كثيرة سنذكر إن شاء الله ما تيسر منها في بابه.

(**خضوع**) أي ومن أنواع العبادة الخضوع، وهو والخشوع والتذلل بمعنى وتقدمت الآيات والأحاديث فيه.

(**والاستعاذة**) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذة، وهي الامتناع بالله عز وجل والالتجاء إليه، قال عز وجل :{ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨} [النحل: ٩٨] وقال تعالى:{وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨} [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨] وقال تعالى:{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠} [الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى:{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢} [الفلق: ١ - ٢] السورة، وقال تعالى:{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤} [الناس: ١ - ٤] السورة، وقال عن كليمه موسى رضى الله عنه :{وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧}

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٠] مسلم [١١١٠].

[غافر: ٢٧] وقال تعالى عنه رضى الله عنه :{وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠} [الدخان: ٢٠].

وقال النبي ﷺ :{**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**}[١].

وقال:{**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**}[٢].

وقال:{**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك**}[٣].

وقال:{**تعوذوا بالله من الفتن**}[٤].

واستعاذ ﷺ من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال، ومن الرد إلى أرذل العمر ومن المأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال[٥]

---

(١) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٤٦٦] الدعوات الكبير للبيهقي [٦٥] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وهذا بدون قوله (مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ) وهذه الزيادة سندها حسن بمجموع الطرق كما بينته في تخريجي للدعوات الكبير وقد ذكرت طرقها هناك [٨٥٦].
- في عون المعبود [جزء ٢ - صفحة ٩٤] (أعوذ) أي أعتصم وألتجئ (بالله العظيم) أي ذاتا وصفة (وبوجهه) أي ذاته (وسلطانه) أي غلبته وقدرته وقهره على ما أراد من خلقه (القديم) أي الأزلي الأبدي (من الشيطان) مأخوذ من شطن أي بعد يعني المبعود من رحمة الله (الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي المطرود من باب الله أو المشتوم بلعنة الله والظاهر أنه خبر معناه الدعاء يعني اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فأنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة.
- (الهَمْز): النَّخْسُ والغَمْزُ، وفُسّر الهمز في الحديث بأنه المُوتة وهي الجنون والصرع. والهَمْز أيضا: الغِيبَةُ والوَقِيعَةُ في النَّاسِ، وذِكْرُ عُيوبِهم، وهمَّاز وَهُمَزَة للمبالغة.(نفخه): كبره؛ لأن المتكبر يتعاظم ويجمع نَفْسَه ونَفَسَه فيحتاج أن ينفخ.
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٠٨].
(٣) (صحيح) مسلم [٤٨٦].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٨٦٧].
(٥) (صحيح) صحيح البخاري [٧٩٨، ٢٢٦٧، ٦٠١٦،٦٧١٠] مسلم [٥٨٩، ٥٨٩].

غير ذلك.

(**والاستعانة**) [١] أي ومن أنواع العبادة الاستعانة، وهي طلب العون من الله عز وجل ، قال الله تعالى:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾} [الفاتحة: ٥] أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبرأ من كل معبود دونك ومن عابديه، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك، فلا حول لأحد عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك، إلا بتوفيقك ومعونتك.

وقال عن نبيه يعقوب رضى الله عنه :{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨] وقال لنبيه محمد ﷺ :{قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾} [الأنبياء: ١١٢].

وفي الترمذي من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضى الله عنه :{**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**}[٢] الحديث، وقال فيه حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ وفيه:{**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**}[٣].

وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**}[٤] وغير ذلك من الأحاديث.

(**كذا استغاثه به سبحانه**) أي ومن أنواع العبادة الاستغاثة بالله عز وجل وهي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر، قال الله عز وجل :

(١) الاستعانة: شرعا طلب العون من الله، وهي على هذا من أنواع العبادة، التي لا يجوز صرفها لغيره سبحانه، وكذا الاستغاثة، لكنه قد يستعين الإنسان بغيره ويستغيث به فيما يقدر عليه، مع التوكل على الله عز وجل ، واليقين في أنه سبحانه هو الذي ييسر الخير على يد عباده.

(٢) (سنده صحيح) الترمذي [٢٥١٦] أحمد [٢٦٦٩] المستدرك [٦٣٠٣].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٦٤].

(٤) (سنده صحيح) سنن أبي داود [١٥٢٢] سنن النسائي [١٣٠٣] مسند أحمد بن حنبل [٢٢١٧٢].

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾} [الأنفال: ٩] وقال تعالى:{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ} [النمل: ٦٢] الآية، وقال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى: ٢٨] الآية، ومن دعاء النبي ﷺ :{**يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السماوات والأرض، برحمتك أستغيث**}(١).

وفي الطبراني بإسناده من حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال ﷺ :{**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**}(٢).

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه في الاستسقاء: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال:{**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**}(٣) وغير ذلك من الأحاديث.

(**والذبح**) أى ومن أنواع العبادة الذبح نسكًا لله تعالى من هدى وأضحية وعقيقة وغير ذلك، قال الله عز وجل :{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾} [الكوثر: ٢] وقال تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ} [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] الآيات، وقال تعالى:{ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا }

---

(١) (سنده صحيح) سنن أبي داود [١٤٩٥] مسند أحمد بن حنبل [١٣٥٩٥] بدون (برحمتك أستغيث).
وهذه الزيادة (سندها حسن بالشواهد) الدعوات الكبير [١٦٠] ولفظه: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ) وقد ذكرت شواهده هناك فراجعه إن شئت.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي [١٧٢٧٦] وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. قلتُ: الصحيح: أن عبد الله بن لهيعة ضعيف، لاختلاطه، فالحديث على هذا النحو يكون ضعيفا.

(٣) (صحيح) البخاري [٩٦٨] مسلم [٨٩٧].

[الحج: ٣٦] الآيات.

وفي صحيح مسلم عن علي رضى الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات:{**لعن الله من ذبح لغير الله**}[١] الحديث.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن طارق بن شهاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان علي قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب لـه شيئًا فقالوا لأحدهما: قرِّب قال: ليس عندي شيء أقرب، فقالوا لـه: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار، فقالوا للآخر: قرب، قال ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله** عز وجل **: فضربوا عنقه فدخل الجنة**}[٢].

(والنذر) أى ومن أنواع العبادة النَّذْر لله عز وجل ، قال الله تبارك وتعالى:{ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ } [الحج: ٢٩] وقال الله تعالى:{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾} [الإنسان: ٧] وقال تعالى:{وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ} [البقرة: ٢٧٠] الآية.

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال:{**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**} [٣]رواه الجماعة إلا مسلمًا.

وعن عمر رضى الله عنه قال: نذرت نذرًا في الجاهلية، فسألت النبي ﷺ بعدما أسلمت، فأمرني أن أوفي بنذري[٤]رواه ابن ماجه.

---

(١) (صحيح) مسلم [١٩٧٨].

(٢) (سنده صحيح موقفا على سلمان) الزهد لأحمد بن حنبل [٨٥] الحلية لأبي نعيم [ج١ - ص ٢٠٣] الكفاية في علم الرواية للخطيب [٥٥٢] ومثله لا يأخذ حكم الرفع لاحتمال أن يكون سلمان رضى الله عنه قد نقله عن أهل الكتاب، فهو كان قد دخل في النصرانية قبل الإسلام، وكان قريبا من علمائهم الصادقين الذين لم يحرفوا.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٣٢٢].

(٤) (سنده صحيح) مصنف ابن أبي شيبة [٣٦١١٥] ابن ماجة [٢١٢٩] مسند عبد بن حميد [٤٠].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب إثم من لا يفي بالنذر، وذكر حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي قال:{**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**} قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثًا بعد قرنه:{**ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، ويظهر فيهم السمن**}[1].

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال:{**أوف بنذرك**} [2] وهو في الصحيح أيضًا، ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجة مبهمًا فسرته رواية الصحيح.

وفي حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحج وأنها ماتت، فقال النبي ﷺ :{**لو كان عليها دين أكنت قاضية؟ قال: نعم، قال: فاقض الله، فالله أحقٌّ بالقضاء**}[3] وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ.

ومن شرط النذر لله تعالى أن يكون طاعة، وأن يكون مما يطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله تعالى أو ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى، ولمن كان معلقًا بحصول شيء فلا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصوله.

أما الأول فلقوله ﷺ :{**لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم**}[4] الحديث رواه أبو داود، وكذا حديث عائشة السابق وغيره.

(١) (صحيح) البخاري [٦٣١٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٣١٩] مسلم [١٦٥٦].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٣٢١].
(٤) (سنده حسن) أبو داود [٣٢٧٤] النسائي [٣٨٠١] أحمد [٦٩٩٠].

وأما الثاني فلحديث عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ، فأستفتيته فقال:{**لتمش ولتركب**}[١] متفق عليه.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي:{**مرة فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**}[٢] فأمره ﷺ بترك ما لم يكن مطيقه ولم يكن مشروعًا وأمره بإتمام الصوم لكونه يطيقه ولكونه مشروعًا.

وأما الثالث فلقوله ﷺ :{**لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**}[٣] رواه أبو داود وغيره وإسناده صحيح.

وأما الرابع فلحديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً أتي النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال:{**كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**} فقالوا لا، قال:{**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**} قالوا لا، قال:{**أوف بنذرك [٤]، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**} [٥]رواه أبو داود.

---

(١) (صحيح) البخاري [١٧٦٧] مسلم [١٦٤٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٣٢٦].
(٣) (صحيح) مسلم [١٦٤١].
(٤) قولــه ﷺ (أوف بنذرك) هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله أي في محل أعيادهم معصية لأن قولـــه فأوف بنذرك تعقيب للوصف بالحكم بالفاء وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء خلوه من هذين الوصفين فلما قالوا لا قال أوف بنذرك وهذا يقتضـــى أن كون البقعة مكانا لعيدهم أو بها وثن من أوثانهم: مانع من الذبح بها ولو نذره (فتح المجيد /ص ١٤٩).
(٥) (سنده صحيح) أبو داود [٣٣١٣].

وفي سدّ الذرائع إلى ذلك حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أما الخامس فعن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل**} وهو في الصحيح.

وفيه في رواية عنه نهى النبي ﷺ عن النذر:{**وقال إنه لا يرد شيئًا ولكنه يستخرج به من البخيل**}(1).

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**لا يأتي آدم النذرُ بشيء، ولكنه يلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّر لـه، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل**}(2) وغير ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٣٤ - ٦٣١٤ - ٦٣١٥] مسلم [١٦٣٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٣٥].

(وغير ذلك) أى من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه وسائر الأذكار المشروعة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والحب في الله والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطها الذي لا قوام لها إلا به هو كمال الحب وغايته مع غاية الذل، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كله، فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة، وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه كالخوف من عدوّ أو غرق أو حرق ونحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة: إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله، ولذا قلنا **(وصرف بعضها)** أى شيء منها قلَّ أو كثر **(لغير الله)** كائنًا من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو غيره، كل ذلك **(شرك)** أكبر، **(وذاك)** إشارة إلى الشرك هو **(أقبح المناهي)** على الإطلاق، قال الله عز وجل :{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ } [الأحقاف: ٥] الآيات، أى لا أحد أضل منه، وقال تعالى:{ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾} [المؤمنون: ١١٧] وقال الله عز وجل :{إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣] فالشرك أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلمًا من شكاية العبد ربه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير إلى من لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه ولا يملك لنفسه ولا لداعية من

ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور، ولا يغني عنه مثقال ذرة، وعدوله عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزع في قضاء حوائجه إلى من لا قدرة لـه علي شيء ألبتة:{وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾} [فاطر: ١٣ - ١٤] وصرفه عبادة خالقه - الذي خلقه - لعبادته وتوحيده ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار - لمخلوق مثله خلقه الله بقدرته ولم يكن من قبل شيئًا، بل هو مسخر مدبر مربوب متصرف فيه الله تعالى بما شاء من أنواع التصرف لا يبدي حراكًا ولا ينفك من قبضة الله عز وجل ، بل هو خلقه وملكه مخلوق لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مألوهًا معبودًا:{ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ } [الروم: ٢٨] الآية، هذا والله أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر، ولذا لم تدعُ الرسل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء علي الشرك من الوعيد الشديد، وفي الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم؟ قال:**{أن تجعل لله ندّا وهو خلقك}**[١].

وسنذكر إن شاء الله من الآيات والأحاديث قريبًا ما تقرُّ به به أعين الموحدين، وتدحض شبهة المعاندين، ويدمغ باطل الملحدين، والله المستعان وبه التوفيق.

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٢٠٧] مسلم [٨٦].

فصل

في بيان ضد التوحيد وهو الشرك

وكونه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر وبيان كل منهما

قد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة، ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه.

فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك لـه في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل .

وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعي الله تعالى بما سمي به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد: **أحدهما**: نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابته بالكتاب والسنة، **ثانيهما**: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه وقد قال تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] وقال تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾} [طه: ١١٠]. وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

* * *

بداية ظهور الشرك

وأول ما ظهر الشرك في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم رضى الله عنه نحو عشرة قرون كما قدمنا، وبه قال ابن عباس وغيره في تفسير قولـه عز وجل :{كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾} [البقرة: ٢١٣] وذلك لأن الشيطان لعنه الله لم يزل دائبًا جادًا مشمرًا في عداوة بني آدم رضى الله عنه منذ كان أبوهم طينًا، فلما نفخ الله فيه الروح وعلمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود لـه فسجدوا كلهم إلا إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين، وقال:{ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } [الإسراء: ٦١] وقال تعالى:{لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر: ٣٣] فلما سأله الله عز وجل عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه - والله تعالى أعلم به - فقال سبحانه لـه:{مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: ١٢] فأجاب الخبيث مفتخرًا بأصله، طاعنًا على ربه تعالى في حكمته وعدلـه:{قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ} [الأعراف: ١٢] فعامله الجبار بنقيض ما قصده وأذاقه وبال حسده، وأثمر لـه استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده:{ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾} [الأعراف: ١٣] وقال:{ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا } [الأعراف: ١٨] الآية، وقال:{فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾} [الحجر: ٣٤ - ٣٥] فطلب الإنظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالثأر، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيل لـه إلا على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبار:{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾} [ص: ٧٩ - ٨١] أجابه الله تعالى إلى طلبته ليمتحن عباده اختبارًا وابتلاء:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢]

فقابل النعمة بالكفران وجدد صفقة الخسران وأقسم ليستعملن مدته وليستغرقن حياته في إغواء ذرية آدم الذين كان طرده وإبعاده بسببهم إذ لم يسجد لأبيهم، ولا رأي أن ذلك باستكباره عن أمر ربه، بل قدس نفسه اللئيمة وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمة ومحادَّة ومشاقَّة:{ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾} [الأعراف: ١٦ - ١٧] ولم يقل اللعين:{**من فوقهم**} لعلمه أن الله تعالى من فوقهم، قال الله سبحانه:{ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ } [الحجر: ٤١ - ٤٢] وقد علم الرجيم ذلك فقال آيسًا منهم:{إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾} [الحجر: ٤٠] ثم لما سعى إلى آدم وحواء زوجه في الجنة ودلهما علي تلك الشجرة التي نهاهم الله عز وجل عنها أن يقربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنة، فاستدرجهم اللعين بخداعه وحيلته البائرة، وغرهم بتلك اليمين الفاجرة:{ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾} [الأعراف: ٢١] فنفذ قضاء الله تعالى وقدره بأكلهما منها:{لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا } [الأنفال: ٤٢] وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عز وجل وسعة رحمته الذي لا يقدر أحد عَلَي شيء منه:{وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ } [الحديد: ٢٩] فلما عاتبهما الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله:{أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ} [الأعراف: ٢٢] فلم يعترضا على قضاء الله وقدره ولم يحتجا بذلك علي ارتكاب ما نهى الله عنه ولم يخاصما به كما قال اللعين مواجهًا ربه بقوله:{فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي} [الأعراف: ١٦] بل اعترافا بقدرة الله عليهما وأقرّ بظلمهما لأنفسهما وصرحا بافتقارهما إلى ربهما وبكمال غناه عنهما:{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [الأعراف: ٢٣] وهذه هي الكلمات التي قال الله عز وجل :{فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾} [البقرة: ٣٧] ثم أراد الله سبحانه أن يهبطهم إلى دار أخرى هي دار الامتحان

والابتلاء ليتبين حزبه الذين يتبعون رسله ويقاتلون أعداءه ويغرس لهم بصالح الأعمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورجله وقد أعد لهم جهنم وساءت مصيرًا، وألقى العداوة ونصب الحرب بين هذين الحزبين في هذه الدار ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم فقال تعالى:{قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾} [البقرة: ٣٨ - ٣٩].

ثم كان من كيد الشيطان مما قص الله عز وجل من إلقائه الفتنة بين ابني آدم وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة، ولما مات آدم رضى الله عنه كان وصيه شيثًا رضى الله عنه، ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم علي شريعة من الحق كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم علي شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[١]، وزين الشيطان لعنه الله لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها، وبيان ذلك ما روي البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال في وَدّ وسُواع ويغوث ويعوق ونسر: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنوسي العلم عبدت[٢]. ا هـ.

(١) (سنده صحيح) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٥٩٧٠] والطبري في تفسيره [ج٢ - ص ٣٤٧] وله شاهد مرفوع بسند صحيح سبق ذكره.
(٢) (صحيح) البخاري [٤٦٣٦].

فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم، فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحًا رضى الله عنه فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالى وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالى بالطوفان، ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهة مع الله منها هدا وصدى صُمودًا، فأرسل الله عز وجل إليهم هودًا رضى الله عنه فلبث فيهم مالبث يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل ، فلما حق عليهم العذاب أهلكهم الله تعالى بالريح، ثم ثمود كذلك وأرسل الله إليهم صالحًا رضى الله عنه كذبوه فأهلكوا بالصيحة، ثم قوم إبراهيم وعبدوا الشمس والقمر والنجوم وعبدوا الأصنام وغير ذلك، وقد قص الله تعالى في كتابه كل ذلك مفصلاً عن الأمم ورسلهم.

وعبد أول بني إسرائيل العجل وآخرهم عبدوا عزيزًا وعبدت النصارى المسيح وعبدت المجوس النار وعبد قوم الماء وعبد كل قوم ما زينه الشيطان لهم علي قدر عقولهم، هذا في الأمم الأولي وكل منها لـه وارث من الأمم المتأخرة، فالأصنام التي في قوم نوح قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لُحَيّ قبحه الله تعالى كما ذكره ابن عباس فيما رواه البخاري عنه رضى الله عنه قال: أما وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وسواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[1]. انتهى.

وتفسير ذلك ما ذكره الكلبي حيث قال: وكان عمرو بن لحي كاهنًا ولـه رئى من الجن فقال لـه: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت جدة تجد فيها أصنامًا معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى

(١) (صحيح) البخاري [٤٦٣٦] وهذا أول الحديث السابق.

عبادتها تجب، فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عدن بن زيد اللات فدفع إليه ودّا فحمله، فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمى به وجعل عوف ابنه عامرًا سادنا لـه فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام.

قال الكلبي: فحدثني مالك بن حارثه أنه رأي ودّا، قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول: اسقه إلهك فأشربه، قال: ثم رأيت خالد بن الوليد رضى الله عنه كسره فجعله جذاذًا، وكان رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره.

قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودّا كأني أنظر إليه، قال كان ثمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر - أى نقش - عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسًا وبين يديه حربة فيها لواء وقبضة فيها نبل بغير جعبة، وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال لـه الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سُواعًا فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخله يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجل من العرب:

تراهم حول قبلتهم عكوفا ::: كما عكفت هذيل على سواع

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته هَمْدان فدفع إلى مالك بن زيد بن جشم يعوق فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدان ومن ولاها من اليمن، وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال لـه: معدي كرب نسرًا فكان بموضع من أرض سبأ يقال لـه: بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هوَّدهم ذو نواس، فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي ﷺ فهدمها وكسرها.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**رأيتُ عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيَّب السوائب**} وفي لفظ:{**وغير دين إبراهيم**}[1].

وروي ابن إسحاق عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجوف الخزاعي:{**يا أكثم، رأيت عَمْرَو بن لحي بن قمعة بن خندق يجر قصبه في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه**} فقال أكثم: عسى ألا يضرني شبهه يا رسول الله، قال:{**لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غيَّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البَحِيرة وسيَّب السائبة وحمى الحامي**}[2].

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مُآب من أرض البلقاء - وبها يؤمئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا لـه: هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنمًا يقال لـه هُبَل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، وقال ابن إسحاق: واتخذوا إسافًا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان

(١) (صحيح) البخاري [١١٥٤] مسلم [٩٠١] (قصبه) أمعاءه وقيل ما كان أسفل البطن من الأمعاء (سيب السوائب) سيب النوق وسن لهم هذه العادة والسوائب جمع سائبة وهي الناقة التي تترك فلا تركب ولا تصد عن ماء أو مرعى يفعلون ذلك نذرا وتقربا لآلهتهم.

(٢) (سنده صحيح) سيرة ابن هشام [ج١ - ص ٢٠١] تفسير الطبري [١٢٨٢٧] البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس. وأما (الحامي)، فإنه الفحل من النعم يُحْمَى ظهره من الركوب والانتفاع، بسبب تتابُعِ أولادٍ تحدُث من فِحْلته.

إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جرهم هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين، قال: وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ::: بمفضي السيول من إساف ونائل

واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنمًا، قال ابن إسحاق: وكان لخولان صنم يقال لـه عم أنس بأرض خولان يقسمون لـه من أموالهم من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عم أنس من حق الله تعالى الذي سموه لـه تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه، وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون:{وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾} [الأنعام: ١٣٦].

قال: وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنم يقال لـه سعد، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل لـه مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل - وكانت مرعية لا تركب، وكان يهراق عليه الدماء - نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني فأخذ حجرًا فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفَّرت عليَّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت لـه قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ::: فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ::: من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد

وكان لدوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي، قال وكان لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء أبي طالب.

قلت: فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه فهدمها، قال

وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف، قال وكان مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، وقال ابن هشام فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب رضى الله عنه فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه، قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة فبعث إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه فهدمها، قال وكانت قلس لطيئ ومن يليها بجبل طيئ بين سلمى وأجأ، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب رضى الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما لـه فهما سيفا علي رضى الله عنه، قال وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال لـه رئام، قال: وكانت رضاء بيتًا لبني ربيعة بن كعب وفيها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة ::: فتركتها قفرا بقاع أسحما

وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، ولـه يقول أعشي بني قيس:

بين الخورنق والسدير وبارق ::: والبيت ذي الشرفات من سنداد

قال ابن إسحاق وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادات بني سلمة وشريفًا من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب يقال لـه: مناة، فلما أسلم فتيان بني سلمة - معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وغيرهم - ممن أسلم وشهد العقبة وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو وذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذرات الناس منكسًا على رأسه فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيته، فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك، فيغدو يلتمسه

فيجد به مثل ما كان فيه من الأذي فيغسله ويطهره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال لـه: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك، فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتي وجده في تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذا أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنت إلها لم تكن ::: أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لملقاك إلها مستدن ::: ةهان أو تسئل عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن ::: الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن ::: أكون في ظلمة قبر مرتهن

قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفرًا تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش:{ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾} [ص: ٥] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب ويهدي لها كما يهدي الكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينحر عندها كما ينحر عند الكعبة، وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا وجعل الثلاثة أثافي لِقِدْرِه[١] فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك، وقال أبو رجاء العطاردي لما بعث النبي ﷺ فسمعنا به سمعنا بمسيلمة الكذاب

(١) أثافي لقدره: الحجارة التي توضع تحت الإناء.

فلحقنا بالنار،

قال: وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، قال: وكنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانًا ثم نلقيه، وقال أبو عثمان النهدي: كنا في الجاهلية نعبد حجرًا فسمعنا مناديا ينادي يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا ربا، قال: فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، فإذا حجر فنحرنا عليه الجزور، وقال عمرو بن عبسة: كنت ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهًا يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا فجعل يطعن بنشبة قوسه في وجوهها وعيونها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت.

* * *

أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه الإغاثة:

فصل: وتلاعبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام لـه أسباب عديدة، وتلاعبَ بكل قوم على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح رضى الله عنه، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج، ونهي عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه - سبحانه - أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، ونهي أمته أن يتخذوا قبره عيدًا، وقال:{**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**}[1] وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل.

قلت: وسنذكر الأحاديث المسندة في ذلك قريبًا إن شاء الله تعالى.

قال: فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلاً وإما عنادًا لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئًا، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا وسدنة وحجابًا وحجّا وقربانًا، ولم يزل هذا في الدنيا قديمًا وحديثًا، فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار، ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخربه عثمان رضى الله عنه، ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند، قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال لـه: برهمن ووضع لهم أصنامًا وجعل أعظم بيوتها بيتًا بمدينة من مدائن السند وجعل فيه صنمهم

(١) (مرسل) الموطأ للإمام مالك رحمه الله [٤١٤] وعند البخاري بلفظ [٣٢٦٧] مسلم [٥٣١] من حديث عائشة: « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

الأعظم وزعم أنه بصورة الهيولي الأكبر، وفتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها الملتان.

إلى أن قال رحمه الله: وأصل هذا المذهب منهم مشركو الصابئة وهم قوم إبراهيم رضى الله عنه الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعمله، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريفه، وهذا مذهب قديم في العالم وأهله طوائف شتى؛ فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والدعاء، ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنمًا بيده جوهر على نوع النار، ولـه بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا لـه الوقوف الكثيرة من القرى والضياع ولـه سدنة وقوّام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك، ولهذا يقارفها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم لـه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعا لمشابهة الكفار ظاهرًا[1]، وسدًا لذريعة الشرك وعبادة الأصنام وعبادة الأصنام.

قلت: وقد ذكر الله عز وجل عبادة الشمس عن أهل سبأ من أرض اليمن في عهد بلقيس، كما حكى قول الهدهد حيث قال:{ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ} [النمل: ٢٤] إلى آخر الآيات، وهداها الله تعالى إلى الإسلام

(١) (صحيح) البخاري [٥٥٨] مسلم [٨٢٨] وعند مسلم [٨٣٢] بلفظ أن عمرو بن عبسة قال للنبي ﷺ : (أخبرني عن الصلاة؟ قال صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار).

على يد نبيه سليمان رضى الله عنه حيث قال:{رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤].

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فصل: وطائفة أخري اتخذت للقمر صنمًا وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي، ومن شريعة عّباده أنهم اتخذوا لهم صنمًا على شكل عجل ويجره أربعة، وبيد الصنم جوهرة، ويعبدونه ويسجدون لـه ويصومون لـه أيامًا معلومة من كل شهر ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه، ومنهم من يعبد أصنامًا اتخذوها على صور الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتي أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب:{**السر المكتوم في مخاطبة النجوم**} المنسوب لابن خطيب الري تعرف عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريق إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل علي شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده، ومن أسباب عبادتها أيضًا أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم وتدلهم على بعض ما يخفي عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطان، فجهلتهم وسقطهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب، وعقلاؤهم يقولون: إن تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول: إنها الملائكة، وبعضهم يقول: إنها هي العقول المجردة، وبعضهم يقول: هي روحانيات الأجرام العلوية، وكثير منهم

لا يسأل عما عهد بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهًا ولا يسأل عما وراء ذلك، وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم رضى الله عنه، وعبادتها في الأرض من قبل نوح رضى الله عنه كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائح عبادتها طبق الأرض، قال إمام الحنفاء:{وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ} [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦] والأمم التي أهلكها الله تعالى بأنواع الهلاك كلهم يعبدون الأصنام كما قص الله عز وجل ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين، ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون(١)، وقد قال الله تعالى:{فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء: ٨٩] وقال تعالى:{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأنعام: ١١٦] وقال تعالى:{وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾} [يوسف: ١٠٣] وقال تعالى:{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾} [الأعراف: ١٠٢] ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبّا لها وتعظيمًا ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر، غير ما أعد الله لـه في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلا إقدامًا وحرصًا علي الوصول

---

(١) (صحيح) البخاري [٣١٧٠] مسلم [٢٩٤٠].

والظفر بحاجته، فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشد، فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير، والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء الله وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعباده وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات وأن الله - سبحانه - بريء منهم هو وجميع رسله وملائكته وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملاً، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف، وقد أباح الله عز وجل لرسوله وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا، وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة، فهؤلاء في شق ورسل الله في شق، ثم قال رحمه الله تعالى:

فصل: ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعلوا فيه حظّا من الإلهية بالله تعالى، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيره مثلاً لـه وندّا وشبهًا لـه، لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم أمة جعلته سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلوّا في من يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهه إلهًا واحدًا وقالوا: اصبروا على آلهتكم، وصرحوا بأنه إله معبود يرجي ويخاف ويعظم ويسجد لـه ويحلف باسمه ويقرب لـه القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى.

ثم ذكر رحمه الله تعالى في ذلك بحثًا نفيسًا فأجاد وأفاد، ثم ذكر باقي طوائف المشركين من عباد النار والماء والحيوانات والملائكة وغيرهم من الثنوية

والدهرية والفلاسفة، وذكر من أوضاع شرائعهم الباطلة وأصولها وكيفية عبادتهم لما ألهوه ونقض ذلك عليهم أتم نقض، تغمده الله برحمته.

والمقصود: أن أكثر شرك الأمم التي بعث الله إليها رسله وأنزل كتبه غالبهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثنوية، وأما غيرهم ممن جحدها عنادًا كفرعون ونمرود وأضرابهم فهم مقرون بالربوبية باطنًا كما قدمنا، وقال الله عز وجل عنهم:{وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا} [النمل: ١٤] وبقية المشركين يقروون بالربوبية باطنًا وظاهرًا كما صرح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضاد نوعًا من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عباد القبور إذا قال أحدهم: يا شيخ فلان - لذلك المقبور - أغثني أو افعل لي كذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعيدة وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار ترابًا، فدعاؤه إياه عبادة صرفها لـه من دون الله لأن الدعاء مخ العبادة[(١)]، فهذا شرك في الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقدًا أنه قادر على ذلك هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله تعالى في ملكوته، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أى وقت كان وفي أى مكان ويصرحون بذلك، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت لـه سمعًا محيطًا بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٣٧١] به: عبد الله بن لهيعة: ضعيف.

الشرك الأكبر

١٠٢ – شرك نوعان فشرك أكبر ::: به خلود النار إذ لا يغفر
١٠٣ – وهو آتخاذ العبد غير الله ::: ندا به مسويا مضاهي

(**والشرك**) الذي هو ضد التوحيد (**نوعان**) أى ينقسم إلى نوعين (**فشرك أكبر**) ينافي التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام (**به خلود**) فاعله في (**النار**) أبدًا (**إذ**) تعليل لأبدية الخلود أى لكونه (**لا يغفر**) قال الله تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾} [النساء: ٤٨] وقال تعالى:{وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا} [النساء: ١١٦] وقال تعالى:{ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾} [المائدة: ٧٢] وقال تعالى:{فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾} [الحج: ٣٠ - ٣١] وقال لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثني عليهم:{ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾} [الأنعام: ٨٨] وقال لخاتمهم محمد ﷺ :{وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾} [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

فالشرك أعظم ذنب عصى الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار أبدًا لا نصير لـه ولاحميم ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيام السارية ليلاً ونهارًا ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبيّا رسولاً، ولو كان محمدًا ﷺ، وهذا من تقدير

وقوع المحال وهو كثير في اللغة العربية، أى لو قدر وقوع ذلك من ملك أو رسول لكان كغيره من المشركين في حبوط عمله وحلول غضب الله عليه، وإلا فلم يرسل الله تعالى رسولاً إلا معصومًا من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك:{ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ} [الأنعام: ١٢٤] والآيات في بيان عظم الشرك ووعيد فاعله أكثر من أن يحيط بها هذا المختصر، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسر فنقول وبالله التوفيق:

في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**}(١) وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة.

وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال:{**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**}(٢).

وفيه عنه رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئًا دخل النار**}(٣).

وفيه من حديث أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**أتاني جبريل** رضى الله عنه **فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زني وإن سرق؟ قال: وإن زني وإن سرق**}(٤).

وفيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أى الذنب أعظم عند الله؟ قال:{**أن تجعل لله ندّا وهو خلقك...**}(٥) الحديث.

---

(١) (صحيح) البخاري [١١٨١] مسلم [٩٢].
(٢) (صحيح) مسلم [١٥١ /٩٣] (الموجبتان) معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.
(٣) (صحيح) مسلم [٩٣/١٥٢].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٠٧٩] مسلم [٩٤].
(٥) (صحيح) تقدم.

وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال:{**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور...**}[١]الحديث.

وروي أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :{**الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله** عز وجل { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء: ١١٦] وقال:{إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ } [المائدة: ٧٢] **وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله تعالى يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص لا محالة**} تفرد به أحمد[٢].

ولـه عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**}[٣] ورواه النسائي أيضًا.

ولأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**إن الله تعالى يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**

(١) (صحيح) البخاري [٢٥١١] مسلم [٨٧].
(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٢٦٠٧٣] صدقة بن موسى: ضعيف، ويزيد بن بابنوس قال أبو حاتم مجهول: انظر تهذيب التهذيب.
(٣) (سنده صحيح بشواهده) مسند أحمد [١٦٩٥٣] النسائي [٣٩٥٥] من حديث معاوية ﷺ. به: أبو عون الأعور الأنصارى: مقبول عند المتابعة انظر التقريب.
وله شاهد من حديث أبي الدرداء وسنده حسن عند ابن حبان [٥٩٨٠] الحاكم في المستدرك [٨٠٣٢] البيهقي الكبرى [١٥٦٣٩].

لقيتك بقرابها مغفرة}[١].

وللترمذي وقال حسن صحيح عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم ا ستغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة}**[٢].

ولابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئًا إلا حلت لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها)**:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ }[٣].

ولأبي يعلى عنه رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب}** قيل: يا نبي الله وما الحجاب؟ قال:{**الإشراك بالله}**، قال:{**ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئًا إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى، إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها}** ثم قرأ النبي ﷺ :{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ }[٤].

ولأحمد عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(١) (سنده حسن لغيره) مسند أحمد [٢١٤٠٦] الدارمي في سننه [٢٧٨٨] به: شهر بن حوشب: ضعيف. يشهد له الحديث التالي.

(٢) (سنده حسن لغيره) الترمذي [٣٥٤٠] به: كثير بن فائدة: مقبول، ويشهد له الحديث السابق.
وقلتُ: وتابع كثير بن فائدة هذا في روايته (سلم بن قتيبة، وهو من الثقات) عند ابن شاهين في فضائل الأوقات [١٧٩] وسنده حسن.
وللحديث شـــاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في معاجمه الثلاثة: وبه: إبراهيم بن إسحاق الصيني عن: قال الدارقطني متروك الحديث لسان الميزان [٥١].

(٣) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره [٥٤٥٩/٥٤٦٤] به: موسى بن عبيدة بن نشيط: ضعيف انظر التقريب.

(٤) (سنده ضعيف) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [١٦١٥] حسن الظن لابن أبي الدنيا [٥٦] به موسى ابن عبيد: ضعيف.

{من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة}(١).

ولابن أبي حاتم عن أبي أيوب رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال:**{وما دينه}** قال يصلي ويوحد الله، قال:**{استوهب منه دينه، فإن أبي فابتعه منه}** فطلب الرجل ذاك منه فأبي عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحًا على دينه، قال فنزلت:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } (٢).

وللطبراني عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:**{قال الله عز وجل : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت لـه ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئًا}**(٣).

ولابن مردويه عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله}** ثم قرأ:{وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨] **(وعقوق الوالدين}** ثم قرأ:{أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ } [لقمان: ١٤] (٤).

(١) (سنده صحيح لغيره) أحمد في المسند [١١٧٦٨] وإن كان سند أحمد ضعيف، به: عطية العوفي: ضعيف، وللحديث شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود، قد سبق.

(٢) (سنده ضعيف جدا) الطبراني في الكبير [٤٠٦٣] نسبه ابن كثير لابن أبي حاتم [ج١ - ص٦٧٥] وذكر إسناده بتمامه. به: واصل بن السائب الرقاشي: قال البخاري، وأبو حاتم: منكر الحديث.وقال النسائي: متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال [ج٣٠ - ٦٦٦٣] وبه: أبو سورة الأنصارى: ضعيف انظر التقريب.

(٣) (سنده ضعيف) مسند عبد بن حميد [٦٠٣] الطبراني في الكبير [١١٦١٥] الأسماء والصفات للبيهقي [٢٤٧] شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [١٦١٣] به: إِبْرَاهِيمُ بن الْحَكَمِ بن أَبَانَ: ضعيف.

(٤) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره [٥٤٦٧] والطبراني في الكبير [١٤٧٠٩] وفي مسند الشاميين [٢٥٦٨] وبه سعيد بن بشير: ضعيف ويزداد الضعف عند روايته عن قتادة، وهو هنا من روايته عنه، والانقطاع بين الحسن البصري وعمران بن حصين.

وللإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ} [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال:{**إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح)**:{يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} [لقمان: ١٣] الحديث، في الصحيحين(١).

ولابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء رضى الله عنه :{**لا تشركوا بالله شيئًا وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتم**}(٢).

ولابن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: أو صانا رسول الله ﷺ بسبع خصال:{**لا تشركوا بالله شيئًا وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم**}(٣).

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت رديف النبي ﷺ علي حمار فقال لي:{**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله** عز وجل ؟ **قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله(٤) أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**}(٥).

---

(١) (صحيح) البخاري [٣١٨١] مسلم [١٢٤] أحمد [٣٥٨٩].

(٢) (سنده ضعيف) الأدب المفرد للبخاري [١٨] وابن ماجة [٤٠٣٤] من حديث أبي الدرداء، وبه شهر ابن حوشب: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف) تفسير ابن أبي حاتم [٨٠٨٥/٥٣٢٨] تعظيم قدر الصلاة للمروزي [٩٢٠] شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [١٢٢٤] المسند للشاشي [١٢٤٣] من حديث عبادة، به: سلمة بن شريح: لا يعرف، انظر اللسان. وبه: يزيد بن قوذر المصري: يبد أنه مجهول هو الآخر، فلم يوثقه إلا ابن حبان وهو معروف رحمه الله بتوثيق المجاهيل، وذكره البخاري في التاريخ، وابن أبي حاتم دون جرح أو تعديل.

(٤) كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس استحقاق ومقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق، وأهل السنة يقولون هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق ولم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعيين، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك.

(٥) (صحيح) البخاري [٢٧٠١] مسلم [٣٠].

وللبخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ :{**أى عم، قل لا إله إلا الله أحاجُّ لك بها عند الله**} فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ وقال النبي ﷺ :{**لأستغفرن لك ما لم أنْهَ عنك فنزلت**{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة: ١١٣] (١).

والأحاديث في عظم ذنب الشرك وشدة وعيده أكثر من أن تحصى.

وقد قدمنا من أحاديث التوحيد جملة وافية عند الكلام على لا إله إلا الله وغير ذلك والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه.

كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عز وجل ونفي الشرك فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك كما قدمنا بسط ذلك، وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء:{ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾} [النساء: ٣٦] وكما في آية الأنعام التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها وهي قوله تعالى:{ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾} [الأنعام: ١٥١] وكما في آيات الإسراء:{ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا } [الإسراء: ٢٣]

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٩٨] مسلم [٢٤٤].

إلى قولـه:{ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾} [الإسراء: ٣٩] فابتدأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك، وكما في آيات الفرقان في الثناء علي عبادة المؤمنين في اجتنابهم الفواحش:{وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ} [الفرقان: ٦٨] الآيات، وغير ذلك من الآيات.

وكذلك في أحاديث النبي ﷺ الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائر المتقدم، وكما في حديث من سأل النبي ﷺ فقال: دلني على عمر يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال:{**لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئًا**} وذكر الحديث(١).

وكذا في أحاديث أركان الإسلام، وكحديث جبريل المشهور(٢)، وحديث ابن عمر(٣)، وحديث وفد عبد القيس(٤)وغيرها يبدأ فيها بالشهادتين.

ومع تتبع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين لـه أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلق إلا لذلك.

* * *

---

(١) (سنده حسن بالشواهد) ابن ماجة [٣٩٧٣] أحمد [٢٢٠٦٩] من حديث أبي وائل شقيق بن سلمة.عن معاذ وأبو وائل لم يسمع من معاذ. وهو عند أحمد [٢٢١٧٥] من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وشهر: ضعيف. وتابع شهر أيوب بن كريز في روايته عن ابن غنم، وهذا عند الطبراني في الكبير [١٦٥٦١] ويبدو أن أيوب هذا مجهول. وعند الطيالسي [٥٦٠] من حديث النزال بن عروة عن معاذ، والنزال هذا: مقبول، ويبدو أنه لم يدرك معاذ. وعند الحاكم [٣٥٤٨] من حديث ميمون بن أبي شبيب عن معاذ. وغير ذلك تركناه اختصارا.

(٢) (صحيح) البخاري [٥٠] مسلم [٨، ٩، ١٠].

(٣) (صحيح) البخاري [٨] مسلم [١٦] حديث (بني الإسلام على خمس..).

(٤) (صحيح) البخاري [٥٣] مسلم [١٧].

(**وهو**) التعريف بالشرك وهو أى الشرك الذي تقدم ذكره في المتن وذكر النصوص فيه في الشرح (**اتخاذ العبد غير الله**) من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك، (**ندا**) من دون الله (**مسويّا به**) الله يحبه كحب الله ويخافه ويخشاه كخشية الله ويتبعه علي غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله ويشركه في عبادة الله (**مضاهي**) به الله قال الله تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ } [البقرة: ١٦٥] (١) وحكى عنهم في اختصامهم في النار:{ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨} [الشعراء: ٩٦ - ٩٨] وقد أخبرنا الله عز وجل أنهم لم يسووهم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماتة ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقرون لله تعالى بالربوبية:{وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩} [الزخرف: ٩] وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تقدمت، ولكنهم سووهم بالله تعالى في حبهم إياهم كحب الله ولم يجعلوا المحبة لله وحده في خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشية لله والخوف من الله وحده وأشركوهم في عبادة الله ولم يفردوا الله بالعبادة دون من سواه، مع أنهم لم يعبدوهم استقلالاً بل زعموهم شفعاء لهم عند الله ليقربوهم إلى الله زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب ملكًا للمخلوق ويبطلونه منه وأن لـه أن يشفع بدون إذن الله والله تعالى يقول:{مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ} [يونس: ٣] ولهذا سمى الله تعالى استشفاعهم ذلك شركًا كما

---

(١) قولـه تعالى: (يحبونهم كحب الله) لـه وجهان من التفسير: الأول: أنهم اتخذوا آلهة أحبوها حبا من جنس الحب الذي لا يكون إلا لله عز وجل وهو حب الإنابة والخضوع. الثاني: أنهم يحبون الله عزوجل ويشركون معه غيره في المحبة التي هي من جنس العبادة فكأنهم جعلوا المحبة نصفين.

قال تعالى:{ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾} [يونس: ١٨] فجمعوا في ذلك بين شركين: الأول: عبادتهم إياهم من دون الله عز وجل ، والثاني: جعلهم شفعاء بدون إذن الله عز وجل وقال تعالى:{ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ } [الزمر: ٣] وقال تعالى:{وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ} [الأنعام: ٩٤].

وأيضًا فقد أخبرنا الله تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة لله، قال الله تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾} [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ } [يونس: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى:{ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾} [الأنعام: ٦٣ - ٦٤] وقال تعالى:{۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ } [الزمر: ٨] وقال تعالى:{وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾} [الروم: ٣٣] وقال تعالى:{وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾} [الإسراء: ٦٧] الآيات، وقال تعالى:{ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾} [الأنعام: ٤٠ - ٤١] وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث حصين المتقدم لما قال لـه النبي ﷺ :**{كم تعبد اليوم من إله}** قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء، قال:**{فمن تعبد لرغبتك ورهبتك}** قال: الذي في السماء(١).

ولما ركب بعض مشركي قريش فارّا من النبي ﷺ حين فتح مكة فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم من هذه إلا هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلا هو فإنه لا ينفع في البر إلا هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبن إلى رسول الله ﷺ فلأضعن يدي في يده(٢).

وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عُبَّاد القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الولي في الرخاء ببعير أو تبيع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة زادوا ضعف ذلك فجعلوا لـه بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك، وأيضًا فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا الله وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى الله وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون لـه شريك في الملك أو ولي من الذل:{ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢].

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٤٨٣] شبيب بن شيبة بن عبد الله: ضعيف. والحسن البصري: مدلس وقد عنعن.

(٢) (سنده حسن) سنن النسائي [٤٠٦٧] مسند أبي يعلى [٧٥٧].

{مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾} [المؤمنون: ٩١ - ٩٢]،{قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ

ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾} [الإسراء: ٤٢ - ٤٤] وغير ذلك من الآيات.

* * *

١٠٤ – يقصده عند نزول الضر ::: لجلب خير أو لدفع الشر
١٠٥ – أو عند أى غرض لا يقدر ::: عليه إلا المالك المقتدر
١٠٦ – مع جعله لذلك المدعو ::: أو المعظم أو المرجو
١٠٧ – في الغيب سلطانا به يطلع ::: على ضمير من إليه يفزع

(**يقصده**) أى المتخذ ذلك الند من دون الله يقصد نده (**عند نزول الضر**) به من خير فاته أو شر دهمه (**لجلب خير**) لـه أو (**لدفع الشر**) عنه (**أو عند**) احتياج (**أى غرض**) من الأغراض، والحال أنه (**لا يقدر عليه**) أى على ذلك الغرض (**إلا المالك المقتدر**) وهو الله سبحانه وتعالى (**مع جعله**) أى العبد (**لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو**) من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جني (**في الغيب سلطانا**) أى يعتقد أن لـه سلطانًا غيبيّا فوق طوق البشر (**به يطلع**) أى بذلك السلطان الذي اعتقده فيه (**على ضمير من إليه**) إلى ذلك الند (**يفزع**) في قضاء أى حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو غير ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه ويرى مكانه ويعلم حاجته ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع الله، والمقصود أنه يثبت لـه من صفات الربوبية ما يعرفه عن درجة العبودية إلى درجة المعبودية، ويجعله مستحقًا العبادة مع الله.

ومن هنا يتبين لك ما قدمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولا بد، ويتبين لك عظم ذنب الشرك وأنه أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر، وإن الله تعالى لا يغفره ولا يقبل لأحد معه عملاً وأنه لا أشد هلكة منه، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وما هلكت الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك والإباء عن التوحيد، ولا نجا الرسل وأتباعهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بالتزام التوحيد والبراءة من الشرك، فما هلك قوم نوح بالطوفان ولا عاد بالريح العظيم ولا ثمود بالصيحة

ولا أهل مدين بعذاب يوم الظلة إلا بالشرك وعبادة الأصنام، وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب، ولم يخرج عصاة الموحدين من النار في الآخرة إلا بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبدًا مؤبدًا إلا بالشرك.

ثم اعلم أن ما عبد من دون الله إما عاقل أو غير عاقل، فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن، وينقسمون إلى قسمين: راض بالعبادة لـه، وغير راض بها.

فالأول: كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم كما قال الله عز وجل :{إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾} [البقرة: ١٦٦ - ١٦٧] وقال تعالى في شأن إبليس:{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾} [ص: ٨٥] وقال في شأن فرعون:{يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾} [هود: ٩٨] وقال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾} [فصلت: ٢٩] وقال تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ} [الأنعام: ١٢٨] وغير ذلك من الآيات.

والقسم الثاني: وهو من كان مطيعًا لله وغير راض بالعبادة لـه من دون الله كعيسى ومريم وعزير والملائكة وغيرهم فهم برآء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى عن عيسى رضى الله عنه :{وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾} [المائدة: ١١٦] إلى آخر الآيات، قال تعالى في شأن الملائكة:

{وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١} [سبأ: ٤٠ - ٤١] وقال تعالى في شأن كل من عبد من دون الله تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من أولياء الله مطلقا إلى يوم القيامة:{ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗا } [الفرقان: ١٧ - ١٩] الآية، وغيرها من الآيات.

وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى:{ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩} [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩] ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله كما قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ } [التحريم: ٦] الآية وكما يعذب عبد الدينار والدرهم بهما كما قال الله عز وجل :{وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥} [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في الشفاعة بطوله وفيه:{**ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم**}[١] وفيه في حديث أبي هريرة رضى الله عنه :{**يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من**

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٠١] مسلم [١٨٣].

كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت...}(١)

الحديث، وفي حديث الصور الطويل:**{ألا ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عَبَد من دون الله إلا مثلت لـه آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار}**، وهو الذي يقول تعالى:{لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾} [الأنبياء: ٩٩] (٢).

وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند الدراقطني والطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهم من المصنفين في السنة عن رسول الله ﷺ الحديث بطولـه، وفيه ثم ينادي:**{أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته}** الحديث(٣).

قلت: وقولـه:**{ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون}** الخ، هذا في مثل عيسى وعزير وأما عبدة الطاغوت فتقودهم طواغيتهم حقيقة لا أشباهها كما صرح به الكتاب والسنة، والله الأعلم.

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٠٠] مسلم [١٨٢].

(٢) سيأتي مفصلا في الجزء الثاني إن شاء الله.

(٣) (سنده حسن) سبق تخريجه.

١٠٨ – والثان شرك أصغر وهو الريا ::: فسره به ختام الأنبيا

(و) النوع (**الثان**) من نوعي الشرك (**شرك أصغر**) لا يخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب (**وهو الريا**) اليسير في تحسين العمل (**فسره به**) أى فسر الشرك الأصغر بالريا (**ختام الأنبياء**) محمد ﷺ في قولـه:{**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء**}(١) وبذلك فسر قول الله عز وجل :{فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا} [الكهف: ١١٠].

وعن شهر بن حوشب قال: جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد؟ فقال عباده: ليس لـه شيء، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن كان لـه معي شرك فهو لـه كله لا حاجة لي فيه(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟ قال: قلنا بلى، قال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمقام الرجل**} رواه أحمد، وفيه رواية:{**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه**}(٣).

---

(١) (سنده صحيح) أحمد [٢٣٦٨٦].

(٢) (سنده ضعيف) مصنف ابن أبي شيبة [٣٤٨١١] تفسير الطبري [ج٨ - ص ٢٩٩] الزهد لهناد [٨٤٣] علته: شهر بن حوشب: ضعيف.

(٣) (سنده لا بأس به) ابن ماجة [٤٢٠٤] أحمد في المسند [١١٢٧٠] (المسيح) المقصود هنا: الدجال.

ولـه عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من الشهوة الخفية والشرك**} فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللهم غفرا، ألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب، أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: أرأيتكم لو رأيتم رجلاً يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد أشرك، قالوا: نعم والله، إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق لـه لقد أشرك، فقال شداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك**} قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد الله إلى ما ابتغي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص منه، ويدع ما أشرك به؟ فقال شداد عند ذلك: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله تعالى يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئًا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني**}[1].

ولـه عنه رضى الله عنه أنه بكى فقيل: ما يبكيك؟ قال: شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعت رسول الله يقول:{**أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية**} قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال:{**نعم، أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا حجرًا ولا وثنًا، ولكن يراءون بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض لـه شهوة من شهواته فيترك صومه**}[2] ورواه ابن ماجه.

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٧١٨٠] به: شهر بن حوشب: ضعيف.

(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٧١٦١] وبه: عبد الواحد بن زيد: متروك الحديث، وتابع عبد الواحد الحسن بن ذكوان عند ابن ماجة [٤٢٠٥] ولكن الراوي عن الحسن عامر بن عبد الله: مجهول. والراوي عن عامر: رواد بن الجراح: فيه ضعف.

وللبزار عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يقول الله يوم القيامة: أنا خير شريك، من أشرك بي أحدًا فهو لـه كله**}[1].

ولأحمد عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال:{**أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك**}[2].

ولـه عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال:{**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**} قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال:{**الرياء**} يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم:{**اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدوهم عندهم جزاء**}[3].

ولـه عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك**}[4] أخرجه الترمذي وابن ماجة.

ولأحمد عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به**}[5].

---

(١) (سنده ضعيف) تفسير ابن كثير [ج٣ - ص ١٤٧] فقد ذكر الحديث بسنده كاملا من مسند البزار.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٨٥] أحمد [٧٩٨٦] واللفظ لأحمد.

(٣) (سنده صحيح) سبق تخريجه.

(٤) (سنده ضعيف) أحمد [١٥٨٧٦] الترمذي [٣١٥٤] زياد بن مينا: مجهول.

(٥) (سنده ضعيف) أحمد [٢٠٤٧٤] به: بكار بن عبد العزيز: فيه ضعف. وللحديث شواهد صحيحة.

ولـه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**من يرائي يرائي الله به، ومن يسمِّع يسمِّع الله به**}[١].

ولـه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:{**من سمع الناس بعلمه سمع الله به مسامع خلقه صغره وحقره**}[٢] فذرفت عينا عبد الله.

وللبزار عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله** عز وجل **يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله: ألقوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرًا، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي**}[٣].

ولوهب عن عبد الله بن قيس الخزاعي أن رسول الله ﷺ من قال:{**رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس**}[٤].

ولأبي يعلى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه** عز وجل }[٥].

* * *

---

(١) (صـحيح) وهذا سـنده ضـعيف عند الترمذي [٢٣٨١] وأحمد [١١٣٧٥] بسـندهما عطية العوفي: ضـعيف. والحديث بلفظه في صـحيح البخاري [٦٤٩٩] ومسـلم [٢٩٨٧] من حديث جندب العلقي رضى الله عنه.

(٢) (سنده صحيح) أحمد [٦٥٠٩].

(٣) (سـنده ضـعيف) الطبراني في الأوسـط [٦١٣٣] شـعب الإيمان للبيهقي [٦٨٣٦] التنبيه والتوبيخ لأبي الشـيخ [١٥٤] تفسـير ابن كثير [ج٣ - ص١٤٧] وذكره بسـند البزار كاملا، وبالسند: الحارث بن غسان: ضعيف، انظر ضعفاء العقيلي [٢٦٧].

(٤) (سنده ضعيف جدا) معرفة الصحابة لأبي نعيم [٣٩٧١] وبه: يزيد بن عياض بن جعدبة: كذاب انظر التقريب.

(٥) (سنده ضعيف) مسند أبي يعلى [٥١١٧] سنن البيهقي الكبرى [٣٧٢٧] مسند الشهاب [٤٧٧] به: إبراهيم بن مسلم الهجري: ضعيف.

الرياء ومعناه

ثم اعلم أن الرياء قد أطلق في كتاب الله كثيرًا ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى:{كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٢٦٤] وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾} [النساء: ٣٨] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾} [النساء: ١٤٢] وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء.

ومنها ما يصرح بمعناه دون لفظه، كقوله تعالى:{ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾} [البقرة: ١٤] والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها.

والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سماه النبي ﷺ شركًا أصغر خفيّا هو حديث:{**الأعمال بالنيات**} وهو ما رواه الشيخان عن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**}(١).

فالنية هي الفرق في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أطلقت النية في القرآن بلفظ الابتغاء وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله وكان موافقًا للشرع فذلك العمل

(١) (صحيح) البخاري [٦٥٥٣،٦٣١،٤٧٨٣،٣٦٨٥،٢٣٩٢،٥٤،١] مسلم [١٩٠٧].

الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النفاق الأكبر، سواء في ذلك من يريد به جاهًا ورئاسة وطلب دنيا، ومن يريد حقن دمه وعصمة ماله وغير ذلك، فهذان ضدان ينافي أحدهما الآخر لا محالة، قال الله عز وجل :{وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا} [آل عمران: ١٤٥] وقال تعالى:{مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾} [الإسراء: ١٨ - ١٩] وقال تعالى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود: ١٥ - ١٦] وقال تعالى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾} [الشورى: ٢٠] وقال تعالى يثني على عباده المخلصين:{وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾} [الإنسان: ٨ - ٩] وقال:{إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾} [الليل: ٢٠] وغير ذلك من الآيات.

وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر،وفسره بالرياء العملي، وزاده إيضاحًا بقوله:{**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**}[1] وهذا لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص من العمل بقدره، وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله، اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئًا.

وأما حديث أبي موسى رضى الله عنه في الصحيح قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال:

(١) (سنده لا بأس به) ابن ماجة [٤٢٠٤] أحمد في المسند [١١٢٧٠].

{من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله}[1] فهذا الحديث يحتمل المعنيين، وتعينه لأحدهما النية، فإن كان أصل العمل لغير الله فهو النفاق، وإن كان أصله لله وأحب مع ذلك أن يذكر ويثنى عليه فهو المعنى الذي سبق في حديث عبادة رضى الله عنه في الرجل:**{يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد..}** الحديث وفي آخره قال:**{ليس لـه شيء}**[2]والله تعالى أعلم.

١٠٩ – ومنه إقسام بغير الباري ::: كما أتى في محكم الأخبار

أى ومن الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة (**إقسام**) مصدر أقسم أى الحلف (بغير الباري) كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك، كما في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال:**{ألا إن الله ينـهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت}** وفي رواية قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا ولا آثرًا[3]، [4]، متفق عليه.

ولأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا:**{لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون}**[5].

ولأحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله}**[6].

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٦٥٥] مسلم [١٩٠٤].

(٢) (سنده ضعيف) مصنف ابن أبي شيبة [٣٤٨١١] تفسير الطبري [ج٨ - ص ٢٩٩] الزهد لهناد [٨٤٣] علته: شهر بن حوشب: ضعيف.

(٣) معنى ذاكرا: قائلا لها من قبل نفسي، ولا آثرا: أي حالفا عن غير (يعني ناقلا لحلفه).

(٤) (صحيح) البخاري [٥٧٥٧] مسلم [١٦٤٦].

(٥) (سنده صحيح) أبو داود [٣٢٤٨] النسائي [٣٧٧٨].

(٦) (صحيح) مسلم [١٦٤٦] أحمد [٥٤٦٢] النسائي [٣٧٧٣].

وللنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون}**(١).

وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{من حلف بغير الله فقد كفر}** أو:**{أشرك}**(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه.

وعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{ليس منا من حلف بالأمانة}**(٣) رواه أبو داود.

وفي الطبراني من حذيث ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يحلف بالأمانة فقال:**{ألست الذي يحلف بالأمانة}**(٤).

وعن قتيلة بنت صفي أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا:**{ورب الكعبة}** ويقول أحدهم:**{ما شاء الله ثم شئت}**(٥) رواه أحمد والنسائى وصححه وابن ماجة.

وقد ثبت في كفارة الحلف بغير الله حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{من حلف فقال في حلفه باللات والعزّى فليقل: لا إله إلا الله}**(٦).

---

(١) (سنده صحيح) أبو داود [٣٢٤٨] النسائي [٣٧٧٨].

(٢) (سنده صحيح) أبو داود [٣٢٥١] سنن الترمذي [١٥٣٥] أحمد [٦٠٧٢].

(٣) (سنده صحيح) أبو داود [٣٢٥٣] مسند أحمد [٢٣٠٣٠] قال الخطابي في معالم السنن (٤ / ٣٥٨) تعليقا على الحديث: هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها من أجل أنه إنما أمر أن يحلف بالله و صفاته، و ليست الأمانة من صفاته، و إنما هي أمر من أمره، و فرض من فروضه، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها و بين أسماء الله عز و جل و صفاته.

(٤) (سنده ضعيف) الطبراني في الأوسط [٣٦٥٧] وعلته: الحسن البصري: مدلس وقد عنعن.

(٥) (سنده صحيح) سنن النسائي [٣٧٨٢].

(٦) (صحيح) البخاري [٤٥٧٩] مسلم [١٦٤٧].

ومن الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشئت، كما روى النسائي عن ابن عباس رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت، فقال:{**أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده**}(١)، (٢).

ولأبي داود بسند صحيح عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**}(٣) وتقدم في ذلك في حديث قتيلة، والفرق بين الواو وثم أنه إذا عطف بالواو كان مضاهيًا مشيئة الله بمشيئة العبد إذ قرن بينهما، وإذا عطف بِثُمَّ فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله عز وجل كما قال تعالى:{وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ } [الإنسان: ٣٠] ومثله قول: لولا الله وفلان هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان ذكره إبراهيم النخعي.

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه في قول الله عز وجل :{فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢] قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك(٤).

* * *

(١) (سنده حسن) أحمد [١٨٣٩] النسائي في الكبرى [١٠٨٢٥].

(٢) قولـه ﷺ : (أجعلتني لله ندا) فيه بيان أن من سوى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله ندا لله شاء أم أبى. (فتح المجيد ٤٠٧).

(٣) (رواته ثقات) أحمد في المسند [٢٣٤٢٩] أبو داود [٤٩٨٠].

(٤) (سنده حسن) تفسير ابن أبي حاتم [٢٢٧].

فصل

في بيان أمور يفعلها العامة

منها ما هو شرك ومنها ما هو قريب منه

وبيان المشروع من الرقي والممنوع منها وهل تجوز التمائم

هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضر إليها كان ذلك شركًا أكبر والعياذ بالله، لأنه حينئذ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئًا إلى غيره.

١١٠- ومن يثق بودعة أو ناب ::: أو حلقة أو أعين الذئاب

١١١- أو خيط أو عضو من النسور ::: أو وتر أو تربة القبور

١١٢- لأي أمر كائن تعلقه ::: وكله إلى الله ما علقه

(**ومن يثق**) هذا الشرط جوابه (**وكله**) الآتي (**بودعة**) قال في النهاية هو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم وإنما نهي عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين، (**أو ناب**) كما يفعله كثير من العامة يأخذون ناب الضبع ويعلقونه من العين، (**أو حلقة**) وكثيرًا ما يعلقونها من العين وسيأتي في الحديث أنهم يعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد (**أو أعين الذئاب**) وكثيرًا ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفرّ منها، ومنهم من يقول: إنه إذا وقع بصر الذئب على جني لا يستطيع أن يفر منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم، (**أو خيط**) وكثيرًا ما يعلقونه على المحموم ويعقدونه فيه عقدًا بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرهم يقرأ عليه سورة:﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١] إلى آخرها، ويعقد عند كل كاف منها عقدة، فيجتمع في الخيط تسع عقد بعدد الكافات، ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه، (**أو عضو من النسور**) كالعظم ونحوه يجعلونها خرزًا ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين، (**أو وتر**) وكانوا في الجاهلية إذا عتق وتر

القوس أخذوه وعلقوه يزعمون عن العين على الصبيان والدواب، **(أو تربة القبور)** وما أكثر ما يستشفى بها لا شفاهم الله، واستعمالهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك، وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته فزعموا أن فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن ذلك الولي بزعمه بل قيل له: إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان، وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم نسأل الله العافية.

(لأي أمر كائن تعلقه) الضمير عائد إلى ما تقدم وغيره **(وكله الله)** أى تركه **(إلى ما علقه)** دعاء عليه أى لا حفظه الله ولا كلأه بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون الله عز وجل ، قال الله تعالى:{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾} [يوسف: ١٠٦].

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له}**[١] رواه أحمد.

وله عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يديه حلقة من صفر[٢] فقال:**{ما هذا؟}** قال: من الواهنة[٣] فقال:

---

(١) (سنده ضعيف) مسند أحمد [١٧٤٤٠] المستدرك [٧٥٠١] البيهقي في الكبرى [٢٠٠٩٠] الطبراني في الكبير [١٤٢٣٧] وعلته: خالد بن عبيد المعافري: لم يوثقه إلا ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل، وذكره البخاري في تاريخه الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، دون أن يذكرا فيه جرحا أو تعديلا. وبه: مشرح بن هاعان: مقبول كما في التقريب.

(٢) صُفْر: النحاس.

(٣) قوله ﷺ : (من الواهنة) قال أبو السعادات: الواهنة عرق يأخذ في المنكب واليد كلها فيرقى منها وقيل هو مرض يأخذ في العضد وهي تأخذ الرجال دون النساء وإنما نهى عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم وفيه اعتبار المقاصد (فتح المجيد / ص١١٢).

{انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا}[١].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قولـه تعالى:{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾}[٢].

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن:**{لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت}**[٣] [٤].

وعن رويفع رضى الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ :**{يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته[٥] أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدًا بريء منه}** رواه أحمد[٦].

ولـه عن عبد الله بن عَكُيَمٍ مرفوعًا:**{من علق شيئًا وكل إليه}**[٧] ورواه الترمذي.

---

(١) (سنده ضعيف) ابن ماجة [٣٥٣١] أحمد [٣٥٣١] الحاكم [٧٥٠٢].

(٢) (سنده صحيح) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٢٨٩١].

(٣) (صحيح) البخاري [٢٨٤٣] مسلم [٢١١٥].

(٤) كان أهل الجاهلية إذا تهالك الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقادا منهم أنه يدفع العين عن الدابة، ومثل ذلك ما يفعله بعض الناس اليوم من تعليق صورة قرد في السيارة أو حدوة حمار أو حصان على أبواب المنازل أو تعليق حذاء في عنق الحيوانات، وكل هذا منهي عنه، وقد يصل إلى الشرك الأكبر حين يعتقد فيه أنه بذاته الذي يدفع حقيقة الشر.

(٥) قولـــه ﷺ : (إن من عقد لحيته) قال الخطابي: أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين: أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زى بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها قال أبو السعادات: تكبرا وعجبا.
ثانيهما: أن معناه معالجة الشـــعر ليتعقد ويتجعد وذلك من فعل أهل التأنيث. (فتح المجيد: ص١٢٥).

(٦) (سنده حسن) النسائي [٥٠٦٧].

(٧) (سنده ضعيف) مسند أحمد [١٨٨٠٣] الترمذي [٢٠٧٢] المستدرك [٧٥٠٣] به: محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى: ضعيف من قبل حفظه.

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطًا فقال: ما هذا الخيط؟ قالت قلت: خيط رقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**} قالت قلت لـه: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت، فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ :{**أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**}(١) رواه أحمد، وروى جملة الدلالة منه على الباب أبو داود، أعني الجملة مرفوعة إلى النبي ﷺ (٢).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: الرقي هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، والتمائم شيء يلقونه على الأولاد عن العين، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ا هـ. وقولـه في الرقي: وخص منها الدليل ما خلا عن الشرك... الخ يشير إلى ما سنذكره بقولنا.

---

(١) (سنده حسن لغيره) أحمد في المسند [٣٦١٥] دون قول زينب: (وقد كنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها.. إلى قولها فإذا رقاها كف عنها) فهذه الزيادة ضعيفة، انظر السلسلة الصحيحة [٢٩٧٢].

(٢) (سنده حسن) أبو داود [٣٨٨٥] انظر مسألة تعليق التمائم كتابنا (الحسد) فقد استوفينا فيه فقه المسألة بفضل الله تعالى.

١١٣- ثم الرقي من حمة أو عين ::: فإن تكن من خالص الوحيين
١١٤- فذاك من هدي النبي وشرعته ::: وذاك لا اختلاف في سنتيه

(**ثم الرقي**) إذا فعلت (**من حمة**) وهي تطلق على لدغ ذات السموم كالحية، والعقرب وغيرها (**أو عين**) وهي من الإنس كالنفس من الجن وهي حق ولها تأثير، لكن لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل ، وقال الله تعالى:{وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ} [القلم: ٥١] الآية، فسره بإصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وفي تحقيقها أحاديث:

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا**}[١].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**إن العين حق**}[٢] أخرجاه.

ولأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**العين حق**}[٣].

ولأحمد عنه أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :{**العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم**}[٤].

ولـه عنه رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**أصدق الطيرة الفأل، والعين حق**}[٥].

---

(١) (صحيح) مسلم [٢١٨٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٠٨] مسلم [٢١٨٧].
(٣) (صحيح) أحمد [٨٢٢٨] ابن ماجة [٣٥٠٧].
(٤) (سنده ضعيف) مسند أحمد [٩٦٦٦] مسند الشاميين [٤٥٩] والحديث من رواية مكحول عن أبي هريرة، ومكحول لم يسمع من أبي هريرة رضى الله عنه.
(٥) (سنده ضعيف) مسند أحمد [٧٨٧٠] نجيح بن عبد الرحمن السندى أبو معشر: ضعيف.

ولـه هو والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أسماء رضى الله عنها قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال:{**نعم، فلو كان يسبق القدر لسبقته العين**}(١).

ولأحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لا هام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل**}(٢).

ولـه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخَرَّادِ من الجُحْفَة اغتسل سَهل بن حُنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة - أخو بني عدي بن كعب - وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبَّأة، فَلُبِطَ سهل، فأُتيَ رسول الله ﷺ فقيل لـه: يا رسول الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه ولا يفيق؟ قال:{**هل تتهمون فيه من أحد؟**} قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله ﷺ عامرًا فتغيظ عليه وقال:{**علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت**} ثم قال لـه:{**اغتسل لـه**} فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس(٣).

ولـه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال فانطلقا يلتمسان الخَمَرَ، قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يغتسل قال فسمعت لـه في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني، فأتيت النبي صلى

---

(١) (سنده حسن) مسند أحمد [٢٧٥١٠] ابن ماجة [٣٥١٠].
(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٢٠٦٩٩] به حية بن حابس: مقبول. حين المتابعة.
(٣) (سنده صحيح) مسند أحمد [١٦٠٢٣] لُبِطَ: وعك ومرض.

الله عليه وسلم فأخبرته، قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياضساقيه، قال فضرب صدره بيده ثم قال:

{اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها} قال فقام، فقال رسول الله ﷺ :**{إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه، فليبرك، فإن العين حق}**[1].

ولـه عند عبدالله بن عمرو رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :**{لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولاحسد والعين حق}**[2] وغير ذلك من الأحاديث المصرحة بأن العين حق، وسنذكر بعضها أيضًا في شرعية الرقي منها وغيرها.

ولنرجع إلى المقصود من شرح المتن:

(فإن تكن) أى الرقي **(من خالص الوحيين)** الكتاب والسنة، وإضافة خالص إلى الوحيين من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى من الوحي الخالص بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعوذين، ولا يكون بغير اللغة العربية[3]، بل يتلو الآيات على وجهها والأحاديث كما رويت وعلى ما تلقيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز **(فذلك)** أى الرقي من الكتاب والسنة هو

---

(١) (سـنده ضـعيف) أحمد في المسـند [١٥٧٣٨] به: أمية بن هند بن سـهل: مقبول، وللحديث شواهد في أجزاء منه. (الخَمَر): كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.

(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٧٠٧٠] علته: رشدين بن سعد: ضعيف. والحديث صحيح ثابت بدون قوله (ولا حسد).

(لا عدوى) مؤثرة بذاتها وطبعها وإنما التأثير بتقدير الله عز و جل والعدوى سراية المرض من المصـاب إلى غيره. وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا يتسـبب أحد بعدوى غيره. (لا طيرة) هو نهي عن التطير وهو التشـاؤم. (هامة) هي الرأس واسم لطائر يطير بالليل كانوا يتشـاءمون به. وقيل كانوا يزعمون أن روح القتيل إذا لم يؤخذ بثأره صـارت طائرا يقول اسقوني اسقوني حتى يثأر له فيطير.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى جَوَاز الرُّقَى عِنْد اِجْتِمَاع ثَلاثَة شُرُوط:
- أَنْ يَكُون بِكَلامِ اللَّه تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاته. - وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيّ أَوْ بِمَا يُعْرَف مَعْنَاهُ مِنْ غَيْره.
- وَأَنْ يَعْتَقِد أَنَّ الرُّقْيَة لا تُؤَثِّر بِذَاتِهَا بَلْ بِذَاتِ اللَّه تَعَالَى. (فتح الباري [ج١٠ - ص ٢٠٦]).

(**من هدي النبي**) ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان،

(و) من (**شرعته**) التي جاء بها مؤديًا عن الله عز وجل (**وذاك**) معطوف على ذاك الأول، والمشار إليه بهما واحد ولكن الخبر في الثاني غير الخبر في الأول فيكون من عطف الجملة على الجملة، والخبر (**لا اختلاف في سنيته**) بين أهل العلم إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقولـه وتقريره فرقاه جبريل رضى الله عنه ورقى هو ﷺ أصحابه وأمر بها وأقر عليها، ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك وبالله التوفيق:

قال البخاري رحمه الله تعالى: باب الرقي بالقرآن والمعوذات، وذكر فيه حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ :{**كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها**}[١].

ثم قال: باب الرقي بفاتحة الكتاب ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم[٢] فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوالا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحك وقال:{**وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم**}[٣].

ثم قال: باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنه أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماء فيه لديغ

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٠٣] مسلم [٢١٩٢].

(٢) فلم يقروهم: أي لم يضيفوهم، والقِرى: طعام الضيف.

(٣) (صحيح) البخاري [٥٤٠٤] مسلم [٢٢٠١].

أوسليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء[١] فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا فقال رسول الله ﷺ :**{إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله}**[٢].

قلت: وهذا الذي عقله آنفًا عن ابن عباس.

ثم قال، رحمه الله: باب رقية العين، وذكر فيه حديث عائشة رضى الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن أسترقى من العين[٣].

وحديث أم سلمة رضى الله عنها أن النبي ﷺ رأي في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال:**{استرقوا لها، فإن بها النظرة}**[٤].

وذكر باب:**{العين حق}** ثم قال: باب رقية الحية والعقرب، وذكر فيه حديث عبد الرحمن بن الأسد عن أبيه قال: سألت عائشة عن الرقية من الحمة فقالت: رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمة[٥].

ثم قال: باب رقية النبي ﷺ، وذكر فيه حديث أنس بن مالك رضى الله عنه إذ قال لثابت: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال: بلى، قال:**{اللهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا}**[٦].

---

(١) على شاء: أي يأخذ مقابل قراءته شاة.
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٠٥] (لديغ) قرصته أفعى أو عقرب. (سليم) يسمى اللديغ سليما تفاؤلا له بالسلامة.
(٣) (صحيح) البخاري [٥٤٠٦] مسلم [٢١٩٥].
(٤) (صحيح) البخاري [٥٤٠٧] مسلم [٢١٩٧] (جارية) بنت صغيرة أو أمة مملوكة. (سفعة) صفرة وشحوبا (النظرة) أي أصابتها العين أي الحسد.
(٥) (صحيح) البخاري [٥٤٠٩] مسلم [٢١٩٣] (حمة) هي إبرة العقرب ونحوه من ذوات السموم أو السم نفسه.
(٦) (صحيح) البخاري [٥٤١٠] (الباس) الشدة من ألم المرض ونحوه. (يغادر) يترك. (سقما)

وحديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول:{**اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**}(١).

وحديثها رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقي يقول:{**امسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف لـه إلا أنت**}(٢).

وحديثها رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض:{**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا - وفي رواية: أخرى وريقة بعضنا - يشفى سقيمنا بإذن ربنا**}(٣).

وعن أنس رضى الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة(٤)، رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجة، قال أبو البركات ابن تيمية: النملة قروح تخرج في الجنب.

وعن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال:{**ألا تعلمين، هذه رقية النملة**}(٥) الحديث، رواه أحمد وأبو داود.

وعن عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال:{**أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك**}(٦) رواه مسلم وأبو داود.

مرضا.

(١) (صحيح) البخاري [٥٤١١] (يعوذ) من التعويذ وهو قراءة ما فيه استجارة بالله تعالى والتجاء إليه.

(٢) (صحيح) البخاري [٥٤١٢] مسلم [٢١٩١] (كاشف له) مزيل للمرض ومذهب للداء.

(٣) (صحيح) البخاري [٥٤١٣] مسلم [٢١٩٤] قال الإمام النووي رحمه الله: معنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء ثم يتمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح. وخصه بعضهم بريق النبي ﷺ وتربة المدينة والأصح العموم والشفاء من الله سبحانه يجعله فيما يشاء من الأسباب.

(٤) (صحيح) مسلم [٢١٩٦].

(٥) (سنده حسن) أحمد [٢٧١٤٠] أبو داود [٣٨٨٧].

(٦) (صحيح) مسلم [٢٢٠٠].

وعن جابر رضى الله عنه قال: نهى رسول لله ﷺ عن الرقي، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يارسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقي، قال:{**فاعرضوها**} فقال:{**ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**}[١] رواه مسلم.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال:{**يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه...**} الحديث[٢]، رواه البخاري ومسلم بطولـه في مواضع.

وعن ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم قال: سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، قال فاشتكى لذلك أيامًا، قال فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقدًا، فأرسل رسول الله ﷺ عليّا فاستخرجها فجاء بها[٣]، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال.

ولمسلم عن أبي سعيد الخدري أن جبريل رضى الله عنه أتى النبي ﷺ فقال:{**يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم، قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك**}[٤].

وعن بريد بن الحصيب رضى الله عنه قال: رسول الله ﷺ :{**لا رقية إلا من عين أوحمة**}[٥] رواه ابن ماجه هكذا مرفوعًا، ورواه مسلم وغيره موقوفا.

* * *

(١) (صحيح) مسلم [٢١٩٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٣٢] مسلم [٢١٨٩].
(٣) (سنده صحيح) مصنف ابن أبي شيبة [٢٣٥١٨] أحمد [١٩٢٨٦] النسائي [٤٠٩١].
(٤) (صحيح) مسلم [٢١٨٦].
(٥) (سنده حسن) ابن ماجة [١١٦١] مرفوعا، وعند مسلم موقوفا [٢٢٠] وإن كان موقوفا فمثل هذا لا يُقال إلا بوحي.

١١٥- أما الرقي المجهولة المعاني ::: فذاك وسواس من الشيطان
١١٦- وفيه قد جاء الحديث أنه ::: شرك بلا مرية فاحذرنه
١١٧- إذ كل من يقوله لا يدري ::: لعله يكون محض الكفر
١١٨- أو هو من سحر اليهود مقتبس ::: على العوام لبسوه فالتبس

أى أما الرقي التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع ألبتة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى:{وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡ} [الأنعام: ١٢١] وعليه يحمل قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود:{**إن الرقي والتمائم والتولة** (١)**شرك**}(٢) وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفر أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضر أو رقية أو سحر، ولعمر الله لقد انهمك غالب الناس في هذه البلوى غاية الانهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة، فمنه ما يدّعون أنه من القرآن أومن السنة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ بالسنة حتى يترجموه بالأعجمية أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفع منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء وبالأعجمية لغيره ولا تصلح إحداهما فيما تصلح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعمون أنه من أسماء الله تعالى التي ليست في الكتاب ولا في السنة

---

(١) التولة: شيء يصنعونه يزعمون به أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.
(٢) (سنده حسن) أحمد في المسند [٣٦١٥] أبو داود [٣٨٨٥].

وأنهم علموها من غيرهما فمنه ما يدعون أنه دعا به آدم رضى الله عنه أو نوح أو هود أو غيرهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون: إنه ليس إلا في أم الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوب في البيت المعمور، ومنه ما يقولون هو مكتوب على جناح جبريل رضى الله عنه أو جناح ميكائيل أو جناح إسرافيل أو غيرهم من الملائكة، أو على باب الجنة أو غير ذلك، وليت شعري متى طالعوا اللوح المحفوظ فاستنسخوه منه، ومتى رقوا إلى البيت المعمور فقرأوه فيه، ومتى نشرت لهم الملائكة لهم أجنحتها فرأوه، ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشاهدوه، كلما شعوذ مشعوذ وتحذلق متحذلق وأراد الدجل على الناس والتحيل لأخذ أموالهم طلب السبل إلى وجه تلك الحيلة ورام لها أصلاً ترجع إليه، فإن وجد شبهة تروج على ضعفاء العقول وأعمياء البصائر وإلا كذب لهم كذبًا محضًا وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحين، فيصدقونه لحسن ظنهم به، ومنه أسماء يدعونها، تارة يدعون أنها أسماء الملائكة، وتارة يزعمون أنها من أسماء الشياطين، واعتقادهم في هذه الأسماء أنها تخدم هذه السورة أو هذه الآية، أو هذا الاسم من أسماء الله تعالى، فيقولون: يا خدام سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا، يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا أجيبوا، العجل العجل ونحو ذلك، وما من سورة من القرآن ولا آية منه ولا اسم من أسماء الله يعرفونه إلا وقد انتحلوا لـه خداما ودعوهم لـه ساء ما يفترون، وتارة يكتبون السورة أو الآية ويكررونها مرات عديدة بهيئات مختلفة حتى يجعلون أولها آخرًا وآخرها أولاً، وأوسطها أولاً في موضع وآخرًا في آخر، وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرف على حدته ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات، ولا أدري من أين أخذوها وعمن نقلوها، ما هي إلا وساوس شيطانية زخرفوها، وخرافات مضلة ألفوها، وأكاذيب مختلفة لفقوها، لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يعرف لها أصل في سنة ولا قرآن، ولم تنقل عن أحد من أهل الدين

والإيمان، إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون، وسيجزون على ما كانوا يعملون، وتارة يكتبون رموزًا من الأعداد العربية المعروفة من آحاد وعشرات ومئات وألوف وغيرها يزعمون أنها رموز إلى حروف آية أو سورة أو اسم أو شيء مما قدمنا بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب وغير ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلة المختلقة، وغالبها مأخوذ من الأمة الغضبية الذين أخذوا السحر عن الشياطين وتعلموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموها بغير العربية لمقاصد لا تتم بزعمهم إلا بذلك، ومنها ما هو من عبّاد الملائكة والشياطين ونحوهم يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال: هي أسماء الله ليروجوا الشرك بذلك عليهم فيدعون غير الله من دونه، وهذه مكيدة لم يقدر عليها إبليس إلا بواسطة هؤلاء المضلين وهو:{إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ} [فاطر: ٦] والله تعالى يقول:{ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [العنكبوت: ٥١]،{وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ} [النور: ٤٠].

فتحصل من هذا أن الرقي لا تجوز إلا باجتماع ثلاثة شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك.

الأول: أن تكون من الكتاب والسنة فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر.

الثالث: أن يعتقد أنها سبب من الأسباب لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب والله هو المسبب إذا شاء.

١١٩- وفي التمائم المعلقات ::: إن تك آيات مبينات
١٢٠- فالاختلاف واقع بين السلف ::: فبعضهم أجازها والبعض كف

(**وفي التمائم**) المعلقات أى التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها (**إن تك**) هي أى التمائم (**آيات**) قرآنية (**مبينات**) وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات (**فالاختلاف**) في جوازها (**واقع بين السلف**) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم (**فبعضهم**) أى بعض السلف (**أجازها**) يروى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف (**والبعض**) منهم (**كف**) أى منع ذلك وكرهه ولم يره جائزًا، منهم عبد الله بن عكيم وعبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر وعبد الله بن مسعود وأصحابه كالأسود وعلقمة ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم رحمهم الله تعالى، ولا شك أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم: يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به، فيقول لـه: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو في نفسك كذا وكذا، أو يقول لـه إن معك قرينًا من الجن أو نحو ذلك، ويصف لـه أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية موهمًا أنه صادق الفراسة فيه، شديد الشفقة عليه، حريص على جلب النفع إليه، فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفًا مما وصف لـه حينئذ أعرض عن ربه وأقبل ذلك الدجال

بقلبه وقالبه، والتجأ إليه وعول عليه دون الله عز وجل وقال لـه: فما المخرج مما وصفت وما الحيلة في دفعه؟ كأنما بيده الضر والنفع، فعند ذلك يتحقق فيه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذلـه لـه، فيقول لـه إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجابًا طولـه كذا وعرضه كذا، ويصف لـه ويزخرف لـه في القول، وهذا الحجاب علقه من كذا وكذا من الأمراض، أترى هذا مع هذا الاعتقاد - من الشرك الأصغر، لا بل هو تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه، وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم، فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل إلا بوساطة أخيه من شياطين الإنس:{ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾} [الأنبياء: ٤٢] ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئًا من القرآن ويتعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبدًا لا يقدسه عن شيء من الأشياء، تالله ما استهان بكتاب الله أحد من أعدائه استهانة هؤلاء الزنادقة المدعين الإسلام به، والله ما نزل القرآن إلا لتلاوته، والعمل به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه والإيمان به، كل من عند ربنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويكتسبوا كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال، ولو أن ملكًا أو أميرًا كتب كتابًا إلى من هو تحت ولايته أن افعل كذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا وانههم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهيه ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه ألبتة، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سوء العذاب، فكيف بتنزيل جبار السماوات والأرض الذي لـه المثل الأعلى في السماوات والأرض ولـه الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده

وتوكل عليه هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

١٢١- وإن تكن مما سوى الوحيين ::: فإنها شرك بغير مين

١٢٢- بل إنها قسيمة الأزلام ::: في البعد عن سيما أولي الإسلام

(**وإن تكن**) أى التمائم (**مما سوى الوحيين**) بل من طلاسم اليهود وعباد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم أو من الخرز أو الأوتار أو الحلق من الحديد وغيره (**فإنها شرك**) أى تعلقها شرك (**بدون مين**) أى شك، إذ ليست من الأسباب المباحة والأدوية المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقادًا محضًا أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها لخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم (**بل إنها قسيمة**) أى شبيهة (**الأزلام**) التي كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم ويستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا، وهي ثلاثة قداح مكتوب على إحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غفل، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغفل أعاد استقسامه، وقد أبدلنا الله تعالى - ولـه الحمد - خيرًا من ذلك صلاة الاستخارة ودعاءها.

والمقصود: أن هذه التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع (**في البعد عن سيما أولي الإسلام**) أى عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل شأنًا وأقوى يقينًا من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره، وبالله التوفيق.

* * *

فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة
أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيدا

وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

١٢٣- هذا ومن أعمال أهل الشرك ::: من غير ما تردد أو شك
١٢٤- ما يقصد الجهال من تعظيم ما ::: لم يأذن الله بأن يعظما
١٢٥- كمن يلذ ببقعة أو حجر ::: أو قبر ميت أو ببعض الشجر
١٢٦- متخذا لذلك المكان ::: عيدا كفعل عابدي الأوثان

(**هذا**) أى الأمر والإشارة إلى ما تقدم (**ومن أعمال أهل الشرك**) التي لا يفعلها غيرهم ولا تليق إلا بعقولهم السخيفة، وأفئدتهم الضعيفة، وقلوبهم المطبوع عليها، وأبصارهم المغشي عليها (**ما**) أى الذي (**لم يأذن الله**) عز وجل في كتابه ولا سنة نبيه (**بأن يعظما**) بألف الإطلاق، وأن ومدخولها في تأويل مصدر أى لم يأذن الله بتعظيمه ذلك التعظيم الذي منحه إياه من لم يفرق بين حق الله تعالى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم، بل لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه ولا بين طاعته ومعصيته، فيتخذ من دون الله أندادًا وهو يرى أن ذلك الذي فعله قربة وطاعة لله وأن الله يحب ذلك ويرضاه، ويكذِّب الرسل ويدَّعي أنه من أتباعهم، ويوالي أعداء الله وهو يظنهم أولياءَهُ، كفعل اليهود والنصارى يجاهرون الله بالمعاصي ويكذبون كتابه ويغيرونه ويبدلونه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقتلون الأنبياء بغير الحق وينسبون لله سبحانه وتعالى الولد ويفعلون الأفاعيل ويقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه، وسبب هذا كله - في الأمم الأولى والأخرى - هو الإعراض عن الشريعة وعدم الاهتمام لمعرفة ما احتوت عليه الكتب من البشارة والنذارة والأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد، ومعرفة ما يجب لله على عباده فعله وما يجب تركه.

(**كمن يَلُذْ ببقعة**) أى يعوذ بها ويختلف إليها ويتبرك بها ولو بعبادة الله تعالى عندها، وتقدم تقييد ذلك بما لم يأذن به الله، فيخرج بهذا القيد ما أذن الله تعالى بتعظيمه كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه وتعظيم شعائر الله من المشاعر والمواقف وغيرها، فإن ذلك تعظيم لله عز وجل الذي أمر بذلك لا لتلك البقعة ذاتها كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لما استلم الحجر الأسود:{**أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك**}[1].

وكذلك التعظيم أيضًا نفسه إنما أردنا منع تعظيم مالم يأذن الله به لا المأذون فيه، فإن الله تعالى قد أمر بتعظيم الرسل بأن يطاعوا فلا يعصوا ويحبوا ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة الله عز وجل ومعصيته معصية الله عز وجل ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به إذ هو عين تعظيم الله تعالى، فإنهم إنما عُظموا لأجل عظمة المرسل سبحانه وتعالى وأُحبوا لأجله واتُّبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله عز وجل ، فلو أن أحدًا عظم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به ورفعه فوق منزلته التي أنزلـه الله عز وجل وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئًا من الإلهية لانعكس الأمر وصار عين التنقص والاستهانة بالله وبرسله كفعل اليهود والنصارى الذين ذكر الله عز وجل عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعزير، فكذبوا الكتاب وتنقصوا الرب عز وجل بنسبة الولد إليه وغير ذلك وكذبوا الرسل في قولـه:{إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم: ٣٠] فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم، سبحان الله عما يصفون، وسلام على المرسلين، (**أوحجر، أو قبر ميت، أو ببعض الشجر**) أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة الله عندها فإن ذلك ذريعة إلى عبادتها ذاتها كما فعل إبليس لعنه الله بقوم نوح حيث أشار عليهم بتصوير صالحيهم ثم بالعكوف

(١) (صحيح) البخاري [١٥٢٠] مسلم [١٢٧٠].

على قبورهم وصورهم وعبادة الله عندها إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتها من دون الله تعالى فعبدوها.

(**متخذًا لذلك المكان**) من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها (**عيدًا**) أى ينتابها ويعتاد الاختلاف إليها (**كفعل عابدي الأوثان**) في تعظيمهم أوثانهم واعتيادهم إليها، ولذا سمى النبي ﷺ العكوف على الأشجار وتعليق الأسلحة بها على جهة التعظيم:{**تألها**} كما في الترمذي عن أبي واقد الليثي رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها:{**ذات أنواط**} فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ :{**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:**{ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ } [الأعراف: ١٣٨] (١) **(لتركبن سنن من قبلكم**}(٢).

ولقد عمت البلوى بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زماننا هذا، ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذبًا إلا وقد اعتادوا الاختلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتًا معلومة يفوت عيدهم بفواتها ويرون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجل ذلك العيد المعلوم، وآل بهم الأمر إلى أن صنفوا في أحكام حجهم إليها كتبًا سموها مناسك حج المشاهد، ومن أخل بشيء منها فهو عندهم أعظم جرمًا ممن أخل بشيء من مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لها طوافًا معلومًا كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلها كما يقبّل الحجر الأسود حتى قالوا:

---

(١) قولـــــه ﷺ : (قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:{ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ} [الأعراف: ١٣٨] شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل بجامع أن كلا طلب أن يجعل لـــــه ما يألهه ويعبده من دون الله وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

(٢) (سنده صحيح) الترمذي [٢١٨٠] أحمد في المسند [٢١٩٤٧] الطيالسي في مسنده [١٣٤٦].

إن زحمت فاستلم بمحجن[1] أو أشر إليه، قياسًا على فعل النبي ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذورًا من المواشي، والنقود، ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية، وقواعدهم الوثنية، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص النبوية في سد ذرائع الشر في الفصل الآتي وبالله التوفيق.

* * *

(١) المحجن: عود معوج الرأس تلتقط به الأشياء.

١٢٧- ثم الزيارة على أقسام ::: ثلاثة يا أمة الإسلام
١٢٨- فإن نوى الزائر فيما أضمره ::: في نفسه تذكرة بالآخره
١٢٩- ثم الدعا له وللأموات ::: بالعفو والصفح عن الزلات
١٣٠- ولم يكن شد الرحال نحوها ::: ولم يقل هجرا كقول السفها
١٣١- فتلك سنة أتت صريحة ::: في السنن المثبتة الصحيحة

(**ثم الزيارة**) أى زيارة القبور تأتي (**على أقسام ثلاثة**) زيارة سنّية، وزيارة بدعية، وزيارة شركية فتفهموها (**يا أولي الإسلام**) والبداءة بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البدعية لكونها أخف جرمًا من الشركية، ثم هي بعد ذلك، (**فإن نوى الزائر**) للقبور (**فيما أضمره في نفسه**) أى كانت نيته بتلك الزيارة (**تذكرة بالآخرة**) أى ليتعظ بأهل القبور ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله يؤملون الآمال ويخولون الأموال ويجولون في الأقطار بالأيام والليال ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا لـه على الرغم جماعات وفرادى، وأبادهم ملوكًا ونوابًا وقوادًا وأجنادًا، وقدَّموا على ما قدموا غيّا كان أو رشادًا، وصار لهم التراب لحفًا ومهادًا، بعد الغرف العالية التي كان عليها الحجاب أرصادًا تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم فقيرهم،وشريفهم وحقيرهم، ومأمورهم وأميرهم، اتفق ظاهر حالهم واتحد، ولا فرق للناظر إليهم يميز به أحدًا من أحد، وأما باطنًا فالله أكبر لو كشف للناظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسن مآب، وأولئك في أسوأ حالة وأشد العذاب، فليعلم الواقف عليهم الناظر إليهم أنه بهم ملتحق ولإحدى الحالتين مستحق فليتأهب لذلك وليتب إلى العزيز المالك، وليلتجيء إليه من شر كل ما هنالك،(**ثم**) قصد أيضًا (**الدعا**) أى دعاء الله عز وجل (**له**) أى لنفسه (**وللأموات**) من المسلمين (**بالعفو**) من الله عز وجل (**والصفح عن الزلات**)

وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك (و) مع ذلك (**لم يكن شد الرحال نحوها**) الضمير للقبور لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**}(١) (**ولم يقل هجرًا**) أى محظورًا شرعًا (**كقول**) بعض (**السفها**) لما في السنن من حديث بريدة قال فيه النبي ﷺ :{**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرًا**}(٢).

(**فتلك**) الإشارة إلى النوع المذكور من الزيارة (**سنة**) طريقة نبوية (**أتت صريحة**) أى واضحة ظاهرة (**في السنن**) أى الأحاديث (**المثبتة**) في دواوين الإسلام (**الصحيحة**) سندًا ومتنًا، منها حديث بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها، فإنها تذكر الآخرة**}(٣) رواه الترمذي وصححه.

وحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزورها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**}(٤) رواه الجماعة.

---

(١) (صحيح) البخاري [١١٣٢] مسلم [١٣٩٧] (لا تشد الرحال) لا يسافر بقصد العبادة والصلاة فيها والرحال جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس وشده كناية عن السفر.

(٢) (سنده صحيح) موطأ مالك [١٠٣١] أحمد [١١٤٦٤٥] النسائي في سننه [٢٠٣٢].

(٣) (سنده صحيح) الترمذي في سننه [١٠٥٤].

(٤) (صحيح) مسلم [٩٧٦] قال النووي رحمه الله: (" اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى في أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يأذن لِى وَاسْتَأْذَنْتُهُ في أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِى) فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى وقد قال الله تعالى:{وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥] وفيه النهى عن الاستغفار للكفار، قال القاضي عياض رحمه الله: سبب زيارته ﷺ قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها ويؤيده قوله ﷺ في آخر الحديث (فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال:{**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**}(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي.

ولأحمد من حديث عائشة رضى الله عنها مثله وزاد:{**اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم**}(٢)، وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم:{**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**}(٣) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه، زاد مسلم في رواية:{**يرحم الله المتقدمين منا ومنكم والمتأخرين**}.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال:{**السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر**}(٤) رواه الترمذي وقال حسن.

وكذلك الأحاديث في خروجه ﷺ إلى بقيع الغرقد كثيرًا يدعو لهم ويترحم عليهم.

وكان الصحابة إذا أتوا قبره ﷺ صلوا وسلموا عليه فحسب، كما كان ابن عمر رضى الله عنه يقول السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه(٥).

---

(١) (صحيح) الموطأ [٥٨] مسلم [٢٤٩].
(٢) (سنده ضعيف) ابن ماجة [١٥٤٦] أحمد في المسند [٢٤٤٦٩].
(٣) (صحيح) مسلم [٩٧٥] مسند أحمد [٢٣٠٣٥] سنن النسائي [٢٠٣٩].
(٤) (سنده ضعيف) الترمذي في سننه [١٠٥٣] الطبراني في الكبير [١٢٦١٣] به: قابوس بن أبى ظبيان: ضعيف.
(٥) (صحيح) موطأ الإمام مالك رحمه الله [٣٩٧] مصنف ابن أبي شيبة [١١٧٩٣] مصنف عبد الرزاق [٦٧٢٤] سنن البيهقي الكبرى [١٠٥٧٠].

وكذا التابعون ومن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى لم يذكر عنهم في زيارة القبور غير العمل بهذه الأحاديث النبوية وأفعال الصحابة لم يعدلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرها بل وقفوا عندها.

فهذه الزيارة الشرعية المستفادة من الأحاديث النبوية، وعليها درج الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكر بالقبور والاعتبار بأهلها والدعاء لهم والترحم عليهم وسؤال الله العفو، عنهم فمن ادعى غير هذا طولب بالبرهان، وأنى لـه ذلك ومن أين يطلبه؟ بل كذب وافترى، وقفا ما ليس لـه به علم، بلى إن العلوم الشرعية دالة على ضلاله وجهله.

١٣٢- أو قصد الدعاء لتوسلا ::: بهم إلى الرحمن جل وعلا
١٣٣- فبدعة محدثة ضلالة ::: بعيدة عن هدى ذى الرسالة

(**أو قصد الدعاء**) من الصلاة وغيرها أو الاعتكاف عند قبورهم أو نحو ذلك (**والتوسلا**) بألف الإطلاق (**بهم**) أى بأهل القبور (**إلى الرحمن جل وعلا**) عما ائتفكه أهل الزيغ والضلال(**فبدعة محدثة**) لم يأذن الله تعالى بها (ضلالة) كما قال ﷺ :{**كل بدعة ضلالة**}[1].

وقال ﷺ :{**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**}[2].

وقال ﷺ في رواية:{**من عمل عملا ليس من أمرنا فهو رد**}[3].

وقال ﷺ :{**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**}[4] وغير ذلك.

(١) (صحيح) مسلم [٨٦٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٢٥٥٠] مسلم [١٧/١٧١٨].
(٣) (صحيح) مسلم [١٨/١٧١٨].
(٤) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٠٧] أحمد [١٧١٨٤].

فإن من قال: اللهم إني أسألك بجاه فلان، وهو ميت أو غائب، وإن كان يرى أنه لم يدع إلا الله ولم يعبد سواه فهو قد عبد الله بغير ما شرع وابتدع في الدين ما ليس منه واعتدى في دعائه ودعا الله بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن الله تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى كما قال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا } [الأعراف: ١٨٠] ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه البتة، بل قد نهانا رسول الله ﷺ عن أن نقسم بشيء من المخلوقات مطلقًا فكيف بالإقسام بها على الله عز وجل .

وأما حديث الأعمى الذي يحتج به المجوّزون للتوسل بالمقبور فلا حجة لهم فيه بحمد الله لو فهموا معناه ووضعوه موضعه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفقوا لفهم مدلوله، فإن هذا الحديث بجميع ألفاظه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظه من الكتب التي خرج فيها:

قال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادْعُ الله أن يعافيني، قال:{**إن شئتَ دعوتُ وإن شئت صبرت فهو خير لك**} قال فادعه، قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:{**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ**}[1]هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي. ا هـ.

قلت: الظاهر بالاستقراء أن أبا جعفر هذا هو الرازي التيمي مولاهم مشهور بكنيته وهو من رجال الأربعة واسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان،

(١) (سنده حسن) الترمذي [٣٥٢٧] من أجل: أبو جعفر الرازي التميمي مولاهم، اسمه عيسى بن أبي عيسى: عبد الله بن ماهان، فقد أفاض المصنف في الكلام عليه، فأحسن وأجاد رحمه الله.

وأصله من مرو كان يتجر إلى الري، روى عن عطاء وعمرو بن دينار وقتادة، وعنه أبو عوانة وشعبة كما في هذا الحديث قال ابن معين ثقة، وقال ابن المديني ثقة يخلط عن المغيرة، وقال الفلاس سيئ الحفظ، وقال أبو حاتم ثقة صدوق صالح الحديث، وقال في التقريب: صدوق سيئ الحفظ خصوصًا عن المغيرة، من كبار السابعة مات في حدود الستين ومائة، والظاهر من عباراتهم أن تخليطه عن المغيرة خاصة وهو ثبت فيمن سواه، وبهذا يجمع بين قول من يضعفه وقول من يوثقه كيف ومن الموثقين لـه شيخا البخاري يحيى بن معين وعلي بن المديني وهما هما، والله أعلم.

ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله ادْعُ الله أن يكشف لي عن بصري، قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال:{**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري، اللهم فشفعه في**}(١)قال فرجع وقد كشف الله بصره.

وقال أحمد رحمه الله تعالى في مسنده: حدثنا روح حدثنا شعبة عن عمير بن يزيد الخطمي المديني قال: سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ادْعُ الله أن يعافيني، فقال:{**إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك**} قال: بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء:{**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم فشفعني فيه وشفعه في**}(٢).

---

(١) (سنده حسن) سنن النسائي الكبرى [١٠٤٩٤] سنن ابن ماجه [١٣٨٥] صحيح ابن خزيمة [١٢١٩] المستدرك [١١٨٠] المعجم الكبير [٨٣١١] مسند عبد بن حميد [٣٧٩] والدعوات الكبير للبيهقي [١٩٣] من تحقيقي.

(٢) (سنده حسن) مسند أحمد بن حنبل [١٧٢٧٩].

قلت: عمير بن يزيد الخطمي هذا هو أبو جعفر الذي فرَّق الترمذي بينه وبين أبي جعفر المذكور في روايته، وقد قلنا الظاهر أنه هو الرازي التيمي وكلاهما شيخ لشعبة وكلاهما صدوق فيحتمل أن كلا منهما سمعه من عمارة، وسمعه شعبة من كليهما وحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا، فرواه عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الرازي التيمي، وسمعه روح منه عن الخطمي فحدث به كذلك والله عز وجل أعلم.

والمقصود أن هذا الحديث إن جزمنا بصحته فليس فيه لهم حجة ولا دليل على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة، فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبي ﷺ الدعاء لـه بكشف بصره، وهو حي حاضر قادر على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمن على ذلك ويقول: اللهم شفعه فيَّ فسأل النبي ﷺ الدعاء، وسأل قبول دعائه من الله عز وجل لعلمهم التام بالإيمان بالله عز وجل وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبهذا أمره النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى، فاجتمع الدعاء من الجهتين، وهكذا كان الصحابة رضى الله عنه كثيرًا ما كانوا يسألون من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالنصر وأن يستسقي لهم إذا أجدبوا وبتكثير الطعام كما سأل منه عمر رضى الله عنه في غزوة تبوك[1]وقالت لـه أم أنس خويدمك أنس ادع الله تعالى لـه[2]، وأمثال ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى.

وكذلك في موقف القيامة يسأل الخلائق من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربهم في فصل القضاء واحد بعد واحد، حتى تنتهي إليه ﷺ فيذهب ويسجد تحت العرش ويحمد الله تعالى ويثني عليه إلى أن يقول لـه:**{ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع}**[3]وذلك إذا أذن الله عز وجل لـه في الشفاعة

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٨٢٠].
(٢) (صحيح) مسلم [٦٦٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٧٢] مسلم [١٩٣].

التي وعده إياها كما سيأتي تقريره، وقد قال النبي ﷺ لعمر وهو ذاهب للعمرة:{**لا تنسنا من دعائك**}[1] وكذلك استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس والصحابةُ متوافرون كما في صحيح البخاري:{**اللهم إنا إذا كنا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**}[2]، وكان من دعاء العباس يومئذ:{**اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث**}[3] ذكره الزبير بن بكار، وكان ذلك الجدب عام الرمادة.

وكذلك قال معاوية لما استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي، فقال: (اللهم إنا نستشفع - أو نتوسل إليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حتى سقوا فكان أفضل القرون يسألون الله عز وجل ، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عز وجل لهم ولهم، وتوسلهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائز في كل زمان ومكان أن تسأل من عبد صالح حاضر عندك أن يدعو لك وتؤمن أنت على دعائه، أو تسأل من مسافر الدعاء بظهر الغيب ونحو ذلك كما ثبت عن النبي ﷺ ودرج عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى، ولو كان ذلك عندهم جائزًا أعني التوسل بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتي إلى النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يتوسل به في محله أينما كان إذ لا فائدة زائدة في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكذلك عمر والصحابة معه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباس لو كان التوسل بالذوات لا بالدعاء، وكذا معاوية وأصحابه لم يكونوا ليعدلوا عن

---

(١) (سنده ضعيف) أبو داود [١٤٩٨] الترمذي [٣٥٦٢] ابن ماجة [٢٨٤٩] أحمد [١٩٥] علته: عاصم بن عبيد الله بن عاصم العمري: ضعيف.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٥٠٧/٩٦٤].

(٣) الزبير بن بكار في (الأنساب) ذكره عنه ابن حجر في الفتح [ج٢ - ص٤٩٧].

ذاته ﷺ إلى يزيد بن الأسود ولم يطلبوا منه الدعاء، ولما أمر النبي ﷺ عمر إذا وجد أويسًا أن يطلب منه الاستغفار)[1]، بل كان يكفيه أن يقول: اللهم بحق أويس القرني، ولم يعرف هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا بغيره من الأنبياء ولا بأحد من أفاضلهم الأولياء بعد موته، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرق بين ذلك وبين مماتهم، وهذا في التوسل بأهل القبور عام عند القبر وغيره، وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ، لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه، كما قدمنا عن قوم نوح من استدراج الشيطان لهم، وكذلك فعل بغالب هذه الأمة والعياذ بالله، لذلك نهى النبي ﷺ أن يصلى على القبور أو إليها وغلظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريبًا إن شاء الله تعالى:

١٣٤- وإن دعا المقبور نفسه فقد ::: أشرك بالله العظيم وجحد

١٣٥- لن يقبل الله تعالى منه ::: صرفا ولا عدلا فيعفو عنه

١٣٦- إذ كل ذنب موشك الغفران ::: إلا اتخاذ الند للرحمن

(**وإن دعا**) الزائر (**المقبور نفسه**) من دون الله عز وجل وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب خير أو دفع ضر أو شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك من قضاء الحوائج (**فقد أشرك**) في فعله ذلك (**بالله العظيم**) المتعالي عن الأضداد والأنداد والكفؤ والولي والشفيع بدون إذنه (**وجحد**) حق الله عز وجل على عباده وهو إفراده بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ونفي ضد ذلك عنه قال الله تعالى:{ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾} [المؤمنون: ١١٧] وقال تعالى:{ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ }

[1] (صحيح) مسلم [٢٥٤٢].

[يونس: ١٠٦ - ١٠٧] وقال تعالى:{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾} [الأحقاف: ٥ - ٦] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾} [الأعراف: ١٩٤] الآيات، وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ} [الحج: ٧٣ - ٧٤] الآيات، وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾} [فاطر: ١٣ - ١٤] وقال تعالى:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ} [الإسراء: ٥٧] الآيات، وغيرها ما لا يحصى يخبر الله تعالى أن من دعا مع الله إلهًا آخر ولو لحظة فقد كفر وإن مات على ذلك فلا فلاح لـه أبدًا، ولو فعل ذلك نبيه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشف للضر غيره ولا جالب للخير سواه، وأنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه، وأن من عبد من دون الله يكون عدوّا لعابده يوم القيامة وكافرًا بعبادته إياه من دون الله تعالى، وأنهم كلهم عباد مثل عابديهم مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذباب فكيف يقدرون على قضاء شيء من حوائج عابديهم؟ بل قد أخبرنا الله عز وجل أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا لـه وأخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم أنهم لا يملكون كشف ضر من دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلة إلى ربهم والقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فينبغي للعباد الاقتداء بهم في ذلك الابتغاء والرجاء والخوف من الله عز وجل ، لا دعاؤهم دونه، تعالى الله عما يشركون.

(**لا يقبل الله تعالى منه**) أى من ذلك الداعي مع الله غيره المتخذ من دونه أولياء (**صرفًا**) أى نافلة (**ولا عدلاً**) أى ولا فريضة (**فيعفو عنه**) في ذلك لأن الكافر عمله كلا شيء، قال الله تعالى:{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥] وقال تعالى:{ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾} [الفرقان: ٢٣] وقال تعالى:{ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ } [إبراهيم: ١٨] وقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا} [النور: ٣٩] الآيات، وقال تعالى لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام:{ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾} [الأنعام: ٨٨] وقال لسيدهم وخاتمهم وأكرمهم على ربه تعالى:{وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾} [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

(**إذ**) حرف تعليل (**كل ذنب**) لقي العبد ربه به (**موشك الغفران**) أى يرجى ويؤمل أن يغفر ويعفى عنه (**إلا اتخاذ الند للرحمن**) فإن ذلك لا يغفر ولا يخرج صاحبه من النار ولا يجد ريح الجنة، قال الله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾} [النساء: ٤٨] وقال تعالى:{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا} [النساء: ١١٦] وقال الله تعالى:{مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة: ٧٢] وقال تعالى:{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١] وقد قدمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية في الدلالة على ما وراءه ولله الحمد والمنة.

* * *

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور

وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

هذا الفصل هو المقصود بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارة إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيد لـه، فإنما هو المقصود من ذكر ضلال الأمم الأولى هو تحذير الأحياء الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزجر من وقع منهم عما وقع فيه لئلا يحل بهم ما حل بهم من النكال، كما أن الله سبحانه وتعالى ما قص علينا من أخبار الأمم الأولى إلا لنتعظ بهم ونعتبر بمصارعهم ولنعلم أسباب هلاكهم فنتقيه ونعلم سبل النجاة التي سلكها رسل الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرة فنسلكها ونقفو أثرهم، ولهذا قال الله تعالى:{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الأعراف: ١٠٠] الآية، وقال تعالى:{ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ } [إبراهيم: ٤٥ - ٤٦] وقال تعالى:{ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾} [السجدة: ٢٦] وقال تعالى بعد أن قص علينا ما قص في سورة هود:{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [هود: ١٠٠ - ١٠٢] الآيات.

وقد قال رسول الله ﷺ :{**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم**}[١] وهو في الصحيح.

(١) (صحيح) البخاري [٤٢٣] مسلم [٢٩٨٠].

فإذا كان هذا الخطر على من دخل ديارهم فما ظنك بمن عمل مثل عملهم وزيادة، فإنا لله وإنا إليه راجعون:

١٣٧- ومن على القبر سراجا أوقدا ::: أو ابتنى على الضريح مسجدا

١٣٨- فإنه مجدد جهارا ::: لسنن اليهود والنصارى

(**ومن على القبر**) متعلق بأوقد (**سراجًا**) مفعول (**أوقدا**) بألف الإطلاق، والمعنى ومن أوقد سراجًا على القبر (**أو ابتنى**) بمعنى بنا وزيدت التاء فيه لمعنى الاتخاذ (**على الضريح**) أى على القبر واشتقاقه من الضرح الذي هو الشق (**مسجدًا**) أو اتخذ القبر نفسه مسجدًا ولو لم يبن عليه (**فإنه**) أى فاعل ذلك (**مجدد**) بفعله ذلك (**جهارًا**) أى تجديدًا واضحًا مجاهرًا به الله ورسوله وأولياءه (**لسنن**) أى (**لطرائق اليهود**) والنصارى في اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ويعكفون عليها، وأعياد لهم ينتابونها، ويترددون إليها، كيف وقد قال الرسول ﷺ للذين طلبوا منه ذات أنواط:{**الله كبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**:{أَجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [الأعراف: ١٣٨] (**لتتبعن سنن من كان قبلكم**}[١]

وقال ﷺ :{**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن**)(**؟**}[٢] أخرجاه من حديث أبي سعيد رضى الله عنه وقد وقع الأمر والله كما أخبر ﷺ به، فالله المستعان.

١٣٩- كم حذر المختار عن ذا ولعن ::: فاعله كما روى أهل السنن

١٤٠- بل قد نهى عن ارتفاع القبر ::: وأن يزاد فيه فوق الشبر

١٤١- وكل قبر مشرف فقد أمر ::: بأن يسوى هكذا صح الخبر

(**كم**) خبرية للتكثير (**حذر المختار**) نبينا محمدًا ﷺ (**عن ذا**) الفعل من اتخاذ

---

(١) (صحيح) سبق تخريجه قريبا.
(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٦٩] مسلم [٢٦٦٩].

القبور مساجد وأعيادًا والبناء عليها وإيقاد السرج عليها، كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت لـه ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ :{**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح - أو الرجل الصالح - بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**}(١).

وفيه عنها وهي وعبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة لـه على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك:{**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**}(٢)يحذّر ما صنعوا.

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**}(٣).

وعن أبي مرثد الغنوي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**}(٤) رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه.

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**} (٥)رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

وعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل إن يموت بخمس وهو يقول:{**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور**

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٢٤] مسلم [٥٢٨].

(٢) (صحيح) البخاري [٤٢٥] مسلم [٥٣١] (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) صاروا يصلون إليها (يحذر ما صنعوا) يحذر أمته أن يصنعوا بقبره مثل ما صنعوا.

(٣) (صحيح) البخاري [٤٢٦] مسلم [٥٣٠].

(٤) (صحيح) مسلم [٩٧٢].

(٥) (صحيح) البخار[٤٢٢] مسلم [٧٧٧] (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم) معناه صلوا فيها ولا تجعلوها كالقبور مهجورة من الصلاة والمراد به صلاة النافلة أي صلوا النوافل في بيوتكم.

أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك}(١)رواه مسلم.

وعن جابر رضى الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، رواه أحمد ومسلم والثلاثة وصححه الترمذي ولفظه: نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ، وفي لفظ النسائي: نهى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه(٢).

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال:**{لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج}** (٣)، ورواه أهل السنن.

وللترمذي وصححه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور(٤).

ولابن ماجه مثله من حديث حسان رضى الله عنه.

---

(١) (صحيح) مسلم [٥٣٢].
(٢) (صحيح) مسلم [٩٧٠].
(٣) (سنده ضعيف) أبو داود [٣٢٣٦] الترمذي [٣٢٠] والنسائي [٢٠٤٢] أحمد [٢٠٣٠/٢٦٠٣/٢٩٨٦/٣١١٨] علته: باذام، و يقال باذان، أبو صالح، مولى أم هانىء: ضعيف يرسل، انظر التقريب. وانظر البدر المنير لابن الملقن [ج٥ - ص٣٤٥].
(٤) (سنده حسن لغيره) أحمد [٨٤٣٠] الترمذي [١٠٥٦] ابن ماجة [١٥٧٦] الطيالسي [٢٣٥٨] من حَدِيث عمر بن أبي سَلَمَة، عَن أَبِيه، عَن أبي هُرَيْرَة رضى الله عنه، وهذا سند لا بأس به، فعمر بن أبي سلمة ضعفه بعضهم، ووثقه آخرون.
وله طريق ثان: عن عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه رضى الله عنه، وعبد الرحمن بن بهمان: مقبول كما في التقريب. عند أحمد [١٥٦٩٥] وابن ماجة [١٥٧٤] والحاكم [١٣٨٥].
وطريق ثالث: من حَدِيث أبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس رضى الله عنه، رواه ابن ماجة [١٥٧٥] وأبو صالح هذا: هو باذام السابق، وهو ضعيف.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا:**{إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد}**(١) رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم}**(٢) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين رضى الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو فيها، فقال ألا أحدثكم حديثًا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال:**{لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم}**(٣) رواه في المختارة.

وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي صالح قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رضى الله عنها يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال:**{لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**(٤)، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

---

(١) (سنده حسن) أحمد في المسند [٣٨٤٤] وابن خزيمة في صحيحه [٧٨٩] مسند البزار [١٥٣٢] أخبار أصبهان [٤٨١] ابن حبان [٦٨٤٧].

(٢) (سنده صحيح) أحمد [٨٧٩٠] أبو داود [٢٠٤٢] شعب الإيمان للبيهقي [٤١٦٢].

(٣) (سنده صحيح لغيره) ابن أبي شيبة [٧٥٤٢] مسند أبي يعلى [٤٦٩] البزار في مسنده [٤٧٩] الأحاديث المختارة [٤٢٨] وسندهم به ضعف: فعندهم: على بن عمر بن على بن الحسين: في التقريب: مستور، ولكن يشهد له الحديث السابق، وغيره.

(٤) (سنده حسن مرسل) إلا أن المرفوع منه يصح بالشواهد، كما في الأحاديث السابقة.

وروى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال:{**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**}(١) وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

(**وقد نهى**) النبي ﷺ (**عن ارتفاع القبر**) بالبناء أو نحوه، كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناء عليها، وكم سيأتي من الأمر بتسويتها (**وأن يزاد فيه فوق شبر**) كما في السنن عن جابر رضى الله عنه قال نهى النبي ﷺ أن يبنى على القبر أو يزال عليه أو يجصص(٢).

(**وكل قبر مشرف**) يعني مرتفع (**فقد أمر**) النبي ﷺ (**بأن يسوى**) بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تجاوز الشرع في ارتفاعها، (**هكذا صح الخبر**) وهو ما رواه مسلم عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها(٣)، ولـه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ :{**ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**}(٤).

---

(١) (سنده حسن لغيره) الإمام مالك في الموطأ [٤١٤] من مراسيل: عطاء بن يسار. وجاء مرفوعا بسند لا بأس به عند أحمد في المسند [٧٣٥٢] وأبي يعلى [٦٦٨١] مسند الحميدي [١٠٢٥] ومعرفة السنن والآثار للبيهقي [٢٣٧١] من حديث حَمْزَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنًا لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »، وبه: حمزة بن المغيرة بن نشيط: لا بأس به كما في التقريب. الوَثَن: كلُّ ما لَه جُثَّة مَعْمولة من جَواهِر الأرض أو من الخَشَب والحِجارة، كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد. والصَّنَم: الصُّورة بِلا جُثَّة. ومنهم من لم يَفْرُق بَيْنَهما.

(٢) (صحيح) سبق تخريجه.

(٣) (صحيح) مسلم [٩٦٨].

(٤) (صحيح) مسلم [٩٦٩] المشرف: المرتفع عن وجه الأرض العالي عليها.

١٤٢- وحذر الأمة عن إطرائه ::: فغرهم إبليس باستجرائه
١٤٣- فخالفوه جهرة وارتكبوا ::: ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا

(وحذر) النبي ﷺ (**الأمة عن إطرائه**) أى الغلو فيه، كما في الصحيحين عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**}[١].

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**}[٢].

وعن أنس رضى الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال:{**يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل** }[٣] رواه النسائي بسند جيد.

وعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال:{**السيد الله تعالى**} قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال:{**قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**}[٤] وهذا كله من حماية النبي ﷺ جناب التوحيد، وكما قال لمن قال: تعالوا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، قال:

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٦١] (لا تطروني) من الإطراء وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه. (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك.
(٢) (سنده صحيح) النسائي في سننه [٣٠٥٧] ابن ماجة [٣٠٢٩] مسند أبي يعلى [٢٤٢٧] ابن حبان [٣٨٧١] البيهقي في الكبرى [٩٨٠٦].
(٣) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٢٥٧٣] سنن النسائي الكبرى [١٠٠٧٨] وفي عمل اليوم والليلة للنسائي [٢٤٩] مسند عبد بن حميد [١٣٤٠].
(٤) (سنده صحيح) أبو داود [٤٨٠٦] أحمد [١٦٣٥٠] سنن النسائي الكبرى [١٠٠٧٤].

{**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**}(١) والله سبحانه وتعالى قد بين ما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديق خبرهم وامتثال أمرهم واجتناب نهيهم واتباعهم على شريعتهم ومحبتهم هم وأتباعهم وتوابع ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه لم يدَّع أحد منهم الربوبية ولا دعوا إلى عبادة أنفسهم ولا ينبغي لهم ذلك كما قال تعالى:{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾} [آل عمران: ٧٩ - ٨٠] وقال تعالى:{ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾} [النساء: ١٧٢] الآيات، وقال:{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ} [المائدة: ٧٥] الآية، وقال تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾} [الزخرف: ٥٩] وقال تعالى:{ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾} [المائدة: ١٧] وقال تعالى:{ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾} [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] وقال تعالى عن نوح رضى الله عنه :{ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ} [هود: ٣١]

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي [١٧٢٧٦] وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. قلتُ: الصحيح: أن عبد الله بن لهيعة ضعيف، لاختلاطه، فالحديث على هذا النحو يكون ضعيفا.

وقال لصفوة خلقة وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ :{قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ} [الأعراف: ١٨٨] وقال تعالى له:{لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ} [آل عمران: ١٢٨] وقال تعالى:{قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا (٢٠) قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا (٢١) قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ} [الجن: ٢٠ - ٢٣]، الآيات، وقال تعالى:{قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٩)} [الأحقاف: ٩] وقال تعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ} [آل عمران: ١٤٤] الآيات، وقد تلاها أبو بكر رضى الله عنه يوم مات النبي ﷺ وقال: أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ﷺ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إلى آخر خطبته رضى الله عنه(١)، وهذا باب واسع كثيرة النصوص فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي متعلقاته ومكملاته.

(**فغرهم**) أى أكثر الأمة بعدما سمعوا الزواجر والنواهي (**إبليس**) لعنه الله وأعاذنا منه (**باستجرائه**) أى باستهوائه إياهم واستدراجه لهم وإدخالهم في الهلكات شيئًا فشيئًا كما فعل بالأمم السالفة قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهوون إما بلغو وإما بجفاء لا يبالي ما أهلك العبد به سواء قصره على الصراط المستقيم وهون عليه أمره حتى لا يدخله ولا يسلكه أو جاوزه به حتى يتبع سبيل الضلال فتفرق بهم عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسل من الكفار وعادوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرة زين لهم ذلك وضرب لهم الأمثلة والمقاييس وإنهم مثلهم بشر يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد آباؤهم ويتنقصوا شيوخهم بذلك وتكون لهم الكبرياء في الأرض وغير ذلك، والذين صدقوا الرسل واتبعوهم أتى الكثير من خلوفهم وزين لهم الغلو فيهم بالكذب والقول عليهم بالبهتان ورفعهم فوق

(١) (صحيح) البخاري [١١٨٥/ ٣٤٦٧/ ٤١٨٧].

منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل ، وأتاهم بذلك في صورة محبتهم وموالاتهم حتى جعلهم مثله في البعد عن الله ورسله ولم يسلم من ذلك إلا عباد الله المخلصون الذين هداهم الله صراطه المستقيم، فلم يقصروا عنه ولم يستبدلوا به غيره، بل استمسكوا به واعتصموا:{وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١]،{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾} [النساء: ٦٩].

(**فخالفوه**) أى الذين استهواهم الشيطان خالفوا النص من الكتاب والسنة (**جهرة وارتكبوا، ما قد نهى عنه**) من الغلو والإطراء وما لم يأذن به الله (**ولم يجتنبوا**) ذلك ولا شيئًا: فنهى عن الحلف بغير الله عز وجل وهؤلاء لا يحلفون إلا بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب ولا يحلفون بالند فيكذبون، ونهى أن تقرن مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى، وهؤلاء يثبتون لـه ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدّو والآصال، ويسألون منهم قضاء الحوائج دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغالة منهم أن بعض الأولياء هو المتصرف في الكون والمدبر لـه في كل حال، ودعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده ودعائه وحده لا شريك لـه، فدعوا مع الله غيره، حتى دعوا الرسول الآتي بذلك نفسه مع الله عز وجل ، ونهى عن اتخاذ القبور مساجد وهؤلاء يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها لا ولها من دون الله عز وجل ، وكثير منهم يفضلون الصلاة فيها على مساجد الله عز وجل التي بنيت لذلك، ونهى أن تجصص القبور أو يبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القباب وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، وكم عبادة إليها دون الله صرفوها، ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بالغضب وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتهم، وما بينهم وبين بنائهم عليها إلا موت أهلها أو حلم يتمثل لهم الشيطان فيه أو خيال أو سماع صوت فيسارعون إلى ذلك أسرع من مسارعة

أهل الدين إلى الكتاب والسنة، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يقفون الوقوف على تسريجها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل ما لم يجعلوه في مساجد الله، وكأنما ندبهم الرسول ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنة التي عنى بها من فعل ذلك، وقال ﷺ :{**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..**} الحديث وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنونهم صالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور ويرون ارتكاب ذلك المنهي من أعظم القربات، ونهى ﷺ عن اتخاذها أعيادًا، وهؤلاء قد اتخذوها أعيادًا ومعابد لا بل معبودات من دون الله عز وجل ، ووقتوا لها المواقيت زمانًا ومكانًا، وصنفوا فيها مناسك حج المشاهد وحجوا إليها أكثر مما يحج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخل بشيء من مناسكها أعظم جرما ممن أخل بشيء من مناسك الحج، حتى أن من كان منهم قد حج عشرات مرات أو أكثر يبايع من شهد أحد المشاهد أن يعاوضه بجميع حججه بتلك الزيارة فيمتنع أشد الامتناع، ويخشعون عندها أكثر مما يخشع عند شعائر الله.

وقال ﷺ :{**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**} وهؤلاء قد أطروا من هو دونه من أمته بكثير بل قد أطروا من لم يؤمن به ﷺ ساعة من الدهر أعظم من إطراء النصارى ابن مريم، بل جعلوه هو الرب على سبيل الاستقلال.

وقال ﷺ :{**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**} هؤلاء قداستغاثوا بغير الله سرّا وجهرًا وهتفوا باسم غير الله في السراء والضراء والشدة والرخاء وأخلصوا لهم الدعاء من دون الله عز وجل وصرفوا إليهم جل العبادات من الصلاة والنذر والنسك والطواف وغير ذلك.

وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلان فكيف بمن يقول يا فلان ما لي سواك، ويقول قد استغثت الله فلم يغثني حتى استغثت فلانًا فأغاثني، وإنه

ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفة شيء مما ينسبونه إلى وليه من الأكاذيب المختلفة والحكايات الملفقة، وترى أكثر مساجد الله المبنية للصلوات معطلة حسّا ومعنى، وفيها من الأزبال والكناسات والأوساخ ما لا يعد ولا يحصى، فإذا أتيت قباب المقابر والمساجد المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطار والزبرقة والستور المنقشة المعلمة المرصعة والأبواب المفصصة المحكمة، ولها من السدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام، الداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تحصيهم الأقلام، وعليها من الأكسية والرايات والأعلام ما لو قسم لاستغنى به كثير من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها، والأموال المجبية إليها من الثمار والنقود والأنعام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي مُناف للتوحيد وأي مناقض لـه أقبح من هذا الشرك والتنديد، تالله ما قوم نوح ولا عاد ولا ثمود ولا أصحاب الأيكة بأعظم شركًا ولا أشد كفرًا من هؤلاء الملاحيد وليس أولئك بأحق منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيرًا من أولئك ولا براءة لهم من ذلك الوعيد، ولكن الله يمهل ولا يهمل وما بطشه من الظالمين ببعيد:{وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [هود: ١٠٢].

١٤٤- فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ::: ورفعوا بناءها وشادوا

١٤٥- بالشيد والآجر والأحجار ::: لا سيما في هذه الأعصار

(**فانظر**) أيها المؤمن (**إليهم**) وإلى أعمالهم (**قد غلوا**) في أهل القبور الغلو المفرط الذي نهاهم الله تعالى ورسوله ﷺ عنه (**وزادوا**) عما حذرهم عنه الرسل (**ورفعوا بناءها**) أى بناء القبور المنهي عن مجرده قليله وكثيره

(**وشادوا**) أى ضربوه (**بالشيد**) وهو الجص (**والآجرّ**) اللبن المحروق (**والأحجار**) المنقشة المزخرفة (**لا سيما**) بزيادة (**في هذه الأعصار**) القريبة بعد ظهور دولـة العبيديين الذين قال فيهم أهل العلم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فاعتنوا ببناء القباب على القبور وزخرفتها وتشييدها وجعلها مشاهد، وندبوا الناس إلى زيارتها وأتوا بذلك باسم محبة أهل البيت وكل من جاء بعدهم من الدول المبتدعة زاد فيها وأحدث أكثر مما أحدث من قبله حتى اتخذوها مساجد ومعابد، إلى أن عبدت من دون الله، وسألوا منها ما لا يقدر عليه إلا الله وفعلوا بها ما يفعل أهل الأوثان بأوثانهم وزادوا كثيرًا فضلوا عن سواء السبيل، وأضلوا من قدروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلا اسمه، ولا من الكتاب والسنة لديهم إلا لفظه ورسمه ولكن الأرض لا تخلوا من مجدد لمعالم الشريعة الحنيفية، ومنبه على ما يخل بها أو يناقضها من البدع الشيطانية، ولا تزال طائفة من هذه الأمة أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرة لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، والله سبحانه يقول:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ } [الحجر: ٩].

١٤٦- وللقناديل عليها أوقدوا ::: وكم لواء فوقها قد عقدوا
١٤٧- ونصبوا الأعلام والرايات ::: وافتتنوا بالأعظم الرفات
١٤٨- بل نحروا في سوحها النحائر ::: فعل أولي التسييب والبحائر
١٤٩- والتمسوا الحاجات من موتاهم ::: واتخذوا إلههم هواهم

(**وللقناديل**) من الشموع وغيرها (**عليها**) أى على القبور وفي قبابها (**أوقدوا**) تعرضًا للعنة من رسول الله ﷺ لمن فعل ذلك إذ يقول:{**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**} فأوقفوا لتسريجها الوقوف الكثيرة وجعلوا عليها سدنة وخدامًا معدّين لإيقادها، وويل للسادن إن طفئ مصباح قبر الشيخ (**وكم لواء فوقها عقدوا**) تعظيمًا لها وتألها ورغبة ورهبة،

(ونصبوا) عليها (**الأعلام والرايات**) لا سيما يوم عيدها لأنهم قد اتخذوا لكل قبر عيدًا أى يومًا معتادًا يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها كما أن الحج يوم عرفة، مخالفة منهم ومشاقة لله ورسوله إذ يقول ﷺ :{**لا تتخذوا قبري عيدًا**} فقد اتخذوا قبور من هو دونه أعيادًا، ومن فاته ذلك يوم ذلك العيد المعتاد فقد فاته المشهد وفاته خير كثير، وفي ذلك العيد تنصب الزينة الباهرة وتدق الطبول والأعواد، ويجتمع الرجال والنساء في ميدان واحد لابسين زينتهم قد عطر كل من الجنسين بأطيب ما يجد ولبس أطيب ما يجد، وتجبى الأموال من الأوقاف والنذور وغيرها على اختلاف أجناسها من نقود وثمار وأنعام وخراجات وغيرها مما علم الله تعالى أنها لا يبتغى بها وجهه ولم تنفق في مرضاته بل في مساخطه (**وافتتنوا**) في دينهم (**بالأعظم الرفات**) النخرة فعبدوها من دون الله عز وجل دعاء وتوكلا وخوفا ورجاء ونذرا ونسكا وغير ذلك (**بل نحروا في سوحها**) أى في أفنية القبور (**النحائر**) من الإبل والبقر والغنم إذا نابهم أمر أو طلبوا حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك، وأكثرهم يسمها للقبر من حيث تولد ويربيها لـه إلى أن تصلح للقربة في عرفهم، ولا يجوز عندهم تغييرها ولا تبديلها ولا خصيها ولا وجاؤها لا يذهب شيء من دمها إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس (**فعل أولي التسييب والبحائر**) أى كفعل مشركي الجاهلية من العرب وغيرهم في تسييبهم السوائب وتبحير البحائر وجعل الحام كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطًا في موضعه، غير أن أولئك سموهم آلهة وشفعاء وسمى مثل هذا الفعل بهم عبادة، وهؤلاء سموهم سادة وأولياء وسموا دعاءهم إياهم تبركًا وتوسلاً وكلاهما مشرك في فعله بالله عز وجل ، وهؤلاء أعظم شركًا وأشد لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة بل هم في الشدة أكثر شركًا وأشد وتعلقًا بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهلية الأولى فيشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة كما أخبرنا الله عنهم بقولـه تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾}

[العنكبوت: ٦٥] وغيرها من الآيات(**والتمسوا الحاجات**) التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل (**من موتاهم**) من جلب الخير ودفع الشر (**واتخذوا إلههم هواهم**) وهذا هو السبب في عبادة غير الله بل في جميع معاصي الله، وهو الذي كلما هوى أمرًا أتاه، ولم يأتهم الشيطان من غير باب الهوى ولم يصطد أحدًا بغير شبكته لأن الهوى يعمي عن الحق ويضل عن السبيل أتباعه وهو سبب الشقاوة كما أن التزام الشريعة باطنًا وظاهرًا سبب السعادة، فهما ضدان لا يجتمعان ولا يكون الحكم إلالواحد منهما، لأن الشريعة تدل على مرضاة الله وتأمر بها، وتحذر من مساخط الله وتنهي عنها، والهوى بضد ذلك، ولهذا قال ﷺ :{**حفت الجنة بالمكاره**} يعني لمخالفة أسبابها من الأعمال الصالحة للهوى،:{**وحفت النار بالشهوات**}[١] لموافقة أسبابها من المعاصي للهوى، فطوبى لمن كان هواه تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ، وويل لمن قدم هواه على ذلك لقد هلك.

١٥٠- قد صادهم إبليس في فخاخة ::: بل بعضهم قد صار من أفراخه

١٥١- يدعو إلى عبادة الأوثان ::: بالمال والنفس وباللسان

(**قد صادهم**) من الاصطياد بل من مطاوع اصطاد لأن التاء التي قلبت طاء هي لمعنى الطلب وأما حذفها فيدل على وصول الطالب إلى مطلوبه، (إبليس في فخاخه) التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرها في صورة الطاعات، فأول ما زين لقوم نوح العكوف على صورة صالحيهم ليتذكروا عبادتهم الله تعالى فيقتفوا أثرهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا، وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة أول ما أشار عليهم ببناء القباب على القبور باسم محبة الأولياء ثم بالعكوف عليها وعبادة الله عز وجل عندها تبركًا وتيمنًا بتلك البقاع التي فضلت بهم إذ دفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسهم دون الله عز وجل ، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئًا فشيئًا

(١) (صحيح) مسلم [٢٨٢٢].

إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله عزوجل، فصار الأمر كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القرى والأمصار، وفي كل زمن تشيع وتزيد وفي كل عصر من الأعصار، (**بل بعضهم قد صار من أفراخه**) المساعدين لـه الداعين إلى ما دعا إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (**يدعو إلى عبادة الأوثان**) من القبور وغيرها (**بالمال والنفس وباللسان**)، فمن دعايتهم إلى ذلك أنهم يجمعون أنواعًا من المطالب ويدخلونها القبر إلى القبة المبنية عليه في سراديب معدة تحتها فإذا أتى إليهم الجاهل المفتون ووقف علي الحاجب فإن لم يكن لـه مطلوب معين قال لـه أدخل يدك فما خرج فيها فهو الباب الذي ترزق منه لا تعدوه إلى غيره، فإن خرج في يده تراب فحارث، وإن خرج قطن فحائك، وإن خرج فحم أو نحوه فحداد أو صائغ، وإن خرج آلة حجامة فحجام، وإن خرح كذا فهوكذا، على قواعدهم يعرفونها، ومخرقة لهم يألفونها، وإن كان مطلوب معين قال لـه ما تريد من الشيخ؟ قال أريد كذا، فإن كان ذلك يوجد فيها أدخل القبر، وإلا قال ارجع الآن وموعدك الوقت الفلاني فإن الشيخ الآن مشغول أو نحو ذلك من الأعذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ، فلا يكرر الطلب أدبًا معه، فلا يأتي في المرة الثانية إلا وقد استعد لـه بمطلوبه، فإذا جاء وأدخل يده خرج فيها ذلك المطلوب فحينئذ خرج ينادي: شيء لله يا شيخ فلان، وكلما وجد أحدًا أراه ذلك وقال: هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه، فيجمعون من أموال الناس بهذه الحيل والشعوذة مالا يحصى، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناس فحسب، بل احتالوا لسلب دينهم وأخرجوهم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، وليس هذا خاصّا بقبور الصالحين الذين عرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أى قبر تمثل فيه الشيطان أو حكيت لـه حكاية أو رؤيت لـه رؤيا صدقًا كانت أو كذبًا فقد استحق عندهم أن يبني عليه القباب ويعكف عنده وينذر لـه ويذبح عليه ويستشفي به المرضى

ويستنزل به الغيث ويستغاث به في الشدائد ويسأل منه قضاء الحوائج ويخاف ويرجى ويتخذ ندّا من دون الله عز وجل وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوّا كبيرًا.

الله أكبر لو رأيت على القبو ::: رعكوفهم صبحا وبالإمساء
والله أكبر لو ترى أعيادهم ::: جمع الرجال معا وجمع نساء
والله أكبر لو رأيت مساجدا ::: بنيت على الموتى بأي بناء
قد زخرفت بحجارة منقوشة ::: بالشيد قد ضربت مع الإعلاء
ورءوسها قد زينت بأهلة ::: من أنفس المنقوش دون مراء
قد أسرجت ولكم على تسريجها ::: وقفوا الشموع لها بأي أداء
كم سادن قد وكلوه بشأنها ::: طيبًا وتنظيفًا وشأن ضياء
ويل له لو قد أخل ببعض ذا ::: ماذا يقاسي من ضروب بلاء
ولكم عليها راية قد نشرت ::: ألوانها سلبت لقلب الرائي
وكرائم الأنعام تنحر سوحها ::: منذورة يؤتى بها لوفاء
لم يفردوا رب السماء بدعوة ::: بل للقبور تجاوبوا بنداء
يدعونهم في كشف كل ملمة ::: في الجهر قد هتفوا وفي الإخفاء
ويعظمونهمو بكل عبادة ::: يا صاح في السراء والضراء
وتراه بالرحمن يحلف كاذبا ::: وصفاته العليا وبالأسماء
لكنه لا يستطيع الحلف بالمقب ::: ور ذا إن لم يكن ببراء
زادوا على شرك الذين إليهموا ::: بعث رسول الله بأصدق الأنباء
إذا يخلصون لدى الكروب وهؤلا ::: ء فشركهم في شدة ورخاء
بل في الشدائد شركهم أضعاف ما ::: قد أشركوا في حالة السراء
فتراه ينذر في الرخاء ببدنة ::: وببدنتين لدى اشتداد بلاء
وجميع ما يأتيه في سرائه ::: فله به الأضعاف في الضراء
تالله ما ظفر اللعين بمثلها ::: من بعض أهل الشرعة الغراء
حتى إذا ما هيأوا لعدوهم ::: سبب الدخول وسلم الإغواء
طمع العدو بهم لنيل مراده ::: منهم فغر القوم باستجداء

لما أساءوا الظن بالوحيين ::: لكن أحسنوه بزخرف الأعداء
لم يهتدوا بالنص قط بل اقتفوا ::: آراء من قد كان عنها نائي
نبذوا الكتاب فلم يقيموا نصه ::: إذ كان ميلهمو إلى الأهواء
وعبادة الأوثان قد صارت لهم ::: دينا تعالى الله عن شركاء
وطرائق البدع المضلة صيروا ::: سبلا مكان الملة السمحاء
يا رب ثبتنا على دين الهدى ::: وعلى سلوك طريقه البيضاء
واردد بتوفيق إليها من نأي ::: ممن قد استهوى أولو الأغواء
يا ربنا فاكشف غطاء قلوبنا ::: بالنور أخرجنا من الظلماء
واسلك بنا نهج النجاة ونجنا ::: من حيرة وضلالة عمياء
واجعل كتابك يا كريم إمامنا ::: ورسولك المقدام للحنفاء
وانصر على الأعداء حزبك إنهم ::: خبطتهمو فتن من الأعداء
راموا بنا السوأى بسوء مكايد ::: فاقصمهمو يا رب للأسواء
واردد إلهي كيدهم في بيدهم ::: وأبدهمو بيدا عن البيداء
أظهر على الأديان دينك جهرة ::: وشعاره فارفع بدون خفاء
واجعل لوجهك خلصا أعمالنا ::: بعبادة وولاية وبراء

* * *

فصل

أَذْكُرَ فيه بيان حقيقة السحر وحكم الساحر

أى ما عليه من العقوبة شرعًا، وأن منه أى من السحر علم التنجيم وهو النظر في النجوم الآتي بيانه، وذكر عقوبة من صدق كاهنا بقلبه، ويعني عقوبته الوعيدية والبحث في هذا الفصل في أمور:

(الأول) هل السحر حقيقة وقوعه ووجوده أم لا.

(الثاني) أنواعه.

(الثالث). حكم متعلقه إن عمل به أو لم يعمل.

(الرابع) عقوبته شرعًا ووعيدًا.

١٥٢- والسحر[١] حق وله تأثير ::: لكن بما قدره القدير

١٥٣- أعني بذا التقدير ما قدره ::: في الكون لا في الشرعة المطهره

هذا هو البحث الأول حقيقته وتأثيره (**والسحر حق**) يعني متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجودًا حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمرًا وخبرًا، وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجودًا في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبي الله موسى رضى الله عنه في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم:{إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ} [الشعراء: ٣٤] إلى قوله:{يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾} [الشعراء: ٣٧] وقال تعالى عن السحرة:{فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦]

(١) السحر لغة: قال الأزهري: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وفي المعجم الوسيط: السحر ما لطف مأخذه ودق.
وفي الاصطلاح: قال ابن القيم رحمه الله: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها.

وقال تعالى فيهم:{فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾} [طه: ٦٦ - ٦٩] يقال إنهم كانوا سبعين ألفًا مع كل واحد منهم حبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصى فرآها الناس حيات عظامًا ضخمًا وذلك قوله تعالى:{سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦] وقوله:{يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ} [طه: ٦٦] قال تعالى:{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ} [طه: ٦٧ - ٦٩] يعني العصا:{تَلْقَفْ} [طه: ٦٩] تبتلع:{مَا صَنَعُوٓاْ} [طه: ٦٩] أى السحرة أى ما اختلفوا وائتفكوا من الزور والتخييل، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى:{فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الأعراف: ١١٧] وهون الله أمرهم على نبيه موسى رضى الله عنه بقوله سبحانه:{إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ} [طه: ٦٩] مكره وخداعه:{وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ} [طه: ٦٩]،{ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾} [الأعراف: ١١٨ - ١١٩] إلى آخر الآيات.

وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم رضى الله عنه أنهم قالوا لنبيهم رضى الله عنه :{إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: ١٥٣] وكذا قال قوم شعيب له رضى الله عنه :{إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: ١٥٣] وقالت قريش لنبينا محمد ﷺ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في غير موضع بل ذكر الله عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسلهم فقال تعالى:{كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ} [الذاريات: ٥٢ - ٥٣] الآية.

قال سبحانه في ذم اليهود:{وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢} [البقرة: ١٠١ - ١٠٢] وقال تعالى:{وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤} [الفلق: ٤] والنفاثات هن السواحر يعقدن وينفثن.

والمقصود أنه قد ثبت بهذه النصوص وغيرها ما سنذكر ومما لا نذكر أن السحر حقيقة وجوده.

(**وله تأثير**) فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه (**لكن**) تأثيره ذلك إنما هو (**ما قدره القدير**) سبحانه وتعالى،أى بما قضاه وقدره، وخلقه عندما يلقي الساحر ما ألقى، ولذا قلنا (**أعني بذا التقدير**) في قولـه بما (**قدره القدير**) وما قد قدره في الكون وشاءه (**لا**) أنه أمر به (**في الشرعة**) التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه (**المطهرة**)، من ذلك وغيره كما تقدم أن القضاء والأمر والحكم والإرادة كل منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكوني يشمل ما يرضاه الله ويحبه شرعًا وما لايرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعي يختص بمرضاته سبحانه وتعالى ومحابه، ولهذا قال تعالى في الشرعي:{يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ} [البقرة: ١٨٥] وقال عز وجل :{وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ} [الزمر: ٧] فأخبر تعالى أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وأنه يرضى لهم الشكر ولا يرضى لهم الكفر مع كون كل من العسر

واليسر والشكر والكفر واقع بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه ومشيئته، قال الله تعالى:{ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾} [الزمر: ٦٢] وقال تعالى:{إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩] والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعًا ولا ضرّا وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه وتكوينه، لأنه تعالى خالق الخير والشر، والسحر من الشر، ولهذا قال تعالى:{فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ} [البقرة: ١٠٢] وهو القضاء الكوني القدري، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعًا، وقد ثبت في الصحيحين من طرق عن عائشة رضى الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشئ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عز وجل ودعاه ثم قال:{**أشعرت يا عائشة، إن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه**} قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال:{**جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ماوجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن العاص اليهودي من بني زريق، قال: فبماذا؟ قال: مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أروان، قال فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليهما وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين**} قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال:{**لا، أما أنا فقد عافاني الله** عز وجل **وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شرًّا**} وأمر بها فدفنت، وفي رواية قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا قال وفيم؟ قال في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر - ذروان وذكره(١) - هذا لفظ البخاري.

المشاطة ما يخرج من الشعر، والمشط أسنان ما يمشط به، والمشاقة من

(١) (صحيح) سبق تخريجه.

مشاقة الكتان، وجف طلعة غشاؤها وهو الوعاء الذي يكون فيه الطلع، تحت راعوفة هو حجر يترك في البئر عند الحفر ثابت لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقي، وقيل حجر على رأس البئر يستقي عليه المستقي، وقيل حجر بارز من طيها يقف عليها المستقي والناظر فيها، وقيل في أسفل البئر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعه لصلابته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال المازري رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابته خلافًا لمن أنكر ذلك في حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذ كر مافيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضًا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الإجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوي قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة.

قال: ومن أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه أن أمور

الدنيا مالا حقيقة لـه، وقد قيل: إنه أنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة لـه، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قولـه في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أى يظهر لـه من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ماجاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة ولا طعنًا لأهل الضلالة والله أعلم. ا هـ.

قلت: قول المازري خلافًا لمن أنكر ذلك.

قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: أجمعوا على أن السحر لـه حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة لـه عنده، ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وعندنا أن السحر حق ولـه حقيقة يخلق الله عنده من ما يشاء خلافًا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويه وتخييل. اهـ.

قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانًا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عزوجل ولا غير ممكن،

فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقى الساحر ما ألقى امتحانًا وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولاً غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم... وبالله التوفيق.

١٥٤- واحكم على الساحر بالتكفير ::: وحده القتل بلا نكير

١٥٥- كما أتى في السنة المصرحة ::: مما رواه الترمذي وصححه

١٥٦- عن جندب وهكذا في أثر ::: أمر بقتلهم روي عن عمر

١٥٧- وصح عن حفصة عند مالك ::: ما فيه أقوى مرشد للسالك

هذا هو البحث الثاني وهو حكم الساحر (**واحكم على الساحر**) تعلَّمه أو علَّمه، عمل به أو لم يعمل (**بالتكفير**) أى بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور **منها**: سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم:{وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾} [البقرة: ١٠١] سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية كما قال الربيع بن أنس وغيره: إن اليهود سألوا محمدا ﷺ زمانًا عن أمور التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل :{وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢] الآيات.

ومنها: قولـه:{وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ } تتقوله وتزوره:{عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ } أى

في ملكه وعهده، ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد لـه والعمل به عوضًا عما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر، وهو من عبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر، وقد سمى الله تعالى طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، سمى ذلك عبادة وأنه اتخاذ لهم أربابًا من دون الله فقال تعالى:{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } [التوبة: ٣١] الأية، قال عدي بن حاتم رضى الله عنه حين سمع رسول الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبدهم، قال:{**أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه**}؟ قال بلى، قال:{**فتلك عبادتكم إياهم**}(١) ولهذا قال تعالى بعدها:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ } [التوبة: ٣١] فإذا كان هذا في طاعة الأحبار والرهبان فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي، فهل فوق هذا الشرك من كفر؟:{سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} [الطور: ٤٣] وعبادة الشيطان هي اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال ودعا إليه كما قال عز وجل فيه:{إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ } [فاطر: ٦] وكما يقول للمجرمين يوم القيامة:{ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢} [يس: ٦٠ - ٦٢].

ومنها: قولـه تعالى:{وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ } [البقرة: ١٠٢] برأ الله سبحانه وتعالى نبيه رضى الله عنه من الكفر، وهذا الذي برأه تعالى منه هو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئًا من الكفر كله معصومًا مما هو دونه، لكن سياق الآية

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٠٩٥] سنن البيهقي الكبرى [٢٠١٣٧] المعجم الكبير للطبراني [١٣٦٧٣] وعلته: غطيف بن أعين: ضعيف.
وعند البيهقي في الكبرى [٢٠١٣٨] موقوفا على حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، ولكن سنده ضعيف، فهو من رواية: حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري (سعيد بن فيروز) عن حذيفة ﷺ. وحبيب هذا: ثقة مدلس وقد عنعن، ورواية أبي البختري عن حذيفة مرسلة.

في خصوص السحر وأنه برئ منه، ولو فوض وجود عمله به لكفر لأنه شرك والشرك أقبح الذنوب وأعظم المحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رسله سليمان وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم:{ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾} [الأنعام: ٨٨] وهذا معلوم من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان رضى الله عنه، فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية كما قال مجاهد رحمه الله تعالى في هذه الآية:{وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ } [البقرة: ١٠٢] قال: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها فأرسل سليمان رضى الله عنه إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر، وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان سليمان رضى الله عنه يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا نعم قالوا فإنه في بيت خرانته وتحت كرسيه فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به، فقال أهل الحجاز - يعني اليهود من أهل الحجاز - كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ براءة سليمان رضى الله عنه فقال تعالى:{وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ } [البقرة: ١٠٢].

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان ابن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه

تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعدَّه فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعم أن بن داود كان نبيّا، والله ما كان إلا ساحرًا.

وأنزل الله تعالى في ذلك:{وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢] (١) الآية.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به، قال فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس، فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ :{وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ} (٢) وتفاسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جدّا، وما كان منه إسرائيليّا فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبي الله سليمان وأكفروه به وسبوه، وخاصموا به محمدًا رسول الله ﷺ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فبين الله تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرَّأ نبيه سليمان رضى الله عنه مما ائتفكوه وأقام الحجة عليهم في بطلان ما انتحلوه فلله الحمد والمنة.

---

(١) (سنده ضعيف جدا مرسل) الطبري في تفسيره [ج١ - ص ٤٩١] من حديث ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي: من أهل العلم من كذبه، وهو من قول محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة.

(٢) (سنده حسن) تفسير ابن أبي حاتم [٩٨٢].

ومنها: قولـه تعالى:{وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ} [البقرة: ١٠٢] كذب الله تعالى اليهود فيما نسبوه إلى نبيه سليمان رضى الله عنه بقولـه:{وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ } وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر لأن السحر كفر، ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر فقال تعالى:{وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ} وكذلك كل من تعلم السحر أو علمه أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس، إذا لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجه، عنه روى وبه تخرج وإياه اتبع، ولهذا قال تعالى في الملكين:{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ } [البقرة: ١٠٢] فبين تعالى أنه بمجرد تعلمه يكفر سواء عمل به وعلمه أولا، وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: فإذا أتاهما الآتي مريد السحر نهياه أشد النهي قالا لـه: إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر، قال فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا فإذا أتى عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعًا في السماء فيقول: يا حسرتاه ويا ويله ماذا صنع.

وروى إليه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله تعالى أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدًا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، وقال قتادة كان أخذ عليهما أن لا يعلما أحدًا حتى يقولا:{إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ} أى بلاء ابتلينا به:{فَلَا تَكۡفُرۡ } (١) وقال السدي إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه وقالا لـه: لا تكفر إنما نحن فتنة، فإذا أبى قالا لـه: ائت هذا الرماد فبلْ عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك

---

(١) وقولـــه تعالى على لسان الملكين (إنما نحن فتنة فلا تكفر) صريح في بيان أن السحر كفر فإنهما أي الملكين قالا: فلا تكفر أن بتعلمك السحر واعتقادك فيه.

غضب الله، فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله تعالى:{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } [البقرة: ١٠٢] الآية، وعن ابن جريج في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلا كافر، والفتنة هي المحنة والاختبار.

ومنها: قوله تعالى:{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ} [البقرة: ١٠٢] يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا يدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلاقًا، ولا يدخل الحنة إلا نفس مؤمنة، ثم قال تعالى:{وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٠٢].

ومنها: قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ } [البقرة: ١٠٣] يعنى **بمحمد** ﷺ والقرآن:{وَٱتَّقَوْا۟ } بالسحر وسائر الذنوب:{لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٠٣] وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفى الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتقى، إنما قال تعالى ذلك لمن كفر وفجر وعمل بالسحر واتبعه وخاصم به رسوله ورمى به نبيه ونبذ الكتاب وراء ظهره، وهذا ظاهر لا غبار عليه والله أعلم، وقد صرح بذلك أئمة السلف من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القدر الذي يصير به كافرًا، والصحيح أن السحر المتعلم من الشياطين كله كفر قليله وكثيره كما هو ظاهر القرآن.

(وحدّه) أى حد الساحر **(القتل)** ضربة بالسيف **(بلا نكير)** بل هو ثابت بالكتاب من عموم النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم **(كما أتى)** ثابتًا في **(السنة المصرحة)** الثابتة عن النبي ﷺ **(مما رواه الترمذي)** محمد بن عيسى بن سوره بمهملتين ابن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي الحافظ الضرير أحد الأعلام وصاحب الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم من جامعه وغيره، وعنه محمد بن إسماعيل السمرقندي وحماد بن شكر أبو العباس

محمد بن أحمد المحبوبي راوي الجامع والهيثم بن كليب وخلق من أهل سمرقند ونسف وتلك الديار، وقال ابن حبان كان ممن جمع وصنف، قال أبو العباس المستغفري مات سنة تسع وسبعين ومائتين، مرفوعًا (**وصححه**) موقوفًا (**عن جندب**) هو ابن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي أو العلقي لـه ثلاثة وأربعون حديثًا اتفقا على سبعة وانفرد مسلم بخمسة، روى عنه الحسن وابن سيرين وأبو مجلز، مات بعد الستين، وقال رحمه الله تعالى:{**باب ما جاء في حد الساحر حدثنا أحمد بن منيع أبو معاوية حدثنا عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ حد الساحر ضربه بالسيف**}[1] هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن أيضًا والصحيح عن جندب موقوفًا والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم ير عليه قتلاً، ويعني بقولـه ما يبلغ الكفر أى ما كان فيه اعتقاد التصرف لغير الله وصرف العبادة لـه كما يفعله عباد هياكل النجوم من أهل بابل وغيرهم والله أعلم (**وهكذا في أثر، أمر بقتلهم**) يعني السحرة (**روي عن عمر**) ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي أبي حفص المدني أحد فقهاء الصحابة ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأول من سمي أمير المؤمنين، لـه خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثًا اتفقا على عشرة وانفرد البخاري في تسعة ومسلم بخمسة عشر، وعنه أبناؤه عبد الله وعاصم وعبيد الله وعلقمة بن أبي وقاص وغيرهم، شهد بدرًا والمشاهد والمواقف، وولي أمر الأمر بعد أبي بكر

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [١٤٦٠] سنن الدارقطني [١١٢] به: إسماعيل بن مسلم المكي: ضعيف. وبه الحسن البصري: وهو مدلس وقد عنعن.

رضى الله عنه وفتح في أيامه عدةٌ أمصار، أسلم بعد أربعين رجلاً، عن ابن عمر رضى الله عنه مرفوعًا:{**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**}(١)ولما دفن قال ابن مسعود رضى الله عنه : ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم، استشهد في آخر سنة ثلاث وعشرين ودفن في أول سنة أربعة وعشرين في الحجرة النبوية وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه صهيب، ومناقبه جمة قد أُفردت في مجلدات، وهذا الأثر المشار إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل الشيباني ومحمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله تعالى قالا: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقتلنا ثلاث سواحر(٢).

(**وصح**) نقلاً (**عن حفصة**) بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين رضى الله عنها (**عند مالك**) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي أبي عبد الله المدني أحد الأعلام في الإسلام وإمام دار الهجرة، ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به ثلاث سنين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى ورضي عنه (**ما**) أى الذي(**فيه أقوى**) دليل (**مرشد للسالك**) وهو ما رواه في موطأه في باب: ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت(٣)، قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره، هو مثل الذي قال الله تعالى في كتابه:{وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ} [البقرة: ١٠٢] فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه. ا هـ.

---

(١) (سنده حسن) الترمذي [٣٦٨٢] أحمد في المسند [٥١٤٥].
(٢) (سنده صحيح) أحمد [١٦٥٧] معرفة السنن والآثار للبيهقي [٥٢٤٩] أبو داود [٣٠٤٣] مسند أبي يعلى [٨٦١] مسند البزار [١٠٦٠].
(٣) (مرسل) موطأ مالك [١٥٦٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، وقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى! ورآه رجل من صالح المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال: إن كان صادقًا فليحي نفسه، وتلا قوله تعالى:{أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ } [الأنبياء: ٣] فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه، والله أعلم[١]، وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيي بن سعيد حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله، قال أراه كان ساحرًا، وحمل الشافعي رحمه الله تعالى قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:

فصل: وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيي بن محمد بن هبيرة رحمه الله تعالى فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعمله ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله

(١) (سنده رواته ثقات) البيهقي في الكبرى [١٦٢٧٩] وبه ابن لهيعة، ولكن الراوي عن عبد الله بن وهب، وروايته عنه مستقيمة.
الرجل الذي قتله هو جندب بن كعب، انظر القصة في: أسد الغابة لابن الأثير في ترجمة جندب بن كعب (١ /٣٦١)وفي الإصابة للحافظ ابن حجر (١/ ٢٥١).

واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا، فأما إن قُتل بسحره إنسان فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا، يقتل حتى يتكرر منه بذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذًا فإنه يقتل حدّا عندهم، إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصًا، قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه: لا تقبل، وقال الشافعي وأحمد في الرواية: يقبل، وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر إذا كان مسلمًا، وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعفى عنه لقصة لبيد بن الأعصم، واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل والله أعلم، وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال: قرأ على أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل: عمر بن هارون أخبرنا يونس عن الزهري قال: يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين؛ لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها، وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال في الذمي: يقتل إن قتل سحره، وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر أحدًا: الأولى أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل، والثانية أنه يقتل وإن أسلم، وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفرًا كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى:{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ } [البقرة: ١٠٢] لكن قال مالك: إذا ظُهر(١) عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائبًا قبلناه، فإن قَتَل بسحره قتل، قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطيء عليه الديه.

١٥٨- هذا ومن أنواعه وشعبه ::: علم النجوم فادر هذا وانتبه

---

(١) (إذا ظهر عليه) يعني علم أمره قبل أن يعلن توبته لم تقبل؛ لأنه غالبا لو علم أنه سيقتل سيقول إني تائب.

هذا هو البحث الرابع وهو (**بيان أنواعه**) فمنها علم التنجيم وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتًا لأجلها وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباسًا خاصًا وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناسًا خاصة، لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتًا مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون، وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها، وإياهم خاطب فيها حكى الله عنهم متحديًا لـه مبينًا سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾} [الأنعام: ٧٥ - ٧٨] إلى آخر الآيات.

ومنها ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعًا معروفًا عنده، ويطرح منها طرحًا خاصًا، ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراج الإثني عشر المعروفه عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك ويفرق بين المرء وزجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم، وقد يتحكم في الغيب فيدَّعي أن هذا يولد لـه وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيا وهذا يكون فقيرًا، وهذا يكون شريفًا وهذا وضيعًا وهذا محببًا وهذا مبغضًا، كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله لا يدريه الملك الذي يكتب ذلك حتي يسأل ربه أذكر أم

أنثى شقي أم سعيد ما الرزق وما الأجل، فيقول لـه فيكتب، وهذا الكاذب المفتري يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدّعي أنه يدركه بصناعة اخترقها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه واعتقده فيه كفر والعياذ بالله.

ومنها: النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفردًا، ولـه تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقًا، ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء وسيأتي الحديث فيه عند ذكره في المتن إن شاء الله وبه الثقة.

ومنها: النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته، وأن في تلك سعودًا أو نحوسًا وتأليفًا وتفريقًا وغير ذلك، وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادَّة لله ورسوله، وتكذيب بشرعه وتنزيله، واتباع لزخارف الشيطان ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجم مخلوق من المخلوقات مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن، مسبوقا بالعدم المحض متعقبًا به ليس لـه تأثير في حركة الكون ولا سكون لا في نفسه ولا في غيره، قال الله تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾} [فصلت: ٣٧] وقال تعالى:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾} [يس: ٣٧ - ٤٠]

وقال تبارك وتعالى:{ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)} [الفرقان: ٦١ - ٦٢] وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)} [الأنعام: ٩٧] وقال تعالى:{وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)} [النحل: ١٦] وقال سبحانه:{إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)} [الصافات: ٦ - ١٠] وقال تعالى:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ} [الملك: ٥] وقال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ} [يونس: ٥] وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى في ذهابها وفنائها وعودها إلى العدم كما أوجدت بعد العدم:{إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٢)} [التكوير: ١ - ٢] وقال تعالى:{وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢)} [الانفطار: ٢] وقال سبحانه:{وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩)} [القيامة: ٨ - ٩].

وروى ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى عن قتادة الإمام في التفسير وغيره قال رحمه الله تعالى: إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال، جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم لـه به، وإن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا،ومن ولد نجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه:{لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } [النمل: ٦٥]

وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقًا[1].

وقال أبو داود - رحمه الله تعالى - في كتاب الطب من سننه:{**باب في النجوم**} حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد المعنى، قالا حدثنا يحيى عن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد**}[2] وذكر حديث النوء.

وروى عبد بن حميد عن رجاء بن حَيْوة أن النبي ﷺ قال:{**إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وحيف الأئمة**}[3].

وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعًا:{**أخاف على أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقدر**}[4].

وروى أبو يعلى وابن عدي عن أنس رضى الله عنه مرفوعًا:{**أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمانًا بالنجوم**}[5].

وروى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعًا:{**رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس لـه عند الله خلاق يوم القيامة**} ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ:{**رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس**

---

(١) (سنده صحيح) الطبري في تفسيره [ج٧ - ص ٥٧١] تفسير ابن أبي حاتم [١٧٢٩٤] العظمة لأبي الشيخ [٧٠٢٢٣].

(٢) (سنده حسن) أبو داود [٣٩٠٥] ابن ماجة [٣٧٢٦] أحمد [٢٠٠٠] (من اقتبس) تعلم. (شعبة) أي قطعة. (زاد ما زاد) أي زاد من السحر ما زاد من النجوم.

(٣) (مرسل) الإبانة الكبرى لابن بطة [ج٢/ ١٥٢٩].

(٤) (سنده ضعيف) تاريخ دمشق لابن عساكر [ج٥٨/ص ٤٠١] معرفة الصحابة لأبي نعيم [٦٣٨٧] جامع بيان العلم وفضله [٩٤٠] علته: سعيد بن المرزبان العبسى، أبو سعد البقال: ضعيف، وقال أحمد: منكر الحديث. وبه: على بن يزيد بن سليم الصدائى: لين الحديث.

(٥) (سنده ضعيف) أبو يعلى [٤١٣٥] وابن عدى [٨٩٤، ترجمة: شهاب بن خراش] فيه: يزيد الرقاشى: وهو ضعيف. (خَصْلَتين): مفردها: خَصْلة: وتطلق على الفَضِيلة والرَّذِيلة، وقد غلبت على الفضيلة.

لـه عند الله خلاق}[١].

ومن أنواع السحر زجر الطير والخط بالأرض[٢] قال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عوف حدثنا حيان - قال غير مسدد: حيان بن العلاء - حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{العيافة والطيرة والطرق من الجبت}**[٣] ورواه أحمد في مسنده.

والجبت هو السحر قاله عمر رضى الله عنه وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم، وعن ابن عباس وغيره أيضًا الجبت الشيطان، ولا ينافي الأول لأن السحر من عمل الشيطان، وعنه أيضًا الجبت الشرك، وعنه الجبت الأصنام، وعنه الجبت حيي بن أخطب، وعن الشعبي الجبت كاهن، وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف، ولا منافاة أيضًا فإن

---

(١) (سنده ضعيف جدا) المعجم الكبير [١٠٩٨٠] علته: خالد بن يزيد أبو الهيثم العمري المكي: كذبه أبو حاتم ويحيى بن معين، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الأثبات.
قلتُ: وهذا الأثر عند ابن أبي شيبة في مصنفه [٢٥٦٤٨] بسند حسن موقوفا على ابن عباس رضــى الله عنه ولفظه (إن قوما ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد، قال: أرى أولئك قوما لا خلاق لهم).
قال المناوي في فيض القدير [٤٤٠٨] (رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم) أي يتلو علمها ويقرر درسها (ليس له عند الله خلاق) أي حظ ولا نصيب (يوم القيامة) الذي هو يوم الجزاء وأعطى كل ذي حظ حظه لانشغاله بما فيه اقتحام خطر وخوض جهالة وأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يعني وتضييع للعمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة وذلك غاية الخسران. انتهى.
(حروف أبي جاد) تعلمها لمن يدعي بها معرفة علم الغيب هو الذي يســمى علم الحرف. ولبعض المبتدعة فيه مصنف.

(٢) هو ما يســمونه بخط الرمل، وهو ذائع بين أهل العصــر، ويتعيش عليه كثير من المتكهنين، يخدعون بـه الجهلـة، بزعمهم أنهم يعلمون الغيب، ومثلـه ما يســمونه (قراءة الكف، وقراءة الفنجان) فكل ذلك دجل وخداع، وعلى المسلم أن ينأى عن كل ذلك، نسأل الله العفو والعافية.

(٣) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره [٥٤٨٠] أبو داود [٣٩٠٧] أحمد [١٥٩٥٦] علته: حيان بن العلاء: مقبول، كما في التقريب، الطرق: الضرب بالحصى الذى يفعله النساء وقيل هو الخط في الرمل. العيافة: زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها.

السحر من الشرك الذي يشمله عبادة غير الله، وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ممن خاصم رسول الله ﷺ بالسحر، والكاهن عامل بالسحر، وقال في القاموس: الجبت بالكسر الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله عزوجل.

ومن أنواعه العقد والنفث فيه قال الله تعالى:{ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾} [الفلق: ٤] وقد تقدم حديث عائشة في قصة لبيد بن الأعصم، وقد ثبت في حديث نزول المعوذتين ورقية جبريل النبي ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آية انحلت عقدة، وقال النسائي - رحمه الله تعالى - في كتاب تحريم الدم من سننه:{**الحكم في السحرة**}أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا عباد ابن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :{**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه**}[1].

وقد أطلق السحر على ما فيه التخييل في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله قال:{**إن من البيان لسحرًا**} [2] يعني لتضمنه التخييل فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه.

---

(١) (سنده ضعيف) النسائي في سننه [٤٠٩٠] به: عباد بن ميسرة المنقرى: لين الحديث، والانقطاع، فالحديث من رواية الحسن عن أبي هريرة، والحسن مدلس وقد عنعن.

(٢) (صحيح) البخاري [٤٨٥١] (البيان) الفصاحة واللسن في القول وتحسينه. (سحرا) ما يشبه السحر من حيث جلب القلوب والغلبة على النفوس والتأثير عليها.

وكذلك قال ﷺ :{**إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم لـه على نحو ما أسمع، فمن حكمت لـه من حق أخيه بشيء فإنما هو قطعة من النار**}[1] أو كما قال، وهو في الصحيح.

وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وقد سمى ﷺ مايعمل عمل ذلك السحر سحرًا وإن لم يكن سحرًا كقولـه ﷺ :{**ألا أنبئكم ما العضة، هي النميمة، القالة بين الناس**}[2] رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه والعضة، في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسمى النميمة سحرًا؛ لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرها من المتحابين بل هي أعظم في الوشاية لأنها تثير العداوة بين الأخوين، وتسعر الحرب بين المتسالمين كما هو معروف مشاهد لا ينكر.

وقد جاء الوعيد للقتات في الآيات والأحاديث كثيرًا جدًّا، مع هذا فالخداع للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهاد وأنفعه وأشده نكاية فيهم كما فعله نعيم بن مسعود الغطفاني رضى الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب بإذن رسول الله ﷺ حتى فرق بين قريش وبين يهود بن قريظة ونقض الله بذلك ما أبرموه ولله الحمد والمنة [3].

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٦٥٦٦] مسلم [١٧١٣] (ألحن) معناه أبلغ وأعلم بالحجة (فإنما هو قطعة من النار) معناه إن قضيت له بظاهر يخالف الباطن فهو حرام يؤدي به إلى النار.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٦٠٦] من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(٣) انظر سيرة ابن هشام [ج٤ - ص ١٨٨].

١٥٩- وحله بالوحي نصًّا يشرع ::: أما بسحر مثله فيمنع

(وحله) ويعني حل السحر عن المسحور (**بـ**) الرقي والتعاويذ والأدعية من (**الوحي**) الكتاب والسنة (**نصًا**) أى بالنص (**يشرع**) كما رقي جبريل النبي ﷺ بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديث الرقي المتقدمة في بابها التي أمر بها الشارع ﷺ وندب إليها، ومن أعظمها فاتحة الكتاب وآية الكرسي والمعوذتان وآخر سورة الحشر، فإن ضم إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ من الشياطين مطلقًا والآيات التي يتضمن لفظها وإبطال السحر كقولـه تعالى:{ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾} [الأعراف: ١١٨ - ١١٩] وقولـه عز وجل:{مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ } [يونس: ٨١] وقولـه تعالى:{إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ} [طه: ٦٩] ونحوها كان ذلك حسنًا، ومثل الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثير منها في باب الرقي، كحديث:{**ربنا الله الذي في السماء، تبارك اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ**}(١) رواه أبو داود وكحديث عثمان بن أبي العاص أنه قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ :{**امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شر ما أجد**} قال ففعلت فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم(٢)، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وكتب السنة من الأمهات وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن الله عز وجل، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

---

(١) (سنده ضعيف جدا) أبو داود [٣٨٩٣] والنسائي الكبرى [١٠٨٧٦]، وبه: زيادة بن محمد: منكر الحديث، وانظر الدعوات الكبير للبيهقي [٤٨٩] من تحقيقي، فقد ذكرت شواهده وعلله هناك.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٢٠٢] أبو داود [٣٨٩١] واللفظ لأبي داود.

(**أما**) حل السحر عن المسحور (**بسحر مثله فيحرم**) فإنه معاونة للساحر وإقرار لـه على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر، ولما قيل للنبي ﷺ : لو تنشرت، فقال:{**أما أنا فقد شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أثير على الناس شراً**}.

وقال أبو داود في كتاب الطب من سننه:{**باب في النشرة**} حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا عقيل بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال:{**هو من عمل الشيطان**}[1].

ولهذا ترى كثيرًا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه ليضطره بذلك إلى سؤاله حله يتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينهم.

١٦٠- ومن يصدق كاهنا فقد كفر ::: بمأتى به الرسول المعتبر

(**ومن يصدق كاهنًا**) يعتقد بقلبه صدقه في ما ادعاه من علم المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها (**فقد كفر**) أى بلغ دركة الكفر بتصديقه الكاهن (**بما أتى به الرسول**) محمد ﷺ عن الله عز وجل من الكتاب والسنة وبما أتى به غيره ﷺ من الرسل عليهم السلام، ولنسق الكلام أولاً في تعريف الكاهن من هو ثم في بيان كذبه وكفره ثم في كفر من صدقه بما قال والله المستعان، فنقول: الكاهن في الأصل هو من يأتيه الرئي من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم كما قال الله تعالى:{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾} [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣] وهذه الآيات

---

(١) *(رواته ثقات) أبو داود [٣٨٦٨] أحمد [١٤١٦٧].*

متعلقة بما قبلها وهي قولـه عز وجل لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهن وقالوا في القرآن كهانة وأنه مما يلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه:{وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] إلى أن قال تعالى:{وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾} [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

فأثبت الله تعالى أن القرآن كلامه وتنزيله، وأن جبريل رضى الله عنه رسول منه مبلغ كلامه إلى الرسول البشري محمد ﷺ، وهو مبلغ لـه إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون عليه فقال وما تنزلت به الشياطين وقرر انتقاء ذلك بثلاثة أمور:

الأول: بعد الشياطين وأعمالهم عن القرآن، وبعده وبعد مقاصده منهم، فقال تعالى:{ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ } [الشعراء: ٢١١] لأن الشياطين مقاصدها الفساد والكفر والمعاصي والبغي والعتو والتمرد وغير ذلك من القبائح، والقرآن آت بصلاح الدنيا والآخرة، آمر بأصول الإيمان وشرائعه مقرر لها مرغب فيها زاجر عن الكفر والمعاصي ذام لها متوعد عليها آمر بالمعروف ناه عن المنكر، ما من خير آجل ولا عاجل إلا وفيه الدلالة عليه والدعوة إليه والبيان لـه، وما من شر عاجل ولا آجل إلا وفيه النهي عنه والتحذير منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟

الثاني: عجزهم عنه فقال تعالى:{وَمَا يَسْتَطِيعُونَ } [الشعراء: ٢١١] أى لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلام رب العالمين ليس يشبه كلام شيء من المخلوقين، وليس في وسعهم الإتيان به ولا بسورة من مثله:{ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾} [الإسراء: ٨٨].

الثالث: عزلهم عن السمع وطردهم عن مقاعده التي كانوا يقعدون من السماء قبل نزول القرآن فقال تعالى:{إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾} [الشعراء: ٢١٢] فبين تعالى - مع كونه لا ينبغي لهم - أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لامن عند أنفسهم ولا نقلا عن غيرهم من الملائكة، نفى عنهم الأول بعدم الاستطاعة، والثاني بعزلهم عن السمع وطردهم منه، قال الله عز وجل :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩] إلى قولـه:{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾} [الحجر: ١٦ - ١٨] وقال تعالى:{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾} [الصافات: ٦ - ١٠] وقال تعالى:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك: ٥] وقال تعالى عن مؤمني الجن رضى الله عنه :{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾} [الجن: ٨ - ١٠].

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بينا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو ﷺ بنخل عامدًا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا لـه وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا:{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾} [الجن: ١ - ٢]

فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ :{قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ} [الجن: ١] وهذا الحديث بطولـه وطرقه في الصحيحين وغيرهما(١).

ثم قال تعالى في جواب الكفار مبينًا لهم أولياء الشياطين الذين تنزل عليهم فقال تعالى:{هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾} [الشعراء: ٢٢١] الآيات.

وفي صحيح البخاري قالت عائشة رضى الله عنها : سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال:{**إنهم ليسوا بشيء**} قالوا يارسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقًّا، فقال النبي ﷺ :{**تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**}(٢).

ولـه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ :{**قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقولـه كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أو ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**}(٣) ولمسلم عن ابن عباس نحوه.

وللبخاري عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال إن:{**الملائكة تحدّث في العَنان - والعنان الغمام - بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطين**

(١) (صحيح) البخاري [٧٣٩] مسلم [٤٤٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٧١٢٢] مسلم [٢٢٢٨] (يخطفها) معناه استرقه وأخذه بسرعة، (فيقرقرها) من القرقرة وهو الوضع في الأذن بالصوت، والقر الوضع فيها بدون صوت. (كقرقرة الدجاجة) أي كصوتها.
(٣) (صحيح) البخاري [٤٨٠٠] مسلم [٢٢٢٩] الصفوان: مثنى الصفاة وهى الصخرة الملساء.

الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة}(١).

وقد بين الله تعالى كذب الكاهن بقولـه:{أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الشعراء: ٢٢٢] فسماه أفَّاكًا وذلك مبالغة في وصفه بالكذب، وسمَّاه أثيمًا وذلك مبالغة في وصفه بالفجور، وقولـه:{وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ} [الشعراء: ٢٢٣] أى أكثر ما يقولون الكذب فلا يفهم منه أن فيهم صادقًا، يفسره قول النبي ﷺ فيكذب معها مائة كذبة فلا يكون صدقًا إلا الكلمة التي سُمعت من السماء.

وأما كفر الكاهن فمن وُجُوهٍ:

منها كونه وليًا للشياطين فلم يوح إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى:{وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ} [الأنعام: ١٢١] والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولونه، قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ} [البقرة: ٢٥٧] وهذا وجه ثان، والثالث قولـه تعالى:{يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ} أى نور الإيمان والهدى:{إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ} أى ظلمات الكفر والضلالة، وقال تعالى:{وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا} [النساء: ١١٩] وهذا وجه رابع، والخامس تسميته طاغوتًا في قولـه عز وجل :{يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا} [النساء: ٦٠] نزلت في المتحاكمين إلى كاهن جهينة، وقولـه:{وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ} أى بالطاغوت، وهذا وجه سادس، والسابع أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب رضى الله عنه لم يأته رئيه بعد أن دخل في الإسلام، فدل

(١) (صحيح) البخاري [٣١١٤] (فتقرها) يقال قررت الكلام في أذن الأصم إذا وضعت فمك على صماخه فتلقيه فيه. (الكاهن) هو الذي ينظر في النجوم ويدعي معرفة أخبار المستقبل. (كما تقر القارورة) أي كما يطبق رأس القارورة على رأس الوعاء الذي يفرغ منها فيه والقارورة الزجاجة. وقيل يلقيها فتستقر في أذنه كما يستقر الشيء في قراره.

أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه، حتى إنه رضى الله عنه كان يغضب إذا سئل عنه حتي قال لـه عمر رضى الله عنه : ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم(١)، الثامن وهو أعظمها تشبه بالله عز وجل في صفاته ومنازعته لـه تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب(٢) من صفات الربوبيه التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه فلا سميَّ لـه مضاهي ولا مشارك:{۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ} [الأنعام: ٥٩]، قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾} [النمل: ٦٥]، عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾} [الجن: ٢٦ - ٢٧]،{ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾} [الطور: ٤١]، أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾} [النجم: ٣٥] ولسان حال الكاهن وقاله يقول نعم، التاسع أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، العاشر النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول فكيف به هو نفسه فيما ادعاه، فقد روى الأربعه والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضى الله عنه :{**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر**(٣) **بما أنزل على محمد** ﷺ }(٤) وعن عمران بن حصين رضى الله عنه :

---

(١) (سنده ضعيف جدا) معجم أبي يعلى الموصلي [٣٢٣] الحاكم في المستدرك [٦٥٥٨] الطبراني في الكبير [٦٤٧٥] دلائل النبوة للبيهقي [٥٤٩] دلائل النبوة للأصبهاني [١٤٤] وبه: عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي: متروك الحديث.

(٢) والحق أنه لا يعلم الغيب إلا كما أخبر النبي ﷺ، كلمة يسمعها من الملأ الأعلى نقلا عن شيطانه ثم يخلط معها مائة كذبة، والغالب في الكهان أنه يقع لـه من تآلف روح الشيطان مع روح قرينه الإنسان الخبيث فيتناجيان الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر، وهكذا فإن لكل إنسان قرينا من الشيطان كما جاء ذلك في القرآن والسنة، فيخبر شيطان الإنس بما أوحى به شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله مما ألقاه إليه الشيطان القرين فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن صلاح وتقوى، وكرامات، وهذا من أضل الضلال، ومن أعظم الخذلان، وإن كثر أتباعه.

(٣) قولـه (فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) قال القرطبي: المراد بالمنزل الكتاب والسنة، وأشهر الروايتين عن أحمد بن حنبل أنه يتوقف فيه، فلا يقال يخرج عن الملة ولا يخرج.

(٤) (سنده حسن) أحمد [٩٥٣٢] أبو داود [٣٩٠٤] الترمذي [١٣٥] سنن النسائي الكبرى [٩٠١٧] ابن ماجة [٦٣٩] المستدرك [١٥] سنن الدارمي [١١٣٦].

{ليس منا من تطير أو تطير لـه، أو تكهن أو تكهن لـه، أو سحر أو سحر لـه، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ }[1].

ولمسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال:**{من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل لـه صلاة أربعين ليلة}**[2] فهذا حكم من سأله مطلقًا، والأول حكم من سأله وصدقه بما قال.

ثم اعلم أن الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرمال الذي يخط بالأرض أو غيرها، والمنجم الذي قدمنا ذكره أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على مسروق ومكان الضالة ونحوها أو المستقبلة كمجئ المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من طريق الوحي كما قال تعالى:{فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾} [الجن: ٢٦ - ٢٧] ملائكة يحفظونه من مسترقي السمع وغيرهم:{لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾} [الجن: ٢٨] فمن ذا الذي يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى عن نوح رضى الله عنه :{ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ } [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالى عن هود رضى الله عنه :{قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ} [الأحقاف: ٢٣] وقال لنبيه محمد ﷺ :{ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ } [الأنعام: ٥٠] وقال تعالى:{قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ } [الأعراف: ١٨٨] وقال تعالى:{ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ} [الأحقاف: ٩] الآية،

(١) (سنده حسن لغيره) الطبراني في الكبير [١٤٧٧٠] البزار في مسنده [٣٥٧٨].

(٢) (صحيح) مسلم [٢٢٣٠] (عرافا) العراف من جملة أنواع الكهان قال ابن الأثير: العراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به.

وقال تعالى عن الملائكة:{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [البقرة: ٣١ - ٣٢] الآيات، ولم يعلم الرسول ﷺ مكان راحلته حتى أعلمه الله بذلك، وقال في سؤال الحبر إياه فأجابه ﷺ وصدقه الحبر ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ :**{لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله** عز وجل **به}**(١) وهي في مسلم، وفيه قول عائشة رضى الله عنها لمسروق رحمه الله تعالى: ومن زعم أن رسول الله يخبر بما يكون في غد(٢) فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول:{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [النمل: ٦٥] (٣) ولم يكن ﷺ يعلم شيئًا من الرسالة حتى أتاه الله عزوجل به كما قال تعالى:{وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾} [الضحى: ٧] وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ} [الشورى: ٥٢] وقال تعالى:{تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا} [هود: ٤٩] وقال تعالى:{ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾} [يونس: ١٦] وقال تعالى:{وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: ١١٣].

(١) (صحيح) مسلم [٣١٥].

(٢) يعني من غير وحي، وإلا فهو سبحانه أخبر عن كثير من الغيب لكن بالوحي يأتيه من السماء، ومن تلقاء نفسه.

(٣) (صحيح) مسلم [١٧٧] الفرية: الكذب.

هذا فصل يجمع معنى حديث جبريل في تعليمنا الدين وإنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان والإحسان، وبيان كل منهم.

اعلم أن هذا الفصل مهم جدًا جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية، وهو معنى حديث جبريل في سؤاله النبي ﷺ وجوابه إياه، وهو حديث عظيم الشأن جليل كبير جامع نافع، سمي النبي ﷺ ما احتوى عليه " الدين " فقال:{**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**} وهو حديث مشهور في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو ذر وعبد الله بن عباس وأبو عامر الأشعري وغيرهم رضى الله عنه، وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التي فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

نسأل الله العظيم من فضله العظيم

حديث جبريل الحديث به عن عمر

فأما حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخرجه مسلم في أول جامعه: حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر. ح. وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه: حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنى، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قَدَر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخديه وقال:{**يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت، فعجبنا لـه يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن**

الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان}، قال ثم انطلق فلبثت مليّا ثم قال لي:{**يا عمر أتدري من السائل؟}** قلت: الله ورسوله أعلم، قال:{**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم}** [١].

حدثني محمد بن عبيد الغبري وأبوكامل الجحدري وأحمد بن عبدة قالوا: حدثنا حماد بن زيد عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: لما تكلم معبد بما تكلم به في شأن القدر أنكرنا ذلك، قال: فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حجة، وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس، وإسناده وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف[٢].

وحدثني محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا عثمان بن غياث حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالا: لقينا عبد الله ابن عمر رضى الله عنه فذكرنا القدر وما يقولون، فيه فاقتص الحديث كنحو حديثهم عن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ وفيه شيء من زيادة وقد نقص منه شيئًا[٣].

وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا يونس بن محمد حدثنا المعتمر عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ بنحو حديثهم[٤].

هذه طرقه في مسلم بكاملها، ولم يخرجه البخاري رحمه الله تعالى.

ورواه أبو داود من حديث كهمس فقال في كتاب السنة من سننه: حدثنا عبيد

---

(١) (صحيح) مسلم [رقم: ٨، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي] كتاب الأٌيمان.
(٢) (صحيح) مسلم [٨] كتاب الإيمان.
(٣) (صحيح) مسلم [٨] كتاب الإيمان.
(٤) (صحيح) مسلم [٨] كتاب الإيمان.

الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة فذكره، وفيه: لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه، وفيه: فلبثت ثلاثًا(١).

ومن حديث عثمان بن غياث فقال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثني عبد الله بن بريدة، وفيه: فذكر نحوه، وزاد: قال وسأله رجل من مزينة أو جهينة فقال: يا رسول الله فيم نعمل، أفي شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن؟ قال:{**في شيء قد خلا ومضى**}، فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال:{**إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار**} (٢).

ومن حديث سليمان بن بريدة عن ابن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص: قال فما الإسلام؟ قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة(٣).

ورواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه من مجتبي سننه فقال: باب نعت الإيمان، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال أنبأنا كهمس ابن الحسن، فذكر حديث عمر بن الخطاب كلفظ مسلم - ولم يذكر حميدًا ولم يذكر كلام يحيى بن يعمر ولا كلام ابن عمر قبله(٤).

رواه الترمذي في أبواب الإيمان فقال: باب ماوصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن، فذكر بمعنى لفظ مسلم غير أنه قال: فألزق ركبته بركبته ثم قال:{**يا محمد ما الإيمان؟ ثم قال: فما الإسلام؟ ثم قال: فما الإحسان؟ وفيه: كل ذلك يقول لـه: صدقت، قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه، قال: فمتى الساعة؟ وقال: فما أماراتها؟**}

(١) (إسناده صحيح) أبو داود [٤٦٩٥] كتاب السنة.
(٥) (إسناده صحيح) أبو داود [٤٦٩٦] كتاب السنة.
(٣) (إسناده صحيح) أبو داود [٤٦٩٧] كتاب السنة.
(٤) (إسناده صحيح) النسائي [٤٩٩٠] كتاب الإيمان، باب نعت الإسلام.

وفي آخره: فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال:{**يا عمر هل تدري من السائل؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**}، وفي نسخة:{**معالم دينكم**}.

حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا ابن المبارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الإسناد فحوه بمعناه.

حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا معاذ بن هشام عن كهمس بهذا الإسناد نحوه بمعناه.

وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه نحو هذا، عن عمر وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو عن ابن عمر عن النبي ﷺ [١].

ورواه ابن ماجة في باب الإيمان: حدثنا علي بن محمد حدثنا وكيع عن كهمس ابن الحسن فذكره كلفظ الترمذي، غير أنه لم يذكر حميدًا ولانفس القصة ولا كلام ابن عمر قبل الحديث وفيه: قال وكيع في قولـه:{**أن تلد الأمة ربتها**} يعني تلد العجم العرب[٢].

ورواه عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة، ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما نحن.. الحديث[٣].

والحاصل أن راويه عن عمر ابنه عبد الله وعنه يحيى بن يعمر وحميد الحميري، وعن يحيى بن يعمر عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان

---

(١) (إسناده صحيح) الترمذي [٢٦١٠] كتاب الإيمان.

(٢) (إسناده صحيح) ابن ماجة [٦٣] المقدمة، باب في الإيمان.

(٣) (إسناده صحيح) مسند أحمد بن حنبل [٣٦٧].

بن طرخان، وعن عبد الله بن بريدة كهمس ومطر الوراق وعثمان بن غياث، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبري والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون ثم اشتهر عن كل هؤلاء والله أعلم.

* * *

وأما حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه فهو الذي أشار إليه الترمذي وقد رواه الإمام أحمد من طرق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضى الله عنه : إنا نسافر في الآفاق فنلقي قومًا يقولون: لا قدر، فقال ابن عمر رضى الله عنه: إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد الله بن عمر منهم برئ وأنهم منه برآء (ثلاثًا) ثم إنه أنشأ يحدث: بينما نحن عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فذكر من هيئته، فقال رسول الله ﷺ :**{أُدْنُهُ فدنا، فقال أُدْنُهُ فدنا، فقال ادنه فدنا، حتى كادت ركبتاه تمسان ركبتيه، فقال: يا رسول الله أخبرني ما الإيمان أو عن الإيمان، قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر}**، قال سفيان: أراه قال:**{خيره وشره}**، قال:**{فما الإسلام؟ قال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وغسل من الجنابة، كل ذلك قال: صدقت صدقت}**، قال القوم: ما رأينا رجلاً أشد توقيرًا لرسول الله ﷺ من هذا كأنه يعلّم رسول الله ﷺ، ثم قال: **يا رسول الله أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله أو تعبده كأنك تراه، فإلا تراه فإنه يراك}**، كل ذلك نقول ما رأينا رجلاً أشد توقيرًا لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: صدقت صدقت، قال: **أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال فقال: صدقت}**، قال ذلك مرارًا، ما رأينا رجلاً أشد توقيرًا لرسول الله ﷺ من هذا، ثم ولى قال سفيان فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**{التمسوه}**، فلم يجدوه، قال:**{هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم}**، ما أتانا في صورة إلا عرفته غير هذه الصورة، وإسناده: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر.. الخ(١).

---

(١) (إسناده صحيح) مسند أحمد [٣٧٤].

وفي رواية قال: قلت: لابن عمر إن عندنا رجالاً يزعمون أن الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا، وإن شاءوا لم يعملوا، فقال: أخبرهم أني منهم بريء وأنهم منا برآء، ثم قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال:{**يا محمد ما الإسلام، فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم قال نعم: قال صدقت، قال فما الإحسان قال: تخشى الله كأنك تراه فإن لا تك تراه فإنه يراك، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن، قال: نعم، قال صدقت، قال: فما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث من بعد الموت والجنة والنار والقدر كله، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال نعم، قال: صدقت**} [١].

زاد في رواية: وكان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية[٢]وسند هذه الرواية: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد عن يحيي بن يعمر قلت لابن عمر.. الخ.

وفي أخرى عن ابن عمر رضى الله عنه أن جبريل قال للنبي ﷺ : **ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**}، فقال لـه جبريل رضى الله عنه :{**صدقت**}، قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه، قال فقال: النبي ﷺ :{**ذلك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم**}، وسند هذه الرواية حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر.. الخ[٣].

---

(١) (هذا إسناد ضعيف) وإن كان الحديث في الجملة صحيح، وهو في مسند أحمد [٥٨٥٦] وعلة هذا السند: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف، انظر التقريب [٤٧٣٤]، والقائل قلت: يحيى بن يعمر.

(٢) (إسناد صحيح) مسند أحمد [٥٨٥٧] وإسناد هذه الرواية: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا حماد ابن سلمة عن إسحاق بن سويد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

(٣) (إسناد صحيح) مسند أحمد [١٩١].

ورواية عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري قال: لقينا عبد الله بن عمر رضى الله عنه فذكرنا القدر وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم: إن ابن عمر منكم بريء وأنتم منه برآء (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي ﷺ جاءه رجل يمشي حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر، ثم قال:{**يا رسول الله آتيك؟ قال: نعم، فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخديه**}، وساق الحديث بنحو ما تقدم في الصحيح والسنن، وزاد آخره سؤاله الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم في رواية أبي داود[١].

* * *

(١) (إسناده صحيح) مسند أحمد [١٨٤] سند هذه الرواية: حدثنا عبد الله حدثني أبي قال قرأت على يحيى ابن سعيد عن عثمان بن غياث حدثني عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري قالا: لقينا عبد الله بن عمر..

وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزًا يوما للناس فأتاه رجل فقال:{**ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى**}، ثم تلا النبي ﷺ { إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] ثم أدبر فقال:{**ردوه**} فلم يروا شيئًا، فقال:{**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**}، قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان[١] وترجم عليه: باب سؤال النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ لـه، ثم قال: جاء جبريل رضى الله عنه يعلمكم دينكم فجعل ذلك كله دينا.

وأخرجه في تفسير سورة لقمان فقال: باب قولـه الله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ} حدثني إسحاق عن جرير عن أبي حيان.. الحديث، وفيه.. إذ أتاه رجل يمشي فقال:{**يا رسول الله ما الإيمان؟**} وفيه: قال:{**يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله**{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ} [لقمان: ٣٤]} ثم انصرف الرجل

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٥٠] كتاب الإيمان.

فقال:{**ردوا علي**}، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئًا، فقال:{**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**} [1].

ورواه مسلم فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعًا عن ابن علية قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان.. الحديث وزاد:{**وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله**}، ثم تلا رسول الله ﷺ { إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾} [لقمان: ٣٤] قال ثم أدبر.. الخ[2].

وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمي بهذا الإسناد مثله، غير أن في روايته:{**إذا ولدت الأمة بعلها**} يعني السراري[3].

وقال حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**سلوني**}، فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال:{**يا رسول الله ما الإسلام؟ قال لا تشرك بالله شيئًا وتقيم الصلاة تؤتي الزكاة وتصوم رمضان، قال: صدقت قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله، قال صدقت، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك، قال صدقت، قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك**

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٤٤٩٩] كتاب التفسير.

(٢) (صحيح) مسلم في صحيحه [٩/عبد الباقي] كتاب الإيمان.

(٣) (صحيح) مسلم في صحيحه [٩/عبد الباقي] كتاب الإيمان.

الأرض فذاك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله} ثم قرأ:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾} قال: ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ :{**ردوه عليَّ**}، فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ :{**هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا**} [1].

وأشار إليه الترمذي في باب حديث ابن عمر عن عمر [2]، ورواه ابن ماجة بإسناد مسلم ولفظه إلى آخر الآية [3]، ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن خرير عن أبي هريرة رضى الله عنه.. الخ وفيه:{**وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة**} [4].

* * *

(١) (صحيح) مسلم في صحيحه [١٠/ محمد فؤاد عبد الباقي] كتاب الإيمان.

(٢) (إسناده صحيح) سبق تخريجه قريبا.

(٣) (إسناد ه صحيح) ابن ماجة [٦٤] المقدمة، باب في الإيمان، وإسناده: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن علية عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة..

(٤) (إسناد صحيح) أحمد في مسنده [٩٤٩٧].

وأما حديثه مع أبي ذر رضى الله عنه فقال النسائي في كتاب الإيمان من مجتبي سننه: صفة الإيمان والإسلام، أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبي فروة عن أبي زرعة عن أبي هريرة وأبي ذر رضى الله عنه قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني[1] أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل لـه مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه، فَبَنَيْنَا له دكانًا من طين كان يجلس عليه، وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهًا وأطيب الناس ريحًا كأن ثيابه لم يمسها دنس حتى سلم في طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد رضى الله عنه قال: أدنو يا محمد؟ قال ادنه، فما زال يقول: أدنو مرارًا ويقول لـه ادن حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ قال: يا محمد أخبرني ما الإسلام، قال:{**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان، قال: إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال نعم، قال صدقت**}، فلما سمعنا قول الرجل: (صدقت) أنكرنا، قال:{**يا محمد أخبرني ما الإيمان؟ قال: الإيمان بالله وملائكته والكتاب والنبيين وتؤمن بالقدر، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله ﷺ نعم، قال: صدقت، قال يا محمد أخبرني ما الإحسان، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال صدقت، قال يا محمد أخبرني متى الساعة؟ قال فنكس فلم يجبه شيئًا، ثم أعاد فلم يجبه شيئًا، ثم أعاد فلم يجبه شيئًا ورفع رأسه فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها علامات تعرف بها: إذا رأيت الرعاء البهم يتطاولون في البنيان، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض، ورأيت الأمة تلد ربها في خمس لا يعلمها إلا الله**{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ} إلى قولـه{إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }} ثم قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق

(١) في وسطهم.

هاديًا وبشيرًا ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي رضى الله عنه(١).

وقال أبو داود في باب القدر من كتابه السنة من سننه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي فروة عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي ذر وأبي هريرة قالا كان رسول الله ﷺ.. الحديث، وفيه: فبنينا لـه دكانًا من طين فجلس عليه، وكنا نجلس بجبنبتيه، وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السماط فقال: السلام عليك يا محمد، قال فرد عليه النبي ﷺ (٢).

فحاصل طرق حديث أبي هريرة وحده ومع أبي ذر رضى الله عنه أبو زرعة عن أبي هريرة وعنه أبو حيان وأبو فروة وعمارة بن القعقاع، وعن أبي حيان إسماعيل بن إبراهيم بن علية وجرير ومحمد بن بشر، وعن إسماعيل مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وأحمد بن حنبل، وعن جرير إسحاق وزهير بن حرب ومحمد بن قدامة وعثمان بن أبي شيبة، وعن محمد بن بشر بن نمير، وعن كل من عمارة وأبي فروة جرير، والله أعلم.

* * *

---

(١) (إسناده صحيح) النسائي في المجتبى [٤٩٩١] كتاب الإيمان.

(٢) (إسناده صحيح) أبو داود [٤٦٩٨] وأبو فروة الهمداني هو: عروة بن الحارث الهمدانى الكوفى، أبو فروة الأكبر: ثقة.

الحديث به عن ابن عباس

وأما حديث ابن عباس: فقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فجاء جبريل رضى الله عنه فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعًا كفيه على ركبتي النبي ﷺ فقال:{**يا رسول الله حدثني ما الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: إذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد أسلمت، قال: يا رسول الله فحدثني ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد آمنت، قال: يا رسول الله حدثني عن الإحسان؟ قال: رسول الله ﷺ الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه، فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: يا رسول الله فحدثني متي الساعة؟ قال رسول الله ﷺ : سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله**{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾} **ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك، قال أجل يا رسول الله فحدثني، قال رسول الله ﷺ : إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها، ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها، قال: يا رسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟**} قال العرب[1]وحسنه الحافظ العسقلاني.

---

(١) (هذا إسناد به ضعف) أحمد في مسنده [٢٩٢٦] علته: شهر بن حوشب: كثير الإرسال الأوهام، انظر التقريب [٢٨٣٠].

وأما حديث أبي عامر فقال الإمام أيضًا: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال: حدثنا عبد الله بن أبي حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل رضى الله عنه في غير صورته يحسبه رجلاً من المسلمين فسلم عليه فرد رضى الله عنه، ثم وضع جبريل يده على ركبتي النبي ﷺ فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب، وفيه: فلما ولى أى السائل فلما لم نر طريقه بعد قال أى النبي ﷺ :**{سبحان الله ثلاثًا، هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم}** (١)، وحسنه الحافظ أيضًا وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالى.

وأما الأحاديث التي قبله فقد خرجها غير من ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأمهات لشهرتها وفي الباب عن جماعة من الصحابة غير من ذكر، منهم طلحة بن عبيد الله(٢)وأنس بن مالك(٣)وجرير بن عبد الله

---

(١) (إسناده ضعيف) أحمد في مسنده [١٧٢٠٧ / ١٧٥٣٧] وعلته: شهر بن حوشب أيضا.

(٢) ذكر الترمذي أن ممن روى هذا الحديث من الصحابة طلحة بن عبيد الله وهذا في حديث برقم [٢٦١٠].

(٣) (إسناده ضعيف) خلق أفعال العباد للبخاري [١٥١] قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا الضحاك بن نبراس، حدثنا ثابت، عن أنس رضى الله عنه قال: بينا النبي ﷺ مع أصحابه إذا جاءه رجل عليه ثياب السفر فتخطى الناس حتى جلس بين يديه ووضع يديه على ركبتيه قال: ما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: فإذا فعلت ذلك فأنت مؤمن قال: نعم، قال: صدقت فتعجبوا، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط فقام فقال: علي بالرجل فلم يجدوه، قال: ذلك جبريل جاء يعلمكم دينكم لم يأت على حال أنكرته قبل اليوم.

- وعلة هذا السند: الضحاك بن نبراس: لين الحديث، انظر التقريب [٢٩٨٠]، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي [ج١ - ١١٤].

البجلي[1]رضى الله عنه، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر من النصوص في كل مسألة من مسائله عند ذكرها في المتن، فنقول وبالله التوفيق:

* * *

(١) (إسناده ضعيف) الشريعة للآجري [٣٩٣] (باب الإيمان بأنه لا يصح لعبد الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره).
قال الآجري: حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الحافظ الامام الثقة قال: نا يوسف بن سعيد المصيصي قال: نا خالد بن يزيد القسري البجلي قال: نا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في صورة شاب فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره » قال: صدقت قال: فعجبوا من تصديقه النبي ﷺ قال: فأخبرني، ما الإسلام؟ قال: « أن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان » قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: « الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال: صدقت وذكر الحديث إلى قوله: « هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ».
وعلة هذا السند: خالد بن يزيد القسري البجلي: ضعيف، انظر لسان الميزان [١٦٠٢/٢].

١٦١- اعلم بأنَّ الدِّينَ قَولٌ وعَمَلْ ::: فاحْفَظْهُ وافْهَمْ ما عليه ذا اشْتَمَلْ

(**اعلم**) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (**بأن الدين**) الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لأهل سمواته وأرضه، وأمر أن لا يعبد إلا به، ولا يقبل من أحد سواه، ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه، ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (**قول**) أى بالقلب واللسان (**وعمل**) أى بالقلب واللسان والجوارح، فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام.

الأول: **قول القلب**: وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى:{ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾} [الزمر: ٣٣ - ٣٤] وقال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾} [الأنعام: ٧٥] وقال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟} [الحجرات: ١٥] صدّقوا ثم لم يشكوا.

وفي حديث الدرجات العلى:{**بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**}(١).

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ} [البقرة: ٣] وقال تعالى:{قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ} [البقرة: ١٣٦] الآيات، وقال تعالى:{وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ} [الشورى: ١٥] وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة:{**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة..**}(٢) الحديث.

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٣٠٨٣] مسلم في صحيحه [٢٨٣١] من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

(٢) (صحيح) البخاري في صحيحه [٦٩٧٥] مسلم في صحيحه [١٩٣] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

وفي الحديث الآخر:{**فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان**}(١).

وقال تعالى في المكذبين:{ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس: ١٠] وقال تعالى في المرتابين الشاكين{يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٦٧] وقال فيهم: { ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ} [المائدة: ٤١] وقال تعالى فيهم:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾} [المنافقون: ١] أى في قولهم نشهد، أى كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بأنفسهم تقية ونفاقًا ومخادعة.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بلوازمها، قال الله:{قُولُوا آمَنَّا} [البقرة: ١٣٦]،{وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ} [القصص: ٥٣]،{وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ} [الشورى: ١٥] وقال تعالى:{إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ} [الزخرف: ٨٦]،{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾} [الأحقاف: ١٣].

وقال ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**}(٢) وما في معناه مما سنذكر وما لا نذكر.

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٧٠٧٢] مسلم في صحيحه [١٩٣] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٢) (صحيح) النسائي [٣٩٦٩/٣٠٩٤] المستدرك [١٤٢٧] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه، وابن ماجة [٧١] وابن خزيمة [٢٢٤٨] من حديث أبي هريرة رضـــى الله عنه، وعند ابن ماجة أيضا من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه [٧٢] وعند ابن حبان [٢١٩/١٧٥] من حديث ابن عمر رضى الله عنه، وعند الطيالسي [١١١٠] والمعجم الكبير [٥٩٢] من حديث أوس بن أوس رضى الله عنه، كل هؤلاء بنفس لفظ المصنف رحمه الله، وإن كان الحديث أيضا في الصحيحين من حديث ابن عمر، بلفظ:أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

الثالث: عمل القلب: وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى:{وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ} [الأنعام: ٥٢]،{وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾} [الليل: ١٩ - ٢٠]،{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ} [الإنسان: ٩]،{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا} [الأنفال: ٢]،{وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾} [المؤمنون: ٦٠]، {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٢٣]،{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد: ٢٨] وقال تعالى:{ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ} [الزمر: ٣]،{وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [البينة: ٥]،{قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾} [الزمر: ١٤] وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ} [البقرة: ١٦٥]،{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة: ٥٤]،{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ} [الحجرات: ٧] وقال تعالى:{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: ١٢٥]،{ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ} [لقمان: ٢٢]،{فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ}

[الحج: ٣٤]،{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

وقال النبي ﷺ :{**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**}(١). وقال ﷺ :

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [١] مسلم في صحيحه [١٩٠٧] بلفظ (إنما الأعمال بالنية..) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

{قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشِرْكه}(١).

وقد تقدم جملة من نصوص الإخلاص في الكلام على لا إله إلا الله، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر.

وقال ﷺ :**{أحبوا الله من كل قلوبكم}**(٢).

وقال ﷺ :**{ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..}**(٣) الحديث.

وقال ﷺ :**{لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين}**(٤).

وكان ﷺ يقول:**{اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك}**(٥).

وقال ﷺ :**{اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين}**(٦).

---

(١) (صحيح) مسلم في صحيحه [٢٩٨٥] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) (مرسل ضعيف) دلائل النبوة للبيهقي [٧٨٠] من مراسيل أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

(٣) (صحيح) البخاري [١٦] مسلم [٤٣] حلاة الإيمان: انشرح صدره بالإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين.

(٤) (صحيح) البخاري في صحيحه [١٥] مسلم في صحيحه [٤٤].

(٥) (حسن بمجموع الطرق) فقد رواه الترمذي [٣٢٣٥] قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، سألتُ محمد بن إسماعيل (البخاري) عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد بن حنبل [٢٢١٦٢] من حديث معاذ.
وله طريق عند الطبراني في الكبير[ج ٢٠ - ٢٩٠] وبه ضعف، وطريق آخر من حديث معاذ عند الدارقطني في الرؤية [١٧٦] ورواته ثقات إلا محمد الواسطي، قال الذهبي: لم يضعفه أحد. وللحديث طريق من حديث ثوبان عند الحاكم في المستدرك [١٩٣٢] الرؤية للدار قطني [١٩٩] الدعاء للطبراني [١٣١٩] وبه ضعف يسير.

(٦) (إسناده صحيح) أحمد في مسنده [١٥٥٣١] البخاري في الأدب المفرد [٦٩٩] النسائي في الكبرى [١٠٤٤٥] وانظر الدعوات الكبير للبيهقي [١٦٣] بتخريجي، طبعة الإيمان.

وقال ﷺ :{**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**}(١).

وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن لـه هوى غير ما جاء به الرسول ﷺ، وقد تقدمت النصوص في التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان مالا يؤدَّى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح مالا يؤدَّى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا إلى المسجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان، قال الله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩} [فاطر: ٢٩] الآيات، وقال تعالى:{ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ} [الكهف: ٢٧] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢} [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] وقال تعالى:{ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥} [الأعراف: ٢٠٥] الآيات، وقال تعالى:{ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١} [الإسراء: ١١١] وقال تعالى:{وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا} [الكهف: ٤٦] وهي:{**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول**

---

(١) (إسناده ضعيف) الأربعين للنسوي [٩] الإبانة الكبرى لابن بطة [٢٩١]السنة لابن أبي عاصم [١٤] فمدار الحديث على نعيم بن حماد، وهو (ضعيف) وبه علل أخرى ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم، حديث رقم [٤١].

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم}[1] وقال تعالى:{ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً} [الأعراف: ٥٥] الآيات، وقال تعالى:{وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ} [المزمل: ٢٠] وقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ} [آل عمران: ١٩١] الآيات، وقال تعالى:{وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ} [البقرة: ٢٣٨] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ} [الحج: ٧٧ - ٧٨] الآيات، وقال تعالى:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾} [الفرقان: ٦٣ - ٦٤] الآيات، وقال تعالى:{ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ} [الزمر: ٩] وقال تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١١ - ١١٢].

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّا ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين، فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقًا بالغًا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهمًا واضحًا ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق.

(١) (حسن لغيره) وهو عند مالك في الموطأ من رواية سعيد بن المسيب مرسلا بسند صحيح [٤٩١] وانظر الدعوات الكبير للبيهقي [رقم: ١٠٢، ١٠٣] بتخريجي، فقد توسعت في تخريجه هناك، طبعة الإيمان.

فأحدها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها - قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح - أو ينتفي بعضها، فإن انتقت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٦) خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٧)} [البقرة: ٦ - ٧] وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى:{بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ} [يونس: ٣٩] وقال تعالى:{أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [النمل: ٨٤].

وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى:{وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (١٤)} [النمل: ١٤] وقال تعالى:{فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٨٩] وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤٦) ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (١٤٧)} [البقرة: ١٤٦ - ١٤٧] وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالى:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ (٨)} [البقرة: ٨] إلى قوله{وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [البقرة: ٢٠].

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عنادًا واستكبارًا، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ :{**إن في**

الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب}[1].

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرًا وباطنًا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق، فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى لـه بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفرًا واستكبارًا، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينفذ بل جحد بآيات الله ظلمًا وعلوًا، فأين من تصديق من قال الله تعالى فيه:{ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾} [الزمر: ٣٣] الآيات، وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم{قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا} [البقرة: ٩٣] و{قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡ} [البقرة: ٧٦] من تصديق من قالوا{سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥] والله الموفق.

١٦٢- كفاك ما قَدْ قاله الرسولْ ::: إذ جاءَهُ يسألُهُ جبريلُ

١٦٣- على مراتب ثَلاثٍ فَصَّلهْ ::: جاءت على جميعه مُشْتَمِلَهْ

١٦٤- الإسلام والإيمان والإحسانِ ::: والكُلُّ مَبْنِيٌّ على أركانِ

(**كفاك**) أيها الطالب الحق (**ما قد قال الرسول**) محمد ﷺ (**إذ**) حين (**جاءه يسأله**) عن مراتب الدين وشرائعه (**جبريل**) رضى الله عنه كما في الأحاديث السابقة عن جماعة من الصحابة (**على مراتب ثلاث فصله**) في تلك الأجوبة الصريحة (**جاءت**) أى الثلاث المراتب (**على جميعه**) أى على جميع الدين (**مشتمله**) ولهذا سمى النبي ﷺ تلك الأمور:{**الدين**} فقال:{**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**}[2].

* * *

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٥٢] ومسلم في صحيحه [١٥٩٩].

(٢) (صحيح) سبق تخريجه قريبا.

(**الإسلام**) بالخفض بدل مفصل من مجمل مراتب، ويقال لـه بدل بعض من كل، وما بعده معطوفان عليه، هذه هي المرتبة الأولى في حديث عمر وما وافق لفظه.

والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق علي الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاده وأقواله وأفعاله، كقوله تعالى:{ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ } [آل عمران: ١٩] وقولـه تعالى:{وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا }
[المائدة: ٣] وقولـه{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً } [البقرة: ٢٠٨] أى في كافة شرائعه، ونحو ذلك من الآيات.

وكقوله ﷺ لما سأله معاوية بن حيدة: ما الإسلام؟ قال:{**أن تقول أسلمتُ وجهي لله وتخليت..**}[١]الحديث.

وفي حديث عمرو بن عَبَسة رضى الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟ قال:{**أن يسلم قلبك لله عزوجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**} قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال:{**الإيمان**} قال: وما الإيمان؟

---

(١) (سنده حسن) مسند أحمد [٢٠٠٤٩]النسائي [٢٤٣٦] من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

قال:{**تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**}[1] فجعل صلى الله عليه وسلم الإيمان من الإسلام وهو أفضله.

وقولـه ﷺ :{**إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله لـه كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها..**}[2] الحديث، فإن الانقياد ظاهرًا بدون إيمان لا يكون حسن إسلام بل هو النفاق فكيف تكتب لـه حسنات أو تمحى عنه سيئات ونحو ذلك من الأحاديث.

الحالة الثانية: أن يطلق مقترنًا بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى:{۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤][3] الآية، وقولـه ﷺ لما قال لـه سعد بن وقاص رضى الله عنه : مالك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال ﷺ :

---

(١) (رواته ثقات، ولا يسلم من التعليل) عبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٠٧]ومن طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن عبسة، عبد بن حميد [٣٠١] وأحمد في مسنده [١٧٠٦٨] وذكر شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند، أن أبا قلابة لم يسمع من عمرو بن عبسة.
وقد جاء هذا الحديث عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أن رسول الله..، وهو عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في(جزء فيه من أحاديث الإمام أيوب السختياني) [رقم ٤٧].
وجاء كذلك من رواية سفيان الثوري عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل عن أبيه في مسند أسامة بن الحارث [١٣].

(٢) (إسناده صحيح) البخاري معلقا بصيغة الجزم [٤١] النسائي [٤٩٩٨] من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) قال الشنقيطي في أضواء البيان: عند تفسير قولـه تعالى:{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾} [يوسف: ١٠٦] ذكر إشكالا وهو أن الإيمان لا يجامع الشرك في وقت واحد لأنهما نقيضان، وذهب إلى أن الإيمان في الآية هو الإيمان اللغوي الذي هو مطلق التصديق، لكن ليس هو الإيمان الشرعي المعروف بأركانه. ثم قال: (وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجامع الشرك فلا إشكال في تقييده به، وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قولـه تعالى:{قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤] فهو الإسلام اللغوي. لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه، والعلم عند الله تعالى [ج٢ - ص٣٢٨].

{أو مسلم}[1] يعني أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة، وفي رواية النسائي:**{لا تقل: مؤمن، وقل: مسلم}**[2] وكحديث عمر هذا وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

* * *

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٧] مسلم [١٥٠].
(٢) (إسناده صحيح) النسائي في سننه [٤٩٩٣].

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية في الحديث المذكور، والإيمان لغة التصديق قال إخوة يوسف لأبيهم{وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا} [يوسف: ١٧] ويقول بمصدق، وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله كقوله عز وجل :{ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} [البقرة: ٢٥٧] وقوله{وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [آل عمران: ٦٨] وقوله تعالى:{۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ} [الحديد: ١٦] وقوله{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} [إبراهيم: ١١]،{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة: ٢٣] وقوله ﷺ :**{لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة}**(١).

ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنًا وظاهرًا في قوله عز وجل :

{إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾} [الأنفال: ٢ - ٤] وقوله عز وجل {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾} [الحجرات: ١٥] وقوله تعالى:{إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾} [السجدة: ١٥ - ١٧].

(١) (صحيح) البخاري [٢٨٩٧] مسلم [١١١] الترمذي [٣٠٩٢] النسائي [٢٩٥٨] واللفظ للأخيرين.

وفسرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله عز وجل: {الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾} [البقرة: ١ - ٥] وفي قوله عز وجل: {۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] وفي قوله عز وجل: {وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾} [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧] وفي قوله عز وجل: {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾} [المؤمنون: ١ - ١١] وفي قوله عز وجل: {طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾} [النمل: ١ - ٣] وغيرها من الآيات.

وقد فسر الله تعالى:{**الإيمان**} بذلك كله في قولـه تعالى:{وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ } [البقرة: ١٧٧].

وروى ابن أبي حاتم أن أبا ذر سأل النبي ﷺ : ما الإيمان؟ فتلا عليه رسول الله ﷺ {۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ} [البقرة: ١٧٧] إلى آخر الآية. ثم سأله أيضًا، فتلاها عليه، ثم سأله فقال:{**إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك**}(١) رواه المسعودي بنحوه، وفسره النبي ﷺ بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال:{**آمركم بالإيمان بالله وحده**} قال:{**أتدرون ماالإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدي من المغنم الخمس**}(٢).

وقد جعل ﷺ صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وكذا أداء الأمانة، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز. وغير ذلك.

وفي الصحيحين:{**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**}(٣).

---

(١) (إسناده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٥٤٩] وفي سنده (عَامِرِ بْنِ شُفَيٍّ) كأنه مجهول ذكره ابن حبان في الثقات كعادته في ذكر المجاهيل، وذكره البخاري في التاريخ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، دون جرح أو تعديل. ورواه الحاكم في المستدرك [٣٠٧٧] وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: كيف وهو منقطع.

(٢) (صحيح) البخاري [٥٣] مسلم [١٧].

(٣) (إسناده صحيح) ولفظ المصنف ليس في الصحيحين، بل في سنن الترمذي [٢٦١٤] النسائي [٥٠٠٥] مسند أحمد [٩٧٤٦] من حديث أبي هريرة.

وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة، منها ما هو من قول القلب وعمله، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانًا في قول الله عز وجل :{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ}
[البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية.

وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بالغيب،
ثم قرأ{الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ} [البقرة: ١ - ٢] إلى قوله:{ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥} [البقرة: ٥][(١)].

والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق، وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارًا شديدًا، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثًا ممن سمى لنا سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنَّخَعي، والزهري، وإبراهيم، ويحيى بن أبي كثير،

---

(١) (سنده صحيح) التفسير من سنن سعيد بن منصور [١٧٧] الإيمان لابن منده [٢٠٩] تفسير ابن أبي حاتم [٦٥].

والثوري، والأوزاعي، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، قال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان(١).

وهذا المعنى هو الذي أراد البخاري إثباته في كتاب الإيمان وعليه بَّوب أبوابه كلها فقال:**{باب أمور الإيمان}** و**{باب الصلاة من الإيمان}** و**{باب الزكاة من الإيمان}** و**{باب الجهاد من الإيمان}** و**{باب حب الرسول ﷺ من الإيمان}** و**{باب الحياء من الإيمان}** و**{باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان}** و**{باب اتباع الجنائز من الإيمان}** و**{باب أداء الخمس من الإيمان}** وسائر أبوابه، وكذلك صنع النسائي في المجتبى وبوَّب الترمذي على حديث وفد عبد القيس:**{باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان}**.

وكلام أئمة الحديث وتراجمهم في كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الراوندي ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود الذين أقروا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم.

وقال جهم بن صفوان وأتباعه: هو المعرفة بالله فقط، وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافرٌ بالكلية، إذ لا يجعل الخالق سبحانه أحدًا، وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته الكافية الشافية:

---

(١) (سنده صحيح إلى عمر) البخاري معلقا بصيغة الجزم في أول كتاب الإيمان، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣٠٤٤٤] وشعب الإيمان للبيهقي [٥٩].

قالوا وإقرار العباد بأنه ::: خلاّقهم هو منتهى الإيمان
والناس من الإيمان شيء واحد ::: كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ::: ومن والاهمو من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك ::: عبد المسيح مقبّل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ::: أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ال ::: خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق وأقبح أمة ::: لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل ::: فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق ال ::: رب العظيم مكّون الأكوان
فليبشروا ما فيهموا من كافر ::: هم عند جهم كاملو الإيمان

وقالت المرجئه والكرّامية: الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم{ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} [التوبة: ٨٤] إلى قولـه{وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ } [التوبة: ٥٥] وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذّبهم الله عز وجل في دعواهم في غير موضع من القرآن، وقال آخرون: التصديق بالجنان والإقرار باللسان، وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل وهو ظاهر البطلان.

وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضًا كانت أو نفلا، وهذا القول مصادم لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان، وكل ما يقول لـه السائل في فريضة: هل علىّ غيرها؟ قال:**{لا، إلا أن تَطَّوَّع شيئًا}**(١).

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٤٦] مسلم في صحيحه [١١].

وذهب الجبائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل، وهذا أيضًا يدخل المنافق في الإيمان وقد نفاه الله عنهم.

وقال الباقون منهم: العمل والنطق والاعتقاد، والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطًا في الصحة، بل جعلوا كثيرًا منها شرطًا في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، والمعتزلة جعلوها كلها شرطًا في الصحة والله أعلم.

* * *

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونًا بالإسلام، وحينئذٍ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل :{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [النساء: ٥٧] وكما في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبي ﷺ في دعاء الجنازة:{**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان**}(١) وذلك أن الأعمال بالجوارح، وإنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله، وكحديث أنس عند أحمد عن النبي ﷺ قال:{**الإسلام علانية والإيمان في القلب**}(٢).

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل، والمجموع مع الإحسان هوالدين كما سمى النبي ﷺ ذلك كله دينًا، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينهما أهل العلم.

قال ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل رضى الله عنه عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض المسميات، والاسم المقرون به دالاً على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه

(١) (سنده صحيح) أبو داود [٣٢٠١] الترمذي [١٠٢٤] ابن ماجة [١٤٩٨].
(٢) (سنده ضعيف) أحمد في مسنده [١٢٤٠٤] أبو يعلى [٢٩٢٣] ابن أبي شيبة [٣٠٣١٩] علته: علي بن مسعدة: مختلف عليه.

كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالاخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي.

قال: وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعًا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم وقد ذكر هذا المعنى أيضًا الخطابي في كتابه معالم السنن وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

قلت: كلام الخطابي الذي أشار إليه ابن رجب ذكره النووي في شرح مسلم قال: قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الفقيه الأديب الشافعي المحقق رحمه الله تعالى في كتابه معالم السنن: ماأكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، واحتج بالآية يعني قوله عز وجل :{۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤] وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى:{فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾} [الذاريات: ٣٥ - ٣٦] قال الخطابي: وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف كتابًا يبلغ عدد أوراقه المئين.

قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنًا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنًا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليست كل مسلم مؤمنًا، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها، وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلمًا في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون مصدقًا في الباطن غير منقاد في الظاهر.

قلت: ما رواه الخطابي عن الزهري أنه قال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، هذا عندي فيه نظر، فإنه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى، والزهري إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف، فإن صح النقل عنه ففي الكلام تصحيف وإسقاط لعل الصواب فيه هكذا: الإسلام الكلمة والإيمان والعمل، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان، وهذا متعين لموافقته قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، والزهري من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعي عنهم رحمهم الله تعالى، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين كله، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فإنه لا يستقيم إلا على هذا ولا يستقيم على معنى الأول لإهمال الاعتقاد فيه الموجود في قولـه تعالى:{وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ} [الحجرات: ١٤] الآية.

وأما قولـه: وذهب غيره إلى الإسلام والإيمان شيء واحد، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئًا واحدًا إلا عند الانفراد وعدم الاقتران لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به رسول الله ﷺ في حديث جبريل رضى الله عنه، وإن أراد من أهل البدع فإطلاق التسوية بينهما والاتحاد في كل حال

من الأحوال هو رأي المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآيتي الذاريات وهو احتجاج ضعيف جدًا، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين[١] وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال والله أعلم.

وقال الخطابي رحمه الله أيضًا في قول النبي ﷺ :{**الإيمان بضع وسبعون شعبة**}[٢] في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، لـه أعلى وأدنى، والاسم يتعلق ببعضهما كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضهما، والحقيقة تقتضي جميع أجزائهما وتستوفيها، ويدل عليه قولـه ﷺ : {**الحياء شعبة من الإيمان**}[٣] وفيه إثبات التفاصيل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته انتهى.

وما أحسن ما قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي رحمه الله تعالى في تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا الحديث عند قولـه عز وجل :{ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [البقرة: ٣] الآيات، قال: فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسمًا لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسمًا لما بطن من الإعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شئ واحد وجماعها الدين، ولذلك قال:{**ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**}[٤] انتهى.

(١) ذكر بعض أهل العلم نكتة في قولـه تعالى:{فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦} [الذاريات: ٣٥ - ٣٦] قال: عدل عن الإيمان إلى الإسلام، لأن البيت لم يكن كله على الإيمان، وإنما كانت زوج لوط عليه السلام على مذهب قومه وملتهم فسمى البيت مسلما.

(٢) (صحيح) سبق تخريجه.

(٣) (صحيح) سبق تخريجه، وهو جزء من الحديث السابق.

(٤) (صحيح) سبق تخريجه.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: قولـه ﷺ :{**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**}[1].

قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامها به يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله.

ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات، ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء مطلقًا يقع على الكل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرًا إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قولـه ﷺ :{**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**}[2].

واسم الإسلام يتناول أيضًا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام.

قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا.

---

(١) (صحيح) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث جبريل.
(٢) (صحيح) البخاري في صحيحه [٥٢٥٦] مسلم في صحيحه [٥٧].

قال: وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء أهل الحديث وغيرهم. انتهى.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في الكلام على هذا الحديث: قد تقدم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضًا، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسماها أيضًا أعمال الجوارح الباطنة فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى والنصح به ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله عز وجل ، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله تعالى عز وجل ، وخوف الله سرًّا وعلانية، والرضا بالله ربّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، والحب في الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصًا الجيران ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم.

ثم ساق من النصوص في ذلك جملة وافية: قال: والرضا بربوبية الله تعالى وتتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له، والرضا بالإسلام دينا يتضمن اختياره على سائر الأديان، والرضا بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم

والانشراح، كما قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥] انتهى. ونصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين - سلفا وخلفًا - في هذا الباب يطول ذكرها.

ثم اعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن التزام الدين الذي يكون به النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبد بالجنة ويزحزح عن النار إنما هو ما كان علي الحقيقة في كل ما ذكر في حديث جبريل وما في معناه من الآيات والأحاديث، وما لم يكن منه علي الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أجريت عليه أحكام المسلمين في الدنيا ووكلت سريرته إلى الله تعالى، قال الله عزوجل:{فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥] وفي الآية الأخرى{فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ} [التوبة: ١١] وغيرها من الآيات.

وقال رسول الله ﷺ لأسامة في قتله الجهني بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ :{**أقال لا إله إلا الله وقتلته**} قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح قال:{**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**}[١] الحديث بطولـه في الصحيحين من طرق بألفاظ.

وفي بعضها: فقال يا رسول الله استغفر لي، قال:{**وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**}[٢].

ولما أن استأذنه عمر رضى الله عنه في قتل الرجل الذي انتقد عليه حكمه ﷺ في قسمة الذهبية قال:{**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي**}[٣].

وقال لـه خالد بن الوليد رضى الله عنه فيه: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٤٠٢١] مسلم في صحيحه [٩٦] واللفظ لمسلم.
(٢) (صحيح) مسلم [٩٧] ولكن ليس فيه: فقال يا رسول الله استغفر لي.
(٣) (صحيح) البخاري [٤٦٢٢] مسلم [١٠٦٣]واللفظ لمسلم.

فقال:{**لعله أن يكون يصلي**} قال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ :{**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**}[1] الحديث في الصحيحين أيضًا من طرق بألفاظ.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** عز وجل }[2].

وفي رواية عن أنس نفسه وله حكم المرفوع - بل قد رفعه النسائي كما سيأتي -:{**من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له، ما للمسلم وعليه ما علي المسلم**}[3].

ورواه أبو داود في الجهاد بلفظ:{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين**}[4] وفي رواية:{**أمرت أن أقاتل المشركين**}[5] بمعناه.

ورواه النسائي في تحريم الدم ولفظه قال:{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد**

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٠٩٤] مسلم [١٠٦٤] من حديث أبي سعيد الخدري.
(٢) (صحيح) البخاري [٣٨٥].
(٣) (صحيح) عند البخاري معلقا بصيغة الجزم، وموقوفا على أنس [٣٨٥] وعند النسائي مرفوعا [٣٩٦٧].
(٤) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٢٦٤١] كتاب الجهاد.
(٥) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٢٦٤٢].

حرمت علينا دماوهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم}[1].

وفيه قول ميمون بن سياة لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ما يحرم دم المسلم وماله؟ فقال من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم لـه ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين[2]، ورفعه في كتاب الإيمان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :**{من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم}**[3] ورواه الترمذي أيضًا.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :**{أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله** عز وجل }[4].

وفي موطأ مالك ومسند أحمد بسند جيد: عن عبيد الله بن عدّي بن الخيار:**{أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس فسارهّ يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة لـه، قال رسول الله ﷺ : أليس يشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: بلى يا رسول الله،**

(١) (سنده صحيح) النسائي في سننه [٣٩٦٧] تحريم الدم.
(٢) (سنده صحيح) سنن النسائي [٣٩٦٨].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٨٤] النسائي [٤٩٩٧] الترمذي [٢٦٠٨].
(٤) (صحيح) البخاري من حديث ابن عمر [٢٥] ومن حديث أبي هريرة [٢٧٨٦] مسلم من حديث ابن عمر [٢٢] ومن حديث أبي هريرة [٢٠].

قال: أليس يصلي؟ قال: بلى يا رسول الله ولا صلاة لـه، فقال رسول الله ﷺ : أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم}(١).

وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية.

وأمر الله ورسوله ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسيماهم وعلاماتهم، ولم يقتل النبي ﷺ أحدًا منهم، وأجرى عليهم في الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك ويقيم الحدود عليهم، غير أنه نهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) (سنده صحيح) مالك في الموطأ [٤١٣] والشافعي في المسند [١٤٩٦] وأحمد في مسنده [٢٣٧٢٠].

(**والإحسان**) هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين في هذا الحديث، والإحسان لغة إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه، وفي الشريعة هو ما فسره النبي ﷺ بقولـه:{**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**} وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه والنصوص فيه عند ذكره في آخر هذا الفصل.

والمقصود أنه ﷺ فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأقوال والأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، ومجموع ذلك هو الدين (**والكل**) من هذه المراتب (**مبنى على أركان**) لا قوام لـه إلا بقيامها، وسنتكلم على كل منها إجمالاً وتفصيلاً، ونحيل ما قدم بيانه منها على موضعه إن شاء الله.

* * *

١٦٥- فقد أتَى الإسلام مبنيًا على ::: خَمْسٍ فَحَقِّقْ وادرِ ما قد نُقِلا
١٦٦- أوُّلها الركنُ الأساس الأعْظَمُ ::: وَهْوَ الصِّراطُ المستقيمُ الأقْوَمُ
١٦٧- رُكْنُ الشهادتين فاثْبتْ واعتصِمْ ::: بالعُرْوَة الوُثْقَى التي لا تَنْفَصِمْ
١٦٨- وثانيًا إقامةُ الصَّلاةِ ::: وثالثًا تَأدِيةُ الزكاةِ
١٦٩- والرابعُ الصيامُ فاسْمَعْ واتَّبِعْ ::: والخامسُ الحَجُّ على من يَسْتَطِعْ

وهذه أركان المرتبة الأولى مرتبة الإسلام، وهي على قسمين: قولية، وعملية، فالقولية الشهادتان، والعملية الباقي: وهي ثلاثة أقسام: بدنية وهي الصلاة والصوم، ومالية وهي الزكاة، وبدنية مالية وهو الحج، وقول القلب وعمله شرط في ذلك كله كما تقدم، والنصوص في هذه الأمور الخمسة كثيرة جدًا، وهي على نوعين: قسم شامل لجميعها، وقسم يخص كل خصلة منها، فلنبدأ بالقسم الأول ما تيسر منه على حدته، والقسم الثاني مع حل ألفاظ المتن إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك حديث جبريل السابق ذكره عن الجم الغفير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ومنها حديث وفد عبد القيس وقد تقدم أيضًا.

ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنه في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**}(١) فقال لـه رجل: والجهاد في سبيل الله؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن (٢)، هكذا حدثنا رسول الله ﷺ.

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [٨] مسلم [١٦].
(٢) (سنده ضعيف) مسند أحمد [٤٧٩٨] مصنف ابن أبي شيبة [١٩٥٦٣] علته: يزيد بن بشر السكسكي: مجهول، انظر تعجيل المنفعة لابن حجر [١١٨٠].

ومنها حديث جرير بن عبدالله رضى الله عنه عند أحمد وغيره قال: قال رسول الله ﷺ :{**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**}(١) وإسناده صحيح.

ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال:{**كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله تعالى أرسلك، قال ﷺ صدق، قال فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال ﷺ : نعم، قال: فزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال ﷺ : صدق، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال ﷺ : نعم صدق، قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال ﷺ نعم، قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال ﷺ صدق، قال ثم ولى فقال: والذي بعثك بالحق نبيًا لا أزيد عليهن شيئًا ولا أنقص منهن شيئًا، فقال النبي ﷺ : لئن صدق ليدخلن الجنة**} رواه الجماعة وهذا لفظ أحمد(٢)، وفي رواية قال:{**آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي**} قال:{**وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعيد بن بكر**}(٣).

(١) (إسناده ضعيف) من حديث جرير بن عبد الله عند أحمد في مسند [١٩٢٤٠] وبه جابر بن يزيد الجعفي: ضعيف، وله طريق آخر في المسند أيضا [١٩٢٤٦] وبه داود بن يزيد الودي وهو ضعيف، وإن كان الحديث به ضعف من حديث جرير فهو صحيح من حديث ابن عمر كما سبق، ولله الحمد.

(٢) (صحيح) البخاري [٦٣] مسلم [١٢] وأحمد [١٢٤٧٩] واللفظ له.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٣].

وفي الصحيحين وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله:{**أن أعرابيّا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس، إلا أن تطوع شيئًا، فقال أخبرني ما فرض الله علي من الصيام، فقال: شهر رمضان، إلا أن تطوع شيئًا، فقال أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة، قال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئًا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئًا فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**} هذا لفظ البخاري(١) في كتاب الصوم.

ولـه عن أبي أيوب رضى الله عنه :{**إن رجلاً قال للنبي ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال ماله ماله**} وقال النبي ﷺ :{**أرب ماله، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**}(٢) ورواه مسلم وغيره.

ولهما عن أبي هريرة رضى الله عنه :{**أن أعرابيّا أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**}، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي ﷺ : {**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**}(٣).

وفي حديث ابن المنتفق رضى الله عنه في وفادته على رسول الله ﷺ قال:{**قلت ثنتان أسألك عنهما: ما ينجيني من النار وما يدخلني الجنة؟ قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسه ثم أقبل عليَّ بوجهه قال: لئن كنت أوجزت في المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عني إذًا، اعبد**

(١) (صحيح) البخاري [١٧٩٢] كتاب الصوم..
(٢) (صحيح) البخاري [١٣٣٢] مسلم [١٣] واللفظ للبخاري.
(٣) (صحيح) البخاري [١٣٣٣] مسلم [١٤].

الله لا تشرك به شيئًا وأقم الصلاة وأد الصلاة وأد الزكاة المفروضة وصم رمضان، وما تحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم وما تكره أن يأتي إليك الناس فذر الناس منه}[1] رواه أحمد.

وفي رواية:**{لئن كنت قصرت في الخطبة لقد أبلغت في المسألة، اتق الله لا تشرك بالله شيئًا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان}**[2].

ولعل ابن المنتفق هذا هو الرجل المبهم في رواية أبي أيوب المتقدمة في الصحيح فإن في مسلم أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ أو بزمامها، وفي آخرها قول النبي ﷺ دع الناقة بعد أن علمه، وابن المنتفق قال فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ :**{خل سبيل الراحلة}** وفي الرواية الأخرى:**{خل طريق الركاب}**[3] فيشبه أن يكون هو صاحب القصة وقد حفظ الصوم والحج زيادة على ما في حديث أبي أيوب ورجاله رجال الصحيح، وهو السائل، أعلم بجواب النبي ﷺ وأوعى لـه وأحفظ لـه وأضبط من غيره، والله أعلم.

وعن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر رضى الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه:**{اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي لـه فليقل السلام عليكم، أأدخل؟}** قال: فسمعته يقول ذلك فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ قال: فأذن لي، أو قال: فدخلت، فقلت: بم أتيتنا به، قال:**{لم آتكم إلا بخير، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك لـه}**، قال شعبة: وأحسبه قال:**{وحده لا شريك لـه، وأن تدعوا اللات والعزى، وأن تصلوا بالليل والنهار**

---

(١) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [٢٧١٩٧] علته: عبد الله بن أبي عقيل اليشكري: ليس بمشهور. انظر تعجيل المنفعة لابن حجر [٥٦٤].

(٢) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [٢٧١٩٨] وعلته كالحديث السابق.

(٣) انظر الحديثين السابقين.

خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهرًا، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم}، قال فقال: فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه؟ قال:**{قد علمني الله** عز وجل **خيرًا وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله** عز وجل { إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ } [لقمان: ٣٤]} رواه أحمد ورجاله ثقات أئمة، وروى أبو داود طرفًا منه(١).

وعن السدوسي بن الخصاصية رضى الله عنه قال: **أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فاشترط عليَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله أما اثنتان فوالله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أن من ولَّى الدبُّرَ فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة فوالله مالي إلا غنيمة وعشر ذودهن رسْل(٢) أهلي وحمولتهم، قال فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال: فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذًا؟ قال قلت: يا رسول الله أنا أبيعك، قال فبايعت عليهن كلهن}**(٣).

وعن زياد بن نعيم الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ :**{أربع فرضهن الله**

---

(١) (إسناده صحيح) أحمد في المسند [٢٣١٧٦] والبخاري في الأدب المفرد [١٠٨٤]أبو داود [٥١٧٧].

(٢) الذود من الإبل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها، والكثير أذواد، والرِسْلُ: اللبن. مختار الصحاح.

(٣) (إسناده ضعيف) مسند أحمد [٢٢٠٠٢] الطبراني في الكبير [١٢٣٣] الحاكم في المستدرك [٢٤٢١] علته: أبو المثنى العبدي: مؤثر بن عفازة: مقبول، انظر التقريب [٦٩٣٩].

في الإسلام، فمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئًا حتى يأتي بهن جميعًا الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت}[1] رواه أحمد مرسلاً في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لا يخفى.

وعن جرير بن عبدالله رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ :**{كأن هذا الراكب إياكم يريد}** قال فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه، فقال لـه النبي ﷺ :**{من أين أقبلت؟}** قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال:**{فأين تريد؟}** قال: أريد رسول الله ﷺ، قال:**{فقد أصبته}** قال: يا رسول الله علمني ما الإيمان؟ قال:**{تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت}** قال: قد أقررت، قال ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات، فقال رسول الله ﷺ :**{عليَّ بالرجل}** فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعداه فقالا: يا رسول الله قبض الرجل، قال فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ :**{أما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعًا}** ثم قال رسول الله ﷺ :**{هذا والله من الذين قال الله تعالى فيهم**{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢] ثم قال ﷺ :**{دونكم أخاكم}** قال فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ، الحديث، رواه أحمد، وفي إسناده أبو جناب مختلف فيه، والمتن صحيح[2].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية.

* * *

(١) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١٧٨٢٤]وبسنده: عبد الله بن لهيعة: ضعيف.
(٢) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١٩١٩٩] وعلته: أبو جناب: فهو ضعيف.

الشهادتان

(**أولها**) أو أول هذه الأركان (**الركن الأساس الأعظم**) الركن في اللغة الجانب الأقوى وهو بحسب ما يطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك، فمن الأركان ما لا يتم البناء إلا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به، وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقولـه ﷺ :{**بني الإسلام على خمس**}[١] فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهذا قلنا (**الأساس**) الذي لا يقوم البناء إلا عليه ولا يمكن إلا به ولا يحصل بدونه، (**الأعظم**) هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمها، فإنها كلها تابعة لـه، ولا يدخل العبد في شيء من الشريعة إلا به (**وهو الصراط**) الطريق الواضح (**المستقيم**) الذي لا اعوجاج فيه ولا غبار علية بل هو معتدل جلي نير، (**الأقوم**) أى الأعدل، من سلكه أوصله إلى جنات النعيم، ومن انحرف عنه هوى في قعر الجحيم، فإن من لم يثبت عليه في الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة، وذلك الركن المشار إليه هو (**ركن الشهادتين**) هذا من إضافة الشيء إلى نفسه أى الركن الذي هو الشهادتان، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه، ولهذا لم يدعُ الرسول ﷺ إلى شيء قبلهما، ولم يقبل الله تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئًا دونهما، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب لـه، وبالثانية يعرف كيف يعبده وبأي طريق يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يعبد؟ ففي الشهادة الأولى توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لاشريك لـه، وفي الشهادة الثانية توحيد الطريق الذي لا

---

(١) (صحيح) تقدم تخريجه.

يوصل إلى الله تعالى إلا منه، ولا يقبل دينًا ممن ابتغى غيره ورغب عنه، فإن عبادة الله تعالى التي خلق الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هي أمر جامع لكل ما يحبه تعالى ويرضاه اعتقادًا وقولاً وعملاً، ومعرفة محابّة تعالى ومرضاته لا تحصل إلا من طريق الشرع الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾} [آل عمران: ٣١] وقد قدمنا في النوع الثاني من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضها، وبسطنا الكلام هناك وحررنا من الأدلة ما يغنى عن الإعادة هنا.

(**فاثبت**) أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلي، ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين، فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين(١)، فالناجي حينئذ واحد من ألف فاغتنم أن تكون من تلك الآحاد، واحذر أن تغتر بجموع الضلالة فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد.

(**واعتصم**) أى استمسك (**بالعروة**) أى بالعقد الأوثق في الدين، والسبب الموصل إلى رب العالمين (**الوثقى**) تأنيث الأوثق (**التي لا تنفصم**) أى لا تنقطع، وقد تقدم في الكلام على لا إله إلا الله أنها هي العروة الوثقى، وذلك واضح في قولـه تعالى:{فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦] وتقدم أن شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان به هو شرط في الإيمان بالله، وما كان من شرط في الشهادة الأولى فهو شرط في الثانية.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦١٦٥]، مسلم [٢٢٢].

(وثانيًا) من الأركان الخمسة **(إقامة الصلاة)** بجميع حقوقها ولوازمها، **(وثالثا تأدية الزكاة)** إعطاؤها على الوجه المشروع، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد وتقديمهما بعده على غيرهما في غير موضع من القرآن أمرًا وخبرًا قال الله تعالى:{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾} [البقرة: ٢ - ٣] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾} [البقرة: ٢٧٧] وقال تعالى:{وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾} [النور: ٥٦] وقال تعالى:{وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [البينة: ٥] وقال تعالى:{وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [البينة: ٥] وقال تعالى:{فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [التوبة: ٥].

وفي حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له:{**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**}(١) وفي رواية:{**فليكن ما تدعوهم إليه عبادة الله** عز وجل ، **فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم..**}(٢) الحديث.

ولنذكر طرفًا من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسر من نصوص الزكاة والله المستعان:

---

(١) (صحيح) البخاري [١٤٢٥] مسلم [٢٩/ ١٩].

(٢) (صحيح) مسلم [٣١ /١٩/ عبد الباقي].

اعلم هدانا الله وإياك أن الصلاة قد اشتملت على جل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب والانقياد والاخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه لـه والصمود إليه والاطراح بين يديه، وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القران والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم لـه وسائر أنواع الذكر، وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك، هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل - منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس - وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات، ولهذا قال النبي ﷺ :{**وجعلت قرة عيني في الصلاة**}(١) ولاشتمالها على معاني الإيمان سماها الله إيمانًا في قولـه عز وجل :{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ} [البقرة: ١٤٣] وهي ثانية أركان الإسلام في الفريضة، فإنها فرضت في ليلة المعراج بعد عشر من البعثة لم يدعُ الرسول ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيد الذي هو الركن الأول ففرضت خمسين ثم خففها الله عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك في الصحيحين وغيرهما، وهي ثانية في الذكر، فما ذكرت شرائع الإسلام في آية من الآيات أو حديث من السنة إلا وبدئ بها بعد التوحيد قبل غيرها كما في الآيات السابقة وكما في حديث جبريل وحديث:{**بني الإسلام**} وحديث وفد عبد القيس وحديث معاذ بن جبل وحديث:{**أمرت أن أقاتل الناس**} وغيرها مما لا يحصى، وهي ثانية في آيات

(١) (إسناده حسن) النسائي [٣٩٣٩] أحمد في مسنده [١٢٣١٥] من حديث أنس بن مالك.

الأمر بالجهاد وفي الآيات وعيد الكفار كما في قوله تعالى:{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} [التوبة: ٥] الآية، وقوله{كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾} [المرسلات: ٤٦ - ٤٩] وهي ثانية في مدح المؤمنين كما في قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾} [المؤمنون: ١ - ٢] وفي ذم الكفار بتركها كما في قوله عز وجل :{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾} [الانشقاق: ٢٠ - ٢١] وقوله:{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾} [القيامة: ٣١ - ٣٢] وكذا في ذم المنافقين بعدهم اهتمامهم لها كما في قوله تعالى:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾} [النساء: ١٤٢] وهي ثانية في حساب العبد يوم القيامة كما في قوله ﷺ :{**أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته، فإن تقبلت منه تقبل منه سائر عمله وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله**}[1] ومعنى قوله أول:{**ما يسأل عنه العبد**} أى بعد التوحيد، وهي ثانية فيما ذكر المجرمون أنهم عوقبوا به، كما في قوله تعالى:{فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾} [المدثر: ٤٠ - ٤٣] الآيات، والنصوص في شأنها كثيرة لا تحصى وهي متنوعة، فمنها ما فيه الأمر بها كقوله{حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾} [البقرة: ٢٣٨] وقوله{ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾} [الإسراء: ٧٨] وما في معناها.

---

(١) (سنده رواته ثقات) وهو بهذا المعنى عند الترمذي [٤١٣] والنسائي [٤٦٥].

ومنها ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله ﷺ لمعاذ:{**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**}[1] ومنها في ثواب أهلها كقوله عزوجل:{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾} [المؤمنون: ٩ - ١١].

ومنها ما فيه ذكر نجاتهم من النار كقوله ﷺ في عصاة الموحدين{**فيعرفونهم بآثار السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود**}[2].

ومنها ما في عقاب تاركها كقوله عز وجل :{فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾} [الماعون: ٤ - ٥] وقوله تعالى:{ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ} [مريم: ٥٩ - ٦٠] - الآية، وقوله تعالى:{يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾} [القلم: ٤٢ - ٤٣].

ومنها ما فيه تكفير تاركها ونفي الإيمان عنه وإلحاقه بإبليس كقوله تعالى:{ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا} [مريم: ٥٩ - ٦٠] فإنه لو كان مضيع الصلاة مؤمنًا لم يشترط في توبته الإيمان، وقوله{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ} [التوبة: ١١] فعلق إخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين، وقال تعالى:{ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾} [السجدة: ١٥] وقوله تعالى:{ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾} [البقرة: ٣٤].

---

(١) (حسن لغيره) الترمذي [٢٦١٦] ابن ماجة [٣٩٧٣] أحمد [٢٢٠٦٩] وعبد الرزاق [٢٠٣٠٣] والطبراني في مسند الشاميين [٢٩٣٨] الحاكم [٢٤٠٨] الطيالسي [٥٦٠] كلهم: من حديث معاذ بن جبل.

(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٠٠] مسلم [١٨٢] من حديث أبي هريرة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله - وفي رواية يا ويلي - أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار}**[١].

وفيه عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة}**[٢] ورواه الترمذي وقال حسن صحيح.

ولـه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ :**{العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر}**[٣].

قال وفي الباب عن أنس رضى الله عنه وابن عباس هذا حديث حسن صحيح غريب.

وروى الإمام أحمد والنسائي عن محجن بن الأدرع الأسلمي:**{أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأذن بالصلاة فقام النبي ﷺ ثم رجع ومحجن في مجلسه}** فقال لـه:**{ما منعك أن تصلي، ألست برجل مسلم؟}** قال: بلى، ولكني صليت في أهلي، فقال لـه:**{إذا جئت فصلِّ مع الناس وإن كنت قد صليت}**[٤] فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة، ولفظ الحديث يتضمن أنك لو كنت مسلمًا لصليت.

---

(١) (صحيح) مسلم في صحيحه [٨١].
(٢) (صحيح) مسلم [٨٢] الترمذي [٢٦١٨].
(٣) (صحيح) الترمذي [٢٦٢١].
(٤) (حسن لغيره) مالك في الموطأ [٢٩٦] النسائي [٨٥٧] بسر أو بشر بن محجن: لا يعرف حاله، وله شاهد من حديث يزيد بن عامر عند أبي داود [٥٧٧] وفي سنده نوح بن صعصعة: مجهول أيضا.

وفي المسند والأربع السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال لـه:{**من حافظ عليها كانت لـه نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن لـه نورٌ ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**}[١] ورجال أحمد ثقات.

وتقدم الحديث الذي في البخاري في صفة المسلم:{**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا..**} الحديث.

وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريري عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[٢] ومنها ما فيه التصريح بوجوب قتله، كقولـه عز وجل :{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ } [التوبة: ١١] الآية، وقولـه صلى الله عليه وسلم :{**أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة..**} الحديث، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وأما الآثار في شأنها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تحصر وقد أجمعوا على قتله كفرًا إذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها، وإن قال: لا إله إلا الله، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة، ولدخوله في التارك لدينه المفارق للجماعة وفي قولـه ﷺ :{**من بدل دينه فاقتلوه**}[٣] فإنه بذلك يكون مرتدًا مبدلاً لدينه.

---

(١) (سنده حسن) أحمد في المسند [٦٥٧٦] الدارمي [٢٧٢١]ابن حبان [١٤٦٧]مسند عبد بن حميد [٣٥٣].

(٢) (سنده صحيح) الترمذي في سننه [٢٦٢٢].

(٣) (صحيح) البخاري في صحيحه [٦٥٢٤].

وأما إن كان تركه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون كما هو حال كثير من الناس فقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهي إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه.

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي، قال رحمه الله: واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر:{**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**}(١) وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يقتل، بحديث:{**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث**}(٢) وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء: ٤٨] وبقوله ﷺ :{**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**(٣)**، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**(٤)**، ولا يلقى الله**

---

(١) (صحيح) مسلم [٨٢] الترمذي [٢٦١٨].

(٢) (صحيح) البخاري [٦٤٨٤] مسلم [١٦٧٦] من حديث عبد الله بن مسعود. ورواه أبوداود [٤٥٠٢] من حديث عثمان بن عفان.

(٣) (صحيح) مسند أبي يعلى [٣٨٩٩] من حديث أنس، وعند أبي داود الطيالسي [٤٤٤] من حديث أبي ذر.

(٤) (صحيح) مسلم [٢٦] من حديث عثمان بن عفان.

عبد بهما غير شاك فيحجب عن الجنة[1]، وحرم الله على النار من قال لا إله إلا الله}[2] وغير ذلك.

واحتجوا علي قتله بقولـه تعالى:{فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥] وقولـه ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم}**[3] وتأوّلوا قولـه ﷺ :{**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة}**[4] على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل، أو أنه محمول على المستحلّ، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر، أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم. انتهى كلامه.

وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتب الدين وفي بيان أنواع الكفر ما فيه غنية وذكرنا هنا ما تيسر من النصوص في شأنها، وقد بسط الحافظ ابن القيم في كتاب الصلاة الكلام على هذه المسألة بسطًا حسنًا فليراجع.

* * *

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧] من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري.
(٢) (صحيح) مسلم [٢٩] سنن الترمذي [٢٦٣٨] من حديث عبادة بن الصامت.
(٣) (صحيح) البخاري [٢٥] مسلم [٢٢] من حديث ابن عمر، وفيه (حتى يشهدوا).
(٤) (صحيح) سبق تخريجه قريبًا.

وأما الزكاة فقد تقدم ذكرها في نصوص الصلاة وغيرها، ومما يتعلق بها على انفرادها قولـه عز وجل :{خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣} [التوبة: ١٠٣] وقولـه في صفات عباده المؤمنين{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤} [المؤمنون: ٤] وقولـه تعالى في ذم الكفار ووعيدهم{وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ } [فصلت: ٦ - ٧] وإن كانت هذه الآية في زكاة النفوس(١) فهي عامة لزكاة الأموال أيضًا وقد فسرت بها، وقولـه تعالى في وعيد مانعيها مطلقًا{وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥} [التوبة: ٣٤ - ٣٥] يوضح ذلك الحديث الذي فيه:{**ما أديت زكاته فليس بكنز**}(٢).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت لـه صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت لـه في يوم كان مقداره خمسين ألف**

(١) ما أشـار إليه المصـنف رحمه الله من أن المقصـود بالزكاة في الآية طهارة النفس ذكره ابن كثير، ونقله عن ابن عباس.
قال ابن كثير رحمه الله: والمراد بالزكاة هاهنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات.
ثم نقل قولا آخر عن السـدي أنهم (لا يَدِينون بالزكاة) وقال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسـرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السـنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة الصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة.
(٢) (إسـناده حسـن) الدار قطني [ج ٢ - ١] المسـتدرك للحاكم [١٤٣٨] المعجم الكبير [ج ٢٣ - ٦١٣] من حديث أم سلمة. وانظر نصب الراية للزيلعي [ج٢] أحاديث زكاة الحلي.

سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر[1] أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطأه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرّ عليه أولاها أعيد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ولا يفقد منها شيئًا ليس فيها عفصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر عليه أولادها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار}[2] الحديث بطوله.

وفيه عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد يوم القيامة بقاع قرقر تطأه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن..}** الحديث، وفيه:**{ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذي كنت تبخل به، فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل}**[3].

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: قولــــه ﷺ : (بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَر) الْقَاع: الْمُسْتَوِي الْوَاسِع مِنْ الأَرْض يَعْلُوهُ مَاء السَّــمَاء فَيُمْسِــكُهُ، قَالَ الْهَرَوِيُّ: وَجَمْعه قِيعَة وَقِيعَان، مِثْل جَارٍ وَجِيرَة وَجِيرَان. وَالْقَرْقَر: الْمُسْتَوِي أَيْضًا مِنْ الأَرْض الْوَاسِع وَهُوَ بِفَتْحِ الْقَافَيْنِ. شرح مسلم للنووي [ج٤ - ص٧٦].

(٢) (صحيح) مسلم في صحيحه [٩٨٧] كتاب الزكاة.

(٣) (صحيح) مسلم في صحيحه [٩٨٨].

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئًا، وقد بلغت، ولا يأتي أحدكم ببعير يحمله على رقبته لـه رغاء فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد بلغت**}(١).

وفيه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل لـه يوم القيامة شجاعًا أقرع**(٢) **لـه زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه** - يعني شدقيه - **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك**}(٣)، ثم تلا{وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ} [آل عمران: ١٨٠] الآية.

وفيه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضى الله عنه، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: ٣٤] قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل لـه، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله تعالى طهرة للأموال(٤).

وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخاري رحمه الله تعالى: (باب البيعة على إيتاء الزكاة){فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ} [التوبة: ١١] حدثنا ابن نمير قال حدثني أبي قال: حدثنا إسماعيل عن قيس قال: قال جرير بن عبد الله رضى الله عنه: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم(٥)والنصوص فيها كثيرة وفي ما تقدم كفاية.

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [١٣٣٧].
(٢) الْمُرَاد بِالشُّجَاعِ: الْحَيَّة الذَّكَر، وَقِيلَ الَّذِي يَقُوم عَلَى ذَنَبه وَيُوَاثِب الْفَارِس، وَالأَقْرَع الَّذِي تُقْرَع رَأْسه أَيْ تُمْعَط لِكَثْرَةِ سُمّه. الفتح [ج٤ - ص٣١٧].
(٣) (صحيح) البخاري في صحيحه [٤٢٨٩].
(٤) (صحيح) البخاري في صحيحه [١٣٣٩].
(٥) (صحيح) البخاري [١٣٣٦] مسلم [٥٦].

وأما حكم تاركها فإن كان منعه إنكارًا لوجوبها فكافر بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة، وإن كان مقرّا بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضى الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : {**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** عز وجل } فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، ولو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضى الله عنه : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق - وفي رواية - فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق(١).

وهذا الذي استنبطه أبو بكر رضى الله عنه مصرح به في منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** عز وجل }(٢) وغيره من الأحاديث.

وقد جهز النبي ﷺ خالد بن الوليد لغزو بني المصطلق حين بلغه أنهم منعوا الزكاة ولم يكن ما بلغه عنهم حقّا فروى الإمام أحمد قال: حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي

---

(١) (صحيح) البخاري في صحيحه [١٣٣٥] مسلم [٢٠].
(٢) (صحيح)سبق تخريجه.

رضى الله عنه يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إلي يا رسول الله رسولاً إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب لـه وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يَأْتِهِ وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسول الله ﷺ، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقَّت لي وقتًا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا نأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق - أى خاف - فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا إليك، قال: ولم؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال رضى الله عنه : لا والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولاأتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال:{**منعت الزكاة وأردت قتل رسولي**}، قال رضى الله عنه : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسول الله ﷺ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله ﷺ، قال فنزلت الحجرات{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ } [الحجرات: ٦]

إلى قولـه{حَكِيمٌ} [الحجرات: ٨] الحجرات ورواه ابن أبي حاتم(١) عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به.

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: بعث رسول الله رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت: فرجع إلى رسول الله فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله فصفوا لـه حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلاً مصدقًا فسررنا بذلك وقررت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبًا من الله تعالى ومن رسوله ﷺ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال فأذن لصلاة العصر(٢)، قالت: ونزلت{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾} [الحجرات: ٦].

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنه في هذه الآية قال: كان رسول الله بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله فقال رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا من الصدقة، فغضب رسول الله من ذلك غضبًا شديدًا، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه

(١) (إسناده ضعيف) أحمد في مسنده [١٨٤٨٢] الطبراني في الكبير [٣٣٩٥] تفسير ابن أبي حاتم [١٨١٧٦] فمداره على: دينار والد عيسى بن دينار: وهو مقبول، انظر التقريب.

(٢) (إسناده ضعيف) ابن جرير في تفسيره للآية المذكورة [ج١١] وعلته: موسى بن عبيدة الربذي: ضعيف، انظر التقريب [٦٩٨٩].

الوفد فقالوا: يا رسول الله إنا حُدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، وأن النبي ﷺ استغشاهم وهمَّ بهم(١)، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ } [الحجرات: ٦] إلى آخر الآية.

وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة: وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام - فبعث رسول الله خالد بن الوليد رضى الله عنه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالدًا رضى الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢). أهـ. من تفسير الحجرات لابن كثير رحمه الله تعالى.

وذكر البغوي رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه: فغضب رسول الله وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله تعالى فبدا لـه في الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه وقال لـه: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة

---

(١) (إسناده ضعيف) ابن جرير الطبري في تفسيره عقب الأثر السابق [ج١١] علته: محمد بن سعد بن الحسن بن عطية العوفي: ضعيف انظر لسان الميزان [ج٥ - ٦٠٣] وسعد بن الحسن العوفي: ضعيف أيضا انظر تاريخ بغداد [٤٧٤٣] وغيرهما في السند.

(٢) تفسير ابن كثير (الحجرات) [ج٤] وانظر تفسير الطبري [ج١١].

أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يُستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد، ووافهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ } [الحجرات: ٦] الآية.

وأما إن كان الممتنع عن أداء الزكاة فردًا من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهرًا، واختلفوا من ذلك في مسائل:

إحداها: هل يكفر أم لا؟ فقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله لا يرون من الأعمال شيئًا تركه كفر إلى الصلاة[١]، وقال أيوب السختياني: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه.

وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وهو قول ابن المبارك وأحمد وإسحاق وحكى إسحاق عليها إجماع أهل العلم، وقال محمد بن نصر المروزي: هو قول جمهور أهل الحديث.

وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئًا من أركان الإسلام الخمس عمدًا أنه كافر، وروى ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه وهو قول ابن حبيب من المالكية.

وخرج الدار قطني وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال:**{قيل: يا رسول الله الحج في كل عام؟ قال: لو قلت نعم لوجب عليكم ولو وجب عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم}**[٢].

---

(١) (إسناده صحيح) سنن الترمذي [٢٦٢٢] الحاكم في المستدرك [١٢].

(٢) (إسناده حسن لغيره) وهو عند الدار قطني [٢٠٦] وسنده ضعيف، وعلته: محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي: ليس بالقوي، انظر التقريب [٦٤٠٢] وإبراهيم بن مسلم الهجري: ضعيف انظر التقريب [٢٥٢].

إلا أن للحديث شاهد بسند حسن عند أبي يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك [٣٦٩٠].

وله شاهد بسند لا بأس به في المعجم الكبير [٧٦٧١] من حديث أبي أمامة.

وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم(١)، وعن أحمد رواية أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج.

وقال ابن عيينة: المرجئة سموا ترك الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم، وليس سواء، لأن ركوب المحارم متعمدًا من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر، وبيان ذلك في أمر إبليس، وعلماء اليهود الذي أقروا ببعث النبي بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

المسألة الثانية: هي يقتل أم لا؟ الأول هو المشهور عن أحمد رحمه الله تعالى، ويستدل لـه بحديث ابن عمر رضى الله عنه:{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..**}(٢) الحديث، والثاني لا يقتل، وهو قول مالك والشافعي ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى.

وروى اللالكائي من طريق مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن مالك النكرى عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ولا أحسبه إلا رفعه قال: عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أسس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان، من ترك منهم واحد فهو بها كافر ويحل دمه، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافرًا ولا يحل بذلك دمه، وتجده كثير المال ولا يزكي فلا يزال بذلك كافرًا ولا يحل دمه(٣).

ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد مرفوعًا مختصرًا، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمرو بن مالك بهذا الإسناد مرفوعًا، وقال: من ترك منهن واحدة - يعني الثلاث الأول - فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله، ولم يذكر ما بعده.

---

(١) (سنده حسن) اعتقاد أهل السنة اللالكائي [١٥٧٤/١٥٧٥].

(٢) (صحيح) سبق تخريجه.

(٣) (سنده ضعيف) اعتقاد أهل السنة اللالكائي [١٥٧٦] مسند أبي يعلى [٢٣٤٩] به مؤمل بن إسماعيل، قال البخارى: منكر الحديث، انظر تهذيب الكمال [٦٣١٩].

المسألة الثالثة: لمن لم ير قتله هل ينكل بأخذ شيء من ماله مع الزكاة؟

وقد روي في خصوص المسألة حيث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون، لا تفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجرًا بها فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء**}[1] رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم، وعلق الشافعي القول به على ثبوته فإنه قال: لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به.

* * *

(١) (إسناده حسن) وإن كان في لفظه بعض المخالفة لما في الصحيح، سنن أبي داود [١٥٧٥]. فعند البخاري [١٣٨٦] بلفظ: (فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمسة وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمسٍ وأربعين ففيها بنت لبون أنثي).

والرابعُ الصيامُ فاسْمَعْ واتَّبعْ ::: والخَامِسُ الحَجُّ على مَنْ يَسْتَطِعْ

الركن الرابع من أركان الإسلام الصيام، وهو في اللغة الإمساك، وفي الشرع إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، وكان فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال الله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ } [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥] إلى آخر الآيات، وقد تقدمت الأحاديث فيه.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فرضيته، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه، وقوله فاسمع واتبع مأخوذ من قول الله عز وجل : {فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾} [الزمر: ١٧ - ١٨].

* * *

الركن الخامس الحج، وهو (**على من يستطيع**) أى من استطاع إليه سبيلاً، قال الله تعالى:{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ} [آل عمران: ٩٧] قد ذكر الله تعالى تفصيله في سورة البقرة من قوله تعالى:{ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٦] إلى قوله{إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [البقرة: ٢٠٣].

واشتراط الاستطاعة فيه مصرح به في الآية وفي حديث جبريل وفي حديث معاذ وغيرها، وفسره النبي بالزاد والراحلة، ولا خلاف في كفر من جحد فرضيته، وتقدم الخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله:{**تعجلوا الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض لـه**}(١) ورواه أبو داود بلفظ:{**من أراد الحج فليتعجل**}.

وروى الإسماعيلي بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديًّا أو نصرانيًا(٢).

وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين(٣)، وروى البغوي عن أبي أمامة رضى الله عنه أن النبي قال:

---

(١) (سنده به ضعف) مسند أحمد [٢٨٦٩] به: إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملائي: به ضعف. ورواه أبو داود [١٧٣٢] وبه: مروان أبو صفوان: مجهول، انظر التقريب [٦٩٤٣].

(٢) (إسناده صحيح) هكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، بعد ذكره لهذا الأثر من رواية الإسماعيلي [ج٢] عند تفسيره سورة آل عمران. ورواه البيهقي في سننه [٨٤٤٤] والإيمان للعدني [٣٨] وعلتهما: عبد الله بن نعيم: لين الحديث انظر التقريب [٣٦٦٧].

(٣) (إسناده ضعيف) انظر تفسير ابن كثير [ج١] ونصب الراية للزيلعي [٤/ ٤١١] وهناك ذكر إسناد سعيد ابن منصور كاملا، وعلته الانقطاع، فالحسن البصري لم يسمع من عمر بن الخطاب.

{من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا(١)**.**

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:**{أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا}** فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله:**{لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم}** ثم قال:**{ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتم عن شيء فدعوه}**(٢)**.**

ورواه مسلم بنحو هذا والله أعلم.

وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله فقال:**{يا أيها الناس، إن الله تعالى كتب عليكم الحج، فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فقال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم يعملوا بها، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها، والحج مرة فمن زاد فهو تطوع}**(٣)**.**

* * *

(١) (إسناده ضعيف) البغوي في تفسيره [ج٢] سنن الدارمي [١٧٨٥] أخبار مكة للفاكهي [٧٦٧] مسند الروياني [١٢٣١] علتهم جميعا: الليث بن أبي سليم: ضعيف.

(٢) (صحيح) أحمد في مسنده [١٠٦١٥] ومسلم في صحيحه [١٣٣٧].

(٣) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٢٦٤٢] أبو داود في سننه [١٧٢١] النسائي [٢٦٢٠] الحاكم في المستدرك [١٧٢٨].

ذكر أمور تدخل في مُسمّى الإيمان والإسلام من الأوامر والمناهي والأخبار

قال الله عز وجل:{ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا } [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] الآيات، وقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾} [القصص: ٥٢ - ٥٥] وقال تعالى:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾} [الفرقان: ٦٣ - ٧٦]،

وقال تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (١١١) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١٢)} [التوبة: ١١١ - ١١٢].

وقال تعالى:{ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ (٣١) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ (٣٥) فَمَالِ} [المعارج: ١٩ - ٣٦] وقال تعالى:{قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ (٧) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ (١٠)} [المؤمنون: ١ - ١٠] الآيات، وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا} [المؤمنون: ٥٧ - ٦٢] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ (١٦) كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ (١٧) وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ (١٨) وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ (١٩)} [الذاريات: ١٥ - ١٩]

وقال تعالى:{۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾} [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى:{وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾} [الحج: ٢٧] إلى قوله:{وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ} [الحج: ٤١] وقال تعالى:{لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾} [الحشر: ٨ - ١٠] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر: ١٨] الآيات، وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ} [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة، وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} [الحجرات: ١] إلى آخر السورة، وقال تعالى:{۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾} [النساء: ٣٦] وقال تعالى:{وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾} [الأنعام: ١٢٠]

وقال تعالى:{ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾} [الأنعام: ١٥١] وقال تعالى:{ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾} [الإسراء: ٢٣ - ٣٩].

وقال تعالى:{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [الأعراف: ٣٣]

وقال تعالى:{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١} [النحل: ٩٠ - ٩١] الآيات، وقال تعالى:{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ} [الحشر: ٧] وقال تعالى:{ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ} [الأعراف: ٣] وقال تعالى:{قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١} [آل عمران: ٣١] الآيتين، وقال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ} [فصلت: ٣٠] الآيات، وقال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا} [الكهف: ١١٠].

وآيات القرآن في هذا الباب كثيرة وشهيرة لا تخفى، بل القرآن كله في تقرير الدين من فاتحته إلى خاتمته: دعوة وبشارة ونذارة، وأمرًا ونهيًا وخبرًا كله لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوة إليه، أو بشارة لمن اتبعه برضاء الله والجنة، أو نذارة لمن أبى عنه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، أو أمرًا بشرائعه أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها، أو نهيًا عن نواقضه جميعه أو نواقض شيء منها أو ما يوجب أدنى خلل فيه أو في شيء من شرائعه، أو خبرًا عن نصر من جاء به صدق وحفظه وتأييده في الدنيا، أو خبرًا عما أعد الله لهم في الآخرة من الفوز والنعيم، والنجاة من عذاب الجحيم، أو خبرًا عن إهلاك من استكبر عنه في الدنيا وما أحله الله بهم من غضبه عاجلاً من الخسف والمسخ والقذف وغير ذلك، وما أعده لهم في الآخرة من العذاب والعقاب، وما فاتهم وحرموه من الثواب وغير ذلك.

وأما الأحاديث فمنها قولـه ﷺ :{**الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**}(١).

وقولـه ﷺ :{**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة لـه ومن أصابه من ذلك شيئًا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**}(٢) قال عبادة بن الصامت: فبايعناه على ذلك.

وقولـه ﷺ :{**من يبايعني على هذه الثلاث الآيات**{ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } [الأنعام: ١٥١] الآيات(٣).

وقولـه ﷺ لمعاوية بن حيدة لما قال لـه:{**ما الذي بعثك الله به؟ قال: الإسلام قلت: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله تعالى، وأن توجه وجهك لله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة**}(٤).

وفي رواية قال:{**وما آية الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكل المسلم على المسلم حرام**}(٥).

---

(١) (صحيح) سبق تخريجه.

(٢) (صحيح) البخاري [١٨] مسلم [١٧٠٩].

(٣) (إسناده ضعيف) الحاكم في المستدرك [٣٢٤٠] علة السند: محمد بن مسلمة الواسطي: ضعيف، انظر لسان الميزان [١٢٤٠] وبه أيضا: سفيان بن حسين: ضعيف في حديث الزهري خاصة، وهذا الحديث من روايته عن الزهري انظر تهذيب الكمال [٢٣٩٩].

(٤) (سنده حسن) أحمد في مسنده [٢٠٠٣٦] والنسائي في الكبرى [١١٤٣١] وابن حبان في صحيحه [١٦٠].

(٥) (سنده حسن) مسند أحمد [٢٠٠٤٩]النسائي [٢٤٣٦] من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

وقولـه ﷺ :{**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين فإن دعواتهم تحيط من ورائهم**}(١).

وقولـه ﷺ : في جواب أى المسلمين أفضل؟ قال:{**من سلم المسلمون من لسانه ويده**}(٢).

وقولـه ﷺ :{**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم: لايظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا - وأشار إلى صدره ثلاثًا - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**}(٣).

وقولـه ﷺ :{**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**}(٤).

وقولـه ﷺ : في جواب من قال أى الإسلام خير؟ قال:{**أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**}(٥).

وقولـه ﷺ :{**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**}(٦).

وقولـه ﷺ : في جواب من سأله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال:{**قل آمنت بالله ثم استقم**}(٧).

---

(١) (إسناده صحيح) أحمد في مسنده [٢١٦٣٠] والدارمي [٢٢٩].
(٢) (صحيح البخاري [١٠] مسلم [٤٠] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه.
(٣) (صحيح) مسلم في صحيحه [٢٥٦٤].
(٤) (صحيح) البخاري في صحيحه [٦١١٩].
(٥) (صحيح البخاري [١٢] مسلم [٣٩].
(٦) (حسن لغيره) مالك في الموطأ [١٦٠٤] مرسلا، والترمذي [٢٣١٧] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .
(٧) (صحيح) مسلم في صحيحه [٣٨].

وقولـه ﷺ :{**ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيّا رسولاً**}(١).

وقولـه ﷺ :{**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وإن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**}(٢).

وقولـه ﷺ :{**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**}(٣).

وفي رواية:{**من أهله وماله**}(٤).

وفي حديث أبي رزين قال: قلت يارسول الله ما الإيمان؟ قال:{**أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحترق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله شيئًا، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ**} قلت: يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال:{**ما من أمتي - أو قال هذه الأمة - عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله مجازيه بها خيرًا، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة واستغفر الله منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا الله إلا وهو مؤمن**}(٥).

---

(١) (صحيح) مسلم [٣٤] وأحمد في مسنده [١٧٧٨] واللفظ له. من حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

(٢) (صحيح) البخاري في صحيحه [٢١/١٦] مسلم في صحيحه [٤٣] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) (صحيح) البخاري [١٥] مسلم [٤٤].

(٤) (صحيح) هذه الزيادة في صحيح مسلم أيضا [٤٤].

(٥) (إسناده ضعيف) مسند أحمد [١٦٢٣٩] مسند الشاميين للطبراني [٣٢٠] علته الانقطاع: فسليمان بن موسى من صغار التابعين، ولم يدرك أبا رزين.

وقولـه ﷺ :{**من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن**}[١].

وقولـه ﷺ :{**صريح الإيمان إذا أسأت أوظلمت عبدك أو أمتك أو أحدًا من الناس صمت أو تصدقت، وإذا أحسنت استبشرت**}[٢].

وقولـه ﷺ :{**المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه للناس على أموالهم وأنفسهم ثم الذي إذا أشرف علي طمع تركه لله** عز وجل }[٣].

وفي حديث عمرو بن عبسة، قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: طيب الكلام، وإطعام الطعام، فقلت: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة، قلت: أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده، قلت: أى الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن[٤].

وقولـه ﷺ :{**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**}[٥].

وقولـه ﷺ :{**ثلاث من فعلهن فقد طعِم طعْم الإيمان: من عبد الله وحده بأنه**

---

(١) (سنده صحيح) مسند أحمد [١١٤].

(٢) (إسناده فيه مقال) كذا قال البوصيري، والحديث في بغية الحارث، مسند أسامة بن الحارث [١٠] معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني [٦٦٦٦] وانظر المطالب العالية لابن حجر [٢٩٩١] وإتحاف المهرة للبوصيري [٣٥] وقال البوصيري رحمه الله: هذا إسناد فيه مقال، ابن أبي رافع إن كان هو عبد الرحمن بن رافع الراوي عن عمته سلمى وعبد الله بن جعفر، وعنه حماد بن سلمة، قال ابن معين: صالح. وإلا فما علمته، وباقي رجال الإسناد رجال الصحيحين.

(٣) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١١٠٦٥]علته رشدين بن سعد: ضعيف، وبه دراج أبو السمح ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، والحديث هذا من روايته عنه.

(٤) (إسناده ضعيف) أحمد في مسنده [١٩٤٥٤] مسند عبد بن حميد [٣٠٠] علته محمد بن ذكوان الأزدي: ضعيف انظر التقريب [٥٨٧١] وشهر بن حوشب: ضعيف انظر التقريب [٢٨٦٠].

(٥) (إسناده حسن) الترمذي في سننه [٤٦٨٢] وأحمد في المسند [١٠١١٠] من حديث أبي هريرة.

لا إله إلا هو وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام..} الحديث، وفي آخره:{**فقال رجل: فما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: أن يعلم أن الله معه حيثما كان}**(١).

وقولـه ﷺ :{**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى لـه سائر الجسد بالحمى والسهر}**(٢).

وفي رواية:{**المؤمنون كرجل واحد - وفى أخرى - كرجل واحد، إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله}**(٣).

وقولـه ﷺ :{**المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضًا - وشبك بين أصابعه}**(٤).

وقولـه ﷺ :{**المؤمن في أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس}**(٥).

---

(١) (إسناده ضعيف) أبو داود في سننه [١٥٨٢] دون الزيادة الأخيرة، وبسنده انقطاع، بين يحي بن جابر، وجبير بن نفير.
ورواه الطبراني في: المعجم الصغير [٥٥٥] ومسند الشاميين [١٨٧٠] وبسنده: علي بن الحسن بن معروف: مجهول الحال، انظر تراجم شيوخ الطبراني [٦٧٢] و أبو تقي عبد الحميد بن إبراهيم: ضعيف انظر الكاشف للذهبي [٣٠٩٤].
ورواه البيهقي في: السنن الكبرى [٧٠٦٧] شعب الإيمان [٣٢٩٧] وعلة سنده: إسحاق بن إبراهيم بن العلاء: صدوق يهم كثيرا وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب، انظر التقريب [٣٠٠] وعمرو بن الحارث: مقبول، انظر التقريب [٥٠٠١] ومن أهل العلم من قال أن الحديث بهذه الطرق ربما يتقوى، والله أعلم.
(٢) (صحيح) البخاري [٥٦٦٥] مسلم [٢٥٨٦].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٥٨٦] وأحمد [١٨٤١٧] من حديث النعمان بن بشير.
(٤) (صحيح) البخاري [٢٣١٤] مسلم [٢٥٨٥] من حديث أبي موسى.
(٥) (إسناده حسن لغيره) أحمد [٢٢٩٢٨] والطبراني في الكبير [٥٧٤٣] وعلته: مصعب بن ثابت: لين الحديث انظر التقريب [٦٦٨٦].
وعند الطبراني في الأوسط [٤٦٩٦] تابع مصعب، زهير بن محمد التيمي، وهو صدوق إلا أن رواية أهل الشام عنه ضعيف كما في التقريب، والراوي عنه سوار بن عمارة الرملي، فهو شامي.
وكذلك عند البيهقي في الشعب [١١١٤٣] من رواية الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، والوليد

وقولـه ﷺ :{**المؤمن مرآة المؤمن، أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه**}[1].

وقولـه ﷺ :{**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**}[2].

وقولـه ﷺ :{**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**}[3].

وقولـه ﷺ :{**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: من ذلك يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه**}[4].

وقولـه ﷺ :{**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**}[5].

وقولـه ﷺ :{**من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل ايمانه**}[6].

وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال:{**أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله**} فقال: وماذا يا رسول الله؟ قال:

هو الآخر شامي، ويدلس تدليس التسوية، وقد عنعن في الحديث. جميعهم من حديث سهل بن سعد.

(١) (إسناده حسن) أبو داود في سننه [٤٩١٨] من حديث أبي هريرة، وله شاهد من حديث أنس بن مالك عند الطبراني في الأوسط [٢١١٤].

(٢) (صحيح) البخاري [١٣] مسلم [٤٥] من حديث أنس بن مالك.

(٣) (صحيح) البخاري [٥٦٧٢] مسلم [٤٥] من حديث أبي هريرة.

(٤) (صحيح) البخاري [٥٦٧٠] من حديث أبي شريح.

(٥) (إسناده صحيح لغيره) فقد رواه بهذا اللفظ البخاري في الأدب المفرد [١١٢] إلا أنه به عبد الله بن المساور: مقبول انظر التقريب [٣٦١٢] وعند الحاكم في المستدرك من حديث عائشة [٢١٦٦] وهو أيضا ضعيف، وفي المعجم الكبير للطبراني [٧٥١] وهو أيضا عنده ضعيف، وله طريق سنده صحيح من حديث أبي هريرة عند الطحاوي في شرح معاني الآثار [١١٠] بلفظ (ليس المؤمن الذي يبيت شبعان وجاره جائع).

(٦) (إسناده صحيح لغيره) الترمذي [٢٥٢١]من حديث أنس، وعند أبي داود من حديث أبي أمامة [٤٦٨١].

{أن تحب للناس ما تحب لنفسك، تكره لهم ما تكره لنفسك} وفي رواية:**{وأن تقول خيرًا أو تصمت}**[1].

وقولـه ﷺ :**{لايستحق العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله تعالى}**[2].

وقولـه ﷺ :**{أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله}**[3].

وقولـه ﷺ : لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال:**{ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل}** ثم تلا{ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾} [السجدة: ١٦] ثم قال:**{ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامة الجهاد في سبيل الله}** ثم قال لـه:**{ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟}** فأخذ بلسان نفسه وقال:**{كف عليك هذا}**[4].

* * *

(١) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [٢٢١٨٥/٢٢١٨٣]وعلة الأول: رشدين بن سعد، وزبان بن فائدة، فكلاهما: ضعيف، وفي الثاني: عبد الله بن لهيعة، وزبان أيضا: وكلاهما: ضعيف.

(٢) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١٥٥٨٨] والطبراني في الأوسط [٦٥١] وعلته: رشدين بن سعد: ضعيف، انظر تهذيب الكمال [١٩١١] وعبد الله بن الوليد التجيبي: لين الحديث انظر الب
[٣٦٩١].

(٣) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١٨٥٤٧] والطيالسي [٧٤٧] والإخوان لابن أبي الدنيا [١] وسندهما ضعيف فعندهما: الليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٤) (حسن لغيره) الترمذي [٢٦١٦] ابن ماجة [٣٩٧٣] أحمد [٢٢٠٦٩] وعبد الرزاق [٢٠٣٠٣] والطبراني في مسند الشاميين [٢٩٣٨] الحاكم [٢٤٠٨] الطيالسي [٥٦٠] كلهم: من حديث معاذ ابن جبل.

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء في إحصائها من فتح الباري.

١٧٠- فتلك خمسة وللإيمان ::: ستة أركان بلا نكران

١٧١- إيماننا بالله ذي الجلال ::: وما له من صفة الكمال

١٧٢- وبالملائكة الكرام البرره ::: وكتبه المنزلة المطهره

١٧٣- ورسله الهداة للأنام ::: من غير تفريق ولا إيهام

(**فتلك**) الأركان المتقدمة التي هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً (**خمسة**) فسر النبي ﷺ بها الإسلام فاعلمها واحتفظ بها واعملها وعلمها، فسوف تسأل عنها وتحاسب عليها، فأعدد للسؤال جوابًا، وإياك أن تخل بشيء منها فتكون من الظالمين.

(**وللإيمان ستة أركان**) فسره بها النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره (**بلا نكران**) للنقل ولا تكذيب للخبر ولا شك في الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد.

الأول منها (**إيماننا بالله**) بإلهيته وربوبيته لا شريك لـه في الملك ولا منازع لـه فيه ولا إله غيره ولا رب سواه، واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولا يشرك في حكمه أحدًا، ولا ضد لـه ولا ند ولم يكن لـه كفوًا أحد (**ذي الجلال**) ذي العظمة والكبرياء الذي هو أهل أن يجل فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يولى إلا هو{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٦٤]،{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام: ١٤]،{ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا} [الأنعام: ١١٤]،{ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾} [الزمر: ٦٤]،{ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾} [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣] (و) الإيمان بـ(**ماله**)

تعالى من

(**صفة الكمال**) مما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العُلَى وإمرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وأن كل ما سمى الله تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ الكل حق علي حقيقته علي ما أراد الله وأراد رسوله وعلي ما يليق بجلال الله وعظمته{ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧] وقد تقدم ما يسره الله تعالى من تقرير الكلام في توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة لـه فليراجع وبالله التوفيق.

* * *

(و) الثاني الإيمان (**بالملائكة**) الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (**الكرام**) خَلقًا وخُلقًا والكرام على الله تعالى (**البررة**) الطاهرين ذاتًا صفة وأفعالاً المطيعين لله عز وجل وهم عباد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا بناتٍ لله عز وجل ولا أولادًا، ولا شركاء معه ولاأندادًا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوّا كبيرًا، قال الله تعالى:{ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾} [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] وقال تعالى:{ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾} [الصافات: ١٥١ - ١٥٥] إلى قوله{وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾} [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] وقال تعالى:{ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾} [الزخرف: ١٥ - ١٩] الآيات، وقال تعالى:{ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾} [النساء: ١٧٢] وقال تعالى:{وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ } [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] وقال تعالى:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾} [فاطر: ١] وقال تعالى:{ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ}

[الفرقان: ٢٥ - ٢٦] وقال تعالى:{ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾} [الفرقان: ٢٢] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾} [الأعراف: ٢٠٦] وقال تعالى:{ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾} [مريم: ٦٤] وقال تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾} [سبأ: ٤٠ - ٤١] وقال تعالى:{مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾} [البقرة: ٩٨] والآيات، في ذكر الملائكة في القرآن كثيرة.

* * *

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى لـه ووكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل رضى الله عنه، قال الله تعالى:{مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ} [البقرة: ٩٧] وقال تعالى:{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] وقال تعالى:{ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ } [النحل: ١٠٢] وقال تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾} [النجم: ٤ - ٩] وهذا في رؤية النبي ﷺ لـه في الأبطح حين تجلى لـه على صورته التي خلق عليها، لـه ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، ثم رآه ليلة المعراج أيضًا في السماء كما قال تعالى:{ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾} [النجم: ١٣ - ١٥] ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين، وبقية الأوقات في صورة رجل، وغالبًا في صورة دحية الكلبي(١)رضى الله عنه، وقال تعالى فيه:{إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾} [التكوير: ١٩ - ٢٣] الآيات، وقال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ } [سبأ: ٢٣] تقدم الحديث في معني الآية وفيه: قال النبي ﷺ :{**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل بأهل السماوات، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل** رضى الله عنه : **قال الحق وهو العلي الكبير**} فيقول كلهم مثل ما قال جبريل، ثم ينتهي

(١) (إسناده صحيح) عند النسائي [٤٩٩١].

جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل في الصحيحين[1]، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر بعض الأحاديث في بدء الوحي من الفصل الآتى.

ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل ، وهو ميكائيل رضى الله عنه، وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل ، ولـه أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل وقد جاء في بعض الآثار: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض[2]، وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه ﷺ قال لجبريل:{**على أى شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر**}[3] ولأحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل رضى الله عنه :{**ما لي لم أر ميكائيل ضاحكًا قط فقال** رضى الله عنه **: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**} عياذًا بالله منها[4].

ومنهم الموكل بالصور، وهو إسرافيل رضى الله عنه، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل : الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه في موضعه، ولأحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن لـه، قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**}[5].

---

(١) (إسناده ضعيف) تعظيم قدر الصلاة للمروزي [٢١٦] مسند الشاميين للطبراني [٥٩١] السنة لابن أبي عاصم [٥١٥] الأسماء والصفات للبيهقي [٤٣٥] التوحيد لابن خزيمة [١٧٠] الشريعة للآجري [٦٦٦] معجم ابن الأعرابي [٨٦٣] كلهم من حديث النواس بن سمعان، وعلتهم جميعا: نعيم بن حماد، به ضعف.

(٢) (سنده ضعيف) من قول على بن أبي طالب الطبري في تفسيره [ج١٢ - ص ٢٠٣].

(٣) (إسناده ضعيف) الطبراني في الكبير [١٢٠٦١] البيهقي في الشعب [١٥٧] وعلتهما: محمد بن أبي ليلى: سيئ الحفظ.

(٤) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١٣٣٦٧] الرقة والبكاء [٤٠٨].

(٥) (إسناده صحيح) ابن حبان في صحيحه [ج٣/٨٢٣]. وعند أحمد [١١٠٥٣]، والترمذي

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل:{**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**}(١).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء في بعض الآثار تسمية عزرائيل قال الله تعالى:{ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾} [السجدة: ١١] وقال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾} [الأنعام: ٦١ - ٦٢] وقال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾} [الأنفال: ٥٠] وقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ} [النحل: ٢٨] إلى قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾} [النحل: ٣٢] وغيرها من الآيات، وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتي إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى:{فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾} [الواقعة: ٨٦ - ٩٦] سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم نستغفر الله.

[٢٤٣١] وسندهما به ضعف - سببه: عطية العوفي، وسبق تخريجه في الجزء الأول.

(١) (صحيح) مسلم [٧٧٠].

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى:{ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد: ١٠ - ١١] وقال تعالى:{ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ} [الأنبياء: ٤٢] وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } [الأنعام: ٦١] قال ابن عباس رضى الله عنه في الآية الأولى{لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} [الرعد: ١١] والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه(١)، وقال مجاهد: ما من عبد إلا لـه ملك موكل في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال لـه الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه، وقال تعالى:{ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ} [الأنبياء: ٤٢] قال ابن كثير: أى بدل الرحمن، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام. أهـ.

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قولـه عز وجل :{وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } [الأنعام: ٦١] وقال تعالى فيهم{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾} [الزخرف: ٨٠] وقال تعالى:{إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٧ - ١٨] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات وقال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾} [الانفطار: ١٠ - ١٢] عن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان**

(١) الطبري في تفسيره [ج٧ - ص ٣٥٠] وابن أبي حاتم [١٣٠٤٤ - ١٣٠٤٥]. سنده حسن بمجموع طرقه.

الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل **لـه بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه}**[١] فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث، ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وقال الترمذي: حسن صحيح، وروى البغوي عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر}**[٢].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به}.**

وفي رواية:**{ما لم تعمل أو تكلم به}**[٣] وفيه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **{قال الله** عز وجل **: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا}.**

وفي رواية:**{قال الله** عز وجل **: إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها كتبتها**

---

(١) (إسناده صحيح) الترمذي [٢٣١٩] وابن ماجة [٣٩٦٩] وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

(٢) (إسناده ضعيف) البغوي في تفسيره معالم التنزيل [ج٥] تفسير سورة (ق) علته: جعفر بن الزبير الحنفى: متروك الحديث انظر التقريب.

(٣) (صحيح) البخاري [٢٣٩١] مسلم [١٢٧].

لـه حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة}[1].

وفي أخرى:{قال الله عز وجل : إذا تحدَّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها لـه حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها لـه ما لم يعملها، فإذا عملها فانا اكتبها لـه بمثلها} وقال رسول الله ﷺ :{قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو تعالى أبصر به - فقال ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها لـه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها لـه حسنة، إنما تركها من جراي} وقال رسول الله ﷺ :{إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل }[2].

وفيه عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال:{إن الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة - زاد في رواية - أو محاها الله، ولا يهلك على الله إلا هالك}[3].

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية{عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: ١٧] ياابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٦٢] مسلم [١٢٨].
(٢) (صحيح) مسلم [١٢٩] من حديث أبي هريرة.
(٣) (صحيح) البخاري [٦١٢٦] مسلم [١٣١].

صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتي تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٣ - ١٤] ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك. اهـ.

ويناسب ذكر المعقبات والحفظة ما روى البخاري رحمه الله تعالى في:{**باب باب قول الله** عز وجل {تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: ٤]} قال: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وبهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**}(١).

ورواه مسلم أيضًا وفيهما عن أبي موسى رضى الله عنه قال:{**قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي لـه أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل..**}(٢) الحديث، تقدم في العلوّ، والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص في ذلك قريبًا، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق.

ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام.

قال الله تعالى:{ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾} [الزمر: ٧٣]

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٣٠] مسلم [٦٣٢].
(٢) (صحيح) مسلم [١٧٩].

وقال تعالى:{جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤} [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيامة، كما قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢} [فصلت: ٣٠ - ٣٢] وقال تعالى فيهم:{ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣} [الأنبياء: ١٠٣].

ومنهم خزنة جهنم عياذًا بالله منها، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام.

قال الله تعالى:{وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا} [الزمر: ٧١] الآيات، وقال تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠} [غافر: ٤٩ - ٥٠] وقال تعالى:{ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨} [العلق: ١٧ - ١٨] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦} [التحريم: ٦] وقال تعالى:{وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا} [المدثر: ٢٧ - ٣١] وقال تعالى:{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧} [الزخرف: ٧٧] وفي صحيح مسلم:

{يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام كل زمام في يد سبعين ألف ملك يجرونها}(١).

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال:{**حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمِّهِ أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد..**}(٢) الحديث، وفي بابه من الأحاديث كثير، وفيها:{**أن الملك يقول يا رب مخَلَّقة أو غير مخلقة؟ واحد أو توأم؟ ذكر أم أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الرزق وما الأجل؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء، فيكتب الملك كما أمره الله** عز وجل **فلا يغير ولا يبدل**}(٣).

ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم:{ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧} [غافر: ٧] الآيات، وقال تعالى:{وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ} [الحاقة: ١٧] ومفهوم هذه الآية من قولــه تعالى{يَوۡمَئِذٖ} أن حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية، ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :{**صدق أمية بن الصلت في شيء من شعره، فقال:**

(١) (صحيح) مسلم [٢٨٤٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٣١٥٤] مسلم [٢٦٤٣].
(٣) (إسناده صحيح) رواه الطبري في تفسيره لسورة الحج (آية: ٥) موقوفا على ابن مسعود، ولفظه: عن عبد الله، قال: (إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملَكا فقال: يا ربّ مخلقة، أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلَّقة، مجّتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة، أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقيّ أو سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أمّ الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة! قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها) قال ابن حجر رحمه الله في الفتح [ج١ / ص٤١٩] إسناده صحيح وهو موقوف لفظا مرفوع حكما.

رجل وثور تحت رجل يمينه ::: للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله ﷺ : صدق فقال:

والشمس تطلع كل آخر ليلة ::: حمراء يصبح لونها يتورد

تأبى فما تطلع لنا في رسلها ::: إلا معذبه ولا تجلد

فقال رسول الله ﷺ :{**صدق**}(١) وهذا إسناده جيد، لكن قد ورد ما يدل على أنهم في الدنيا أيضًا ثمانية، وهو حديث العنان رواه أبو داود وغيره وقد تقدم في العلوّ وفيه:{**ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ظلافهن، وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**}(٢).

ولـه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه :{**أن رسول الله ﷺ أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**}(٣).

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج: ثمانية صفوف من الملائكة، وقال الضحاك عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة، وفي حديث الصور الطويل قال رسول الله ﷺ :{**فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسّا شديدًا فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافَّهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت،**

---

(١) (إسناده ضعيف) أحمد في مسنده [٢٣١٤] مسند أبي يعلى [٢٤٨٢] به: محمد بن إسحاق بن يسار: صدوق مدلس، وقد عنعن.

(٢) (إسناده ضعيف) أبو داود [٤٧٢٣] الترمذي [٣٣٢٠] ابن ماجة [١٩٣].

(٣) (إسناده صحيح) أبو داود [٤٧٢٧].

ثم ينزل أهل السماءالثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل **في ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسماوات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، ولهم زجل في تسبيحهم، يقولون سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت..}**[1] الحديث رواه ابن جرير والطبراني وغيرهما.

{ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله عز وجل **تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماءالدنيا، فيسألهم ربهم** عز وجل **وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك..}**[2] الحديث، تقدم في العلو وقال ﷺ :**{وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده..}**[3] الحديث، بطوله في الصحيح عن أبي هريرة.

---

(١) (إسناده ضعيف جدا) الطبري في تفسيره [ج٢] تفسير سورة البقر (آية: ٢١٠) به: إسماعيل بن رافع، ويزيد بن أبي زياد، ضعيفان، وبه رجل من الأنصار مبهم. والحديث في مسند إسحاق بن راهويه [١٠] وبه إسماعيل أيضا، ومحمد بن يزيد بن أبي زياد ضعيف أيضا، وإبهام الأنصاري.

(٢) (صحيح) البخاري [٦٠٤٥] مسلم [٢٦٨٩] من حديث أبي هريرة.

(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٩٩] من حديث أبي هريرة.

ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد ياليل وعوده منهم، وفيه قول جبريل لـه ﷺ :**{إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك}** وفيه قول ملك الجبال:**{إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين}** فقال ﷺ :**{بل استأنِ بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا}**(١).

وفيهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراج، وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم(٢) يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم، والحديث بألفاظه في الصحيحين.

ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يركعون، وركَّع وسجَّد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ} [المدثر: ٣١] روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{إني أرى مالا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطتَّ السماء وحق لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى}**(٣) فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد، وقال الترمذي غريب، ويروى عن أبي ذر موقوفًا.

قلت: ولـه حكم الرفع، ومن أين لأبي ذر رضى الله عنه مثل هذا إلا عن توقيف والله أعلم.

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٠٥٩] مسلم [١٧٩٥] من حديث عائشة.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٠٣٥] مسلم [١٦٢].

(٣) (إسـناده ضـعيف) الترمذي [٢٣١٢] ابن ماجة [٤١٩٠] أحمد [٢١٥٥٥] علته: إبراهيم بن مهاجر: ضعيف، ويشهد لأكثره الحديث التالي.

وعن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم:{**هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله ﷺ : أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئطَّ، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد**}[1].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :{**ما في السماءالدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: وما منا إلا له مقام معلوم، وإنا لنحن الصاقون وإنا لنحن المسبحون**}[2].

وعن العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يومًا لجلسائه:{**هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: أطتَّ السماء وحق لها أن تئط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد، وقالت الملائكة: وإنا لنحن الصافُّون وإنا لنحن المسبحون**}[3].

وعن رجل صحب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:{**إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، وما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينيه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا**

(١) (إسناده حسن) الطبراني في الكبير [٣١٢٢] الآحاد والمثاني [٥٩٧] تعظيم قدر الصلاة [٢٥٠] وعندهم جميعا (قائم) وليس (راكع).

(٢) (حسن لغيره) الطبري في تفسيره [ج١٠] سورة الصافات (آية: ١٦٦)وتعظيم قدر الصلاة للمروزي [٢٥٣] وإسنادهما ضعيف وعلته: الفضل بن خالد المروزي أبو معاذ، في الجرح والتعديل [٣٥١] دون جرح أو تعديل له وذكره ابن حبان في الثقات، ولكن يشهد له ما رواه الطبري أيضا في تفسيره عقب هذا الحديث، وكذلك المروزي عقب هذا الحديث أيضا، موقفا على عبد الله بن مسعود بسند صحيح، وهو له حكم الرفع.

(٣) إسناده به من لم أقف له على ترجمة، ورواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة [٢٥٥].

يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل **فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**(١) وإسناده لا بأس به، وهو والذي قبله اخرجهما محمد بن نصر المروزي.

وفي الصحيح عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :**{ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف}**(٢).

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :**{خلقت الملائكة من نور العرش، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم}**(٣).

* * *

---

(١) (إسناده لا بأس به) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني [٥٠٣] تاريخ بغداد [٦٧٥١].
(٢) (صحيح) مسلم [٤٣٠].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٩٦].

(و)الثالث الإيمان (**بكتبه المنزلة**) على رسله (**المطهرة**) من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى:{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾} [البقرة: ١٣٦] وقال تعالى:{قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ } [آل عمران: ٨٤] إلى آخر الآية، وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾} [النساء: ١٣٦] وقال تعالى:{وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ} [الشورى: ١٥] وقال تعالى:{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا} [التغابن: ٨] وقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾} [غافر: ٧٠] الآيات، وقال تعالى:{لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ} [الحديد: ٢٥] ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يُسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما قال تعالى:{ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾} [الشورى: ٥١] وقال تعالى:{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا } [النساء: ١٦٤]،{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف: ١٤٣]،{يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي} [الأعراف: ١٤٤]،{فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾} [النجم: ١٠]، {وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا} [الشورى: ٥٢]،{ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ} [النحل: ٢]،

{وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦} [الإسراء: ١٠٦] ومنها ما خطه بيده عز وجل كما قال تعالى:{ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا} [الأعراف: ١٤٥].

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجبًا على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ} [المائدة: ٤٤ - ٤٩].

وإن جميعها يصدق بعضها بعضًا لا يكذبه كما قال تعالى في الإنجيل{وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ} [المائدة: ٤٦] وقال في القرآن{مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ} [المائدة: ٤٨] وإن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠]

وإن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل قال الله تعالى في عيسى عليه السلام{وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [آل عمران: ٤٨ - ٤٩] إلى قوله{وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾} [آل عمران: ٥٠] وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل والقرآن كما قال تعالى:{عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨] الآية، وأن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق، كما قال تعالى:{ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ} [البقرة: ١٠٦] وقال تعالى:{وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾} [النحل: ١٠١] الآيات وكما قال تعالى:{ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ} [الأنفال: ٦٦] بعد قوله{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟} [الأنفال: ٦٥] والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها، وإنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأن من كذب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أن من كذب بما أخبر عنه

القرآن من الكتب فقد كذب به، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضل، قال تعالى:{الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾} [الأعراف: ١ - ٣].

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل، فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود في قولـه تعالى:{وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا } [النساء: ١٦٣] والقرآن على محمد ﷺ وذكر صحف إبراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملاً في قولـه{وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ} [النساء: ١٣٦] وقال تعالى:{ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا } [البقرة: ١٣٦] إلى قوله:{وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ } [البقرة: ١٣٦] وقال تعالى:{وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ } [الشورى: ١٥] فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل : آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول، وقال تعالى في القرآن والسنة{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ } [الحشر: ٧]،{وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧]

فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة لـه ظاهرًا وباطنًا بجميع معانيها، نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا لـه ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين، إنه ولي التوفيق.

* * *

(و)الرابع الإيمان (**برسله**) وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول، فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول (**الهداة**) جمع هاد والمراد به هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى:{إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ} [الرعد: ٧] وقال تعالى:{وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ} [الشورى: ٥٢ - ٥٣] وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرف الأمور ليس لملك مقرب ولا نبي مرسل تصريف في شيء منهما فضلاً عمن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ {۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ} [البقرة: ٢٧٢] وقال تعالى:{إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾} [القصص: ٥٦] والإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى:{ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾} [البقرة: ٢٨٥] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾} [النساء: ١٥٠ - ١٥٢] وقال تعالى:{وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦] وقال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾} [البقرة: ٩١]

وقال تعالى:{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾} [الصف: ٦ - ٧]

وقال الله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾} [آل عمران: ٨١ - ٨٢].

ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك لـه والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ محمدًا خليلاً، وكلم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا علياً، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض درجات، وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفى ما يضاد ذلك أو ينافي كماله كما تقدم ذلك في تقرير توحيد الطلب والقصد، وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل ليبلوكم فيما آتاكم، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدم ونوحًا وإدريس وهودًا وصالحًا

وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشعيبًا ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود ويوسف ولوطًا وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة وعيسى ومحمدًا ﷺ، وقصَّ علينا من أنبائهم ونبأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة وإجمالاً وتفصيلاً ثم قال{وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾} [النساء: ١٦٤] وقال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ} [غافر: ٧٨] فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل وإجمالاً فيما أجمل.

١٧٤- أَوَّلُهُم نُوحٌ بلا شَكَّ كما ::: أنَّ محمدًا لَهُمْ قَدْ ختما

(**أولهم**) يعني أول الرسل عليهم السلام (**نوح بلا شك**) وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم رضى الله عنه، والمعنى أن نوحًا أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبيه:{۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ} [النساء: ١٦٣] لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذب كما قال تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ} [غافر: ٥] وإلا فآدم قبله كان نبيّا رسولاً، وكان الناس أمة واحدة على دينه ودين وصية شيث رضى الله عنه كما قال ابن عباس رضى الله عنه وابن مسعود وأبي بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم رضى الله عنه في قولـه تعالى:{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} [البقرة: ٢١٣] الآية، قالوا: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[١] (**كما أن محمدًا**) ﷺ (**لهم**) أى للرسل (**قد ختما**) فلا نبي بعده كما قال تعالى:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤][٠] وسيأتي إن شاء الله تعالى تقرير ذلك في موضعه من هذا المتن.

---

(١) (إسناده صحيح) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج٢] تفسير سورة البقرة (آية: ٢١٣)والحاكم [٤٠٠٩].

١٧٥- وخَمْسَةٍ منهمْ أولو العَزْمِ الأولى ::: في سورة الأحزاب والشُّورى تلا

(**وخمسة منهم**) أى من الرسل (**أولو**) أى أصحاب (**العزم**) يعني الحزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، لذا خصوا بالذكر (**في سورة الاحزاب**) يعني قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب: ٧] فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملة ونص منهم على هؤلاء الخمسة محمد ﷺ وهو خاتمهم ونوح وهو فاتحهم وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما (و) كذا ذكرهم على وجه التخصيص في سورة (**الشورى**) إذ يقول تعالى:{۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ} [الشورى: ١٣] وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم رضى الله عنه حتى تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ فيقول:{**أنا لها**} كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

وروى ابن أبي حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ في قول الله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ} [الأحزاب: ٧] الآية، قال النبي ﷺ :{**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم**}(١) وفيه ضعف ويروي مرسلاً وموقوفًا على قتادة وللبزار عنه رضى الله عنه موقوفًا عليه قال:{**خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد**}(٢) ﷺ وعليهم أجمعين، وخيرهم محمد ﷺ.

---

(١) (إسناده ضعيف) الطبراني في مسند الشاميين [٢٥٩٥] ودلائل النبوة لأبي نعيم [٣] وفوائد تمام [٩٢٧]وعلتهم: سعيد بن بشير: ضعيف وخاصة في قتادة، والحسن البصري مدلس، وقد عنعن.

(٢) (سنده حسن) رواه البزار، ذكره عنه ابن كثير في تفسيره بسنده [ج٣] تفسير الأحزاب (آية:

والقول بأن أولي العزم هم هؤلاء الخمسة هو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر، وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين، وقيل هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهود والشعراء، وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر.

قلت: وقوله إسحاق صبر على الذبح هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبيح إسماعيل رضى الله عنه كما في سورة الصافات وهود.

وقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبيّا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ} [الأنعام: ٩٠].

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضى الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائمًا ثم طواه ثم ظل صائمًا ثم طواه ثم ظل صائمًا ثم قال:{**يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة، إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني أن يكلفني ما كلفهم فقال:**{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] **وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولا قوة إلا بالله**}[١].

٧).

(١) (إسناده ضعيف) ابن أبي حاتم ذكره عنه ابن كثير في تفسيره بسنده [ج٤] سورة الأحقاف (آية: ٣٣).

١٧٦- وبالمَعَادِ أيْقن بلا تَردُّدِ ::: ولا ادِّعا عِلمٍ بِوَقْتِ المَوْعِدِ
١٧٧- لكننا نؤمن من غير امْترا ::: بكلِّ ما قد صحَّ عن خَيْر الوَرَى
١٧٨- مَنْ ذِكْرِ آيات تَكُوْن قَبْلَهَا ::: وَهْيَ عَلاَمَاتٌ وأَشْرَاطُ لها

(**وبالمعاد**) وهو المردُّ إلى الله عز وجل والإياب إليه (**أيقن**) استيقن بذلك يقينًا جازمًا (**بلا تردد**) هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾} [البقرة: ٤] وقال تعالى:{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٧٧] الآية، وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾} [البقرة: ٢٥٤] وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾} [البقرة: ٢٦٤] وقال تعالى:{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾} [البقرة: ٢٨١] وقال تعالى:{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾} [آل عمران: ٧ - ٩] وقال تعالى:{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾} [آل عمران: ٢٥] وقال تعالى:{وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} [النساء: ٣٨ - ٣٩] الآيات، وقال تعالى:{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾} [النساء: ٨٧] وقال تعالى:{مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ} [الشورى: ٢٠] الآية، وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾} [النمل: ٤]

وقال تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾} [الحجر: ٨٥] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾} [طه: ١٥ - ١٦] وقال تعالى:{ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾} [الحج: ٧] وقال تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾} [النمل: ٧١ - ٧٢] وقال تعالى في الآية الآخرى{قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾} [سبأ: ٣٠]،{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾} [السجدة: ٢٨ - ٣٠] وقال تعالى:{إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾} [هود: ١٠٣ - ١٠٤] وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾} [لقمان: ٣٣] وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾} [فاطر: ٥] وقال تعالى:{إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾} [الأنعام: ١٣٤] وقال تعالى:{أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل: ١] وقال تعالى:{ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ} [الزمر: ٩] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾} [غافر: ٥٩] وقال تعالى:{فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾} [المعارج: ٥ - ٧] وقال تعالى:{ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾} [الزخرف: ٨٣] الآيات، وقال{إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾} [الواقعة: ١] إلخ السورة، وقال تعالى:{يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾} [الإنسان: ٧] إلى آخر السورة، قال تعالى:{وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾} [الذاريات: ١ - ٦]

وقال تعالى:{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾} [المرسلات: ٧ - ١٥] إلى آخر السورة والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور، وسيأتي إن شاء الله مزيد نصوص في اللقاء والبعث والنشور.

(و) بـ (**لادعا**) بالقصر للوزن وهو مصدر ادَّعى يدعي ادّعاء (**علم**) بوقت الموعد متى هو، فإن ذلك من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، قال تعالى:{۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ} [الأنعام: ٥٩] الآية وقال تعالى:{يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾} [الأعراف: ١٨٧] والتي بعدها وقال تعالى:{بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾} [الأنبياء: ٤٠] وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ} [لقمان: ٣٤] الآية وقال تعالى:{۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ} [فصلت: ٤٧] الآيات، وقال تعالى:{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾} [الأحقاف: ٣٥] وقال تعالى:{وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب: ٦٣] وقال تعالى:{وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾} [الشورى: ١٧ - ١٨] وقال تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾} [الملك: ٢٥ - ٢٧]

وقال تعالى:{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾} [النازعات: ٤٢ - ٤٦] وغيرها من الآيات.

وتقدم حديث جبريل المشهور قولـه رضى الله عنه للنبي ﷺ :{**أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل..**}(١) الحديث، وروى الإمام أحمد في مسنده عن بريدة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**خمس لا يعلمها إلا الله** عز وجل :{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾} [لقمان: ٣٤](٢) وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**مفاتح الغيب خمسة، ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة**}(٣).

وفي الصحيحين أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فناداه بصوت جَهْوَرِيّ فقال: يا محمد، قال لـه رسول الله ﷺ :{**هاؤم - على نحو ما صوته - قال: يا محمد، متى الساعة؟ فقال لـه رسول الله ﷺ : ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله، فقال لـه رسول الله: المرء مع من أحب**} فما فرح المسلمون بشىء فرحهم بهدا الحديث(٤)، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ لـه قبل نزولـه وإن لم يعرفوا تعيين وقته.

---

(١) (صحيح) تقدم تخريجه.
(٢) (إسناده حسن) أحمد في المسند [٢٣٠٣٦].
(٣) (صحيح) البخاري [٤٣٥١].
(٤) (الحديث صحيح) إلا أن المصنف رحمه الله يبدو أنه أدخل حديثين معا، فالجزء الخاص بنداء الرجل، حديث في السنن وهو صحيح، والجزء الثاني الخاص بالسؤال عن الساعة، صحيح، وموجود في الصحيحين وغيرهما.

ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول:{**إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم**}(١) يعني بذلك موتهم الذي يفضي بهم الي الحصول في برزخ الدار الآخرة.

ولـه عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله ﷺ :{**إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**}(٢).

وفي رواية أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال:{**إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**} قال أنس: ذلك الغلام من أترابي(٣).

وفي رواية عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أترابي، فقال النبي ﷺ :{**إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**}(٤).

وفي صحيح البخاري عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال:{**ويلك وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: إنك مع من أحببت، فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم، ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا، فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني فقال: إن أخر هذا فلن يدركه الهرم حتي تقوم الساعة**}(٥).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضى الله عنها، وقال ابن جريج: أخبرني

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٥٢].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٥٣].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٥٣].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٩٥٣].
(٥) (صحيح) البخاري [٥٨١٥].

أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر:{**تسألون عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على وجه ظهر الأرض اليوم من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**}[1]. رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله، قال ابن عمر: وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن[2].

وروى أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى، فتذكروا أمر الساعة، قال فردّوا أمرهم إلى إبراهيم** رضى الله عنه، **فقال لا علم لي بها، فردّوا أمرهم إلى موسى، فقال لا علم لي بها، فردّوا أمرهم الي عيسى فقال عيسى: أما وجبتها فلم يعلم بها أحد إلا الله** عز وجل ، **وفيما عهد الي ربي** عز وجل **أن الدجال خارج، قال ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، وقال فيهلكه الله** عز وجل ، **ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون علي ماء إلا شربوه، قال ثم يرجع الناس اليَّ فيشكونهم، فأدعو الله** عز وجل **عليهم فيهلكهم ويميتهم، حتى نجوى الأرض من نتن ريحهم أى تنتن، قال فينزل الله** عز وجل **المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر**}.

قال الإمام أحمد قال يزيد بن هارون:{**ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم**}.

ثم رجع إلى حديث هشيم قال:{**ففيما عهد إلىّ ربي** عز وجل **أن ذلك إذا**

(١) (صحيح) مسلم [٢٥٣٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٧٦] مسلم [٢٥٣٧].

كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهارًا}(١) ورواه ابن ماجة بنحوه.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هؤلاء أكابر أولي العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى رضى الله عنه فتكلم على أشراطها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفذًا لأحكام رسول الله ﷺ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به.

وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجًا، قالوا يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال:**{بلسان الحبشة القتل}**، قال:**{ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدهم يعرف أحدًا}**(٢).

وروى النسائي عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾} (٣) [النازعات: ٤٢] الآية، وإسناده جيد قوي.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه مع قولـه فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهيل بن سعد رضى الله عنه :**{بعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها}**(٤) ومع هذا كله قد أمره

---

(١) (إسناده ضعيف) احمد [٣٥٥٦] مؤثر بن عفازة: مقبول كما في التقريب.
(٢) (رواته ثقات) أحمد في المسند [٢٣٣٥٤].
(٣) (إسناده صحيح) النسائي في الكبرى [١١٦٤٥] تفسير الطبري [ج١٢ - ص ٤٤١].
(٤) (صحيح) البخاري [٦١٣٩]، مسلم [٢٩٥١].

الله تعالى أن يرَّد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال{قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} [الأعراف: ١٨٧] اهـ.

* * *

(**لكننا نؤمن**) ونصدق (**من غير امترا**) من غير شك (**بكل ما قد صح**) سنده وصرح لفظه (**عن خير الورى**) نبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (**من ذكر آيات**) أمارات (**تكون**) تقع (**قبلها**) قبل الساعة (**وهي**) أى تلك الأمارات (**علامات**) لمجئ الساعة وقربها ودنوها (**وأشراط لها**) أى لاقترابها.

وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثير من علاماتها قال الله تعالى(1):{أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ} [النحل: ١] وقال تعالى:{ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾} [الأنبياء: ١] الآيات.

وقد ذكر الله تعالى أن بعثة نبيّا ﷺ من أشراطها كما قال عز وجل {هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾} [النجم: ٥٦ - ٥٨] وقال تعالى:{ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾} [محمد: ١٨] وقال تعالى:{ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾} [القمر: ١] الآيات.

وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة، وذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وغيرها كما قال تعالى:{ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾} [الدخان: ١٠] الآيات، وقال تعالى في شأن عيسى{بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾} [النساء: ١٥٨ - ١٥٩]

---

(١) قولــه تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) عبر سبحانه بالفعل الماضي(أتى) مع كون الأمر في المستقبل، وذلك تنزيلا لما سيحدث، منزلة ما وقع بالفعل، وهذا ليثبت النفس قرب تحققه يقينا، وما قيل في هذه الآية يقال في الآية التي تليها.

وقال تعالى في شأن يأجوج ومأجوج{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾} [الكهف: ٩٢ - ٩٩] وقال تعالى:{ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ} [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧] الآيات، وقال تعالى: (١){هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾} [الأنعام: ١٥٨] وقال تعالى:{ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾} [النمل: ٨٢] وقال تعالى:{ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾} [يس: ٣٨].

وأما الأحاديث في أشراط الساعة فكثيرة متواترة، وقد تقرر في حديث جبريل علي اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره ﷺ من أماراتها أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وقد تقدم قوله ﷺ :{**بعثت أنا والساعة كهاتين**}(٢) وأشار بالسبابة والوسطى.

---

(١) قولـــه تعالى (أو يأتي بعض آيات ربك.. الآية) المقصود بها طلوع الشمس من مغربها كما فسرها النبي ﷺ فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لاَ تَقُومُ السَّـاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّـمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » البخاري [٤٣٥٩] مسلم [١٥٧].

(٢) (صحيح) البخاري [٤٦٥٢] مسلم [٢٩٥٠].

وفي صحيح مسلم وغيره عن حذيفة رضى الله عنه قال:{**قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء،**

وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه}(١).

وفيه عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضى الله عنه قال:{**صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا**}(٢).

وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:{**لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو - وفي رواية: فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**}(٣).

وفي رواية عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق - أو بدابق - فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبُوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله ولا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما**

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٣٠] مسلم [٢٨٩١].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٨٩٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٧٠٢] مسلم [٢٨٩٤].

هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم رضى الله عنه **فيأُمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته}**(١) والأعماق قال في القاموس: بلد بين حلب وأنطاكية مصب مياه كثيرة لا تجف إلا صيفًا وهو العمق جمع بأجزائه اهـ.

وقال أيضًا: دابق كصاحب وهاجر قرية بحلب، وفي الأصل اسم نهر، ودويبق قرية بقربها.

وفيه عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس لـه هجيري(٢) إلا:**{يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة}** قال فقعد وكان متكئًا فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفئ هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفئ هؤلاء وهؤلاء وكل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفئ هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد(٣) إليهم بقية أهل

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٨٩٧].

(٢) (هِجِّيرَى) أَيْ شَـأْنه وَدَأْبه ذَلِكَ، وَالْهِجِّيرَى بِمَعْنَى الْهَجِير. شـرح مسـلم للنووي [ج٩ - ص٢٥٢].

(٣) نَهَد: نهض وتقدم.

الإسلام فيجعل الله الديرة[1] عليهم فيقتلون مقتلة، إما قال لا يرى مثلها، وإما قال لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أى ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ : {**إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ - أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**}[2] وفيه عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضى الله عنه قال:{**طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**}[3].

وفي رواية:{**ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**} زاد في أخرى:{**تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا**} وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**}.

وفي رواية:{**الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**}[4].

---

(١) الدَيَرة: أي الهزيمة، وقال الأزهري: هم الدولة تدور على الأعداء، وقيل هي الحادثة.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٨٩٩].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٠١].

(٤) (صحيح) مسلم [٢٩٤٧].

وقال البخاري رحمه الله تعالى{**باب لا ينفع نفسًا إيمانها**} حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**}[1] وقال أيضًا رحمه الله تعالى في كتاب الفتن: حدثنا أبو اليمانى أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ياليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ولتقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنَّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها**}[2].

وفي الصحيحين عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس:{**أتدري أين تذهب**} قلت: الله ورسوله أعلم قال:{**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن**

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٥٩] مسلم [١٥٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٧٠٤].

لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: **ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها**}[1]، فذلك قوله تعالى:{ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾} [يس: ٣٨]}.

وفي صحيح مسلم عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا**}[2].

وفيه عن فاطمة بنت قيس - وكانت من المهاجرات الأول رضى الله عنها - قالت: سمعت نداء المنادي منادى رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال:{**ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالو: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الدارى كان رجلاً نصرانيًا فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب[3] السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٠٢٧] مسلم [١٥٩].

(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٤١].

(٣) أَقرُب: وَهِيَ سَفِينَة صَغِيرَة تَكُون مَعَ الْكَبِيرَة كَالْجَنِيبَةِ يَتَصَرَّف فِيهَا رُكَّاب السَّفِينَة لِقَضَاءِ حَوَائِجهمْ، الْجَمْع قَوَارِب، وَالْوَاحِد قَارِب بِكَسْرِ الرَّاء وَفَتْحهَا. وَقِيلَ: الْمُرَاد بِأَقْرَب السَّفِينَة أُخْرَيَاتهَا، وَمَا قَرُبَ مِنْهَا لِلنُّزُولِ. انظر شرح النووي لمسلم.

من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة[١]، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه الي كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم[٢] فلعب بنا الموج شهرًا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا ويلك ما أنت؟ فقالت أنا الجساسة، قلنا وما الجساسة؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فانه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانية، فقال: أخبروني عن نخل بيسان قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا لـه: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر[٣]، قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا لـه: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين مافعل؟ قالوا: قدخرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن

(١) الجساسة: قيل سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال، وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن.

(٢) أي هاج وجاوز حده المعتاد.

(٣) بلدة في الجانب القبلي من الشام.

ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة، يعني المدينة، ألا هل كنت أحدثكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، قال: فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق[١] ما هو من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق}، قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ [٢].

قال النووي رحمه الله تعالى الأهلب الغليظ الشعر كثيرة، وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال، وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن والله أعلم.

وفيه عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت:{**خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا محمرًا وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها - قالت فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث**}[٣].

---

(١) (بل من قبل المشرق ما هو..) قال النووي: قال القاضي: (ما هو) زائدة صلة للكلام ليست نافية، والمراد إثبات أنه في جهات المشرق.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٤٢].

(٣) (صحيح) البخاري [٦٦٥٠] مسلم [٢٨٨٠].

وفيه عن النواس بن سمعان قال:{**ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع[1] حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا لـه قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون لـه، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم[2] أطول ما كانت دَرّا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قولـه فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا**

(١) فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ: قال النووي رحمه الله: وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلانِ: أَحَدهمَا أَنَّ خَفَّضَ بِمَعْنَى حَقَّرَ، وقولـــه (رَفَّعَ) أَيْ عَظَّمَهُ وَفَخَّمَهُ، فَمِنْ تَحْقِيره وَهُوَ أَنَّهُ عَلَى اللَّه تَعَالَى عَوَره، وَمِنْهُ قولـــه ﷺ :♂هُوَ أَهْوَن عَلَى اللَّه مِنْ ذَلِكَــ وَأَنَّهُ لا يَقْدِر عَلَى قَتْل أَحَد إِلا ذَلِكَ الرَّجُل، ثُمَّ يَعْجِز عَنْهُ، وَأَنَّهُ يَضْمَحِلّ أَمْره، وَيُقْتَل بَعْد ذَلِكَ هُوَ وَأَتْبَاعه.

وَمِنْ تَفْخِيمه وَتَعْظِيم فِتْنَته وَالْمِحْنَة بِهِ هَذِهِ الأُمُور الْخَارِقَة لِلْعَادَةِ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيّ إِلا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمه.

وَالْوَجْه الثَّانِي: أَنَّهُ خَفَّضَ مِنْ صَــوْته فِي حَال الْكَثْرَة فِيمَا تَكَلَّمَ فِيهِ، فَخَفَّضَ بَعْد طُول الْكَلام وَالتَّعَب لِيَسْتَرِيحَ، ثُمَّ رَفَّعَ لِيَبْلُغ صَوْته كُلّ أَحَد.

(٢) ماشيتهم.

شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[١] واضعًا كفيه على اجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كجمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ[٢] فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحزر عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم علي بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتي يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغف[٣] في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم[٤]، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل **فيرسل الله تعالى طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرًا لايكنّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للارض انبتي ثمرك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[٥]، ويبارك في الرِّسْل[٦] حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من**

---

(١) أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.
(٢) لُدّ: بلدة قريبة من بيت المقدس.
(٣) النغف: دود يكون في أنف الإبل.
(٤) زهمهم ونتنهم: دسمهم ورائحتهم الكريهة.
(٥) (قِحْفهَا) هُوَ مُقَعَّر قِشْـرهَا، شَـبَّهَهَا بِقِحْفِ الرَّأْس، وَهُوَ الَّذِي فَوْق الدِّمَاغ، وَقِيلَ: مَا اِنْفَلَقَ مِنْ جُمْجُمَته وَانْفَصَلَ (النووي).
(٦) الرِّسْل: اللبن.

الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخد[١] **من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخدهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر**[٢]**، فعليهم تقوم الساعة} وزاد في رواية بعد قوله:{لقد كان بهذه مرة ماء} ثم يسيرون حتي ينتهي إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا}**[٣].

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنه :**{أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: إن الله تعالى ليس بأعور، إلا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية}**[٤].

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر}** وفي رواية قال رسول الله ﷺ :**{الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر - ثم تهجاها ك ف ر - يقرأه كل مسلم}**[٥] وفيه عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركهما أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطئ**

---

(١) الفخذ: قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْفَخْذ الْجَمَاعَة مِنْ الأَقَارِب، وَهُمْ دُون الْبَطْن، وَالْبَطْن دُون الْقَبِيلَة. قَالَ الْقَاضِي: قَالَ اِبْن فَارِس: الْفَخْذ هُنَا بِإِسْكَانِ الْخَاء لا غَيْر، فَلا يُقَال إِلا بِإِسْكَانِهَا، بِخِلافِ الْفَخِذ الَّتِي هِيَ الْعُضْو، فَإِنَّهَا تُكْسَر وَتُسَكَّن. (النووي).

(٢) يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير.

(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٣٧].

(٤) (صحيح) البخاري [٣٢٥٦] مسلم [١٦٩].

(٥) (صحيح) البخاري [٦٧١٢] مسلم [٢٩٣٣] واللفظ لمسلم.

رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه " كافر " يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب}(١) قال النووي: ظفرة بفتح الظاء المعجمة والفاء وهي جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعي: لحمة تنبت عند المآقي، وفيه عن أبي سعيد الخدري قال:{**حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتلة ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ما كنتُ فيك قط أشدَّ بصيرة مني الآن، قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه}**(٢) ورواية قال: قال رسول الله ﷺ :{**يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح مساح**(٣) **الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه، قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله ﷺ، قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا، قال فيقول: أوما تؤمن بي؟ قال فيقول أنت المسيح الكذاب، قال فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول قم، فيستوي قائمًا، قال ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه**

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٦٦] مسلم [٢٩٣٤].
(٢) (صحيح) البخاري [١٧٨٣].
(٣) الْمَسَالِح: قَوْم مَعَهُمْ سِلاح يُرَتَّبُونَ فِي الْمَرَاكِز كَالْخُفَرَاءِ سُمُّوا بِذَلِكَ لِحَمْلِهِمْ السِّلاح (النووي).

لايفعل بعدي بأحد من الناس، قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين}(١).

وفيه عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله - أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يحرق البيت ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ :{**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا - فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين وليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله** عز وجل **ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير - أو إيمان - إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه**} قال سمعتها من رسول الله ﷺ، قال:{**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع**(٢) **لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا**(٣)**، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال فيصعق**

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٣٨] من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) (فِي خِفَّة الطَّيْر وَأَحْلام السِّبَاع) قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ يَكُونُونَ فِي سُرْعَتهمْ إِلَى الشُّرُور وَقَضَاء الشَّهَوَات وَالْفَسَاد كَطَيَرَانِ الطَّيْر، وَفِي الْعُدْوَان وَظُلْم بَعْضهمْ بَعْضًا فِي أَخْلَاق السِّبَاع الْعَادِيَة. (النووي).

(٣) (أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا) اللِّيت: هِيَ صَفْحَة الْعُنُق، وَهِيَ جَانِبه، وَ (أَصْغَى) أَمَالَ (النووي).

ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - عز وجل **مطرًا كانه الطَّل أو الظّل (نعمان الشاك) فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق}**(١).

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{ليس من بلد إلا سيطأه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق}** وفي رواية:**{فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه وقال: فيخرج إليه كل منافق ومنافقة}**(٢) قال النووي: فيضرب رواقه أى ينزل هناك ويضع ثقله، والجرف قال في القاموس: موضع بقرب المدينة وموضع قرب مكة وموضع باليمن وموضع باليمامة والمقصود في الحديث هو الأول، وفيه عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة}**(٣).

وفيه عن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول:**{ليفرن الناس من الدجال في الجبال، قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل}**(٤) وفيه عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال}**(٥) والأحاديث في ذكر الدجال وصفته والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تحصى وأعظم من أن

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٤٠].
(٢) (صحيح) البخاري [١٧٨٢] مسلم [٢٩٤٣].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٤٤].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٩٤٥].
(٥) (صحيح) مسلم [٢٩٤٦].

تستقصى، وكذا الأحاديث في الفتن والملاحم بين يدي القيامة وغيرها من أشراط الساعة، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاة فريضة أو نافلة.

وفي الترمذي عن محرز بن هارون عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقر منسى، أو غنى مطغى، أو هرم مفند، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**} ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون[١] وروى معمر هذا الحديث عمن سمع سعيدًا المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ نحو هذا.

* * *

(١) (إسناده ضعيف) الترمذي [٢٣٠٦] الحاكم في المستدرك [٧٩٠٦].

الإيمان بالموت

١٧٩- ويَدْخُلُ الإيمانُ بالمَوْت وما ::: منْ بَعْدِهِ على العِبَادِ خَتْما

(ويدخل) في الإيمان باليوم الآخر **(الإيمان بالموت)** الذي هو المفضى بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتقدم:{**إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم**}(١) والإيمان بالموت يتناول أمورًا:

منها تحتمه على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال تعالى:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨] وقال تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾} [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] وقال تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾} [آل عمران: ١٨٥] وقال تعالى لنبيه ﷺ {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾} [الزمر: ٣٠ - ٣١] وقال تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾} [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥] وقال تعالى:{يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾} [العنكبوت: ٥٦ - ٥٧] قال تعالى:{۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾} [السجدة: ١١] وفي الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول:{**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**}(٢).

ومنها أَنَّ كُلاًّ لـه أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٥٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٤٨] مسلم [٢٧١٧].

عنه، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في عينه في أى مكان يكون وفي أى زمان فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره، وأن كل إنسان مات أو قتل أو حرق أو غرق أو بأي حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين وإن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قدره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه ولم يكن لـه بد منه ولا محيص عنه ولا مفر لـه ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص، وأني وكيف وإلى أين ولات حين مناص، قال الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا} [آل عمران: ١٤٥] الآية، وقال تعالى:{قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: ١٥٤] الآيات، وقال تعالى:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨] وقال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾} [الأنعام: ٦١ - ٦٢] وقال تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾} [الأعراف: ٣٤] في مواضع من القرآن وقال تعالى:{كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [لقمان: ٢٩] وقال تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾} [طه: ١٢٩] وقال تعالى:{وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: ٨] وقال تعالى:{قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾} [الجمعة: ٨] وقال تعالى:{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [الزمر: ٤٢] وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾} [الأنعام: ٦٠]

وغيرها من الآيات.

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة رضى الله عنها :{**اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية**} فقال لها رسول الله ﷺ :{**إنك سألت الله تعالى لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيء منها قبل حله ولا يؤخر منها يومًا بعد حله، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك**}(١).

وفي رواية:{**قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل**}(٢) وفي أخرى:{**وآثار مبلوغة**}(٣).

وعن ابن عباس رضى الله عنه في قول الله تعالى:{وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ } [فاطر: ١١] يقول: ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتب له، فذلك قوله تعالى:{وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ } [فاطر: ١١] يقول كل ذلك في كتاب عنده(٤)وهكذا قال الضحاك بن مزاحم، وأما حديث أنس في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**}(٥)

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٦٣].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٦٦٣].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٦٣].
(٤) (إسناده ضعيف) تفسير الطبري [ج١٠] سورة فاطر (آية: ١١).
(٥) (صحيح) البخاري [١٩٦١] مسلم [٢٥٥٧].

فإنه مفسر بحديث أبي الدرداء رضى الله عنه عند ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال:{**إن الله تعالى لايؤخر نفسًا إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة**(١) **يرزقها العبد فيدعون لـه من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر**}(٢).

ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو كما قال تعالى:{۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ} [الأنعام: ٥٩] الآية، وقال تعالى:{وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان: ٣٤] الآية، وتقدمت الأحاديث في معناها.

وفي الحديث المشهور عند أحمد والترمذي وغيرهما عن جماعة من الصحابة قال رسول الله ﷺ :{**إذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بأرض جعل لـه فيها - أو قال بها - حاجة**}(٣).

ومنها ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله.

---

(١) ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى، أحد الوجوه التي أجيب بها عن معنى زيادة العمر في حديث أنس رضى الله عنه.
وذكر النووي رحمه الله وجوها، ورجح أن الزيادة إنما هي بالبركة في العمر والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها من الضياع.
وصح وجها آخر: وهو أن الزيادة بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد لـه أربعون، وقد سبق علم الله تعالى ما سيقع لـه من ذلك، وهو معنى قولـه تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

(٢) (إسناده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسيره (لسورة فاطر) فيه: مسلمة بن عبد الله، وأبو مشجعة بن ربعي: مقبولان كما في التقريب.

(٣) (إسناده صحيح) الترمذي [٢١٤٧] من حديث أبي عزة الهذلي، أحمد [٢٢٠٣٤] من حديث مطر بن عكامس.

وهو المفضى به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله أفعاله وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل في شرعه وقدره وقضائه ووعده ووعيده فلا يعاقب أحدًا بذنب غيره ولا يهضمه ذرة من حسن أعماله، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عند الترمذي والنسائي وابن حبان وصححه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أكثروا ذكر هادم اللذات**}[١] الموت.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: باب قول النبي ﷺ :{**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**} حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوي عن سليمان الاعمش قال حدثني مجاهد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:{**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**}.

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول:{**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**}[٢].

ثم قال: باب في الأمل وطوله وقول الله تعالى:{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥] بمزحزحه بمباعده، وقال تعالى:{ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾} [الحجر: ٣] وقال علي رضى الله عنه : ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل[٣]، حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني أبي عن منذر عن ربيع بن خثيم عن عبد الله رضى الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطًا مربعا

---

(١) (حســن) الترمذي [٢٣٠٧] النســائي [١٨٢٤] ابن ماجة [٤٢٥٨]أحمد [٧٩١٢] ابن حبان [٢٩٩٢].

(٢) (صحيح) البخاري [٦٠٥٣].

(٣) البخاري معلقا بصيغة الجزم، في كتاب (الرقاق).

وخط خطًّا في الوسط خارجًا منه وخط خططا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال:{**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا**}(١).

حدثنا مسلم حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طاحة عن أنس رضى الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطوطًا فقال:{**هذا الأمل، وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب**}(٢).

ومنها - وهو المقصود الأعظم - التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه، إذ ليس بعده لأحد من مستعتب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل إلا القبر وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السماوات والأرضين والموقف الطويل بين يدي القوي المتين، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم الذى لا يحيف ولا يجور ولا يظلم مثقال ذرة إن ربي على صراط مستقيم ثم إما نعيم مقيم في جنات النعيم وإما عذاب أليم في نار الجحيم، وإن لكل ظاعن مقرّا ولكل نبأ مستقرًّا وسوف تعلمون، قال الله تعالى:{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾} [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] الآيات،

(١) (صحيح) البخاري [٦٠٥٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٠٥٥].

وقال تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ} [الحشر: ١٨] الآيات،

وقال تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١} [المنافقون: ٩ - ١١]،{وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ } [الشورى: ٤٤] وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة كما قال تعالى:{ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ۝٤٤} [إبراهيم: ٤٤] الآيات، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال وشديد الأنكال والمقامع والأغلال والسلاسل والطوال وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال ولا يغني بالخبر عنه ضرب الأمثال كما قال تعالى:{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨} [الأنعام: ٢٧ - ٢٨] الآيات، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسو رؤوسهم بين يديه كما قال تعالى:{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢} [السجدة: ١٢] الآيات، وكذلك يسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى:{ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ} [فاطر: ٣٧] الآيات، وقال تعالى:{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١} [غافر: ١١] وغيرها من الآيات، ويجمع كل ذلك قوله تعالى:

{هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣} [الأعراف: ٥٣] وغيرها من الآيات، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{ما من أحد يموت إلا ندم}** قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال:**{إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزع}**(١) رواه الترمذي وغيره.

ولـه عن ابن عباس رضى الله عنه قال: من كان لـه مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنا{وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١} [المنافقون: ١٠ - ١١] قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير(٢)، وقال قتادة في قولـه تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ} [المؤمنون: ٩٩] قال كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى، وقال قتادة: والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: إذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول: رب ارجعون أتوب وأعمل

(١) (إسناده ضعيف جدا) الترمذي [٢٤٠٣] وعلته: يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب: متروك وأفحش الحاكم فرماه بالوضع، انظر التقريب [٧٥٩٩] وأبوه: عبيد الله: مقبول انظر التقريب [٤٣١١].

(٢) (إسناده ضعيف) الترمذي [٣٣١٦].

صالحًا، قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرًا، قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام أو يفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها(١).

وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني، فتكون عليه حسرة، قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون لهم الشكر**}(٢).

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضى الله عنه عند مسلم:{**بادروا بالأعمال ستًا طلوع الشمس من مغربها**}(٣) الحديث، وحديثه عند الترمذي:{**بادروا بالأعمال سبعًا هل تنتظرون إلا إلى فقر منس..**}(٤) الحديث.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**}(٥).

وللحاكم عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه:{**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**}(٦) يعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال، بعد التفريط منه والإهمال، في زمن الفرصة

---

(١) (إسناده ضعيف) انظر تفسير ابن كثير [ج٣] سورة المؤمنون (آية: ٩٩) فقد ذكره ابن كثير بإسناد ابن أبي حاتم، وعلة السند: الليث بن أبي سليم: ضعيف انظر التقريب [٥٦٨٥].

(٢) (إسناده صحيح) مسند أحمد [١٠٦٦٠].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٤٧].

(٤) (إسناده ضعيف) الترمذي [٢٣٠٦] الحاكم في المستدرك [٧٩٠٦].

(٥) (صحيح) البخاري [٦٠٤٩].

(٦) (سنده حسن) الحاكم في المستدرك [٧٨٤٦] ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [١٠٩].

والإمهال، فإن بعد كل شباب هرمًا، وبعد كل صحة سقمًا وبعد كل غنى فقرًا، وبعد كل فراغ شغلا، وبعد كل حياة موتًا، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا الغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجئ الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات، ويطلب الكَرَّة وهيهات، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات، ولقد حثنا الله عز وجل أعظم الحث وحضنا أشد الحض ودعانا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه إذ يقول تعالى في محكم كتابه داعيًا عباده إلى بابه يا من يسمع صريح خطابه ويتأمل لطيف عتابه{۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾} [الزمر: ٥٣ - ٥٩] الآيات، وقال تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ} [الروم: ٤٣] الآيات، وقال تعالى:{ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾} [الشورى: ٤٧] الآيات، وغيرها، الإيمان بما بعد الموت.

ومنها الإيمان بـ (ما) الذي (**من بعده**) أى من بعد الموت (**على العباد حتمًا**) من أحوال الاحتضار إلى البعث والنشور إلى أن يقضي الله بين عباده ويستقر كل من الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

ونذكر ما تيسر من التقدير على كل أمر منها في محله من هذه الأبيات الآتية إن شاء الله تعالى.

وهذا أولها:

١٨٠- وان كل مقعد مسؤول ::: ما الرب ما الدين وما الرسول

١٨١- وعند ذا يثبت المهيمن ::: بثابت القول الذين آمنوا

١٨٢- ويوقن المرتاب عند ذلك ::: بأنما مورده المهالك

* * *

في هذه الأبيات إثبات المسألة العظيمة، وهي إثبات سؤال القبر، وفتنته وعذابه ونعيمه، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتابًا وسنة وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وإن أنكر ذلك بشر المريسي وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة وحملوا على فاسد فهمهم قول الله عز وجل :{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ} [الدخان: ٥٦] وقوله تعالى:{وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢]. قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا الموت مرتين لا موته واحدة.

وقالوا في الآية الثانية: إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الإسماع، ولو كان الميت حيّا في قبره أو حاسّا لم يستقم التشبيه.

قالوا: وأما من جهة العقل فإنا نرى شخصًا يصلب ويبقى مصلوبًا إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة، والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه في بطونها وحواصلها، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذرى أجزاؤه المتفتتة في الرياح العاصفة شمالاً وجنوبًا وقبولاً ودبورًا فإنا نعلم عدم إحيائه ومسألته وعذابه ضرورة، هذه خلاصة شبههم الداحضة ومحصلة آرائهم الكاسدة، أفهامهم الفاسدة، وأذهانهم البائدة، ولا عجب ولا استغراب ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وجحد ما صرح به تعالى في محكم آياته، ورد ما صح عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، وحكم العقل في الشرع، وعرض الوحي الرحماني بالحدس الشيطاني، وقدم الآراء السقيمة على السنن المستقيمة، وآثر الأهواء الذميمة على المحجة القويمة، فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أن ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التي لا يشاهدها، وما لـه لا ينكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلا هذا الجسم الذي

هو الجلد واللحم والعظم والعروق والأعصاب والشرايين ونحوها مما يمتلئ بكثرة الطعام والشراب فيه ويخلو بقتلهما عليه وما لـه لا ينكر ذلك وهو لا يقر بموجود إلا مسموعًا متكلمًا به مبصرًا مشمومًا ملموسًا، وما لـه لا ينكر ذلك وطريقته في النصوص أبدًا تأويل الصريح وتضعيف الصحيح، وأنها آحاد ظنية لاتفيد اليقين وليست بأصل بزعمه عند المحققين، ولا ذنب للنصوص وما نقم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرحت بنقض دعواه، وسدت عليه باب مغزاه وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه وهدمت عليه ما قد بناه، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله الله أو رسوله ﷺ، ونادت عليه بأبلغ صوت{أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} [الشورى: ٢١].

والجواب عن الشبهة الأولى أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه، فإنها في صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا يبأسون ويخلدون فلا يموتون، وأين هذا من نفي عذاب القبر الذي ادعوه، وقولـه{إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ} [الدخان: ٥٦] تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنة، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد في البرزخ اتصالاً خاصًا ليتألم الجسد بما يتألم به من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية، بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لا تشبه الحياة الدنيا وهي أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمة منه بهم كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحًا كما يشاء الله عز وجل والفتح لباب الجنة للمؤمن وفرشه منها وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمرازب وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه.

وأيضًا فأهل الجنة المشارإليهم بقولـه{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ} [الدخان: ٥٦] قد وردت فيهم الأحاديث الصحيحة أن أرواحهم تسرح في الجنة في حواصل طيور خضر كما روى الإمام أحمد عن الإمام محمد بن

إدريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال:{**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه**}(١).

وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم:{وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾} [البقرة: ١٥٤] يقول الله تعالى لنبيه وأصحابه{وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ } فهل شعرتم بذلك يا معشر الزنادقة دونهم؟ ويقول تعالى فيهم{وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩] الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم:{قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ} [غافر: ١١] والموتة الثانية على أحد التفسيرين هي موتتهم بعد فتنة القبر، وتفسير الجمهور لا ينافي ذلك فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودهم والثانية على الخروج من الدنيا ولم يعدوا نومتهم بعد الفتنة في القبر موتة مستقلة لأن حال البرزخ من الموتة الثانية - وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة بل هو حاجز بينهما، والتفسير الأول محمول على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة قال: إذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار، قال فيقول: رب ارجعون أتوب وأعمل صالحًا، قال فيقال: قد عمرت ما كنت معمرًا قال: فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها(٢).

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين:

---

(١) (سنده صحيح) موطأ مالك [٥٦٨]مسند أحمد [١٥٨١٦].
(٢) (إسناده ضعيف) سبق تخريجه.

الأول: أن قولـه{وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ} [فاطر: ٢٢] نفي لاستطاعة الرسول ﷺ أن يسمعهم، وليس ذلك بمجال في قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته ﷺ بقولـه ﷺ :{**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا..**} [١] الحديث، سيأتي إن شاء الله، وهذا إذا حمل على نفي مطلق السماع بالكلية.

الوجه الثاني: إنه لم ينف مطلق السماع، وإنما نفي سماع الاستجابة كما يدل عليه قولـه ﷺ في حديث القليب:{**ماأنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون**} [٢] وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة، ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم في قولـه تعالى{يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا} [الجاثية: ٨] ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقًا لاسماع استجابة ولا مطلقًا لم يكن القرآن حجة عليه ولم يكن الرسول بلغهم لأنهم ما سمعوه منه، ولا أفسد من قول هذا لازمه.

وأما شبهتهم العقلية فهي لا تليق إلا بعقولهم السخيفة، فإن الروح التي عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك في الدنيا ولا يعلمه إلا الله، فمن كان لا يدرك روح من يمشي معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فكيف يدركه إذا صار عن عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا؟ وأيضًا فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة ورحمته بهم وقد قال النبي ﷺ :{**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله** عز وجل **أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**}[٣].

وأيضًا فأكثر أمور الإيمان اعتقادات باطنة لأمور غائبة عنا وهي أعلى صفات أهل الإيمان{ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [البقرة: ٣] وذلك غائب عنا في الحياة الدنيا

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٨٠٢]، مسلم [٢٨٧٣].
(٢) (صحيح) تكملة الحديث السابق.
(٣) (صحيح) مسلم [٢٨٦٧].

ونحن نعلمه عن الله علم اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة ورأينا ذلك عين اليقين{بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩} [يونس: ٣٩] والذي أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الذي أبدأه من لا أجزاء ولا أعضاء وسيأتي الحديث فيه إن شاء الله.

ولا فرق بين من كذب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه{هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ} [الأعراف: ٥٣] الآية.

فيا أيها الطالب الحق المتحري الإنصاف، إليك نصوص الآيات المحكمة، والسنن القائمة، فألق لها سمعك وأحضر قلبك، وانظر بماذا عارضها الذين في قلوبهم زيغ وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكم بالمتشابه ولم يردوا علم ما غرب عنهم علمه إلى عالمه، وأحمد الله تعالى إذ هداك لما اختلفوا فيه ووفقك لما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم{ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨} [آل عمران: ٧ - ٨].

قال الله تبارك وتعالى:{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ} [الأنعام: ٩٣]. الآية.

قال أئمة التفسير{وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ} [الأنعام: ٩٣] أي إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم{أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ} [الأنعام: ٩٣] وذلك أن الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب

الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى والخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم{أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ} [الأنعام: ٩٣] أى اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله، وسيأتي في الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريبًا إن شاء الله.

ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئًا من ذلك ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم، فلا بد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به في المحتضر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون.

وقال{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧} [إبراهيم: ٢٧] وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم، وإن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة، وإن من أنكر ذاك اعتمادًا على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء.

وقال تعالى:{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠} [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة رضى الله عنه أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو دُهم - حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى:{وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ} (1) [المؤمنون: ١٠٠] وتقدم حديث أبي هريرة رضى الله عنه في ذلك قريبا وسيأتي الأحاديث فيه.

وقال تعالى:{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ} [غافر: ١١] ذكر العيني هذه الآية في شرح هذا الباب من صحيح البخاري وقال: فإن الله تعالى ذكر الموتة مرتين وهما لا تتحققان إلا أن يكون في القبر حياة وموت حتى تكون إحدى الموتتين ما يتحصل عقيب الحياة في الدنيا والأخرى ما يتحصل عقيب الحياة التي في القبر أهـ.

قلت: وهذا هو تفسير السدّى في هذه الآية حيث قال: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة. أهـ.

والآية تحتمله، لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل {كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ} [البقرة: ٢٨] وقد قدمنا الجمع بين هذين التفسيرين ولله الحمد والمنة.

وقال تعالى:{سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ} [التوبة: ١٠١] قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن إسحاق ما حاصله: أن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار، وقال تعالى:{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ} [السجدة: ٢١]

---

(١) (سنده ضعيف) ذكره ابن كثير في تفسيره بإسناد ابن أبي حاتم، وعلته: سلمة بن تمام البصري: مجهول، وعلى بن زيد بن جدعان: ضعيف.

قال البراء ابن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر وقال تعالى في قوم نوح{مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾} [نوح: ٢٥] وقال تعالى:{وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر: ٤٥ - ٤٦].

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة في العرش، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها(١).

وفي حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه البيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال فيه : {**ثم انطلق بى إلى خلق كثير من خلق الله** عز وجل ، **رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وآل فرعون كالإبل المسوَّمة يخطبون الحجارة والشجر ولا يعقلون**}(٢).

وفي حديث عائشة في قصة اليهودية التي قالت لها وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت لـه، فقال ﷺ :{**لا**} قالت عائشة رضى الله عنها : ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك:{**وإنه أوحى إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم**}(٣) وسيأتي إن شاء الله قريبًا.

---

(١) (إسناده ضعيف) ذكره ابن كثير في تفسيره [ج٤] بإسناد ابن أبي حاتم وعلة السند: الليث بن أبي سليم: ضعيف. وإن كان جُزؤه الأول في الصحيحين مرفوعا، دون ذكر فرعون.

(٢) (إسناده ضعيف جدا) الطبري في تفسيره [ج٨] سورة الإسراء (آية: ١) دلائل النبوة للبيهقي [٦٧٧] علته: عمارة بن جوين، أبو هارون العبدى: متروك الحديث انظر التقريب [٤٨٤٠].

(٣) (صحيح) البخاري [١٣٠٦] مسلم [٥٨٤] أحمد في المسند [٢٤٥٦٤].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ.

والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًا وعشيًا في البرزخ، وليس فيها دلالة - يعني تامة - على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية، وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنبه، وهذا الجواب هو الراجح عندي لما يدل عليه قوله ﷺ: {**إنما يفتن يهود**}[1] وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تفتن، والجواب الأول مرجح لأن الآيات أيضًا صريحة في اتصال عذاب القبر بالروح والجسد، وما ليس صريحًا منها فمحتمل يحمل على الصريح إذ لم يجئ في آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد، وقال الله تعالى:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾} [النحل: ٢٨ - ٢٩].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم{لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا } [فاطر: ٣٦] وكذلك قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾} [النحل: ٣٢] وقال تعالى:{يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾} [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

* * *

(١) (صحيح) مسلم [٥٨٤].

فصل: وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبد الله بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضًا وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك.

فأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد، وقال لي خليفة حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان لـه: ماكنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي ﷺ : فيراهما جميعًا وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**}(١).

(١) (صحيح) البخاري [١٢٧٣].

ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه:**{قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح لـه في قبره سبعون ذراعًا - يعني المؤمن - ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون}**(١).

ولهما عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ :**{وأعوذ بك من عذاب القبر}**(٢).

ولمسلم عنه رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:**{لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع}**(٣).

وأما حديث عبد الله بن عباس فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاووس قال ابن عباس رضى الله عنه :**{مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير}** ثم قال:**{بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بولـه}** ثم قال:**{أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا}**(٤).

رواه في مواضع من صحيحه ورواه مسلم أيضًا وغيره(٥).

ولهما وللنسائي عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ :**{كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلم السورة من القرآن قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب**

---

(١) (صحيح إلى قتادة) مسلم [٢٨٧٠].

(٢) (صحيح) البخاري [٧٩٨] مسلم [٥٨٨].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٨٦٧].

(٤) اتخذ كثير من الناس فعل النبي ﷺ هذا بصاحبي القبرين على أنه سنة فعملوا بها، فأصبح كل زائر لقبر يعرض عليه بشـيء أخضـر ظنا منه أن ذلك يخفف عن ميته، والأمر في حقيقته خاص بالنبي ﷺ في صاحبي القبرين، لما أوحي إليه أنهما يعذبان فجعل ذلك منه وحده علامة على نزول الرحمة عليهما مدة بقاء العود رطبا، والله أعلم.

(٥) (صحيح) البخاري [١٣١٢] مسلم [٢٩٢] وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيّ فِي صَحِيحه أَنَّ بُرَيْدَةَ بْن الْحَصِيبِ الأَسْلَمِيّ الصَّحَابِيّ رضى الله عنه أَوْصَى أَنْ يُجْعَل فِي قَبْره جَرِيدَتَانِ، فَفِيهِ أَنَّهُ رضى الله عنه تَبَرَّكَ بِفِعْلٍ مِثْل فِعْل النَّبِيّ ﷺ (النووي) وَكَأَنَّ بُرَيْدَة رضى الله عنه حَمَلَ الْحَدِيث عَلَى عُمُومه وَلَمْ يَرَهُ خَاصًّا بِذَيْنِك الرَّجُلَيْنِ (ابن حجر).

جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات}(١).

وأما حديث البراء بن عازب فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ بن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعيد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قولـه{** يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ**}** [إبراهيم: ٢٧] رواه في مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره(٢).

وروى الإمام أحمد عنه رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حولـه كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكث به في الأرض، فرفع رأسه فقال:**{استعيذوا بالله من عذاب القبر}** مرتين أو ثلاثًا - ثم قال:**{إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخدها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخدوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا**

(١) (صحيح) مسلم [٥٩٠] النسائي [٢٠٦٣].
(٢) (صحيح) البخاري [١٣٠٣] مسلم [٢٨٧١].

فيستفتحون لـه فيفتح لـه، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون لـه: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون لـه: مادينك فيقول ديني الإسلام، فيقولون لـه: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان لـه: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا لـه بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح لـه في قبره مد البصر، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول لـه: من أنت فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقول: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح لـه، ثم قرأ رسول الله ﷺ {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل : اكتبوا

كتابه في سجين الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحًا، ثم قرأ{وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ} [الحج: ٣١] **فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان لـه: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه في النار وافتحوا لـه بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر، فيقول أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة}**(١) زاد في رواية في قصة المؤمن:**{حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت لـه أبواب السماء، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله** عز وجل **أن يعرج بروحه من قبلهم}** وزاد في قصة الكافر:**{ثم يقيض لـه أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة فيصير ترابًا، ثم يعيده الله** عز وجل **كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين - قال البراء - ثم يفتح لـه باب من النار ويمهد لـه فراش من النار}** ورواه أبو داوود والنسائي وابن ماجه بنحوه(٢).

وأما حديث عمر بن الخطاب فرواه مسلم من طرق عنه رضى الله عنه قال:**{إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى، قال فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا**

(١) (إسناده حسن) مسند أحمد [١٨٥٥٧].

(٢) (إسناده ضعيف) مسند أحمد [١٨٦٣٧] مصنف عبد الرزاق [٦٧٣٧] علته: يونس بن خباب الأسيدى: ضعيف، انظر تهذيب الكمال [٧١٧٤].

الحدود التي حد رسول الله ﷺ، قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، وانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى اليهم فقال: يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقًا، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئًا}(١)
ولأبي داود والنسائي وابن ماجه عنه رضى الله عنه أن النبي ﷺ :**{كان يتعوذ من الجبن والبخل وعذاب القبر وفتنة الصدر}**(٢).

وأما حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى:**{باب الميت يعرض بالغداة والعشي، حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر** رضى الله عنه **أن رسول الله ﷺ قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي**(٣) **إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة}**(٤).

ولـه عنه رضى الله عنه قال:**{اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم**

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٨٧٣].

(٢) (إسـناده صـحيح) أحمد في مسـنده [٣٨٨] أبو داود [١٥٣٩] النسـائي [٥٤٤٣] ابن ماجة [٣٨٤٤]. (وفتنة الصدر) قال العينى: يجوز أن يكون المراد بها: ما يحصل فيه من الوساوس الشـيطانية، ويجوز أن يكون المراد ما يكون فيه من الهم إلى المعاصـي والآثام ونحو ذلك، وذلك لأن الصدر فيه القلب وهو محل هذه الأشياء.

(٣) قال ابن حجر: قَالَ اِبْن التِّين: يَحْتَمِل أَنْ يُرِيد بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ غَدَاة وَاحِدَة وَعَشِيَّة وَاحِدَة يَكُون الْعَرْض فِيهَا. وَمَعْنَى قولـه (حَتَّى يَبْعَثك اللَّه) أَيْ لا تَصِل إِلَيْهِ إِلَى يَوْم الْبَعْث. وَيَحْتَمِل أَنْ يُرِيد كُلّ غَدَاة وَكُلّ عَشِيّ.

ثم قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وَفِي هَذَا الْحَدِيث إِثْبَات عَذَاب الْقَبْر، وَأَنَّ الرُّوح لا تَفْنَى بِفِنَاءِ الْجَسَد لأَنَّ الْعَرْض لا يَقَع إلا عَلَى حَيّ. وَقَالَ اِبْن عَبْد الْبَرّ: أُسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الأَرْوَاح عَلَى أَفْنِيَة الْقُبُور. قَالَ: وَالْمَعْنَى عِنْدِي أَنَّهَا قَدْ تَكُون عَلَى أَفْنِيَة قُبُورهَا لا أَنَّهَا لا تُفَارِق الأَفْنِيَة، بَلْ هِيَ كَمَا قَالَ مَالِك إِنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ الأَرْوَاح تَسْرَح حَيْثُ شَاءَتْ.

(٤) (صحيح) البخاري [١٣١٣].

ما وعدكم ربكم حقًا فقيل لـه: تدعو أمواتًا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون}[1].

وأما حديث عائشة أم المؤمنين فقال البخاري رحمه الله تعالى باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله ﷺ عائذًا بالله من ذلك - ثم ذكر حديث الكسوف بطولـه وفيه آخره:{**ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر**} ورواه مسلم بنحوه[2].

وقال البخاري أيضًا:{**حدثنا عبدان أخبرني أبي سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة** رضى الله عنها **أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر: فقال: عذاب القبر حق - قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر**} ووافقه عليه مسلم وغيره[3].

وقال مسلم أيضًا:{**حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى، قال هارون حدثنا - وقال حرملة أخبرنا - ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة** رضى الله عنها **قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت فارتاع رسول الله ﷺ وقال: إنما تفتن يهود، قالت عائشة فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ : هل شعرت أنه أوحى إليَّ أنكم**

(١) (صحيح) البخاري [١٣٠٤].
(٢) (صحيح) البخاري [١٠٠٢] مسلم [٩٠٣].
(٣) (صحيح) البخاري [١٣٠٦].

تفتنون في القبور قالت عائشة رضى الله عنها **: فسمعت رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر}**[1].

وقال رحمه الله تعالى أيضًا:{**حدثنا زهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم كلاهما عن جرير، قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة** رضى الله عنها **قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت لـه: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم، ثم قالت فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر}**[2].

ولهما عنها رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول:{**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق وبين المغرب}**[3].

ولمسلم عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قولـه ﷺ في خطبته:{**ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها ابن لُحَيّ وهو الذي سيَّب السوائب}**[4].

---

(١) (صحيح) مسلم [٥٨٤].

(٢) (صحيح) البخاري [٦٠٠٥] مسلم [٥٨٦] واللفظ لمسلم.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٠٠٧] مسلم [٥٨٩] واللفظ للبخاري.

(٤) (صحيح) البخاري [٤٣٤٨] مسلم [٩٠١] اللفظ لمسلم.

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه فقال البخاري رحمه الله:{**حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر** رضى الله عنه **تقول: قام** رسول الله ﷺ **خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة**}(١).

ولهما عنها رضى الله عنها حديث الكسوف بطوله، وفيه:{**فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، لقد أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور مثل - أو قريبًا من - فتنة الدجال، لا أدري أيهما قالت أسماء، يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو الموقن، لا أدري أى ذلك قالت أسماء - فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحًا، فقد علمناك كنت لموقنًا، وأما المنافق - أو المرتاب، لا أدري أى ذلك قالت أسماء - فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**}(٢) قوله:{**لا أدري أى ذلك.. الخ**} التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضى الله عنه.

وأما حديث أبي أيوب الأنصاري فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبة قال: حدثني عون عن أبي جحيفة عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضى الله عنه قال:

---

(١) (صحيح) البخاري [١٣٠٧].
(٢) (صحيح) البخاري [١٨٢].

{خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس[1] **فسمع صوتًا**[2]**، فقال: يهود تعذب في قبورها}** رواه مسلم من طريق جماعة عن شعبة به[3].

وأما حديث أم خالد فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا معلي حدثنا وهيب عن موسى بن عقبة قال:**{حدثتني ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر}** وقال في كتاب الدعوات: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا موسى بن عقبة به.. الخ[4].

وأما حديث أبي هريرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا حماد بن زيد حدثنا بديل عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:**{إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها}** قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر السمك قال:**{ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه** عز وجل **ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه}** قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنًا ويقول أهل السماء:

---

(١) وجبت الشمس: أي سقطت والمراد غروبها.

(٢) قال ابن حجر رحمه الله: قولـــه: (فَسَمِعَ صَوْتًا) قِيلَ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون سَمِعَ صَوْت مَلائِكَة الْعَذَاب أَوْ صَوْت الْيَهُود الْمُعَذَّبِينَ أَوْ صَوْت وَقْع الْعَذَاب.
قُلْت (ابن حجر): وَقَدْ وَقَعَ عِنْد الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد الْجَبَّار بْن الْعَبَّاس عَنْ عَوْن بِهَذَا السَّنَد مُفَسَّرًا وَلَفْظه (خَرَجْت مَعَ النَّبِيّ ﷺ حِين غَرَبَتْ الشَّمْس وَمَعِي كُوز مِنْ مَاء، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ حَتَّى جَاءَ فَوَضَّأْته فَقَالَ: أَتَسْمَعُ مَا أَسْمَع؟ قُلْت: اللَّه وَرَسُوله أَعْلَم. قَالَ: أَسْمَع أَصْوَات الْيَهُود يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورهمْ).
قلتُ: (عبد الباقي) (سـند هذا الحديث صـحيح) فرواه الطبراني [٣٨٥٧] وبه عبد العزيز بن أبان: متروك الحديث كما في التقريب، ولكن الحديث بسـند صـحيح عن ابن حبان [٣١٢٤] وابن أبي شـيبة في مصـنفه [١٢٠٣٥] والبيهقي في عذاب القبر [٨٧] من حديث أبي جحيفة عن البراء بن عازب عن أبي أيوب مرفوعا، والثلاثة صحابة.

(٣) (صحيح) البخاري [١٣٠٩] مسلم [٢٧٦٩] اللفظ للبخاري.

(٤) (صحيح) البخاري [١٣١٠/٦٠٠٣].

{روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ريطة[1] كانت عليه على أنفه هكذا}[2].

ولهما عنه رضى الله عنه قال:**{كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ به من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال}**[3].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: باب ما جاء في عذاب القبر، حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف البصري أخبرنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{إذا قبر الميت - أو قال - أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال سمعت الناس يقولون: فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**[4].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن

(١) الرَّيْطَة: هُوَ ثَوْب رَقِيق، وَقِيلَ: هِيَ الْمُلاءَة، وَكَانَ سَبَب رَدّهَا عَلَى الأَنْف بِسَبَبِ مَا ذَكَرَ مِنْ نَتْن رِيح رُوح الْكَافِر. (النووي).

(٢) (صحيح) مسلم [٢٨٧٢].

(٣) (صحيح) البخاري [١٣١١] مسلم [٥٨٨].

(٤) (إسناده حسن) الترمذي [١٠٧١] ابن حبان [٣١١٧].

محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان فيقولون مرحبًا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان - قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله** عز وجل ، **وإذا كان الرجل السوء والعياذ بالله قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها السماء فيستفتح لها فيقال من هذا؟ ويقال هذا فلان فيقولون لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء، فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر**}(١).

وقال ابن حبان في صحيحه: حدثنا عمر بن محمد الهمذاني حدثنا زيد بن أخزم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي إلى روح الله، فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقال: ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض؟ ولا يأتون السماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم، فيقول قد مات أما أتاكم؟ فيقولون: ذُهِب به إلى أمه الهاوية،**

---

(١) (إسناده صحيح) مسند أحمد بن حنبل [٨٧٥٤].

وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي إلى غضب الله تعالى فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض}.

زاد في رواية:**{وأما الكافر إذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه فيبلغ الأرض السفلى}**(١).

وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧] قال:**{ذلك إذا قيل لـه في القبر: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت، فيقال لـه: صدقت، على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث}**(٢).

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{والذي نفسي بيده، إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبلي مدخل، فيقال لـه: اجلس فيجلس، قد مثلت لـه الشمس قد دنت للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك، فيقول: دعني حتى أصلي، فيقال لـه: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعم تسألوني؟**

---

(١) (إسناده صحيح) ابن حبان في صحيحه [٣٠١٣/ ٣٠١٤].

(٢) (سنده حسن) تفسير ابن جرير الطبري [ج٧].

فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول: أمحمد؟ فيقال لـه: نعم، فيقول: أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال لـه: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ثم يفسح لـه في قبره سبعون ذراعًا وينور لـه ويفتح لـه باب في الجنة فيقال لـه: انظر إلى ما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا ثم تجعل نسمته[1] في النسم الطيب وهي طير خضر يعلق بشجر الجنة، ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب}، وذلك قول الله عز وجل { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧] ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمرو وذكر جواب الكافر وعذابه[2].

وقال البزار، رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال:{**إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيود لو خرجت - يعني نفسه - والله يحب لقاءه، وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال تركت فلانا في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلانًا قد مات قالوا ما جئ به إلينا، وإن المؤمن يجلس في قبره فيُسأل من ربك؟ فيقول ربي الله** عز وجل ، **ويُسأل من نبيك؟ فيقول محمد ﷺ نبي، فيقال ماذا دينك؟ قال دين الإسلام، فيفتح لـه باب في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك، ثم** يرى **القبر فكأنما كانت رقدة، وإذا كان عدّوا لله نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا والله يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أُجلس فيقال لـه: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقال لا دريت، فيفتح لـه باب**

(١) يعني روحه.
(٢) (سنده حسن) ابن جرير الطبري [ج٧] ابن حبان [٣١١٣].

إلى جهنم ثم يضرب ضربه تسمعها كل دابه إلا الثقلين، ثم يقال لـه: نم كما ينام المنهوش} قلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال الذي تنهشه الدواب والحيات، ثم يضيق عليه قبره(١) ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليد بن القاسم.

وأما حديث أبي سعيد وسلمان فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله ابن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي حدثنا قتادة عن عقبة عن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ :**{أنه ذكر رجلاً فيمن سلف وفي من كان قبلكم قال كلمة يعني أعطاه الله مالاً وولدًا فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: أى أب كنت لكم؟ قالوا خير أب، قال فإنه لم يبتئر عند الله خيرًا وإن يقدر الله عليه يعذبه، فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني - أو قال: فاسحكوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها، فقال نبي الله ﷺ : فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف، فقال** الله عز وجل : **كن، فإذا هو رجل قائم، قال الله: أى عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك، أو فرق منك، قال: فما تلافاه أن رحمه عندها}** وقال مرة أخرى:**{فما تلافاه}** فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه:**{اذروني في البحر}**(٢) أو كما حدَّث.

وفي رواية لـه عن أبي سعيد قال:**{ففعلوا فجمعه الله** عز وجل **فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك، فتلقاه برحمة}**(٣).

وقال رحمه الله تعالى:**{باب كلام الميت على الجنازة}** حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد ابن أبي سعيد عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدري رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ :**{إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا**

---

(١) (هذا سند لا بأس به) انظر تفسير ابن كثير، فقد ذكر الحديث بسنده عن البزار [ج٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٦٩] مسلم [٢٧٥٧] اللفظ للبخاري.
(٣) (صحيح) البخاري [٣٢٩١] مسلم [٢٧٥٧] اللفظ للبخاري.

ويلها، أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق}[1].

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال:{**شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، ثم يفتح له باب النار فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ أمنت فهذا منزلك، فيفتح له بابًا إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن، اسكن، ويفسح له في قبره، وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له بابًا إلى الجنة فيقول هذا منزلك لو كنت آمنت بربك، فأما إذ كفرت به فإن الله عزوجل أبدلك به هذا، فيفتح له بابًا إلى النار، ثم يقمعه قمة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق الله** عز وجل **كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ :**{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ }}[2].

ولابن مردويه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ } في القبر.

---

(١) (صحيح) البخاري [١٣١٤].
(٢) (سند حسن) أحمد [١١٠١٣].

وأما حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال:{**كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يومًا فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده - قال بعض أصحابنا عن موسى - كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى آتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر - أو صخرة - فيشرخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه، قلت: من هذا؟ قالا انطلق فانطلقا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت من هذا؟ قالا انطلق، فانطلقا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا انطلق، فانطلقا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشجرة فأخبراني دارًا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشبان، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث**

بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشرخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم رضى الله عنه، **والصبيان حولـه فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت دعاني أدخل منزلي، قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك**(١).

وأما حديث عثمان رضى الله عنه فقال أبو داود: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال:{**كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا لـه التثبيت فإنه الآن يسأل**}(٢) قال ابن حجر: صححه الحاكم.

وأما حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن حاتم المؤدب أخبرنا علي بن ثابت حدثني قيس بن الربيع وكان من بني أسد عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال:{**أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة في الموقف: اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرًا مما نقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي، ولك رب تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجئ به الريح**}(٣).

---

(١) (صحيح) البخاري [١٣٢٠].
(٢) (حسن) أبو داود [٣٢٢١] الحاكم في المستدرك [١٣٧٢].
(٣) (إسـناده ضـعيف) الترمذي [٣٥٢٠] قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسـناده

وأما حديث زيد بن ثابت فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بن أبي شيبة جميعًا عن ابن علية، قال ابن أيوب: حدثنا ابن علية قال وأخبرني سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت، قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة لـه ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - قال كذا كان يقول الجريري - فقال:{**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال**}(١).

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول لـه: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: إنه رسول الله وعبده، فيقول لـه الملك انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال لـه: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال لـه: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا**

بالقوي.

(١) (صحيح) مسلم [٢٨٦٧].

أدري أقول كما يقول الناس، فيقال لـه: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة أبدلك مكانه مقعدك من النار، قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: يبعث كل عبد في القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه}[1].

ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه:**{وعُرضت عليَّ النار، فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تُعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه[2] في النار - وفي رواية - لقد جئ بالنار، وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن تصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه[3]، فإن فطن لـه قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعًا..}**[4] الحديث.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه فرواه البخاري من عدة طرق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال:**{كان النبي ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة: اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ**

---

(١) (صحيح لغيره) والحديث بهذا السند لم أقف عليه في مسند أحمد، وإنما وقفت على هذا الحديث بسند آخر في المسند [١٤٧٦٤] والسند هو: قال أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله. الحديث) وهذا سند ضعيف وعلته: عبد الله بن لهيعة، وقلتُ: وفيما يبدو أن المصنف رحمه الله نقله عن ابن كثير من تفسيره [ج٢] وهو عنده بهذا السند المذكور أعلى، والله أعلم.

والحديث رواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله [٦٧٤٤/ ٦٧٤٦].

(٢) يجر قُصبه: الأمعاء.

(٣) الْمِحْجَن: عَصًا مَعْقُوفَة، يَتَنَاوَل بِهَا الرَّاكِب مَا سَقَطَ لَـه، وَيُحَرِّك بِطَرَفِهَا بَعِيره لِلْمَشْيِ. (النووي).

(٤) (صحيح) مسلم [٩٠٤].

بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر}[1].

وأما حديث زيد بن أرقم فقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم ومحمد بن نمير واللفظ لابن نمير، قال إسحاق أخبرنا - وقال الآخران حدثنا - أبو معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث، وعن أبي عثمان عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: (لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:{**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها}**[2] رواه النسائي.

وأما حديث أبي بكرة فأخرجه النسائي رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في أثر الصلاة:{**اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر}**[3].

وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه (نوادر الأصول): حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال:{**إني رأيت البارحة عجيبًا، رأيت رجلاً من أمتي جاء ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره بوالديه فرد عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله** عز وجل **فخلصه من بينهم، ورأيت رجلاً من**

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٠٢٧].

(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٢٢].

(٣) (سنده حسن) النسائي في سننه [١٣٤٧/ ٥٤٦٥].

أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشًا كلما ورد حوضًا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلِّموه فكلَّموه، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت لـه سترًا على وجهه وظلا على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ، **ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءه أفراطه فثقَّلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكت من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على الصراط كما ترعد السفعة فجاء حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا، فجاءته صلاته فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت لـه الأبواب وأدخلته الجنة}**[1].

(١) انظر التذكرة للقرطبي [ص ٢٧٧].

ورواه القرطبي رحمه الله في تذكرته وقال: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة.

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فرواه النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجال وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار**}[1].

وللحكيم الترمذي عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أتردُّ لنا عقولنا يا رسول الله؟ قال: نعم كهيئتكم اليوم، فقال عمر: في فيه الحجر[2].

وروى البغوي عنه رضى الله عنه موقوفًا عليه: **إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله** عز وجل **ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة - أو نسمة طيبة - فلا تمرُّ بباب إلا فتح لها، ولا بملك إلا صلى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن** عز وجل **فتسجد، ثم قال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفُس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعًا عرضه، وسبعون ذراعًا طوله، وينبذ له الريحان، وإن كان معه شئ من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من**

(١) (سنده حسن) النسائي في سننه [٥٤٩٠] والحديث أصله في الصحيح.
(٢) (سنده حسن) عند ابن حبان [٣١١٥] وعند احمد في المسند [٦٦٠٣].

بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم، ورب عليك غضبان}[١].

وأما حديث أبيه عمرو بن العاص فرواه مسلم في قصة وفاته مطولاً، وفيه:{**فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ التراب شنّا، ثم أقيموا حول قبري قدْر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي** عز وجل }[٢].

وأما حديث أم مبشر فأخرجه عنها ابن أبي شيبة في مصنفه قالت: دخل علي النبي ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج فسمعته يقول:{**استعيذوا بالله من عذاب القبر**} قلت: يا رسول الله وللقبر عذاب؟ قال:{**إنهم ليعذبون عذابًا في قبورهم تسمعه البهائم**}[٣].

وأما حديث أبي قتادة رضى الله عنه فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الأنصاري رضى الله عنه في قولـه تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧] الآية قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال لـه: من ربك؟ فيقول: الله عز وجل ، فيقال لـه: من نبيك؟ فيقول: محمد بن عبد الله ﷺ، فيقال لـه ذلك مرات، ثم يفتح لـه باب إلى النار فيقال لـه: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يفتح لـه باب إلى الجنة فيقال لـه:

---

(١) تفسير البغوي(معالم التنزيل) [ج٥] سورة الفجر. بغير إسناد، وعند عبد الرزاق [٦٧٠٢] وبسنده: عبد الرحمن بن البيلماني: ضعيف انظر التقريب [٣٨١٩] وقال الهيثمي في المجمع [٣٩٣٢] رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(٢) (صحيح) مسلم [١٢١].

(٣) (سنده حسن) ابن أبي شيبة [٢٩١٤٧] أحمد [٢٧٠٨٩] ابن حبان [٣١٢٥] الطبراني في الكبير [٢٦٨].

انظر إلى منزلك من الجنة إذ ثبتَّ، وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال لـه: من ربك؟ من نبيك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال لـه: لا دريت، ثم يفتح لـه باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبتَّ، ثم يفتح لـه باب إلى النار فيقال لـه: انظر إلى منزلك إذ زغت، فذلك قولـه تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧](١).

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم بن سويد عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضى الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال:{**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه**} قال أراه قال فيهن:{**لـه الملك ولـه الحمد وهو على كل شئ قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبور**} وإذا أصبح قال ذلك أيضًا:{**أصبحنا وأصبح الملك لله**}(٢).

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن الحسن بن عبيد الله.. الخ. بنحوه، وفيه:{**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر**}(٣).

وقال النسائي: أخبرنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا الفضل بن موسى عن زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه

---

(١) (سنده حسن) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٣١١٧] سورة إبراهيم.
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٢٣].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٧٢٣].

قال:{**كان النبي ﷺ يتعوَّذ من خمس: من البخل، والجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر**}[١].

وروى الطحاوي عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**أمر بعبد من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ عليه قبره نارًا..**}[٢] الحديث، ذكره العيني في شرح البخاري والله أعلم بصحته، وعزاه في التبصرة إلى أبي القاسم الحريري، وتقدم عنه قريبًا حديث أم حبيبة وفيه الاستعاذة من عذاب القبر.

وأما حديث أبي طلحة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة:{**أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أوراح لها؟ قال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**}[٣] قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قولـه توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

---

(١) (سنده ضعيف) النسائي في سننه [٥٤٤٦] لأن زكريا بن أبي زائدة قد سمع من أبي إسحاق السبيعي بعد اختلاطه انظر التقريب [٢٠٢٢].
(٢) (سنده حسن) الطحاوي في مشكل الآثار [٢٦٩٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٧٥٧].

وأما حديث أسماء الآخر فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء - يعني بنت الصديق رضى الله عنها - تحدث عن النبي ﷺ قالت: قال:{**إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنًا أحف به عمله الصلاة والصيام، قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتردّه، ومن نحو الصيام فيرده، قال: فيناديه اجلس، فيجلس، فيقول لـه: ماذا تقول في هذا الرجل؟ يعني النبي ﷺ، قال: من قال: محمد، قال: أشهد أنه رسول الله، قال فيقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث، وإن كان فاجرًا أو كافرًا جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول لـه: ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أى رجل؟ قال: محمد، قال يقول: والله ماأدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، قال لـه الملك: على ذلك عشتَ وعليه مت وعليه تبعث، قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله صماء لا تسمع صوته فترحمه**}(١) والأنسب لمكان هذا الحديث أن ينقل عند حديثي أسماء الأولين.

وأما حديث عبد الرحمن بن حسنة فقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال:{**انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومع درقة ثم استتر بها ثم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل، كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ماأصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره**} ورواه النسائي وابن ماجه(٢).

---

(١) (صحيح) إن صح سماع محمد بن المنكدر من أسماء، أحمد في المسند [٢٧٠٢١].

(٢) (صـــحيح) أبو داود [٢٢] ورواية عبد الواحد عن الأعمش فيها مقال، إلا أنه قد تابعه أبومعاوية الضرير وهو أحفظ الناس لحديث الأعمش. عند النسائي [٣٠] وابن ماجة [٣٤٦].

وأما حديث تميم الداري فرواه أبو يعلى الموصلي بسنده عنه مطولاً بسياق عجيب ومتن غريب وغالب معناه في الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناء عنه بغيره ولله الحمد والمنة(١).

وأما حديث حذيفة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال: قال عقبة لحذيفة:{**ألا تحدثنا ما سمعت من النبي ﷺ ؟ قال: سمعته يقول: إن رجلاً حضره الموت لما يئس من الحياة أوصى أهله إذا مت فاجعلوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يوم حار أو راح، فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر لـه**} قال عقبة وأنا سمعته يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك وقال:{**في يوم راح**}(٢) وقد تقدمت هذه القصة من حديث أبي سعيد الخدري.

وقد رواها البخاري رحمه الله تعالى أيضًا من حديث أبي هريرة فقال: حدثني عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم أطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله تعالى الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رب خشيتك حملتني، فغفر لـه**} وقال غيره:{**مخافتك يا رب**}(٣)

---

(١) (ضـــعيف) وانظر الحديث بســـنده ومتنه في تفســـير ابن كثير]ج٢] وقال ابن كثير رحمه الله عقب الحديث: حديث غريب جدا وسـياق عجيب ويزيد الرقاشـي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٩٢].

(٣) (صحيح) البخاري [٣٢٩٤].

ومحل هذا الحديث مع أحاديث أبي هريرة المتقدمة فلينقل إلى هناك.

وأما حديث أبي موسى فرواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وهذا لفظ أحمد: عن أبي موسى رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**الميت يعذب ببكاء الحي إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسباه، جبذ الميت وقيل: أنت عضدها، أنت ناصرها، أنت كاسبها؟**} ولفظ الترمذي:{**ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟**}(١).

وأما حديث النعمان بن بشير فرواه الشيخان البخاري ومسلم عنه رضى الله عنه قال:{**أغمى على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه، واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لي: أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه** رضى الله عنه }(٢).

وأما حديث عوف بن مالك فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني هارون بن سعيد الأيلي أخبرني ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن حبيب بن عبيد عن جبير بن نفير سمعه يقول سمعت عوف بن مالك يقول:{**صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعفُ عنه وأكرم نُزُله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلاً خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار**} قال حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت، وفي رواية:{**وقه فتنة القبر وعذاب النار**}(٣).

* * *

(١) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٩٧٣١] الترمذي [١٠٠٣] به موسى بن أبي موسى: مقبول، كما في التقريب.

(٢) (صحيح) البخاري [٤٠١٩/٤٠٢٠].

(٣) (صحيح) مسلم [٩٦٣].

١٨٣- وباللِّقا والبَعْثِ والنُّشُورِ ::: وبقيَامِنَا مِنَ القُبُور
١٨٤- غُرْلاً حُفَاةً كجَرادٍ مُنْتَشِرْ ::: يقولُ ذو الكُفْرَانِ ذا يومُ عَسِرْ

أى يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى:{وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾} [البقرة: ٤٥ - ٤٦] وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾} [المؤمنون: ٥٨]،{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾} [الانشقاق: ٦] وقال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾} [يونس: ٧ - ٨] وقال تعالى:{قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا} [الأنعام: ٣١] وقال تعالى:{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ} [يونس: ١٥] وقال تعالى:{مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾} [العنكبوت: ٥] وقال تعالى:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ} [البقرة: ٢٢٣] وقال تعالى:{قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ} [البقرة: ٢٤٩] وقال تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً} [الفرقان: ٣٢] وقال تعالى:{ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾} [التوبة: ٧٧] وقال تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾} [النبأ: ٢٧] وغيرها من الآيات.

وفي الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :**{من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه}** فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال:**{ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر**

برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه - وفي رواية - والموت قبل لقاء الله}[1].

وفيه عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :**{من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه}** قال فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك قال: قال رسول الله ﷺ :**{من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه}** وليس من أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[2]، وفيه عن عبادة بن الصامت[3]وأبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ المرفوع منه دون شرحه[4].

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:**{قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال فيلقى العبد فيقول أى فُلْ[5] ألم أكرمك**

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٨٤].

(٢) (صحيح) مسلم [٢٦٨٥].

(٣) (صحيح) البخاري [٦١٤٢] مسلم [٢٦٨٣].

(٤) (صحيح) البخاري [٦١٤٣] مسلم [٢٦٨٦].

(٥) فُلْ: مَعْنَاهُ يَا فُلان، وَهُوَ تَرْخِيم عَلَى خِلاف الْقِيَاس، وَمَعْنَى (أُسَوِّدك) أَجْعَلك سَيِّدًا عَلَى غَيْرك.
(تَرْأَس) مَعْنَاهُ رَئِيس الْقَوْم وَكَبِيرهمْ. وَأَمَّا (تَرْبَع) مَعْنَاهُ بِالْمُوَحَّدَةِ تَأْخُذ الْمِرْبَاع الَّذِي كَانَتْ مُلُوك الْجَاهِلِيَّة تَأْخُذهُ مِنْ الْغَنِيمَة (النووي).

وأسوّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني فيقول أى فُلْ: ألم أكرمك وأسوّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أى رب فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثالث فيقول لـه مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذًا، قال ثم يقال لـه: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه من الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه}[1].

وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة:**{بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه}**[2].

وروى أنه كان قرآنًا فنسخت تلاوته.

والآيات والأحاديث في إثبات لقاء الله عز وجل كثيرة جداً، ومن كذَّب بذلك كفر.

* * *

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٦٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٢٦٥٩] مسلم [٦٧٧].

(والبعث والنشور) أى ويدخل في الإيمان باليوم الآخر، والإيمانُ بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني اسرائيل{وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾} [البقرة: ٥٥ - ٥٦] وقال تعالى:{فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾} [البقرة: ٧٣] وقال تعالى:{۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾} [البقرة: ٢٤٣] وقال تعالى:{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾} [البقرة: ٢٨] وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾} [البقرة: ٢٥٨ - ٢٦٠] وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾} [الأعراف: ٥٧] وقال تعالى:{۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾} [الرعد: ٥]

وقال تعالى:{وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ} [الأنعام: ٢٩ - ٣١] الآيات، وقال تعالى:{ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ } [إبراهيم: ٤٧ - ٤٨] الآيات، وقال تعالى:{ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾} [الحجر: ٢٣ - ٢٥] وقال تعالى:{وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾} [التوبة: ١٠٥] وقال تعالى:{وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾} [الإسراء: ٤٩ - ٥٢] وقال تعالى:{وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ} [الإسراء: ٩٧ - ٩٩] وقال تعالى:{فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا } [الإسراء: ١٠٤] وقال تعالى:{ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾} [الكهف: ١٢] وقال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ } [الكهف: ١٩] إلى قوله:{وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ } [الكهف: ٢١] وقال تعالى:{ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾} [الكهف: ٤٧ - ٤٨] الآيات، وقال تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا} [الكهف: ٩٩]

الآيات، وقال تعالى:{وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾} [مريم: ٦٦ - ٦٨] الآيات إلى آخر السورة، وقال تعالى:{۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾} [طه: ٥٥] وقال تعالى:{يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾}

[طه: ١٠٢ - ١٠٨] الآيات، وقال تعالى:{ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾} [الأنبياء: ١] وقال تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾} [الأنبياء: ٣٨ - ٣٩] وقال تعالى:{يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾} [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾}

[الحج: ١ - ٧] وقال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾} [المؤمنون: ١٢ - ١٦] وقال تعالى عن كفر عاد{وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾} [المؤمنون: ٣٣ - ٣٧] الآيات، وقال تعالى:{ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾} [المؤمنون: ٨٠ - ٨٣] وقال تعالى:{قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾} [المؤمنون: ١١٢ - ١١٦] وقال تعالى:{ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾} [النور: ٦٤] وقال تعالى:{وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾} [الفرقان: ٣] وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾} [يونس: ٤٥] وقال تعالى:{قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾} [يونس: ٣٤]

وقال تعالى: {أَمَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا الَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٦٤ - ٨٧] الآيات، وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾} [العنكبوت: ١٩ - ٢٢]

وقال تعالى:{وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١} [الروم: ٦ - ١١] الآيات، قوله:{وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ۝٢٥ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٧} [الروم: ٢٥ - ٢٧] الآيات، وقال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٤٠} [الروم: ٤٠] وقال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٨ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ۝٤٩ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠} [الروم: ٤٨ - ٥٠] وقال تعالى:{وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٥٦} [الروم: ٥٥ - ٥٦] الآيات، وقال تعالى:{مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝٢٨} [لقمان: ٢٨] وقال تعالى:{وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١} [السجدة: ١٠ - ١١] الآيات، وقال تعالى:{يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣} [الأحزاب: ٦٣]

وقال تعالى:{ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾} [سبأ: ٢٩ - ٣٠] الآيات، وقال تعالى:{ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾} [سبأ: ٥١] الآيات، وقال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾} [سبأ: ٧] وقال تعالى:{ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾} [فاطر: ٩] وقال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾} [يس: ١٢] وقال تعالى:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾} [يس: ٣٣] الآيات، وقال تعالى:{ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾} [يس: ٤٨ - ٥٣] الآيات، وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾} [يس: ٧٧ - ٨٣] وقال تعالى:{أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ } [الصافات: ١١ - ٢٣]

وقال تعالى:{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾} [الحجر: ٣٧ - ٣٨] وقال تعالى:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾} [الزمر: ٣٠ - ٣١] وقال تعالى:{لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ} [غافر: ١٥ - ١٦] الآيات، وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون{وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} [غافر: ٣٢ - ٣٣] الآيات، وقال تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾} [فصلت: ٣٩] وقال تعالى:{ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾} [فصلت: ٥٤] وقال تعالى:{وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ} [الشورى: ٧] وقال تعالى:{وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾} [الزخرف: ١١] وقال تعالى{إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾} [الدخان: ٣٤ - ٤٠] الآيات وقال تعالى:{وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾} [الجاثية: ٢٢] وقال تعالى:{وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾} [الجاثية: ٢٤ - ٢٦] الآيات، وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾} [الأحقاف: ٣٣] وقال تعالى:{قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾} [ق: ١ - ٤] إلى اخر السورة، وقال تعالى:{وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾} [الذاريات: ١] إلى قوله: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ

ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾} [الذاريات: ٥ - ٦] وقال تعالى:{وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾} [الطور: ١ - ٢] إلى قوله:{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾} [الطور: ٧ - ١١] الآيات، وقال تعالى:{فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾} [الطور: ٤٥] الآيات، وقال تعالى:{وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾} [النجم: ٤٢ - ٤٤] الآيات، وقال تعالى:{فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾} [القمر: ٦ - ٨] الآيات، وقوله تعالى:{بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾} [القمر: ٤٦] وقال تعالى:{سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾} [الرحمن: ٣١] إلى آخر السورة، وسورة الواقعة بتمامها، وقال تعالى:{يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم} [الحديد: ١٢] الآيات، وقال تعالى:{يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾} [المجادلة: ٦] إلى قوله:{ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧]، وقال تعالى:{يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾} [المجادلة: ١٨] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾} [الممتحنة: ١٣] وقال تعالى:{يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ} [التغابن: ٩] الآية، وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾} [التحريم: ٧ - ٨] وقال تعالى:{ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا} [الملك: ٢] وقال تعالى:{أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾} [القلم: ٣٥] الآيات، وسوره الحاقة بكمالها، وقال تعالى:{سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾} [المعارج: ١]

وقال تعالى:{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج: ٤٢ - ٤٤] وقال تعالى:{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)} [المزمل: ١١] الآيات، وقال تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)} [المدثر: ٨ - ١٠] وقال تعالى:{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)} [القيامة: ١ - ٤] الآيات، وقال تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)} [القيامة: ٣٦ - ٤٠] وجاء جوابه في الحديث:{**بلى إنه على كل شيء قدير**} وقال تعالى:{هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)} [الإنسان: ١] الآيات، بل السورة بتمامها، وجميع السور التي بعدها: المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغشية والفجر والبلد وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر في بدنه ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرَّة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزَّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من لـه قلب شهيد على الأجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة فيقول عز وجل :{كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ} [ق: ١١]، {كَذَٰلِكَ النُّشُورُ} [فاطر: ٩]،{كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ} [الزخرف: ١١]،{كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٧٣].

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدًّا، وقد تقدم كثر منها في مواضع متفرقة، وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا

أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:{**قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن لـه ذلك، وشتمني ولم يكن لـه ذلك، فأما تكذيبه إياي فقولـه لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقولـه: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد**}[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش قال:{**إن رسول الله ﷺ بصق يومًا في كفه فوضع عليها إصبعه، قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى بني آدم أنَي تعجزني وقد خلقتك مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيتَ بين برديك[2] وللارض منك وئيد[3]، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدَّق، وأنَّي أوان الصدقة**} ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد ابن هارون عن حريز بن عثمان به[4].

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال:{**إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ : أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم**} قال: ونزلت الآيات من آخر يس[5].

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٢١٢].
(٢) برديك: ثوبيك.
(٣) وللأرض منك وئيد: المقصود مشيت متكبرا مفتخرا بمالك.
(٤) (سنده حسن) أحمد في المسند [١٧٨٧٧].
(٥) (سنده حسن) تفسير ابن أبي حاتم آخر (سورة يس) وانظر تفسير ابن كثير [ج٣] سورة يس (آية: ٧٧).

وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث، منها: وقال رسول الله ﷺ :{**إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا فيه يركب يوم القيامة، قالوا: أى عظم هو يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب**}[١].

وفيه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:{**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب**}[٢].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال أبيتُ، قالوا أربعون شهرًا، قال أبيتُ، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيتُ - ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شىء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**}[٣].

ورواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه، دون قوله:{**ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء**}[٤].

وتقدم حديث عبد الله بن عمرو قريبًا وفيه:{**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - مطرًا كأنه الطل - أو الظل، نعمان الشاكّ - فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه**

---

(١) قولــــه ﷺ : (عَجْب الذَّنَب) أَيْ الْعَظْم اللَّطِيف الَّذِي فِي أَسْفَل الصُّلْب، وَهُوَ رَأْس الْعُصْعُص، وَيُقَال لــــه (عَجْم) بِالْمِيمِ، وَهُوَ أَوَّل مَا يُخْلَق مِنْ الآدَمِيّ، وَهُوَ الَّذِي يَبْقَى مِنْهُ لِيُعَادَ تَرْكِيب الْخَلْق عَلَيْهِ. (النووي).

(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٥٥].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٩٥٥].

(٤) (صحيح) البخاري [٤٦٥١].

أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق}.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة**}[1] وفي حديث الصور الآتى قريبًا إن شاء الله:{**ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات الطراثيث - أو كنبات البقل - حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله** عز وجل **: ليحيى حمله العرش، فيحيون، ويأمر الله** عز وجل **إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحييان، ثم يدعو الله بالأرواح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نورًا وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح الي جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون..}** الحديث.

وروى الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه وفي كتاب السنة لـه قال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري:

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٥٣٥].

كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته علي ما كتبت به إليك، فحدِّث بذلك عني، قال حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب لـه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبًا فقال:{**أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم، ألا فهل امروٌ بعثه قومه فقالوا لـه: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أوحديث صاحبه أو يلهيه ضال، ألا إني مسؤول، هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك فقال: ضنَّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله** عز وجل ، **وأشار بيده، فقلت: ما هن يا رسول الله؟ قال: علم المنية، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى حين يكون في الرحم، قد علمه وما تعلمونه، وعلم ما في غد، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم أزلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب، قال لقيط: فقلت لن نعدم من رب يضحك خيرًا يا رسول الله، قال: وعلم يوم الساعة، قلنا يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فإنا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد، من مذحج التي تدنو علينا، وخثعم التى توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها، قال: تلبثون فيها ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم يبعث الصيحة، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئًا إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك** عز وجل **يطوف في الأرض وخلت البلاد فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من**

مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوي جالسًا، فيقول ربك مهيم لما كان فيه، يقول يا رب أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثًا بأهله، فقلت: يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزّقنا الرياح والبلاء والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرف عليها وهي في مدرة بالية، فقلت لا تحيا أبدًا، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أيامًا حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم، قال قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبئك بمثل هذا في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتهما، قلت: فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية لـه صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فينضحه - أو قال فينطحه - بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق علي أثره الصالحون فيسلكون جسرًا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك عز وجل أو إنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ والله نأهله قط ما رأيتها، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده الأوقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها أحدًا قال قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار، قال قلت: يارسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال ﷺ :الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو، قال قلت: يا رسول الله ما الجنة وما النار؟ قال لعمر إلهك إن النار

لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا، قلت يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفّى، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة، ولعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة، قلت: يا رسول الله أو لنا فيها أزواج ومنهن المصلحات؟ قال: المصلحات للصالحين وفي لفظ الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذواتكم في الدنيا غير أن لاتوالد، قال لقيط: فقلت يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ، قال قلت: يا رسول الله علام أبايعك، فبسط النبي ﷺ يده وقال: على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال المشرك وأن لا تشرك بالله إلهًا غيره، وقال قلت: يا رسول الله وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وظن أني مشترط مالا يعطنييه، قال قلت: نحلُ منها حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلانفسه، فبسط يده وقال: لك ذلك تحل منها حيث شئت ولايجنى عليك إلا نفسك، قال فانصرفنا عنه ثم قال: ها إن ذين، ها إن ذين (مرتين) من اتقى الناس في الأولى والآخرة، فقال لـه كعب بن الخدارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يارسول الله؟ قال بنو المنتفق بنو المنتفق أهل ذلك منهم، قال فانصرفنا، وأقبلت عليه فقلت: يا رسول الله هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: وأهلي، لعمر الله حيث ما أتيت على قبر (كافر) عامري أو قرشي أودوسي قل: أرسلني إليك محمد، فأبشر بما يسوؤك، تجر على وجهك وبطنك في النار، قال قلت: يا رسول الله وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لايحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ :

ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبيّا فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين}(١).

ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن منصور الجواز أبو عبد الله قال حدثنا يعقوب بن عيسى الزهري قال حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري ثم السمعي عن دلهم بن الأسود بن عبد الله عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب، فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيبًا وذكر الحديث بنحو ما تقدم مع مغايرة في بعض الألفاظ(٢).

وقال الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه في الهدى عن زوائد المسند: هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة المدني رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه وفي كتاب السنة وقال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتب به إليك فحدث به عني، ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النبيل في كتاب السنة لـه: ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب المعرفة، ومنهم حافظ زمانه ومحدث

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٦٢٥١].
(٢) (سنده ضعيف) التوحيد لابن خزيمة [٢٤١].

أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في كثير من كتبه، ومنهم الحافظ أبو محمد عبدالله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة، ومنهم الحافظ عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ أصبهان، ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني، وجماعة من الحافظ سواهم يطول ذكرهم، وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي أبو حاتم وأبو عبد الله محمد ابن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم، ولاينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة، هذا كلام أبي عبد الله بن منده.

قلت: وقال ابن كثير بعد إيراده في الوفود: هذا حديث غريب جدًا، وألفاظه في بعضها نكارة.

وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، وعبد الحق الأشبيلي في العاقبة، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة. انتهى.

قلت: وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه الله تعالى: قوله:{**تهضيب**} أى تمطر، و{**الأصواء**} القبور:{**والشَرَبَة**} بفتح الراء الحوض الذي يجمع فيه الماء، وبالسكون الحنطة، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها وقوله:{**حس**} كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعي: وهي مثل أوه وقوله: يقول عز وجل :{**أو إنه**} قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى، نعم والآخر أن يكون الخبر محذوفًا كأنه قال أنتم كذلك، أو أنه على ما يقول، و(الطوف) الغائط، وفي الحديث:

{**لا يصلِّ أحدكم وهو يدافع الطوف والبول**}[1] و{**الجسر**} الصراط، وقوله: فيقول ربك:{**مهيم**} أى ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟ وقوله:{**يشرف عليكم أزلين**} الأزل بسكون الزاي الشدة والأزل على وزن الكتف هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط، وقوله:{**فيظل يضحك**} هو من صفات أفعاله سبحان وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك:{**فأصبح ربك يطوف في الأرض**} هو من صفات فعله كقوله{وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ} [الفجر: ٢٢]،{هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام: ١٥٨] و{**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا - ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة**}[2] والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل، وقوله:{**والملائكة الذين عند ربك**} لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل بن رافع الطويل في الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ} [الزمر: ٦٨] وقوله:{**فلعمر إلهك**} هو قسم بحياة الرب ﷻ، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها وأنها قديمة وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر ويوصف بها، ذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر، دالة عليها، وقوله:{**ثم تجيء الصائحة**} هي صيحة البعث ونفخته، وقوله:{**حتى يخلف من عند رأسه**} هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده تشبيه النشأة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من رأسه كما ينبت الزرع، وقوله:{**فيستوي جالسًا**} هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائمًا، ثم يساق إلى موقف

(١) (رواته ثقات) مسند ابن الجعدِ [٣٠٨٦] ابن أبي شيبة [٧٩٣٢] موقوفًا من قول ابن عباس.
(٢) (سنده صحيح) سبق تخريجه في الجزء الأول.

القيامة إما راكبًا وإما ماشيًا، وقوله:{**يقول يا رب أمس اليوم**} استقلالاً لمدة لبثه في الأرض كأنه لبث فيها يومًا فقال أمس، أو بعض يوم فقال اليوم، يحسب أنه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم، وقوله:{**كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع**}؟ وإقرار رسول الله ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأن أفراخ الصائبة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعمليات وفيه دليل أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدروهم، وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أما أعداؤه فللتعنت والمغالبة، أما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجيب كُلاً على سؤاله، إلا ما لاجواب عنه كسؤال عن وقت الساعة، وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد ما فرقها وينشئها نشأة أخرى أو يخلقه خلقًا جديدًا كما سموا في كتابه كذلك في موضعين منه، وقوله:{**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله**} آلاؤه نعمة وآياته التي تعرَّف بها إلى عباده، وفيه إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره وأنه سبحانه إذا كان قادرًا على شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله، فقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد في كتابه أحسن تقرير وأبينه وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيبًا له وتعجيزًا له وطعنًا في حكمه، تعالى عما يقولون علوّا كبيرًا، وقوله في الأرض:{**أشرقت عليها وهي مدرة بالية**} كقوله تعالى:{يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ} [الروم: ٥٠] وقوله{وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩} [فصلت: ٣٩] ونظائره في القرآن كثيرة وقوله:{**فتنظرون إليه وينظر اليكم**} فيه إثبات صفة التجلي لله عز وجل واثبات النظر له وإثبات

رؤيته في الآخرة ونظر المؤمنين إليه، وقولـه:{**كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد**} قد جاد هذا الحديث وفي قولـه في حديث آخر:{**لا شخص أغير من الله**}[1] والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المواد منه ولايقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولاً وأصح أذهانًا وأسلم قلوبًا من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عيانًا برؤية الشمس والقمر تحقيقًا لها ونفيًا لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون، وقولـه:{**فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم**} فيه إثبات صفة اليد لله عز وجل بقولـه وإثبات الفعل الذي هو النضح، و{**الريطة**} الملاءة، و{**الحمم**} جمع حممة وهي الفحمة، وقولـه:{**ثم ينصرف نبيكم**} هذا انصراف من موضع القيامة الي الجنة وقولـه:{**ويفرق على أثره الصالحون**} أى يفزعون ويمضون على أثره، قولـه:{**فتطلعون على حوض نبيكم**} ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر.

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**بينا أنا قائم: على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**}[2] قال فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار.

قلت: وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولاتناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدق بعضه بعضًا، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط فحديث أبي هريرة هذا وغيره

(١) (صحيح) مسلم [١٤٩٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٢١٥].

يرد قولهم، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط، وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإن قوله:{**طوله شهر وعرضه شهر**} فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق والله أعلم.

وقوله:{**والله على أظمأ نأهلة**} قط النأهلة العطاش الواردون الماء، أى يردونه أظمأ ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فإنه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه كما وردوه في موقف القيامة، وقوله{**تحبس الشمس والقمر**} أى تختفيان فتحتبسان ولا يريان، والاحتباس التواري والاختفاء منه قول أبي هريرة:{**فانحبست**} وقوله:{**ما بين البابين مسيرة سبعين عامًا**} يحتمل أن يريد به ما بين الباب والباب وهذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عامًا لوجهين: أحدهما أنه لم يصرح فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عامًا، والثاني أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه والله أعلم، وقوله في خمر الجنة:{**ما بها صداع ولا ندامة**} تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال وحصول الشر الذي يوجبه زوال العقل، و{**ماء غير آسن**} هو الذي لم يتغير بطول مكثه، وقوله في نساء الجنة:{**غير أن لا توالد**} قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين فقالت طائفة لا يكون فيها حبل ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه في المسند وفيه:{**غير أن لا منى ولا منية**}.

وأثبتت طائفة من السلف الولادة في الجنة واحتجت بما رواه الترمذي في جامعه من حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ :

{المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي}[1] قال الترمذي حسن غريب ورواه ابن ماجه.

قالت الطائفة الأولى: هذا لا يدل على وقوع الولادة في الجنة فإنه علقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهي، وهذا تأويل إسحاق بن راهويه حكاه البخاري عنه، قالوا والجنة دار جزاء على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا والجنة دار خلود ولا يموت فيها فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت.

وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت: **{إذا}** إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه، وقد صح أنه سبحانه ينشئ في الجنة خلقا ليسكنهم إياها بلا عمل، قالوا وأطفال المسلمين أيضًا فيها بغير عمل، وأما من حيث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم، فإن أدناهم من ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام، وقوله: **{يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون}** لا جواب لهذه المسألة لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهي إليه من ذلك وإن كان الانتهاء إلى نعيم وجحيم، ولهذا لم يجبه النبي ﷺ، وقوله في عقد البيعة: **{وزيال المشرك}** أى مفارقته ومعاداته فلا تجاوره ولا تواليه، كما جاء في الحديث الذي في السنن: **{لا ترأى ناراهما}**[2] يعني المسلمين والمشركين، وقوله: **{حيث ما مررت بقبر كافر فقل أرسلني إليك محمد}** هذا إرسال تقريع وتوبيخ، لا تبليغ أمر ونهي، وفيه دليل علي سماع أصحاب القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم ودليل على أن من مات مشركًا فهو في النار وأن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم

---

(١) (سنده حسن) الترمذي [٢٥٦٣] ابن ماجة [٤٣٣٨].

(٢) (سنده حسن) أبو داود [٢٦٤٥].

حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلومًا من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرنًا بعد قرن، فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل، والله أعلم.

* * *

فصل
منكرو البعث على أربعة أصناف

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف: صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

والصنف الثاني من الدهرية طائفة يقال لهم الدورية، وهم منكرون للخالق أيضًا، ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم الله تعالى، وهاتان الطائفتان يعمهم قولـه عز وجل :{وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤] ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم{نَمُوتُ وَنَحْيَا} [المؤمنون: ٣٧] أي يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبدًا، وهو قول الطائفة الأولى، والمعنى الثاني أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبدًا ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازي، وهذا قول الدورية.

الصنف الثالث الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مقرون بالبداءة، وأن الله تعالى ربهم وخالقهم{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [الزخرف: ٨٧] ومع هذا قالوا{إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾} [الدخان: ٣٥] فأقروا بالبداءة والمبدئ وأنكروا البعث والمعاد وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح:**{وأما تكذيبه إياي فقولـه لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته}**[1].

(١) (صحيح) البخاري [٤٦٩٠].

والصنف الرابع ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على ما في القرآن ولافيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل ، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدمًا محضًا، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذ تكون الأرض التي تحدث أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون الأجساد التي تعذب وتجازي وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم بالجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل هي غيرها تبتدأ ابتداء محضًا، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى!

وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله فيهم في كفايته:

وقضى بأن الله يجعل خلقه ::: عدمًا ويقلبه وجودًا ثاني
العرش والكرسي والأرواح وال ::: أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر والمحيط وسائر ال ::: أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا ::: يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضًا ثانيًا ::: محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدأ لدى ::: جهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابن سينا والألى ::: قالوا مقالته إلى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا ::: أن الرسول عناه بالإيمان
هذا كتاب الله أنى قال ذا ::: أو عبده المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع ::: لهو علي الإيمان والإحسان
بل صرح الوحي المبين بأنه ::: حقًّا مغير هذه الأكوان
فيبدل الله السماوات العلى ::: والأرض أيضًا ذان تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني النيران ::: عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماءه ::: بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الأرض التي كنا بها ::: أخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي ::: من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه ::: لا شئ هذا ليس في الإمكان

لكن تسوى ثم تبسط ثم تش ::: هد ثم تبدل وهي كيان
وتمد أيضًا مثل مد أديمنا ::: من غير أودية ولا كثبان
وتقئ يوم العرض من أكبادها ::: كالأسطوان نفائس الأثمان
كل يراه بعينه وعيانه ::: ما لا مرئ بالأخذ منه يدان
وكذا الجبال تفت فتا محكما ::: فتعود مثل الرمل ذي الكثبان
وتكون كالعهن الذي لو أنه ::: وصباغه من سائر الألوان
وتبس بسّا مثل ذاك فتنثني ::: مثل الهباء لناظر الإنسان
وكذا البحار فإنها مسجورة ::: قد فجرت تفجير ذي سلطان
وكذلك القمران يأذن ربنا ::: لهما فيجتمعان يلتقيان
هذى مكورة وهذا خاسف ::: وكلاهما في النار مطروحان
وكواكب الأفلاك تنثر كلها ::: كلآلئ نثرت على ميدان
وكذا السماء تشق شقّا ظاهرًا ::: وتمور أيضًا أيما موران
وتصير بعد الانشقاق كمثل ::: هذا المهل أو تك وردة كدهان
والعرش والكرسي لا يفينهما ::: أيضًا وإنهما لمخلوقان
والحور لا تفنى كذلك جنة المأ ::: وى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهم إنها ::: عدم ولم تخلق إلى ذا الآن
والأنبياء فإنهم تحت الثرى ::: أجسادهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ::: أبدًا وهم تحت التراب يدان
وكذلك عجب الظهر لا يبلى بلى ::: منه تركب خلقة الإنسان
وكذلك الأرواح لا تبلى كما ::: تبلى الجسوم ولا بلى اللحمان
ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما ::: الأرواح خارجة عن الأبدان
لكنها من بعض أعراض بها ::: قامت وذا في غاية البطلان
فالشأن للأرواح بعد فراقها ::: أبدانها والله أعظم شان
إما عذاب أو نعيم دائم ::: قد نعمت بالروح والريحان
وتصير طيرًا سارحًا مع شكلها ::: تجني الثمار بجنة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بها ::: حتى تعود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذين استشهدوا ::: في جوف طير أخضر ريان

فلهم بذاك مزية في عيشهم ::: ونعيمهم للروح والأبدان
بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم ::: أجسام تلك الطير بالإحسان
ولها قناديل إليها تنتهي ::: مأوى لها كمساكن الإنسان
فالروح بعد الموت أكمل حالة ::: منها بهذى الدار في جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذي ::: قد عاينت أبصارنا بعيان
والقائلون بأنها عرض أبوا ::: ذا كله تبّا لذي نكران
وإذا أراد الله إخراج الوري ::: بعد الممات إلى المعاد الثاني
ألقي على الأرض التي هم تحتها ::: والله مقتدر وذو سلطان
مطرًا غليظًا أبيضًا متتابعًا ::: عشرًا وعشرًا بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ::: ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها ::: وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السما فتشققت ::: فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود وأخرجت ::: أثقالها أنثى ومن ذكران
والله ينشئ خلقه في نشأة ::: أخرى كما قد قال في القرآن
هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ ::: ـهادي به فاحرص علي الإيمان
ما قال إن الله يعدم خلقه ::: طرّا كقول الجاهل الحيران

قولـه:{**هذا المعاد وذلك المبدأ لدى جهم**} تقدم تقريره وتقدم ترجمة جهم وبيان مذهبه وعمن أخذه ومن أخذ عنه، وقولـه:{**وهو الذي قاد ابن سينا**} هو أبو علي بن سينا واسمه الحسن بن عبد الله، وهو رئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم، لـه كتاب الإشارات الذي هذب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلاً إلى الأديان، وكان - فيما ذكر ابن القيم - يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور وكان ابن سينا هذا تفقه مذهب الفلاسفة من كتب الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي هذا قبحه الله يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ولـه مذاهب في ذلك يخالف المسلمين

والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره.

وقد رد عليه الغزالي في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلسًا لـه كفره في ثلاث منها وهي قولـه بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقولـه إن الله لا يعلم الجزئيات، وبدعه في البواقي، قال ابن كثير ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم، قولـه رحمه الله:{**والألى قالوا مقالته إلى الكفران**} يعني بذلك اتباع ابن سينا وأنصار زندقته ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسي واسمه محمد بن عبد الله ويقال لـه الخواجا نصير الدين، فإنه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذب عنه وقام في ذلك وقعد وشرح إشاراته وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة، ويسمى كتاب الله تعالى قرآن العامة ورد على الشهرستاني في مصارعته ابن سينا بكتاب سماه مصارعة المصارع، قال ابن القيم: وقفنا على الكتابين، نصر فيه أن الله تعالى لم يخلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئًا، وأنه لا يفعل شيئًا بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور، وذكر عنه أنه تعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحرًا يعبد الأصنام، إلى أن قال وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

قلت: وكان الطوسي هذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيرًا لهولاكوخان وهو الذي بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم ونقل إليها أوقاف المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: إنه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمائة فعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم، وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام عليه فليراجع.

وأما هولاكوخان ملك التتار الذي كان الطوسي وزيرًا لـه فذكر ابن كثير هلاكه في سنة أربع وستين وستمائة وقال: كان ملكًا جبارًا كافرًا لعنه الله تعالى، قتل من المسلمين شرقًا وغربا ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجازيه علي ذلك شر الجزاء، كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى علي سائر الخلق، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة، وهو كان يترامى على محنة المعقولات ولا يتصور منها شيئًا، وإنما كان همته في تدبير الملك وتملك البلاد شيئًا فشيئًا حتى أباده الله في هذه السنة وقيل في سنة ثلاث وستين ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله تبارك وتعالى

وقول ابن القيم رحمه الله:

بل صرح الوحي المبين بأنه ::: حقّا مغير هذه الأكوان .. إلخ

يشير بذلك إلى قول الله عز وجل { يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ } [إبراهيم: ٤٨] الآيات، وإلى ما في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي**(١) **ليس فيها معلم لأحد**}(٢).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ :{**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة**}(٣).

---

(١) (الْعَفْرَاء): بَيْضَــاء إِلَى حُمْرَة، وَ (النَّقِيّ) هُوَ الدَّقِيق الْحُورِيّ، وَهُوَ الدَّرْمَك، وَهُوَ الأَرْض الْجَيِّدَة، قَالَ الْقَاضِي: كَأَنَّ النَّار غَيَّرَتْ بَيَاض وَجْه الأَرْض إِلَى الْحُمْرَة. (النووي).

(٢) (صحيح) البخاري [٦١٥٦] مسلم [٢٧٩٠].

(٣) (صحيح) البخاري [٦١٥٥] مسلم [٢٧٩٢].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية{ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ } [إبراهيم: ٤٨] قالت قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال:{**على الصراط**}[١] وفيه من حديث اليهودي الذي سأل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فقال رسول الله ﷺ :{**هم في الظلمة دون الجسر..**}[٢] الحديث.

ولابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن حبرًا من اليهود سأل النبي ﷺ فقال: أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه{ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ } [إبراهيم: ٤٨] فأين الخلق عند ذلك؟ فقال:{**أضياف الله، فلن يعجزهم مالديه**}[٣] ورواه ابن أبي حاتم أيضًا.

وفي حديث الصور الطويل عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:{**يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه البدلة**} وهذا هو الذي أشار رحمه الله تعالى إليه بقولـه: وتمد أيضًا مثل مد أديمنا.. الخ البيت، وقولـه: وهما كتبديل الجلود لساكني النيران.. إلخ، يشير إلى قول الله تعالى:{كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ } [النساء: ٥٦] ووجه المشابهة بين التبديلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها: عودي فعادت كما كانت، ومعنى قولـه:{**غيرها**} أى: صارت غيرها لعودها بعدما نضجت واحترقت، وإلا فهي هي التي عملت المعاصي في الدنيا وبها تجازى في الآخرة، وقال ابن عباس رضى الله عنه :

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧٩١] وأحمد [٢٤١١٥] واللفظ لأحمد.
(٢) (صحيح) مسلم [٣١٥].
(٣) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري [ج٧] سورة إبراهيم(آية: ٤٨)وابن أبي حاتم [١٣١٦٥] وعلة السند عندهما: أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم: ضعيف انظر التقريب [٧٩٧٤].

(يبدلون جلودًا بيضا أمثال القراطيس)(١)،

يعني تجدد لهم الجلود التي نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبدًا والعياذ بالله، وكذلك تبديل الأرض والسماوات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهي هي، والله أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذلك يقبض أرضه وسماءه بيديه.. إلخ، يشير إلى قول الله تعالى{يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤} [الأنبياء: ١٠٤] وقوله عز وجل :{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ } [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق علي إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ :{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ } [الزمر: ٦٧](٢) الآية.

وللإمام أحمد والترمذي رحمهما الله عن ابن عباس رضى الله عنه قال: مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه؟ وأشار بالسبابة، والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، كل ذلك ويشير بأصابعه، قال فأنزل الله عز وجل :{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ} [الزمر: ٦٧](٣) الآية.

---

(١) (سنده ضعيف جدًا) ابن أبي حاتم [٥٤٩٤] والطبري في تفسيره (ج٤ - ص ١٤٥) وعندها من قول (عبد الله بن عمر بن الخطاب) وليس من قول ابن عباس، وعلة السند عندهما: ثوير بن أبي فاختة: كذبه الثوري.

(٢) (صحيح) البخاري [٤٥٣٣] مسلم [٢٧٨٦].

(٣) (حسن لغيره) عند أحمد [٢٩٩٠] الترمذي[٣٢٤٠].

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**}(١).

وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك**}(٢).

وفي لفظ لمسلم:{**يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول: أنا الملك ـ ويقبض أصابعه ويبسطها ـ أنا الملك، حتي نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه(٣) حتي إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ** }(٤).

ولفظ أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنه قال:{**إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية يوم على المنبر**{وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾} [الزمر: ٦٧] **ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه، أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به**}(٥).

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: يطوي الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة(٦).

---

(١) (صحيح) البخاري [٦١٥٤] مسلم [٢٧٨٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٩٧٧] مسلم [٢٧٨٨].
(٣) قولــــه: فِي الْمِنْبَر (يَتَحَرَّك مِنْ أَسْفَل شَيْء مِنْهُ) أَيْ: مِنْ أَسْفَله إِلَى أَعْلاهُ لأَنَّ بِحَرَكَةِ الأَسْفَل يَتَحَرَّك الأَعْلَى وَيُحْتَمَل أَنَّ تَحَرُّكه بِحَرَكَةِ النَّبِيّ ﷺ بِهَذِهِ الإِشَـارَة، قَالَ الْقَاضِـي: وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون بِنَفْسِهِ هَيْبَة لَسَمِعَهُ كَمَا حَنَّ الْجِذْع. (النووي).
(٤) (صحيح) مسلم [٢٧٨٨].
(٥) (إسناده صحيح) مسند أحمد [٥٤١٤].
(٦) (به ضعف) ابن أبي حاتم في تفسيره [١٤٦٠٧].

وقولـه رحمه الله تعالى:**{وتحدِّث الأرض التي كنا بها، أخبارها.. الخ}** يشير إلى قولـه تعالى:{يَوْمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥} [الزلزلة: ٤ - ٥] وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ : هذه الآية{يَوْمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤} [الزلزلة: ٤] قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:**{فإن أخبارها أن تشهد علي كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها}** ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب(١).

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي أن رسول الله ﷺ قال:**{تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا إلا وهي مخبرة}**(٢) وقال البخاري رحمه الله تعالى: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد، وكذا قال ابن عباس، وعنه رضى الله عنه قال: قال لها ربها قولي فقالت: وقال مجاهد: أوحى لها أى أمرها.

وقولـه رحمه الله تعالى:

وتقئ يوم العرض من أكبادها ::: كالأسطوان نفائس الأثمان

كل يراه بعينه.. الخ، يشير إلى قول الله عز وجل :{وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢} [الزلزلة: ٢] وإلى ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع ويقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخدون منه شيئًا(٣)**.

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٣٥٣/٢٤٢٩] أحمد [٨٨٥٤].
(٢) (سنده ضعيف) الطبراني في الكبير [٤٥٩٦] ابن لهيعة: ضعيف.
(٣) (صحيح) مسلم [١٠١٣].

وقولـه:{**وكذا الجبال تفت فتًا محكمًا.. الخ**} يشير الي قول الله عز وجل :{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾} [طه: ١٠٥ - ١٠٧] وقولـه عز وجل :{وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [النمل: ٨٨] الآية، وقولـه عز وجل :{ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾} [الواقعة: ٥ - ٦] وقولـه عز وجل :{وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾} [المعارج: ٩] وفي سورة القارعة:{كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ} [القارعة: ٥] وقولـه عز وجل :{يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾} [المزمل: ١٤] وقولـه عز وجل :{وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾} [المرسلات: ١٠] وقولـه عز وجل :{وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾} [التكوير: ٣] وقولـه عز وجل :{وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾} [النبأ: ٢٠] وقولـه عز وجل :{وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾} [الحاقة: ١٤] وقولـه عز وجل :{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف: ٤٧] وما في معانيها من الآيات، قال ابن عباس رضى الله عنه : سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ : كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[١]{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ} [طه: ١٠٥] أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول{فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا } [طه: ١٠٥] أى يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسييرًا{ فَيَذَرُهَا} [طه: ١٠٦] أى الأرض{قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾} [طه: ١٠٦ - ١٠٧] أى لا تري في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية، ولا صدعًا ولا أكمة ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله تعالى، وقولـه تعالى{تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [النمل: ٨٨] أى تسير سير السحاب حتي تقع علي الأرض.

قال البغوي رحمه الله تعالى: وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف

(١) معالم التنزيل (تفسير البغوي) بدون إسناد (سورة طه: ١٠٥).

وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير لا يرى لعظمه وهو سائر.

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم في قولـه تعالى:{ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥} [الواقعة: ٥] أى فتتت فتًا.

وقال عطاء ومجاهد ومقاتل: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول، قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسرًا.

وقال الكلبي: سيرت علي وجه الأرض تسييرًا، وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، ونظيرها{فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا } [طه: ١٠٥].

وقال ابن كيسان: جعلت كثيبًا مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة،{فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦} [الواقعة: ٦] غبارًا متفرقًا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء.

وقال أبو إسحاق عن الحارث عن علي رضى الله عنه{هَبَآءً مُّنۢبَثًّا }،**{كوهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء}**(١).

وقال العوفي عن ابن عباس:**{الهباء يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا}**(٢).

وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثّته، وقال قتادة: هباء منبثًا، كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح.

وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك والسدّي: العهن الصوف، وقال البغوي: كالصوف المصبوغ، ولا يقال عهن إلا للمصبوغ.

---

(١) (به ضعف) قال السيوطي رحمه الله في الدر المنثور [ج٦] أخرجه عبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم. الحارث هو الأعور: وهو ضعيف.

(٢) (به ضعف) ابن أبي حاتم في تفسيره لسورة الواقعة، وانظر تفسير ابن كثير والدر المنثور. فالعوفي هو عطية بن سعد: وهو ضعيف.

وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، وقال: المنفوش المندوف.

وقال ابن كثير: المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، وقال في قولـه{كَثِيبًا مَّهِيلًا} [المزمل: ١٤] أى تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء.

وقال البغوي: رملاً سائلاً، قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، يقال أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه، وقال{نُسِفَتۡ} [المرسلات: ١٠] قلعت من أماكنها.

وقال ابن كثير: ذهب بها يبقى لها عين ولا أثر، وقال في{فَكَانَتۡ سَرَابًا} [النبأ: ٢٠] أى يخيل الي الناظر أنها شيء، وليس بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر، وقال في{وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ} [الطور: ١٠] تذهب عن أماكنها وتزول{وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً} [الكهف: ٤٧] أى بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يواري أحدًا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية، قال مجاهد وقتادة{وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً} [الكهف: ٤٧] لا حجر فيها ولا غيابه، وقال قتادة أيضًا: لا بناء ولا شجر، وقال البغوي:{فَدُكَّتَا} [الحاقة: ١٤] كسرتا{دَكَّةً} كسرة{وَٰحِدَةً} قال: وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً، ثم عِهْنًا منفوشًا، ثم تصير هباء منثورًا.

وقولـه رحمه الله تعالى: وكذا البحار فإنها مسجورة، قد فجرت.. إلخ يشير إلى قولـه تعالى:{وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦} [التكوير: ٦]وقولـه عز وجل :{وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣} [الانفطار: ٣].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:{**فجر الله تعالى بعضها في بعض**}(١) وقال الحسن: فجر الله تعالى بعضها في بعض فذهب ماؤها، وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها، وقال الكلبي: ملئت.

وقوله تعالى:{سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦] قال ابن عباس:{**أوقدت فصارت نارًا تضطرم**}(٢) وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض، العذب والملح، فصارت كلها بحرًا واحدًا، وقال الكلبي: ملئت، وقيل: صارت مياهها بحرًا واحدًا من الحميم لأهل النار، وقال الحسن: يبست، وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق منها قطرة.

والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها بعضًا في بعض فتمتلئ ثم تسجر نارًا فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابن القيم رحمه الله تعالى بينهما فقال:{**مسجورة قد فجرت**} والله أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى:{**وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان.. إلخ**} يشير إلى قول الله عز وجل :{وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾} [القيامة: ٨ - ٩] وقوله{إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾} [التكوير: ١] خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه{وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾} [القيامة: ٩] أى صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:{إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾} [التكوير: ١] أظلمت(٣)، وقال العوفي عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وكذا قال الضحاك، وقال قتادة: ذهب ضوؤها، وقال سعيد بن جبير: كورت غورت، وقال ربيع بن خيثم: رمى بها، وقال أبو صالح: ألقيت، وعنه

---

(١) (به ضعف) الطبري في تفسيره [ج١٢] علي بن أبي طلحة: مختلف فيه، وهو لم يسمع من ابن عباس، وأبو صالح: عبد الله بن صالح: به ضعف أيضا.
(٢) انظر تفسير البغوي (معالم التنزيل) التكوير(آية: ٦).
(٣) (به ضعف) الطبري في تفسيره [ج١٢] وانظر تفسير ابن أبي حاتم، ومعالم التنزيل للبغوي [ج٥].

أيضًا: نكست، وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض، وقال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى:{كُوِّرَتْ} جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها.

ولابن أبي حاتم:{**عن ابن عباس**{إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾} [التكوير: ١] قال:{**يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله تعالى ريحًا دبورًا فيضرمها نارًا**}[1] وكذا قال عامر الشعبى.

ولابن أبي حاتم عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله تعالى:{إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾} [التكوير: ١] قال:{**كورت في جهنم**}[2]وللبخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**الشمس والقمر يكوران يوم القيامة**}[3].

وللبزار عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة**}[4].

وقوله رحمه الله تعالى:{**وكواكب الأفلاك تنثر كلها.. الخ**} يشير إلى قول الله عز وجل :{وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾} [التكوير: ٢] وقوله تعالى:{وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾} [الانفطار: ٢] وقوله تعالى:{فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾} [المرسلات: ٨] أى محى نورها وذهب ضوؤها، وانكدرت تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال انكدر الطائر إذا سقط عن عشه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم إلا وقع.

(١) (به ضعف) تفسير الطبري [ج١٢] وتفسير ابن أبي حاتم سورة التكوير.
(٢) (ضعيف مرسل) انظر تفسير ابن أبي حاتم، التكوير.
(٣) (صحيح) البخاري [٣٠٢٨].
(٤) (إسناده ضعيف جدا) أبو داود الطيالسي [٢١٠٣] أبو يعلى في مسنده [٤١١٦] ومشكل الآثار للطحاوي [١٦١] وعلته: درست بن زياد، ويزيد الرقاشي: كلاهما: ضعيف.

وقولـه رحمه الله تعالى:{**وكذا السماء تشق شقا ظاهرًا وتمور.. إلخ**} يشير إلى قولـه تعالى:{إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١} [الانشقاق: ١] وقولـه تعالى:{وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦} [الحاقة: ١٦] وقولـه{ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ} [الفرقان: ٢٥] وقولـه عز وجل :{ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ} [المزمل: ١٨] وقولـه تعالى:{إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١} [الانفطار: ١] وقولـه تعالى:{وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١} [التكوير: ١١] وقولـه عز وجل :{وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩} [المرسلات: ٩] وقولـه تعالى:{وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩} [النبأ: ١٩] وقولـه تعالى:{ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩} [الطور: ٩] وقولـه عز وجل :{يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨} [المعارج: ٨] وقولـه:{ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧} [الرحمن: ٣٧] وقولـه{ٱنشَقَّتِ} أى صارت أبوابًا لنزول الملائكة{فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ} [الرحمن: ٣٧] عن ابن عباس: (تغير لونها)(١)، وعنه قال: (كالفرس الورد)(٢)، وقال أبو صالح كالبرذون الورد، وحكى البغوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد أغبر لونها، فتشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه{كَٱلدِّهَانِ} قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع: هو جمع دهن، شبه السماء في تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وقال عطاء ابن أبي رباح كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانا وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي، وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم، وقال ابن عباس والكلبي: كالدهان أى كالأديم الاحمر وجمعه دهنة ودهن، وقال عطاء الخراساني: كلون الدهن في الصفرة، وقال قتادة: هي هي اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان، وقال ابن كثير رحمه الله: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها

---

(١) (ضعيف) انظر تفسير الطبري (ج١١ - ٥٩٨).
(٢) (ضعيف) انظر تفسير الطبري (ج١١ - ٥٩٨).

فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العضيم.

وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :**{يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم}**(١) قال الجوهري: الطش المطر الضعيف.

وقولـه تعالى:{ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ } [الطور: ٩] قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكًا، وعنه هو تشققها، وقال مجاهد: تدور دورًا، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لامر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة، وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض، وقيل: تضطرب، وقال البغوي: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة، قال: والمور يجمع هذه المعاني كلها: فهو في اللغة الذهاب والمجيء، والتردد والدوران والاضطراب.

وقال تعالى:{وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا } [الحاقة: ١٦ - ١٧] عن علي قال:**{تنشق السماء من المجرة}**(٢) رواه ابن أبي حاتم، والملك اسم جنس - أى الملائكة - على أرجاء السماء، قال ابن عباس على مالم ير منها أى حافاتها، وكذلك قال سعيد بن جبير والأوزاعي، وقال الضحاك: أى أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض.

وقولـه تعالى:{ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ } [المزمل: ١٨] متشقق، قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله، و{فُرِجَتۡ} [المرسلات: ٩] قال ابن كثير: أى انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها.

---

(١) (به ضعف) أحمد في المسند [١٣٨٤١] أبو يعلى [٤٠٤١].
(٢) (به ضعف) ابن أبي حاتم، وتفسير ابن كثير، تفسير الحاقة (آية: ١٣).

وقولـه رحمه الله:{**والعرش والكرسي لا يفنيهما.. إلخ**} وكذا قولـه:{**والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى.. إلخ**} يعني أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها في مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتي ذكر ما تيسر منها.

وقد جاء في تفسير قولـه:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ} [الزمر: ٦٨] أن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب، وقد قال الإمام أحمد في ذلك، أنه هو اعتقاد السلف الصالح، قال فإن احتج مبتدع بقولـه عز وجل :{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} [القصص: ٨٨]،{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾} [الرحمن: ٢٦] قيل إن المراد كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فان، ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور في سورة الزمر، وأيضًا فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت، وكذا جاء في العرش أن الله يأمره أن يأخذ الصور من إسرافيل رضى الله عنه عند موته كما في حديث الصور الطويل، وقولـه:{**ولأجل هذا قال جهم إنها عدم.. إلخ**} يعني أن لجهم إلحادًا في آيات الله جميعها، فكما ألحد في آيات الأسماء والصفات ألحد أيضًا في آيات الوعد والوعيد، وجحد وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما وقضى أيضًا بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتي إن شاء الله، وقولـه رحمه الله:

والأنبياء فإنهم تحت الثرى ::: أجسادهم حفظت من الديدان .. إلخ

يشير إلى ما في السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة**

فيه، فان صلاتكم معروضة عليَّ قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال يقولون: بليت، قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء}[1].

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ :{**أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لا يصلى عليَّ إلا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ قال: قلت وبعد الموت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء}**[2] ورواه ابن ماجه باسناد جيد.

وفي رواية للطبراني:{**ليس من عبد يصلي عليَّ إلا بلغني صلاته، قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: وبعد وفاتي، إن الله** عز وجل **حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء}** والأحاديث في بلوغ صلاتنا إليه وعرض أعمالنا عليه كثيرة جدّا وبعضها في الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد.

وقد ثبت أيضًا في أجساد الشهداء أنها لا تبلى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال:{**لما حضر أُحدُ دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليَّ دَينًا فاقضه واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه}**[3].

---

(١) (سنده صحيح) أبو داود [١٠٤٧] النسائي [١٣٧٤] ابن ماجة [١٠٨٥] وأحمد [١٦٢٠٧] ابن حبان [٩١٠].

(٢) (إسناده ضعيف) ابن ماجة [١٦٣٧] به انقطاع.

(٣) (صحيح) البخاري [١٢٨٦].

ولأصحاب السنن عنه رضى الله عنه من حديث طويل، وفيه فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبد الله، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدأ فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته علي النحو الذي دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل[١] وللبيهقي عنه رضى الله عنه قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دمًا [٢].

وفي رواية ابن إسحاق عنه قال:{**فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس**}[٣].

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه: من كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفر عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره - عمرو بن الجموح - ويده على جرحه، فأذيلت عنه فانبعث جرحه دمًا، ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك، رضى الله عنه أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا، وفي ذلك آثار كثيرة.

وقوله رحمه الله تعالى:{**وكذاك عجب الظهر لا يبلى.. إلخ**} يشير إلى حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا وفيه:{**وليس من الإنسان شيء إلا سيبلي، إلا عظمًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**}[٤].

وقوله رحمه الله تعالى:{**وكذلك الأرواح لا تبلى.. إلخ**} يشير إلى ما تقدم ذكر بعضه قريبًا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أن الأرواح

---

(١) (سنده صحيح) مسند احمد [١٥٣١٦] سنن الدارمي [٤٥] دلائل النبوة للبيهقي [١١٨٠].

(٢) دلائل النبوة للبيهقي [١١٧٨] وهذا الأثر بسند صحيح عند عبد الرزاق في مصنفه [٩٦٠٢/٦٦٥٦] والجهاد لابن المبارك [٩٨] ولفظه عندهما: (قال جابر بن عبد الله: لما أراد معاوية أن يجري الكظامة قال: من كان له قتيل فليأت قتيله يعني قتلى أحد قال فأخرجهم رطابا يتثنون قال فأصابت المسحاة رِجْل رَجُلٍ منهم فانفطرت دما).

(٣) (سنده ضعيف) دلائل النبوة للبيهقي [١١٧٧].

(٤) (صحيح) مسلم [٢٩٥٥].

ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة، بل هي حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها منه وهي النسمة التي يموت الإنسان بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقة، وأنها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط، وأنها بعد مفارقتها الجسد إما أن تنعم أو تعذب، وإما أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله، أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سِجِّين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمد، وأنها تجمع في الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا امره الله، فتطير كل روح إلى جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا حتى تدخله وتدب فيه دبيب السم في اللديغ حتى يقوم بشرًا سويّا، وأنها بعد خروجها من الجسد تكلم وتتكلم وتسأل وتجيب وتخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وأما كيفية الروح وكنهها فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه، ولهذا لما سألت اليهود النبي ﷺ عنه أنزل الله تعالى جوابهم{قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا } [الإسراء: ٨٥](١).

وقوله رحمه الله تعالى:**{ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما الأرواح خارجة من الأبدان، ولكنها من بعض أعراض بها.. إلخ}** يعني الجهم أن مذهب في الروح هو مذهب الفلاسفة الحائرين أن الروح ليست شيئًا يقوم بنفسه بل عرض والعرض في اصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا يستقر، فمنزلة الروح عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من المبصر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصر والسمع والذات التي يقوم بها موجودة، فجحدوا أن لكون النفس التي هي الروح شيئًا قائمًا بنفسه، وأنه ينفخ في الجنين في بطن أمه بعد الأربعين الثالثة، وأن{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى } [الزمر: ٤٢] وجحدوا كونها شيئًا يساق وينزع عند الموت ويعرج بها إلى الله عز وجل فيفتح لها أبواب السماء إن كانت محسنة أو تغلق دونها إن كانت

(١) (صحيح) البخاري [١٢٥] مسلم [٢٧٩٤].

مسيئة، ولا أن روح الأنبياء والمؤمنين في الرفيق الأعلى وأرواح الكفار في سجين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله، فضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سوء السبيل، وقولـه رحمه الله تعالى:

فالشأن للأرواح عند فراقها ::: أبداهَا والله أعظم شأن

يعني أنه أعظم شأنًا من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبر عيانًا، والغيب شهادة والمستور مكشوفًا، والمخبأ ظاهرًا، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم اليقين كعين اليقين، فالمصدق يرى ويجد مصداق ما جاء به النص كما علمه وتيقنه فيزداد بشرى وفرحًا وسرورًا، والمكذب يرى ويجد حور تكذيبه بذلك، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره، وكل يفضي إلى ما قدم.

وقولـه:{**إما نعيم أو عذاب.. إلخ**} يشير الي قول الله عز وجل :{فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾} [الواقعة: ٨٨ - ٩٦] سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وغير ذلك مما في معناه من الآيات، وقدمنا منها جملة وقدمنا من الأحاديث في أحوال الاختصار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حد التواتر، فليرجع إليه، ولله الحمد والمنة.

وقولـه رحمه الله:{**وتصير طيرًا سارحًا مع شكلها.. إلخ**} يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالائمة:{**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**}(١) وقولـه رحمه الله تعالى:{**لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر.. إلخ**} يشير إلى قول الله عز وجل :{وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩] الآيات وما في معناها.

---

(١) (سنده صحيح) موطأ مالك [٥٦٨]مسند أحمد [١٥٨١٦].

وفي الصحيح{وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩] من حديث الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية{وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال:{**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى القناديل، فاطلع اليهم ربهم** عز وجل **اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أى شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**}(١) وغير ذلك من الأحاديث وقوله:

وإذا أراد الله إخراج الورى ::: بعد الممات إلى معاد ثان
ألقى على الأرض التي هم تحتها ::: مطرًا غليظًا أبيضًا متتابعًا

.. إلخ

يشير إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه بطوله وفيه:{**ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - تعالى مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس..**}(٢) الحديث وفي حديث الصور الطويل:{**ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل**} وهو الذي عناه بقوله:{**عشرًا وعشرًا بعدها عشران**}.

(١) (صحيح) مسلم [١٨٨٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٩٤٠].

وقولـه:{**أوحى لها رب السماء فتشققت.. إلخ**} يشير إلى قول الله عز وجل : {وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾} [الانفطار: ٤] وقولـه{ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾} [العاديات: ٩] قال ابن عباس: بحثت، وقال السدي: تبعثر تحرك فيخرج من فيها، وقال البغوي: بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وقال في الآية الأخرى{إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ} أثير وأخرج{مَا فِي ٱلْقُبُورِ} أى: من الأموات.

وقولـه:{**وتخلت الأم الولود.. إلخ**} يشير إلى قولـه تعالى:{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾} [الانشقاق: ٤] قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم. اهـ.

وقولـه:{**وأخرجت أثقالها.. إلخ**} يشير إلى قولـه عز وجل {وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾} [الزلزلة: ٢] إلى قولـه{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾} [الزلزلة: ٥] قال ابن كثير رحمه الله: يعني ألقت ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف: وقد تقدم تفسيرها بإلقائها أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان، وقال البغوي رحمه الله: أثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها، وقولـه رحمه الله:{**والله ينشيء خلقه**} أى هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم:{**في نشأة أخرى.. إلخ**} يشير إلى قول الله عز وجل : {وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾} [النجم: ٤٥ - ٤٦] فهذه هي النشأة الأولى، قال تعالى:{وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾} [النجم: ٤٧] وهو البعث بعد الموت، قال تعالى:{نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾} [الواقعة: ٥٧ - ٦٢] وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعد ما فرقهم وينشرهم بعد ما مزقهم، ويعيدهم كما خلقهم، قد علم الله ما تنقص الأرض منهم{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا } [فاطر: ٤٤].

وقولـه:{**ما قال الله يعدم خلقه.. إلخ**} أى لم يقل الله تعالى ولا رسوله ﷺ إنه يعدمهم العدم المحض ويأتي بغيرهم، ولا إن المثاب غير من عمل الطاعات في الدنيا، ولا أن المعذب غير من مرد على المعاصي{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: ٤٠]،{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦]،{وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ} [غافر: ٣١] بل قال تعالى:{۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾} [طه: ٥٥] فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرهم كما يقول الزنادقة قبحهم الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ : {**فتخرجون من الأضواء ومن مصارعكم**}[١] ولم يقل إنه غيركم الذي يخرج، والكلام في هذا الباب يطول جدا، والنصوص فيها لا تحصى كثرة، وإنما أشرنا إلى بعض من كل ودق من جل وقطرة من بحر والله المستعان، إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التي سقنا من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار والإيجاز ولله الحمد والمنة ولنرجع إلى شرح أبيات المتن المذكور.

* * *

(١) (سنده ضعيف) الطبراني في الكبير [٤٧٧] المستدرك [٨٦٨٣].

(وبقيامنا بنفخ الصور) أى وكما يدخل الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم في ذكر الملائكة، وقد ذكر الله عز وجل النفخ فيه في مواضع من كتابه، كقولـه عز وجل {وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾} [الزمر: ٦٨] الآيات. وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧] الآيات، وقال تعالى:{قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ} [الأنعام: ٧٣].

ولنسق ههنا حديث الصور بطولـه لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع فيه مما تفرق في غيره من الأحاديث وبالله التوفيق:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الأخرى: وقد روينا حديث الصور بطولـه من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال: حدثنا أحمد ابن الحسن المصري الأيلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال:{**إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصًا بصره في العرش ينتظر متى يؤمر**} قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال:{**القرن**} قلت: كيف هو؟ قال:{**عظيم، والذي بعثني بالحق إن عظم داره فيه كعرض السماوات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ، فينفخ نفخة**

الفزع فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، يأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر}، وهو كقول الله تعالى:{ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾} [ص: ١٥]،**{فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سراباً، ثم ترتج الأرض بأهلها رجّا فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح}**، وهو الذي يقول:{يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾} [النازعات: ٦ - ٨]،**{فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم، ينادي بعضهم بعضًا}**، وهو الذي يقول الله تعالى:{يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ} [غافر: ٣٢]**{فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمرًا عظيما لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها، وانخسفت شمسها وقمرها}**، قال رسول الله ﷺ :**{الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك}** قال أبو هريرة: يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول{فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ} [النمل: ٨٧] قال:**{أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، قال: وهو الذي يقول الله** عز وجل : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾} [الحج: ١ - ٢] **فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت**

إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله تعالى العرش فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: يارب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: لتمت حملة العرش، فتموت، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول، يا رب قد مات حملة العرش، فيقول الله وهو أعلم بمن بقي، فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخرًا كما كان أولاً، طوى السماوات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار (ثلاثًا) ثم هتف بصوته:لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار يقول الله تعالى:{ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ} [إبراهيم: ٤٨] فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى: من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم

فكانت كما كانت، قال الله عز وجل **: ليحيى حملة عرشي فيحيون ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحيى جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون**{مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾} [القمر: ٨] **حفاة عرة غرلاً، فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دمًا وتعرقون حتى يلجمكم العرق بذلك الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، فيستقرئون الأنبياء نبيّا نبيّا كلما جاءوا نبيّا أبى عليهم، قال رسول الله ﷺ : حتى يأتون فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدًا}** قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الفحص؟ قال:{**قدام العرش حتى يبعث الله إليَّ ملكًا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم يا رب، فيقول** عز وجل **: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يا رب وعدتنى الشفاعة في خلقك فاقض بينهم، قال الله: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم، قال رسول الله ﷺ : فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسّا شديدًا فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من في الأرض من الجن والانس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا**

وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى أذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل **في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسماوات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلى، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول:**{ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾} [يس: ٦٠ - ٦٣] أو{بِهَا تُكَذِّبُونَ } شك أبو عاصم{وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾} [يس: ٥٩] فيميز الله الناس وتجثو الأمم يقول الله تعالى{وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾} [الجاثية: ٢٨] **فيقضى الله** عز وجل **بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن، فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر:**{يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا} [النبأ: ٤٠] **ثم يقضي الله تعالى بين العباد: فكان أول ما يقضى فيه الدماء، ويأتي كل قتيل**

في سبيل الله، ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول وهو أعلم - فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك، فيقول الله له: صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول: يارب قتلني هذا؟ فيقول تعالى وهو أعلم: لم قتلتهم؟ فيقول: يا رب قتلتهم لتكون العزة لي، فيقول: تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء الله عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء، ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق: إلا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول{لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾} [الأنبياء: ٩٩] فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس ذهب الناس فألحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساقة ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون للأذقان سجدًا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله عز وجل أصلابهم كصياصي البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك وكحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل

أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال، فناج سالم، وناج مخدوش، ومكدوس على وجهه في جهه في جهنم، فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم رضى الله عنه ؟ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكروا ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله، فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله تخيره خليلاً، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول: عليكم بموسى فإن الله قربه نجيًا وكلمه وأنزل عليه التوراة، فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول: لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم، فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد، قال رسول الله ﷺ فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن، فانطلق فآتى الجنة فآخذ بحلقة الباب فاستفتح فيفتح لي فأحيّا ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت لـه ساجدًا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشئ ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعط، فإذا رفعت رأسي يقول الله تعالى ـ وهو أعلم ـ ما شأنك؟ فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك، وقد أذنت لهم في دخول الجنة} وكان رسول الله ﷺ يقول:{والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزوجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا، فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجًا من سندس واستبرق، ثم إنه يضع يده

بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبدها لـه مرآة وكبده لها مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي: أنا قد عرفنا إنك لا تَمل ولا تُمل، إلا أنه لا مني ولا منية، إلا أن لك أزواجًا غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت لـه: والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك ولا في الجنة شئ أحب الي منك، وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخده إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها}، قال رسول الله ﷺ :{فأقول يا رب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنه دينار إيمانًا، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانًا ثلثي دينار، ثم يقول ثلث دينار، ثم يقول ربع دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرًا قط ولا يبقى أحد لـه شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع لـه، ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما يلي الشمس منها أخيضر وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر، مكتوب في رقابهم: الجهنميون عتقاء الرحمن، يعرفهم

أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرًا لله قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب، فيمحوه الله عز وجل **عنهم}**[1].

قال ابن كثير ثم ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جدّا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء علي حدة، وأما سياقه فغريب جدّا ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:**{جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ فقال قرن ينفخ فيه}**[2] وفي حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:**{كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل}**[3].

---

(١) (سنده ضعيف) الطبراني في الأحاديث الطوال [٣٦] وانظر تاريخ دمشق، ترجمة (إسماعيل بن رافع)
[٧٢٤].

(٢) (سنده صحيح) مسند أحمد [٦٥٠٧]الترمذي [٢٤٣٠].

(٣) (سنده صحيح لغيره) الترمذي [٣٢٤٣] ابن حبان [٨٢٣]وغيرهما.

(**غرلا حفاة**) الأغرل الأقلف، حفاة غير منتعلين (**كجراد منتشر**) شبهوا بالجراد المنتشر لكثرته ولكونه ليس لـه وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه في بعض وهم كذلك، قال الله تعالى:{فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾} [القمر: ٦ - ٨] وقال تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾} [المدثر: ٨ - ١٠]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا**}[1].

وفيهما عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يخطب فقال:{.. **إنكم محشورون حفاة عراة غرلا**{كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ} [الأنبياء: ١٠٤] الآية، **وأن أول الخلائق يكسي يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي فيقول الله** عز وجل : **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح**[2]{وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [المائدة: ١١٧ - ١١٨] **قال: فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم**}[3].

---

(١) (صحيح) البخاري [٦١٥٧] مسلم [٢٨٦١].
(٢) العبد الصالح: عيسى ابن مريم عليه السلام .
(٣) (صحيح) البخاري [٤٣٤٩] مسلم [٢٨٦٠].

وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إنكم ملاقو الله حفاة عراة مشاة غرلاً**}(١) وفي أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر(٢)، وفيهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :{**تحشرون حفاة عراة غرلاً، قالت عائشة فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**}(٣).

وفي رواية النسائي:{**فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال:**{لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧} [عبس: ٣٧](٤).

وروى هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً، قال فقالت زوجته: يا رسول الله ينظر - أو يرى - بعضنا عورة بعض؟ قال:**{لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧} أو قال:{**ما أشغلهم عن النظر**} رواه الترمذي بنحوه وقال حسن صحيح(٥).

وروى ابن أبي حاتم عن أنس رضى الله عنه قال:{**سألت عائشة** رضى الله عنها **رسول الله** ﷺ **فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به، قال: إن كان عندي منه علم، قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة عراة، قالت: واسوأتاه من يوم القيامة، قال: وعن أى ذلك تسألين؟ إنه قد نزل عليَّ آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون، قالت أية آية يا نبي الله؟ قال:**{لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧}}(٦).

---

(١) (صحيح) البخاري [٦١٦٠] مسلم [٢٨٦٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٦٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٦١٦٢] مسلم [٢٨٥٩].
(٤) (سنده حسن) النسائي في سننه [٢٠٨٣].
(٥) (سنده حسن) الترمذي [٣٣٣٢].
(٦) (سنده ضعيف) تفسير ابن أبي حاتم (سورة عبس، آية: ٣٧)وانظر تفسير ابن كثير [ج٤] به: عائذ بن شريح: ضعيف انظر لسان الميزان [١٠١٤].

وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن سورة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ :{**يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت: يا رسول الله واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال قد شغل الناس**{لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾}}(١).

وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه :{**أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا**(٢)، قلت وذلك قول الله عز وجل {وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا } [الإسراء: ٩٧] الآيات.

فشتان ما بين الفريقين وفرقان ما بين الطريقين، أولئك يفدون ركبًا إلى جنات النعيم، ورحمة الرحمن الرحيم، وزيارة الرب العظيم، وهؤلاء يسحبون سحبًا إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم.

{يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾} [مريم: ٨٥ - ٨٦] قال ابن عباس: وفدًا ركبانا، وقال أبو هريرة: على الإبل، وقال ابن جريج: على النجائب(٣)، وقال الثوري: على الإبل النوق، قال قتادة: إلى الجنة، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت.

---

(١) (صحيح بشواهده) رواه البغوي في تفسيره [ج٥] والحاكم في المستدرك [٣٨٩٨] والطبراني في الكبير [٢٠١١٢] والآحاد والمثاني [٣٠٦٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٤٨٢] مسلم [٢٨٠٦].
(٣) النجائب: مفردها (نجيب) قال الأزهريُّ: هي عِتَاقُها التي يُسَابَق عليها.

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه عن النعمان بن سويد قال: كنا عند علي رضى الله عنه فقرأ هذه الآية{يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا} [مريم: ٨٥] قال: (لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة) ورواه ابن أبي حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد(١).

ولابن أبي حاتم عنه رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية{نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا} [مريم: ٨٥] فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله، فقال النبي ﷺ :{**والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدًا، وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فإذا حلقة من ياقوت حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين**}(٢) وذكر الحديث مطولا والصحيح وقفه.

{وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾} [مريم: ٨٦] أى عطاشًا قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد الجماعة يردون الماء، ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش.

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد في مسنده [١٣٣٢] المستدرك [٣٤٢٥] شعب الإيمان للبيهقي [٣٥٨] وانظر تفسير ابن كثير [ج٣] علته: عبد الرحمن بن إسحاق: ضعيف، انظر التقريب [٣٧٩٩] و النعمان بن سعد بن حبتة: مقبول، انظر التقريب [٧١٥٦].

(٢) انظر تفسير ابن كثير [ج٣] وقال رحمه الله: روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا مرفوعا عن علي، وقال أيضا في آخر الحديث: هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضى الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم.

قلت: ولكنهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها، ومهلها وحميمها.

وفي حديث الشفاعة الطويل:{**فيقال لهم ماذا تشتهون؟ فيقولون عطشنا فيشار لهم إلى نار جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيقال لهم: ألا تردون..**}[١] الحديث، فسبحان الله وبحمده الله أكبر، وكانوا في الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه الله ومن لا يحب فلما جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله، واتضح لـه مقيله، فلما كانوا في البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ما قدم قبل أجله، فبينما هو كذلك إذ صرخ بهم الصارخ وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعي مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه، هؤلاء في النور ينظرون، وأولئك في ظلمات لا يبصرون، هؤلاء إلى الرحمن يفدون، وأولئك إلى النار يردون، هؤلاء حلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونًا منهم وظهورًا، هؤلاء وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، وأولئك أَعَدَّ الله لهم سعيرًا، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا، وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا، لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا، هؤلاء عليهم حلل السندس والإستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنون في الأصفاد سرابيلهم من قطران، هؤلاء إلى زيارة ربهم يركبون، وأولئك عن ربهم يومئذ لمحجوبون، هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرة وعشيًا وأولئك تركوا في جهنم جثيًا، هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وما هم بخارجين من النار، هؤلاء يقررون بذنوبهم فيغفرها لهم رب العالمين، وأولئك ينادي بهم على

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٠٥] مسلم [١٨٣].

رؤوس الأشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين، فحينئذ ظهر الفرقان وافترق الطريقان وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفًا، والمخبَّأ ظاهرًا{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)} [ص: ٢٨]،{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)} [الجاثية: ٢١] كم كاس في الدنيا طال يومئذ عريه، كم طاعم في الدنيا عظم يومئذ جوعه، كم ريان في الدنيا اشتد يومئذ عطشه، كم ناعم في الدنيا حق به يومئذ بؤسه{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)} [القصص: ٨٣ - ٨٤].

* * *

١٨٥- ويجمع الخلق ليوم الفصل ::: جميعهم علويهم والسفلى
١٨٦- في موقف يجل فيه الخطب ::: ويعظم الهول به والكرب

(**ويجمع الخلق**) أولهم وآخرهم (**ليوم الفصل**) يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين يومئذ، وسماه يوم الجمع لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وسماه يوم التلاق لأنه يلقى فيه العبد ربه ويلقى فيه العامل عمله ويلتقى فيه الأولون بالآخرين، ويلتقى فيه أهل السماوات والأرضين، وسماه يوم القيامة لأن فيه قيام الخلائق من القبور، وسماه يوم التناد، لتنادي العباد بعضهم بعضًا، ولمناداة الله عز وجل عباده فيه، وبندائهم ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ولتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلا من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله عز وجل :{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ} [النساء: ٨٧] وقال تعالى: {يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ} [التغابن: ٩] وقال تعالى:{۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ} [المائدة: ١٠٩] وقال تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا} [الكهف: ٩٩] وقال تعالى:{وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ} [الكهف: ٤٧ - ٤٨] وقال تعالى:{لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾} [المرسلات: ١٢ - ١٥] وقال تعالى:{رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞ} [غافر: ١٥ - ١٦] وقال تعالى:{ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ } [التوبة: ٧٧] وقال تعالى:{يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾} [الزلزلة: ٦ - ٨] وقال تعالى:{يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا} [النبأ: ٣٨]،{ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾} [الفرقان: ٢٥]

وقبل ذلك{ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ } [الفرقان: ٢٢] وقال في السعداء{ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ } [الأنبياء: ١٠٣] وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون{وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} [غافر: ٣٢ - ٣٣] وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾} [القصص: ٦٢] إلى قوله:{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾} [القصص: ٦٥] وقال تعالى في مناداة المنافقين المؤمنين:{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ } [الحديد: ١٤] الآيات، وقال تعالى:{وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾} [الأعراف: ٤٣ - ٤٤] إلى قوله في أصحاب الأعراف{وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ } [الأعراف: ٤٦] إلى قوله{وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ } [الأعراف: ٤٨] إلى قوله:{ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾} [الأعراف: ٥٠] وقال تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ } [هود: ١٨] وغيرها من الآيات.

(**وجميعهم علويهم**) وهم عوالم السماوات (**والسفلى**) وهم عوالم الأرضين، وقد تقدم في حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض (**في موقف**) عظيم (**يجل**) يشتد (**فيه الخطب**) الشأن والأمر (**ويعظم الهول**) الأمر الفظيع الهائل (**به**) أى فيه (**والكرب**) الحزن الأخذ بالنفس والهم والغم، وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال{أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾} [المطففين: ٤ - ٦]

وقال تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾} [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣](١) وقال تعالى:{ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ } [غافر: ١٨] وقال تعالى:{فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾} [المعارج: ٤] إلى قوله:{وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾} [المعارج: ١٠ - ١٤](٢)، وقال تعالى:{ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾} [المدثر: ٩ - ١٠] وقال تعالى:{وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: ٧] إلى قوله:{إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ} [الإنسان: ١٠ - ١١] وقال تعالى:{ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾} [الإنسان: ٢٧].

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ : قال:{**يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**}(٣).

ورواه أحمد بلفظ:{**يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن** عز وجل **يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم**}(٤).

ولـه عن المقداد بن الأسود الكندي رضى الله عنه قال:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية:{مُهْطِعِينَ} [إبراهيم: ٤٣] أي: مسرعين، كما قال تعالى:{مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ} [القمر: ٨] وقوله:{مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ} [إبراهيم: ٤٣] قال ابن عباس، ومجاهد وغير واحد: رافعي رءوسهم.
{لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} [إبراهيم: ٤٣] أي: بل أبصارهم طائرة شاخصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، عياذًا بالله العظيم من ذلك؛ ولهذا قال:{وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ} [إبراهيم: ٤٣] أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف. [ج٢ - ص٥٢٢].

(٢) فَصِيلَتِهِ: قال مجاهد والسدي: قبيلته وعشيرته. وقال عكرمة: فَخذه الذي هو منهم. وقال أشهب، عن مالك: أمه. ابن كثير [ج٤ - ٤٢١].

(٣) (صحيح) البخاري [٤٦٥٤] مسلم [٢٨٦٢].

(٤) (سنده حسن) أحمد [٤٨٦٢].

سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين(١)، قال فتحرقهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه ومنهم من يلجمه إلجامًا**} (٢) ورواه مسلم والترمذي.

وروى أحمد أيضًا عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلى منها الهوام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق**}(٣).

وفيه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس: فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده إشارة**}(٤).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**}(٥).

---

(١) في رواية مسلم، قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد رضى الله عنه (فوالله ما أدري ما يعني الميل؟ أ مسافة الأرض، أم الميل الذي يكتحل به العين؟ أقول وأبعدها قريب جدا نسأل الله العافية.

(٢) (سنده حسن) أحمد في المسند [٢٢٢٤٠].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٨٦٤] الترمذي [٢٤٢١].

(٤) (سنده صحيح) ابن حبان [٧٣٢٩] مسند أحمد [١٧٤٧٥] المستدرك [٨٧٠٤].

(٥) (صحيح) البخاري [٦١٦٧] مسلم [٢٨٦٣].

ولابن أبي حاتم عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري:{**كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمره**} قال بشير: المستعان الله، قال:{**فإذا أويت إلى فراشك فتعوَّذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب**}(١).

وفي السنن عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ :{**كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة**}(٢).

وقوله تعالى{مُهْطِعِينَ} [إبراهيم: ٤٣] قال قتادة: مسرعين، قال مجاهد: مديمي النظر، ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يمينًا ولا شمالاً ولا يعرفون مواطن أقدامهم{مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} [إبراهيم: ٤٣] قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه، ويقبل ببصره على ما بين يديه، وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد{لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} [إبراهيم: ٤٣] لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم: ٤٣] أى هي خالية، قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها، ومنه سمى ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئًا ولا تعقل من الخوف، وقال سعيد بن جبير: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، قال البغوي رحمه الله تعالى: وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم. اهـ وهذا معنى قوله عز وجل {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} [غافر: ١٨] قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها،

---

(١) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج١٢] وابن أبي حاتم كما نقله عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره [ج٤].
(٢) (سنده حسن) أبو داود [٧٦٦] النسائي [١٦١٧].

وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد، ومعنى كاظمين أى ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه{يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾} [النبأ: ٣٨] وقال ابن جريج: باكين، وقال البغوي: مكروبين ممتلئين خوفًا وجزعًا، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به.

{كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٤] في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الزكاة وفيه:{**من كانت لـه إبل لا يعطى فيها حقها في نجدتها ورسلها، قلنا: يا رسول الله، مانجدتها ورسلها؟ قال: في عسرها ويسرها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذّ ما كانت وأكثره وأسمنه وأشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطأه بأخفافها فاذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها**{فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٤] **حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار..}**[1] الحديث.

{وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ} [المعارج: ١٠ - ١١] لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، قال العوفي عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضًا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى:{لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٧]وهذه الآية كقوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ} [لقمان: ٣٣].

وقوله تعالى:{وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ} [فاطر: ١٨] قال عكرمة: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول: يا مؤمن إن لي عندك يدًا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع لـه عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزلـه

(١) (صحيح) البخاري [١٣٣٧] ومسلم [٩٨٧] والنسائي[٢٤٤٢] واللفظ له.

وهو النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أى والد كنت لك؟ فيثني خيرًا فيقول: يا بني إني فد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة أو يا هذه أى زوج كنت لك؟ فتثني خيرًا، فيقول لها؛ إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها إلى لعلي أنجو بها مما ترين، قال فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا، إني أتخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله تعالى:{وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا} [فاطر: ١٨] الآية، ويقول تبارك وتعالى:{لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا} [لقمان: ٣٣] ويقول الله تعالى:{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٤ - ٣٧]. {فَإِذَا نُقِرَ} [المدثر: ٨] نفخ{فِى ٱلنَّاقُورِ} [المدثر: ٨] الصور، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله، قال قولوا: حسبنا الله نعم الوكيل على الله توكلنا}**(١) رواه الإمام أحمد وابن جرير.

{فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾} [المدثر: ٩] شديد{عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾} [المدثر: ١٠] عليهم، وروى عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة رحمه الله تعالى أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية{فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾} [المدثر: ٨ - ١٠] شهق شهقة فمات، أولئك قوم قرأوا القرآن بقلوب حاضرة وآذان واعية، وبصائر نافذة، وأفهام جلية ونفوس علية، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله فأثمر ذلك في قلوبهم خشية الله عز

---

(١) (إسناده صحيح) سبق تخريجه.

وجل فذابوا خوفًا وحياء من ربهم وشوقًا إليه{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨] وقال تعالى فيهم:{وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: ٧] قال ابن عباس فاشيًا، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض، وقال مقاتل: كان شره فاشيًا في السماوات، فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض من نسفت من الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، قال ابن جرير: ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال، ومنه قول الأعشى:

فبانت وقد أثارت في الفؤا ::: د صدعا على نأيها مستطيرا

يعني ممتدّا فاشيًا، وقوله{عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [الإنسان: ١٠] قال ابن عباس: ضيقًا طويلاً، وعنه قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وقال مجاهد{عَبُوسًا} العابس الشفتين{قَمْطَرِيرًا} تقبض الوجه بالسيور، وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول{قَمْطَرِيرًا} تقليص الجبين وما بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: العبوس الشر والقمطرير الشديد، وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارًا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ::: عليكم إذا ما كان يوم قماطر

حشر الخلائق للعرض

١٨٧- وأحْضِرُوا للعَرْضِ والحِسابِ ::: وانْقَطَعَتْ عَلائَقُ الأَنْسابِ

١٨٨- وارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ ::: وانْعَجَمَ البَلِيغُ في المَقَالِ

(**واحضروا للعرض**) العرض لـه معنيان معنى عام وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية لـه صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية، هذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب، والمعنى الثاني عرض معاصي المؤمنين عليهم تقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم، والحساب

المناقشة، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع إجمالاً وتفصيلاً كما قال{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [الحاقة: ١٨] الآيات، وقال تعالى:{ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف: ٤٨] الآيات، وقال تعالى:{ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾} [النمل: ٨٣ - ٨٥] وقال تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾} [الزلزلة: ٦ - ٨] وقال تعالى:{ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾} [الحجر: ٩٢ - ٩٣] وقال تعالى:{ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾} [الصافات: ٢٤] وقال تعالى:{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾} [الغاشية: ٢٥ - ٢٦] وغير ذلك من الآيات.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضى الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزنوا للعرض الأكبر[1]{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [الحاقة: ١٨].

وروى أحمد وابن ماجة عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله**}.

وللترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه نحوه[2].

(١) (سنده ضعيف، منقطع) ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس [٢] والحلية [ج١] مصنف عبد الرزاق [٣٤٤٥٩].

(٢) (به ضعف) الترمذي من حديث أبي هريرة [٢٤٢٥] ورواه من حديث أبي موسى الأشعري، ابن ماجة [٤٢٧٧] أحمد [١٩٧٣٠].

وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود نحوه موقوفًا.

وفي الصحيحين: سئل رسول الله ﷺ عن الحمر[1] فقال:{**ما أنزل الله فيها إلا هذه الآية الفاذَّة الجامعة**{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨} [الزلزلة: ٧ - ٨][2].

وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ : فقرأ عليه{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨} [الزلزلة: ٧ - ٨] قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها[3].

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨} [الزلزلة: ٧ - ٨] فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال:{**يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة**}[4].

وعن أبي العالية في قوله:{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٣} [الحجر: ٩٢ - ٩٣] قال:{**يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين**} وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال:{**والذي لا إله غيره، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما**

---

(١) قولــه (سئل عن الحمر) يعني زكاتها، (الفاذة) القليلة النظير، (الجامعة) العامة المتناولة لكل خير ومعروف.

(٢) (صحيح) البخاري [٢٧٠٥] مسلم [٩٨٧].

(٣) (سنده صحيح) أحمد [٢٠٦١٢/ ٢٠٦١٣/ ٢٠٦١٤] سنن النسائي الكبرى [١١٦٩٤] الآحاد والمثاني [١١٩٧].

(٤) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم في تفسير سورة الزلزلة، ورواه الطبري في تفسيره [ج١١] والطبراني في الأوسط [٨٤٠٧] والبيهقي في شعب الإيمان [٩٨٠٨] وعلته: الهيثم بن الربيع: ضعيف كما في التقريب [٧٣٧٣].

يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرك مني بي، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت، ابن آدم ماذا أجبت المرسلين}(١).

ولابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ :{**يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بأصبعيه، فلا ألفينك يوم القيامة واحدًا غيرك أسعد بما آتاك الله منك}**(٢).

وعن ابن عباس{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾} [الحجر: ٩٢ - ٩٣] قال{فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾} [الرحمن: ٣٩] قال: لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا؟ وفي الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:{**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى:**{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾} [الانشقاق: ٧، ٨] فقال رسول الله ﷺ :{**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب}**(٣).

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول:{**يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال لـه: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم فيقال لـه قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك}**(٤).

وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال النبي:{**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله**

---

(١) (سنده صحيح) وهو موقوف على ابن مسعود، ورواه الطبراني في الكبير [٨٨٩٩] والزهد لأحمد بن حنبل [ص١٦٤] وجاء مرفوعا عند الطبراني في الأوسط [٤٤٩] إلا أنه لا يصح، وإن كان مثل هذا له حكم الرفع، فابن مسعود لا يقوله من قِبل نفسه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره لسورة الحجر[١٣٣٠٥] حلية العلماء [ج١٠] عند ترجمة أحمد بن أبي الحواري.

(٣) (صحيح) البخاري [٤٦٥٥] مسلم [٢٨٧٦].

(٤) (صحيح) البخاري [٦١٧٣] مسلم [٢٨٠٥].

يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة}(١).

وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن - أو قال يا ابن عمر - هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبى ﷺ يقول:**{يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف، يقول رب أعرف، مرتين فيقول: أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنه الله على الظالمين}**(٢).

وفي الترمذي عن أبي بزرة الأسلمي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه}**(٣) وقال حسن صحيح.

(وانقطعت علائق الأنساب) كما قال تعالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾} [المؤمنون: ١٠١] وقال تعالى:{وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾} [المعارج: ١٠] الآيات، وقال تعالى:{يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾} [عبس: ٣٤] الآيات، وقال تعالى عن الكافرين{فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾} [الشعراء: ١٠٠ - ١٠١] وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان لـه مظلمة فليجئ، فليأخذ حقه، قال فيفرح المرء أن يكون لـه الحق على والده أو ولده أو زوجته

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٧٤] مسلم [١٠١٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٤٠٨] مسلم [٢٧٦٨].
(٣) (صحيح لغيره) الترمذي [٢٤١٧] سنن الدارمي [٥٣٧] مسند أبي يعلى [٧٤٣٤].

وإن كان صغيرًا، ومصداق ذلك في كتاب الله{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾} [المؤمنون: ١٠١][(١)].

رواه ابن أبي حاتم وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الرجل ليقول في الجنة: ما فعل بصديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا لـه صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم**}[(٢)] قال الحسن رحمه الله تعالى: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وعن قتادة في قول الله عز وجل :{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾} [عبس: ٣٤ - ٣٦] قال: يفر هابيل من قابيل، ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم رضى الله عنه من أبيه، ولوط رضى الله عنه من صاحبته، ونوح رضى الله عنه من ابنه{لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٧] يشغله عن شأن غيره، وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة:{**أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلانفسي، لا أساله مريم التي ولدتني**}[(٣)].

١٨٨- وارتْكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ ::: وانْعَجَمَ البَلِيغُ فِي المَقَالِ

١٨٩- وَعَنَتِ الوجُوه للقَيُّومِ ::: واقْتُصَّ مِنْ ذي الظُّلمِ للمَظْلُوم

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم [ج٣] ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره [ج٤].

(٢) (سنده ضعيف) البغوي في تفسيره لسورة الشعراء (آية: ١٠١)و ذكره القرطبي في التفسير(١٣ / ١١٨).

(٣) (صحيح) البخاري [٤٤٣٥] مسلم [١٩٤].

(**وارتكمت**) اجتمعت (**سحائب الأهوال**) جمع هول وهو الأمر الشديد الهائل المفظع (**وانعجم**) أسكت فلم يتكلم، (**البليغ**) الذي كان في الدنيا مقتدرًا على البلاغة والفصاحة (**في المقال**) قال الله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} [هود: ١٠٥] وقال تعالى:{وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨] وقال تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾} [النبأ: ٣٨] قال ابن عباس:{وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ} [طه: ١٠٨] سكنت{فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨] قال: تحريك الشفاة من غير منطق، وعنه: الهمس الصوت الخفي، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم: الهمس نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل، وقال سعيد بن جبير: همسًا سر الحديث ووطء الأقدام فجمع بين القولين، وفي حديث الشفاعة:{**ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل..**}[١] الحديث.

(**وعنت الوجوه**) ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير عان، (**القيوم**) تضمين لمعنى قولـه عز وجل {۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ} [طه: ١١١] وقال ابن عباس وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام لـه إلا به{وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١] قال ابن عباس خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك، وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٧٣] مسلم [١٨٢].

وفي بعض الأحاديث:{**يقول الله** عز وجل **: وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم**}(١).

وفي الصحيحين:{**إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**}(٢) فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة، والخيبة كل الخيبة لمن لقى الله وهو به مشرك، فإن الله تعالى يقول{إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} [لقمان: ١٣].

وقد تقدم حديث عائشة عند أحمد:{**الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يعبأ الله به، وديوان لا يترك الله منه شيئًا..**}(٣) الحديث.

(**واقتص من ذي الظلم**) أى اقتضى من الظالم (**للمظلوم**) قال الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا} [النساء: ٤٠] وقال تعالى:{ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧} [غافر: ١٧] إلى قوله:{وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ} [غافر: ٢٠] وقال تعالى:{وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ} [الزمر: ٦٩]،{وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الزمر: ٧٥] وقال تعالى:{وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠} [الزمر: ٧٠] وغيرها من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى:{**باب القصاص يوم القيامة، وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور، الحقة والحاقة واحد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار**} ثم ساق بسنده حديث ابن مسعود قال النبي ﷺ :{**أول ما يقضى بين الناس بالدماء**}(٤).

---

(١) (به ضعف) مسند الشاميين للطبراني [١٥١] من حديث ثوبان، وفي الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي [٣٣] من حديث جابر، وذكره الذهبي في العلو للعلي الغفار [٣١٠] من قول أبي أمامة.

(٢) (صحيح) البخاري [٢٣١٥] مسلم [٢٥٧٩].

(٣) (به ضعف) أحمد في المسند [٢٦٠٧٣].

(٤) (صحيح) البخاري [٦١٦٨] مسلم [١٦٧٨].

وحديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن لـه حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**}(١).

وحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزلـه في الجنة منه بمنزلـه كان في الدنيا**}(٢).

وللترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم لـه ولا متاع، قال رسول الله ﷺ : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار**}(٣) هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٣١٧].

(٢) (صحيح) البخاري [٦١٧٠].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٥٨١] الترمذي [٢٤١٨] واللفظ له.

ولـه عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجلحاء**[1] **من الشاة القرناء**}[2] قال وفي الباب عن أبي ذر وعبد الله بن أنيس حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي ﷺ، فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلاً فسرت عليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل لـه جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج بطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن سمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يحشر الله** عز وجل **الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراة غرلاً بهمًا، قلت: وما بُهْمٌ؟ قال: ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولـه عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولـه عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة، قال قلنا كيف وإنما نأتي الله** عز وجل **حفاة عراة غرلاً بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات**[3].

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: هَذَا تَصْرِيح بِحَشْرِ الْبَهَائِم يَوْم الْقِيَامَة، وَإِعَادَتهَا يَوْم الْقِيَامَة كَمَا يُعَاد أَهْل التَّكْلِيف مِنْ الآدَمِيِّينَ، وَكَمَا يُعَاد الأَطْفَال وَالْمَجَانِين وَمَنْ لَمْ تَبْلُغهُ دَعْوَة، وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلائِل الْقُرْآن وَالسُّنَّة. قَالَ اللَّه تَعَالَى: وَإِذَا الْوُحُوش حُشِرَتْ ". قَالَ الْعُلَمَاء: وَلَيْسَ مِنْ شَرْط الْحَشْر وَالإِعَادَة فِي الْقِيَامَة الْمُجَازَاة وَالْعِقَاب وَالثَّوَاب، وَأَمَّا الْقِصَاص مِنْ الْقَرْنَاء لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاص التَّكْلِيف؛ إِذْ لا تَكْلِيف عَلَيْهَا، بَلْ هُوَ قِصَاص مُقَابَلَة. وَالْجَلْحَاء بِالْمَدِّ هِيَ الْجَمَّاء الَّتِي لا قَرْن لَهَا.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٥٨٢] الترمذي [٢٤٢٠].

(٣) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٦٠٨٥] البخاري في خلق أفعال العباد [٣٣٩] الحاكم [٨٧١٥/٣٦٣٨] مسند الحارث [٤٤] الآحاد والمثاني [٢٠٣٤] وعلته: عبد الله بن محمد بن عقيل: الجمهور على ضعفه.

وقد أشار البخاري إلى هذا الحديث في مواضع من صحيحه تعليقًا ووصله في كتاب خلق أفعال العباد.

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن الجلحاء لتقتص من القرناء يوم القيامة**}[١].

وروى رحمه الله عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال: أتدري ما ينتطحان يا أبا هريرة؟ قلت لا، قال: لكن الله يدري وسيحكم بينهما**}[٢].

١٩٠- وساوت الملوك للأجناد ::: وجيء بالكتاب والأشهاد

١٩١- وشهدت الأعضاء والجوارح ::: وبدت السوآت والفضائح

١٩٢- وابتليت هنالك السرائر ::: وانكشف المخفى في الضمائر

(**وسارت الملوك**) العظماء الرؤساء الكبراء (**للأجناد**) الرعايا، أى صاروا سواء في ذلك الموقف مشتركين في هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحمه الله، وليس لأحد منهم مقال، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضراً، كل امرئ بما كسب رهين، قال الله تعالى:{مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾} [الفاتحة: ٤] وقال تعالى:{ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ} [الحج: ٥٦] وقال تعالى:{يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾} [غافر: ١٦] وقال تعالى:{يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾} [الانفطار: ١٩] وغير ذلك من الآيات، قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين{مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾} [الفاتحة: ٤] يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكمًا كملكهم في الدنيا، قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم: إن

---

(١) (سنده صحيح لغيره) وإن كان هذا سنده ضعيف، أحمد في المسند [٥٢٠] وشاهده في صحيح مسلم، وقد سبق.

(٢) (سنده ضعيف) هو في مسند أحمد من حديث أبي ذر الغفاري [٢١٤٧٦] وفي مسند الطيالسي [٤٨٠] وتفسير الطبري [ج٥] وانظر تفسير ابن كثير [ج٢].

فخيرًا فخير وان شرًا فشر، إلا من عفا عنه، وقال البغوي في قولـه عز وجل {ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ} [الفرقان: ٢٦] أى الملك الذي هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة. وقال ابن عباس رضى الله عنه يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره.

وفي الحديث الصحيح المتقدم:{**يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض**}[1] وفي لفظ:{**أين الجبارون أين المتكبرون**}[2].

وقال قتادة{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾} [الانفطار: ١٩] والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد، وقال البغوي: يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحدًا من خلقه شيئًا كما ملكهم في الدنيا.

(**وجيء بالكتاب والأشهاد**) قال الله تعالى{وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ} [الكهف: ٤٩] وقال تعالى:{وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ} [الزمر: ٦٩] وقال تعالى:{لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] وقال تعالى:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾} [النساء: ٤١] وقال تعالى:{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾} [النحل: ٨٤] إلى قولـه{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ} [النحل: ٨٩] وقال تعالى:{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ} [القصص: ٧٤ - ٧٥] الآية، وقال تعالى:{وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾} [ق: ٢١]

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٥٣٤] مسلم [٢٧٨٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٧٨٨].

وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يوسف بن راشد حدثنا ابن جرير وأبو أسامة - واللفظ لجرير - عن الأعمش عن أبي صالح، وقال أبو أسامة: حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ :{**يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جل ذكره**{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا } [البقرة: ١٤٣](١)والوسط العدل.

ورواه أحمد وأصحاب السنن، ورواه الإمام أحمد أيضًا بلفظ:{**يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول نعم، فيقال من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى ﷺ وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا. فذلك قوله** عز وجل :{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا } [البقرة: ١٤٣](٢).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال:{**قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ عليَّ، فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية**{ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾} [النساء: ٤١] **فقال: حسبك الآن، فإذا عيناه تذرفان**}(٣).

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٢١٧].
(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١١٥٧٥] والنسائي في الكبرى [١١٠٠٧] وابن ماجة [٤٢٨٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٤٣٠٦] مسلم [٨٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:{ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ } [الكهف: ٤٩] أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير{فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} [الكهف: ٤٩] أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة{وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا} [الكهف: ٤٩] أي: يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمالنا{مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا} [الكهف: ٤٩] أي لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها.

وروى الطبراني بإسناده عن سعيد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفرًا من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي ﷺ :{**اجمعوا، من وجد عودًا فليأت به، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به**} قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركامًا، فقال النبي ﷺ :{**أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه**}(١).

وروى البغوي باسناده عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ :{**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات**}(٢) وقوله{وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا} [الكهف: ٤٩] كقوله عز وجل :{يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ} [آل عمران: ٣٠] وقوله عز وجل : {عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾} [التكوير: ١٤] وقوله تعالى:{ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾} [الانفطار: ٥] وقوله تعالى:{يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾} [القيامة: ١٣] وغيرها من الآيات، وقوله تعالى:{ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا} [القصص: ٧٥]

(١) (سنده ضعيف) الطبراني في الكبير [٥٤٨٥] به: محمد بن سعد العوفي: لين الحديث انظر تاريخ بغداد [٢٨٤٥]، وكذلك أبوه: سعد العوفي: ضعيف، انظر تاريخ بغداد [٤٧٤٣] وعمه: الحسين بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي: ضعيف، انظر تاريخ بغداد [٤٠٧٩].
(٢) (سنده صحيح) تفسير البغوي، سورة الكهف (آية: ٤٩) ومسند أحمد [٢٢٨٦٠].

قال البغوي: يعني رسولهم الذي أرسل إليهم وهو قول مجاهد، وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية{وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١} [ق: ٢١] فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت(١)، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: السائق الملك والشهيد العمل(٢) وكذا قال الضحاك والسدي، وقال ابن عباس رضى الله عنه : السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه.

وقوله تعالى:{ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ} [الزمر: ٦٩] أضاءت{بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر: ٦٩] بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو، قاله البغوي، والحديث:{**لا يتضارون في رؤيته**}(٣).

{وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ} [الزمر: ٦٩] قال قتادة: كتاب الأعمال.{وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ} [الزمر: ٦٩] قال ابن عباس رضى الله عنه : يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم،{وَٱلشُّهَدَآءِ} أى الملائكة الحفظة على أعمال العباد قال ذلك عطاء، ويدل عليه قوله{وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١} [ق: ٢١] قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله تعالى{وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ} [الحج: ٧٨] وقال مجاهد في قوله تعالى:{وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ} [غافر: ٥١] يعني الملائكة، قال البغوي: يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره [٢٨٦٤] وتفسير الطبري [ج١١ - ص ٤١٨].
(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم وتفسير ابن كثير رحمهما الله.
(٣) (صحيح) البخاري [٥٢٩] مسلم [٦٣٣].

(**وشهدت**) على كل جاحد (**الأعضاء**) اعضاؤه (**والجوارح**) عطف تفسير، قال تعالى:{ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾} [يس: ٦٥] الآيات، وقال تعالى{ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [فصلت: ١٩ - ٢٣] الآيات وغيرها.

وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:{**كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال رسول الله ﷺ : أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال ﷺ : من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز عليَّ نفسي إلا شاهدًا من نفسى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكتاب شهودًا، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعدًا وسحقًا فعنكن كنت أناضل**[١]}.

وروى عبدالرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال:{**إنكم تدعون مفدمًا على أفواهكم بالفدام**[٢]**، فأول مايسأل عن أحدكم فخذه وكتفه**}[٣].

ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به، ولـه هو ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال فيه:

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٦٩].

(٢) الفِدام: ما يُوضَـع في فَم الإبْريق ليُصَـفَّى به ما فيه، والحديث فيه إشـارة إلى معنى الآيات والحديث المتقدم عليه من شهادة الأعضاء والجوارح بما فعله ابن آدم.

(٣) (سنده حسن) أحمد في المسند [٢٠٠٣٨].

{ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقال لـه ألا نبعث عليك شاهدنا؟ قال: فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه؟ فيختم على فيه ويقال لفخده: انطقي، قال فتنطق فخده ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه}(١) وهذا الحديث تقدم قريبًا بطولـه ولله الحمد.

وهذا والله أعلم يتضمن بيان قول الله تعالى{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ} [المجادلة: ١٨] الآية.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأحمد رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:**{إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى}** وفي رواية أحمد:**{من الرجل الشمال}**(٢).

وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه :**{يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيتعرف فيقول نعم أى رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله لـه ذنوبه ويستره منها قال فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول: أى رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك مالم أعمل فيقول لـه الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أى رب ما عملته، فإذ فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعرى** رضى الله عنه **: فإذا أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى}**

---

(١) (سنده صحيح) ابن حبان [٤٦٤٢].
(٢) (به ضعف) أحمد في المسند [١٧٤١٢] وابن جرير في تفسيره [ج١١].

ثم تلا{ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥} [يس: ٦٥](١).

وروى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم، فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول كذبوا أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله تعالى عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار**}(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لاينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون لـه كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول{أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ} [فصلت: ٢١] فتقر الألسنة بعد الجحود(٣)، وروى أيضًا عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلاً قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة، ثم يقول لآرابه تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه: صنعنا عملنا فعلنا، ولـه أيضًا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال:{**ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة**} فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوسٌ إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها،

(١) (سنده صحيح) ابن جرير الطبري [ج١٠].
(٢) (سنده ضعيف) تفسير الطبري [ج٩] مسند أبي يعلى [١٣٩٢] مستدرك الحاكم [٨٧٩٠].
(٣) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم تفسير سورة فصلت، وعلته: علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والأخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، قال يقول رسول الله ﷺ :**{صدقت كيف يقدس الله تعالى قومًا لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم}**(١)ورواه ابن أبي الدنيا.

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ} [فصلت: ٢٢] الآية: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم لئن كان يسمع كله، فأنزلت{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ}(٢) [فصلت: ٢٢] الحديث، تقدم لفظه في إثبات السمع والبصر ولله الحمد.

(**وابتليت**) أى اختبرت (**هنالك**) الاشارة إلى موقف القيامة العظيم، وهوله الجسيم (**السرائر**) جمع سريرة وهي ضد العلانية (**وانكشف المخفى**) المستور (**في الضمائر**) إشارة إلى قول الله عز وجل {يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩} [الطارق: ٩] قال البغوي رحمه الله تعالى وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا، قال قتادة ومقاتل تختبر، قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، قال ابن عمر رضى الله عنه : يبدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر، فيكون زينًا في وجوه

(١) (حسن لغيره) سنن ابن ماجة [٤٠١٠] ابن أبي حاتم تفسير سورة فصلت، ابن حبان [٥٠٥٨] مسند أبي يعلى [١٩٥٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٥٣٨] مسلم [٢٧٧٥].

وشينًا في وجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقًا ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

وفي الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**يرفع لكل غادر لواء عند إسته**[1] **يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان**}[2] عياذًا بالله من ذلك:

صحائف الاعمال تؤخذ باليمين والشمال

١٩٣- ونشرت صحائف الاعمال ::: تؤخذ باليمين والشمال

١٩٤- طوبى لمن يؤخذ باليمين ::: كتابه بشرى بحور عين

١٩٥- والويل للآخذ بالشمال ::: وراء ظهر للجحيم صالي

(**ونشرت صحائف**) كتب (**الأعمال**) من حسنات وسيئات قال الله تعالى:{وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾} [التكوير: ١٠] (**تؤخذ باليمين**) للمؤمن (**والشمال**) للكافر (**طوبى**) أطيب شيء واسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (**لمن يأخذ اليمين كتابه بشرى**) أعظم بشارة (**بحور**) جمع حوراء صفة لهن من حور العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما (**عين**) حسان الأعين (**والويل**) كلمة عذاب وواد في جهنم (**للآخذ بالشمال**) كتابه (**وراء ظهر للجحيم صال**) اسم فاعل من صلى يصلى غمر فيها، وقد ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها وتناولها في غير من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾} [الإسراء: ١٣ - ١٤] وقال تعالى:{ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾} [الإسراء: ٧١ - ٧٢]

---

(١) الإســت: من أســماء الدبر، وفي الحديث: بيان فضــيحة الغادر يوم القيامة، وهو الذي يواعد على أمر ولا يفي به. قال النووي رحمه الله (لكل غادر لواء) أي علامة يشهر بها في الناس.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٠١٥] مسلم [١٧٣٦].

وقال تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾} [الحاقة: ١٨ - ٣٧] وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾} [الانشقاق: ٦ - ١٥] وقال تعالى:{هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾} [الجاثية: ٢٩] قال ابن عباس ومجاهد وغيرها{ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} [الإسراء: ١٣] طائره هو ما طار عنه من عمله من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا} [الإسراء: ١٣] قال معمر: وتلا الحسن البصري{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: ١٧]: يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل به ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشورًا{ اقْرَأْ كِتَابَكَ} [الإسراء: ١٤] الآية، فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك، وروى البزار عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى:{ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء: ٧١] قال:{**يدعى أحدكم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من**

بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا، فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد لـه في جسمه ويراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتينا به، فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا}(١) حديث غريب حسنه الترمذي.

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها أنها:{**ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزاته أو يثقل، وعند الكتاب حين يقول{هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ}** [الحاقة: ١٩] **حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم}**(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال:{**المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه}**(٣).

ولـه عن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال:{**إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي - أى يظهر - سيئاته في ظهر صحيفته فيقول لـه: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أى رب، فيقول لـه: إني لم أفضحك به، وإني**

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣١٣٦] ابن حبان [٧٣٤٩] الحاكم [٢٩٥٥] أبو يعلى [٦١٤٤].
(٢) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٧٥٥] الحاكم [٨٧٢٢].
(٣) (سـنده حسـن) إلى أبي عثمان: هو عبد الرحمن بن مل النهدي: ثقة عابد، انظر تفسـير ابن كثير [ج٤] فقد ذكره عن ابن أبي حاتم بإسناده.

قد غفرت لك فيقول عند ذلك{هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠**}** [الحاقة: ١٩ - ٢٠](١) **حين نجا من فضيحته يوم القيامة}**(٢).

وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح في النجوى وفيه في المؤمن:**{ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين}**(٣) وعن ابن السائب في قولـه تعالى{وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ} [الحاقة: ٢٥] قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يعطى كتابه، وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى، كتابه وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

وقال البغوي في قولـه تعالى:{وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠} [الانشقاق: ١٠] قال: فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

فصل فيما جاء في الميزان

١٩٦- والوزن بالقسط فلا ظلم ولا ::: يؤخذ عبد بسوى ما عملا

١٩٧- فبين ناج راجح ميزانه ::: ومقرف أوبقه عدوانه

(**والوزن**) لأعمال العباد (**بالقسط**) العدل (**فلا ظلم**) على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرمًا فلا يهضم أحد من حسناته (**ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا**) الألف للإطلاق، قال الله تعالى:{ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤} [يس: ٥٤] وقال تعالى:{وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧} [الأنبياء: ٤٧]

---

(١) ظننت: بمعنى أيقنت، واستعمال الظن بمعنى اليقين كثير في القرآن وفي كلام العرب، ومنه قولـه تعالى: وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ " وقولـه تعالى: وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ".

(٢) (سنده ضعيف) ابن أبي حاتم، ذكره عنه ابن كثير في تفسيره [ج٤] وعلته: موسى بن عبيدة: ضعيف كما في التقريب [٦٩٨٩].

(٣) (صحيح) تقدم تخريجه.

وقال تعالى عن لقمان{ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾} [لقمان: ١٦] وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا } [النساء: ٤٠] فبين ناج راجح ميزاته الخ قال الله تعالى:{وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾} [الأعراف: ٨ - ٩] وقال تعالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٤] الآيات، وقال تعالى:{ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾} [القارعة: ٦ - ١١] وقال تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾} [الكهف: ١٠٥].

وفي الترمذي عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال:{**أنا فاعل - يعني إن شاء الله - قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**}(١) هذا حديث حسن غريب.

وفي سنن أبي داود وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه:{**وعند الميزان حتى يثقل أو يخف..**}(٢) الحديث.

---

(١) (سنده صحيح) الترمذي [٢٤٣٣] مسند أحمد [١٢٨٤٨].

(٢) (سنده ضعيف) سبق تخريجه.

والقول في الموزون على ثلاثة أوجه:

الأول: أنه الأعمال نفسها هي التي توزن، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان، ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ : {**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم**}[1].

وفي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**} قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة[2]ومعاوية هو ابن سلام.

وفيه عن النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران**} وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال:{**كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما**}[3].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا الحديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن.

---

(١) (صحيح) البخاري [٧١٢٤] مسلم [٢٦٩٤].
(٢) (صحيح) مسلم [٨٠٤].
(٣) (صحيح) مسلم [٨٠٥].

وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ : وأهله الذين يعملون به في الدنيا ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل. اهـ(١).

قلت: ولا مانع من كون الآتى هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأما أن يقال: إن الآتى هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله{ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [الصافات: ٩٦].

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول:{**تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**} قال: ثم سكت ساعة ثم قال:{**تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول لـه: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت مقلتك وإن كل تاجر من وراء تجارتك، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج من الوقار ويكسى والداه حُلَّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً**}(٢) وإسناده حسن.

والقول بأن الاعمال هي ذاتها التي توزن، ذكره البغوي عن ابن عباس رضى الله عنه.

---

(١) (صحيح) الترمذي [٢٨٨٣].
(٢) (سنده لا بأس به) أحمد في مسنده [٢٣٠٠٠] سنن الدارمي [٣٣٩١] من أجل بشير بن المهاجر، ففيه كلام.

والقول الثاني: أن صحائف الأعمال هي التي توزن، ويدل لذلك ما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر لـه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال لا يارب، قال أفلك عذر أو حسنة؟ قال فبهت الرجل فيقول لا يارب، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج لـه بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ فيقول أحضروه، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول إنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم**}(١)ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب.

والثالث: أن الموزون ثواب العمل وهو اطراد ما نقله الترمذي في معنى حديث النواس.

الرابع: أن الموزون هو العامل نفسه، ويدل لذلك ما روى أحمد عن علي رضى الله عنه أن ابن مسعود رضى الله عنه صعد شجرة يجتنى الكباث، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ :{**والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد**}(٢).

---

(١) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٦٩٩٤] الترمذي في سننه [٢٦٣٩] ابن ماجة [٤٣٠٠] ابن حبان [٢٢٥].

(٢) (سنده حسن) أحمد في المسند [٩٢٠/ ٣٩٩١] البخاري في الأدب المفرد [٢٣٧] الطيالسي [٣٥٥].

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**} وقال اقرأوا{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥](١).

ولابن أبي حاتم عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها**} قال وقرأ{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥](٢) رواه ابن جرير.

وروى البزار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة لـه، فلما قام على النبي قال:{**يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله لـه يوم القيامة وزنًا**}(٣).

قلت: والذي استظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينهما(٤)، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال: قال رسول الله ﷺ :{**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال فيبعث به إلى النار، قال فإذا أدبر إذًا صائح**

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٤٥٢] مسلم [٢٧٨٥].

(٢) (سنده لا بأس به) ابن أبي حاتم تفسير سورة الكهف [١٤٠٥٧].

(٣) (سنده ضعيف) مسند البزار [٢٩٥٦] به: عون بن عمارة: ضعيف كما في التقريب [٥٢٢].

(٤) ما ذهب إليه المصنف رحمه الله من وزن العامل وعمله وصحيفته رجحه غير واحد من الأئمة الأعلام منهم: ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية، فقال رحمه الله بعد كلامه عن الميزان، وعرض الأقوال في (الموزون) فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان لـه كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.
وقال رحمه الله: فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساما، وحديث أبي هريرة في ذبح الموت على هيئة كبش يشهد لذلك. الطحاوية [ص٣٥٣].

من عند الرحمن عز وجل **يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي لـه، فيؤتى ببطاقة فيه لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان}**[١].

فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة.

وروى أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال لـه رسول الله ﷺ :**{يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم، دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك}** فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ويهتف: فقال رسول الله:**{ماله لا يقرأ كتاب الله**{وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧] **فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم}**[٢].

* * *

---

(١) (سنده حسن) مسند أحمد [٧٠٦٦].

(٢) (حديث ضـــعيف) وإن كان ظاهر إســـناده الصـــحة، ولكنه معلول، رواه أحمد [٢٦٤٤٤] الترمذي [٣١٦٥] وانظر علة هذا الحديث في تهذيب التهذيب [٤٩٨] ترجمة عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح المعروف بقراد.

فصل

فيما جاء في الصراط

١٩٨- ويُنْصب الجسر بلا امتراء ::: كما أتى في محكم الأنباء

١٩٩- يجوزه الناس على أحوال ::: بقدر كسبهم من الأعمال

٢٠٠- فبين مجتاز إلى الجنان ::: ومسرف يكب في النيران

(**وينصب الجسر**) وهو الصراط على متن جهنم (**بلا امتراء**) بلا شك (**كما أتى في محكم الأنباء**) من الآيات والأحاديث (**يجوزه**) يمر عليه الناس (**على أحوال**) متفاوتة (**بقدر كسبهم**) في الحياة الدنيا (**من الأعمال**) من إحسان أو إساءة أو تخليط (**فـ**) ـهم (**بين مجتاز**) عليه (**إلى الجنان**) وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، (**ومسرف**) على نفسه (**يكب في النيران**) فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧١ - ٧٢] وقال تعالى:{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾} [الحديد: ١٢ - ١٥].

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعًا ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت لـه: إنا اختلفنا في الورود، فقال:

يردونها جميعًا، وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعًا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًا**}[(1)].

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة، وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت، قال إني ذكرت قول الله عز وجل :{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] فلا أدري أأنجو منها أم لا، ولـه عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود الدخول، فقال نافع لا، فقرأ ابن عباس{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾} [الأنبياء: ٩٨] أوردوها أم لا؟ وقال{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود: ٩٨] أوردوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع[(2)]، وروى ابن جرير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال لـه أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال لـه: يا ابن عباس أرأيت قول الله تعالى{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾} [مريم: ٧١][(3)]

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد [١٤٥٦٠] مسند عبد بن حميد [١١٠٦]. والحديث في صحيح مسلم [٦٥٦٠] من رواية جابر عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النار من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ : قد قال الله عز وجل :{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧٢].

(٢) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري [ج٨] سورة مريم.

(٣) قال الشنقيطي في أضواء البيان: اختلف العلماء في المراد بورود النار على أقوال:
الأول: أن المراد بالورود الدُّخول، ولكن الله يصرفُ أذاها عن عباده المتقين عند ذلك

قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا[١].

وعنه رضى الله عنه في{وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] قال: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون{يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ} [هود: ٩٨] الآية{وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦} [مريم: ٨٦] فسمى الورود على النار دخولاً وليس بصادر[٢]، وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه{وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] قال رسول الله ﷺ :**{يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم}**[٣] ورواه الترمذي هكذا مرفوعًا.

وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفًا قال:**{يرد الناس جميعًا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر: أجود الإبل، ومنهم من يمر كعدْو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس..}** [٤] الحديث.

الدخول.

الثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز على الصراط، لأنه جسر منصوب على متن جهنم.

الثالث: أن الورود المذكور هو الإشراف عليها والقرب منها.

الرابع: أن حظ المؤمنين من ذلك الورود هو حر الحمى في دار الدنيا.

وذكر رحمه الله دليل كل قول، ثم رجح القول الأول واستدل لـه، فراجعه إن شئت.

(١) (سنده صحيح) هذا إن سلم من تدليس عبد الملك بن جريج فهو في إسناده وقد عنعن، رواه ابن جرير الطبري [ج٨] سورة مريم.

(٢) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري [ج٨] سورة مريم، به: محمد بن سعد العوفي وأبيه وعمه، بهم جميعا ضعف، وقد سبق ذكرهم.

(٣) (سنده حسن) أحمد في المسند [٤١٤١] الترمذي [٣١٥٩].

(٤) (سنده صحيح) الترمذي [٤٣١٥٩] والحاكم [٣٤٢١] مختصرًا، وذكره بلفظه ابن كثير في تفسيره.

وروى ابن جرير عنه في{ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا } قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم(١)، وقال قتادة: قولـه تعالى:{ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا } قال: هو الممر عليها، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم(٢)**} (٣) قال الزهري كأنه يريد هذه الآية{ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ } [مريم: ٧١] قال ابن مسعود: قسمًا واجبًا.

وفيهما عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضًا مرفوعًا من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه:{**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا:**

---

(١) (سنده صحيح) الطبري في تفسيره [ج٨ - ص ٣٦٤].

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله [ج٤]: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن الآية ليس يتعين فيها قسم. لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم، ولا قرينة واضحة دالة على القسم، ولم يتعين عطفها على القسم. والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه. وحديث أبي هريرة المذكور المتفق عليه، لا يتعين منه أن في الآية قسمًا. لأن من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لن يكن هناك قسم أصلاً. يقولون: ما فعلت كذا إلا تحلة القسم، يعنون إلا فعلاً قليلاً جدًا قدر ما يحلل به الحالف قسمه. وهو أسلوب معروف في كلام العرب.
فمعنى قولـه ﷺ (إلا تحلة) أي لا يلج النار إلا ولوجًا قليلاً جدًا لا ألم فيه ولا حر.
وأقرب أقوال من قالوا: إن في الآية قسمًا قولـه من قال إنه معطوف على قولـه: فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ " [مريم: ٦٨] فهو محتمل للعطف أيضًا، ومحتمل للاستئناف. والعلم عند الله تعالى.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٢٨٠] مسلم [٢٦٣٢].

نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل ، **تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل**[١] **أو المجازى أو نحوه..}**[٢] الحديث.

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعًا وفيه:{**ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا..}**[٣] الحديث.

ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة - فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والأخرين..}** الحديث.

وفي رواية عن ابن مسعود:{**رجل يخرج من النار حبوًا}**[٤].

وفيه عن أبي هريرة وحذيفة رضى الله عنه في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً، وفيه:{**وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي أى شيء كمر البرق؟ قال: ألم ترو إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وتشد الرجال تجري بهم أعمالهم، قال ونبيكم** ﷺ **قائم على**

---

(١) المخردل: المقطع، يقال: خردلت اللحم، أي قطعته.
(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٠٠] مسلم [١٨٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٧٠٠١] مسلم [١٨٣].
(٤) (صحيح) مسلم [١٨٧] و [١٨٦].

الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز الصراط أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحافًا، قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفًا}(١).

وفيه أيضًا في بعض طرق حديث أبي سعيد المتقدم قال أبو سعيد:{**بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف**}(٢)وفيه عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنه يسأل عن الورود.. الحديث، وفيه رؤية الله تعالى:{**فيتجلى لهم يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل إنسان - منافق أو مؤمن - نورًا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجون أول زمرة وجوهم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون**}(٣) وذكر الحديث، وقال عبد الله بن مسعود في قول الله تعالى:{يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} [الحديد: ١٢] قال:{**على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة**}(٤) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول:{**من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أو بين صنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه**}(٥).

---

(١) (صحيح) مسلم [١٩٥].
(٢) صحيح مسلم [١٨٣].
(٣) (صحيح) مسلم [١٩١].
(٤) (سنده حسن) تفسير ابن جرير الطبري [ج١١] سورة الحديد [آية: ١٢].
(٥) (مرسل) انظر تفسير ابن كثير (ج١).

وروى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نورًا وكل منافق نورًا، فإذا استووا على الصراط سلب الله تعالى نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا}**(١).

قلت: وذلك من تأويل قول الله تعالى:{يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨] وروى ابن أبى حاتم عن أبي الدرداء وأبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ :**{قال أنا أول من يؤذن لـه يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن لـه برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم، فقال لـه رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوهم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم}**(٢) وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا.

وقال الحسن رحمه الله:{يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} [الحديد: ١٢] قال: على الصراط. أهـ.

---

(١) (موضوع) الطبراني في الكبير [١١٢٤٢] به: إسحاق بن بشر: كذاب انظر لسان الميزان [ج١/١٠٩٦].

(٢) (سنده حسن بشواهده) ابن أبي حاتم عند تفسير سورة الحديد، وأحمد في المسند [٢١٧٨٥] المستدرك [٣٧٨٤] المعجم الأوسط [٣٢٣٤].

وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة، ولذا قال ابن عباس رضى الله عنه فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ما رأي ابن عباس رضى الله عنه في الورود، فقال ابن عباس رضى الله عنه : هو الدخول، وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبد الله بن عباس رضى الله عنه قوله تعالى:{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾} [الأنبياء: ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك.

* * *

فصل
فيما ورد في الجنة والنار

٢٠١- والنار والجنة حق وهما ::: موجودتان لا فناء لهما

أى ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور:

الأول: كونهما حقًّا لا ريب فيهما ولا شك، وأن النار دار أعداء الله، والجنة دار أوليائه، وهذا هو المشار إليه بقولنا حق، قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [التحريم: ٦ - ٨] الآيات، وقال تعالى:{فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [البقرة: ٢٤ - ٢٥] الآية، وقال تعالى:{ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾} [آل عمران: ١٣١ - ١٣٣] الآيات، وقال تعالى:{وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾} [النساء: ٥٥ - ٥٧] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾} [يونس: ٧ - ١٠]

وقال تعالى في أولياء الشيطان{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾} [النساء: ١٢٠ - ١٢٢] وقال تعالى لإبليس{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾} [الحجر: ٤٢ - ٤٦] الآيات.

وغيرها كثيرة في القرآن شهيرة، كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة، فتارة يعد ويتوعد، وتارة يرغب في الجنة ويدعو إليها ويرهب من النار ويحذر منها، وتارة يخبر عما أعدَّ في الجنة من النعيم المقيم لأوليائه، ويخبر عما أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك، فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد عن الأوزاعي قال حدثني عمير بن هانىء قال: حدثني جنادة بن أبي أمية عن عبادة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسولـه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل**} زاد في رواية:{**من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء**}[١] ووافقه على إخراجه مسلم وغيره.

ولهما عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال:{**اللهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٥٢] مسلم [٢٨].

الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك} زاد في رواية:**{ولا حول ولا قوة إلا بالله}**(١) هذا لفظ البخاري في باب التهجد.

وقد روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقية رسله عليهم السلام وحقية وعده الصادق وهما أى الجنة والنار من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه.

وفي حديث عبادة هذا أنه ﷺ علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار{ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾} [يس: ٦٣ - ٦٤] وقال تعالى:{ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ } [الطور: ١٣ - ١٥] الآيات وغيرها.

وتقدم في بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد:**{قال فحدثني ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان..}**(٢) الحديث وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) (صحيح) البخاري [١٠٦٩] مسلم [٧٦٩].

(٢) (إسناده ضعيف) أحمد [٢٩٢٦] به: شهر بن حوشب: ضعفه الجمهور. والحديث له شواهد صحيحه سبقت.

البحث الثاني: اعتقاد وجودهما الآن، قال الله تعالى في الجنة:{أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]،{أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد: ٢١]،{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)} [السجدة: ١٧] وقال تعالى:{عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)} [النجم: ١٤ - ١٥] وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم، وأنها في السماء، وأن النبي ﷺ أتاها ليلة المعراج ورآها، وقال تعالى في النار{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤] وقال{وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} [الفرقان: ١١]،{وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان: ٣١]،{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)} [النبأ: ٢١ - ٢٢] فهي أيضًا معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم.

وقال البخاري في صحيحه:{**باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة**} ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار**}(١).

وحديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال:{**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**}(٢) وحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال: عليك أغار يا رسول الله**}(٣)؟

وحديثه رضى الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ :{**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،**

(١) (صحيح) البخاري [٣٠٦٨] مسلم [٢٨٦٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٠٦٩] مسلم [٢٧٣٧].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٠٧٠] مسلم [٢٣٩٥].

فاقرؤوا إن شئتم:{ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾} [السجدة: ١٧][(١)] ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال باب صفة النار وأنها مخلوقة، ثم ذكر فيه حديث أبي ذر وأبي سعيد رضى الله عنه قال النبي ﷺ :**{أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم[(٢)]}** [(٣)].

وحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير}**[(٤)].

وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :**{الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء}**[(٥)].

وحديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم}** قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال:**{فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها}**[(٦)].

وفيه من حديث أنس بن مالك في المعراج:**{ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٠٧٢] مسلم [٢٨٢٤].

(٢) هذا الحديث دليل واضح على أن النار مخلوقة موجودة الآن، إذ أنه ﷺ صرح بكون شدة الحر من فيحها، وهذا موافق لما جاء عنه ﷺ من أن الله عز وجل ، أذن للنار أن تخرج نفسين واحد في الصيف ومنه شدة الحر، وآخر في الشتاء ومنه شدة البرد.
وفي هذه النصوص رد صريح على المعتزلة في قولهم بأن الجنة والنار ليستا موجودتان الآن بل إن الله سيحدثهما يوم الحساب وزعموا زورا بعقولهم القاصرة الفاسدة أن وجودهما الآن عبث محض، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(٣) (صحيح) البخاري [٥١٢] مسلم [٦١٥، ٦١٧].

(٤) (صحيح) البخاري [٣٠٨٧] مسلم [٦١٧].

(٥) (صحيح) البخاري [٣٠٩٠] مسلم [٢٢١٠].

(٦) (صحيح) البخاري [٣٠٩٢] مسلم [٢٨٤٣].

فيها حبائل[1] **اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك}**[2].

وفيه من حديث مالك بن صعصعة في ذلك وفيه:{**ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات..}**[3] الحديث.

وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته ﷺ فيها وأنه عرضت عليه الجنة والنار، وأنه ﷺ أراد أن يتناول من الجنة عنقودًا فقصرت يده عنه، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، وأنه رأى النار ورأى فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج، ورأى فيها عمرو بن لُحَي يجر قُصْبه في النار، ورأى المرأة التي تعذب هرّة حبستها وقال ﷺ :{**لم أر منظرًا كاليوم أفظع}**[4].

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا، ثم رجع فقال: وعزتك لا**

(١) هذه اللفظة عند البخاري، وأما لفظ مسلم (جَنَابِذ) وَهِيَ الْقِبَاب، وَاحِدَتهَا جَنْبَذَة، ونقل الإمام النووي رحمه الله قول الخطابي رحمه الله على أن لفظة (حَبَائِل) تصحيف.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٢] مسلم [١٦٣].

(٣) (صحيح) البخاري [٣٦٧٤] مسلم [١٦٤].

(٤) (صحيح) تقدم.

يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها}[١].

وقد تقدم في أحاديث عذاب القبر وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ورؤية كل منزلة فيها، وعرض مقعده عليه وفتح باب إحداهما إليه وأن أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الفجار في سجين وغير ما ذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة مالا يحصى، وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا (**موجودتان**).

البحث الثالث: في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبدًا ولا يفنى من فيهما، وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا (**لا فناء لهما**) قال الله تعالى في الجنة{خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى{ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾} [الحجر: ٤٨] وقال تعالى{خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾} [هود: ١٠٨] وقال تعالى{ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾} [ص: ٥٤] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾} [الدخان: ٥١] إلى قوله تعالى{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾} [الدخان: ٥٦ - ٥٧] وقال تعالى:{لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾} [الواقعة: ٣٣] وغير ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله{خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا} [النساء: ٥٧]،{إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾} [ص: ٥٤] وأبدية حياة أهلها بقوله{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ} [الدخان: ٥٦] وعدم انقطاعها عنهم بقوله{لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾} [الواقعة: ٣٣]، {عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ} [هود: ١٠٨] وبعدم خروجهم بقوله{وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ } [الحجر: ٤٨] وكذلك النار قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا}

---

(١) (سنده حسن) أبو داود [٤٧٤٤] الترمذي [٢٥٦٠] النسائي [٣٧٦٣] أحمد [٨٣٧٩].

[النساء: ١٦٨ - ١٦٩] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾} [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥]وقال تعالى:{وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} [الجن: ٢٣] وقال تعالى:{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾} [الفرقان: ٦٥ - ٦٦] وقال تعالى:{وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ} [المائدة: ٣٧] وقال تعالى:{بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ١٦٧] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾} [الزخرف: ٧٤ - ٧٧] الآيات، وقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾} [فاطر: ٣٦ - ٣٧] وقال تعالى:{ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾} [المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٨] وقال تعالى:{أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ} [الشورى: ٤٥] وقال تعالى:{إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾} [طه: ٧٤] وقال تعالى:{سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾} [الأعلى: ١٠ - ١٣] وقال تعالى:{لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾} [النبأ: ٢٣] - إلى قوله:{فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ: ٣٠] وغير ذلك في القرآن كثير. فأخبرنا تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا فكاك لهم منها ولا خلاص، ولات حين مناص، فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله{خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا} [النساء: ٥٧] ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى:{وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ١٦٧] ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله عز وجل {وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا} [فاطر: ٣٦] وقال تعالى:{لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ} [الزخرف: ٧٥]

ونفى فناءهم فيما بقوله عز وجل {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾} [الأعلى: ١٣] وقوله{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: ٥٦].

وقال البخاري رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل :{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} [مريم: ٣٩] حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ**{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩] **وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون**}(١)ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبي سعيد هذا.

وأخرجاه أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم**}(٢).

وفي رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال:{**يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه**}(٣).

(١) (صحيح) البخاري [٤٤٥٣] مسلم [٢٨٤٩].
(٢) (صحيح البخاري [٦١٨٢] مسلم [٢٨٥٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٦١٧٨] مسلم [٢٨٥٠].

ورواه البخاري دون قولـه كل خالد.. إلخ.

ولـه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**يقال لأهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت**}(١).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر يعني ابن المفضل عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : {**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون**(٢)**، ولكن ناس أصابتهم النار - بذنوبهم أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا إذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر**(٣) **ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية**}(٤).

ورواه الإمام أحمد من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا، وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

نعم جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنايتهم، وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريبًا، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار

---

(١) (صحيح) البخاري [٦١٧٩].

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: فَالظَّاهِر وَاَللَّه أَعْلَم مِنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيث: أَنَّ الْكُفَّار الَّذِينَ هُمْ أَهْل النَّار وَالْمُسْتَحِقُّونَ لِلْخُلُودِ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ حَيَاة يَنْتَفِعُونَ بِهَا وَيَسْتَرِيحُونَ مَعَهَا كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى: لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّف عَنْهُمْ مِنْ عَذَابهَا " وَهَذَا جَارٍ عَلَى مَذْهَب أَهْل الْحَقّ أَنَّ نَعِيم أَهْل الْجَنَّة دَائِم، وَأَنَّ عَذَاب أَهْل الْخُلُود فِي النَّار دَائِم.
وَأَمَّا قولـه ﷺ : (وَلَكِنْ نَاس أَصَابَتْهُمْ النَّار) إِلَى آخِره. فَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْمُذْنِبِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يُمِيتهُمْ اللَّه تَعَالَى إِمَاتَة بَعْد أَنْ يُعَذَّبُوا الْمُدَّة الَّتِي أَرَادَهَا اللَّه تَعَالَى، وَهَذِهِ الإِمَاتَة إِمَاتَة حَقِيقِيَّة يَذْهَب مَعَهَا الإِحْسَاس وَيَكُون عَذَابهمْ عَلَى قَدْر ذُنُوبهمْ.

(٣) ضبائر: جماعات في تفرقة.

(٤) (صحيح) مسلم [١٨٥].

على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم، وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة، وأنها ليأتين عليها يوم وهي تصطفق في أبوابها ليس بها أحد[1]، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قولـه تعالى{إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] الآية، وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة.

وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابة (الوابل الصيب) قال رحمه الله تعالى: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب - كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، وجار الخبيث المحض - وهاتان الداران لا تفنيان - ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فصل: قالت اليهود قبحهم الله إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام ثم يخلفهم آخرون كما قص الله تعالى ذلك عنهم في سورة البقرة إذ يقول تعالى:{وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً} [البقرة: ٨٠] ثم رد ذلك عليهم بقولـه تعالى:{قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢} [البقرة: ٨٠ - ٨٢]

(١) (ضـــعيف جدا) الكامل لابن عدي [١٣٧٥] به: العلاء بن زيد الثقفي ويقال له: ابن زيدل بصري يكنى أبا محمد ويحدث عن أنس بأحاديث عداد مناكير..

وقال تعالى في آل عمران{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾} [آل عمران: ٢٤ - ٢٥].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال:{**لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود، فجمعوا لـه، فقال لهم رسول الله ﷺ إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ :كذبتم، بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، فقال ﷺ : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا، قال لهم رسول الله ﷺ : من أهل النار؟ فقالوا نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ : اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا، ثم قال لهم: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا نعم، فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سمّا؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا نستريح منك وإن كنت نبيّا لم يضرك**}[1].

وقال ابن عربي إمام الاتحادية محي الزندقة والإلحاد في آيات الله تعالى: إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم، وقال الجهم وشيعته: إن الجنة والنار تفنيان كلاهما لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، بناء على أصله الفاسد في منع تسلسل الحوادث وبقائها بإبقاء الله تعالى لها.

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٤١].

وقال طائفة من المعتزلة والقدرية لم يكونا الآن موجودتين بل ينشئهما الله تعالى يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي لـه أن يفعل كذا، قياسًا لله تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللا وبدعوا من خالف شريعتهم قبحهم الله تعالى.

وقال أبو الهذيل العلاف تفنى حركات أهل الجنة والنار ويصيرون جمادًا لا يحسون بنعيم ولا ألم.

وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، ومحادة ومشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديم للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية الطريدة، وزخارف فاسدي السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة، وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته الكافية الشافية في أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته دمرهم الله تعالى:

وقضى بأن الله كان معطلا ::: والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدورًا له ::: من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته ::: قبل الحدوث وبعده سيان
وقضى بأن النار لم تخلق ولا ::: جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا ::: فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه ::: فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا ::: في الذات واعجبا لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد في جناتهم ::: وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يخشى أهله ::: عن انقضاء تحرك الحيوان
وكذاك ما حال الذي رفعت يداه ::: أكلة من صحيفة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها ::: للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد ::: منه إلى قنو من القنوان
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل ::: يبقى كذلك سائر الأزمان
تبّا لهاتيك العقول فإنها ::: والله قد مسخت على الأبدان
تبّا لمن أضحى يقدمها على ::: الآثار والأخبار والقرآن

* * *

فصل

فيما جاء في الحوض والكوثر

٢٠٢- وحوض خير الخلق حق وبه ::: يشرب في الأخرى جميع حزبه

(**وحوض خير الخلق**) نبينا محمد ﷺ وهو الكوثر الذي أعطاه ربه عز وجل (**حق**) لا مرية فيه (**وبه**) بالحوض (**يشرب**) أى يروى، ولذا عدى بالباء دون من لتضمن الشرب ههنا معنى الري (**في الأخرى**) أى في الدار الآخرة (**وجميع حزبه**) وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزله معه، قال الله تبارك وتعالى:{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾} [الكوثر: ١ - ٣]. وروى البخاري بسنده إلى أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[١]أهـ.

وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ واشتهر واستفاض بل تواتر في كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، فمن روى ذلك عنه من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وحارثة بن وهب، وجندب بن عبد الله، وسهل بن سعد، وعائشة، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وثوبان، وأبو ذر، وأم سلمة، وجابر ابن سمرة، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وحذيفة، وأبو برزة الأسلمي، والمستورد بن شداد وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن زيد، وأسامة بن زيد.

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٦٨٢].

فأما عن أنس بن مالك فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه قال:{**لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**}[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الوليد حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ، وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال:{**بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه - أو طيبه - مسك أذفر**}[2] شك هدبة.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني ابن وهب عن يونس قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء**}[3] ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ:{**ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة**} وبلفظ:{**ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء**}[4].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك**}[5] ورواه مسلم بلفظ:{**إن النبي ﷺ قال ليردن علي**

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٥٨٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٥٨١].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٥٨٠] مسلم [٢٣٠٣].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٣٠٣].
(٥) (صحيح) البخاري [٦٥٨٢].

الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني، فلأقولن أى رب أصحابي، فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك}[١].

وأما عن ابن عمر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافع عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح**}[٢].

ورواه مسلم بلفظ:{**ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح**[٣]} [٤] وزاد في رواية:{**فيه أباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا**} زاد في أخرى قال: عبيد الله:{**فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال**}.

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب رضى الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ وذكر الحوض فقال:{**كما بين المدينة وصنعاء**} وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثةسمع النبي ﷺ قوله:{**حوضه ما بين صنعاء والمدينة**} فقال له

(١) (صحيح) مسلم [٢٣٠٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٠٦].
(٣) قد يتوهم أحدٌ أن هناك اضطرابًا في سعة الحوض ولا شيء من ذلك.
قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: وَهَذَا الاخْتِلاَف فِي قَدْر عَرْض الْحَوْض لَيْسَ مُوجِبًا لِلاضْطِرَاب، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي حَدِيث وَاحِد، بَلْ فِي أَحَادِيث مُخْتَلِفَة الرُّوَاة، عَنْ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة سَمِعُوهَا فِي مَوَاطِن مُخْتَلِفَة ضَرَبَهَا النَّبِيّ ﷺ فِي كُلّ وَاحِد مِنْهَا مَثَلا لِبُعْدِ أَقْطَار الْحَوْض، وَسَعَته، وَقَرَّبَ ذَلِكَ مِنْ الأَفْهَام لِبُعْدِ مَا بَيْن الْبِلاد الْمَذْكُورَة لا عَلَى التَّقْدِير الْمَوْضُوع لِلتَّحْدِيدِ، بَلْ لِلإِعْلامِ بِعِظَمِ هَذِهِ الْمَسَافَة، فَبِهَذَا تُجْمَعُ الرِّوَايَات.
قُلْت (النووي): وَلَيْسَ فِي الْقَلِيل مِنْ هَذِهِ مَنْع الْكَثِير، وَالْكَثِير ثَابِت عَلَى ظَاهِر الْحَدِيث، وَلا مُعَارَضَة. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (النووي).
(٤) (صحيح) مسلم [٢٢٩٩].

المستورد:{**ألم تسمعه قال الأواني؟ قال لا، قال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب**}(1)ورواه مسلم بهذا اللفظ.

وأما عن جندب بن عبد الله فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جندبًا قال: سمعت النبي ﷺ يقول:{**أنا فرطكم على الحوض**}(2) ورواه مسلم هكذا.

وأما عن سهل بن سعد فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن مطوف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ :{**إني فرطكم على الحوض، من مر عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم**} قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته هو يزيد فيها:{**فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**} ورواه مسلم وفيه:{**لمن بدل بعدي**}(3).

وأما عن عائشة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضى الله عنها قال: سألتها عن قولـه تعالى{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾} [الكوثر: ١] قالت:{**نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم**}(4).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا ابن أبي عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خُثيم عن عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه:

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢١٩] مسلم [٢٢٩٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٢١٧] مسلم [٢٢٨٩].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٢١٢]مسلم [٢٢٩٠/٢٢٩١].
(٤) (صحيح) البخاري [٤٦٨١].

{إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم[1]، فوالله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن أى رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم}[2].

وأما عن عقبة بن عامر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الليث عن يزيد عن أبي الخير عن عقبة رضى الله عنه أن النبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال:**{إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها}**[3].

ورواه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ:**{صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم}** قال عقبة: وكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر[4].

وأما عن عبد الله بن مسعود فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ :**{أنا فرطكم على الحوض}**[5].

وحدثني عمرو بن علي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال سمعت أبا وائل عن عبد الله رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:**{أنا فرطكم على**

---

(١) هذه العبارة تفسر معنى قولـه ﷺ في الروايات السابقة (أنا فرطكم على الحوض).
(٢) (صحيح) مسلم [٢٢٩٣].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٨٥٧] مسلم [٢٢٩٦].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٢٩٦].
(٥) (صحيح) البخاري [٦٢٠٥] مسلم [٢٢٩٧].

الحوض، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك} تابعه عاصم عن أبي وائل وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي ﷺ [١].

وروى مسلم حديث ابن مسعود بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ :{**أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقوامًا ثم لأغلبن عليهم فأقول: يا رب أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك}**[٢] وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية الأعمش ومغيرة.

وأما عن أبي هريرة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي قال حدثنا هلال عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال إلى النار والله، قلت وما شأنهم، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم، قلت: إلى أين؟ قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم}**[٣].

ولـه عنه أنه كان يحدث أنه رسول الله ﷺ قال:{**يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلؤون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى}**[٤].

ولـه عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي}**[٥].

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٠٥].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٢٩٧].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٢١٥].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٢١٣]، فيحلؤون: يمنعون ويطردون.
(٥) (صحيح) البخاري [١١٣٨] مسلم [١٣٩١].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي حدثنا الربيع يعني ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل**}(١).

ولـه عن أبي حازم عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ، قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علي غرّا محجلين من أثر الوضوء**}(٢).

وأما عن عبد الله بن عمرو بن العاص فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ :{**حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا**}(٣).

ورواه مسلم بلفظ:{**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الوَرِق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا**}(٤).

وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم في أول الباب، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير عنه رضى الله عنه قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل(٥)، ولـه عن عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٣٠٢].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٤٧].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٢٠٨].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٢٩٢].
(٥) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج١٢] عطاء بن السائب اختلط.

جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس: أنه الخير الكثير، فقال صدق والله إنه للخير الكثير، ولكن حدثنا ابن عمر قال:{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١} قال رسول الله ﷺ :{**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت**}[١].

وأما عن أسماء فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر، قال حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ :{**إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**} وكان ابن أبي مليكة يقول:{**اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا**} ورواه مسلم بسند حديث عبدالله بن عمرو متصلاً بمتنه ولفظه كلفظ البخاري[٢].

وأما عن ثوبان فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى وابن بشار وألفاظهم متقاربة قالوا: حدثنا معاذ وهو ابن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن ثوبان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم[٣]، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان، وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضًا من اللبن**

---

(١) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٥٩١٣] والمستدرك للحاكم [٦٣٠٨] فقد رواه حماد بن زيد عن عطاء ابن السائب، وسماع حماد من عطاء قديم، قبل أن يختلط عطاء.

(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٢٠] مسلم [٢٢٩٣].

(٣) قولـه ﷺ (أَذُودُ النَّاس لأَهْلِ الْيَمَن أَضْرِب بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ) مَعْنَاهُ أَطْرُدُ النَّاس عَنْهُ غَيْر أَهْل الْيُمْن لِيَرْفَضَّ عَلَى أَهْل الْيُمْن، وَهَذِهِ كَرَامَة لأَهْلِ الْيَمَن فِي تَقْدِيمهمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ مُجَازَاة لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعهمْ، وَتَقَدُّمهمْ فِي الإِسْلام. وَالأَنْصَار مِنْ الْيَمَن، فَيَدْفَعُ غَيْرهمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَات. وَمَعْنَى (يَرْفَضّ عَلَيْهِمْ) أَيْ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ.

وأحلى من العسل يَغُتُّ[1] **فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق}**[2].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن إسماعيل أنبأنا يحيى بن صالح أنبأنا محمد بن مهاجر عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين لقد شق علي مركبي البريد، فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، قال أبو سلام: حدثني ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسًا الدنس ثيابًا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد}** قال عمر: لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد، ونكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم إني لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ[3]، ورواه ابن ماجه بلفظ:{**إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، أوانيه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا..}** الحديث، وفيه قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، وفيه:{**ولا أدهن رأسي حتى يشعث}**[4].

(١) (يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ) وَمَعْنَاهُ يَدْفُقَانِ فِيهِ الْمَاء دَفْقًا مُتَتَابِعًا شَدِيدًا.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٣٠١].

(٣) (سنده صحيح لغيره، الجزء المرفوع فقط، دون قصة عمر بن عبد العزيز) الترمذي [٢٤٤٤] سند الترمذي به انقطاع فلم يسمع العباس بن سالم من أبي سلام الحبشي، إلا أن للحديث طريقا آخر عن ثوبان بسند صحيح رواه أحمد في المسند [٢٢٤٧٩].

(٤) (سنده صحيح لغيره) دون كلام عمر بن عبد العزيز، رواه ابن ماجة [٤٣٠٣] وراجع الحديث السابق.

وأما عن أبي ذر فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم واللفظ لابن أبي شيبة، قال إسحاق أخبرنا - وقال الآخران حدثنا - عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال:{**قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال: والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب في ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طولـه ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل**}[1] رواه الترمذي بهذا اللفظ وقال: حسن صحيح غريب.

وأما عن أم سلمة رضى الله عنها فقال مسلم بن الحجاج: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني عمرو وهو ابن الحارث أن بكيرًا حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت:{**كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس، فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت إني من الناس، فقال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقًا**}[2].

وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني الوليد بن شجاع ابن الوليد السكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٣٠٠].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٢٩٥].

{ألا إني فرط لكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيه النجوم}(١).

وأما عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا حفص بن عمر النمري حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال:**{كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً فقال: ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض، قال قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة}**(٢).

وأما عن سمرة بن جندب فقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن نيزك البغدادي أنبأنا محمد بكار الدمشقي أنبينا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ :**{إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة}** هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. أهـ(٣).

وأما عن حذيفة فتقدمت الإشارة إليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود وقال ابن ماجة رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي مالك سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : **{إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه، قيل: يا رسول الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون علي غرّا محجلين من أثر الوضوء، ليست لأحد غيركم}**

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٣٠٥].

(٢) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٤٧٤٦].

(٣) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٤٤٣] سماع الحسن من سمرة لا يصح، وقد صحح الترمذي إرساله.

ورواه مسلم في الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند[١].

وأما عن أبي برزة فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبد السلام بن أبي حازم أبو طالوت قال: شهدت أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه عبيد الله قال إن محمديكم هذا الدحداح، ففهمها الشيخ فقال: ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد ﷺ، فقال لـه عبيد الله: إن صحبة محمد ﷺ لك زين غير شين، ثم قال: إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض، سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئًا؟ فقال أبو برزة: نعم لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثًا ولا أربعًا ولا خمسًا، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضبًا[٢].

وأما عن المستورد فتقدم في المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقال ابن ماجة رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:{**إن لي حوضًا ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض من اللبن آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة**}[٣].

وأما عن عبد الله بن زيد فرواه البخاري ومسلم عنه مطولاً في قصة قسم غنائم حنين، وفي آخره قولـه ﷺ للأنصار رضى الله عنه :{**إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**}[٤].

وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثني ابن البرقى حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد:

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٤٨] ابن ماجة [٤٣٠٢].
(٢) (سنده صحيح) أبو داود [٤٧٤٩] أحمد في المسند [١٩٧٩٤].
(٣) (سنده ضعيف) ابن ماجة [٤٣٠١] عطية العوفي: ضعيف.
(٤) (صحيح) البخاري [٤٠٧٥] مسلم [١٠٦١].

{أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت: خرج يا نبي الله عامدًا نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أو لا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيسًا فأكل منه، فقالت: يا رسول الله هنيئًا لك ومريئًا، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك لأهنيك وأمريك، أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر، فقال: أجل وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ}[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: حرام بن عثمان ضعيف، ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اهـ.

قلت: وقد ذكرنا منها ما تيسر.

وفي الباب عدة أحاديث غير ما ذكرنا، ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخر لم نذكرها، ولهم روايات في الأصول التي عزونا إليها غير ما سقنا وإنما أشرنا إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضته وتواتره مع الإيجاز والاختصار، ولله الحمد والمنة.

* * *

(١) (إسناده ضعيف) ابن جرير الطبري [ج١٢] حرام بن عثمان: ضعيف انظر لسان الميزان [٨٢٥] وقال ابن كثير في تفسيره [ج ٤] حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض وهكذا روي عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة وقال عطاء: هو حوض في الجنة.

فصل

في الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

٢٠٣- كذا له لواء حمد ينشر ::: وتحته الرسل جميعًا تحشر

قال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام ابن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم على ربي ولا فخر**} هذا حديث حسن غريب(١).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو عامر العقدي أنبأنا زهير ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:{**مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع تلك اللبنة، وأنا في النبيين موضع تلك اللبنة**}.

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال:{**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**} هذا حديث حسن صحيح غريب(٢).

حدثنا ابن أبي عمر أنبأنا سفيان عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**}

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي في سننه [٣٦١٠] سنن الدارمي [٤٨] به: الليث بن أبي سليم: ضعيف.

(٢) (إسناده ضعيف) الترمذي [٣٦١٣] وبه: عبد الله بن محمد بن عقيل: ضعيف. وأصل الحديث في الصحيحين.

وفي الحديث قصة هذا حديث حسن(١).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي أنبأنا عبيد الله بن عبد المجيد أنبأنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليمًا، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال:**{قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر}** هذا حديث غريب(٢).

قلت: ومعناه ثابت في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلوم عند من لـه خبرة بالعلم.

* * *

(١) (صحيح لغيره) سنن الترمذي [٣٦١٥] وهذا إسناد به ضعف، علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٦١٦] زمعة بن صالح: ضعيف.

فصل

في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

٢٠٤- كذا له الشفاعة العظمى كما ::: قد خصه الله بها تكرما

٢٠٥- من بعد إذن الله لا كما يرى ::: كل قبوري على الله افترى

(**كذا له**) لنبينا ﷺ (**الشفاعة العظمى**) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى:{عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا} [الإسراء: ٧٩] ولذا قلنا (**قد خصه الله بها**) بالشفاعة (**تكرمًا**) منه عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**}(١).

وفيه عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**}(٢).

وفيه عن أنس رضى الله عنه أن نبي الله ﷺ قال:{**لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**}(٣).

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**}(٤).

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٨] مسلم [٥٢١].

(٢) (صحيح) مسلم [٢٠١].

(٣) (صحيح) البخاري [٥٩٤٦] مسلم [٢٠٠].

(٤) (صحيح) البخاري [٧٠٣٦] مسلم [١٩٩].

وفيه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم{ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾} [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى رضى الله عنه{ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال:{**اللهم أمتي، وبكى، فقال الله** عز وجل **: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يبكيك، فأتاه جبريل** رضى الله عنه **فسأله، فأخبره رسول الله** ﷺ **بما قال وهو أعلم، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**}(١).

وفيه عنه رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:{**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت لـه الشفاعة**}(٢).

وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت لـه شفاعتي يوم القيامة**}(٣).

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل ، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله لـه في الشفاعة، وليس لـه أن يشفع إلا

(١) (صحيح) مسلم [٢٠٢].
(٢) (صحيح) مسلم [٣٨٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٥٨٩].

بعد أن يأذن الله لـه، وليس لـه أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى لـه أن يشفع فيه، كما قال تعالى:﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]،﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣]،﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]،﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]،﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦]،﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧]،﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨]،﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]،﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال تعالى في الكفار﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]،﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وقال عنهم﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠ - ١٠١] وقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وسيأتي في ذكر الأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذن ربه عز وجل ، ثم يسجد ويحمده بمحامد يعلمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن لـه ويقال: ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، وأنه يحد لـه حدّا فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك، وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن لـه ويحد لـه حدّا حتى ينجو جميع الموحدين، وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتى يؤذن لـه، إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود، والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة.

(لا كما يرى كل قبورى) نسبة إلى القبور لعبادته أهلها **(على الله افترى)** في ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التي هي ملك لله عز وجل لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك لـه فيها، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسماوات، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم، وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفي ويكفي ولله الحمد والمنة.

٢٠٦- يشفع أولا إلى الرحمن في ::: فصل القضاء بين أهل الموقف

٢٠٧- من بعد أن يطلبها الناس إلى ::: كل أولي العزم الهداة الفضلا

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي ذكر الله عز وجل لـه ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه لـه ﷺ بعد كل أذان، وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب قولـه تعالى:{عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا} [الإسراء: ٧٩] حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضى الله عنه يقول:{**إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**}[1].

وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واتفقا في سياق الحديث إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف، قالا حدثنا محمد ابن بشر حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال:{**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة**

(١) (صحيح) البخاري [٤٤٤١].

الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا رضي الله عنه فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ، فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى رضي الله عنه فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى رضي الله عنه : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى رضي الله عنه، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى رضي الله عنه : إن ربي قد

غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر لـه ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى}(١).

قال وحدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه فنهس نهسة فقال:{**أنا سيد الناس يوم القيامة**}، ثم نهس أخرى فقال:{**أنا سيد الناس يوم القيامة**}، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال:{**ألا تقولون كيف؟**} قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال:{**يقوم الناس لرب العالمين**} وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة، وزاد في قصة إبراهيم فقال: وذكر قولـه في الكوكب: هذا ربي، وقولـه لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا، وقولـه: إني سقيم، قال:{**والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة، قال لا أدري أى ذلك قال**}(٢)وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:{**يبعث الناس يوم**

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٤٣٥] مسلم [١٩٤].
(٢) (صحيح) مسلم [١٩٤].

القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي عز وجل **حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله تعالى أن أقول، فذلك المقام المحمود}**(١).

وسيأتي إن شاء الله تعالى في حديث أنس رضى الله عنه قولـه ﷺ :**{يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظة فيلهمون لذلك - فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدم..}**(٢) الحديث.

وتقدم في حديث الصور قولـه ﷺ :**{فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضي بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأتي ويقول: ما أنا بصاحب ذلك فيستقرئون الأنبياء نبيًا نبيًا نبيًا كلما جاؤوا نبيًا أبي عليهم، قال رسول الله ﷺ : حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدًا قال أبو هريرة: يا رسول الله ومالفحص؟ قال: قدام العرش، حتى يبعث الله إلى ملكًا فيأخذ بعضدي ويرفعني، فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم يا رب فيقول الله** عز وجل **: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم، قال الله تعالى: قد شفعتك أنا آتيكم أقضي بينكم..}** الحديث.

وروى الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه قال: حدثنى نبي الله ﷺ قال:**{إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى** رضى الله عنه، **فقال:**

---

(١) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٥٨٢١] من حديث: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عن جده كعب بن مالك، وفي سماع عبد الرحمن من جده خلاف، انظر تهذيب التهذيب [٤٣٥].

(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٧٨] مسلم [١٩٥].

هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون - أو قال يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم جاءهم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالركمة وأما الكافر فيغشاه الموت، فقال: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل، فأوحي الله عز وجل **إلى جبريل أن أذهب إلى محمد وقل لـه: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع..}**[1] الحديث، وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف:**{فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ }**[2].

* * *

(١) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٢٨٤٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٨٢٠].

فصل

اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة

٢٠٨- وثانيا يشفع في استفتاح ::: دار النعيم لأولي الفلاح

٢٠٩- هذا وهاتان الشفاعتان ::: قد خصتا به بلا نكران

هذه الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة، وقد جاء في الأحاديث أنها أيضًا من المقام المحمود، وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم، قال قتيبة حدثنا جرير عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :{**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**}(١) وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :{**أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**}(٢).

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن المختار بن فلفل قال: قال أنس بن مالك قال النبي ﷺ :{**أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصَدَّق نبي من الأنبياء ما صُدقت، وإن من الأنبياء نبيّا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**}(٣).

وحدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :{**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لاأفتح لأحد قبلك**}(٤).

---

(١) (صحيح) مسلم [١٩٦].
(٢) (صحيح) مسلم [١٩٦].
(٣) (صحيح) مسلم [١٩٦].
(٤) (صحيح) مسلم [١٩٧].

قال حدثنا محمد بن طريف بن خليفة البجلي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة رضى الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ :{**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب الجنة ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليلاً الله** عز وجل ، **قال فيقول: إبراهيم لست بصاحب ذلك، وإنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكليمًا فيأتون موسى** رضى الله عنه **فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه، فيقول عيسى** رضى الله عنه **: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدًا** ﷺ **فيقوم فيؤذن لـه، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط فيمر أولكم كالبرق..**}[1] الحديث، تقدم باقيه في الصراط.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عبيد الله ابن أبي جعفر قال: سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر قال سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم، وقال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد** ﷺ }[2].

وزاد عبدالله حدثني الليث قال حدثني ابن أبي جعفر:{**فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم**}[3] ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين:

---

(١) (صحيح) مسلم [١٩٥].
(٢) (صحيح) البخاري [١٤٠٥] مسلم [١٠٣].
(٣) (صحيح) البخاري [١٤٠٥].

الأولى في فصل القضاء، والثانية في استفتاح باب الجنة، وسمى ذلك كله المقام المحمود.

(**هذا**) أى ما ذكر (**وهاتان الشفاعتان**) المذكورتان اللتان هما المقام المحمود (**قد خصتا**) أى جعلهما الله تعالى خاصتين (**به**) أى بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحد غيره (**بلا نكران**) بين أهل السنة والجماعة، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار، وهي المشار إليها بقولنا:

٢١٠- وثالثا يشفع في أقوام ::: ماتوا على دين الهدى الإسلام

٢١١- وأوبقتهم كثرة الآثام ::: فأدخلوا النار بذا الإجرام

٢١٢- أن يخرجوا منها إلى الجنان ::: بفضل رب العرش ذي الإحسان

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضى الله عنه ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله عز وجل {أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾} [ص: ٢٨] عز وجل {أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾} [الجاثية: ٢١] وقول تعالى:{أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾} [القلم: ٣٥ - ٣٦]

وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: وقال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لست هناكم، قال ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها، ولكن ائتوا نوحًا أول نبي بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال: فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيّا، قال: فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعالى وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر الله لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله تعالى أن يدعني فيقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحدُّ لي حدّا فأخرج فأدخلهم الجنة**} قال قتادة: وقد سمعته يقول:{**فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت لـه ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدّا فأخرج فأخلهم الجنة**}

قال قتادة: وسمعته يقول:{**فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالث فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول، ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي فأخرج فأدخلهم الجنة**}.

قال قتادة: وقد سمعته يقول:{**فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن**} أى وجب عليه الخلود.

قال: ثم تلا هذه{عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا} [الإسراء: ٧٩].

قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعده نبيكم ﷺ (١).

وقال أيضًا: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا ـ وذكره مختصرًا وقال في الثالثة أو الرابعة ـ حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن**} وكان قتادة يقول عند هذا: أى وجب عليه الخلود(٢). ورواه مسلم من طرق بنحوه وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الربيع العتكي حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي. ح. وحدثنا سعيد بن منصور واللفظ لـه، حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحي، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتًا معه على سريره فقال: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة، قال: حدثنا محمد ﷺ قال:{**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون لـه: اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم**

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٠٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٩٧].

رضى الله عنه **فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى** رضى الله عنه **فإنه كليم الله، فيؤتى موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى** رضى الله عنه **فإنه روح وكلمته، فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله، ثم أخرُّ لـه ساجدًا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر لـه ساجدًا لـه، فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي** عز وجل **فأحمده تلك المحامد ثم أخر لـه ساجدًا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل}** هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبان: قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مُسْتَخْفٍ في دار أبي خليفة، قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا: يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة، قال: هيه، فحدثناه الحديث فقال: هيه، قلنا ما زادنا، قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع، ولقد ترك شيئًا ما أدري أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا، قلنا لـه: حدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه:{**ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر لـه ساجدًا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع**

تشفع، فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك - أو قال ليس ذاك إليك - ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله} قال: فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه أراه قال: قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع(1)، وقال أيضًا حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة وهشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ. ح. وحدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى قالا حدثنا معاذ وهو بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال:{**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة}** زاد ابن منهال في روايته: قال يزيد فلقيت شعبة فحدثته بالحديث فقال شعبة حدثنا به قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ بالحديث، إلا أن شعبة جعل مكان الذَّرة ذُرَة، قال يزيد صحف فيها أبو بسطام(2)، وقال رحمه الله تعالى: حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعني محمد بن أبي أيوب قال: حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنه يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال فقلت لـه: يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذا الذي تحدثون والله تعالى يقول{إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} [آل عمران: ١٩٢] و{كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا} [السجدة: ٢٠] فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال:

---

(١) (صحيح) مسلم [١٩٣].
(٢) (صحيح) مسلم [١٩٣].

فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد، أو كما قال أبو نعيم(1).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابرًا رضى الله عنه يقول سمعه من النبي ﷺ بأذنه يقول:{**إن الله يخرج ناسًا من النار فيدخلهم الجنة**}(2) وفي رواية لـه عن حماد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار:{**أسمعت جابر بن عبد الله** رضى الله عنه **يحدث عن رسول الله** ﷺ **أن الله يخرج قومًا من النار بالشفاعة؟ قال نعم**}(3)ورواه البخاري، وفي رواية لـه أن النبي ﷺ قال:{**يخرج قوم من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير**} قال الضغابيس وكان قد سقط فمه(4).

وقال حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال:{**يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع(5)، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين**}(6).

---

(1) (صحيح) مسلم [١٩١].
(2) (صحيح) مسلم [١٩١].
(3) (صحيح) مسلم [١٩١].
(4) (صحيح) البخاري [٦١٩٠].
(5) أي: سواد فيه زرقة أو صفرة، يقال: سفعته النار إذا لفحته فغيرت لون بشرته، الفتح [ج١١ - ص٤٣٧].
(6) (صحيح) البخاري [٦١٩١].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال:{**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**}(١).

وهذه الشفاعة الثالثة(٢) قد فسر بها المقام المحمود أيضًا كما في حديث أنس وحديث جابر رضى الله عنه فيكون المقام المحمود عامّا لجميع الشفاعات التي أوتيها نبينا محمد ﷺ لكن جمهور المفسرين فسروه بالشفاعتين الأوليين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره من عباد الله المكرمين، وأما هذه الشفاعة الثالثة فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين ولكن هو ﷺ المقدم فيها، ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، ثم بعده يشفع من أذن الله تعالى لـه من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأفراط كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو لـه أهل ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقوامًا بدون شفاعة الشافعين، ولذا قلنا في ذلك:

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٠١].

(٢) زاد المصنف رحمه الله في أنواع الشفاعة ثلاث أخر في كتابه (٢٠٠ سؤال في العقيدة) حاصلها: (أ) الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها (ب) الشفاعة في أهل الجنة لرفع درجاتهم (ج) الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار.
وزاد ابن أبي العز الحنفي على هذا: شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته، شفاعته ﷺ في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب.

٢١٣- وبعده يشفع كل مرسل ::: وكل عبد ذي صلاح وولى
٢١٤- ويخرج الله من النيران ::: جميع من مات على الإيمان
٢١٥- في نهر الحياة يطرحونا ::: فحما فيحيون وينبتونا
٢١٦- كأنما ينبت في هيآته ::: عب حميل السيل في حافاته

تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في طريق الرؤية قول النبي ﷺ :{**حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة..**}[١] الحديث تقدم بطوله - وتقدم حديث أبي سعيد المتفق عليه أيضًا بطوله - وفيه في نعت المرور على الصراط:{**حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غار في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا - ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا**} - قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرأوا:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا } [النساء: ٤٠]

(١) (صحيح) تقدم.

فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا، قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال لـه ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه(١)، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه}(٢) وفي لفظ مسلم:**{حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَ مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا بهم، يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا}** وكان أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾} [النساء: ٤٠] فيقول الله عز وجل :

(١) المراد بالخبر المنفي: ما زاد على أصل الإقرار بالشهادتين كما تدل عليه بقية الأحاديث فلا يفهم منه تجويز إخراج غير المؤمنين من النار. الفتح [ج١٣ - ص ٤٣٨].
(٢) (صحيح) تقدم.

{شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال لـه نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: ربنا أى شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا}(١) وفيهما من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال:**{يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء في رحمته ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حممًا قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية}**(٢).

وفي رواية لمسلم: كما تنبت الغثاءة في جانب السيل(٣).

ولـه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا**

---

(١) (صحيح) مسلم [١٨٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٢٢] مسلم [١٨٢].
(٣) (صحيح) مسلم [١٨٤].

عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية}[١].

وللترمذي عن أبي أمامة رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربي**} هذا حديث حسن غريب[٢].

ولـه عن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهط بإيلياء فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قيل: يا رسول الله، سواك؟ قال: سواي**} فلما قام قلت: من هذا؟ قالوا هذا ابن أبي الجذعاء. هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن أبي الجذعاء هو عبد الله، وإنما يعرف لـه هذا الحديث الواحد ورواه ابن ماجه[٣]، وللترمذي أيضًا عن أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، منهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة**} هذا حديث حسن[٤].

وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين**}[٥] ورواه ابن ماجة.

ولـه عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

(١) (صحيح) مسلم [١٨٥].
(٢) (سنده صحيح لغيره) الترمذي [٢٤٣٧] ابن ماجة [٤٢٨٦] أحمد [٢٢٢١٠].
(٣) (سنده صحيح) الترمذي [٢٤٣٨].
(٤) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٤٤٠] به عطية بن سعد العوفي: ضعيف.
(٥) (صحيح) البخاري [٦١٩٨] أبو داود [٤٧٤٠] ابن ماجة [٤٣١٥].

:**{خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، ترونها للمتقين، لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين}**[1].

ولـه عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{أتدرون ما خيرني ربي الليلة؟ قلنا: الله ورسوله ﷺ أعلم، قال: فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: هي لكل مسلم}**[2] ورواه الترمذي بلفظ:**{فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا}**[3].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّا مشهورة مستفيضة بل متواترة، وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية، وتقدم في أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة، وبقي من النصوص في هذا الباب كثير، وبالله التوفيق.

* * *

(١) (سنده قوي) ابن ماجة [٤٣١١].
(٢) (سنده حسن) ابن ماجة [٤٣١٧].
(٣) (سنده صحيح) الترمذي [٢٤٤١].

٢١٧- والسادس الإيمان بالأقدار ::: فأيقنن بها ولا تمار

٢١٨- فكل شيء بقضاء وقدر ::: والكل في أم الكتاب مستطر

والسادس من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر خيره وشره، قال الله تعالى:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩] وقال تعالى:{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } [الأحزاب: ٣٨] وقال تعالى:{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب: ٣٧] وقال تعالى: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١] وقال تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ} [آل عمران: ١٦٦] وقال تعالى:{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] وقال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾} [الليل: ٥ - ١٠] وقال تعالى:{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾} [الفاتحة: ١ - ٧].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: قرأت على مالك ابن أنس (ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون:{**كل شيء بقدر**} قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ :{**كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس**} أو:{**الكيس والعجز**}[١].

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٥٥].

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد ابن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٨ - ٤٩] ورواه الترمذي وابن ماجه(١)، وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب{وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨] حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها}**(٢).

حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال: كنت عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته وعنده سعد وأبي بن كعب ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها:**{لله ما أخذ ولله ما أعطى، كل بأجل، فلتصبر ولتحتسب}**(٣).

حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال: أخبرني عبد الله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله إنا نصيب سبيًا ونحب المال كيف ترى في العزل؟ فقال رسول الله ﷺ :**{أو إنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة}**(٤).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{لا يأتي ابن**

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٥٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٢٧].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٢٢٨].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٢٢٩].

آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدَّرته لـه أستخرج به من البخيل}[١].

وقال أيضًا: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ :**{لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدر لـه ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر لـه فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل}**[٢].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :**{المؤمن القويّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان[٣]}**[٤].

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنه في الترمذي وغيره قول النبي ﷺ لـه:**{واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك..}**[٥] الحديث.

والأحاديث في القدر كثيرة جدّا قد تقدم منها أشياء متفرقة وسندكر منها ما ييسره الله عز وجل في هذا الباب.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٣٥].

(٢) (صحيح) البخاري [٦٣١٦].

(٣) قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء: هَذَا النَّهْي إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ قَالَهُ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ حَتْمًا، وَأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ تُصِبْهُ قَطْعًا، فَأَمَّا مَنْ رَدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَة الله تَعَالَى بِأَنَّهُ لَنْ يُصِيبهُ إلا مَا شَاءَ الله، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا. (شرح مسلم للنووي).

(٤) (صحيح) مسلم [٢٦٦٤].

(٥) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٩٩] من حديث زيد بن ثابت.

فصل: واعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وهداناه وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره، وباطنه وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى{هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ} [الحشر: ٢٢] وقال تعالى:{لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا } [الطلاق: ١٢] وقال تعالى:{وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدَۢا} [الجن: ٢٨] وقال تعالى:{عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ } [سبأ: ٣] وقال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾} [النجم: ٣٠]،{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ } [النجم: ٣٢] وقال تعالى:{أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾} [الأنعام: ٥٣]،{أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ} [العنكبوت: ١٠] وقال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [البقرة: ٣٠] الآيات، وقال تعالى:{وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـٔٗا وَهُوَ خَيْرٞ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢١٦].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال:{**سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين**}(١).

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرني عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول:{**سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين: فقال الله أعلم بما كانوا عاملين**}(٢).

حدثني إسحاق أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين**}(٣).

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدّث عن عمران بن حصين قال:{**قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق لـه**} أو:{**لما يسر لـه**}(٤).

وقال رحمه الله أيضًا: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل أن رجلاً من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر إليه النبي ﷺ فقال:{**من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا**} فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٢٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٢٥].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٢٢٦].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٢٢٣] مسلم [٢٦٤٩].

من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال:{**وما ذاك؟**} قال: قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه، فقال النبي ﷺ عند ذلك:{**إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة**(١) **وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم**}(٢).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر ابن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مسقلة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا**}(٣).

حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت:{**توفي صبي فقلت طوبى لـه عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ : أولا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً**}(٤) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت:{**دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لـه عصفور من عصافير الجنة لم**

(١) الظاهر أن هذا جزاء من عمل بلا إخلاص لأن الله لا يظلم مثقال ذرة، وإنما كان الجزاء مخالفا للعمل لأن العمل فيما يبدو للناس، وذلك حتى لا ترد شبهة على بعض العقول من أنه كيف يجازي المرء بنقيض عمله، فالأمر ليس كذلك، وإنما كان ذلك بسبب خلل في العمل. والله أعلم.

(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٣٣].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٦١].

(٤) (صحيح) مسلم [٢٦٦٢].

يعمل السوء ولم يدركه، قال: أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم}[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم لـه عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم لـه عمله بعمل أهل الجنة}**[2].

قلت: وهذا الحديث وما في معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله تعالى قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الرحمن القاري - عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال:**{إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة}**[3] الحديث يفسر الأول أن عمل المختوم لـه بالشقاوة إذا ظهر صلاحه إنما هو فيما يبدو للناس.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به ما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم، فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال فقال أفلا يكون ظلما؟ قال ففزعت من ذلك فزعًا

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٦٢].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٦٥١].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٥١].

شديدًا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فقال لي: يرحمك الله تعالى إني لم أرد بما سألتك إلا حرز عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفي شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم؟ فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾} [الشمس: ٧ - ٨][1].

وفيه عن علي رضى الله عنه قال:**{كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسًا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا يا رسول الله فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ**{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾} [الليل: ٥ - ٦] إلى قوله:{فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾} [الليل: ١٠][2].

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملة في إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات.

فصل: المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، قال الله عز وجل :{مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ} [الأنعام: ٣٨] وقال تعالى:{وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ } [يس: ١٢] وقال تعالى:{ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾} [القمر: ٥٢ - ٥٣] وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾} [طه: ٥١ - ٥٢] وقال تعالى:{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾} [الحج: ٧٠]

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٥٠].
(٢) (صحيح) البخاري [١٢٩٦].

وقال تعالى:{۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ} [الأنعام: ٥٩] إلى قوله:{وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} [الأنعام: ٥٩] وقال تعالى:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١} [يونس: ٦١] وقال تعالى:{وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ } [فاطر: ١١] إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب، أو يذكر كل على حدته، وكتابه تعالى من علمه.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبدان بن أبي حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضى الله عنه قال:**{كنا جلوسًا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض وقال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ**{فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥} [الليل: ٥][(١)]الآية.

ورواه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وزهير ابن حرب وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ لزهير - قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضى الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال:**{ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة}**، قال فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال:**{من كان من**

(١) (صحيح) البخاري [٦٢٣١].

أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة} فقال:{**اعملوا فكل ميسر وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ:**{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)} [الليل: ٥ - ١٠]**}**[١].

وقال رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير (ح)وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال:{**جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ قال زهير ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت ما قال؟ فقال: اعملوا فكل ميسر}** وفي رواية قال رسول الله ﷺ :{**كل عامل ميسر لعمله}**[٢].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب{ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)} [الأنبياء: ٩٥]،{أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ} [هود: ٣٦]، {وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: ٢٧] وقال منصور بن النعمان عن عكرمة عن

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٤٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٦٤٨].

ابن عباس رضى الله عنه : وحرم بالحبشية وجب[١]، [٢]، حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنه قال:{**مارأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**}.

ورواه مسلم بهذا اللفظ[٣] وبلفظ قال ﷺ :{**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**}[٤].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا يونس حدثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه:{**ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال لـه رسول الله ﷺ يا غلام إني معلمك كلمات ينفعك الله بهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك**

---

(١) هذا إنما ساقه البخاري رحمه الله تعالى تفسيرا لمعنى (حرام) في آية الأنبياء، إذ المعنى على ذلك واجب محتم مقدر سلفا.

وقولـه (أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ) أَيْ لا يَتُوب مِنْهُمْ تَائِبٌ، قَالَ الطَّبَرِيُّ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أُهْلِكُوا بِالطَّبْعِ عَلَى قُلُوبهمْ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ عَنْ الْكُفْر، وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَمْتَنِع عَلَى الْكَفَرَة الْهَالِكِينَ أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ إِلَى عَذَاب الله.

قال ابن حجر: وَالأَوَّل أَقْوَى وَهُوَ مُرَاد الْمُصَنِّف بِالتَّرْجَمَةِ وَالْمُطَابِق لِمَا ذَكَرَ مَعَهُ مِنْ الآثَار وَالْحَدِيث. فتح [ج١١ - ص٥١١].

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر معلقا بصيغة الجزم.

(٣) (صحيح) البخاري [٦٢٣٨] مسلم [٢٦٥٧].

(٤) (صحيح) مسلم [٢٦٥٧].

لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف}.

ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن صحيح[1]، وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفى الأصبحي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال قلنا: إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا، ثم قال للذي في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فلأي شيء نعمل إذًا نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ : سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم بعمل الجنة وإن عمل أى عمل، وإن صاحب النار ليختم بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: فرغ** ربكم عز وجل **من العباد، ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: فريق في الجنة، ونبذ باليسرى فقال: فريق في السعير}.**

ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب[2]، وغير ذلك من الأحاديث كثير.

فصل: والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير:

الأول: التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم، كما قال ربنا تبارك وتعالى:{قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا} [التوبة: ٥١] الآية،

---

(١) (سنده صحيح) أحمد [٢٦٦٩] الترمذي [٢٥١٦] مسند أبي يعلى [٢٥٥٦].

(٢) (سنده حسن) أحمد [٦٥٦٣] الترمذي [٢١٤١] وبه أبو قبيل المعافري: مختلف فيه.

وقال سبحانه وتعالى:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ} [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال:{**اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن فقال إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها**}(١).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء**(٢)}(٣).

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٠١٩].

(٢) قَالَ الْعُلَمَاء: الْمُرَاد تَحْدِيد وَقْت الْكِتَابَة فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ أَوْ غَيْره، لا أَصْل التَّقْدِير، فَإِنَّ ذَلِكَ أَزَلِيّ لا أَوَّل لـــه وقولـــه: (وَعَرْشه عَلَى الْمَاء) أَيْ قَبْل خَلْق السَّمَاوَات وَالأَرْض. وَاَللَّه أَعْلَم. النووي [ج٨ - ص٤٥٤].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٦٥٣].

ولهما عن أبي هريرة حديث احتجاج آدم وموسى، وهذا اللفظ لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ :{**احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا، فبكم وجدت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأريعين عامًا، قال آدم فهل وجدت فيها**{وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ} [طه: ١٢١] قال: نعم، قال أفتلومني على أن عملت عملاً كتب الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة، قال رسول الله ﷺ :{**فحج آدم موسى**[1]}[2].

ولـه عندهما وغيرهما ألفاظ من طرق كثيرة.

وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا جعفر بن مسافر الهذلي حدثنا يحيى بن حسان حدثنا الوليد بن رباح عن إبراهيم ابن أبي عبلة عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما اخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد ظن كثير من الناس أن آدم احتج بالقدر السابق على نفي الملام على الذنب. ويجب تنزيه النبي ﷺ بل وجميع الأنبياء وأتباع الأنبياء أن يجعلوا القدر حجة لمن عصى الله ورسوله، ثم ساق رحمه الله الآراء المتهافتة حول هذا الحديث، وقال بعد كلام طويل: إذا عرف هذا. فنقول: الصواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل لا لأجل أن تارك الأمر مذنب عاص؛ ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يقل: لماذا خالفت الأمر ولماذا عصيت؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال تعالى: ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه " قال ابن مسعود أو غيره: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. الفتاوى [ج٨ - ص٣٠٣ - ٣٧١].

(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٤٠]مسلم [٢٦٥٢].

رسول الله ﷺ يقول:{**إن أول ما خلق الله القلم فقال لـه: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**} يابني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من مات على غير هذا فليس مني**}(١) وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت لـه: يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال: يا بني أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال فاقرأ الزخرف، قال فقرأت{حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾} [الزخرف: ١ - ٤] قال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض، فيه إن فرعون من أهل النار، وفيه تبت يدا أبي لهب وتب، قال عطاء فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته: ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال دعاني فقال: يا بني اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله تعالى حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإن مت على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**} هذا حديث غريب(٢).

---

(١) (سنده حسن لغيره) أبو داود [٤٧٠٠] وبسنده: حبيش بن شريح الحبشي أبو حفصة: مقبول انظر التقريب [١١١٦] ورواه أحمد [٢٢٧٥٧] من طريق آخر من حديث الوليد عبادة بن الصامت عن عبادة، ولكن بسنده: أيوب بن زياد الحمصي: ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [٨٧٩] دون جرح أو تعديل لـه، وذكره ابن حبان في الثقات [٦٧١٢] جريا على عادته في توثيق المجاهيل. والحديث رواه الطبراني في مسند الشاميين [١٦٠٨] وبه الوليد بن مسلم: مدلس وقد عنعن.

(٢) (سنده حسن لغيره) وانظر الحديث السابق، الترمذي [٢١٥٥] أبو داود الطيالسي [٥٧٧] مسند ابن الجعد [٣٤٤٤] وعلة هذا السند: عبد الواحد بن سليم البصري: ضعيف.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: قال أصبغ أخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله إني رجل شاب وأخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ :{**يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختصر على ذلك أو ذر**}(١) وغير ذلك من الأحاديث.

فصل: التقدير الثاني: من تقادير الكتابة كتابة الميثاق يوم ألست بربكم قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾} [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤] وقال تبارك وتعالى:{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾} [الأعراف: ١٠٢]. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله** عز وجل **خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول جف القلم على علم الله** عز وجل } حسنه الترمذي(٢).

---

(١) (سنده صحيح) رواه البخاري تعليقا بصيغة الجزم [٤٧٨٨] ورواه موصولا النسائي في الكبرى [٣٢١٥] من حديث الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة، ثم قال النسائي رحمه الله: الأوزاعي لم يسمع هذا الحديث من الزهري وهذا حديث صحيح قد رواه يونس عن الزهري، وقد رواه من طريق يونس عن الزهري بسند صحيح، أبو عوانه [٣٢٥٠] والبيهقي في الكبرى [١٣٢٤٣]، ورواه ابن بطة في الإبانة [١٩٩٦] والقدر للفريابي [٣٩٥]والآجري في الشريعة [٥٧٥] بسند صحيح من طريق أصبغ كما رواه البخاري.

(٢) (سنده صحيح) أحمد [٦٦٤٤].

وقال أحمد رحمه الله عز وجل : حدثنا هيثم وسمعته أنا منه قال حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي**}(١).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث - يعني ابن سعد - عن معاوية بن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ :{**يقول إن الله** عز وجل **خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي، قال فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر**}(٢).

وفي الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وحديث عبد الرحمن هذا رجاله رجال الصحيحين إلى الصحابي.

وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى عن زيد بن أنيسة عن عبدالحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل رضى الله عنه عن هذه الآية{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾} [الأعراف: ١٧٢] فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال رسول الله ﷺ :{**إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج**

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد [٢٥٧٢٨] أبو الربيع سليمان بن عتبة: به ضعف انظر تهذيب الكمال [٢٥٤٨].

(٢) (سنده حسن) أحمد [١٧٦٩٦] ابن حبان [ج٢ - ٣٣٨].

منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريه فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ قال فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتي يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار}(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن أبي حازم - عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً**{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾} [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣] صححه الحاكم(٢).

وروى ابنه عبد الله في زوائده على مسند أبيه حدثنا محمد بن يعقوب الربالي حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبي بن كعب رضى الله عنه في قول الله عز وجل :{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ} [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال:{**جميعهم فجعلهم أرواحًا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - قال فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم** رضى الله عنه **أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بذلك اعلموا أنه لا إله غيري**

(١) (سنده ضعيف) مالك في الموطأ [١٥٩٣] مسلم بن يسار لم يسمع من عمر رضى الله عنه.
(٢) (سنده حسن) أحمد في المسند [٢٤٥٥] النسائي في الكبرى [١١١٩١] الحاكم في المستدرك [٤٠٠٠] وبه كلثوم بن جبر: مختلف فيه، وهو من رجال مسلم.

ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئًا، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك، فأقروا بذلك..} الحديث، وقال الإمام الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه[١].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدى به؟ فيقول نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي، فأبيت إلا أن تشرك بي}** ورواه مسلم وغيره[٢].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد قدمنا منها جملة وافية في أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق، ولله الحمد والمنة.

فصل: التقدير **الثالث**: العمري عند تخليق النطفة في الرحم، فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، قال الله تبارك وتعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا } [الحج: ٥] الآيات، وقال تعالى:{ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ } [فاطر: ١١]

(١) (سنده لا بأس به) من زوائد عبدالله على المسند [٢١٢٧٠] الحاكم في المستدرك [٣٢٥٥].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٨٩] مسلم [٢٨٠٥].

وقال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾} [غافر: ٦٧] وقال تبارك وتعالى:{إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ} [النجم: ٣٢] وغيرها من الآيات.

وروى البخاري ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال: سمعت زيد بن وهب عن عبد الله - يعني ابن مسعود رضى الله عنه - قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:{**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات تكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**}(١) وهذا لفظ مسلم.

ولهما من حديث حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**وكل الله تعالى بالرحم ملكًا فيقول: أى رب نطفة، أى رب علقة، أى رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أى رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه**}(٢).

---

(١) (صحيح) البخاري [١٢٢٦] مسلم [٢٦٤٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣١٥٥] مسلم [٢٦٤٦].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره، فأتى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال لـه حذيفة بن أسيد الغفاري فحدَّثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال لـه الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إذا مرّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك، ثم يقول يا رب ما رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص**} وفي رواية لـه من طريق أخرى فيقول:{**يا رب أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكرًا أو أنثى، ثم يقول: يا رب أسويّ أو غير سويّ فيجعله الله سويّا أو غير سويّ، ثم يقول: يا رب ما رزقه، ماأجله، ما خلقه؟ ثم يجعله الله تعالى شقيّا أو سعيدًا**}(١).

وفي رواية لأحمد:{**فيقول يا رب ماذا أشقي أم سعيد؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيكتبان، فيقول: ماذا أذكر أم أنثى؟ فيقول الله** عز وجل **فيكتبان، فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص**}(٢).

ولـه عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :{**إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يومًا أو أربعين ليلة بعث الله إليه ملكًا فيقول يا رب ما**

(١) (صحيح) مسلم [٢٦٤٥].
(٢) (إسناده صحيح) أحمد [١٦١٨٧] من حديث: حذيفة بن أسيد رضى الله عنه .

رزقه فيقال لـه، فيقول يا رب ما أجله فيقال لـه، فيقول يا رب ذكر أم أنثى؟ فيعلمه، فيقول يا رب شقي أو سعيد؟ فيعلمه}(١) تفرد به وإسناده حسن.

ولـه عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**فرغ الله إلى كل عبد من خمس: من أجله ورزقه وأثره وشقي أم سعيد}**(٢) والأحاديث في ذلك كثيرة.

فصل: والرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر، يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله، قال الله تبارك وتعالى:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾} [الدخان: ١ - ٥] الآيات.

قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم، وقال سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم، وقال الحسن البصري: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان(٣)، قال مقاتل: يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة، قال أبو عبد الرحمن السلمي: بقدر أمر السنة

---

(١) (صحيح لغيره) أحمد في المسند [١٥٣٠٤] وسند حديث جابر رضى الله عنه: عند أحمد به ضعف، علته: خصيف بن عبد الرحمن الجزري: صدوق سيء الحفظ خلط بأخره انظر التقريب [١٧١٨].

(٢) (إسناده حسن) أحمد [٢١٧٧١].

(٣) قال السيوطي في الدر المنثور [ج٧ - ص ٣٩٩] رواه محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، انظر ابن أبي حاتم في تفسيره [١٨٥٢٧] وقيام الليل لمحمد بن نصر [٣٢].

كلها في ليلة القدر، وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية: إنك لترى الرجل غشى في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، وروى عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبه أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها، والأثار في ذلك عن الصحابة وائمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة.

فصل: والخامس: التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى:{يَسْأَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩)} [الرحمن: ٢٩] وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب بن عبدالله بن منيب الأزدي عن أبيه قال:{**تلا رسول الله ﷺ هذه الآية**{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ} فقلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال:{**أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين**}(١).

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**قال الله** عز وجل {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ} قال:{**من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع مقامًا ويضع آخرين**}(٢) وعلقه البخاري موقوفًا.

وروى البزار عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ} قال:{**يغفر ذنبًا ويكشف كربًا**}(٣).

---

(١) (إسناده ضعيف ومرسل) ابن جرير في تفسيره [ج١١ - ص٥٩١] الطبراني في الأوسط [٦٦١٩] الآحاد والمثاني [٢٣١٦].

(٢) (سنده ضعيف) ابن ماجه [٢٠٢] ابن حبان [٦٨٩] المعجم الأوسط [٣١٤٠] به وزير بن صبيح الشامي: به ضعف، قال دحيم: ليس بشيء، انظر تهذيب الكمال [٦٦٨٥] وذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم موقوفا على أبي الدرداء [٤٥٩٧] ورواه متصلا وموقوفا البيهقي في الشعب [١١٠٢].

(٣) (سنده ضعيف جدا) مسند البزار [٦١٧٤] من رواية محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه وكلاهما ضعيف.

ولـه هو وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنه : إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور، كتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء(١).

وروى ابن أبي حاتم عن سويد بن جبلة الفزاري قال: إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقابًا ويعطي رغابًا، ويقحم عقابًا.

وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} قال: من شأنه أن يجيب داعيًا، أو يعطي سائلاً، أو يفك عانيًا، أو يشفي سقيمًا.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعيًا ويكشف كربا، ويجيب مضطرًا ويغفر ذنبًا، وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض يحيي حيّا ويميت ميتًا، ويربي صغيرًا ويفك أسيرًا، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم، وقال الحسين بن فضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت، وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم لـه إلى العبيد بر جديد.

وذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين: من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قومًا ويذل قومًا ويشفي مريضًا ويفك عانيًا ويفرج مكروبًا ويجيب داعيًا ويعطي سائلاً ويغفر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء، وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه، في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه، لا يتقدمه

(١) (إسناده ضعيف) ابن جرير في تفسيره [ج١١/ص٥٩١] الحاكم [٣٩١٧/٣٧٧١] وبسندهما: أبو حمزة الثمالي: قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: ليس بشـــيء، انظر تهذيب الكمال [٨١٩] ولأبي حمزة هذا متابعة في روايته عن سـعيد بن جبير من: بكير بن شـهاب الكوفي: وهو مقبول كمـا في التقريـب [٧٥٧] رواه من طريق بكير الطبراني في الكبير [١٠٦٠٥] وباقي رواته ثقات.

ولا يتأخره، كما أن في الآخره يأتي تأويل الجزاء الموعود إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشر، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، ولهذا قال سفيان بن عيينة فيما ذكره عنه البغوي رحمه الله تعالى: الدهر كله عند الله يومان: أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعني وغير ذلك، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب. اهـ

ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين، والإمام المبين هو من علم الله عز وجل ، وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عز وجل ، فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته{ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾} [النجم: ٤٢].

فصل: والمرتبة الثالثة: من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة{إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [يس: ٨٢] وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه{وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ} [الأنعام: ٣٥]،{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً} [هود: ١١٨]،{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} [يونس: ٩٩]،{أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد: ٣١]،{وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟} [البقرة: ٢٥٣]،{ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾} [السجدة: ١٣] فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا } [فاطر: ٤٤].

فصل: والمرتبة الرابعة مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرّة في السماوات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى عن إعادته، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

فصل: وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا عليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة، ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله عز وجل ، ولا يفعلون إلا بجعله إيّاهم فاعلين، كما جمع تعالى بين ذلك في غير ما موضع من كتابه كقوله عز وجل{ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾} [الأعراف: ١٧٨] وقال تعالى:{إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾} [الإنسان: ٢٩ - ٣٠] وقال تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾} [التكوير: ٢٧ - ٢٩] وقال تعالى:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ } [البقرة: ٢٨٦] الآية، وقال تعالى:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا} [الطلاق: ٧] وقال تعالى:{ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾} [الزخرف: ٧٢] أى بسببه، وقال تعالى:{وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٤] وقال النبي ﷺ :

{الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهد الله فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هادي لـه}(١).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب{وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [الأعراف: ٤٣]،{لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [الزمر: ٥٧] حدثنا أبو النعمان أخبرنا جرير هو ابن حازم عن أبي إسحاق عن البراءبن عازب رضى الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول:**{والله لولا الله ما اهتدينا، ولا صمنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لا قينا، والمشركون قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا}**(٢).

وقال ﷺ في الحمر:**{ما أنزل الله عليَّ فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة**{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨} [الزلزلة: ٧ - ٨]**}**(٣).

وغير ذلك ما لا يحصى، وقد تقدم منها جملة وافيه في إثبات الإرادة والمشيئة والخلق، فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم، تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم ليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وفعله، كما ليسوا هم إياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم، حقيقة، وهي من آثار أفعال الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة، فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة، والله تعالى هاد

---

(١) (سنده صحيح) الترمذي [١١٠٥] النسائي [٣٢٧٧] ابن ماجة [١٨٩٢] من حديث ابن مسعود رضى الله عنه، ورواه أحمد في المسند [٢٧٤٩] من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

(٢) (صحيح) البخاري [٦٢٤٦] مسلم [١٨٠٣].

(٣) (صحيح) البخاري [٢٢٤٢] مسلم [٩٨٧].

حقيقة، والعبد مهتد حقيقة، ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين إلى من قام به فقال عز وجل {مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ} [الكهف: ١٧] فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، وكما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي، فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء، وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالاً حقيقة، وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جل وعلا{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢} [التغابن: ٢] أى هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كونًا لا شرعًا، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال تعالى:{وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة، وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة، والله تبارك وتعالى هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها، والمقصود أن الله سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة، والعبد منفعل حقيقة، فمن أضاف الفعل والانفعال كليهما إلى المخلوق كفر، ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافها الله تعالى فهو المؤمن حقيقة، فالأول قول القدرية النفاة، وأول من أحدثه في هذة الأمة معبد الجهني في آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر في سياق حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن الدين، وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة وأئمة التابعين وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفَّروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضًا بمجانبته والفرار من مجالسته، ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التي انتحلها هو رؤوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن

عبيد ومن في معناهم وعلى طريقتهم حتى بالغ بعضهم فأنكر علم الله تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم، ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة، فأما واصل بن عطاء فقال فيه أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر، قال الذهبي: كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة، ومما قيل فيه:

ويجعل البر قمحا في تصرفه ::: وخالف الراء حتى احتال للشعر[١]

ولم يطق مطرا في القول يجعله ::: فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر

وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم، هلك سنة إحدى وثلاثين ومائة.

وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان - ويقال ابن كيسان - التيمي مولاهم أبو عثمان البصري من أبناء فارس، قال ابن كثير: هو شيخ القدرية والمعتزلة، روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس وأبي العالية وأبي قلابة، وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث بن سعيد، وهارون بن موسى ويحيى القطان ويزيد بن زريع قال الإمام أحمد: ليس بأهل أن يحدث عنه، وقال علي بن المديني ويحيى بن معين: ليس بشيء وزاد ابن معين: وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع وقال الفلاس: متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه، وكان ابن مهدي لا يحدث عنه، وقال أبو حاتم: متروك، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال شعبة عن يونس بن عبيد: كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث، وقال حماد بن سلمة قال لي حميد: لاتأخذ عنه

---

(١) يشير الشاعر في هاتين البيتين إلى ما عرف عن واصل بن عطاء المعتزلي من عيب في لسانه، فكان لا ينطق الراء صحيحة، وأثر عنه أنه كان يتلاشى حرف الراء في خطبه، المقصود بقول الشاعر - يجعل البر قمحا - فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر.

فإنه كان يكذب على الحسن البصري، وكذا قال أيوب وعوف بن عون، وقال أيوب: ما كنت أعدُّ لـه عقلاً، وقال مطر الوراق: والله لا أصدقه في شيء، وقال ابن المبارك: إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر، وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه، قال الحسن البصري: هذا سيد شباب القراء مالم يُحْدِث، قالوا فأحدث والله أشد الحدث، وقال ابن حبان كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهمًا لا تعمدًا، وقد روى عنه أنه قال: إن كانت:{تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ} [المسد: ١] في اللوح فما تعد منه على ابن آدم حجة، وروى لـه حديث ابن مسعود: حدثنا الصادق المصدوق:{**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما - حتى قال - فيؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**} إلى آخره فقال: لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ما على هذا أخذت علينا الميثاق، وهذا من أقبح الكفر، لعنه الله إن كان قال هذا، وإذا كان مكذوبًا عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه، وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

أيها الطالب علما ::: إئت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم ::: ثم قيده بقيد
وذر البدعة من ::: آثار عمرو بن عبيد

وقال ابن عدي: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جدّا معلن بالبدع، وقال الدارقطني: ضعيف الحديث، وقال الخطيب البغدادي: جالس الحسن واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى.

ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به، ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات، ثم افترقوا في أفعال الله كما افترقوا في علمه، ففرقة قالت: كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة لـه، لا خيرها ولا شرها، والأخرى قالت: الخير من أفعالهم مخلوق لـه تعالى ومقدور لـه، وأما الشر فليس عندهم مخلوقًا لله ولا مقدورًا لـه، فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه، وأثبتوا خالقين، فهم في الحقيقة مجوس ثنوية، بل أعظم منهم، فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين، ولولا تناقضهم لكانوا أكفر من المجوس، فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه وأنها ليست داخلة في ربوبيته عزوجل، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد ويريد ما لا يكون، وأنهم أغنياء عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستشهدونه الصراط المستقيم، فقول إياك نعبد وإياك نستعين وقول لا حول ولا قوة إلا بالله لا معنى لـه عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قولـه تعالى{مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ } [الأنعام: ٣٩] هذا مع إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا.

فصل: والقول الثاني: وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف كالهاوي من أعلى إلى أسفل، وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده - من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي - كتكليف الحيوان البهيم بالطيران وتكليف المقعد بالمشي وتكليف

الأعمى بنقط الكتاب، وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم، وإن ذلك كتعذيب الطويل لِمَ لَمْ يكن قصيرًا والقصير لِمَ لَمْ يكن طويلاً والأسود لِمَ لَمْ يكن أبيض والأبيض لِمَ لَمْ يكن أسود، فسلبوا العبد قدرته واختياره، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدله وشرعه، فلا قيام عندهم لسوق الجهاد، ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل مالا يطاق والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرما فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيرًا وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته، هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرًا من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله، فمن ذلك قول بعضهم:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ::: إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول آخر قبحه الله:

دعاني وسدَّ الباب عني فهل إلى ::: دخولي سبيل بينوا لي قضيتي

وقول كافر آخر فضَّ الله فاه:

وضعوا اللحم للبزا ::: ة على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ ::: خلعوا عنهم الرسن
لو أرادوا صيانتي ::: ستروا وجهك الحسن (١)

وقال بعضهم وقد ذكر لـه من يخاف لـه ومن يخاف إفساده فقال: لي خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره، وصعد رجل يومًا على سطح دار لـه فأشرف على غلام لـه يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك، فقال لعلمك بالقضاء والقدر أحب الي من كل شيء، أنت حر لوجه الله، ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول: القضاء والقدر، فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوه تركت السنَّة وأخذت بمذهب ابن عباس، فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال: لولاك لضللتُ، ورأى آخر رجلاً يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاء الله وقدره، فقال: الخيرة فيما قضى الله، فلقب بالخيرة فيما قضى الله، وكان إذا دعى به غضب، وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول{وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ} [الزمر: ٧]؟ فقال: دعنا من هذا، رضيه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيره، ولقد بالغ بعضهم في ذلك حتى قال: القدر عذر لجميع العصاة، وإنما مثلنا في ذلك كما قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم ::: وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وبلغ بعض هؤلاء أن عليّا مرَّ بقتلى النهروان فقال: بؤسًا لكم، لقد ضركم من غركم، فقيل: من غرَّهم؟ فقال: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء

(١) البزاة: جمع البازي، وهو اسم طائر جارح. الرسن: يعني الحبل.
وحاصل معنى الأبيات من قائلها - قبحه الله - أن من يضع اللحم في مكان ظاهر لا يلوم الطائر إن صاده، كذلك فمن يخلق الشر لا يلوم فاعله، وهو بذلك ينفي إرادة العبد، ونهاية الكلام كفر، نعوذ بالله من ذلك.

والأماني، فقال هذا القائل: كان علي قدريًا، وإلا فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد، واجتمع جماعة من هؤلاء يومًا فتذاكروا القدر، فجرى ذكر الهدهد وقوله{وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ} [النمل: ٢٤] فقال: كان الهدهد قدريا، أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله، وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس{مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] أيمنعه ثم يسأله ما منعه؟ قال: نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه، قال له: فما معنى قوله عز وجل { وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ} [النساء: ٣٩] إذا كان هو الذي منعهم؟ قال: استهزاء بهم، قال: فما معنى قوله{مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ} [النساء: ١٤٧] قال: فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه، بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى، وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله فقال: إن كنت عاصيًا لأمره فأنا مطيع لإرادته، وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللوم؟ ولو خلى لسجد، ولكن منع، وأخذ يقيم عذره، فقال بعض الحاضرين: تبا لك سائر اليوم؟ أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن؟ وجاء جماعة إلى منزل رجل من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنت أصلح بين قوم، فقيل له: وأصلحت بينهم؟ قال: أصلحت إن لم يفسد الله، فقيل له: بؤسًا لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك، ومرّ بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها، وقيل لبعضهم: أترى الله كلف عباده ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه؟ قال: والله قد فعل ذلك، ولكن لا نجسر أن نتكلم، وقال بعض هؤلاء: ذنبة أذنيها أحب إلى من عبادة الملائكة، قيل: ولم؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها عليَّ وقدرها، ولم يقضها إلا والخيرة لي فيها، وقال بعض هؤلاء: العارف لا ينكر منكرًا لاستبصاره بسر الله في القدر، قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

الله يقول: عاتبت بعض شيوخ هؤلاء، فقال لي المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأي شيء أبغض منه؟ قال فقلت له: إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من في الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببتهم أنت وواليتهم، أكنت وليّا للمحبوب، أو عدوّا له؟ قال فكأنما ألقم حجرًا، وقرأ قارئ بحضرة بعض هؤلاء{ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ } [ص: ٧٥] فقال: هو الله منعه، ولو قال إبليس ذلك لكان صادقًا، وقد أخطأ إبليس الحجة، ولو كنت حاضرًا لقلت له: أنت منعته، وسمع بعض هؤلاء قارئًا يقرأ{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ } [فصلت: ١٧] فقال: ليس من هذا شيء، بل أضلهم وأعماهم اهـ. إلى أن قال: فيقال: الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقّا الذين ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق به، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه وأساءوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماء الله حقّا الذين جاء فيهم الحديث:{**يقال يوم القيامة أين خصماء الله؟ فيؤمر بهم إلى النار**}(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تائيته:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم ::: إلى النار طرًا فرقة القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا ::: به الله أو ماروا به للشريعة

وقال وسمعته يقول: القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث: نفاته وهم القدرية المجوسية، والمعارضون به للشريعة الذين قال:{لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا } [الأنعام: ١٤٨] وهم القدرية المشركون، والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداء الله تعالى وخصومه وهم القدرية

(١) (إسناده ضعيف) عند الطبراني في الأوسط [٧١٦٢] وابن أبي عاصم في السنة [٢٦٦] والقضاء والقدر للبيهقي [٣٧١] قال أبو حاتم في العلل [٢٨١٠] هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وَحَبِيبُ بْنُ عُمَرَ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ، مَجْهُولٌ، لَمْ يَرْوِي عَنْهُ غَيْرُ بَقِيَّةَ. ولفظ الحديث عندهم (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَلا لِيَقُمْ خُصَمَاءُ اللَّهِ وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ).

الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال{بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي } [الحجر: ٣٩] ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم، فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومن برأ نفسه واحتج بالقدر فقد أشبه إبليس، ثم ساق كلامًا طويلاً في فرق القدرية وضلالهم إلى أن قال رحمه الله تعالى: فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إما في جميع تركتهم وإما في كثير منها وإما في جزء منها، وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيهم ﷺ وأصحابه رضى الله عنه، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنه هو الذي جعل المؤمن مؤمنًا والمصلي مصليًا والمتقي متقيًا، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره وأئمة الضلالة يدعون إلى النار، وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها، وأنه يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وأنه هو الذي وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به، ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه، وأنه من يهده الله فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هاد لـه، وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعًا إيمانًا يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

والقضاء والقدر عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى: الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم، الثانية: كتابته ذلك في الذكر عنده قبل خلق السماوات والأرض، الثالثة: مشيئة المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج لـه عن علمه، الرابعة: خلقه لـه وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء، فالخلق

عندهم واحد وما سواه فمخلوق، ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق، ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيم في كل ما فعله وخلقه، وإن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هي التي اقتضت صدور ذلك وخلقه، وإن حكمته حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقولـه نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها، بل هي أمر وراء ذلك، وهي الغاية المحبوبة لـه المطلوبة التي هي متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وأسعد وأشقى وأضل وهدى ومنع وأعطى، وهذه الحكمة هي الغاية والفعل وسيلة إليها، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفي للغايات وهو محال، إذ نفي الغاية مستلزم لنفي الوسيلة، فنفي الوسيلة وهي الفعل لازم لنفي الغاية وهي الحكمة ونفي قيام الفعل والحكمة به نفي لهما في الحقيقة إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا يقوم بالحكيم شيء لا يعقل، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته، وهذا لازم لمن نفى ذلك ولا محيد لـه عنه وإن أبى التزامه، وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءت به الرسل لم يلزم من قولـه محذور ألبته بل قولـه حق ولازم الحق حق كائنًا ما كان.

والمقصود أن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر والحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب تعالى وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي وصدقوا بالوعد والوعيد، فآمنوا بالخالق الذي من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة، وبالأمر الذي من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوهما بنفي لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصبة في هذا الميراث النبوي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

انتهى ما سقنا من كلامه رحمه الله تعالى، وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده فشفى وكفى، رحمه الله تعالى.

والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر، وانفكاك أحدهما من الآخر محال، فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وطعن في حكمته وعدلـه، وانتقد عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب، وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها، وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين - الحكيم في خلقه وشرعه، العدل في قولـه وفعله وحكمه - إلى البعث والظلم في ذلك كله، وكذلك الانقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يغني عنك شيئًا، تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوًا كبيرًا، بل الإيمان بالقدر، خيره وشره، هو نظام التوحيد، كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل لـه: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال:**{لا اعملوا فكل ميسر لما خلق لـه}**[1] فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعاني ربوبيته، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقًا لها، فأثبت خالقًا مع الله تعالى، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون، ومن أثبته محتجّا به على الشرع محاربًا لـه به نافيًا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعمًا أن الله تعالى كلف عباده ما لا يطاق

(١) (صحيح) تقدم تخريجه.

فقد نسب الله تعالى إلى الظلم والى العبث وإلى ما لا يليق به، ورجح حجة إبليس وأثبتها وأقام عذره، وكان هو إمامه في ذلك إذ يقول{رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي } [الحجر: ٣٩] وأما المؤمنون حقًّا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق غيره ولا رب سواه، وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويصدقون خبر الكتاب والرسول، ويحكمونه في أنفسهم سرّا وجهرًا، وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله{هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ } [النجم: ٣٠] وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركًا لا على القدر، ويعزُّون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب، فإذا وقفوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا الحمد لله الذي هدانا سبلنا{وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [الأعراف: ٤٣] ولم يقولوا كما قال الفاجر{إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ } [القصص: ٧٨] وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان{رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ } [الأعراف: ٢٣] ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله{رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي } [الحجر: ٣٩] وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين{ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾} [البقرة: ١٥٦] ولم يقولوا كما قال الذين كفروا{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾} [آل عمران: ١٥٦].

فصل: واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها

وجفوف القلم بها فقيل لـه: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال:{**لا، اعملوا فكل ميسر**} ثم قرأ{فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾} [الليل: ٥ - ١٠] كما في الأحاديث التي قدمنا وغيرها، فالله سبحانه وتعالى قدَّر المقادير وهيأ لها أسبابًا وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه لـه في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ لـه ميسر لـه، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادًا في فعلها والقيام بها وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببًا في وجود الزرع، والنكاح سببًا في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة، والعمل السيء سبب في دخول النار، وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر:{**ما كنت بأشد اجتهادًا مني الآن**}[١] وقال النبي ﷺ في الحديث المتقدم:{**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل**} وفي المسند والترمذي وابن ماجه من حديث الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل تردُّ من قدر الله شيئًا؟ قال:{**هي من قدر الله**}[٢] يعني أن الله تبارك وتعالى قدَّر الخير والشر وأسباب كل منهما. * * *

---

(١) (إسناده صحيح) ابن حبان [ج٢ - ٣٣٧] من قول سراقة بن جعشم رضى الله عنه ولفظه: (فلا أكون أبدا أشد اجتهادا في العمل مني الآن).

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٢١٤٨]ابن ماجة [٣٤٣٧] أبو خزامة وقيل ابن أبي خزامة: مجهول.

تقدم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن هذه الآية:{ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٧ - ٤٩] أنها نزلت في المخاصمين في القدر، وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من روايتهم سؤال جبريل عن الدين وغير ذلك من الأحاديث التي سقناها متفرقة في مواضع من هذا المجموع، وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم قال حدثني بمنى عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**}(١).

ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال:{**لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم.. إلخ**}(٢).

وفي رواية:{**إن لكل أمه مجوسًا وإن مجوس أمتي المكذبون بالقدر.. إلخ**}(٣).

ولـه عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**سيكون في هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية**}(٤).

ولـه عن نافع قال: كان لابن عمر رضى الله عنه صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من

(١) (إسناده حسن) أبو داود [٤٦٩١] الحاكم [٢٨٦] وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر و لم يخرجاه، وكذا قال الذهبي في التلخيص.

(٢) (سنده ضعيف) أحمد [٥٥٨٤] عمر بن عبد الله: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف) أحمد [٦٠٧٧] من حديث عبد الله بن عمر، علته كسابقه، وله شاهد عند ابن ماجة [٩٧] باب القدر، من حديث جابر بن عبد الله، وهو ضعيف أيضا.

(٤) (سنده ضعيف) الترمذي [٢١٥٣] أحمد بن حنبل [٥٨٦٧] به: رشدين بن سعد: ضعيف.

القدر، فإياك أن تكتب إلى فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر**}[1].

وللترمذي عن نافع عنه رضى الله عنه جاءه رجل فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام، فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**في هذه الأمة - أو في أمتي - الشك منه - خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر**} هذا الحديث حسن صحيح غريب[2].

وقال أبو داود رحمه الله تعالى أيضًا: حدثنا محمد بن أبي كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال**}[3].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الله بن يزيد المقري أبو عبد الرحمن قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني عطاء بن دينار عن حكيم ابن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الحرشي عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**}[4] صحيح.

---

(١) (سنده حسن) أبو داود [٤٦١٣] أحمد [٥٦٣٩] وبه: أبو صخر حميد بن زياد: مختلف فيه.

(٢) (سنده حسن) الترمذي [٢١٥٢] ابن ماجة [٤٠٦١] وبه حميد بن زياد أيضا.

(٣) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٦٩٢] أحمد [٢٣٥٠٣] لجهالة الراوي عن حذيفة، وضعف عمر مولى غفرة.

(٤) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٧١٠/٤٧٢٠] أحمد ٢٠٦] به: الحكيم بن شريك الهذلي مجهول، انظر التقريب.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبي سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت لـه: وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله عذَّب أهل سمواته وأهل أرضه عذَّبهم وهو غير ظالمهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي مثل ذلك(١)، وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه في ذلك.

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا محمد بن فضيل عن القاسم بن حبيب وعلي بن نزار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية**} هذا حديث حسن غريب(٢).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش عن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر**}(٣).

---

(١) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٩٩].

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٢١٤٩] ابن ماجة [٧٣/٦٢] وعلته: القاسم بن حبيب وعلي بن نزار كلاهما ضعيف، وكذلك نزار بن حيان: ضعيف. وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند الطبراني في الأوسط [٥٥٧٨] وهو الآخر ضعيف. وشاهد آخر من حديث جابر عند الطبراني في الأوسط [٦٠٦٥] وبه: قرين بن سهل بن قرين عن أبيه عن ابن أبي ذئب، قال الأزدي: كذاب، وأبوه لا شيء، انظر لسان الميزان [١٤٨٧].

(٣) (سنده رواته ثقات، وأعله الدارقطني) الترمذي [٢١٤٥] أحمد [١١١٢/٧٥٨] ابن حبان

وقال رحمه الله تعالى: باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر، حدثنا عبد الله بن معاوية الجنحي أنبأنا صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**}(١).

ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:{**خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم، قال فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله** صلى الله عليه وسلم **لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده**} ورواه ابن ماجه(٢).

ولأحمد عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ :{**قال لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذّب بقدر**}(٣).

ولـه عن محمد بن عبيد المكي عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قيل لابن عباس رضى الله عنه إن رجلاً قدم علينا يكذِّب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ قد عمى، قالوا وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده

---

[١٧٨] الطيالسي [١٠٦] أبو يعلى [٣٥٢] وفي علل الدراقطني [٣٥٧] قال: حدث به شريك، وورقاء، وجرير، وعمرو بن أبي قيس عن منصـــور عن ربعي عن علي رضـــى الله عنه، وخالفهم سـفيان الثوري، وزائدة، وأبو الاحوص، وسـليمان التيمي فرووه عن منصـور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن عليرضى الله عنه. انظر مسند أحمد [١١١٢].

(١) (إسـناده ضـعيف) الترمذي [٢١٣٣] أبو يعلى [٦٠٤٥] علته: صـالح المري ضـعيف. ويشـهد له الحديث التالي.

(٢) (إسناده حسن) أحمد [٦٦٦٨].

(٣) (إسناده حسن) أحمد في المسند [٢٧٥٢٤] ابن ماجة [٣٣٧٦] ومداره على سليمان بن عتبة الدمشقي، فيه كلام، وحديثه حسن.

لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي

لأدقنها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن مشركات هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرًا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرّا**}(1).

وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات{ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٧ - ٤٩] إلا في أهل القدر(2)، ولابن أبي حاتم عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية{ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٨ - ٤٩] قال:{**نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله**}(3).

وروى الحسن بن عرفة عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت لـه: تكلم في القدر، فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم{ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾} أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين(4).

* * *

---

(١) (إسناده ضعيف) أحمد [٣٠٥٥] وعلته إبهام الراوي عن محمد بن عبيد.

(٢) (إسناده ضعيف) مسند البزار [٥٤٦٧] علته/ يونس بن الحارث: ضعيف.

(٣) ابن أبي حاتم [١٨٧١٤] معرفة الصحابة لأبي نعيم [٢٧١١] الطبراني في الكبير [٥٣١٦] وسنده ضعيف لجهالة بعض رواته.

(٤) (رواته ثقات) ابن أبي حاتم [١٨٧١٥] القضاء والقدر للبيهقي [٣٤٨] وعلته عبد الملك بن جريج مدلس وقد عنعن.

ذكر أقوال الصحابة في هذا الباب

تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر، وقول أبيٍّ بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت لابن الديلمي، ووصية عبادة بن الصامت لابنه.

وروى عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب، قال ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، ولـه عنه فكتب فيما كتب{تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ} [المسد: ١][١].

ولـه عنه قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم، قال هذا فلان وهذا فلان، ثم قبض قبضتين فقال للتي في يمينه: أدخلوا الجنة، وقال للتي في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي[٢].

ولـه عنه قال: إن الرجل ليمشي في الأسواق وإن اسمه لفي الموتى[٣].

ولـه عنه{يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ} [الرعد: ٣٩] قال: إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت[٤].

ولـه عنه إن أول ما خلق القلم فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق فالكتاب عنده، ثم قرأ{ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾} [الزخرف: ٤][٥].

(١) (إسناده صحيح بالشواهد) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٧٢/٨٧١] والأسماء والصفات للبيهقي [٨٠٤] والحاكم [٣٧٩٩] وتفسير ابن أبي حاتم [٦٩٠٥].

(٢) (رواته ثقات) عبد الله بن أحمد في السنة [٨٧٦] الإبانة الكبرى لابن بطة [١٣٣٢/١٦٠١/١٦٢٠] الرد على الجهمية لابن منده [٤٢] كلهم من طريق حبيب بن أبي ثابت: ثقة مدلس، ولم أقف له بتصريح سماع أو تحديث.

(٣) (سنده صحيح) مصنف عبد الرزاق [٧٩٢٦] الحاكم في المستدرك [٣٦٧٨] السنة لعبد الله بن أحمد [٨٨٧] وبالإسناد هشيم، وهو مدلس.

(٤) (لإسناده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٩٧] تفسير الطبري [٢٠٤٦٦] البيهقي في الشعب [٣٦٦٦] به: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: ضعيف.

(٥) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٩٨].

ولـه عن عكرمة قال: سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: إن سليمان نزل منزلاً فلم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد مهندسًا قال فأراد أن يسأله عن الماء ففقده، قلت وكيف يكون مهندسًا والصبي ينصب لـه الحبالة فيصيده، قال إذا جاء القدر حال دون البصر(١).

ولـه عن أبي الزبير أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت فمر بمعبد الجهني، فقال قائل لطاوس: هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه، فقال: أنت المفتري على الله القائل ما لا تعلم، قال معبد: يكذب علي، قال أبو الزبير فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس، فقال لـه طاوس: يا ابن عباس الذين يقولون في القدر، فقال ابن عباس أروني بعضهم، قال: قلنا صانع ماذا؟ قال إذن أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه(٢).

ولـه عنه قال: ليس قوم أبغض إليَّ من القدرية إنهم لا يعلمون قدرة الله، إن الله تعالى يقول{لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾} [الأنبياء: ٢٣](٣).

ولـه عن طاوس قال: كنت مع ابن عباس في حلقة قال فذكروا أهل القدر، قال فقال: أفي الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه{وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾} [الإسراء: ٤] واقرأ عليه آية كذا(٤)وآية كذا.

ولـه عنه وذكر عنده القدرية قال فقال: لو رأيت أحدًا منهم لعضضت أنفه،

---

(١) (فيه انقطاع) تفسير ابن أبي حاتم [١٥١٣٦] السنة لعبد الله بن أحمد [٩٠٠].

(٢) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٩١١] الإبانة لابن بطة [٣٠٠٠٠] شرح أصول الاعتقاد اللالكائي [١٠٧٠].

(٣) (إسناده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩١٢] والإبانة الكبرى لابن بطة [١٦٢٤]الشريعة للآجري [٤٥٧] وعلة الحديث عطاء بن السائب: ثقة اختلط بآخرة، والراوي عنه أبو عوانة، وقد روى عنه في الصحة والاختلاط، ولم تتميز، فتركت روايته عنه.

(٤) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٢].

ولـه عنه قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد(١)، وفي لفظ: فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد(٢).

ولـه عن أبي يحيى مولى ابن عفراء قال: أتيت ابن عباس ومعي رجلاً من الذين يذكرون القدر أو ينكرونه، فقلت: يا ابن عباس ما تقول في القدر لو أن هؤلاء أتوك يسألونك - وقال مرة - يسألونك عن القدر إن زنا وإن سرق أو شرب؟ فحسر قميصه حتى أخرج منكبيه وقال: يا أبا يحيى لعلك من الذين ينكرون القدر ويكذبون به، والله لو أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتهم، إن زنا فبقدر، وإن سرق فبقدر، وإن شرب الخمر فبقدر(٣).

وروى إسحاق بن الملائي عنه في قولـه تعالى{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: ١٧٢] قال: إن الله تعالى أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه، وكتب رزقه، وأجله، ومصيباته، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم، وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم.

وفي تفسير أسباط عن السدي عن أصحابه أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنه في قولـه{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} الآية، قال: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك حين يقول أصحاب اليمين

---

(١) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٤].

(٢) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٥] به راو مجهول. ولفظه عند عبد الله: (فمن آمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد).

(٣) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٣٧] به أبو سليمان الأزدي ذكره ابن أبي حاتم دون جرح أو تعديل فكأنه مجهول [١٧٧١] وأبو يحيى مولى ابن عفراء فيه ضعف.

وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقِيَّة، فقال هو والملائكة{شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ} [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣] الآية، فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف إن الله ربه، ولا مشرك إلا وهو يقول{وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣] فذلك قوله عز وجل {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: ١٧٢] وذلك حين يقول تعالى{وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} [آل عمران: ٨٣] وذلك حين يقول{قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾} [الأنعام: ١٤٩] قال يعني يوم الميثاق.

وعن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنه{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] قال تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب(١).

وعنه رضى الله عنه قال: كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد، ثم قرأ{هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾} [الجاثية: ٢٩] وفي تفسير الضحاك عنه رضى الله عنه في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله، وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبًا في الذكر الحكيم، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : خلق الله الخلق قبضتين فقال

---

(١) (سنده حسن) الطبري في تفسيره [ج ١١ - ص ٢٦٧] والبيهقي في القضاء والقدر [٣١].

لمن في يمينه، ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي[1].

ولعبد الله ابن الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لا يزال أمر هذه الأمة قوامًا، أو مقاربًا، ما لم يتكلموا في القدر[2].

ولـه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال حين طعن:{وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا } [الأحزاب: ٣٨][3].

ولـه عن عبد الله بن الحارث الهاشمي قال: خطب عمر رضى الله عنه بالجابية وفي لفظ بالشام والجاثليق ماثل فتشهد فقال:**{من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه}** فقال الجاثليق بقميصه هكذا يعني نفضه، وقال: إن الله لا يضل أحدًا، فقال: ما يقول؟ فقالوا ما قال، فقال: كذبت عدو الله، الله خلقك، والله أضلك، ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله، والله لولا عقد لك لضربت عنقك ثم قال: إن الله خلق آدم فنثر ذريته في يديه ثم كتب أهل الجنة وما هم عاملون، وكتب أهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه، قال فتصدع الناس وما يتنازع في القدر[4].

وقال علي رضى الله عنه : ما من آدمي إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدَّر لـه، فإذا جاء القدر خلاه وإياه[5]، ولـه عنه رضى الله عنه قال وذكر عنده القدر يومًا فأدخل إصبعه السبابة والوسطى في فيه فرقم بهما باطن يديه فقال: أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب[6].

---

(١) (رواته ثقات) مصنف عبد الرزاق [٢٠٠٩٤] القضاء والقدر للبيهقى [٣٩١] وبه انقطاع.
(٢) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٧٠].
(٣) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٩٢].
(٤) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٩] علته: عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر: مقبول.
(٥) (سنده حسن) السنة لعبد الله [٨٧٤].
(٦) (إسناده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٥٥] علته: عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: مجهول.

ولـه عن أسير بن جابر قال: طلبت عليّا في منزلـه فلم أجده فنظرت فإذا هو في ناحية المسجد، قال فقلت لـه - كأنه خوفه - قال فقال: إيه ليس أحد إلا ومعه ملك يدفع عنه ما لم ينزل القدر، فإذا نزل القدر لم يغن شيئًا(١).

ولـه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه - وقال لـه رجل إنا نسافر فنلقى قومًا يقولون لا قدر - قال إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء وهم منه براء ثلاث مرات(٢).

ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال قلت لابن عمر: إن أناسًا عندنا يقولون الخير والشر بقدر وناس عندنا يقولون الخير بقدر والشر ليس بقدر، فقال ابن عمر: إذا رجعت اليهم فقل لهم: إن ابن عمر يقول إنه منكم بريء، وأنتم منه برآء(٣).

ولعبد الله بن أحمد عنه رضى الله عنه قال: من زعم أن مع الله بارئًا أو قاضيًا أو رازقًا أو يملك لنفسه ضرًا أو نفعًا أو موتًا أو حياة أو نشورًا بعثه الله يوم القيامة فأخرسه وأعمى بصره وجعل عمله هباء منثورًا وقطع به الأسباب وكبه على وجهه في النار(٤).

ولـه عن نافع قال قيل لابن عمر: إن قومًا يقولون لا قدر، فقال: أولئك القدريون، أولئك مجوس هذه الأمة(٥).

ولـه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: مضت الكتب وجفت الأقلام فشقي أو سعيد، فريق في الجنة وفريق في السعير(٦).

---

(١) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٧٧].
(٢) (إسناده صحيح) السنة لعبد الله بن حمد [٩٢١].
(٣) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٦].
(٤) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٥٧] علته: مؤمل بن إسماعيل: ضعيف.
(٥) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٥٨] به أيضا: مؤمل بن إسماعيل.
(٦) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٧٨] به عبد الله بن لهيعة: ضعيف.

ولـه عن الحسن بن علي رضى الله عنه قال: رفع الكتاب وجفت الأقلام وأمور تقضى في كتاب قد خلا، وفي رواية قضى القضاء وجف القلم وأمور تكفي في كتاب قد خلا[١].

ولـه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سيكون ناس يصدقون بقدر ويكذبون بقدر فيلعنهم أبو هريرة عند قولـه هذا[٢].

ولـه عن عمار مولى بني هاشم قال: سألت أبا هريرة رضى الله عنه عن القدر فقال: اكتفي بآخر سورة الفتح[٣].

ولـه عن أبي الحجاج الأزدي عن سليمان رضى الله عنه قال لقيته بماء سبذان قال فقلت لـه: أخبرني كيف الإيمان بالقدر؟ قال: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقل لو كان كذا لكان كذا ولو نفعل كذا لكان كذا[٤].

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري: وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي، فقال أبو موسى: أنا، فقال عمرو بن العاص: أيقدّر علي شيئًا يعذبني عليه؟ فقال أبو موسى نعم، قال: لم؟ قال: لأنه لا يظلمك، فقال عمرو: صدقت[٥].

ولـه عن ابن الديلمي سألت عبد الله بن عمرو عن:**{جف القلم}** فقال: إن الله حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شيء منه اهتدى[٦].

وكلام الصحابة في هذا الباب يطول ذكره، وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة.

---

(١) (سندهما صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٧٥/٨٨١].
(٢) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٠].
(٣) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٣٠].
(٤) (سنده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٣] به: أبو الحجاج الأزدي: مجهول.
(٥) (سنده ضعيف منقطع) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٢٧] معمر لم يدرك عمرو بن العاص.
(٦) (إسناده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٣٢].

قال عبيد بن عمير: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم، وقال سعيد بن جبير{يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ} [الأنفال: ٢٤] قال: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان، وقال رحمه الله تعالى: فذكر قصة بختنصر وملك ابنه فرأى كفًا فرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين، فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علمًا فقالت لـه أمه: إنك لو أعدت لدانيال منزلته التي كانت لـه من أبيك - وكان قد جفاه - أخبرك، فدعاه فقال: إني معيد لك منزلتك من أبي فأخبرنا ما هذان السطران؟ قال أما ما ذكرت أنك معيد لي منزلتي من أبيك فلا حاجة لي بذلك، وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة، فأخرج من في القصر أجمعين وأمر بقفله جلاد فقفلت بها الأبواب عليه، وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه، معه سيف، وقال لـه: من جاء من خلق الله فاقتله وإن قال أنا فلان، وبعث الله عليه البطن فجعل يمشي والآخر مستيقظ، حتى إذا كان على شطر الليل رقد ورقد صاحبه، ثم نبهه البطن فذهب يمشي والآخر راقد فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربه بالسيف فقتله(١).

وقال ابن المسيب: ما قدَّر الله فهو قدر، وكان إياس بن معاوية يقول: أعلم الناس بالقدر ضعفاؤهم، يقول: إن كل من لم يدخل في خصومة القدر كان من قولـه إذا تكلم: كان من قدر الله كذا وكذا، وقال معمر: إن ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل لـه مّدَّ الله في عمرك، يقول: إن العمر لا يزاد فيه ولا ينقص، وقال أبو حازم: قال الله تعالى{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾} [الشمس: ٨] قال: فالفاجر ألهمها الله الفجور، والتقية ألهمها الله التقوى، وقال مجاهد: قول الله{إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠] قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.

(١) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٨٨٢].

وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال: وقف رجاء بن حَيْوَة على مكحول - وأنا معه - فقال: يا مكحول بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، ووالله لو أعلم ذلك لكنت صاحبك من بين الناس، فقال مكحول: لا والله أصلحك الله، ما ذاك من شأني ولا من قولي أو نحو ذلك، وقال إبراهيم النخعي: إن آفة كل دين كان قبلكم - أو قال: آفة كل دين القدر، وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لم يوكل في القرآن إلى القدر، وأخبرنا أنا إليه نصير، وكان طاوس بمكة يصلي ورجلان خلفه يتجادلان في القدر، فانصرف إليهما فقال: يرحمكما الله تجادلان في حكم الله؟ وقال ميمون: لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ، ولا تعلموا النجوم، ولا تجادلوا أهل القدر، وقال طاوس أيضًا: أدركت ناسًا من أصحاب النبي ﷺ يقولون: كل شيء بقدر(١).

وقال أبو حازم: لعن الله دينًا أنا أكبر منه - يعني التكذيب بالقدر - يقول هذا عندما يروى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال:{**لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره**}(٢) وعن عمرو بن محمد قال: كنت عند سالم بن عبد الله فجاءه رجل فقال: الزنا بقدر؟ فقال: نعم، قال كتبه علي؟ قال نعم، قال: ويعذبني عليه؟ قال فأخذ لـه الحصى(٣)، وقال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن.

وقال مجاهد: في قولـه تعالى{وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} [المؤمنون: ٦٣] قال: أعمال لا بد لهم من أن يعملوها، وعن أبي صالح{مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} [النساء: ٧٩] وأنا قدرتها عليك، وقال حميد: قدم الحسن مكة، فقال لي فقهاء مكة - الحسن بن مسلم وعبد الله بن عبيد - لو كلمت الحسن فأخلانا يومًا، فكلمت الحسن فقلت: يا أبا سعيد إخوانك يحبون

---

(١) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [٩١٣].
(٢) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [٩١٦].
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٣٣].

أن تجلس لهم يومًا، قال: نعم ونعمت عين، فواعدهم يومًا فجاءوا واجتمعوا، وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم، فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطئ فيها شيئًا إلا في مسألة، فقال لـه رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ قال: سبحان الله، سبحان الله، وهل من خالق غير الله؟ ثم قال: إن الله تعالى خلق الشيطان وخلق الشر وخلق الخير، فقال رجل منهم: قاتلهم الله يكذبون على الشيخ، وقال أيضًا: قرأت على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع من أوله إلى آخره، وكان يفسره على الإثبات.

وقال خالد الحذاء: قلت للحسن أرأيت آدم أللجنة خلق أم للأرض؟ قال: للأرض: قال قلت: أرأيت لو اعتصم؟ قال: لم يكن بد من أن يأتي على الخطيئة، وقال إياس بن معاوية: ما كلمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلي كله، إلا القدر، فإني قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس لـه، فقلت لهم: فإن الله على كل شيء قدير.

ولعبد الرزاق عن معمر قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة:{**أما بعد فإن استعمالك سعد بن مسعود على عُمان كان من الخطايا التي قدَّر الله عليك وقدَّر أن تبتلى بها**}(١).

ولعبد الله بن أحمد عنه رضى الله عنه، قال: لو أراد الله أن لا يُعصى لم يخلق إبليس، ثم قرأ{مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾} [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]

ولـه عنه رضى الله عنه أنه قال لغيلان: ألست تَقَرُّ بالعلم؟ قال: بلى، قال: فما تريد مع أن الله يقول{فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾} [الصافات: ١٦١ - ١٦٣] ولـه عن أبي جعفر الخطمى قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا

---

(١) (سنده صحيح) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٣٥].

غيلان ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يُكْذَبُ عليَّ يا أمير المؤمنين ويُقال عليّ ما لم أقل، قال: ما تقول في العلم؟ قال: قد نفذ العلم، قال فأنت مخصوم، اذهب الآن فقل ما شئت، ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك أن تقرّ به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر، قال ثم قال لـه: تقرأ يس فقال: نعم، فقال لـه: اقرأ{يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾} [يس: ١ - ٢] فقرأ{يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾} [يس: ١ - ٢] إلى قولـه{ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾} [يس: ٧] قال: قف، كيف ترى؟ قال كأني لم اقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين، قال: زد، قال{إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا} [يس: ٨ - ٩] قال لـه عمر: قل{سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾} [يس: ٩ - ١٠] قال: كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآيات، وإني أعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبدًا، قال: اذهب، فلما ولى قال: اللهم إن كان كاذبًا فيما قال فأذقه حرّ السلاح، قال: فلم يتكلم زمن عمر، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه، قال فتكلم غيلان، فلما ولى هشام أرسل إليه فقال: أليس قد عاهدت الله تعالى لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبدًا، قال: أقلني، فلا والله لا أعود، قال: لا أقالني الله إن أقتلك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم، قال: اقرأها، فقرأ{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾} [الفاتحة: ٢ - ٥] قال: قف علامَ تستعينه؟ على أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه واضربوا عنقه واصلبوه، قال ابن عون: أنا رأيت غيلان مصلوبًا على باب دمشق، وعنه قال في أصحاب القدر: فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين.

وقال مالك عن عمه سهل قال: كنت مع عمر بن عبد العزيز فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدرية؟ قال قلت: أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا وإلا عرضتهم على السيف، فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي، قلت: أسألك فما رأيك أنت؟ قال: هو رأيي، القائل لمالك فما رأيك؟ هو إسحاق بن عيسى(١)، وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة: أصلحك الله اضرب أعناقهم، يعني القدرية.

وقال ابن سيرين: إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدري من هم، وقال مجاهد: لا يكون مجوسية حتى يكون قدرية، ثم تزندقوا ثم تمجسوا، وقال منصور بن عبد الرحمن سألت الحسن عن قوله تعالى{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ} [هود: ١١٨ - ١١٩] فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، ومن رحم غير مختلف فيه، فلقنته{وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٩] قال: نعم، خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه، وقال أيضًا: قلت للحسن: قوله تعالى:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ} [الحديد: ٢٢] قال: قسمة الله، ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله تعالى قبل أن تبرأ النسمة.

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت هذه الآية{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٨ - ٤٩] في أهل القدر، وفي رواية عنه قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر، وعنه أن الفضل الرقاشي قعد إليه فذاكره شيئًا من القدر، فقال له محمد بن كعب القرظي تشهَّده فلما بلغ:**{من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له}** رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال: قم فلما قام فذهب قال: لا يرجع هذا عن رأيه أبدًا.

---

(١) (سنده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد [٩٥٢].

وقال مطر رحمه الله: لقيني عمرو بن عبيد فقال: والله إني وإياك لعلى أمر واحد، قال كذب والله، إنما عنى على الأرض، وقال: والله ما أصدقه في شيء، وعن ثابت البناني قال: رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف، فقلت: ما تصنع؟ فقال: أثبت مكانه خير منه، وعن حماد بن زيد قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف وقفته فما ردوا رضى الله عنه - ثم جاز فما ذكروه، وعن الحسن بن شقيق قال قلت: لعبد الله يعني ابن المبارك سمعت من عمرو بن عبيد؟ قال هكذا بيده، أى كثيرًا، قلت: فلم لا تسميه وأنت تسمي غيره من القدرية؟ قال: لأن هذا كان رأسا، وعن معاذ بن مكرم قال: رآني ابن عون مع عمرو بن عبيد في السوق فأعرض عني، قال فاعتذرت إليه قال: أما إني قد رأيتك فما زادني، وعن أبي بحر البكراوي قال: قال رجل لعمرو - يعني ابن عبيد - وقرأ عنده هذه الآية{بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾} [البروج: ٢١ - ٢٢] فقال لـه: أخبرني عن{تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ} [المسد: ١] كانت في اللوح المحفوظ؟ قال ليست هكذا كانت، قالوا: وكيف كانت؟ قال: كانت تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبي لهب، فقال لـه الرجل: وهكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة فغضب عمرو؟ فتركه حتى سكن ثم قال لـه: يا أبا عثمان أخبرني عن{تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ} [المسد: ١] كانت في اللوح المحفوظ؟ فقال: ليس هكذا كانت، قال: فكيف كانت؟ قال: تبت يدا من عمل بمثل عمل أبي لهب، قال فرددت عليه قال عمرو إن علم الله ليس بسلطان، إن علم الله لا يضر ولا ينفع، قلت إن كان قال هذا ومات عليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإن كان ذلك مكذوبًا عليه فلعنة الله على الكاذبين، وعن سلام بن أبي مطيع قال: كنت أمشي مع أيوب في جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن عبيد في الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه، قال فقال لي أيوب من غير أن أسأله: لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه.

وعن أبي رجاء قال: رأيت رجلين يتكلمان في المربد في القدر، فقال فضل الرقاشي لصاحبه: لا تقر لـه بالعلم، إن أقررت لـه بالعلم فأمكنت من نفسك، يسحبك عرض المربد، وعن حوثرة بن أشرس قال سمعت سلامًا أبا المنذر غير مرة وهو يقول: سلوهم عن العلم، هل علم أو لم يعلم؟ فإن قالوا قد علم فليس في أيديهم شيء؟ وإن قالوا لم يعلم فقد حلت دماؤهم، قال حوثرة: وحدثنا حماد ابن سلمة عن أبي جعفر الخطمي قال قيل لعمر بن عبد العزيز: إن غيلان يقول القدر كذا وكذا، قال فمرَّ به فقال: أخبرني عن العلم، قال: سبحان الله فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة والى ما هي صائرة، فقال عمر بن عبد العزيز: والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك، اذهب الآن فجاهد جهدك، وعن معاذ بن معاذ قال: صليت خلف رجل من بني سعد ثم بلغني أنه قدري، فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة.

وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار، والقدرية كفار، وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس: اخزوا معبد الجهني فإنه قدري، وقال الحسن بن محمد بن علي: لا تجالسوا أهل القدر، وقال عكرمة بن عمار، سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله يلعنان القدرية الذين يكذِّبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشره، وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار: سمعت أبي وعمي يقولان سمعنا الحسن - وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهني - يقول: لا تجالسوا معبدًا فإنه ضال مضل، قال مرحوم قال أبي: ولا أعلم أحدًا يومئذ يتكلم في القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال لـه سسوية، وقال عكرمة: سألت يحيى بن أبي كثير عن القدرية فقال: هم الذين يقولون إن الله لم يقدر الشر، وقال مسلم بن يسار: إن معبدًا يقول بقول النصارى وقال عمارة بن زاذان: بلغني أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: والله ما كنا مشركين، فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون، قال وبلغني أنه يقال لهم يوم القيامة أنتم خصماء الله عز وجل ، وقال عبد الله ابن أحمد سمعت أبي يقول: لا

يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية، وسألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري، فقال إن كان يخاصم فيه أو يدعو إليه فلا يصلي خلفه، سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافرًا؟ قال: إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا فعلم فجحد علم الله فهو كافر. اهـ من كتاب السنة.

وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره، ومحله كتب النقل الجامعة، وفيما ذكرنا كفاية، ولله الحمد والمنة.

اللهم يا ربنا ومليكنا وإلهنا قد علمت من سعد بطاعتك والجنة، ومن شقى بمعصيتك والنار، وكتبت ذلك وسطرته وقدرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتك، ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولا يدري عبدك في أى القسمين ولا في أى القبضتين هو وأنت تعلم، اللهم إياك نعبد إيمانًا بكتبك وتصديقًا لرسلك وانقيادًا لشرعك وقيامًا بأمرك ودينك، وإياك نستعين إيمانًا بربوبيتك واستسلامًا لقضائك وقدرك وافتقارًا إليك وتوحيدًا لك في إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك، ولا مشيئة إلا أن تشاء، ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه، ولا معصوم إلا من عصمت، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فيسرته لليسرى، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا غير المغضوب عليهم ممن علم الحق وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمنًا قليلاً، ولا الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيننا وبين معصيتك والكفر، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك به﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

٢١٩- لا نوء لا عدوى ولا طير ولا ::: عما قضى الله تعالى حولا
٢٢٠- لا غول لا هامة ولا صفر ::: كما بذا أخبر سيد البشر

هذان البيتان من تتمة بحث القدر فإن نفي هذه الخصال الست وما في معناها إيمان بالقدر وتوكل على خالق الخير والشر، الذي بيده النفع والضر، واعتقاد صحة شيء منها شرك مناف للتوحيد أو لكماله، مناقض للتوكل على الله عز وجل عياذًا بالله منه.

* * *

فأما النوء فهو من الاعتقاد في النجوم الذي سبق بسط القول في بيان بطلانه فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرًا في هبوب الرياح وسكونها، وفي مجيء المطر وتأخره، وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك، فإذا وقع شيء من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا: هذا بنوء عطارد أو المشتري أو المريخ أو كذا أو كذا، وردَّ الله تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسول الله ﷺ، قال الله تعالى{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾} [الروم: ٤٨ - ٥٠] وقال تعالى:{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾} [لقمان: ١٠ - ١١] وقال تعالى:{ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾} [الواقعة: ٧٥] إلى قوله تعالى{ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} [الواقعة: ٨٢].

وقال الإمام مالك بن أنس في موطئه رحمه الله تعالى: باب الاستمطار بالنجوم، عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال:{**صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: أتدرون ماذا قال ربكم: قالوا الله ورسوله أعلم، قال قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك**

مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب}[1] ورواه الشيخان من طريقه بلفظه، وعليه ترجم البخاري رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى:{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} [الواقعة: ٨٢].

وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا حرملة بن يحيى وعمر بن سواد العامري ومحمد بن سلمة المرادي، قال المرادي: حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس، وقال الآخران أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :**{ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب}**[2].

وحدثني محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث (ح) وحدثني عمرو بن سواد أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:**{ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث فيقولون: الكواكب كذا وكذا}**[3] وفي حديث المرادي:**{بكوكب كذا وكذا}**.

وحدثني عباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - وهو ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال حدثنا ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ :**{أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**[4]،

(١) (صحيح) موطأ مالك [٤٥١] البخاري [٣٩١٦] مسلم [١٢٥].
(٢) (صحيح) مسلم [١٢٦].
(٣) (صحيح) مسلم [١٢٦].
(٤) (صحيح) مسلم [١٢٧].

قال فنزلت هذه الآية{ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾} [الواقعة: ٧٥] حتى بلغ{وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} [الواقعة: ٨٢].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ {وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} قال: شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا(١) وبنجم كذا وكذا(٢) هذا حديث حسن غريب، ورواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا**} قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة (٣).

وقال رحمه الله تعالى: حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية - فيما أحسبه أو غيره - أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً ومطروا يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال ﷺ :{**كذبت بل هو رزق الله** عز وجل }(٤).

---

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٢٩٥] علته: عبد الأعلى بن عامر الثعلبي: ضعيف.

(٢) ويلحق بهذا الخطل ما ينشر على صفحات (الجرائد) مما يسمونه الأبراج يسمونها على أسماء نجوم يقسمون عليها الأيام، ثم يستخفون بعقول الجهلاء، بما ينشرونه من ترهات وسفاهات ليست إلا رجما بالغيب.

(٣) (به ضعف) ابن جرير في تفسيره [ج١١] تفسير سورة الواقعة (آية: ٨٢)محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن.

(٤) (ضعيف منقطع) ابن جرير في تفسيره لسورة الواقعة [آية: ٨٢].

وقال رحمه الله تعالى: حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:{**ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين، ثم قال**{وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} **يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا**}(١).

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه بلغه أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقول إذا أصبح وقد مطر الناس: مطرنا بنوء الفتح(٢)، ثم يتلو هذه الآية{ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ} [فاطر: ٢]. وروى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرًا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس{وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} [الواقعة: ٨٢] وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس(٣).

* * *

(١) (سنده ضعيف) ابن جرير في تفسيره [ج١١] سورة الواقعة. علته: جعفر بن الزبير: متروك الحديث، انظر التقريب [٩٣٩].

(٢) (سنده ضعيف) مالك في الموطأ بلاغا [٤٥٣].

(٣) (سنده صحيح) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج١١] سورة الواقعة (آية ٨٢).

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سريان المرض من جسد إلى جسد بطبيعته، فنفى الله تعالى ذلك ورسوله ﷺ قال الله تعالى:{ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [التوبة: ٥١] وقال تعالى:{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ} [التغابن: ١١] وقال تعالى:{قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ } [آل عمران: ١٦٨] وقال تعالى:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨] الآيات، وقال تعالى:{قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ } [الجمعة: ٨].

وروى البخاري عن الزهري قال: أخبرني سنان بن أبي سنان الدؤلي أن أبا هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال:{**لا عدوى**} فقام أعرابي فقال أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب، قال النبي ﷺ :{**فمن أعدى الأول**}.

ورواه مسلم من طريق آخر بنحوه(١)، وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثني محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة**} ورواه مسلم(٢).

ولهما من طرق عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**} هذا لفظ البخاري(٣).

والأحاديث في نفي العدوى كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرهما، ولا يعارض ذلك حديث:{**لا يورد ممرض على مصح**}

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٣٩] مسلم [٢٢٢٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٤٠] مسلم [٢٢٢٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٥٣٨٠] مسلم [٢٢٢٠].

وحديث:{**وفر من المجذوم فرارك من الأسد**} وكلاهما في الصحيح متصلٌ بحديث:{**لا عدوى ولا طيرة**} فإن البخاري رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال:{**لا عدوى**} قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال:{**لا توردوا الممرض على المصح**}(١).

وقال رحمه الله تعالى قال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ :{**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**}(٢).

* * *

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٣٩] مسلم [٢٢٢١].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٣٨٠].

الجمع بين نفي العدوى
وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح

والجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم وما في معناها من ثلاثة أوجه كلها نفي العدوى فيها على إطلاقه.

الوجه الأول: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التي نفاها رسول الله ﷺ فيقع في الحرج، فأمر ﷺ بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسمًا للمادة وسدّا للذريعة لا إثباتًا للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء، والدليل على ذلك قوله ﷺ

للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل في الإبل الصحاح فتجرب، فقال له ﷺ :**{فمن أعدى الأول}** يعني أن الله تعالى ابتدأ المرض في الباقي كما ابتدأه في الأول لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر.

الوجه الثاني: أن نهيه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب قواها فلا تؤثر شيئًا، ومن قوي إيمانه وكمل توكله وثقته بالله، وشاهد مصير الأمور كلها إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب كما أن مصدرها من عنده عز وجل فنفسه أبية وهمته علية وقلبه ممتلئ بنور التوحيد فهو واثق بخالق السبب ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها، والدليل على ذلك ما روى أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن

محمد حدثنا مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد ابن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال{**كل ثقة بالله وتوكل عليه**}(١) ففي أمره ﷺ بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التي خلقها الله عز وجل وفي أكله ﷺ معه تعليم لنا بأن الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله لـه.

الوجه الثالث: أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جدا لا سيما مع ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن الله في سقمها قضاء من الله وقدرًا لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية، والدليل على هذا ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا مخلد بن خالد وعباس العنبري قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن عبد الله بن بحير قال: أخبرني من سمع فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين هي أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة - أو قال وباؤها شديد - فقال النبي ﷺ :{**دعها عنك فإن من القرف التلف**}(٢) والقرف بالتحريك هو مقاربة الوباء ومداناة المرض، والتلف بوزنه هو الهلاك يعني أنه سبب فيه قد يؤثر بإذن الله تعالى لا سيما مع كراهة النفس لـه واشمئزازها منه{فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [يوسف: ٦٤].

---

(١) (إسناده ضعيف) سنن أبي داود [٣٩٢٥] الترمذي [١٨١٧] ابن ماجة [٣٥٤٢] علته: المفضل بن فضالة: ضعيف.

(٢) (إسناده ضعيف) أبو داود [٣٩٢٣] أحمد [١٥٧٨٠] علته: به راو مبهم، ويحيى بن عبد الله بن بجير، مستور كما في التقريب.

فإذا تبين لك هذا الجمع بين نفي العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء، تبين لك الجمع بينها وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح[١]، فإنه إذا كان ﷺ قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهى الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى، فإن العلل التي قدمنا أنها من سبب النهي عن القدوم على الوباء والأمر بمجانبته موجودة في إيراد الممرض على المصح بزيادة كونها ليست باختيار المصح كقدومه هو بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك الممرض وربما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغير ذلك، والمقصود أن نفي العدوى مطلق على عمومه، وفيه إفراد الله سبحانه وتعالى بالتصرف في خلقه، وأنه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، ولا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه، ولا مغالب له في شيء من خلقه وأمره، وفي ذلك تقوية لقلوب المؤمنين، وإمداد لهم بقوة التوكل وصحة اليقين، وحجة لهم على المشركين وسائر المعاندين، وليس في الأمر بمجانبة البلاء ولا في النهي عن إيراده على المعافى منه منافاة ولا مناقضة، بل ذلك مع الثقة بالله والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقى الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والالتجاء من الله إليه، وليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب، وليس التوكل بترك الأسباب، بل التوكل من الأسباب، وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها، كما أن من اضطربت نفسه ووجل قلبه فرقًا وخوفًا وارتيابًا وعدم يقين بالقدر لا يكون متوكلاً على الله بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب، فكما لا يكون المرتاب متوكلاً بمجرد تركه الأسباب، وكذلك لا يكون الموحد

(١) قَالَ الْعُلَمَاء: الْمُمْرِض صَاحِب الإِبِل الْمِرَاض، وَالْمُصِحّ صَاحِب الإِبِل الصِّحَاح، فَمَعْنَى الْحَدِيث لا يُورِد صَاحِب الإِبِل الْمِرَاض إِبِله عَلَى إِبِل صَاحِب الإِبِل الصِّحَاح؛ لأَنَّهُ رُبَّمَا أَصَابَهَا الْمَرَض بِفِعْلِ اللَّه تَعَالَى وَقَدَره الَّذِي أَجْرَى بِهِ الْعَادَة، لا بِطَبْعِهَا، فَيَحْصُل لِصَاحِبِهَا ضَرَر بِمَرَضِهَا، وَرُبَّمَا حَصَلَ لَه ضَرَر أَعْظَم مِنْ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ الْعَدْوَى بِطَبْعِهَا، فَيَكْفُر. وَاللَّهُ أَعْلَم. النووي [ج٧ - ص ٤٧٦].

تاركًا التوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقي المضرة وحرصه على ما ينفعه، فإنما الشأن فيما وقر في القلوب وسكنت إليه النفوس، والتوفيق بيد الله، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعون وعن الخروج منها فرارا منه فإن في القدوم عليه تعرضًا للبلاء، وإلقاء بالأيدي إلى التهلكة وتسببًا للأمور التي أجرى الله تعالى العادة بمضرتها، وفي الفرار منه تسخط لقضاءالله عز وجل وارتياب في قدره وسوء ظن بالله عز وجل ، فأين المهرب من الله والى أين المفر، لا ملجأ من الله إلا إليه، كما روى مالك في موطئه عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع إلى المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجتَ لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال عمر: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعاهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة:{**الفتح**} فدعوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديّا لـه عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله،

وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**} قال فحمد الله عمر ثم انصرف، وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه[1].

وقوله ﷺ :{**فلا تخرجوا فرارًا منه تقييد للنهي بخروج لقصد الفرار، فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته اللازمة، كما قيّد ﷺ الشهادة به للماكث ببلده بما إذا كان صابرًا محتسبًا صحيح اليقين ثابت العزيمة قوي التوكل مستسلمًا لقضاء الله** عز وجل ، **كما قال البخاري رحمه الله تعالى: باب أجر الصابر في الطاعون، حدثنا إسحاق أخبرنا حبان حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النبي ﷺ و** رضى الله عنها **أنها أخبرتنا أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله ﷺ أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله لـه إلا كان لـه مثل أجر الشهيد**}[2]، فخرج بهذه الأوصاف من مكث في أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس لـه هذه الفضيلة، ومع هذا فلا يحل لـه الفرار منه لعموم النهي ولـه أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه، وإن خرج فرارًا، منه فهي معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله وعلى هذا يحمل حديث أنس عند البخاري أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ :{**الطاعون شهادة لكل مسلم**}[3] فإن مفهوم الحديث الأول أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا

---

(١) (صحيح) موطأ مالك [١٥٨٧] البخاري [٥٣٩٧] مسلم [٢٢١٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٠٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٦٧٥] مسلم [١٩١٦].

يكون شهيدًا وذلك لضعف يقينه، وقد يقال هو شهيد في الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات، كما أن شهداء المعركة الذين يقتلون في معركة الكفار ليسوا سواء، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم، وذلك معلوم من الدين بالضرورة، والله تبارك وتعالى أعلم.

* * *

وأما الطيرة فهي ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤمًا بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤمًا به وكراهة لـه، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرًا قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض لـه نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أنه لا يجد خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحا ولا يعمل فيها عملاً مهمّا ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات[١] فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات، وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين، يزعمون أن هناك فلكًا دوارًا يكون كل يوم أو ليلة في جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة في الوقت الذي يكون فيها هذا الفلك لا ينال خيرًا ولا يأمن شرًا، وهم في ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله ولعنهم، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشر، وكذا صوت الثعلب عندهم، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرت تركوها، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذي أمر الله تعالى

(١) ومن ذلك ما ينتشر بين كثير من العامة من اعتقاد الساعة النحس في يوم الجمعة، فلا يعملون فيها عملا، والأمر من ذلك من يتشاءم بمن يعطس في وجهه.

باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان، وهذا وما شاكله كثير منه كان في الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم، أرداهم الله وألحقهم به آمين.

قال الله تعالى:{ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾} [الأعراف: ١٣٠ - ١٣١] وقال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾} [النمل: ٤٥ - ٤٧] وقال تعالى في قصة الثلاثة رسل عيسى{ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ } [يس: ١٦ - ١٨] قال مجاهد في قوله تعالى:{فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ} [الأعراف: ١٣١] قالوا: العافية والرخاء نحن أحق بها{وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ}
[الأعراف: ١٣١] قال بلاء وعقوبة{يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ} [الأعراف: ١٣١] قال: يتشاءموا به.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس{أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ} [الأعراف: ١٣١] قال الأمر من قبل الله وقال رضى الله عنه في قوله{طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ} [النمل: ٤٧] قال: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم وتقدم ذكر الطيرة ونفيها في الأحاديث السابقة.

وقال البخاري، رحمه الله تعالى: حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا يونس عن الزهري عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث: في المرأة والدار والدابة**[1]}، والشؤم ضد اليمن، وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة، ونحو ذلك، وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أنه إن كان غنيّا افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجمًا لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين، قال الله تعالى:{وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ} [الأنعام: ١٢١] وقال الله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧] حتى إن رجلاً في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة، ما ترى فيها هل هي سعد لي أو نحس عليّ، فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعها فإنك أخذتها لا تبلى معها ثوبًا، يعني يموت سريعًا لا تطول معها صحبته، وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادي منها،

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٢١] مسلم [٢٢٢٥].

ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم، والمقصود أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ :{**يقول لا طيرة وخيرها الفأل، قالوا وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة، يسمعها أحدكم**} [1].

قال حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة**}[2].

قلت: ومن ذلك قوله ﷺ يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو وقال:{**سهل الله أمركم..**}[3] الحديث، وما شاكله.

ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه وأن لا يكون مقصودًا، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال، ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة مأخذ الفأل من المصحف[4] فإنه من اتخاذ آيات الله هزوًا ولعبًا ولهوًا، ساء ما يعملون، وما أدري كيف حال من فتح على قوله تعالى:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} [المائدة: ٧٨] وقوله{وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ} [النساء: ٩٣] وأمثال هذه الآيات.

(١) (صحيح) البخاري [٥٤٢٢] مسلم [٢٢٢٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٥٤٢٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٥٨١].
(٤) وهذا ما يسميه الناس اليوم (فتح الكتاب) وطريقهم في ذلك أن يذهب أحدهم إلى مشعوذ ليفتح له الكتاب (المصحف) فيفتح فإن اتفق له آية بشرى بنعيم وخير فرح بها، وإن كان غير ذلك غضب وحزن، وهذا من اتخاذ آيات الله هزوا، نسأل الله السلامة.

ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأنه تفاءل يومًا ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل :{ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾} [إبراهيم: ١٥] الآيات، فيقال إنه أحرق المصحف غضبًا من ذلك وقال أبياتًا لا نسود بها الأوراق.

والمقصود: أن هذه بدعة قبيحة، والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روى الإمام أحمد في تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضى الله عنه :{**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**}(١) وروى في كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وقفه:{**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**}(٢).

وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال:{**الطيرة شرك**} ثلاثًا:{**وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**}(٣) وقوله:{**وما منا إلا.. إلخ**} هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذي رحمه الله في روايته عن المرفوع حيث قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث:{**وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**} كل هذا عندي قول عبد الله بن مسعود.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر قال أحمد القرشي قال ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال:{**أحسنها الفأل ولا ترد**

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٨٢٤] منقطع.
(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [٧٠٤٥] به عبد الله بن لهيعة: ضعيف.
(٣) (سنده صحيح) أبو داود [٣٩١٠] الترمذي [١٦١٤].

مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك}[1].

وأما الغول فهي واحد الغيلان وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفًا شديدًا ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم:{وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾} [الجن: ٦] زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشرّا وطغيانًا، وزادتهم الجن إخافة وخبلاً وكفرانًا، وكان أحدهم إذا نزل واديًا قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه فيأتي الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه في نفسه، فيقول: يا صاحب الوادي، جارك أو نحو ذلك فيسمع مناديا ينادي ذلك المعتدي أن اتركه أو دعه أو ما أشبه ذلك، فأبطل الله تعالى ورسوله ﷺ ذلك ونفى أن يضروا أحدًا إلا بإذن الله عز وجل ، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبار السماوات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر، فقال الله تبارك وتعالى{وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾} [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨] وقال تعالى:{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ} [الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾} [الفلق: ١] إلى آخر السورة{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾} [الناس: ١] إلى اخر السورة، وغيرها من الآيات، وقال رسول الله ﷺ في هاتين السورتين:**{ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها}**[2].

---

(١) (سنده ضعيف) أبو داود [٣٩١٩].
(٢) (سنده حسن) النسائي [٥٤٣٨] الدارمي [٣٤٤٠] المعجم الكبير [٩٤٩].

وقال ﷺ :{**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزلـه ذلك**}[١] وهو في الصحيح.

وفي بعض الأحاديث:{**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**}[٢].

وفي الحديث الصحيح:{**إن الشيطان إذا سمع النداء أدبر ولـه ضراط - وفي لفظ حصاص**}[٣].

وأحاديث الاستعاذة والأذكار في طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة مسبورة في مواضعها من كتب السنة، وأما قول من قال إن المراد في الحديث نفي وجود الغيلان مطلقًا فليس بشيء لأن ذلك مكابرة للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة في زمن النبي ﷺ وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم، والله أعلم.

وأما الهامة والصفر[٤] فقالوا أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية قال: قلت لمحمد - يعني ابن راشد - قولـه:{**هام**} قال: كانت الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة، قلت فقولـه:{**صفر**}

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧٠٨].

(٢) (سنده ضعيف) أحمد [١٥١٣٢].

(٣) (صحيح) البخاري [٥٨٣] مسلم [٣٨٩] ولفظ (له حصاص) في مسلم وحده، وهي تعني: شدة العدو وقيل ضراط.

(٤) قولـــه ﷺ : (وَلا هَامَة) فِيهِ تَأْوِيلانِ: أَحَدهمَا أَنَّ الْعَرَب تَتَشَاءَم بِالْهَامَةِ، وَهِيَ الطَّائِر الْمَعْرُوف مِنْ طَيْر اللَّيْل وَقِيلَ: هِيَ الْبُومَة. قَالُوا: كَانَتْ إِذَا سَقَطَتْ عَلَى دَار أَحَدهمْ رَآهَا نَاعِيَة لـــه نَفْسه، أَوْ بَعْض أَهْله، وَهَذَا تَفْسِــير مَالِك بْن أَنَس. وَالثَّانِي أَنَّ الْعَرَب كَانَتْ تَعْتَقِد أَنَّ عِظَام الْمَيِّت، وَقِيلَ: رُوحه تَنْقَلِب هَامَة تَطِير، وَهَذَا تَفْسِــير أَكْثَر الْعُلَمَاء، وَهُوَ الْمَشْــهُور. وَيَجُوز أَنْ يَكُون الْمُرَاد النَّوْعَيْنِ، فَإِنَّهُمَا جَمِيعًا بَاطِلانِ.

وقولـــه ﷺ : (وَلا صَفَر) فِيهِ تَأْوِيلانِ: أَحَدهمَا الْمُرَاد تَأْخِيرهمْ تَحْرِيم الْمُحَرَّم إِلَى صَفَر، وَهُوَ النَّسِيء الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ، وَبِهَذَا قَالَ مَالِك وَأَبُو عُبَيْدَة. وَالثَّانِي أَنَّ الصَّفَر دَوَابّ فِي الْبَطْن، وَهِيَ دُود، وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي الْبَطْن دَابَّة تَهِيج عِنْد الْجُوع، وَرُبَّمَا قَتَلَتْ صَاحِبهَا، وَكَانَتْ الْعَرَب تَرَاهَا أَعْدَى مِنْ الْجَرَب، وَهَذَا التَّفْسِير هُوَ الصَّحِيح. النووي [ج٧ - ص٤٧٥].

قال: سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصفر، فقال النبي ﷺ :{**لا صفر**} قال محمد: وقد سمعنا من يقول هو وجع يأخذ في البطن، فكانوا يقولون هو يعدي فقال:{**لا صفر**}[1] وقال رحمه الله: حدثنا يحيى بن خلف حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج عن عطاء قال: يقول الناس الصفر وجع يأخذ في البطن، قلت فما الهامة؟ قال يقول الناس: الهامة التي تصرخ هامة الناس، وليست بهامة الإنسان، إنما هي دابة[2]، وقال رحمه الله: قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم أشهب قال: سئل مالك عن قولـه:{**لا صفر**} قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، فقال النبي ﷺ :{**لا صفر**}.

قلت: وكل هذه المعاني لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث، ولله الحمد والمنة.

* * *

(١) (سند صحيح) أبو داود [٣٩١٥].
(٢) (سند صحيح) أبو داود [٣٩١٨].

٢٢١- وثالث مرتبة الإحسان ::: وتلك أعلاها لدى الرحمن
٢٢٢- وهي رسوخ القلب في العرفان ::: حتى يكون الغيب كالعيان

هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الدين المفصلة في حديث جبريل المتقدم وهي أعلى مراتب الدين وأعظمها خطرًا وأهلها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقربون في علو الدرجات، وقد قدمنا أن الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة والإحسان هو نحسين الظاهر والباطن، وأما عند الإطلاق فكل منها يشمل دين الله كله، وقد جاء الإحسان في القرآن في مواضع كثيرة، تارة مقترنًا بالإيمان، وتارة بالتقوى، وتارة بهما معًا، وتارة بالجهاد، وتارة بالإسلام، وتارة بالعمل الصالح مطلقًا، قال الله تبارك وتعالى:{ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾} [المائدة: ٩٣] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨] وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾} [الكهف: ٣٠] وقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾} [العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى:{ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾} [البقرة: ١١٢] وقال تعالى:{ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ} [لقمان: ٢٢] وتارة بالإنفاق في سبيل الله وهو من الجهاد كقوله تعالى:{ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾} [البقرة: ١٩٥].

وقد فسره النبي ﷺ تفسيرًا لا يستطيعه من المخلوقين أحد غيره ﷺ لما أعطاه الله تعالى من جوامع الكلم فقال ﷺ :{**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**}[1] أخبر ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين، وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:

المقام الأول: وهو أعلاهما - أن تعبد الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله عز وجل بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب لـه ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، وفي حديث حارثة المرسل أن النبي ﷺ قال لـه:{**يا حارثة كيف أصبحت، قال: أصبحت مؤمنًا حقًا، قال: انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر أهل الجنة في الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار في النار كيف يتعاوون فيها، قال: أبصرتَ فالزم**} عَبْدٌ نوَّرَ الله تعالى بصيرته[2].

المقام الثاني: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول، ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً للأول فقال:{**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**} وفي بعض ألفاظ الحديث:{**فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك**} فإذا تحقق في عبادته بأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولا يخفى

---

(١) (صحيح) تقدم تخريجه.
(٢) (سنده ضعيف) ابن أبي شيبة [٣٠٤٢٥] والطبراني في الكبير[٣٣٦٧].

عليه شيء من أمره فحينئذ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه يراه.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا المعنى في غير ما موضع من القرآن، كما قال تبارك وتعالى:{وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦١ - ٦٤] وقال تبارك وتعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة: ١٨٦] وقال تبارك وتعالى:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾} [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] وغير ذلك من الآيات.

فأولياء الله المتقون المحسنون، هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأفردوه بالعبادة محبة وتذللاً وانقيادًا وخوفًا ورجاء ورغبة ورهبة وخشية وخشوعًا ومهابة وتعظيمًا وتوكلاً عليه وافتقارًا إليه واستغناء به عما سواه، واتقوه بامتثال أوامره ومحبة مرضاته وترك مناهيه وموجبات سخطه سرّا وعلنًا وظاهرًا وباطنًا قولاً وعملاً واعتقادًا واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علمًا وقدرة ولطفًا وخبرة بأقوالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا، فكان عملهم خالصًا لله موافقا لشرعه مناطًا بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة من ينظر إلى ربه، لكمال علمهم بأن الله ينظر اليهم ويرى حالهم ويسمع مقالهم

فطرحوا النفوس بين يديه بكليتهم عليه والتجأوا منه إليه وعاذوا به منه وأحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره، فبه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون وبرؤيتهم يذكر الله تعالى بذكره يذكرون.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه يقول: قال النبي ﷺ : {**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب الي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**}[١].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله تعالى قال: من عادي لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه، ولئن عاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**}[٢].

ذكروا الله تعالى فذكرهم، وشكروه فشكرهم، وتولوه ووالوا فيه فتولاهم، وعادوا أعداءه لأجله فآذن بالحرب من عادهم، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٩٧٠] مسلم [٢٦٧٥].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٣٧].

جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم{۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ} [يونس: ٢٦]،{ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠} [الرحمن: ٦٠] ولما ذكر أهل الجنة وما وعدهم به من النعم وصفهم أن ذلك جزاء إحسانهم فقال{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦} [الذاريات: ١٥ - ١٦] ثم فسر إحسانهم{كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩} [الذاريات: ١٧ - ١٩].

قدمنا في الفصل الأول أن الحسنى التي وعد الله عز وجل المحسنين هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل كما رواه مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ (١)، فلما كانوا يعبدون الله عز وجل في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم وينظرون إليه في حال عبادتهم إياه كان جزاؤهم على ذلك النظر إلى وجهه تبارك وتعالى في الآخرة عيانًا بأبصارهم، وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقال تعالى فيهم{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥} [المطففين: ١٥] لما كان حالهم في الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة، وذلك قول الله عز وجل {لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى} [النجم: ٣١]،{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

هذا آخر ما يسر الله تعالى من الكلام على مفردات حديث جبريل، وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح الأربعين بعد كلامه على مراتب الدين في هذا الحديث، قال: فمن تأمل ما أشرنا إليه مما دلّ عليه هذا الحديث

(١) (صحيح) تقدم.

العظيم علم أن جميع العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته، وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث وما دلَّ عليه مجملا ومفصلاً، فإن الفقهاء إنما يتكلمون في العبادات التي هي من جملة خصال الإسلام، ويضيفون إلى ذلك الكلام في أحكام الأموال والأبضاع والدماء، وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه عليه، ويبقى كثير من علم الإسلام - من الآداب والأخلاق وغير ذلك - لا يتكلم عليه إلا القليل منهم، ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام، كله والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والذين يتكلمون على علم المعارف ومقامات العباد يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التي تدخل في الإيمان أيضًا كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو ذلك، فانحصرت العلوم الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث ورجعت كلها إليه، ففي هذا الحديث وحده كفاية ولله الحمد والمنة. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

* * *

ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

فصل: في مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين: الأولى: كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والثانية: تفاضل أهله فيه، والثالثة: أن فاسق أهل الملة الإسلامية لا يكفر بذنب دون الشرك ولوازمه إلا إذا استحله، والرابعة: أنه لا يخلد في النار، والخامسة: أنه في العقاب وعدمه تحت المشيئة، والسادسة: أن التوبة في حق كل فرد مقبولة ما لم يغرغر سواء من كفر أو دونه من أى ذنب كان.

١ – الإيمان يزيد وينقص:

٢٢٣– إيماننا يزيد بالطاعات ::: ونقصه يكون بالزلات

هذه هي المسألة الأولى من مسائل الفصل، وهي أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى في كتابه فقال في جامعه: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ :{**بني الإسلام على خمس**}[1] وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى:{لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ} [الفتح: ٤]،{وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى} [الكهف: ١٣]،{وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى} [مريم: ٧٦] وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾} [محمد: ١٧]،{وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا} [المدثر: ٣١] وقوله تعالى:{وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :{**إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**}[2].

---

(١) (صحيح) البخاري [٨] مسلم [١٦].

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٦١٢] وعلته الانقطاع، وللحديث شواهد. وقد صح من حديث أبي هريرة بلفظ (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا) سنن الترمذي [١١٦٢] وغيره.

وحديث:{**يا معشر النساء تصدقن.. إلخ**} وهو في الصحيحين، والشاهد منه قوله ﷺ :{**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن**}(١).

وذكر حديث أبي هريرة وهو في الصحيحين أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ :{**الإيمان بضع وسبعون بابًا فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله**} هذا لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح، ولفظه:{**بضع وستون**} ولمسلم رواية:{**بضع وسبعون**} لكن قالا:{**شعبة**} بدل:{**بابًا**}(٢).

وقال النسائي: باب زيادة الإيمان - وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقًا على تفاضل أهل الإيمان فيه.

وأما الزيادة والنقص فدلالته عليها مفهومًا لا منطوقًا، ومثله حديث أبي سعيد الخدري:{**رأيت الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي..**} الحديث، وفيه:{**وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين**}(٣) ثم ذكر حديث عمر في نزول قوله تعالى:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ } [المائدة: ٣] ودلالتها على ذلك منطوقًا.

وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى وقال: حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر ابن عون حدثنا أبو العميس قال أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخدنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أى آيه؟ قال{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا } [المائدة: ٣] قال: عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة(٤).

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٩٨] مسلم [٧٩/٨٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٩] مسلم [٥٨] الترمذي [٣٦١٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٣] مسلم [٢٣٩٠].
(٤) (صحيح) البخاري [٤٥] مسلم [٣٠١٧].

وعلى ذلك ترجم أبو داود وغيره من أئمة السنة، وساقوا في ذلك أحاديث تتضمنه منطوقًا ومفهومًا.

قال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن يحيى التيمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضى الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة، قال سبحان الله، ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد الصغار، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقي مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي يده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات(١).

حدثني إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد سمعت أبي يحدث حدثنا سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك لـه قال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة، فقال: مه! فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال: يا حنظلة ساعة ساعة، ولو كانت تكون

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧٥٠/١٢].

قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق، ومن طريق ثالث فذكرنا الجنة والنار.. الحديث[1]، وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم، وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى كما سيأتي إن شاء الله تبارك وتعالى بيانه قريبًا.

٢ - تفاضل أهل الإيمان:

٢٢٤- وأهله فيه على تفاضل ::: هل أنت كالأملاك أو كالرسل

هذه هي المسألة الثانية، وهي تفاضل أهل الإيمان فيه، كما ذكر الله تبارك وتعالى أقسامهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمته فقال تعالى:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ } [فاطر: ٣٢] الآيات، فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين، وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه، وإلى سابق بالخيرات، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفًا مما به بأس، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به إلى آخر معنى الحديث السابق، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأما الظالم لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالح قولان: أحدهما أن المراد به الكافر، فيكون كقول الله عز وجل في تقسيمهم في سورة الواقعة عند البعث{ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾} [الواقعة: ٧ - ١١] إلى آخر الآيات.

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٧٥٠/١٣].

وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال عز وجل :{فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾} [الواقعة: ٨٨ - ٩٤] فإن تفاضل أهل الإيمان في تقسيم هذه السورة إنما هو على درجتين: سابقين مقربين، وأبرار هم أصحاب اليمين، وأما أصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلام باتفاق، وإنما الخلاف في الظالم نفسه في آية فاطر، والقول الثاني أن المراد به عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم، ولكن ظلم دون ظلم، لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار، فعلى هذا يكون قسم ثالث في تفاضيل أهل الإيمان، ورجح هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى[1]، فإذا كان هذا التفاوت بين أتباع الرسل فكيف تفاوت ما بينهم وبين رسلهم، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسل متفاضلون فقال{ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ } [البقرة: ٢٥٣] وقد تقدم تقرير ذلك في موضعه.

وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم في الإيمان في دار التكليف كذلك جعل الجنة التي هي دار الثواب متفاوتة الدرجات مع كون كل منهم فيها، فقال في سورة الرحمن{وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾} [الرحمن: ٤٦ - ٥٩] إلى آخر السورة.

---

(١) وإلى هذا ذهب ابن كثير في تفسيره، وذكر أنه اختيار بن جرير رحمه الله. قال (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.

وكذا في سورة الواقعة أخبر بصفة الجنة التي يدخلها السابقون أعظم وأعلى من صفات الجنة التي يدخلها أصحاب اليمين.

وكذلك في سورة المطففين، قال تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾} [المطففين: ٢٢ - ٢٨] وغير ذلك من الآيات.

وقال النبي ﷺ :**{جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن}**(١).

وأهل الجنة متفاوتون في الدرجات حتى إنهم يتراءون، أهل عليين يرون غرفهم من فوقهم كما يرى الكوكب في الأفق الشرقي أو الغربي، ومتفاوتون في الأزواج ومتفاوتون في الفواكه من المطعوم والمشروب، ومتفاوتون في الفرش والملبوسات، ومتفاوتون في الملك، ومتفاوتون في الحسن والجمال والنور، ومتفاوتون في قربهم من الله عز وجل ، ومتفاوتون في تكثير زيارتهم إياه، ومتفاوتون في مقاعدهم يوم المزيد، ومتفاوتون تفاوتًا لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد قدمنا أحاديث الشفاعة وفيها أن عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم، متفاوتون تفاوتًا بعيدًا: متفاوتون في مقدار ما تأخذ منهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه كله إلا مواضع السجود، وكذلك يتفاوتون في مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها، لأنهم متفاوتون في الإيمان والتوحيد الذي بسببه يخرجون منها ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبدًا، فيقال للشفعاء أخرجوا

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٥٩٧] مسلم [١٨٠].

من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه وزن برة من إيمان، ثم من كان في قلبه ذرة من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان، فأين هذا ممن الإيمان في قلبه مثل الجبل العظيم، وأين من نوره على الصراط كالشمس، ممن نوره على إبهام قدمه ينير تارة ويطفأ أخرى{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)} [القلم: ٣٥ - ٣٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض عليَّ عمر وعليه قميص يجره: قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين**}[١].

وقال ابن أبي ملكية: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به.

وقال النبي ﷺ :{**ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه**}[٢].

وقال ﷺ :{**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**}[٣]، [٤].

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح[٥].

---

(١) (صحيح) سبق قريبا.

(٢) (صحيح) ابن ماجة [١٤٧] ابن حبان [٧٠٧٦].

(٣) (صحيح) مسلم [٤٩].

(٤) وجه الدلالة من الحديث على تفاضل أهل الإيمان: هو استخدام صيغة التفضيل (أضعف) واستخدامها يقتضي مغايرا لها أقوى وهو من حقق الإنكار بيده أو بلسانه، فدل ذلك على تفاوت درجات الإيمان قوة وضعفا.

(٥) (إسناده حسن) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل [٨٢١] وشعب الإيمان للبيهقي [٣٦].

وقرأ الفضيل بن عياض رحمه الله أول الأنفال حتى بلغ{ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤} [الأنفال: ٤] قال حين فرغ إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمنًا حقّا فهو من أهل الجنة، فمن لم يشهد أن المؤمن حقّا من أهل الجنة فهو شاكّ في كتاب الله مكذب، أو جاهل لا يعلم، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقّا مستكمل الإيمان، ولا يستكمل الإيمان إلا بالعمل، ولا يستكمل عبد الإيمان ولا يكون مؤمنًا حقّا حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه، يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول أنا مؤمن حتى تقول أنا مؤمن حقّا مستكمل الإيمان، والله لا تكون مؤمنًا حقّا مستكمل الإيمان حتى تؤدي ما افترض الله عليك وتجتنب ما حرم الله عليك وترضى بما قسم الله لك ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله منك.

ووصف فضيل الإيمان بأنه قول وعمل، وقرأ{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥} [البينة: ٥] فقد سمى الله تعالى دين القيمة بالقول والعمل، فالقول الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبي ﷺ، والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم، وقرأ{وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥}

[مريم: ٥٤ - ٥٥] وقال{۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ } [الشورى: ١٣].

فالدين التصديق بالعمل كما وصفه الله تعالى، وكما أمر أنبياءه ورسله بإقامته، والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل، قال الله تبارك وتعالى{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ} [التوبة: ١١] فالتوبة من الشرك جعلها الله تعالى قولاً وعملاً بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وقال أصحاب الرأي: ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شيء من الفرائض من الإيمان، افتراء على الله وخلافًا لكتابه وسنة نبيه، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهل الردة.

وقال فضيل: يقول أهل البدع: الإيمان الإقرار بلا عمل، والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان، قال: فمن قال ذلك فقد خالف الأثر، ورد على رسول الله ﷺ قوله، لأن رسول الله ﷺ قال:{**الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**}[1] وتفسير من يقول الإيمان لا يتفاضل يقول: إن فرائض الله ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان وقالوا: إن فرائض الله ليست من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، أخاف أن يكون جاحدا للفرائض رادًا على الله أمره، ويقول أهل السنة: إن الله تعالى قرر العمل بالإيمان وإن فرائض الله من الإيمان، قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [العنكبوت: ٧] فهذا موصول العمل بالإيمان، ويقول أهل الإرجاء: لا ولكنه مقطوع غير موصول، وقال أهل السنة: قال الله تعالى:{ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ} [النساء: ١٢٤] فهذا موصول، وأهل الإرجاء يقولون بل هو مقطوع، وقال أهل السنة: قال الله تعالى:{ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ} [الإسراء: ١٩] فهذا موصول، وكل شيء في القرآن من أشباه هذا فأهل السنة يقولون: هو موصول مجتمع، وأهل الإرجاء يقولون: بل هو مقطوع متفرق، ولو كان الأمر كما يقولون كان من عصى وارتكب المعاصي والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل، فما أسوأ هذا من قول وأقبحه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) (صحيح) سبق تخريجه قريبا.

وقال فضيل: أصل الإيمان عندنا وفرعه - بعد الشهادة لله بالتوحيد، والشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض - صدق الحديث، وحفظ الأمانة وترك الخيانة، والوفاء بالعهد وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين، والرحمة للناس عامة، قيل لـه - يعني فضيلاً - هذا من رأيك تقولـه أو سمعته؟ قال: بل سمعناه وتعلمناه، ولو لم آخذه من أهل الفقه والفضل لم أتكلم به.

وقال فضيل: يقول أهل الإرجاء: الإيمان قول بلا عمل، ويقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل، فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالتوثقة، ومن قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر، لأنه لا يدري أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه.

وقال يعني فضيلاً: قد بينت لك إلا أن تكون أعمى.

وقال فضيل: لو قال لي رجل: مؤمن أنت؟ ما كلمته ما عشت، وقال: إذا قلتَ آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول: أنا مؤمن، وإذا قلت: أنا مؤمن لا يجزيك من أن تقول: آمنت بالله لأن آمنت بالله أمر قال الله تعالى:{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ} [البقرة: ١٣٦] الآية، وقولك: أنا مؤمن تكلف لا يضرك أن لا تقولـه ولا بأس إن قلته على وجه الإقرار وأكرهه على وجه التزكية.

وقال فضيل سمعت الثوري يقول: من صلى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار في المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك، ولهم ذنوب وخطايا الله حسبهم، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، لا ندري ما لهم عند الله عز وجل .

وقال فضيل سمعت المغيرة الضبي يقول: من شك في دينه فهو كافر وأنا مؤمن إن شاء الله، قال فضيل: الاستثناء ليس بشك.

وقال فضيل: المرجئة كلما سمعوا حديثًا فيه تخويف قالوا: هذا تهديد، وإن المؤمن يخاف تهديد الله وتحذيره وتخويفه ووعيده ويرجو وعده، وإن المنافق

لا يخاف تهديد الله ولا تحذيره ولا تخويفه ولا وعيده ولا يرجو وعده.

وقال فضيل: الأعمال تحبط الأعمال، والأعمال تحول دون الأعمال، قال عبد الله قال أبي: أخبرت عن فضيل عن ليث عن مجاهد فيقوله{وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: ٢٦٩] قال: الفقه والعلم اهـ. من كتاب السنة[١]، وفيه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال:{**القلوب أربعة: قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق، وقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلبه**}[٢] اهـ.

وهذا الموقوف قد روى مرفوعًا إلى النبي ﷺ بإسناد جيد حسن، فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه**}[٣].

---

(١) (موقوف ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد [٨١٩] بسنده الليث بن أبي سليم: ضعيف، وانقطاع.

(٢) (إسناده ضعيف) السنة لعبد الله بن أحمد[٨٢٠] ومصنف ابن أبي شيبة [٣٠٤٠٤] الزهد لابن المبارك [١٤٣٩] الحلية لأبي نعيم [ج١ - ٢٧٦] وسنده منقطع فأبو البختري لم يسمع من حذيفة رضى الله عنه، وكذلك رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سلمان رضى الله عنه [٩٤٣٧] من رواية أبي البختري عن سلمان وهو أيضا لم يسمع من سلمان رضى الله عنه.

(٣) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١١١٤٥] الطبراني في الصغير [١٠٧٥] الحلية [ج٤ -

والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين في هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، والمقصود بيان أن الناس متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل، وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد، وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله عز وجل الذي خلقهم ورزقهم، وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة، بل والله يتفاضلون في عمل واحد يعمله كلهم في آن واحد وفي مكان واحد، فإن الجماعة في الصلاة صافون كلهم في رأي العين، مستوون في القيام والركوع والسجود، والخفض والرفع والتكبير والتحميد، والتسبيح والتهليل، والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكنات، في مسجد واحد ووقت واحد وخلف إمام واحد، وبينهم من التفاوت والتفاضل ما لا يحصى: فهذا قرة عينه في الصلاة يود إطالتها ما دام عمره، وآخر يرى نفسه في أضيق سجن يود انقضاءها في أسرع من طرفة عين، أو يود الخروج منها، بل يتندم على الدخول فيها، وهذا يعبد الله على وجه الحضور والمراقبة كأنه يشاهده، وآخر قلبه في الفلوات قد تشعبت به الضيعات وتفرقت به الطرقات حتى لا يدري ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى، وهذا ترفع صلاته تتوهج بالنور حتى تخترق السماوات إلى عرش الرحمن عز وجل ، وهذا تخرج مظلمة لظلمة قلبه فتغلق أبواب السماء دونها فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وهذا يكتب لـه أضعافها وأضعاف مضاعفة، وهذا يخرج منها وما كتب لـه إلا نصفها إلا ربعها إلا ثمنها إلا عشرها، وهذا يحضرها صورة ولم يكتب لـه منها شيء، وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم

ص٣٨٥]
وعلة السند: الليث بن أبي سليم: ضعيف، وكذلك الانقطاع، فأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

الآخر، وهذا والناظر إليهم يراهم مستوين في فعلها، ولو كشف لـه الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدرة إلا الله الرقيب على كل نفس بما كسبت الذي أحاط بكل شيء علمًا لا تخفى عليه خافية، وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ويقاتلون عدوّا واحدًا على دين واحد متساوين ظاهرًا في القوى والعدد، فهذا يقاتل حمية وعصبية، وهذا يقاتل رياء وسمعة لتعلم شجاعته ويرى مكانه، وهذا يقاتل للمغنم ليس لـه هم غيره، وهذا يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وذا هو المجاهد في سبيل الله لا لغيره وهذا هو الذي يكتب لـه بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح، وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع أعمال الإيمان الناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر في قلوبهم من العلم واليقين وعلى ذلك يموتون، وعليه يبعثون، وعلى قدره يقفون في عرق الموقف، وعلى ذلك الوزن والصحف وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط، وبحسب ذلك يمرون عليه، ومن يُبْطِئ به عمله لم يسرع به نسبه، وبذلك يتسابقون في دخول الجنة، وعلى حسبه رفع درجاتهم، وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى في يوم المزيد، وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٣ – فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان:

٢٢٥– والفاسق الملي ذو العصيان ::: لم ينف عنه مطلق الإيمان

٢٢٦– لكن بقدر الفسق والمعاصي ::: إيمانه ما زال في انتقاص

هذه هي المسألة الثالثة، وهي أن فاسق أهل القبلة لا ينفي عنه مطلق الإيمان بفسوقه، ولا يوصف بالإيمان التام، ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يعطي الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم، والمراد بالفسق هنا هو الأصغر، وهو عمل الذنوب الكبائر التي سماها الله ورسوله فسقًا وكفرًا وظلما مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها، فإن الله

تعالى سمى الكاذب فاسقًا فقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ} [الحجرات: ٦] ومع هذا لم يخرج ذلك الرجل الذي نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقًا ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه، وكذلك قال النبي ﷺ :{**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**}[1] وقال ﷺ :{**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض..**}[2] الحديث وغيره.

وقد استبَّ كثير من الصحابة على عهده ومن حضوره، فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه في الدين، وقال الله سبحانه{وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ} [الحجرات: ٩] فسمى الله تعالى كلاً من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة وأمر بالاصلاح بينهما ولو بقتال الباغية، ثم قال:{فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ} [الحجرات: ٩] ثم لم ينف عنهم الأخوَّة أخوَّة الإيمان لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقًا فقال عز وجل {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠} [الحجرات: ١٠] وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوّة الإيمان فقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ} [البقرة: ١٧٨] وكذلك الذين قال لهم النبي ﷺ :{**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**} سماهم أيضًا مسلمين بعد أن رجعوا كذلك فقال في صفة الخوارج:{**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولو الطائفتين بالحق**}[3] ومعلوم أن أصحاب علي بن أبي طالب وأهل الشام هما الفرقتان

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٨] مسلم [٦٤].
(٢) (صحيح) البخاري [١٢١] مسلم [٦٥].
(٣) (صحيح) مسلم [١٠٦٤].

اللتان مرقت الخوارج من بينهما وقد اقتتلا قتالاً عظيمًا، فسمى الجميع مسلمين، وقال ﷺ في سبطه الحسن بن علي:{**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين**}[1] فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين بعد موت أبيه رضى الله عنه في عام الجماعة، ولله الحمد والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقًا أو عامله فاسقًا وبين تسميته مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه، لأنه ليس كل فسق يكون كفرًا، ولا كل ما سمى كفرًا وظلمًا يكون مخرجًا من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، وذلك لأن كلاً من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين: أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية، وأصغر ينقص الإيمان وينافي الملة ولا يخرج صاحبه منه، فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق.

قال تعالى في بيان الكفر:{إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤} [البقرة: ٣٤] وقال{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩} [النساء: ١٦٧ - ١٦٩].

وقال النبي ﷺ في بيان الكفر الأصغر:{**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**}[2].

وقال الله تعالى في الظلم الأكبر{إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} [لقمان: ١٣] وقال في الظلم الأصغر{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا} [الطلاق: ١] وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠}

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٣٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٢٥٥٧].

[النساء: ١٠] وقال في الفسوق الأكبر{إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ} [الكهف: ٥٠] وقال تعالى:{وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ } [البقرة: ٢٥٤] وقال تعالى: في النفاق الأكبر{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾} [البقرة: ٨] وقال{إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ} [النساء: ١٤٥].

وقال النبي ﷺ في النفاق الأصغر:{**أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدَعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**}(١).

فهذه الخصال كلها نفاق عملي لا يخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادي المتقدم، وما تمسك به الخوارج والمعتزلة وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة وأذهانهم البعيدة وقلوبهم الغلف، فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فقالت الخوارج: المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولو أقر لله تعالى بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ، وصلى وصام وزكى وحج وجاهد وهو مخلد في النار أبدًا مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون، وقالت المعتزلة: العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسميهم فاسقين، فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين، ولكنهم لم يحكموا به بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين، بل قضوا بتخليده في النار أبدًا كالذين قبلهم، فوافقوا الخوارج مآلا وخالفوهم مقالاً، وكان الكل مخطئين ضلالاً، وقابل ذلك المرجئة فقالوا: لا تضر المعاصي مع الإيمان لابنقص لا منافاة، ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية، ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبي

(١) (صحيح) البخاري [٤٨] مسلم [٦٤].

بكر وعمر، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين، إذا الكل مستوفى النطق بالشهادتين كما قدمنا اعتقادهم في بحث الإيمان، نسأل الله تعالى العافية.

٤ - العاصي لا يخلد في النار وأمره إلى الله.

٢٢٧- ولا نقول إنه في النار ::: مخلد بل أمره للباري

٢٢٨- تحت مشيئة الإله النافذه ::: إن شا عفا عنه وإن شا آخذه

٢٢٩- بقدر ذنبه إلى الجنان ::: يخرج إن مات على الإيمان

(**ولا نقول إنه**) أى الفاسق بالمعاصي التي لا توجب كفرًا (**في النار مخلد**) هذه هي المسألة الرابعة من مسائل الفصل (**بل نقول أمره**) مردود حكمه (**للباري**) في الجزاء والعفو (**تحت مشيئة الإله النافذة**) في خلقه (**إن شاء**) الله عز وجل (**عفا عنه**) وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله (**وإن شاء أخذه**) أى جازاه وعاقبه (**بقدر ذنبه**) الذي مات مصرّا عليه، كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحولـه عصابة من أصحابه:{**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة لـه، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**} فبايعناه على ذلك[١].

(**وإلى الجنان يخرج**) من النار (**إن**) كان (**مات على الإيمان**) كما تقدم في أحاديث الشفاعة وإنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحم الرحمين ثم بشفاعة الشافعين:

(١) (صحيح) البخاري [٣٤] مسلم [٥٨].

٢٣٠- والعرض تيسير الحساب في النبا ::: ومن يناقش الحساب عذبا

في هذا البيت إشارة إلى تفسير رسول الله ﷺ لقولـه الله عز وجل {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾} [الانشقاق: ٧ - ٨] الآيات، كما في صحيح البخاري وغيره من طرق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :**{ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله** عز وجل {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾} قال:**{ذلك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك}**[1]وفي رواية:**{عذب}** وقد قدمنا من نصوص الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها ما يعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم في الآخرة بحسب تفاوتهم في الدار الدنيا في طاعة ربهم وضدها من سابق ومقتصد وظالم لنفسه.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبدًا.

الطبقة الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة

---

(١) (صحيح) البخاري [١٨] مسلم [١٧٠٩].

الجنة وأهل النار النار {وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾} [الأعراف: ٤٤ - ٤٩].

الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مصرّين على كبائر الإثم والفواحش(١)، ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم فوق ذلك، حتى إن منهم من لم يُحرَّم منه على النار إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه فيحدُّ لهم حدّا فيخرجونهم، ثم يحد لهم حدّا فيخرجونهم، ثم هكذا فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان في قلبه نصف دينار من خير، ثم برّة، ثم خردلة، ثم ذرّة، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيرًا، ويخرج الله تعالى من النار أقوامًا لا يعلم عدتهم إلا هو بدون شفاعة الشافعين، ولم يخلد في النار أحد من الموحدين ولو عمل أى عمل، ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانًا وأخف ذنبًا كان أخف عذابا في النار وأقل مكثًا فيها وأسرع خروجًا منها، وكل من كان

(١) هذا إذا لم تدركهم رحمة الله فهم في جملة من يدخلون في مشيئة الله إن شاء عفا، وإن شاء عذب على قدر الذنوب ثم المآل إلى الجنة.

أضعف إيمانًا وأعظم ذنبًا كان بضد ذلك والعياذ بالله.

والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة، وقد قدمنا منها ما فيه كفاية، وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقولـه:{**من قال لا إله إلا الله نفعته يومًا من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه**}[١] وهذا مقام ضلت فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها قال: قد روينا أخبارًا عن النبي ﷺ يحسب كثير من أهل الجهل والعناد أنها خلاف هذه الأخبار التي ذكرناها مع كثرتها وعدالة ناقليها في الشفاعة وفي إخراج بعض أهل التوحيد من النار بعد ما دخلوها بذنوبهم وخطاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا بحمد الله ونعمته، وأهل الجهل الذين ذكرتهم في هذا الفصل صنفان: صنف منهم من الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن دخل النار وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة، الصنف الثاني الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال لا إله إلا الله تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظة على خلاف تأويلها.

فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة وفي إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار.

---

(١) (سنده صحيح) شعب الإيمان للبيهقي [٩٧] الطبراني في الأوسط [٦٣٩٦] من حديث أبي هريرة.

ثم ساق منها حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**}(١) وحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا الله**}(٢).

وحديث عتبان بن مالك: قال رسول الله ﷺ :{**لن يوافى عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلا حرم على النار - وفي رواية: فإن الله قد حرم على النار - أن تأكل من قال لا إله إلا الله**}(٣).

وحديث عثمان عن النبي ﷺ قال:{**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة**}(٤).

وحديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ :{**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه دخل الجنة**}(٥).

وحديث عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله دخل الجنة**} وفي رواية حرمه الله على النار(٦).

(١) (صحيح) مسلم [٩١] الترمذي [١٩٩٩] ابن ماجة [٥٩] أحمد [٣٩٤٧] واللفظ له.
(٢) (سنده صحيح) أحمد [١٣٨٦/١٣٨٤/٤٤٧].
(٣) (صحيح البخاري [٦٠٥٩] أحمد [٢٣٨٢١].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٦].
(٥) (إسناده صحيح) أحمد [٢٢٠٥٦].
(٦) (سنده حسن) وإن كان الحديث صحيحا، رواه بهذا اللفظ الطبراني في مسند الشاميين [٢١٨٠] وابن خزيمة في التوحيد [٥٢٤].

وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعثه فقال:{**اذهب فناد في الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله موقنًا - أو مخلصًا - دخل الجنة**}[1].

وحديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، ما تركت من حاجة ولا داجة إلا أتيت عليها، قال:{**أو تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فإن هذا يأتي على ذلك كله**}[2] وحديث عمر رضى الله عنه أن رسول الله أمره أن يؤذن الناس:{**أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه مخلصًا فله الجنة، قال عمر: يا رسول الله إذا يتكلوا، قال: فدعهم**}[3].

وحديث عبد الله بن سلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وجبت لـه الجنة**}[4] وحديث أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**قال لي جبريل: من مات من أمتك لايشرك بالله شيئًا دخل الجنة ولم يدخل النار، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق**}[5].

وحديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قرأ{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن: ٤٦] قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: فقرأها رسول الله ﷺ {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟

---

(١) (إسناده ضعيف) ابن خزيمة في التوحيد [٥٢٥] علته: المحرز بن كعب: لم أقف له على ترجمة، وله شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه بلفظ « اذْهَبْ بِنَعْلَىَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ».

(٢) (إسناده صحيح) ابن خزيمة في التوحيد [٥٢٦].

(٣) (سنده ضعيف) ابن خزيمة في التوحيد [٥٢٧] وعلته: عبد الله بن محمد بن عقيل: ضعيف سيئ الحفظ، ويشهد له ما قبله.

(٤) (سنده صحيح) ابن خزيمة في التوحيد [٥٣١].

(٥) (صحيح) البخاري [١١٨٠] مسلم [٩٤].

قال:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} **وإن زنى وإن سرق، ورغم أنف أبي الدرداء}** فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه[١].

حديث ابن مسعود رضي الله عنه :**{قال رسول الله ﷺ كلمة وأنا أقول أخرى، قال: من مات وهو يجعل لله ندّا دخل النار، قال وأقول: من مات وهو لا يجعل لله ندّا دخل الجنة}**[٢].

قال أبو بكر: قد كنت أمليت أكثر هذا الباب من كتاب الإيمان وبينت في ذلك الموضع معنى هذه الأخبار وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة، وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادة أن محمدًا رسول الله ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب الله عز وجل ولا بجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار، ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب الله عز وجل وخلاف سنن النبي ﷺ لجاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي ﷺ إذا تؤوّلت على ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمدًا نبيه وإن لم ينطق بذلك لسانه ولا يزال يسمع أهل الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير مقتصاة وبأخبار مجملة غير مفصلة لا يفهمون أصول العلم فيستدلون بالمقتصي من الأخبار على مختصرها وبالمفسر منها على مجملها، قد ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ بلفظه لو حملت على ظاهرها كما حملت على المرجئة الأخبار التي ذكرناها في شهادة أن لا إله إلا الله على ظاهرها لكان العالم بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقا للجنة وإن لم يقر بذلك بلسانه ولا أقرّ بشيء مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا

---

(١) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٨٦٦٨] وابن خزيمة في التوحيد [٥٣٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٢٢٧].

آمن بقلبه بشيء مما أمر الله بالإيمان به، ولا عمل بجوارحه شيئًا أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله من سفك دماء المسلمين وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم، فاسمع الخبر الذي ذكرت أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها على ظاهرها.

ثم ذكر حديث عثمان عن النبي ﷺ قال:{**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**}(١).

وحديث عمران بن حصين سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من علم أن الله ربه وأني نبيه صادقًا من قلبه - وأومأ بيده إلى فلذة صدره - حرم الله لحمه على النار**}(٢).

وحديث معاذ رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من مات وهو يوقن بقلبه أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور - قال ابن سيرين - إما دخل الجنة، وإما قال نجا من النار**}(٣).

كيف جاز للجهمي الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب أن لا إله إلا الله وبأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله من معنى هذه الأخبار، لم يؤمن أن يحتج جاهل لم يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النبي ﷺ :{**من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة**}(٤) فيدعي أن جميع الإيمان هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب وإن لم يقر بلسانه

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٦].

(٢) (إسناده ضعيف) ابن خزيمة في التوحيد [٥٤٢] والطبراني في الكبير [١٤٦٧٢].

(٣) (إسناده صحيح) الطبراني في الكبير [١٦٧٧٢] والسنة لابن أبي عاصم [٨٨٨] والتوحيد لابن خزيمة [٥٤٣].

(٤) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [٤٢٣] والحاكم في المستدرك [٢٤٣] علته: عبد الملك بن عبيد: مجهول الحال.

مما أمر الله بالإقرار به ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به ولا أطاع في شيء أمر الله به ولا انزجر عن شيء حرمه الله، إذ النبي ﷺ قد أخبر أن من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة كما أخبر أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ثم ذكر حديث عثمان بسنده.

قال أبو بكر: فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر في الإيمان واستحقاق المرء به الجنة وترك الاستدلال بالأخبار المفسرة المقتصاة لم يؤمن أن يحتج جاهل معاند فيقول: بل الإيمان إقام صلاة الفجر وصلاة العصر وأن مصليها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقر به، ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض الله على عباده، ولا الزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله ويحتج بخبر عمار بن رؤيبة فذكره بإسناده إلى عمار بن رويبة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حرمه الله على النار}** فقال رجل من أهل البصرة: وأنا سمعته عن رسول الله ﷺ [(١)].

قال أبو بكر: قد أمليت طرق هذا الخبر في كتاب المختصر من كتاب الصلاة مع أخبار النبي ﷺ :**{من صلى الصبح فهو في ذمة الله}**[(٢)].

وكل عالم يعلم دين الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتين لا توجبان الجنة مع ارتكاب جميع المعاصي، إنها إنما رويت في فضائل هذه الأعمال، وإنما رويت أخبار النبي ﷺ :**{من قال لا إله إلا الله دخل الجنة}** فضيلة لهذا القول، لا أن هذا القول كل الإيمان.

---

(١) (صحيح) مسلم [٦٣٤] وابن خزيمة في صحيحه [٣١٨] واللفظ له.

(٢) (صحيح) مسلم [٦٥٧].

قلت: للا إله إلا الله لوازم ومقتضيات وشروط مقيد دخول الجنة بالتزام قائلها لجميعها واستكماله إياها كما قدمنا بسطه ولله الحمد.

قال رحمه الله تعالى: ولئن جاز لجاهل أن يقول إن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبي ﷺ أخبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أن يدَّعي جاهل معاند أيضًا أن جميع الإيمان القتال في سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول النبي ﷺ :**{من قاتل في سبيل الله فواق ناقة دخل الجنة}**(١) كاحتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ :**{من قال لا إله إلا الله دخل الجنة}**.

ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله المشي في سبيل الله حتى تغبرّ قدما الماشي، ويحتج بقول النبي ﷺ :**{من اغبرت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار}**(٢).

وبقوله ﷺ :**{لا يجتمع غبار الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم}**(٣).

ويدعي جاهل آخر أن الإيمان كله عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأن النبي ﷺ قال:**{من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضوٍ منه عضوًا من النار}**(٤).

ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى ويحتج بقول النبي ﷺ :**{لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى}**(٥).

ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان صوم يوم في سبيل الله ويحتج بأن النبي ﷺ :**{قال من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا}**(٦).

---

(١) (صـــحيح لغيره) أبو داود [٢٥٤١] الترمذي [١٦٥٧] النســائي [٣١٤١] ابن ماجة [٢٧٩٢] من حديث معاذ، وله شاهد من حديث أبي هريرة، عند الترمذي [١٦٥٠] أحمد [٩٧٦١].

(٢) (صحيح) البخاري [٨٦٥].

(٣) (صحيح) النسائي [٣١٠٧] الترمذي [١٦٣٣] أحمد [١٠٥٦٧] من حديث أبي هريرة.

(٤) (صحيح) البخاري [٦٣٣٧] مسلم [١٥٠٩] اللفظ لمسلم.

(٥) (صحيح) النسائي [٣١٠٧] أحمد [١٠٥٦٧] الحاكم [٧٦٦٧].

(٦) (صحيح) البخاري [٢٦٨٥] مسلم [١١٥٣].

ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النبي ﷺ :**{لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا}**[1] ثم ذكره بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه.

ثم قال رحمه الله تعالى: وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب، وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما لـه قصدنا أن النبي ﷺ إنما أخبر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها لا أن النبي ﷺ أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان، وكذاك إنما أراد النبي ﷺ بقولـه:**{من قال لا إله إلا الله دخل الجنة}** أو:**{حرم على النار}** فضيلة لهذا القول لا أن جميع الإيمان كما ادَّعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها.

ومعنى قولـه ﷺ :**{لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا}** هذا لفظ مختصره الخبر المقتضى لهذه اللفظة المختصرة ما حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا شعيب بن الليث قال حدثنا الليث عن محمد بن العجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:**{لا يجتمعان في النار اجتماعًا}** يعني أحدهما مسلم قتل كافرًا ثم سدد المسلم وقارب[2].

قال أبو بكر: لذاك نقول في فضائل الأعمال التي ذكرنا: من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكب بعض المعاصي، لذاك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النار، لا إنه لا يدخل النار ولا موضعًا منها وإن ارتكب جميع الكبائر

---

(١) (صحيح) مسلم [١٨٩١].
(٢) (صحيح) مسلم [٥٠٠٤] ابن خزيمة في التوحيد [٥٤٨] والسند واللفظ لابن خزيمة.

خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أن يغفر لـه ما دون الشرك، فقد أخبر الله عز وجل أن للنار سبعة أبواب فقال لإبليس{ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَـاوِينَ ﴿٤٢﴾} [الحجر: ٤٢] إلى قولـه تعالى{لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُـزْءٌ مَّقْسُومٌ} [الحجر: ٤٤] فأعلمنا ربنا عز وجل أنه قسم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار، فجعل لكل باب منهم جزءًا معلومًا واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم فكل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس والله عز وجل قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإن لم يتب منها، لذاك أعلمنا في محكم تنزيله قولـه{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء: ١١٦] وأعلمنا خالقنا عز وجل أن آدم الذي خلقه الله بيده وأسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود لـه عصاه فغوى وأنه عز وجل برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى ولم يحرمه الله بارتكاب هذا الحوب بعد ارتكابه إياه، فمن لم يغفر الله لـه حوبته التي ارتكبها وأوقع عليه اسم غاو فهو داخل في الأجزاء جزءًا وقسمًا لأبواب النار السبعة، وفي ذكره آدم ﷺ وقولـه عز وجل {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ} [طه: ١٢١] ما يبين ويوضح أن اسم الغاوي قد يقع على مرتكب الخطيئة قد زجر الله عن إتيانها وإن لم تكن تلك الخطيئة كفرًا ولا شركًا ولا ما يقاربهما ويشبههما ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله عز وجل قلبه ولسانه المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهى عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة لـه أو صاحبة أو ولدًا - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - ولم يؤمن بشيء مما أمر الله تعالى بالإيمان به ولا أطاع الله في شيء أمر به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار، والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوبًا لم يتجاوز الله عن ذنوبه

كان أشد عذابًا في النار، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله عز وجل وتقربًا إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان وأعظم ثوابًا وأجزل نعمة، فكيف يجوز أن يتوهم عاقل مسلم أن أهل التوحيد يجتمعون في النار في الدرجة مع من كان يفتري على الله عز وجل فيدعو له شريكًا أو شركًا، فيدعو له صاحبة وولدًا ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر الله بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب المعاصي فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بدّا من تكذيب الأخبار الثابتة من التي ذكرتها عن النبي ﷺ في إخراج أهل التوحيد من النار، إذ محال أن يقال أخرجوا من النار من ليس فيها وأكثر استحالة من هذا أن يقال يخرج من النار من ليس فيها، وفي إبطال أخبار النبي ﷺ اضمحلال الدين وإبطال الإسلام، والله عزوجل لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار ولا سوَّى بين عذاب جميعهم، قال الله عز وجل {إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ} [النساء: ١٤٥] وقال{أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ } [غافر: ٤٦].

ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم وكفر به الخوارج وردوه بباطل آخر شرع رحمه الله في بيان ما تشبث به الخوارج واحتجوا به على باطلهم وما كفر به المرجئة وردوه بباطل آخر، فقال رحمه الله تعالى: باب ذكر أخبار رويت عن النبي ﷺ ثابتة من جهة النقل، جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج احتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد في النار محرم عليه الجنان، والفرقة الأخرى المرجئة كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلاً منها بمعانيها، وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق الله.

ثم ذكر بأسانيده حديث أسامة بن زيد وسعدبن أبي وقاص وأبي بكرة وسعد ابن مالك رضى الله عنه قال رسول الله: ﷺ :**{من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام}**[1].

وحديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال:**{من انتسب لغير أبيه فلن يرح بريح الجنة، وريحها يوجد من مسيرة سبعين عامًا}**[2].

وحديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا يدخل الجنة قتات}** وفي رواية:**{نمام}**[3].

وحديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال:**{من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله لـه النار وحرم عليه الجنة، فقال رجل: إن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: وإن كان قضيبًا من أراك}**[4].

وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ :**{لا يدخل الجنة نمام ولا عاق ولا مدمن خمر}**[5].

وحديث جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ :**{لا يدخل الجنة قاطع}**[6].

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٣٨٥] مسلم [٦٣].
(٢) (صحيح) أحمد في المسند [٦٨٣٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٥٧٠٩] مسلم [١٠٥].
(٤) (صحيح) مسلم [١٣٨].
(٥) (صحيح لغيره) التوحيد لابن خزيمة [٥٧٣] النسائي [٥٦٧٢] أحمد [٦٨٨٢] بلفظ (منان) بدلا من(نمام)، ويبدو أن (منان)، هي اللفظة الصحيحة لأن المصنف رحمه الله في هذا الموضع ينقل كلام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله من كتابه التوحيد، وهي عنده بهذا اللفظ (منان). وإن كان في السند: نبيط، وجابان، وكلاهما مقبول كما في التقريب. فللحديث شاهد بسند صحيح عند النسائي من حديث ابن عمر [٢٥٦٢] بلفظ: (ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والمدمن على الخمر والمنان بما أعطى) وللحديث شواهد أخرى، تركناها اختصارا.
(٦) (صحيح) البخاري [٥٦٣٨] مسلم [٢٥٥٦].

وحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه، والديوث ورجلة النساء**}(١).

وحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :{**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى**}(٢).

وحديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال:{**من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها**}(٣).

ثم قال رحمه الله تعالى: معنى هذه الأخبار إنما هو على أحد معنيين:

أحدهما: لا يدخل الجنة أى بعض الجنان، إذ النبي ﷺ قد أعلم أنها جنان من جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيمًا وسرورًا وبهجة وأوسع، لا أنه أراد لا يدخل شيئًا من تلك الجنان التي هي في الجنة، وعبد الله بن عمرو قد بين خبرة الذي روى عن النبي ﷺ :{**لا يدخل الجنة عاقّ ولا منان ولا مدمن خمر**}(٤) إنه إنما أراد حظيرة القدس من الجنة على ما تأولت على أحد المعنيين، ثم ساق بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه قال:{**لا يدخل حظيرة القدس سكير ولا عاقّ ولا منّان**}(٥).

قال: **والمعنى الثاني**: ما قد أعلمت أصحابي ما لا أحصى من مرّة أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أى إلا أن يشاء الله

---

(١) (إسناده صحيح) أحمد [٦١٨٠] تهذيب الآثار للطبري [١٥٥٤] المستدرك [٢٤٤] الطبراني في الكبير [١٣١٨٠].
(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٦١٨٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٥١٦] سنن النسائي [٤٧٤٨] واللفظ له.
(٤) (صحيح لغيره) سبق تخريجه قريبا.
(٥) (سنده صحيح) التوحيد لابن خزيمة [٥٨٦].

تعالى أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذ الله عز وجل قد خبر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء: ١١٦] قد أمليت هذه المسألة في كتاب معاني القرآن الكتاب الأول، واستدللت أيضًا بخبر عن النبي ﷺ بهذا المعنى.

وساق بإسناده إلى قيس بن محمد عن محمد بن الأشعث أن الأشعث وهب له غلامًا فغضب عليه وقال: والله ما وهبت لك شيئًا، فلما أصبح رده عليه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من حلف على يمين صبرًا ليقتطع مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو مجتمع عليه غضبان، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**}(١).

قلت: وتقدم حديث عبادة بن الصامت في قصة البيعة، وهو دليل على هذا المعنى.

قال أبو بكر: فاسمعوا الخبر المصرح بصحة ما ذكرت أنها جنان في جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها على انفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التي ذكرنا عن النبي ﷺ من فعل كذا وكذا لبعض المعاصي لم يدخل الجنة إنما أراد بعض التي هي أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيمًا وأوسع، إذ محال أن يقول النبي ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لا يدخل شيئًا من الجنان، ويخبر أنه يدخل الجنة فتكون إحدى الكلمتين دافعة الأخرى وأحد الخبرين دافعا الآخر، لأن هذا الجنس مما لا يدخله التناسخ، ولكنه من ألفاظ العام الذي يراد به الخاص.

---

(١) (إسناده ضعيف) ابن خزيمة في التوحيد [٥٨٧] وعلته: قيس بن محمد بن الأشعث، ومحمد بن الأشعث ابن قيس: كلاهما: مقبول. انظر التقريب، ولكن متن الحديث ثابت في الصحيح، البخاري [٢٤١٦].

ثم ساق بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه :**{أن أم الربيع أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أنبئني عن حارثة أصيب يوم بدر فإن كان في الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء، فقال: يا أم حارثة إنها جنان في جنة وإنه أصاب الفردوس الأعلى}**(١).

قال أبو بكر: قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر في كتاب الجهاد، وقد أمليت في كتاب ذكر نعيم الجنة ذكر درجات الجنة وبعد ما بين الدرجتين، منها أن إخبار النبي ﷺ أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء لتفاضل ما بينهما، وقول بعض أصحابه: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال:**{بلى رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين}**(٢) وأمليت أخبار النبي ﷺ بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام(٣).

فمعنى هذه الأخبار التي فيها ذكر بعض الذنوب التي يرتكبه بعض المؤمنين أن مرتكبه لا يدخل الجنة معناها لا يدخل العالي من الجنان التي هي دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب والحوبات والخطايا.

ثم قال: وقد يجوز أن يقول ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التي يدخلها فيه من لم يرتكب هذه الحوبة، لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب فمعنى هذه الأخبار على هذه المعاني لأنها إذا لم تحمل على هذه المعاني كانت على وجه التهاتر والتكاذب وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ على ما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه.. إذا

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٩٨٢/٢٨٠٩].

(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٥٦/ ٦٥٥٦] مسلم [٢١٧٧].

(٣) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٢٢٧٤٧].

حدثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه، ثم ساقه بإسناده عن علي رضى الله عنه فذكره[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى باختصار بعض مكررة فلا تستطله فإنه كلام متين من إمام متضلع من معاني الكتاب والسنة ذي خبرة وعلم لمواردها ومصادرها.

وقولـه رحمه الله تعالى: وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ لم يعن رحمه الله التأويل الذي اصطلحه المتكلمون لصرف النصوص عن معانيها إلى الاحتمالات البعيدة التي هضموا بها معاني النصوص بما اقتضته عقولهم السخيفة وليس ذلك من طريقته ولا من شأنه رحمه الله وإنما عنى ما أشار إليه في غير موضع من كتبه من حمل المجمل على المفسر والمختصر على المقتصي، والمطلق على المقيد، والعموم على الخصوص، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوص ومدلولاتها لئلا تكون متناقضة يرد بعضها معنى بعض، لأن ذلك مما ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهذه طريقة جميع أئمة المسلمين من علماء التفسير والحديث والفقه في أصول الدين وفروعه رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

مسألة: **فإن قيل**: وما الجمع بين ما تقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن ارتكب حدا لم يقم عليه قال فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وبين ما صرحت به النصوص التي في الميزان والحساب والجنة من أن من رجحت خطاياه وسيئاته بحسناته تمسه النار ولا بد، **قلنا**: لا إشكال في ذلك ولا منافاة ولله الحمد، وقد حصل الجمع الفاصل للنزاع بحديث عائشة رضى الله عنها الذي ذكرنا في شرح البيت الأدنى بأن من يشأ عز وجل أن يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذي فسره النبي ﷺ بالعرض وقال في معنى العرض في الأحاديث السابقة في صفته:{**يدنو أحدكم من ربه** عز وجل **حتى**

(١) (سنده صحيح) التوحيد لابن خزيمة [٥٩١] ابن ماجة [٢٠] الطيالسي [٩٩].

يضع عليه كنفه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم}(١).

وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب وقد قال رسول الله ﷺ :**{من نوقش الحساب عُذب}**(٢).

نسأل الله عز وجل أن ييسر حسابنا ويتجاوز عنا ويغفر لنا بمنه وكرمه آمين.

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٢٣٠٩] مسلم [٢٧٦٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٦١٧١] مسلم [٢٨٧٦].

٢٣١- ولا نكفر بالمعاصي مؤمنا ::: إلا مع استحلاله لما جنى

(ولا نكفر بالمعاصي) التي قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفرًا، والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك، ولا تستلزمه ولا تنافي اعتقاد القلب ولا عمله (مؤمنا) مقرّا بتحريمها معتقدًا لـه، مؤمنًا بالحدود المترتبة عليها، ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينقص إيمانه بقدر ما تجارا عليه منها، والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله عز وجل {وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾} [النور: ٤ - ٥] وما في معناها من آيات الحدود والكبائر، وقول النبي ﷺ :**{لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد..}**[1] الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه، والدليل على أن النفي في هذا الحديث وغيره ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ما قدمنا من النصوص التي صرحت بتسميته مؤمنًا وأثبتت لـه أخوة الإيمان، وأبقت لـه أحكام المؤمنين.

(**إلا مع استحلاله لما جنى**) هذه هي المسألة الخامسة وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله لو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذبًا بالكتاب ومكذبًا بالرسول ﷺ وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع، فمن جحد أمرًا مجتمعًا عليه معلومًا من الدين بالضرورة فلا شك في كفره.

٢٣٢- وتقبل التوبة قبل الغرغره ::: كما أتى في الشرعة المطهره

(١) (صحيح) البخاري [٦٤٢٥] مسلم [٥٧].

هذه هي المسألة السادسة وهي أن التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب كفرًا كان أو دونه، وقد دعا الله تبارك وتعالى إليها جميع عباده؛ فدعا إليها من قال المسيح هو الله ومن قال هو ثالث ثلاثة، ومن قال يد الله مغلولة، ومن قال إن الله فقير ونحن أغنياء، ومن دعا لله الصاحبة والولد فقال لهم جميعًا{ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ } [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها من هو أعظم محادة لله من هؤلاء وهو من قال أنا ربكم الأعلى، ما علمت لكم من إله غيري، فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى{ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾} [النازعات: ١٧ - ١٩].

وقال له في الآية الأخرى:{أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾} [الشعراء: ١٠ - ١١] وفي الآية الأخرى{ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾} [طه: ٤٣ - ٤٤].

ودعا إلى التوبة من عمل أكبر الكبائر وهي الشرك وقتل النفس بدون حق والزنا، فقال تعالى:{وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾} [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ودعا إليها من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى فقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾} [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

ودعا إليها المشركين قاطبة فقال بعد الأمر بقتلهم حيث وجدوا{فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [التوبة: ٥] ودعا

إليها المنافقين قاطبة فقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

ودعا إليها جميع المسرفين بأي ذنب كان فقال تعالى:{يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ} [الزمر: ٥٣ - ٥٤] الآيات، وغيرها ما لا يحصى، بل لم يرسل الله تعالى الرسل وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده إلى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم.

وفي الصحيح من حديث أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**}(١) وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال:{**أذنب عبدي ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن لـه ربّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى ربي اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن لـه ربّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**}(٢) وفيه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:{**إن الله** عز وجل **يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**}(٣).

(١) (صحيح) البخاري [٥٩٥٠] مسلم [٢٧٤٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٧٠٦٨] مسلم [٢٧٥٨].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٧٥٩].

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل لـه من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل لـه من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو لـه، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**} قال قتادة فقال الحسن: ذكر لنا أنه:{**لما أتاه الموت ناء بصدره**} وفي رواية:{**فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره ثم مات، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها شبرًا فجعل من أهلها**}(١).

وفيه من حديث ابن عباس رضى الله عنه : أن أناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة(٢)، فنزل{وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ} [الفرقان: ٦٨] ونزل:{۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٥٣]

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٨٣] مسلم [٢٧٦٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٥٣٢] مسلم [١٢٢].

وقال محمد بن إسحاق: وحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله عنه في حديثه قال:{**وكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلاً ولا توبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم:**{يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾} [الزمر: ٥٣ - ٥٥] قال عمر رضى الله عنه : فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضى الله عنه، قال فقال هشام: لما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت اللهم أفهمنيها، قال: فألقى الله عز وجل في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة[١].

* * *

(١) (سنده حسن) السيرة لابن هشام [ج٢ - ص٣٢٣] سنن البيهقي الكبرى [١٧٥٣٤].

والأحاديث في شأن التوبة والحث عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرة جدّا لها مصنفات مستقلة، وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث فإنما المراد بها التوبة النصوح، وهي التي اجتمع فيها ثلاثة شروط: الأول: الإقلاع عن الذنب، الثاني: الندم على فعله، الثالث: العزم على أن لا يعود فيه، فإن كان في ذلك الذنب حق لآدمي لزم استحلاله منه إن أمكن، للحديث الذي قدمنا:{**من كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم..**}(١) الحديث، في الصحيح، وهذه الشروط في كيفية التوبة، وأما الشرط في زمانها فهو ما أشرنا إليه في المتن بقولنا:{**قبل الغرغرة**} وهي حشرجة الروح في الصدر، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة ويبدأ بها السياق، قال الله تبارك وتعالى{ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٧ - ١٨].

وعن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة(٢)، رواه ابن جرير.

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدًا كان أو غيره(٣)، وقال مجاهد: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها، وقال ابن عباس رضى

(١) (صحيح) البخاري [٦١٦٩].
(٢) (سنده صحيح إلى أبي العالية) ابن جرير الطبري في تفسيره [٨٨٣٢] أبو العالية هو: رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحى.
(٣) (سنده إلى قتادة صحيح) عبد الرزاق في تفسيره [٥٢١] الطبري في تفسيره [٨٨٣٣].

الله عنه : من جهالته عمل السوء، وعنه رضى الله عنه قال{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} [النساء: ١٧] قال: بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت، وقال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب، وقال قتادة والسدّي: ما دام في صحته، وهو مروي عن ابن عباس، وقال الحسن البصري: ثم يتوبون من قريب ما لم يغرغر، وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب.

وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**}(١) ولـه عن عبد الرحمن البيلماني قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**يقول إن الله تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم**}.

فقال الآخر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم**}.

فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة**}.

وقال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟قال: نعم، قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه**}(٢).

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر**}(٣).

---

(١) (سنده حسن) الترمذي [٣٥٣٧] ابن ماجة [٤٢٥٣] أحمد [٦١٦٠] والغرغرة ": أن يجعل الشراب في فمه ويردده إلى أقصى الحلق، ثم لا يبلعه. شبهوا تردد الروح قبل خروجها بمنزلة ما يتغرغر به المريض. وهذه صفة عجيبة بلفظ واحد، لحالة من شهدها، شهد للعرب أنهم أهل بيان، وأن لغتهم أدنى اللغات في تصويرها للدقيق المشكل بكلمة واحدة. (هامش تفسير الطبري).

(٢) (إسناده ضعيف) أحمد في المسند [١٥٥٣٨] عبد الرحمن البيلماني: ضعيف.

(٣) (إسناده ضعيف جدا) ذكره ابن كثير في تفسيره [ج١ - ص٦١٥] بإسناد ابن مردويه، وهو إسناد ضعيف به: عمران بن عبد الرحيم بن أبي الورد: متهم بالوضع، ورمي بالرفض، لسان الميزان [١٠١١]، وفي طبقات المحدثين بأصبهان [٢٧٩] وفي الإسناد: أبو صالح محمد بن

وهذا توقيت زمان التوبة في حق كل فرد من العباد، وأما في حق عمر الدنيا، فقد تقدم في الآيات والأحاديث أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها، لأنها أول آيات القيامة العظام وحين الإياس من الدنيا، كما أن رؤية ملك الموت آية الانتقال من الدنيا وحين الإياس من الحياة وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال الله تبارك وتعالى:{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾} [غافر: ٨٢ - ٨٥]

* * *

الحسين بن المهلب ذكره في طبقات المحدثين [٥٠٤] وكذلك الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن يزيد الزهري [٢٧٩] ولم أجد لهما ترجمة في غير الطبقات، ولم يذكر فيهما جرحا ولا تعديلا. وقال في مجمع الزوائد [١٧٥١٣] رواه البزار وفيه: يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك.

٢٣٣- نبينا مُحَّد من هاشم ::: إلى الذبيح دون شك ينتمي

(**نبينا مُحَّد**) ﷺ (**من**) ولد (**هاشم**) وهو ﷺ أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه مغيرة بن قُصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي.

وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال، وأم عبد مناف حبَّى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي، وأم قُصَيّ فاطمة بنت سعيد بن سيل أحد الجُدَرَة من جعثمة الأسد من اليمن، وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، وأم مرة حبشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر، وأم كعب ماوية بنت كعب بن القين ابن الجسر من قضاعة، وأم لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي، وأم غالب ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة، وأم فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي، وأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، وأم النضر برة بنت مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر، وأم خزيمة امرأة من قضاعة، وأم مدركة بن الياس خِنْدِف بنت عمران بن

الحاف بن قضاعة، وأم الياس بن مضر جرهمية، وأم مضر سودة بنت عك بن عدنان، وأم ربيعة أخي مضر شقيقة بنت عك بن عدنان وهاتان القبيلتان المضروب بهما المثل - ربيعة ومضر - ابنا نزار بن معد بن عدنان، ولمضر أخ شقيق وهو إياد بن نزار، ولربيعة أخ شقيق أيضًا وهو أنمار بن نزار.

وهذا هو النسب المتفق على سرده، لا خلاف فيه لأحد، وكذا لا خلاف في أن نسب عدنان إلى الذبيح إسماعيل الحليم ابن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، وكذا لا خلاف في أن إبراهيم ينتمي إلى سام بن نوح وهو أبو العرب قاطبة، وكذا لا خلاف في أن نوحًا ينتمي إلى شيث بن آدم وهو وصى أبيه عليهم السلام، وإنما الخلاف في كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم وبين إبراهيم وسام بن نوح، وبين نوح وشيث بن آدم، وقد كان كثير من أئمة الدين - كمالك بن أنس الإمام وغيره - يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان، ويقولون هم رجم بالغيب، وما يدري من يفعل ذلك، والله تعالى يقول: {وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا} [الفرقان: ٣٨] وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: كان قوم من السلف - منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأودي ومحمد بن كعب القرظي - إذا تلوا {وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} [إبراهيم: ٩] قالوا: كذب النسابون، وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان إذا بلغ عدنان يقول: كذب النسابون، قال السهيلي: وقد رأى جماعة جواز ذلك، منهم ابن إسحاق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء، قال أبو عمر بن عبد البر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام(١).

والمقصود: أن نبينا محمدًا ﷺ أخرجه الله تعالى من وسط العرب نسبًا وأكرمهم حسبا وأعلاهم كعبًا وأعظمهم جرثومة، وأشرفهم أصلاً وأطيبهم فرعًا.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام [ج١] وانظر سبيل الهدى والرشاد [ج١ - ٢٣٩] وعيون الأثر [ج١ - ص٣٣].

وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن مهران الرازي ومحمد ابن عبد الرحمن بن سهم جميعًا عن الوليد، قال ابن مهران: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**[١]}.

وروى الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله إن قريشًا جلسوا فتذاكروا أحسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض، فقال النبي ﷺ :{**إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**}[٢].

وفي رواية فقام النبي ﷺ على المنبر:{**فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا**}[٣] هذا حديث حسن.

وحمى الله تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية فلم يشب نسبه شيء من ذلك لا من جهه آبائه ولا من جهة أمهاته ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعًا إني ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح[٤].

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٢٧٦].

(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٦٠٧] البزار [١٣١٦] معرفة الصحابة [٤٧٦٠] وعلته: يزيد بن أبي زياد: ضعيف.

(٣) (سنده ضعيف) سنن الترمذي [٣٦٠٨] مسند أحمد [١٧٨٨] علته أيضا: يزيد بن أبي زياد.

(٤) (حسن بمجموع الطرق) دلائل النبوة للبيهقي من حديث أنس [٨١] وبسنده: عبد الله بن محمد بن ربيعة بن قدامة القدامى المصيصي أحد الضعفاء أتى عن مالك بمصائب، لسان الميزان [١٣٨٢] والطبراني في الكبير [١٠٦٥٩] وبه ضعف. وفي الأوسط للطبراني من حديث علي

مولده صلى الله عليه وسلم

وكان مولده ﷺ عام الفيل كما روى الترمذي وغيره عن عبد المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، قال: وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال رسول الله أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد، قال: ورأيت حذق الفيل أخضر محيلاً[1]، قال الترمذي: حديث حسن.

٢٣٤- مولده بمكة المطهره ::: هجرته لطيبة المنوره
٢٣٥- بعد أربعين بدا الوحي به ::: ثم دعا إلى سبيل ربه
٢٣٦- عشر سنين أيها الناس اعبدوا ::: ربا تعالى شأنه ووحدوا
٢٣٧- وكان قبل ذاك في غار حرا ::: يخلو بذكر ربه عن الورى

(**مولده**) ﷺ (**بمكة المطهرة**) من كل رجس، ومعنى (**هجرته**) ﷺ (**لطيبة**) المدينة (**المنورة**) وكان ذلك موجودًا في الصحف التي بشرت به ﷺ من التوراة والإنجيل وغيرهما، والآيات في ذلك والدلائل على ذلك لا تحصى، ثم كان الأمر كما بشرت، فولد بمكة وأوحى إليه فيها وبعث بالدعوة إلى الله فيها، ثم كانت هجرته إلى المدينة كما سيأتي إن شاء الله عز وجل .

* * *

بن أبي طالب [٤٨٨٤] وبه ضعف أيضا. وعند الطبري في تفسيره مرسلا [١٧٥٠٥] وكذلك عند البيهقي في الكبرى [١٤٤٥٧] قال الهيثمي في المجمع [١٣٨٢١]: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المديني ولا شيخه، وبقية رجاله وثقوا. وانظر نصب الراية [ج٣ - ٢٠٠] والتلخيص الحبير [١٦٥٣] وانظر البدر المنير لابن الملقن [ج٧ - ص٦٣٤].

(١) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٦١٩] الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم [٥٢٨] علته: المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة: مقبول انظر التقريب.

(**بعد أربعين**) سنة من عمره ﷺ (**بدأ الوحي**) من الله عزوجل إليه (به) ﷺ كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:{**كان رسول الله ﷺ ربعة من القوم، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم**[١]**، ليس بجعد قطِط ولا سبط رجل، بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين..**}[٢] الحديث.

وكيفية بدء الوحي ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت:{**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:**{ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾} [العلق: ١ - ٣] **فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه**

---

(١) (الأَمْهَق) هُوَ شَدِيد الْبَيَاض كَلَوْنِ الْجِصّ، وَهُوَ كَرِيه الْمَنْظَر، وَرُبَّمَا تَوَهَّمَهُ النَّاظِر أَبْرَص. وَالآدَم الأَسْمَر، مَعْنَاهُ لَيْسَ بِأَسْمَرَ، وَلا بِأَبْيَض كَرِيه الْبَيَاض، بَلْ أَبْيَض بَيَاضًا نَيِّرًا. كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيث السَّابِق: إِنَّهُ ﷺ كَانَ أَزْهَر اللَّوْن، النووي [ج٨ - ص١١١].

(٢) (صحيح) البخاري [٣٣٥٤] مسلم [٢٣٤٧] (أزهر اللون) أبيض مشرب بحمرة. (أمهق) خالص البياض. (آدم) شديد السمرة. (بجعد) متكسر الشعر. (قطط) شديد الجعودة. (سبط) مسترسل الشعر ضد الجعد.

الرَّوْعُ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العُزَّى ابن عم خديجة وكان امرءًا قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت لـه خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال لـه ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال لـه ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي}.

قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه:{**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى:**{يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢} [المدثر: ١ - ٢] إلى قولـه{وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥} [المدثر: ٥] **فحمى الوحي وتتابع}** تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال ابن رداد عن الزهري، وقال يونس ومعمر:{**بوادره}**[١].

حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبي عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه في قولـه تعالى:{لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦} [القيامة: ١٦]

---

(١) (صحيح) البخاري [٣] مسلم[١٦٠].

قال:{**كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد: وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى:**{لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ} [القيامة: ١٦ - ١٧] قال جمعه لك بصدرك وتقرأه{فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾} [القيامة: ١٨] قال فاستمع لـه وأنصت{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٩] **ثم إن علينا أن تقرأه وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه**}[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها :{**إن الحارث بن هشام رضي عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانًا يأتيني مثل صلصلة**[2] **الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم**[3] **عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**} قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصدَّ عرقًا[4].

---

(١) (صحيح) البخاري [٥] مسلم[٤٤٨].

(٢) (الصَّلْصَلَة) وهِيَ الصَّوْت الْمُتَدَارَك. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ صَوْت مُتَدَارَك، يَسْمَعُهُ وَلا يُثْبِتُهُ أَوْ مَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مِنْ بَعْد ذَلِكَ. قَالَ الْعُلَمَاء: وَالْحِكْمَة فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَفَرَّغ سَمْعُهُ ﷺ، وَلا يَبْقَى فِيهِ وَلا فِي قَلْبه مَكَان لِغَيْرِ صَوْت الْمَلَك. النووي.

(٣) (يَفْصِمُ)أَيْ يُقْلِعُ، وَيَنْجَلِي مَا يَتَغَشَّانِي مِنْهُ. قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ. قَالَ الْعُلَمَاء: الْفَصْم هُوَ الْقَطْع مِنْ غَيْر إِبَانَة، وَأَمَّا (الْقَصْم) فَقَطْعٌ مَعَ الإِبَانَة وَالانْفِصَال. وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْمَلَك يُفَارِقُ عَلَى أَنْ يَعُودَ، وَلا يُفَارِقُهُ مُفَارَقَة قَاطِع لا يَعُودُ. النووي [ج٨ - ص٩٨].

(٤) (صحيح) البخاري [٢] مسلم [٢٣٣٣].

(ثم دعا إلى سبيل ربه) وهو على دين الإسلام الذي أرسل الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه وهو دينه في السماء والأرض ولن يقبل الله تعالى من أحد دينًا سواه **(عشر سنين)** دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط قبل أن يفرض عليه الصلوات الخمس ولا غيرها قائلاً **(أيها الناس اعبدوا ربّا تعالى شأنه)** لا تعبدوا إلا الله **(ووحدوا)** تفسير لذلك، وهذه دعوة من قبلة من نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ كلهم يقول{يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ} [الأعراف: ٥٩] وكانت الدعوة في أول البعثة سرّا ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق وغيره قال ابن مسعود رضى الله عنه : ما زال النبي ﷺ مستخفيًا حتى نزلت{ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤} [الحجر: ٩٤][(١)].

وقال البخاري رحمه الله تعالى في تفسير سورة الشعراء: قوله عز وجل :{ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ } [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥] حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما نزلت{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي:**{يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد}** فقال أبو لهب: تبّا لك سائر

---

(١) تفسير الطبري [ج٧] تفسير سورة الحجر (آية: ٩٢)من قول: عبد الله بن عبيدة، والسند إليه صحيح.، وذكره ابن كثير في تفسيره عند تفسير سورة الحجر [ج٢] فقال: قال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود، ولم يذكر الإسناد كاملا، ولم أقف عليه من قول ابن مسعود، ولو كان السند كما ذكر ابن كثير، فأبو عبيدة هذا إذا كان ابن عبد الله بن مسعود، فهو لم يسمع من أبيه عبد الله.

اليوم، ألهذا جمعتنا[1]؟ فنزلت{تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢} [المسد: ١ - ٢].

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال:{**قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله**{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤} [الشعراء: ٢١٤] قال:{**يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**} ورواهما مسلم أيضًا.

وقال رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا: حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤} دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعمَّ وخص، فقال:{**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها[2]**}[3].

ولـه عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما نزلت{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤}

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٤٩٢].
(٢) (سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا) سَأَصِلُهَا، شُبِّهَتْ قَطِيعَة الرَّحِم بِالْحَرَارَةِ وَوَصْلهَا بِإِطْفَاءِ الْحَرَارَة بِبُرُودَةٍ، وَمِنْهُ (بُلُّوا أَرْحَامكُمْ) أَيْ: صِلُوهَا. النووي.
(٣) (صحيح) مسلم [٢٠٤].

قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال:**{يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم}**[1].

ولـه عن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا: لما نزلت{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} انطلق رسول الله ﷺ إلى رضمة[2] من جبل فعلا أعلاها حجرًا ثم نادى:**{يا بني عبد مناف إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه، وكان قبل ذلك في غار حراء.. إلخ}**[3] تقدم معناه في حديث الحارث بن هشام.

* * *

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٠٥].

(٢) وَالرَّضْمَة: هِيَ صُخُور عِظَام بَعْضهَا فَوْق بَعْض، وَقِيلَ هِيَ دُون الْهِضَاب، وَقَالَ صَاحِب (الخليل) الرَّضْمَة. حِجَارَة مُجْتَمِعَة لَيْسَتْ بِثَابِتَةٍ فِي الأَرْض كَأَنَّهَا مَنْثُورَة. وَأَمَّا (يَرْبَأ)مَعْنَاهُ: يَحْفَظهُمْ وَيَتَطَلَّع لَهُمْ. (يَا صَبَاحَاهُ) كَلِمَة يَعْتَادُونَهَا عِنْد وُقُوع أَمْر عَظِيم فَيَقُولُونَهَا لِيَجْتَمِعُوا وَيَتَأَهَّبُوا لـه. وَاَللَّه أَعْلَم. النووي [ج٢ - ص٨٥].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٠٧].

حديث الإسراء والمعراج

٢٣٨- وبعد خمسين من الأعوام ::: مضت لعمر سيد الأنام

٢٣٩- أسرى به الله إليه في الظلم ::: وفرض الخمس عليه وحتم

وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى في ذكر الإسراء: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: {سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾} [الإسراء: ١] وقال تبارك وتعالى في ذكر المعراج{وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾} [النجم: ١٣ - ١٨].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب حديث الإسراء وقوله الله تعالى:{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا} [الإسراء: ١] حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**لما كذبني قريش، قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**}[1] باب المعراج.

حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة رضى الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٧٣] مسلم [١٧٠].

قال:{**بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعًا إذ أتاني آت**[١]**،** **فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه**} فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته:{**فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض**} فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة؟ قال: أنس نعم:{**يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردّا ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف، قال هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فردَّ ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما**

---

(١) قال القاضي عياض: اخْتَلَفَ النَّاس فِي الإِسْرَاء بِرَسُولِ اللَّه ﷺ فَقِيلَ: إِنَّمَا كَانَ جَمِيع ذَلِكَ فِي الْمَنَام. وَالْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَر النَّاس، وَمُعْظَم السَّلَف، وَعَامَّة الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْفُقَهَاء وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ ﷺ. وَالآثَار تَدُلّ عَلَيْهِ لِمَنْ طَالَعَهَا وَبَحَثَ عَنْهَا. وَلا يُعْدَل عَنْ ظَاهِرهَا إِلا بِدَلِيلٍ، وَلا اِسْتِحَالَة فِي حَمْلهَا عَلَيْهِ فَيَحْتَاج إِلَى تَأْوِيل. النووي.

خلصت إذا إدريس، قال هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي صالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلم خلصت فإذا هارون، قال هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم، قال مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل لـه ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السابعة فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال نعم، قال مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت الي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر(١)، وإذ ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى

(١) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضى الله عنه وَالْمُفَسِّرُونَ وَغَيْرُهُمْ: سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى لأَنَّ عِلْمَ الْمَلائِكَةِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا وَلَمْ يُجَاوِزْهَا أَحَدٌ إلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَحُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا وَمَا يَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وقولـه ﷺ : (وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلالِ) جَمْعُ قُلَّةٍ وَالْقُلَّةُ جَرَّةٌ عَظِيمَةٌ تَسَعُ قِرْبَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ. النووي.

فقال: بما أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضي وأسلم، قال فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي}(١) رواه مسلم مختصرًا.

قلت: وقولـه في هذه الرواية عن إدريس مرحبًا بالأخ الصالح وهذا قد يشكل، لأن إدريس من آبائه، والمعنى والله أعلم على ما في الحديث:**{نحن معاشر الأنبياء أبناء علات.. إلخ}**(٢).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك - يعني أنسًا رضى الله عنه - يقول ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة:**{إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٧٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٥٨] مسلم[٢٣٦٥] (أبناء علات) هم الأخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزمن وحسب العموم والخصوص.

حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى أفرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيمانًا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده - يعني عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال جبريل، قالوا ومن معك؟ قال محمد، قال وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا فمرحبًا به وأهلاً، فيستبشر أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال لـه جبريل: هذا أبوك فسلم عليه، فسلم وردَّ عليه آدم وقال مرحبًا وأهلاً يا بني نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهران يطردان فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال هذا النيل والفرات، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك، فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة لـه مثل ما قالت لـه الأولى: من هذا؟ قال جبريل، قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا مرحبًا به وأهلاً، ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا لـه مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا لـه مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا لـه مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا لـه مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى رب لم أظن أن يرفع عليّ أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى حتى جاء

سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس صلوات فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: يا رب إن أمتي ضعفاء أجسامهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لديّ، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا، قال رسول الله ﷺ : يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال فاهبط باسم الله، قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام}[1].

ورواه مسلم بعد حديث ثابت البناني أصله وقال نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئًا وأخر وزاد ونقص، وهذا السياق روايته لحديث ثابت قال

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠٧٩].

رحمه الله تعالى: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل** رضى الله عنه **بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل** رضى الله عنه **: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل** رضى الله عنه، **فقيل من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد** ﷺ، **قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وسلامه، فرحبا ودَعَوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد** ﷺ **قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف** رضى الله عنه **إذ هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل** رضى الله عنه، **قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد** ﷺ، **قال وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح الباب فإذا أنا بإدريس** رضى الله عنه، **فرحب ودعا لي بخير، قال الله** عز وجل {وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾} [مريم: ٥٧] **ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد** ﷺ، **قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه؟ ففتح لنا فإذا أنا بهارون** رضى الله عنه، **فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح**

جبريل رضى الله عنه، **وقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا بموسى** رضى الله عنه **فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم** رضى الله عنه **مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلى ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى** رضى الله عنه **فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسًا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسًا، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى** رضى الله عنه **حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتب لـه حسنة، فإن عملها كتبت لـه عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى** رضى الله عنه **فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه**} (١).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن

---

(١) (صحيح) مسلم [١٦٢].

مالك رضى الله عنه قال: كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معى محمد رسول الله ﷺ، فقال أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسورة وعلى يساره أسورة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الأسورة عن يمينه وشماله ذريته، فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسورة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال لـه خازنها مثل ما قال الأول، ففتح، قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة: قال أنس: فلما مرَّ جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا؟ قال هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا؟ قال هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا؟ قال هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا؟ قال هذا إبراهيم** رضى الله عنه }، قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ :{**ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام**} قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي ﷺ :{**فرض الله على أمتي خمسين صلاة،**

فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت فرض خمسين صلاة، قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لديّ، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال اللؤلؤ وإذا ترابها المسك}، وافقه عليه مسلم رحمه الله تعالى(١).

ولـه عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال{إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾} [النجم: ١٦] قال فراش من ذهب، قال فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات(٢)، (٣).

ولـه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثلها قط، قال فرفعه الله لي أنظر إليه: ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم..}**(٤). الحديث.

وهذا الذي ذكرنا من حديث أنس وجابر ومالك بن صعصعة وأبي ذر وابن

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٢] مسلم [١٦٣].
(٢) (الْمُقْحِمَات) مَعْنَاهُ: الذُّنُوب الْعِظَام الْكَبَائِر الَّتِي تُهْلِك أَصْحَابهَا وَتُورِدهُمْ النَّار وَتُقْحِمهُمْ إِيَّاهَا، وَالتَّقَحُّم: الْوُقُوع فِي الْمَهَالِك. وَمَعْنَى الْكَلام: مَنْ مَاتَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة غَيْر مُشْرِك بِاَللَّهِ غُفِرَ لَـه الْمُقْحِمَات. وَاَللَّه أَعْلَم. النووي [ج٢ - ص٦].
(٣) (صحيح) مسلم [١٦٢].
(٤) (صحيح) مسلم [١٧٢].

مسعود وأبي هريرة وابن عباس وأبي حبة هي من أصح ما ورد وأقواه وأجوده وأسنده وأشهره وأظهره لاتفاق الشيخين على إخراجهما، وعن هؤلاء روايات أخر لم نذكرها استغناء عنها بما في الصحيحين.

وفي الباب أحاديث أخر عن جماعة من الصحابة منهم من لم نذكر: عمر بن الخطاب وعلي وأبو سعيد وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبو ليلى وعبد الله بن عمرو وحذيفة وبريدة وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وأبو الحمأ وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر رضى الله عنه أجمعين.

ثم الذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كانا يقظة لا مناما، ولا ينافي ذلك ما ذكر في بعض الروايات في قولـه ﷺ بينا أنا نائم فإن ذلك عند أول ما أتياه ولا يدل على أنه استمر نائمًا، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه ونزولـه وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أسرى بروحه وجسده يقظة لا منامًا وكذا لا ينافي ذلك رواية شريك:**{فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام}** فإن رواية شريك فيها أوهام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس في أكثر من عشرة مواضع سردها في الفتح، وسياقه يدل على أنه بالمعنى، وصرح في مواضع كثيرة أنه لم يثبتها، وتصريح الآية{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ} [الإسراء: ١] شامل للروح والجسد، وكذلك قولـه تعالى في سورة النجم{وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾} [النجم: ١٣ - ١٤] جعل رؤية النبي ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلاً لرؤيته إياه في الأبطح، وهي رؤية عين حقيقة لا منامًا، ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا، ومحمد يزعم أنه أسرى به إليه وأصبح فينا، إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ، لو كان ذلك رؤيا منامًا لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى، لأن

الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعادًا لرؤياه، وإنما قصَّ عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا منامًا فكذبوه واستهزؤوا به استبعادًا لذالك واستعظامًا لـه، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله يفعل ما يريد ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا وتصدقه بذلك؟ قال نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه، يأتيه بكرة وعشيًا، أو كما قال.

* * *

هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج

واختلف السلف الصالح هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه ليلة المعراج؟ فروى ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس رضى الله عنه قال: أتعجبون أن تكون الخلّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ [1]، وعن عكرمة قال: سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم، قال فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى:{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام: ١٠٣] قال لا أم لك، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء[2].

وروى عنه من طرق لا تحصى كثرة قال: رأى محمد ﷺ ربه[3]، وعنه رآه بقلبه[4]، وفي رواية: رآه بفؤاده مرتين[5]، رواه مسلم وغيره.

ولـه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه؟ وفي رواية قال: رأيت نورًا[6].

قال ابن خزيمة في قولـه:{**نور أنى أراه**} هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب: أحدهما الإثبات ومعناه أني أراه، أو كيف أراه فهو نور، أو فإن ما رأى نور، ويؤيد هذا رواية:{**رأيت نورًا**} المعنى الثاني النفي قال: والعرب

(١) (سنده صحيح) التوحيد لابن خزيمة [٢٧٢] السنة لعبد الله بن أحمد [٥٧٨/ ٥٧٩] سنن النسائي الكبرى [١١٥٣٩] الرؤيا للدارقطني [٢٠٦] الإيمان لابن مندة [٧٧٧] السنة لابن أبي عاصم [٤٤٢].

(٢) (سنده ضعيف) التوحيد لابن خزيمة [٢٧٣] سنن الترمذي [٣٢٧٩] الأسماء والصفات للبيهقي [٨٩٣] ابن أبي حاتم في تفسيره [٧٧٦٧] السنة لابن أبي عاصم [٤٣٧] شرح أصول الاعتقاد [٧٢٦] الحاكم في المستدرك [٣١٩١] علة الحديث: قال البيهقي في الأسماء والصفات بعد روايته للحديث: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ ضَعِيفٌ فِي الرِّوَايَةِ، ضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) (صحيح) مسلم [١٧٦] كتاب الإيمان.

(٥) (صحيح) مسلم [١٧٦].

(٦) (صحيح) مسلم [١٧٨].

قد تقول:{**أنى**} على معنى النفي كقولـه عز وجل {قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا} [البقرة: ٢٤٧] الآية، يريدون كيف يكون لـه الملك علينا ونحن أحق بالملك منه.

ثم روى عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه(١).

ولـه عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن فقلت{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾} [النجم: ٨] من ذا يا أبا سعيد؟ قال: ربي(٢).

ولـه عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ﷺ ربه(٣).

ولـه عن كعب قال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين(٤).

وروى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قولـه{مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾} [النجم: ١١] فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت نعم، قال قد رآه، ثم قد رآه.

وروى ابن جرير، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ، قال: قلنا: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال:{**لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين**}(٥) ثم تلا{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾} [النجم: ٨].

(١) (إسناده صحيح) التوحيد لابن خزيمة من قول أبي ذر [٣١٠] ورواه الطبراني من قول عبد الله بن عباس رضى الله عنه [١١٤٢١] وسنده ضعيف جدا: به: مطرف بن مازن: متهم بالكذب، وعمر بن حبيب: ضعيف.

(٢) (سنده ضعيف عن الحسن البصري) ابن خزيمة في التوحيد [٣١٦] به: عباد بن منصور: كان يدلس وتغير بأخرة، تقريب التهذيب [٣١٤٢].

(٣) (سنده ضعيف) ابن خزيمة في التوحيد [٢٨١] به المبارك بن فضالة: به ضعف.

(٤) (إسناده صحيح) ابن خزيمة في التوحيد [٢٨٧].

(٥) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج١١ - ٥٠٧] به: محمد بن حميد الرازي: وموسى بن عبيدة: كلاهما: ضعيف.

وقال البغوي: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو أنس والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربه، قال ابن كثير: وقول البغوي فيه نظر، وروى البخاري ومسلم عن مسروق قال: قلت لعائشة رضى الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب - ثم قرأت{لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾} [الأنعام: ١٠٣]،{۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١] ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب - ثم قرأت{وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا} [لقمان: ٣٤] ومن حدث كأنه كتم فقد كذب ثم قرأت{۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: ٦٧] الآية - ولكنه رأى جبريل رضى الله عنه في صورته مرتين[1]هذا لفظ البخاري.

ولفظ مسلم عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة رضى الله عنها فقالت:{**يا أبا عائش ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا** ﷺ **رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله** عز وجل {وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾} [التكوير: ٢٣]،{وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾} [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، منهبطًا من السماء سادًا أعظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت أو لم تسمع أن الله يقول{لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾} [الأنعام: ١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول{۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾} [الشورى: ٥١] قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٥٧٤].

كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة: ٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول{قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ} [النمل: ٦٥] وزاد في رواية - قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل إليه لكتم هذه الآية(١)،{ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ} [الأحزاب: ٣٧].

وعن أبي هريرة وابن مسعود في آية النجم مثل قول عائشة.

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في قول عائشة رضى الله عنها :**{فقد أعظم على الله الفرية}** قال: هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها، كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائله قد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها، أكثر ما في هذا أن عائشة رضى الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضى الله عنه وأنس بن مالك رضى الله عنه قد اختلفوا: هل رأى النبي ﷺ ربَّه؟ فقالت عائشة رضى الله عنها : لم ير النبي ﷺ ربه، وقال أبو ذر وابن عباس رضى الله عنه قد رأى النبي ﷺ ربه، وقد أعلمت في مواضع من كتبنا أن النفي لا يوجب علمًا والإثبات هو الذي يوجب العلم، لم تحك عائشة عن النبي ﷺ أنه خبرها أنه لم ير ربه عز وجل (٢)، إنما تلت قوله عز وجل {لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ} [الأنعام: ١٠٣]

(١) (صحيح) مسلم [١٧٧].

(٢) وقد ثبت في رواية مسلم عن عائشة رضى الله عنه أنها سألت النبي ﷺ، عما سألها عنه مسروق وهو قوله تعالى: "ولقد رآه بالأفق المبين " فقال ﷺ لها: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، وقد ذكر المصنف رحمه الله رواية مسلم.

وقولــه{ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا } [الشورى: ٥١] ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال: إنَّ محمدًا رأى ربه الرمي بالفرية على الله، كيف بأن يقول قد أعظم الفرية على الله.

ثم قال رحمه الله تعالى: فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبي ﷺ قد رأى ربه، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا ليس من الجنس الذي يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى، ولا أظن أحدًا من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال رأى النبي ﷺ ربه برأي ولا ظن لا ولا أبو ذر ولا أنس بن مالك، نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضى الله عنها وابن عباس في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، نقول عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة، كذلك ابن عباس رضى الله عنه ابن عم النبي ﷺ قد دعا النبي ﷺ لـه أن يرزق الحكمة والعلم، وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمى ترجمان القرآن، وقد كان الفاروق رضى الله عنه يسأله عن معاني القرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سنّا منه وأقدم صحبة للنبي ﷺ، وإذا اختلفا فمحال أن يقال قد أعظم ابن عباس الفرية على الله لأنه قد أثبت شيئًا نفته عائشة رضى الله عنها، والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة وإن غلط بعض العلماء في معنى الآية من كتاب الله عز وجل أو خالف سنة أو سننا من سنن النبي ﷺ لم تبلغ المرء تلك السنن، فكيف يجوز أن يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئًا لم ينفه كتاب ولا سنة، فتفهموا هذا لا تغالطوا.

ثم قال رحمه الله تعالى، وقد كنت قديمًا أقول: إن عائشة حكت عن النبي ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألة أن النبي ﷺ لم يرَ ربه جل وعلا وأن النبي ﷺ أعلمها ذلك وذكر ابن عباس رضى الله عنه وأنس بن مالك وأبو ذر

رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه رأى ربه لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبي ﷺ أنه رأى ربه إذ جائز أن تكون عائشة رضى الله عنها سمعت النبي ﷺ يقول لمْ أرَ ربي قبل أن يرى ربه عز وجل ، ثم يسمع غيرها أن النبي ﷺ يخبر أنه قد رأى ربه بعد رؤيته ربه فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي ﷺ رأى ربه(١)، انتهى كلامه رحمه الله.

* * *

(١) انظر كلام ابن خزيمة رحمه الله تعالى في كتابه التوحيد [ص١٨٨ إلى ١٩٠] ط دار الحديث.

٢٤٠- وبعد أعوام ثلاثة مضت ::: من بعد معراج النبي وانقضت

٢٤١- أوذن بالهجرة نحو يثربا ::: مع كل مسلم له قد صحبا

(**وبعد أعوام ثلاثة**) وقيل خمسة، وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر، وهذا الذي في المتن هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الثلاثة الأصول، ولـه فيه سلف، وليست مسألة التاريخ اعتقادية في هذا الباب، والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا تأثير لاختلاف أهل السير في تاريخه وتعيين سنَتِه ووقته، غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته ﷺ إلى المدينة، وعلى قول من يقول إن خديجة رضى الله عنها أدركت فريضة الصلوات فالمعراج في سنة عشر أو قبلها والله أعلم، لأنها توفيت هي وأبو طالب في ذلك العام.

(**أوذن بالهجرة**) أمره الله عز وجل بها (**نحو يثرب**) وهي المدينة المنورة (**مع كل مسلم**) في ذاك الزمن (**له قد صحبا**) على الإسلام وكانت هجرة النبي ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين(١).

وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله عز وجل { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾} [الأنفال: ٣٠] وهذه الآية معطوفة على قولـه{وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ} [الأنفال: ٢٦] واذكر{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ } [الأنفال: ٣٠]،{ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ } [الأنفال: ٣٢]

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٨٩] مسلم [٢٣٥١].

وأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كان بمكة، ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى:{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ} [التوبة: ٤٠].

وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشًا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكانت رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان والمطعم بن عدي وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيًا ونصحًا، قالوا: ادخل، فدخل، فقال أبو البختري: أما أنا فأري أن تأخذوا محمدًا وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه، وتسدوا باب البيت، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء، قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي: وقال بئس الرأي رأيتم، والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم، قالوا صدق الشيخ النجدي، فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤيّ أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع والى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه، فقال إبليس لعنه الله: ما هذا لكم برأي تعتمدونه، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه، والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلن قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، قالوا صدق الشيخ النجدي، فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره، إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا وسيطًا فتيّا ثم

يعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرَّق دمه بين القبائل كلها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته، فقال إبليس لعنه الله: صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأيًا، القول ما قال لا أرى رأيًا غيره، فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون لـه، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي يبيت فيه، فأذن الله لـه عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال لـه:**{اتشح ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه}**(١) ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ{إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا} [يس: ٨] إلى قولـه{فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩] ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف عليّا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليّا في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا عليّا رضى الله عنه فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة، فذلك قولـه تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟} [الأنفال: ٣٠]

---

(١) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة [ج١ - ص ٤٨٠] ورواه عن ابن إسحاق الطبري في تاريخه [ج١ - ٥٦٦] وسند ابن إسحاق به راو مبهم، فقال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال. الحديث)، ورواه أيضا ابن إسحاق بإسناد آخر [ج١ - ٤٨٢] قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ.) الحديث وهذا إسناد ضعيف أيضا به: يزيد بن أبي زياد: ضعيف. وقال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية [٣ - ١٧٦] ط دار المعرفة بيروت، وهذه القصة التي ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم.

وبسط حديث الهجرة ما ساقه البخاري رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير رضى الله عنه أن عائشة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهُو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسبح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، تخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بمكة يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجدًا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناءهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربَّه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهَهُ فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد

كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليَّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت رجلاً عقدت لـه، فقال أبو بكر فأنا أردُ اليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل - والنبي ﷺ يومئذ بمكة - فقال النبي ﷺ للمسلمين:**{إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين}** وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال لـه رسول الله ﷺ :**{على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي}** فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخَبَط أربعة أشهر، قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضى الله عنها : فبينما نحن في يوم جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى لـه أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن لـه فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر:**{أخرج مَن عندك}**، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال:**{فإني قد أذن لي في الخروج}**، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ : **{نعم}**، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين: قال رسول الله ﷺ : **{بالثمن}**، قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرًا يكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين

يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيرحها عليهم حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خرّيتًا، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقة بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفًا أسوده بالساحل أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت لـه: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أأضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام

فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت لـه: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: اخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ، قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضًا، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردَّهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظاره فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتًا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد النبي ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدًا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين

فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا بل نهبهُ لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر ::: هذا أبرّ ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخره ::: فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت(١).

وهذا الكلام كما ترى ليس من باب الشعر، ولا هو في شيء من بحوره وأوزانه، وإنما هو كلام منتثر اتفقت تقفيته لا عن قصد كما يقع كثيرًا.

وقال رحمه الله تعالى: حدثني محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن صهيب حدثنا أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال:{**اللهم اصرعه**} فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله مرني بما شئت، قال: فقف مكانك لا تتركن أحدًا يلحق بنا، قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة لـه، فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفوا بهما بالسلاح، فقيل

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٩٢/ ٣٦٩٣].

في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله جاء نبي الله ﷺ فأقبل يسير حتى نزل دار أبي أيوب فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم، فجعل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله، فقال نبي الله ﷺ : أى بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله صلى الله عليك وسلم، هذه داري وهذا بابي، قال: فانطلق فهي لنا مقيلاً، قال قومًا على بركة الله تعالى، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وإنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فَّي، فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًا وأني جئتكم بحق، فأسلموا، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار، قال فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: أفرأيتم أن أسلم؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم، قال: يا ابن سلام اخرج إليهم، فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق، فقالوا كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ (١). وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يحدث قال: ابتاع أبو بكر من عازب رجلاً فحملته معه، قال فسأله عازب عن مسير رسول الله ﷺ قال أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلاً فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، ثم رفعت لنا صخرة

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٩٩].

أتيناها ولها شيء من ظل، قال ففرشت لرسول الله ﷺ فروة معي ثم اضطجع عليها النبي ﷺ فانطلقت أنفض ما حولـه فإذا أنا براع قد أقبل في غنمه يريد من الصخرة مثل الذي أردنا، فسألته لمن أنت يا غلام؟ فقال أنا لفلان، فقلت هل في غنمك من لبن؟ قال نعم، قلت لـه هل أنت حالب؟ قال نعم، قال فأخذ شاة من غنمه فقلت لـه انفض الضرع قال فحلب كثبة من اللبن ومعي إداوة من ماء عليها خرقة قد روأتها لرسول الله ﷺ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ثم أتيت به النبي ﷺ فقلت اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضيت، ثم ارتحلنا والطلب في أثرنا، قال البراء فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمى، فرأيت أباها أقبل وقال: كيف أنت يا بنية؟(١).

وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضى الله عنه قال: أول ما قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانوا يقرؤون الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قَدم حتى قرأت{سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١} [الأعلى: ١] في سور من المفصل(٢).

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٣٧٠٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٧١٠].

٢٤٢- وبعدها كلف بالقتال ::: لشيعة الكفران والضلال

٢٤٣- حتى أتوا للدين منقادينا ::: ودخلوا في السلم مذعنينا

(**وبعدها**) أى بعد الهجرة (**كلف**) أى أمر (**بالقتال**) في سبيل الله عز وجل (**لشيعة**) أعوان (**الكفر**) بالله وما أرسل الله به رسله ونزَّل به كتبه (**والضلال**) عن صراطه المستقيم، وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أنزل عليه ﷺ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢} [المدثر: ١ - ٢] الآيات، وهي أول ما نزل بعد فترة الوحي، وبينها وبين نزول الآيات من صدرسورة العلق ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق رحمه الله، وذلك مدة الفترة، وسمى الله تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهادًا لهم، فقال تعالى: لنبيه ﷺ {وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢} [الفرقان: ٥٠ - ٥٢].

وأما الجهاد المحسوس بالسيف فلم يكن بمكة مأمورًا إلا بالعفو أو الإعراض عن الجاهلين والصبر على أذاهم واحتمال ما يلقى منهم كقوله تعالى:{خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩} [الأعراف: ١٩٩] الآيات، وقوله{ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤} [الحجر: ٩٤] الآيات وغيرها، ولهذا قال أئمة التفسير إن آيات الإعراض عن المشركين نسختها آيات السيف.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وصارت لهم دار منعه وإخوان صدق وأنصار حق، أذن الله تعالى لهم في الجهاد فقال عز وجل :{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾} [الحج: ٣٩ - ٤١] وقال تعالى:{وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾} [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣] الآيات، وقال تعالى:{فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ} [محمد: ٤] الآيات، وقال تعالى:{ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾} [الأنفال: ٣٨ - ٤٠] وقال تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١١ - ١١٢]

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤} [الصف: ٤] إلى أن قال عز وجل :{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ} [الصف: ١٠ - ١٤]الآية.

وقال النبي ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..**}[١] الحديث.

وقال ﷺ :{**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبدوا الله وحده لا شريك لـه بأن يقولوا لا إله إلا الله**}[٢] أو كما قال.

وقال ﷺ :{**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله..**}[٣] الحديث.

والآيات والأحاديث في الجهاد أكثر من أن تحصى، وقد أفْرِدَتْ لها مصنفات مستقلات. والجهاد ذروة سنام الإسلام، ولا يقوم إلا به، كما أن بيان شرائعه لا تقوم إلا بالكتاب، ولهذا قرن الله تعالى بينهما فقال{لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ} [الحديد: ٢٥]

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٥] مسلم [٢٢].

(٢) (سنده ضعيف) أحمد [٥١١٤/ ٥١١٥/ ٥٦٦٧] مسند عبد بن حميد [٨٤٨] ومسند الشاميين [٢١٦] ومصنف ابن أبي شيبة [١٩٤٠١] علته: عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: ضعيف انظر تهذيب الكمال [٣٧٧٥]، وقد تابع عبد الرحمن هذا في روايته عن حسان بن عطية، الأوزاعي، رواه عن الأوزاعي الوليد بن مسلم مصرحا بالتحديث عن الأوزاعي، وهذا في شرح مشكل الآثار [١٩٨].

وروي مرسلا عند ابن أبي شيبة عن طاووس [١٩٤٣٧] والراوي عن طاووس، سعيد بن جبله: ليس عنده بذاك، انظر لسان الميزان [٨٧].

(٣) (صحيح) مسلم [١٧٣١].

فالكتاب لبيان الحق والهداية إليه، والحديد لحمل الناس على الحق وأطرهم عليه.

والمقصود: أن النبي ﷺ حين أذن الله لـه بالقتال وأمره به، شمر عن ساعد الاجتهاد في شأنه وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورة والغزوات المذكورة كبدر وأحد والخندق والفتح وغيرها فوق عشرين غزوة وفوق أربعين سرية، ونصره الله بالرعب في قلوب أعدائه مسافة شهر، حتى فتح الله به وبكتابه وأنصاره البلاد والقلوب وعمرها، ففتح البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمر البلاد بالعدل والقلوب بالعلم، فلله الحمد والمنَّة.

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف: سيف للمشركين {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} [البقرة: ١٩١] وسيف للمنافقين{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ٧٣] وسيف لأهل الكتاب{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)} [التوبة: ٢٩] وسيف للبغاة{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات: ٩].

وقد بذل المهاجرون والأنصار مع رسول الله ﷺ أموالهم وأنفسهم في سبيل الله كما وصفهم الله تبارك وتعالى{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)} [الحجرات: ١٥] وبذل المشركون جهدهم ومجهودهم في عداوته وقتاله وألبوا وتحزبوا كما قال الله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال: ٣٦] الآيات، وقال تعالى:{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)} [الصف: ٨ - ٩]

فقد فعل تبارك وتعالى:

(**حتى أتوا للدّين**) دين الإسلام (**منقادينا**) الألف للإطلاق طوعًا وكرهًا (**ودخلوا في السلم**) أى الإسلام (**مذعنينا**) مستسلمين، وكان معظم ظهوره بعد الفتح لأن الناس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشًا لأنهم في الجاهلية هم سادة العرب وقادتها، وكذلك هم في الإسلام، فلما أسلموا بادر كل قوم بإسلامهم، وتواترت الوفود إلى رسول الله ﷺ من كل فج عميق، وانتشر الإسلام وجرت أحكامه، وانتشرت أعلامه في كل جزيرة العرب والنبي ﷺ حيّ، وأنزل الله عز وجل عليه{إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣} [النصر: ١ - ٣].

ولهذا علم هو وأصحابه أن ذلك أجله، أعلنه الله به، كما قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما روّيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى{إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١} [النصر: ١] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه قال{إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١} وذلك علامة أجلك{ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣} [النصر: ٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول(١).

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٦٨٦].

وفرض الله عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التي لم تفرض من قبل، فالجهاد في السنة الأولى، وأتمت صلاة السفر في الأولى، وشرع الأذان والصيام وزكاة الفطر وزكاة النصب وتحويل القبلة إلى الكعبة كلها في الثانية، وشرع التيمم سنة ست، وصلاة الخوف سنة سبع، والحج في السادسة وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة وفيها حج ﷺ، وأنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة يوم الجمعة{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة: ٣] كما قدمنا الحديث في الصحيحين.

* * *

٢٤٤- وبعد أن قد بلغ الرساله ::: واستنقذ الخلق من الجهاله

٢٤٥- وأكمل الله له الإسلاما ::: وقام دين الحق واستقاما

٢٤٦- قبضه الله العلي الأعلى ::: سبحانه إلى الرفيق الأعلى

(**وبعد أن قد بلغ**) الرسول محمد ﷺ (**الرسالة**) من القرآن وبيانه أمرًا ونهيًا وخبرًا ووعدًا ووعيدًا وقصصًا (**واستنقذ الخلق**) حتى أنقذهم الله به (**من الجهالة**) من الشرك وما دونه (**وأكمل الله له الإسلاما**) بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها، (**وقام**) ظهر (**دين الحق**) الذي بعثه الله ليظهره على الدين كله، (**واستقاما**) اعتدل فلم يبق عليه غبار ولا عنه معدل، وذهبت عنه غياهب الشرك وظلم الغي وطغاية الشبهات، وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون{ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾} [الإسراء: ٨١]،{قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾} [سبأ: ٤٩] وتبين الرشد من الغي والشرك من التوحيد والصدق من النفاق واليقين من الشك وسبيل النجاة من سبل الشك وطريق الجنة من طريق جهنم{ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾} [الأنفال: ٣٧] ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دل الأمة عليه، ولا شر عاجل ولا آجل إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه حتى ترك أمته على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك وترك فيهم ما لم يضلوا إن تمسكوا به كتاب الله.

وبعد هذا (**قبضه الله العلي**) بجميع معالي العلو ذاتًا وقهرًا وقدرًا (**الأعلى**) بكل تلك المعاني، فلا شيء أعلى منه عز وجل (**سبحانه**) وكان قبضه إياه (**إلى الرفيق الأعلى**) وهي أعلى عليين، وهي الوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة ولا تنبغي إلا له ﷺ، وقد أمرنا أن نسأل الله له ذلك اللهم آت نبينا محمدًا الوسيلة والفضيلة آمين، وكانت وفاته ﷺ في ربيع الأول نهار الاثنين

بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة، قال تبارك وتعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾} [آل عمران: ١٤٤] وقال تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾} [الأنبياء: ٣٤]،{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ} [آل عمران: ١٨٥]، وقال:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾} [الزمر: ٣٠ - ٣١].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال ابن عباس: يوم الخميس وما الخميس[١]، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال:{**آتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**} فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه، استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث قال:{**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**} وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها[٢].

ولـه عن عائشة رضى الله عنها دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبده رسول الله ﷺ بصره، فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به، فما رأيت رسول الله ﷺ استن استنانًا قط أحسن، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال:{**في الرفيق الأعلى**} ثلاثًا ثم قضى، وكانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي.

---

(١) مَعْنَاهُ: تَفْخِيم أَمْره فِي الشِّدَّة وَالْمَكْرُوه فِيمَا يَعْتَقِدهُ اِبْن عَبَّاس، وَهُوَ اِمْتِنَاع الْكِتَاب.
وفي شرح هذا الحديث جملٌ من العلم وتوضيح ما قد يستشكله البعض من تنازع الصحابة في أ مر الكتاب. النووي.

(٢) (صحيح) البخاري [٤١٦٨].

وفي رواية قالت وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول:{**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**} ثم نصب يده فجعل يقول:{**في الرفيق الأعلى**} حتى قبض ومالت يده.

وفي أخرى قالت: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة(١).

وفي الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ، قالت: بلى ثقل النبي ﷺ فقال:{**أصَلَّى الناس**}؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، قال:{**ضعوا لي ماء في المخضب**} ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال:{**أصَلَّى الناس**}؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال:{**ضعوا لي ماء في المخضب**} ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال:{**أصلى الناس**} فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال:{**ضعوا لي ماء في المخضب**} ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال:{**أصلى الناس**}؟ فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله قال والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر، وكان رجلاً رقيقًا: يا عمر صلِّ بالناس، قال، فقال عمر: أنت أحق بذلك، قالت: فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر، وقال لهما:{**أجلساني إلى جنبه**} فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي

---

(١) (صحيح) البخاري [٤١٧٤/ ٤١٨٤/ ٤١٨٦].

وهو قائم بصلاة النبي ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد(١)، الحديث.

وفيه عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظرنا إليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر، قال: فتوفى رسول الله ﷺ من يومه ذلك.

وفي رواية قال: لم يخرج إلينا نبي الله ﷺ ثلاثًا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فدفعه، فلما وضح لنا وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرًا قط كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا(٢).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة، أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن أبا بكر رضى الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع عليك موتتين: أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها.

قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٥٥] مسلم [٤١٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٤٩] مسلم [٤١٩].

وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ} [آل عمران: ١٤٤] إلى قوله:{ٱلشَّٰكِرِينَ}

[آل عمران: ١٤٤] وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر رضى الله عنه قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى لا تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته قالها أن النبي ﷺ قد مات[١].

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٤١٨٧].

٢٤٧- نشهد بالحق بلا ارتياب ::: بأنه المرسل بالكتاب
٢٤٨- وأنه بلغ ما قد أرسلا ::: به وكل ما إليه أنزلا

(نشهد بالحق) بيقين وصدق **(بلا ارتياب)** بدون شك **(بأنه المرسل بالكتاب)** بالقرآن إلى كافة الناس من الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا، قال الله تبارك وتعالى ممتنًا على عبادة المؤمنين ببعثه رسول الله ﷺ :{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾} [آل عمران: ١٦٤] وقال تعالى:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾} [الجمعة: ١ - ٤] وقال تبارك وتعالى{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨] يمتن تبارك وتعالى بأجل نعمة على عباده وأعظمها وأعلاها وأتمها وأكملها إرساله فيهم محمدًا ﷺ رسولاً من عند الله تبارك وتعالى العلي العظيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بكلامه الذي هو صفته، وهو كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ليهديهم به من الضلالة، ويبصرهم به من العمى، وينقذهم به من دركات الردى، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه{كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} [إبراهيم: ١ - ٢] يالها نعمة ما أعظمها وأجلها، ومنه ما أكملها وأجزلها{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ} [آل عمران: ١٦٤] أكمل تلك النعمة وأتمها وزادها إجلالا بكون ذلك الرسول من أنفسهم

يعرفون شخصه ونسبه ورحمه، ما من أهل بيت من العرب إلا ولـه ﷺ فيهم نسب{قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ} [الشورى: ٢٣] ثم جعل الرسالة بلسانهم الذي به يتحاورون، ومن جنس كلامهم الذي فيه يتفاخرون، معجزًا بالفصاحة التي في ميدانها يتسابقون بأوضح المباني وأفصحها، وأكمل المعاني وأصحها، مع اتساق سياقه وسلاسة ألفاظه، واتساق تراكيبه وملاحة مفرداته، ثم مع هذا التالي لـه من أنفسهم رسول من عند ربهم ثم هو ﷺ مؤد لتلك الأمانة مبلغ كلام ربه كما قال رب العزة لم يقله النبي ﷺ بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل {يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ} [آل عمران: ١٦٤] الضمير لله عز وجل ليسمعوا لذيذ خطابه، ويتأملوا لطيف عتابه{كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩} [ص: ٢٩] ويزكيهم يطهرهم ظاهرًا وباطنًا حسّا ومعنى لمن التزمه واتبعه أما قلوبهم فيزكيها بالإيمان من دنس ورجس الشرك ورجزه كما قال تعالى:{فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ} [الحج: ٣٠] و{وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥} [المدثر: ٥] وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة من مساوئها، وكذا يطهرهم من جميع الذنوب بالتوبة النصوح، وكذا يطهر ظواهرهم بما أمرهم به وأرشدهم إليه من الطهارات الحسية من الأحداث والأنجاس على اختلاف أضرابها{وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ} [آل عمران: ١٦٤] القرآن المجيد{وَٱلۡحِكۡمَةَ} [آل عمران: ١٦٤] السنة النبوية التي هي تبيان القرآن وتفسيره وتوضيحه، وتدل كما قال تعالى: لـه ﷺ {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ} [النحل: ٤٤] وقال النبي ﷺ :**{أتيت القرآن ومثله}**[1] يعني السنة{وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ} [آل عمران: ١٦٤] إرساله اليهم وبعثه فيهم{لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤] من الشرك وعبادة الأصنام وغير ذلك من السبل المضلة عن الصراط المستقيم الموجبة لدخول جهنم، والخلود في عذابها

(١) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٠٤].

الأليم المقيم، أجارنا الله منها، وذلك تأويل دعوة أبينا إبراهيم رضى الله عنه إذ يقول فيما أخبر الله عنه{رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} [البقرة: ١٢٩] فاستجاب الله لـه تلك الدعوة المباركة كما قضى الله عز وجل ذلك في الأزل وسبق علمه وسطره في كتابه وأخذ على رسله الميثاق في الإيمان به والقيام بنصره كما قال تبارك وتعالى{وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾}

[آل عمران: ٨١ - ٨٢].

وقال النبي ﷺ فيما روى الترمذي(١):**{كنت نبيّا وآدم منجدل في طينته}**.

وفي رواية أخرى:**{وآدم بين الروح والجسد}**(٢) يعني وجبت لـه في الكتاب، ولأن السائل قال لـه: متى وجبت لك النبوة؟ هذا معنى الحديث.

وقال ﷺ :**{أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي}**(٣) أو كما قال.

فأما دعوة إبراهيم فما في الآية السابقة، وأما بشرى عيسى فقول الله عز وجل {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ} [الصف: ٦] الآية وأما رؤيا أمه فإنها رأت كأنه

(١) (إسناده ضعيف) مسند أحمد [١٧١٩٠ /١٧٢٠٣] ابن حبان [٦٤٠٤] المستدرك [٣٥٦٦] علته: سعيد ابن سويد الكلبي الشامي، تعجيل المنفعة [٣٧١] قال البخاري لم يصح حديثه المرفوع (إني عبد الله وخاتم النبيين في أم الكتاب وآدم منجدل في طينته).

(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٦٦٧٤].

(٣) (سنده حسن لغيره) مسند أحمد [١٧١٩٠] من حديث العرباض بن سارية، وأيضا عند أحمد من حديث أبي أمامة [٢٢٣١٥] مسند الطيالسي [١١٤٠] وعند ابن اسحاق في السيرة [ج١ - ص٢٥] من حديث خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ.

خرج منها نُورٌ أضاء لـه قصور بصرى من أرض الشام، الحديث.

وقد شهد الله تبارك وتعالى لـه بالرساة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى:{وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ} [المنافقون: ١] وقال تعالى:{لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾} [النساء: ١٦٦] وقال تعالى:{ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾} [البقرة: ١١٩] الآيات وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] الآيات، وقال تعالى:{وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾} [النساء: ٧٩ - ٨٠] وغير ذلك من الآيات، وقال تبارك وتعالى في عموم رسالته إلى الأحمر والأسود والجن والإنس{ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } [سبأ: ٢٨] قال تعالى:{وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾} [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨] ومعنى كونه أميّا: لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك أمته أمية لا يقرءون ولا يكتبون.

قال الله تبارك وتعالى{وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾} [القصص: ٨٦] وقال تعالى:{ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾} [العنكبوت: ٤٨] الآيات

وقال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ} [الشورى: ٥٢ - ٥٣] وقال تعالى:{تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا} [هود: ٤٩] وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى: أيضًا في ذكر عموم رسالته إلى أهل الشرائع من قبله{ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾} [المائدة: ١٥ - ١٦] الآيات،{يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ٦٤] وقال تعالى:{وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾} [البقرة: ١٠١] وقال{وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾} [البقرة: ٨٩] وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيّا أوحى الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة}**(١).

وفيه عنه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:**{والذي نفس محمد**

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٤٦] مسلم [١٥٢].

بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار}[١].

وفي حديث الخصائص:{**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة}**[٢] وهو في الصحيحين.

وقال رسول الله ﷺ :{**لو كان موسى حيًّا واتبعتموه وتركتموني لضللتم}**[٣].

وقال ﷺ :{**لوكان موسى حيّا ما وسعه إلا اتباعي}**[٤] وأخبر ﷺ أن عيسى ينزل حكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ يقيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ [٥]فلا ناسخ ولا مغير لشريعته ولا يسع أحدًا الخروج عنها، ولله الحمد والمنة.

* * *

(١) (صحيح) مسلم [١٥٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٨] مسلم [٥٢١].
(٣) (سنده ضعيف) أحمد [١٥٩٠٣] علته: جابر بن يزيد الجعفى: ضعيف.
(٤) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٥١٩٥] وعلته: مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى: ليس بالقوي انظر التقريب.
(٥) (صحيح) البخاري [٢١٠٩] مسلم [١٥٥].

والمقصود أن الله تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالة إلى الثقلين، ولم يقبل من أحد صرفا ولا عدلاً إلا باتباعه، ولا يصل أحد دار السلام التي دعا الله اليها عباده إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل، لا نسخ لـه بعده ولا تغيير، ولا تحويل ولا تبديل وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي أعظمها هذا القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه اتساعًا وأطولها فيه باعًا، وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعًا مع عظم محادتِّهم لـه ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها{ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾} [الطور: ٣٣ - ٣٤]،{أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ} [هود: ١٣]،{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾} [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين لا في زمن واحد ولا في أزمان، فقال تعالى:{ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾} [الإسراء: ٨٨] وغير ذلك من الآيات، ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاته مع علمه أنه لا يقدر على شيء ألبتة فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامه أسمج ما يسمع وأركّ ما ينطق به، وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان، حتى أنه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنثين وصار كذبه معلومًا عند كل أحد، ووسمه الله عز وجل على لسان نبيه محمد ﷺ باسم الكذاب فلا يُسمَّى إلا به، ولا

يعرف إلا به، حتى صار أشهر من عليه العلم، بل لا علم لـه غيره أبدًا.

ويروى أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا لـه: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أيامًا كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلاً عامًا، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا.

قلت: وهذا الذي قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه، وإلا فبلاغة القرآن فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومن ذلك انشقاق القمر قال الله تعالى:{ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾} [القمر: ١] الآيات.

وفي الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال:{**سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر**}[١]وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال:{**انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا**} زاد في رواية:{**ونحن مع النبي ﷺ** }[٢].

ومنها حنين الجذع إليه ﷺ، كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه :{**إن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا قال: إن شئتم، فجعلوا لـه منبرًا، فلما كان يقوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة**

(١) (صحيح) البخاري [٤٥٨٦] مسلم [٢٨٠٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٥٨٣] مسلم [٢٨٠٠].

صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها}(1) وفي رواية:**{قال فلما صنع لـه المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت.**

فيا حامدًا معنى بصورة عاقل ::: أمالك من القلب شهيد ولا سمع
يحن إليه الجذع شوقا وما لنا ::: ألسنا بذاك الشوق أولى من الجذع

ومنها تسبيح الطعام وتكثير القليل بإذن الله عز وجل ، ونبع الماء من أصابعه الشريفة ﷺ، كما في الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال:**{كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضله من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك وبركة من الله** عز وجل ، **فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل}**(2).

وعن أنس رضى الله عنه قال:**{أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من أصابعه فتوضأ القوم، قال وكانوا ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة}**(3).

وعن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه فقال:**{ما لكم؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا**

(1) (صحيح) البخاري [٣٣٩١].
(2) (صحيح) البخاري [٣٣٨٦].
(3) (صحيح) البخاري [٣٣٧٩] مسلم [٢٢٧٩].

وتوضأنا؟ قلت كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة}(١).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا ورويت وأصدرت ركائبنا(٢).

وعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال فذهب به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ :**{أرسلك أبو طلحة؟}** فقلت: نعم، قال:**{بطعام؟}** قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ : لمن معه:**{قوموا}** فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ :**{هلم يا أم سليم ما عندك}** فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال:**{ائذن لعشرة}** فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال:**{ائذن لعشرة}** فأكل القوم كلهم حتى شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً(٣).

وعن جابر رضى الله عنه أن أباه توفي وعليه دين، فأتيت النبي ﷺ فقلت:

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٣٨٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٣٨٤].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٣١٠] مسلم [٢٠٤٠].

إن أبي ترك دينًا وليس عندي إلا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحش عليّ الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا، ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم(١)، وفي حديث أبي قتادة الطويل في تلك الغزوة: ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وضوءًا دون وضوء، قال وبقي منها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة:{**احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ..**} الحديث، إلى أن قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمى كل شيء وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال:{**لا هلك عليكم - ثم قال - اطلقوا لي غمري**} قال: ودعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها، فقال رسول الله ﷺ :{**أحسنوا الملء كلكم سيروى**} قال ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب ويسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لى:{**اشرب**} فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال:{**إن ساقي القوم آخرهم شربًا**} قال فشربت وشرب رسول الله ﷺ قال فأتى الناس الماء جامين رواء(٢).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال:{**أبا هر**} قلت: لبيك يا رسول الله، قال:{**الحق**} ومضى فتبعته فدخل

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٣٨٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٦٨١].

فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال:{**من أين هذا اللبن**} قالوا أهداه لك فلان أو فلانة، قال:{**أبا هر**} قلت: لبيك يا رسول الله، قال:{**الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**} قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال:{**أبا هر**} قلت: لبيك يا رسول الله، قال:{**خذ فأعطهم**} قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح، فأعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الي فتبسم فقال:{**يا أبا هر**} قلت: لبيك يا رسول الله قال:{**بقيت أنا وأنت**} قلت: صدقت يا رسول الله، قال:{**اقعد فاشرب**} فقعدت فشربت، فقال:{**اشرب**} فشربت، فما زال يقول اشرب حتى قلت:{**لا والذي بعثك بالحق ما أجد لـه مسلكًا**} قال:{**فأرني**} فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة(١).

وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا سليمان بن داود المهر حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ :{**ارفعوا أيديكم**} وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها:{**أسممت هذه الشاة**} قال اليهودية، من أخبرك؟ قال:

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٠٨٧].

{أخبرتني هذه التي في يدي وهي الذراع}،

قالت: نعم، قال:**{فما أردت بذلك؟}** قالت: قلت إن كنت نبيّا فلن تضرك، وإن لم تكن نبيّا استرحنا منه[1]، الحديث وهو في الصحيح البخاري عن أبي هريرة في مواضع مختصرًا ومطولاً، لكن الشاهد منه في هذه الرواية أصرح وهو قولـه:**{أخبرتني هذه}** للذراع، وقد رواه جماعة من الصحابة في عامة الأمهات وغيرها.

ودلائل نبوته ﷺ أكثر من أن تحصى في الأسفار فضلاً عن هذا المختصر، وقد جُمعت فيها التصانيف المستقلات من المختصرات والمطولات وبالله التوفيق، وكذا قد صنف التصانيف في صفاته الخلقية والخلقية وسيرته وشمائله ومعاملاته مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتها، وكذا خصائصه التي انفرد بها في الدنيا والآخرة عن غيره من الرسل السماويين والأرضيين وقد تقدم التنبيه على مهمات من ذلك.

(و) نشهد (**أنه بلغ**) إلى الناس كافة (**ما**) أى الذي (**قد أرسلا**) بالبناء للمفعول والألف للإطلاق (**به**) من ربه (**وكل ما إليه أنزلا**) من الكتاب والحكمة.

وفي هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر:

الأولى: أنه أى الرسول ﷺ مبلغ عن الله عز وجل ، لم يقل شيئًا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس، وتلاوة آياته على الناس، وتعليمهم الحكمة والتبيان، وذلك معنى كونه ﷺ رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبر به، ولذا كان طاعته طاعة لله عز وجل ، ومعصيته معصية لله عز وجل ، وتكذيبه تكذيبًا لإخبار الله عز وجل في أنه رسوله، قال الله تبارك

---

(١) (سنده ضعيف) سنن أبي داود [٤٥١٠] ابن شهاب الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

وتعالى{وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)} [النساء: ٧٩ - ٨٠] وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)} [الأنفال: ٢٠ - ٢١] وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)} [المائدة: ٩٢] وقال تعالى:{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢)} [التغابن: ١٢] وقال تعالى:{ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى: ٤٨] وقال تعالى:{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: ٧] وقال تعالى:{ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)} [فاطر: ٢٣] وقال{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)} [ص: ٦٥] وقال تعالى:{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } [فصلت: ٦] وقال:{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)} [ق: ٤٥]، وقال تعالى:{قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)} [الجن: ٢٢ - ٢٣] وقال{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)} [الذاريات: ٥٥] وقال تعالى:{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)} [الأعلى: ٩ - ١٠] وقال تعالى:{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)} [الغاشية: ٢١ - ٢٢] وقال تعالى:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [الحشر: ٧] وغير ذلك من الآيات{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)} [النجم: ٣ - ٥].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: عن أبي أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ

يقول:{**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين - أو مثل أحد الحيين - ربيعة ومضر**} فقال رجل: يا رسول الله وما ربيعة ومضر؟ قال:{**إنما أقول ما أقول**}(١).

ولـه عن عبد الله بن عمرو وقال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال:{**اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق**}(٢).

ولـه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:{**لا أقول إلا حقّا**}.

قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا، قال:{**إني لا أقول إلا حقّا**}(٣).

وللبزار عنه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه**}(٤) وغير ذلك من الأحاديث، ويكفي في ذلك قول الله تعالى:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾} [الحاقة: ٤٤ - ٤٦] الآيات.

---

(١) (سنده حسن) وله شواهد ترفعه للصحة، رواه أحمد في المسند [٢٢٢٦٩] وبه: عبد الرحمن بن ميسـرة: وثقه العجلي، وابن حبان في الثقات، وهو شـيخ عثمان بن حريز، وقال أبو داود عن شـيوخ عثمان: أنهم جميعا ثقات، انظر تهذيب الكمال [٣٩٧٣] وقال الذهبي: ثقة، كما في الكاشـف[٣٣٢٧] ولحديث أبي أمامة هذا طريق آخر حسـن عند الطبراني في الكبير [٨٠٥٩] وله شـاهد بمعناه عند الترمذي [٢٤٣٨] وابن ماجة [٤٣١٦] بسـند صـحيح من حديث عبد الله بن أبي الجدعاء. وله غير ذلك.

(٢) (سنده صحيح) أحمد [٦٥١٠] أبو داود [٣٦٤٦].

(٣) (سنده حسن) الترمذي [١٩٩٠] أحمد [٨٤٦٢/ ٨٧٠٨].

(٤) (سنده حسن) ابن حبان في صحيحه [٢١٠٦] وانظر مجمع الزوائد للهيثمي [٨٣٨].

المسألة الثانية: أنه ﷺ بلغ جميع ما أرسل به لم يكتم منه حرفًا واحدًا، قال الله تعالى:{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة: ٦٧].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبة بعير لـه رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لـه حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله ﷺ أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفض فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يحيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك**}(١).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قولـه ﷺ :{**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات..**}(٢)الحديث.

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٩٠٨] مسلم [١٨٣١] واللفظ لمسلم.
(٢) (صحيح) مسلم [١٢١٨].

وفيهما من حديث ابن عباس في ذلك الجمع الأعظم حين خطب:{**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت**[١]؟} ومن حديث أبي بكرة في تلك الخطبة أيضًا:{**ألا بلغت؟ قالوا نعم: قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فربَّ مبلغ أوعى من سامع**}[٢].

وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال:{**لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة**} قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال:{**العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر**}[٣].

وفيه من رواية الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضى الله عنه قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ :{**المدينة حرم ما بين عير إلى كذا، من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أحمعين..**}[٤] الحديث.

وفي رواية قال: خطبنا علي رضى الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة، فقال والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة، فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل، وإذا فيها: المدينة حرم من عير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أحمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، وإذا فيه: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه

(١) (صحيح) البخاري [١٦٥٢] مسلم [٤٧٩].
(٢) (صحيح) البخاري [١٦٥٤] مسلم [١٦٧٩].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٨٨٢].
(٤) (صحيح) البخاري [١٧٧١] مسلم [١٣٦٦].

صرفًا ولا عدلاً، وإذا فيها من والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً[1].

ولابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل فقال لـه: إن أناسًا يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسول الله ﷺ للناس، فقال ابن عباس:{**ألم تعلم أن الله تعالى قال:**{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة: ٦٧] والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء[2]، وإسناده جيد.

وتقدم قول عائشةرضى الله عنها قالت:{**من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب، والله تعالى يقول**{ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ} الآية.

المسألة الثالثة: أن هذا الذي بلغه الرسول ﷺ عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام مكملاً محكمًا لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل، ولم يبق فيه إشكال فيحتاج إلى حل، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل، قال الله تعالى{مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ} [الأنعام: ٣٨].

فكما أن الإمام المبين قد أحصى كل ما هو كائن، كما علمه الله عز وجل ، فكذلك هذا القرآن وافٍ شافٍ كافٍ محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها، فمن لم يكفه فلا كفى، ومن لم يشفه فلا شفى{ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١} [العنكبوت: ٥١]،{فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ} [الأعراف: ١٨٥].

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٧٠] مسلم [١٣٧٠].
(٢) (سنده حسن) ابن أبي حاتم [٦٦٤٦].

وكما وفى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله كذلك هو واف بالذب عنه وبرد كل شبهة ترد عليه، وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحاد، وبدمغ كل باطل وإزهاقه{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)} [الفرقان: ٣٣]، {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء: ١٨]،{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)} [الحجر: ٩]،{ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)} [فصلت: ٤٠ - ٤٤].

وكذلك السنة من جوامع كلم الرسول ﷺ التي اختصه الله بها هي روح المعاني والوحي الثاني، والحكمة والبيان وتبيان القرآن، والنور والبرهان، فلم يتوفّ ﷺ حتى بين الشريعة أكمل بيان، ولم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان ما بالناس إليه حاجة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، والله تعالى يقول{ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)} [النحل: ٦٤] ويقول تعالى{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)} [النحل: ٤٤] ثم يخبر أنه ما أنزل عليك الكتاب إلا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاد ذلك وإنجازه، مع قولـه تعالى لـه ﷺ ولأمته كلهم{وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)}

[البقرة: ١٥٠ - ١٥١] فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل {لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: ٩]؟ والذي

بعثه بالحق بشيرًا ونذيرًا ما توفاه الله عز وجل حتى بلغ ما أرسله الله به أكمل بلاغ وبينه أتم بيان وفصله أوضح تفصيل وأكمل به الدين وأتم علينا النعمة ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعة الذي اختص به هو وأمته وهداهم لـه في أشرف موقف وأفضل عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة في ذلك الجمع الأعظم الذي لم يتفق وقوع مثله ولم يتفق أكثر الناس برسول الله ﷺ بعده{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [المائدة: ٣] فأخبر فيها بإكمال دينه الذي وعدنا إظهاره في قولـه عز وجل { هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣} [التوبة: ٣٣] وبإتمامه النعمة كما وعد في قولـه تعالى{وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ} [البقرة: ١٥٠].

وتقدم الحديث الصحيح في قول اليهودي لعمر في شأنها وما رد عليه به.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قولـه تعالى:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ} [المائدة: ٣] وهو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه فلا ينقصه أبدًا وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا.

قلت: وفي ضمن هذا الخطاب معنى فارضوا به أنتم لأنفسكم، ولهذا قال النبي ﷺ :**{ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا وبالإسلام دينًا وبمحمد** صلى الله عليه وسلم **نبيّا}**(١) وأمرنا بهذا الذكر في كل مساء وصباح.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات، قالت أسماء بنت عميس، حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل، فبينما رسول

---

(١) (صحيح) مسلم [٣٤] والترمذي [٢٦٢٣] واللفظ للترمذي.

الله ﷺ على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما يميلها من القرآن فبركت، فأتيته فسجيت عليه بردًا كان علي[1]، وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يومًا، رواهما ابن جرير ولـه عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ } وذلك يوم الحج بكى عمر رضى الله عنه، فقال لـه النبي ﷺ ما يبكيك؟ قال رضى الله عنه كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال:{**صدقت**}[2].

وقال ابن عباس رضى الله عنه في قول الله تعالى:{وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾} [الفرقان: ٣٣] قال ولا يأتونك بمثل أى بما يلتمسون به غير القرآن والرسول{إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ} [الفرقان: ٣٣] الآية، أى لإنزال جبريل من الله تعالى بجوابهم، وما هذا إلا اعتناء وكبر شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحًا ومساءً وليلاً ونهارًا، سفرًا وحضرًا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتب قبله المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم أحمعين فالقرآن أشرف كتاب أنزلـه الله ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معًا، ففي الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث{كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾} [الفرقان: ٣٢ - ٣٣]،{وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾} [الإسراء: ١٠٦] وكما وفى بالرد على كل مشاق لله ورسوله من الوثنيين

---

(١) (به ضعف) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج٤ - ٤١٧] وأسباط والسدي فيهما كلام.

(٢) (سنده ضعيف) ابن جرير الطبري في تفسيره [ج٤ - ٤١٧] سفيان بن وكيع بن الجراح: ضعيف.

والمنافقين والكتابيين وغيرهم، ونزل منجمًا على حسب ذلك، فكذلك هو واف برد شبهة كل ملحد إلى يوم القيامة، اقرأ على من ادعى النبوة{وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [الأحزاب: ٤٠] وعلى الدجال فواتح سورة الكهف[1]، وعلى المعطل والمشبه{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى: ١١]،{يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠} [طه: ١١٠] وعلى النافي للقدر{مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} [الأنعام: ٣٩]،{إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩} [القمر: ٤٩] وعلى الجبرية الغلاة{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]،{رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥]،{قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ} [الأنعام: ١٤٩]،{فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٩] وعلى نفاة الرؤية{وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢} [القيامة: ٢٢] وعلى الرافضة{ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] وعلى الناصبة{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ} [التوبة: ١٠٠] الآية{إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا} [الأحزاب: ٣٣] وعلى الفريقين{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [الحشر: ١٠] وعلى كل ذي بدعة مطلقًا{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ} [المائدة: ٣] إلى آخرها مع قوله تعالى:{أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ} [آل عمران: ٨٣]،{وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ} [آل عمران: ٨٥].

المسألة الرابعة: إن هذا الدين التام المكمل الذي أبلغه الرسول ﷺ إلى الناس كافة لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصول الملة وفروعها ولا نقصًا منها، ولا تغييرًا ولا تبديلاً ولا يقبل من أحد دينًا سواه، ولا تقبل لأحد عبادة

(١) (صحيح) مسلم [٢٩٣٧].

لم يتعبدها محمد رسول الله ﷺ ولا أصحابه، ولا يعبد الله تعالى إلا بما شرع، وهذه المسألة يأتي إن شاء الله الكلام عليها في الفصل الأخير، والله المستعان.

* * *

المسألة الخامسة: أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل فلا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده، فهو محكم أبدًا، وهذه المسألة هي المشار إليها بهذا البيت والذي بعده:

٢٤٩- وكل مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قد ادَّعَى ::: نبوة فكاذبٌ فيما ادَّعى
٢٥٠- فهو خِتام الرسل باتفاق ::: وأفضل الخلق على الإطلاق

قال الله تبارك وتعالى:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾} [الأحزاب: ٤٠] وقال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: ١٤٣] وقال تعالى:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ } [آل عمران: ١٤٤] وقال تعالى:{۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ } [النساء: ١٦٣] إلى غير ذلك من الآيات

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**}.

ورواه مسلم وزاد:{**وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**}(١).

ولـه عن أبي موسى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال:{**أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة**}(٢).

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٣٣٩] مسلم [٢٣٥٤].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٣٥٥].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب خاتم النبيين ﷺ، حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها يتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة**}.

رواه مسلم وزاد: قال رسول الله ﷺ :{**فأما موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء**}(١).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال:{**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون لـه ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال ﷺ : فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**} رواه مسلم من طرق(٢).

ولـه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**مثلي ومثل النبيين..**}(٣) فذكر نحوه، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، وجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة**}.

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٣٤١] مسلم [٢٢٨٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٣٤٢] مسلم [٢٢٨٦].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٢٨٦].

ورواه الترمذي عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح[1]، وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب ابن سعد عن أبيه عن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال:{**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي**}.

ورواه مسلم من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي**} قال سعيد فأحببت أن أشافه بها سعدًا فلقيت سعدًا فحدثته بما حدثني به عامر فقال: أنا سمعته، فقلت أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال نعم وإلا سُكتا[2].

وتقدم في حديث ذكر الدجال قوله ﷺ :{**إنه يبديء فيقول إنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي..**}[3]الحديث.

وفي حديث ثوبان الطويل عند أبي داود وغيره{**وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي**}[4].

وللبخاري ومسلم وهذا لفظه: عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله لـه فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدّا والنصارى بعد غد**} وفي رواية:

---

(١) (صحيح لغيره) أحمد في المسند [٢١٢٨١] الترمذي [٣٦١٣]وهذا السند فيه ضعف، سببه: عبد الله بن محمد بن عقيل.

(٢) (صحيح) البخاري [٤١٥٤] مسلم [٢٤٠٤].

(٣) (بسنده ضعف) ابن ماجة [٤٠٧٧] الحاكم في المستدرك [٨٦٢٠] الطبراني في الكبير [٧٦٤٤] الآحاد والمثاني [١٢٤٩].

(٤) (سنده صحيح) أبو داود [٤٢٥٢] الترمذي [٢٢١٩].

{وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة: نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق}(١).

وفي صحيح البخاري في غير موضع من صحيحه من طرق عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:**{إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فقال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فقال: من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ قال: ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال الله تعالى: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أوتيه من شئت}**(٢).

ولهما عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة رضى الله عنه خمس سنين سمعته يحدث عن النبي ﷺ قال:**{كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلف نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم}**(٣).

(١) (صحيح) البخاري [٦٦٣٠] مسلم [٨٥٥] واللفظ لمسلم.
(٢) (صحيح) البخاري [٤٧٣٣].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٢٦٨] مسلم [١٨٤٢].

وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي**}.

قال فشق ذلك على الناس، فقال:{**ولكن المبشرات**} قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال:{**رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة**}(١).

وللبخاري من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات**} قالوا: وما المبشرات؟ قال:{**الرؤيا الصالحة**}(٢).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: حدثنا اسماعيل - وهو ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**}(٣).

وروى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**}(٤).

ولـه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا كالمودع فقال:{**أنا محمد النبي الأمي ثلاثًا ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه**}(٥).

وقد وردت عدة أحاديث في صفة خاتم النبوة بين كتفيه آية باهرة ودلالة ظاهرة على أنه لانبي بعده لا بأس أن نذكر ما تيسر منها، فروى البخاري

---

(١) (سنده صحيح) الترمذي [٢٢٧٢] أحمد [١٣٨٥١].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٥٨٩].
(٣) (صحيح) مسلم [٥٢٣].
(٤) (سنده ضعيف) تقدم قريبا.
(٥) (سنده ضعيف) أحمد في مسنده [٦٦٠٦/٦٩٨١] به: عبد الله بن لهيعة: ضعيف.

ومسلم عن السائب عبد الله بن يزيد رضى الله عنه قال:{**ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وقع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة**}[١].

ولمسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ قد شَمِطَ مُقدَّم رأسه ولحيته، وكان إذا ادَّهنَ لم يتبين، وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجل: وجهه مثل السيف، قال: بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديرًا، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يُشبه جَسَدَه.

وفي رواية قال:{**رأيت خاتما في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام**}[٢].

ولـه عن عبد الله بن سرجس رضى الله عنه قال:{**رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزًا ولحمًا - أو قال ثريدًا - قال فقلت لـه: أستغفر لك النبي ﷺ ؟ قال: نعم ولك**} ثم تلا هذه الآية{وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ} [محمد: ١٩] قال:{**ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمْعًا عليه خِيلان كأمثال الثآليل**}[٣].

وروى أبو داود الطيالسي عن معاوية بن قرة عن أبيه قال:{**أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرني الخاتم، فقال أدخل يدك فأدخلت يدي في جربانة فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم، فإذا هو على نغض كتفه مثل**

(١) (صحيح) البخاري [١٨٧] مسلم [٢٣٤٥].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٣٤٤].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٣٤٦]ناغض كتفه) قال الجمهور (الناغض) أعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا لتحركه (جمعا) معناه أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها (خيلان) جمع خال وهو الشامة في الجسد (الثآليل) جمع ثؤلول وهي حبيبات تعلو الجسد.

البيضة، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه} ورواه النسائي[1].

وروى الإمام أحمد عن أبي رمثة التيمي قال خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله ﷺ فرأيت برأسه رَدْعَ حِنَّاء ورأيت على كتفه مثل التفاحة، فقال أبي: إني طبيب أفلا أطبها لك؟ قال:**{طبيبها الذي خلقها}** قال:**{وقال لأبي: هذا ابنك؟ قال: نعم، قال: أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه}**[2].

وروى البيهقي عن سلمان الفارسي قال:**{أتيت رسول الله ﷺ فألقى رداءه وقال: يا سلمان انظر إلى ما أمرت به؟ قال: فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة}**[3].

وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن التنوخي الذي بعثَه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك.. الحديث، وفيه:**{فحل حبوته عن ظهره، ثم قال: ههنا امض لما أمرت به، قال فَجُلتَ في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحَجْمَةِ الضخمة}**[4].

وروى الإمام أحمد عن عياث البكري قال: كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله ﷺ الذي كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابة: هكذا لحم ناشز بين كتفيه ﷺ [5].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قدم

---

(١) (سنده صحيح) مسند الطيالسي [١٠٧١] الجربان: جيب القميص.

(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٧٥٢٨] أبو داود [٤٤٩٥] النسائي [٤٨٣٢].

(٣) (سنده ضعيف) التاريخ الكبير للبخاري [٦٤٧] به: سماك بن حرب: اختلط بأخرة، وسلامة العجلي، لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحا ولا تعديلا [١٣٠٦] وكذلك في تاريخ بغداد [٤٧٧٧].

(٤) (سنده ضعيف) مسند أحمد [١٥٦٩٣].

(٥) (سنده ضعيف) مسند أحمد[١١٦٧٤] به: عبد الله بن ميسرة: ضعيف، انظر التقريب.

مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد من بعده - يعني الأمر - تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال:{لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ :**{وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت}** فأخبرني أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{بينا أنا نائم رأيت في يديَّ سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحى إلى في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسى والآخر مسيلمة}**(١).

حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ :**{بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبر علي، فأوحي إلىّ أن أنفخهما، فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة}**(٢) والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّا وفيما أشرنا إليه كفاية.

(فهو) محمد ﷺ **(خاتم الرسل)** فلا نبي بعده، والرسالة من باب أولى إذ لا يرسل إلا بعد أن يتنبأ، فالنبوة وحي مطلق مجردًا، فإن أمر بتبليغه فرسالة، فكل رسول نبي ولا عكس **(باتفاق)** من كل كتاب منزل وكل نبي مرسل وكل مؤمن بالله واليوم الآخر **(وأفضل الخلق)** كلهم **(على الإطلاق)** بلا استثناء قال

---

(١) (صحيح) البخاري [٤١١٥] مسلم [٢٢٧٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٤١١٦] مسلم [٢٢٧٤].

الله تبارك وتعالى:{ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ } [البقرة: ٢٥٣].

قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم: هو محمد ﷺ وتقدم قولـه ﷺ : {**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**}.

وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق في الإيمان به ونصرته وبشر به كل نبي قومه وبعث إلى الجن والإنس والأسود والأحمر كافة، وأتى في الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله من انشقاق القمر وحنين الجذع إليه ونبع الماء من أصابعه وتسليم الأشجار والأحجار عليه وغير ذلك.

* * *

أعظم معجزاته ﷺ هذا القرآن

وأعظم معجزاته هذا القرآن معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا تفني عجائبه ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار ولا يمل مع التكرار، بل يجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يُعلى، وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكارها، وهو كل يوم براهينه في مزيد ومعجزاته في تجديد{ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤٢].

وقد ظهر فضيلته ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إمامًا، وعلوه فوق الجميع مقامًا، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل . واختص ﷺ بأشياء أخر في سماحة شريعته، ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعًا، وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول مشفع وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته، ولـه الحوض المورود وهو الكوثر، وهو أكثر الأنبياء واردًا، ولـه اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه، ولـه المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، ويرغب إليه كل الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن، وهو وأمته أول من يجوز الصراط وهم ثلث أهل الجنة، لما جاء أنهم ثمانون صفًا وغيرهم من الأمم أربعون صفًا، وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، ويشفع الواحد من أمته في مثل ربيعة ومضر، ولـه ﷺ الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ليس فوقها إلا عرش الرحمن عز وجل ، وليست هي لأحد غيره ﷺ، وغير ذلك من مقاماته العلية التي لا ينالها غيره ولا يدركها سواه، وهذا مقام يطول ذكره ولا يقدره قدره، ولا يحيط بغايته إلا الذي اصطفاه لـه، وأكرمه به، جعلنا الله عز وجل ممن اقتدى به واهتدى بهديه وكان هواه تبعًا لما جاء به آمين.

مسألة: في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئًا كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم خده وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب اليهودي إليه ﷺ فقال: أبا القاسم إن لي ذمة وعهدًا فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رُئي في وجهه ثم قال:{**لا تفضلوا بين أنبياء الله** عز وجل ، **فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي؟ ولا أقول إن أحدًا أفضل من يونس بن متى**}(١).

ولهما عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**}(٢).

ولهما عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:{**لا ينبغى لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى**}.

وفي رواية لمسلم عن النبي ﷺ أنه قال - يعني الله ت تبارك وتعالى -:{**لا ينبغي لعبد لي..**}(٣) الحديث.

قال النووي(٤)رحمه الله تعالى: في الحديث الأول قولـه ﷺ :{**لا تفضلوا بين أنبياء الله**} جوابه من خمسة أوجه: أحدها: أنه ﷺ قال قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به والثاني: قاله أدبًا وتواضعًا، والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول، والرابع: إنما نهى عن تفضيل

(١) (صحيح) البخاري [٣٢٣٣] مسلم [٢٣٧٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٣٢] مسلم [٢٣٧٧].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٢٣٤] مسلم [٢٣٧٦].
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم [ج٨ - ص٤٢، ٤٣].

يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث، والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، رواه ابن كثير رحمه الله تعالى وجهًا أن التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل ، وعليكم الانقياد لـه والتسليم والإيمان به. اهـ.

قلت: الوجه الأول من كلام النووي ضعيف، والثاني والخامس فيهما نظر، والرابع قريب، ويقوى عندي الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير، فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحطّ من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعًا منهى عنه شرعًا، وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ ولو لم يقصده ذلك الأنصاري رضى الله عنه فغضب النبي ﷺ ونهيه عن ذلك تعليم عام للأمة وزجر بليغ لجميعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك، وأما التفضيل بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله ﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر فهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد لـه والتسليم، فلا يؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلا عن الله وعن رسوله ﷺ، والله المستعان وبه التوفيق.

وقال النووي [(١)]: رحمه الله تعالى فيما قاله ﷺ في شأن يونس أنه ﷺ قال هذا زاجرًا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن من قصته: قال العلماء وما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من درجة النبوة مثقال ذرة وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر، وأما قولـه ﷺ :**{ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس}** فالضمير

(١) شرح النووي لصحيح مسلم [ج٨ - ص١٤٥ / ١٤٦].

قيل يعود إلى النبي ﷺ، وقيل يعود إلى القائل، أى لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو غير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيد هذا التأويل الرواية التي فيها قولـه ﷺ :**{لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى}** والله أعلم.

* * *

فصل

في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ
وذكر الصحابة بمحاسنهم، والكف عن مساويهم
وما شجر بينهم رضي الله عنه

أهم ما في هذا الفصل خمس مسائل: الأولى مسألة الخلافة، والثانية فضل الصحابة وتفاضلهم بينهم، والثالثة تولى أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركته عليهم ومحبة الجميع والذب عنهم، الرابعة ذكرهم بمحاسنهم والكف عن مساويهم، والخامسة السكوت عما شجر بينهم وأن الجميع مجتهد: فمصيبهم لـه أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته ومخطؤهم لـه أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور:

٢٥١- وبعده الخليفة الشفيق ::: نعم نقيب الأمة الصديق
٢٥٢- ذاك رفيق المصطفى في الغار ::: شيخ المهاجرين والأنصار
٢٥٣- وهو الذي بنفسه تولى ::: جهاد من عن الهدى تولى

(**وبعده**) أى بعد رسول الله ﷺ (**الخليفة**) لـه في أمته (**الشفيق**) بهم وعليهم (**نعم**) فعل مدح (**نقيب**) فاعل نعم، والنقيب عريف القوم وافضلهم (**الصديق**) هو المخصوص بالمدح وهو النقابة منه لجميع الأمة، وهو أبو بكر عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أول الرجال إسلامًا، وأفضل الأمة على الإطلاق رضى الله عنه، فلنسق الكلام أولاً في خلافته، ثم في مقاماته أيام خلافته رضى الله عنه.

فأما خلافته فقد تقدم الحديث في تقديم النبي ﷺ إياه إمامًا في الصلاة مقامه أيام مرضه ﷺ، وهو في الصحيحين من طرق عن عائشة بألفاظ، وعن جماعة غيرها من الصحابة رضى الله عنه في الصحيحين وغيرهما، منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وأبو موسى الأشعري وعمر بن الخطاب،

وقد راجعته عائشة وحفصة رضى الله عنه مرارًا وهو يكرر مرارًا عديدة يقول:{**مروا أبا بكر فليصل بالناس، مروا أبا بكر فليصل بالناس**}(١) ولما أشير بغيره حرك يده وقال:{**ليصل بالناس ابن أبي قحافة**}(٢) وفي رواية:{**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**}(٣).

وروى البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال:{**أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ : إن لم تجديني فأتي أبا بكر**}(٤).

وفيهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربًا، فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريّا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن**}(٥).

وفيهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضى الله عنه كان يحدث:{**أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فينقطع، ثم وصل فقال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي ﷺ : اعبرها، قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف السمن والعسل فالقرآن حلاوته تنطف،**

(١) (صحيح) البخاري [٦٤٦] مسلم[٤٢٠].
(٢) (به ضعف) أبو داود [٤٦٦١] السنة لابن أبي عاصم [٩٦٣] موسى بن يعقوب: ضعيف سيئ الحفظ.
(٣) (صحيح) البخاري [٦٧٩١] مسلم [٢٣٨٧] واللفظ لمسلم.
(٤) (صحيح) البخاري [٣٤٥٩] مسلم [٢٣٨٦].
(٥) (صحيح) البخاري [٣٤٦٤] مسلم [٢٣٩٢].

فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله عز وجل ، **ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل فينقطع ثم يوصل فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ : أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا، قال فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال لا تقسم}**[١].

وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال:{**إن الله تعالى خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله** عز وجل ، **قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال** صلى الله عليه وسلم **: إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر** رضى الله عنه، **ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبا بكر** رضى الله عنه}[٢].

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت:{**قال رسول الله ﷺ في مرضه: ادعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}**[٣].

وروى أبو داود عن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه قال:{**لما استُعِزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمن دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلي للناس، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقلت: يا عمر قم فصل بالناس: فتقدم فكبر، فلما سمع رسول**

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٦٣٩] مسلم [٢٢٦٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٥٤] مسلم [٢٣٨٢].
(٣) (صحيح) مسلم [٢٣٨٧].

الله ﷺ صوته وكان عمر رضى الله عنه **رجلاً مجهرًا قال: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، فبعث إلى أبي بكر** رضى الله عنه **فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس}**[١].

وفي رواية قال:**{لما سمع النبي ﷺ صوت عمر** رضى الله عنه **قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال ﷺ : لا، لا، لا، ليصل للناس ابن أبي قحافة}**[٢].

ولـه عن الحسن عن أبي بكرة رضى الله عنه :**{أن النبي ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ قلت: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ }**.

ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة بمعناه ولم يذكر الكراهية قال:**{فاستاء لها رسول الله ﷺ }** يعني فساءه ذلك فقال:**{خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء}**[٣] ولـه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال:**{أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر}** قال: جابر فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما تنوط

---

(١) (سنده حسن) أبو داود [٤٦٦٠].

(٢) (به ضـعف) أبو داود [٤٦٦١] السـنة لابن أبي عاصـم [٩٦٣] موسـى بن يعقوب: ضـعيف سيء الحفظ.

(٣) (بسـنده ضـعف) أبو داود [٤٦٣٤] الترمذي [٢٢٨٧] الحسـن هو البصـري: وهو معروف بالتدليس، ولم أقف لـه على تحديث أو سـمـاع. وعند الحاكم [١٩٤] وبه علي بن زيد بن جدعان: وهو ضعيف.

بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ [1]، ولـه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه :{**أن رجلاً قال: يا رسول الله إني رأيت كأن دلوًا دليت من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها شرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء**}[2].

وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**إني لأرى ما بقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدى**} وأشار إلى أبي بكر وعمر[3]، حديث حسن.

عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ :{**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**}[4].

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح[5].

وصفة بيعته رضى الله عنه بخلافة النبوة ما رواه البخاري عن عائشة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر

---

(١) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٦٣٦] أحمد [١٤٨٦٣] علته: عمرو بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي: مقبول كما في التقريب [٤٩٨٥] وقال ابن حبان: قد روى عن جابر بن عبد الله، فلا أدرى أسمع منه أم لا في الثقات [٩٧٤٧].

(٢) (سنده ضعيف) أبو داود [٣٢٠٠١] أحمد [٢٠٢٥٥] الطبراني في الكبير [٦٩٦٥] علته: عبد الرحمن الأزدى أو الجرمى: مقبول.

(٣) (سنده حسن) الترمذي من طريقين عن حذيفة يقوي بعضهما بعضا [٣٦٦٣/ ٣٧٩٩] وهناك غير ذلك.

(٤) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٦٧٣] علته: عيسى بن ميمون مولى القاسم بن محمد: ضعيف.

(٥) (صحيح) مسلم [٢٣٨٥].

يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله: فقال بأبي أنت وأمي، طبت حيّا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسْلَك: فلما تكلم جلس عمر رضى الله عنه فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾} [الزمر: ٣٠] وقال{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾} [آل عمران: ١٤٤] قال فنشج الناس يبكون.

قال واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ثم تكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب: والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكن نحن الأمراء وأنتم الوزراء إن قريشًا هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا فبايِعوا عمر بن الخطاب أو عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله. زاد في رواية: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم النفاق، فردهم الله بذلك، ثم بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق

الذي عليهم وخرجوا به يتلون{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾} [(١)].

وفيه أيضًا عن عمر رضى الله عنه من خطبته الطويلة قال: ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلانًا، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا إنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبينا ﷺ، إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلاً صالحًا فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم، فقال أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقال: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتينا سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما لـه؟ قالوا يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دانة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زوَّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٦٧].

بدبهته مثلها وأفضل منها، حتى سكت فقال: ما ذكر فيكم من خير فأنتم لـه أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدَّم تضرب عنقي ولا يقربني ذلك من إثم أحب إلى من أن تأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلىّ نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: أنا جَذِيلها المحكَّك وعُذَيْقها المرجَّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقتُ من الاختلاف، فقلتُ: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو والذي بايعه تغرة أن يقتلا(١).

وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه في صائفة من المدينة، قال فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبي وأمي، ما أطيبك حيّا وميتّا، مات محمد ورب الكعبة، فذكر الحديث، فانطلق أبو بكر وعمر رضى الله عنه يتعادان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئًا أنزل في الأنصار أو ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال:**{لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديًا لسلكت وادي الأنصار}** ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ

(١) (صحيح) البخاري [٦٤٤٢].

قال وأنت قاعد:{**قريش ولاة هذا الأمر فبرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم**} فقال لـه سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء(١)، ولـه بإسناد جيد عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل قال: وسألته عما قيل في بيعتهم فقال وهو يحدث عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأنصار وما ذكر به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردَّة(٢).

وروى البخاري عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لايتكلم قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يك محمد قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به هدى الله ومحمدًا ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر.

قال الزهري عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس(٣).

وقال محمد بن إسحاق حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر رضى الله عنه على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس،

---

(١) (سنده ضعيف) أحمد [١٨] سنده رواته ثقات، إلا أنه مرسل.

(٢) (سنده فيه كلام) أحمد [٤٢] علته: الوليد بن مسلم: مدلس تدليس التسوية، ولم يصرح بالتحديث إلا عن شيخه، وبالسند عبد الملك بن عمير القبطي اللخمي مدلس مشهور بالتدليس، وقد عنعن، انظر طبقات التدليس [٨٤].

(٣) (صحيح) البخاري [٦٧٩٣].

إني كنت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدًا عهدها إلى رسول الله ﷺ ولكني أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا - يقول يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله لـه وإن الله تعالى قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله عز وجل ، لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا ضربهم بالذل، ولا يُشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله(١).

وروى البيهقي من طريق ابن خزيمة بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال:

قُبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر، قال فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم، فبايعوه فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار.

---

(١) (سنده حسن) السيرة النبوية لابن هشام [ج٢ - ص٦٦١].

قال فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال فدعا بالزبير فجاء فقال: قلتَ ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه.

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليّا، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه(١).

وروى مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفَدَك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال:{**لا نورث، ما تركناه صدقة**} إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها علي، وكان لعلي رضى الله عنه من الناس وجهة حياة فاطمة رضى الله عنها، فلما توفيت استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحد - كراهية أن يحضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه - فقال عمر لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي، إني والله لآتيهم، فدخل عليهم رضى الله عنه فتشهد على بن أبي طالب رضى الله عنه ثم قال: إنا عرفنا يا

---

(١) (سنده صحيح) سنن البيهقي الكبرى [١٦٣١٥/١٦٣١٦] كتاب (قتال أهل البغي) باب (الأئمة من قريش).

أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نحن نرى لنا حقًا لقرابتنا من رسول الله ﷺ، فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر رضى الله عنه، فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، فقال علي لأبي بكر رضى الله عنه : موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه صلاة الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب رضى الله عنه فعظم حق أبي بكر رضى الله عنه وأنه لم يحمله على الذي صنعه نفاسة على أبى بكر ولا إنكارًا للذي فضله الله به، ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيبًا فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا، فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت، فكان المسلمون إلى علي قريبًا حين راجع الأمر المعروف(١).

وهذا لا ينافي ما ذكر في بيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلة السقيفة أو صبحتها، ولفظة:**{لم يكن بايع تلك الأشهر}** إن كان من قول عائشة فلعلها لم تعلم بيعته الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيره، لأن الرجال في مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لا يحضرها النساء، وأيضًا فقد قدمنا مرارًا أن مجرد النفي لا يكون علمًا وعند المثبت زيادة علم انفرد بها عن النافي، إذ فآية ما عند النافي أنه لا يعلم، ولعل عائشة تيقنت عدم حضوره بيعة السقيفة من العشي ولم يبلغها حضوره صبحتها في البيعة العامة، وإن كان هذا كلام بعض الرواة فهو بمجرد ما فهمه من البيعة الأخرى ظن أنه لم يبايع قبل ذلك مصرحًا بظنه:**{ولم يكن بايع تلك الأشهر، وإنما كانت هذه البيعة بعد موت فاطمة** رضى الله عنها **لإزالة ما كان حصل من الوحشة والمشاجرة**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٥٠٨] مسلم [١٧٥٩] واللفظ لمسلم.

بسبب دعواها، ويشهد لذلك أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه **لم يفارق الصديق** رضى الله عنه **في وقت من الأوقات ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وكان خروجه معه إلى ذي القصة**(١)حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر في حياة فاطمة رضى الله عنها في الشهر الثالث من وفاة رسول الله ﷺ كما روى الدارقطني من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضى الله عنه قال: لما برز أبوبكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب رضى الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ أقول لك ما قاله رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع(٢).

ورواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والزهري أيضًا عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شاهرًا سيفه راكبًا على راحلته إلى وادي القصة فجاء علي بن أبي طالب رضى الله عنه فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا فرجع وأمضى الجيش(٣).

---

(١) (ذُو الْقَصَّـةُ): بِفَتْحِ وَتَشْدِيدِ الصَّـادِ، وَآخِرُهُ تَاءٌ مَرْبُوطَةٌ: جَاءَ فِي تَعْدِيدِ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْهَا، غَزْوَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ذَا الْقَصَّةِ، مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ.
قُلْت: لا يُعْرَفُ الْيَوْمَ ذُو الْقَصَّـةِ، وَلَكِنَّ يَاقُوتًا فِي مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ حَدَّدَهُ بِأَنَّهُ عَلَى (٢٤) مِيلاً مِنْ طَرِيقِ الرَّبَذَةِ، وَيُورِدُ نَصًّا آخَرَ بِأَنَّهُ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ الْمَدِينَةِ.
وَكُلُّ ذَلِك عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى الْعِرَاقِ الْمَارّ بِالْقَصِـيمِ. وَهَذَا التَّحْدِيدُ يَجْعَلُهُ قَرِيبًا مِنْ الطَّرَفِ (الصُّـوَيْدِرَةِ) الْيَوْمَ، وَهَذِهِ كَانَتْ دِيَارَ غَطَفَانَ، وَالْغَزْوَةُ كَانَتْ إلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطَفَانَ. (الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ: ج١).

(٢) قال في كنز العمال [١٤١٥٨] (رواه الدارقطني في غرائب مالك، والخلعي في الخلعيات) وفيه: أبو غزية محمد بن يحيى الزهري: متروك.

(٣) (سنده ضعيف جدا) ذكره بهذا السند ابن كثير في البداية والنهاية [ج٦ - ص ٣١٥] ورواه

وفي الصحيح خروجهما إلى خارج المدينة وأن أبا بكر رضى الله عنه وجد الحسن بن علي يلعب مع الصبيان فحمله وهو يقول:

بأبي شبيه بالنبي ::: ليس شبيهًا بعلي

وعلي رضى الله عنه يضحك(١)، ومن تدبر النصوص في ذلك وإجماع المهاجرين والأنصار وأهل بيت النبي ﷺ وغيرهم ظهر لـه تأويل قول الصادق المصدوق ﷺ :**{يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر}**(٢).

وأما فضله فقال تبارك وتعالى{ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ } [التوبة: ٤٠] وقال تبارك وتعالى{ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾} [الزمر: ٣٣] وقال{وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾} [الليل: ١٧ - ٢١] حكى جماعة من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه(٣).

وفي الصحيحين من حديث الهجرة الطويل:**{فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جشعم على فرس لـه، فقلت: هذا الطلب، قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن إن الله معنا}**(٤).

وفيهما من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبي بكر رضى الله عنه قال:**{قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما}**(٥).

عن زكريا الساجي، ابن الأعرابي في معجمه [١٥٧٣] فالراوي عن عبد الوهاب: أبو غزية محمد بن يحيى الزهري: وهو متروك.

(١) (صحيح) البخاري [٣٣٤٩].

(٢) (صحيح) البخاري [٦٧٩١] مسلم [٢٣٨٧] واللفظ لمسلم.

(٣) انظر تفسير الطبري [١٢ - ص ٦١٩] وتفسير القرطبي [ج٢٠] قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره [ج٤ - ص٦٧٢] وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك.

(٤) (صحيح) البخاري [٣٤٥٢] مسلم [٢٠٠٩].

(٥) (صحيح) البخاري[٣٤٥٣] مسلم [٢٣٨١].

وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنه قال:{**كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان** رضى الله عنه}[١].

وفي لفظ قال:{**كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم**}[٢].

وفيهما واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**بينما رجل يسوق بقرة لـه قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجبًا وفزعًا أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ : فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر**}.

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :{**بينما راع في غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال لـه: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري، فقال الناس سبحان الله، فقال رسول الله ﷺ : فإني أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر**}.

وفي رواية لهما:{**ومن ثم أبو بكر وعمر**} ولمسلم:{**وما هما ثم**}[٣].

وفي صحيح البخاري عن همام قال: سمعت عمارًا يقول:{**رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر**}[٤].

وفيه عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال:{**كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٥٥] لم أقف عليه في مسلم.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٩٤].

(٣) (صحيح) البخاري [٢١٩٩/ ٣٢٨٤] ومسلم [٢٣٨٨] وقوله(ومن ثم أبو بكر وعمر) لم أقف عليه في الصحيحين، وقوله (وما هما ثم) ليس في مسلم فقط، بل أيضا في البخاري.

(٤) (صحيح) البخاري [٣٤٦٠/ ٣٦٤٤].

أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ : أما صاحبكم فقد غامر، فسلم وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا، ثم إن عمر رضى الله عنه **ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر** رضى الله عنه **فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال ﷺ : إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، مرتين، فما أوذي بعدها - وفي رواية - فقال رسول الله ﷺ، هل أنتم تاركو لي صاحبي، هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت}**[1] قال أبو عبد الله - هو البخاري سبق بالخير.

ولهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان، فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعي من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر}**[2].

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٦١/٤٣٦٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٦٦] مسلم [١٠٢٧] (أنفق زوجين) عمل صنفين من أعمال البر.

وفيه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت أى الناس أحب اليك؟ قال:{**عائشة، فقلت من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالاً**}(١).

وفيه عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر، قلت ثم من؟ قال عمر، وخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢).

وفيه عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم(٣).

وفيهما عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري رضى الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا خرج ووجه ههنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر، فقلت على رسلك، ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال ائذن لـه وبشره بالجنة،

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٦٢] مسلم [٢٣٨٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٦٨].
(٣) (صحيح) البخاري [٤٥٣٧].

فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو

بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد رجعت وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت إن يرد الله بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عمر بن الخطاب، فقلت: على رِسلك، ثم جئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: ائذن لـه وبشره بالجنة، فجئت فقلت لـه ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عثمان بن عفان، فقلت على رسلك، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ائذن لـه وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فقلت لـه ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر، قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم(١).

وفيهما عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال:{**اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**}(٢).

وللترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لأبي بكر:{**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**}(٣) وقال حسن صحيح.

ولـه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:{**أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا، قال فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله**

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٧١] مسلم [٢٤٠٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٧٢].
(٣) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٦٧٠] كثير بن إسماعيل: ضعيف، والطبري في تفسيره عن ابن عباس [١٦٣٧٥] والطبراني في الكبير [١٢١٢٧] ولا يخلو من ضعف.

وأتى أبو بكر رضى الله عنه **بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا}**[1]هذا حديث حسن صحيح.

ولمسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**{من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر أنا، قال فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر أنا، قال فمن أطعم اليوم منكم مسكينا؟ قال أبو بكر أنا، قال فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر أنا، فقال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن في أمرئ إلا دخل الجنة}**[2].

والأحاديث في الصديق كثيرة جدّا، قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكر كفاية في التنبيه على ما وراءه، وما أحسن ما قال ثابت رضى الله عنه :

إذا تذكرت شجوا من أخ ثقة ::: فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها ::: بعد النبي وأولاها بما حملا
والتالي الثاني المحمود مشهده ::: وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميدا لأمر الله متبعًا ::: بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا[3]

* * *

(١) (سنده حسن) أبو داود [١٦٧٨] الترمذي [٣٦٧٥].
(٢) (صحيح) مسلم [١٠٢٨].
(٣) (سنده ضعيف) المستدرك للحاكم [٤٤١٤] الطبراني في الكبير [١٢٥٦٢] ابن أبي شيبة [٣٣٨٨٥] البيهقي الكبرى [١٢٨٧٥] مداره على: مجالد بن سعيد بن عمير: وهو ضعيف، ولا يخلو من أسباب ضعف أخرى، يتفرد به كل واحد ممن سبق عن الآخر.

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النبي ﷺ من حين بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه في كل خير، فأمر لا تدرك غايته، ثم لما توفى الله عز وجل نبيه ﷺ كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع الله به شمل العرب بعد شتاته، وقمع به كل عدو للدين ودمر عليه وألف لـه الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين، حتى قيل: لم يبق يصلي إلا في ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين ومسجد العلاء بن الحضرمي بالبحرين، فردهم الله تعالى إلى الحق طوعًا وكرهًا وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر ولله الحمد والمنة، قال الله تبارك وتعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ} [المائدة: ٥٤] الآيات، قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة وهمَّ أبو بكر رضى الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ وقال عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله** عز وجل } فقال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها(١)، قال أنس بن مالك رضى الله عنه : كرهت الصحابة

(١) (صحيح) البخاري [٦٥٢٦] مسلم [٢٠].

رضى الله عنه قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة، فتقلد أبو بكر رضى الله عنه سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدّا من الخروج في أثره، قال ابن مسعود رضى الله عنه : سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضى الله عنه لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة(١)، وكان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالأسود، وكان كاهنًا مشعبذًا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض لحرب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال رضى الله عنه : فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء في الليلة التي قتل فيها، فقال ﷺ :{**قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك**} قيل وهو من؟ قال:{**فيروز، فاز فيروز**} فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقبض النبي ﷺ من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضى الله عنه (٢)، والفرقة الثانية بنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر وزعم أنه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة وكتب إلى رسول الله ﷺ :{**من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك**} وبعث إليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله ﷺ :{**لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**} ثم أجاب:{**من محمد رسول الله ﷺ، إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**}(٣)

---

(١) انظر تاريخ دمشق [ج ٣٠ - ص ٣٩٥] وفيه قال أبو بكر بن عياش سمعت أبا الحصين.

(٢) (إسناده ضعيف) تاريخ الطبري [ج٢ - ص٢٥١] البداية والنهاية لابن كثير [ج٦ - ص٣١٠] وانظر الخصائص الكبرى للسيوطي [ص ٤٦٦] أما كون قتل الأسود العنسي على يد فيروز الديلمي، فصحيح ثابت.

(٣) (سنده حسن) انظر السيرة لابن هشام [ج٢ - ص ٦٠٠] وانظر تاريخ الطبري [ج٢ -

ومرض رسول الله ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشى غلام مطعم بن عَدِيّ الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديدة، وكان وحشى يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام(١)، والفرقة الثالثة بنو أسد ورأسهم طليحة بن خويلد، وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ وأول من قوتل بعد وفاة رسول الله ﷺ من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربًا نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه(٢).

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضى الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم ونصر دينه على يدي أبي بكر رضى الله عنه قالت عائشة رضى الله عنها : توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرأبَّ النفاق ونزل بأبي ما نزل لو بحبار لهاضه(٣)، انتهى من تفسير البغوي رحمه الله.

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري{فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة: ٥٤] قال حسن: هو والله أبو بكر وأصحابه.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سُنَنِه وابن عساكر عن قتادة: قال الله تعالى هذه الآية{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ} [المائدة: ٥٤] وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه ﷺ ارتد

ص٢٠٣] وانظر تاريخ المدينة لابن شبة [ج٢ - ص ٥٧٢] سنده حسن مرسل، وفتوح البلدان للبلاذُري [ج١ - ص١٠٦] وسنن أبي داود [٢٧٦١] مسند أحمد [٣٧٠٨/ ١٦٠٣٢] المستدرك للحاكم [٢٦٣٢/ ٤٣٧٧] والآحاد والمثاني [١٣٠٩].

(١) (سنده حسن) سيرة ابن هشام [ج٢ - ص ٧٢] وقصة قتل وحشي لحمزة رضى الله عنه ومسيلمة الكذاب ثابتة في صحيح البخاري [٣٨٤٤] كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله [ج٦ - ص٣١٠].

(٣) (سنده صحيح) سنن البيهقي [١٦٦٢٥] فضائل الصحابة [٦٨] المعجم الأوسط [٤٩١٣].

عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الجواثي من عبد القيس، وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا، فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم وقيل لـه: إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة، فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله عز وجل ، ولو منعوني عقالاً مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة، قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه{فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة: ٥٤] إلى آخر الآية(١)، ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد: قال لما أنزل الله{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ} [المائدة: ٥٤] الآية، قال عمر رضى الله عنه : أنا وقومي يا رسول الله؟ قال:{**لا، بل هذا وقومه**} يعني أبا موسى الأشعري(٢).

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن الحميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مَرْدَوَيْهِ والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال: لما نزلت{فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة: ٥٤] قال رسول الله:{**هم قوم هذا**} وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه(٣).

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال تليت على النبي ﷺ {فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ} الآية، فقال النبي ﷺ :

---

(١) (سند صحيح إلى قتادة) انظر تفسير ابن جرير [ج٤ - ٦٢٢] تفسير المائدة (آية: ٥٤).

(٢) (سنده صحيح إلى شريح) ابن جرير [ج٤ - ٦٢٢] تفسير المائدة (آية: ٥٤) وهو لم يدرك عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٣) (سنده صحيح إلى عياض) تفسير ابن جرير [ج٤ - ٦٢٢] عياض الأشعري مختلف في صحبته، وعلى كل حال، فقد جاء أنه رواه عن أبي موسى الأشعري، كما عند ابن جرير في تفسيره أيضا.

{قومك يا أبا موسى الأشعري، أهل اليمن}[١].

وأخرج ابن أبي حاتم في الكنى والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ} [المائدة: ٥٤] الآية، فقال:**{هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب}**[٢].

وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون[٣].

وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال: هم أهل القادسية

قلت: وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن، بل كانت بجيلة ربع الناس فضلاً عن غيرهم، وكان بأس الناس الذي هم فيه، كما رواه ابن إسحاق عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدي فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسودًا، فإنما الفارسي تيس، وقد قتل رضى الله عنه أسوارًا فارس الفرس وأبلى بلاء حسنًا، وكانت لـه اليد البيضاء يومئذ[٤].

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا{مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}

[المائدة: ٥٤] الآية، ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله لمنكم أهل اليمن - ثلاثًا[٥] -

(١) (سنده صحيح) تفسير ابن أبي حاتم [٦٥٧٠] دلائل النبوة للبيهقي [٢٠٩٨].
(٢) (سنده حسن) ابن أبي حاتم في تفسيره [٦٥٦٩].
(٣) (سنده حسن) ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم ذاكرا سنده بتمامه [ج٣ - ص١٣٥].
(٤) (سنده صحيح) مصنف ابن أبي شيبة [٣٣٧٤٣] ابن جرير في التاريخ [ج٢ - ٤٣٠].
(٥) (سنده ضعيف) التاريخ الكبير للبخاري [٣٤١٩] يوسف بن عبد الصمد: مجهول، انظر لسان

وكل هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولاً، فأن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذ، وإنما ارتد كثير منهم مع الأسود وثبت كثير منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبي موسى وفيروز الديلمي وغيرهم من عمال النبي ﷺ، ونشب بين مؤمنهم وكافرهم قتال عظيم حتى قتل الله الأسود على يد فيروز وأيد الله الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، ولكن لم يرجع أمرهم على ما كانوا عليه قبل العنسى إلا في خلافة أبي بكر رضى الله عنه، فإنه لم يزل يتابع الكتائب مددًا لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلام وكانوا من أعظم أنصاره حتى صار رؤساء ردتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وغيرهم من أعظم الناس وأشدهم بلاء في أيام الردة والفتوح، فحينئذ عاد المعنى إلى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه، وكل هذا في شأن السبب لنزول الآية، وإلا فهي عامة لكل مؤمن يحب الله ويحبه ويوالي فيه ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم إليه وأول من تناولته الآية، رضى الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ :{**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** عز وجل } فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال

الميزان [١١٦١] ويبد أن إسماعيل بن سعيد بن رمانة: مجهول هو الآخر، فقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير دون جرح أو تعديل [١١٢٦] وذكره ابن حبان في الثقات، جريا على قاعدته في توثيق المجاهيل.

عمر بن الخطاب، فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[1]، وتفاصيل موافقه العظام رضى الله عنه مشهورة مبسوطة في كتب السيرة وغيرها، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته رضى الله عنه في يوم الاثنين عشية وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يومًا، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقرئ على المسلمين فأقرّوا به وسمعوا لـه وأطاعوا، وكان عمر الصديق رضى الله عنه يوم توفي ثلاثًا وستين سنة السن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، فرضى الله عنه وأرضاه، ومن جميع أبواب الجنة دعاه، وقد فعل ولله الحمد والمنة.

٢٥٤- ثانيه في الفضل بلا ارتياب ::: الصادع الناطق بالصواب
٢٥٥- أعني به الشهم أبا حفص عمر ::: من ظاهر الدين القويم ونصر
٢٥٦- الصارم المنكى على الكفار ::: وموسع الفتوح في الأمصار

(**ثانيه**) أى ثاني أبي بكر (**في الفضل**) على الناس بعده فلا أفضل منه وكذا هو ثانيه في الخلافة بالإجماع (**بلا ارتياب**) أى بلا شك (**الصادع**) بالحق المجاهر به الذي لا يخاف في الله لومة لائم، ومنه قول الله تعالى لنبيه ﷺ {فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ} [الحجر: ٩٤] فكان عمر رضى الله عنه كذلك، وبه سماه النبي ﷺ فاروقًا (**الناطق بالصواب**) والذي وافق الوحي في أشياء قبل نزولـه كما سيأتي (**أعني به**) أى بهذا النعت (**الشهم**) الذكي المتوقد السيد المطاع الحكم القوي في أمر الله الشديد في دين الله (**أبا حفص عمر**) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوى ثاني الخلفاء

(١) (صحيح) متفق عليه، تقدم قريبا.

وإمام الحنفاء بعد أبي بكر رضى الله عنه وأول من تسمى أمير المؤمنين (**الصارم**) السيف المسلول (**المنكى**) من النكاية (**على الكفار**) لشدته عليهم وإثخانه إياهم حتى إن كان شيطانه ليخافه أن يأمره بمعصية كما قاله علي بن أبي طالب رضى الله عنه (**وموسع**) من الاتساع (**الفتوح**) فتوح الإسلام (**في الأمصار**) فكمل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك ثم بلاد فارس حتى مزق الله به ملكهم كل ممزق، ثم أوغل في بلاد الترك كما هو مبسوط في كتب السير وغيرها، تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريبًا مع ذكر أبي بكر رضى الله عنه وكثير من فضائله أيضًا التي شارك فيها أبا بكر.

وفي الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشة فقلت من هذا؟ فقال هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت لمن هذا؟ فقال لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار**}(١).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال:{**بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟**}(٢).

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال:{**بينا أنا نائم إذ رأيت قدحًا أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال العلم**}(٣).

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٧٦] من حديث جابر رضى الله عنه، ومسلم [٢٤٥٦] من حديث أنسرضى الله عنه .

(٢) (صحيح) البخاري [٣٠٧٠] مسلم [٢٣٩٥].

(٣) (صحيح) البخاري [٣٤٧٨] مسلم [٢٣٩١].

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره، قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين**}[1].

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:{**استأذن عمر بن الخطاب** رضى الله عنه **على رسول الله** ﷺ، **وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته** ﷺ، **فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن لـه** رسول الله ﷺ، **فدخل عمر ورسول الله** ﷺ **يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي** ﷺ **: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، فقال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله** ﷺ **؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله** ﷺ**، فقال رسول الله** ﷺ **: إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجا قط إلا سلك فجًا غير فجك**}[2].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر**}[3].

وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٣] مسلم [٢٣٩٠].
(٢) (صحيح) البخاري [٣١٢٠] مسلم [٢٣٩٦].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٤٨٦] مسلم من حديث عائشة [٢٣٩٨] واللفظ للبخاري.

قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال إنما خيرني الله - أو أخبرني الله - فقال:{ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: ٨٠] فقال: سأزيده على سبعين، قال فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه{ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾} [التوبة: ٨٤] متفق على جميعها(١).

وفي البخاري عن ابن عباس رضى الله عنه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال:{**لما مات عبد الله بن أبيّ ابن السلول دعي لـه رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا كذا وكذا، قال أعدد عليه قولـه، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر لـه لزدت عليها، قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة**{ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا} [التوبة: ٨٤] إلى قولـه{وَهُمْ فَٰسِقُونَ} [التوبة: ٨٤] قال: فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنه في قصة أسارى بدر بطولـه قال ابن عباس:{**فلما أسروا الأساري قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأساري؟**} فقال أبو بكر هم يا نبي الله بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ :{**ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لاوالله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تضرب أعناقهم فتمكن عليّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان - نسيبًا لعمر -**

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٩٥] مسلم [٢٤٠٠/ ٢٧٧٤].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٣٩٤].

فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أى شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ أبكي للذي عرض عليَّ في أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ - وأنزل الله عز وجل {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧] إلى قوله:{فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٩]} فأحل الله الغنيمة لهم(١).

وفي صحيح البخاري عن أنس رضى الله عنه قال: قال عمر رضى الله عنه : وافقت الله في ثلاث - أو وافقني الله في ثلاث - قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى:{وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥] وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن انتهين أو ليبدلن الله ورسوله ﷺ خيرًا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر ما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله تعالى:{عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ} [التحريم: ٥](٢).

وعنه رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال:{**وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: أنت مع من أحببت**} قال أنس: فما فرحنا بشيء كما فرحنا بقول النبي ﷺ :

---

(١) (صحيح) مسلم [١٧٦٣].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٢١٣].

{أنت مع من أحببت} قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم(١).

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجدَّ وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه(٢).

وعن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر رضى الله عنه جعل يألم، فقال ابن عباس رضى الله عنه وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك من الله تعالى من به تعالى علىَّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من الله عز وجل ذكره منَّ به علىَّ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه(٣).

وفيهما عن ابن عباس رضى الله عنه قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا علي رضى الله عنه فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلى أن ألقي الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى مع صاحبيك، وحسبك أني كنت أسمع النبي ﷺ يقول كثيرًا: ذهبت أنا وأبو

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٨٥] مسلم [٢٦٣٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٨٤] (أجد) في الأمور. (أجود) في الأموال. (حتى انتهى) أي إلى آخر عمره.
(٣) (صحيح) البخاري [٣٤٨٩] (طلاع الأرض) ما يملأ الأرض حتى يطلع ويسيل.

بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر زاد مسلم في آخره أيضًا: فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما[1]، والأحاديث في فضله كثيرة جدًّا قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكرناه كفاية.

* * *

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٨٢] مسلم [١٤٢٢].

وكان قصة استشهاده ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف علي حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكون قد حملتما الأرض مالا تطيق؟ قالا: حملناها أمرًا هي لـه مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض مالا تطيق، قالا: لا، فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا، قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب رضى الله عنه، قال إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأول حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى سمعته يقول: قتلني - أو أكلني - الكلب حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فلا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر رضى الله عنه وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، فقال: الصَّنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدَّعي الإسلام، فقد كنتَ أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال: إن شئتَ فعلتُ، أى إن شئت قتلنا، قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم،

فاحتمل إلى بيته فانطلقا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليتَ فعَدَلْتَ، ثم شهادة قال: وددت أن ذلك كفاف، لا عليَّ ولا ليّ فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا عليّ الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك إنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدَّيْن، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفىَّ لـه مال آل عمر فأداه من أموالهم، وإلا فسل بني عدي بن كعب، فإن لن تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال، وانطلقْ إلى عائشة فقل: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهمَّ إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليّا وعثمان والزبير وطلحة

وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس من الأمر شيء - كهيئة التعزية لـه - فإن أصابت الأمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم؛ وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرع من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى على، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابة رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرتُ عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر فقال لـه مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع لـه علي رضى الله عنه، وولج أهل الدار فبايعوه، رضى الله عنه أجمعين(١).

وكانت مدة خلافة الفاروق رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر، وكانت

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٩٧].

وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ولـه من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر وهي السن التي توفي لها رسول الله ﷺ ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وبويع لعثمان في ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب ثم بقية أصحاب الشورى ثم بقية أهل الدار ثم بقية المهاجرين والأنصار رضى الله عنه أجمعين.

* * *

٢٥٧- ثالثهم عثمان ذو النورين ::: ذو الحلم والحيا بغير مَيْنِ
٢٥٨- بحر العلوم جامع القرآن ::: منه استحت ملائك الرحمن
٢٥٩- بايع عنه سيد الأكوان ::: بكفه في بيعة الرضوان

(**ثالثهم**) في الخلافة والفضل، كما في حديث ابن عمر السابق (**عثمان**) بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السابقين الأولين إلى الإسلام بدعوة الصديق إياه، وزوَّجه رسول الله ﷺ رقية ابنته رضى الله عنها، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلف عن بدر لمرضها، وضرب لـه النبي ﷺ بسهمه وأجره، وبعد وفاتها زوجه النبي ﷺ أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها وبذلك تسمى (**ذو النورين**) لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضى الله عنه (**ذا الحلم**) التام الذي لم يدركه غيره (**والحياء الإيماني**) الذي يقول فيه النبي ﷺ :{**الحياء شعبة من الإيمان**}(١) وقال:{**أشدكم حياء عثمان**}(٢) (**بحر العلوم**) الفهم التام في كتاب الله تعالى حتى إن كان ليقوم به في ركعة واحدة فلا يركع إلا في خاتمتها إلا ما كان من سجود القرآن (**جامع القرآن**) لما خشي الاختلاف في القرآن والخصام فيه في أثناء خلافته رضى الله عنه فجمع الناس على قراءة واحدة وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ آخر سني حياته.

وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وجماعة

---

(١) (صحيح) البخاري [٩] مسلم [٣٥].
(٢) (سنده صحيح) الترمذي [٣٧٩٠/ ٣٧٩١] ابن ماجة [١٥٤] أحمد[١٢٩٢٧/ ١٤٠٢٢] ولفظه عندهم: (أصدقهم حياء عثمان) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه، وعند الحاكم في المستدرك [٦٢٨١] من حديث ابن عمر بلفظ (أشدها حياء عثمان).

من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأه الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى خلاف شديد وانتشار الكلام السيء بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر لـه ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم في ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى في ذلك ممن مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفًا، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفًا، والى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفًا، وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفًا، ويقال لهذه المصاحف:{**الأئمة**} ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف.

وروى أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي داود السجستاني عن سويد بن غفلة قال: قال لي علي رضى الله عنه حين حرق عثمان المصاحف: لو لم

يصنعه هو لصنعته(١)، وروى البيهقي عنه رضى الله عنه قال: قال علي رضى الله عنه : أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ولو وليت مثل ما ولى لفعلت الذي فعل(٢).

(**منه استحت ملائك الرحمن**) كما في الصحيح عن عطاء وسليمان بن يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضى الله عنها قالت:{**كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن لـه وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن لـه وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، قال محمد - يعني ابن أبي حرملة الراوي عنهم - ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش لـه ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**}(٣).

وعن سعيد بن العاص أن عائشة رضى الله عنها وعثمان رضى الله عنه حدثاه:{**أن أبا بكر** رضى الله عنه **استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع**

---

(١) (سنده رواته ثقات) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر [ج٣٩ - ص ٢٤٣] رواه أبو بكر عبد الله بن أبي داود في كتابه المصاحف [٣٢] وللحديث عنده طريقان: أحدهما: قال حدثنا سهل بن صالح قال: حدثنا أبو داود ويعقوب قالا: أخبرنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة، ثم قال ابن أبي داود في نهاية الحديث: قال أبو داود: عن رجل عن سويد، والطريق الثاني: رواه عن محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر، وعبد الرحمن قالا: حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غفلة. وفي تاريخ دمشق جعل علقمة بينه وبين سويد (العيزار بن جرول) وهو ثقة كما في تعجيل المنفعة. فإن كان هو الرجل المبهم في الإسناد السابق، كان الحديث صحيحا. والله أعلم.

(٢) (سنده ضعيف) البيهقي في سننه الكبرى [٢٢٠٤] محمد بن أبان الجعفي: ضعفه أحمد وابن معين والبخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم وكان من رؤساء المرجئة، تعجيل المنفعة [٩٢٢].

(٣) (صحيح) مسلم [٢٤٠١] تهتش: تغير من الجلسة.

على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن لـه وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضى الله عنه **كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ : إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت لـه على تلك الحال أن لا يبلغ إلى في حاجته}**(١).

(**بايع عنه**) حين ذهب لمكة في حاجة الرسول ﷺ والمسلمين (**سيد الأكوان**) محمد رسول الله ﷺ (**بكفه**) ضرب بها على الأخرى وقال: هذه لعثمان (**في بيعة الرضوان**) لما غاب عنها فيما ذكرنا، وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة كما قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة، ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء لـه فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضى الله عنه، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته، فخرج عثمان رضى الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان رضى الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقال لعثمان رضى الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبسته

(١) (صحيح) مسلم [٢٤٠٢].

قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضى الله عنه قد قتل.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان رضى الله عنه قد قتل:{**لا نبرح حتى نناجز القوم**} ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر، فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضى الله عنه يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته قد مال إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل(١).

وفي الصحيحين عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر لـه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال لـه رسول الله ﷺ :{**إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه**}، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام [ج٢ - ص٣١٥] وفي صحيح مسلم [١٨٥٦]مختصرا بلفظ: عَنْ جَابِرٍ قَالَ كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهِىَ سَمُرَةٌ. وَقَالَ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَلاَ نَفِرَّ. وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ.

وعند مسلم أيضا: قال أَبُو الزُّبَيْرِ أنه سَمِعَ جَابِرًا يُسْأَلُ كَمْ كَانُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهِىَ سَمُرَةٌ فَبَايَعْنَاهُ غَيْرَ جَدِّ ابْنِ قَيْسٍ الأَنْصَارِىِّ اخْتَبَأَ تَحْتَ بَطْنِ بَعِيرِهِ.

أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال لـه ابن عمر رضى الله عنه : اذهب بها الآن معك[1].

وروى البيهقي عن أنس رضى الله عنه قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولَ رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضى الله عنه خيرًا من أيديهم لأنفسهم[2]، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وفي الصحيحين عن عروة أن عبد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما منعك أن تكلم عثمان لأخيك الوليد فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك قال: يا أيها المرء أعوذ بالله منك، فانصرفت فرجعت إليهم، إذ جاء رسول عثمان، فأتيته فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنتَ ممن استجاب لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيتَ هدية، وقد أكثر الناس في شأن الوليد، قال: أدركتَ رسول الله ﷺ ؟ قلتُ: لا، ولكن خلص إليَّ من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: أما بعد فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنتُ بما بعث به وهاجرتُ الهجرتين - كما قلتَ - وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته، ولا غششته، حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٩٥].
(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٧٠٢] الحكم بن عبد الملك: ضعيف، الحديث السابق يغني عنه.

الذي لهم؟ قلت بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرتَ من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إن شاء الله، ثم دعا عليّا فأمره أن يجلده، فجلده ثمانين[١].

وفي المسند والسنن عن عمرو بن جاوان قال: قال الأحنف: انطلقنا حجاجًا فمررنا بالمدينة، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، قال فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي، فقال: ههنا علي؟ قالوا: نعم، قال ههنا الزبير؟ قالوا: نعم، قال: ههنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: ههنا سعد بن أبي وقاص؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال:**{من يبتاع مربد بني فلان غفر الله لـه}** فابتعته، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعته، فقال:**{اجعله في مسجدنا وأجره لك}** قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال:**{من يبتاع بئر رومة}** فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال:**{اجعلها سقاية للمسلمين، ولك أجرها}**؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال:**{من يجهز هؤلاء غفر الله لـه}** فجهزتهم حتى ما يفقدون خطامًا ولا عقالاً؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف رضى الله عنه[٢].

وروى أحمد والترمذي والنسائي عن ثمامة بن جزء القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعه، فقال: ادعو لي صاحبيكم

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٤٩٣].
(٢) (سنده رواته ثقات) أحمد في المسند [٥١١] النسائي [٣١٨٢] البزار[٣٩١].

اللذين ألَّباكم عليَّ، فدعيا لـه، فقال أنشدكما الله، تعلمان أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال:{**من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون كالمسلمين ولـه خير منها في الجنة**} فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين، ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلابئر رومة فقال رسول الله ﷺ :{**من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين ولـه خير منها في الجنة**} فاشتريتها من خالص مالى، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها، ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم(١)وقال الترمذي حسن.

ولـه عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله على مائتي بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول:{**ما على عثمان ما عمل بعد هذا، ما على عثمان ما عمل بعد هذا**}(٢).

ولـه عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فقال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول:{**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**} (مرتين) حسَّنُه الترمذي(٣).

---

(١) (سنده حسن لغيره) مسند أحمد [٥٥٥] الترمذي [٣٧٠٣] النسائي [٣٦٠٨].
(٢) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٧٠٠] أحمد [١٦٧٤٢] الطيالسي [١١٨٩] الأوسط للطبراني [٥٩١٥] علته: فرقد، أبو طلحة: مجهول.
(٣) (سنده حسن) الترمذي [٣٧٠١] أحمد [٢٠٦٤٩] الحاكم [٤٥٥٣] المعجم الأوسط للطبراني [٩٢٢٦].

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في قصة توعدهم إياه بالقتل، قال: ولم يقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس**} فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلاً بديني منذ هداني الله لـه، ولا قتلت نفسًا.. فبم يقتلونني[١].

وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمة أن ضرب على منكبه وقال:{**يا عثمان، إن الله تعالى عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**} (ثلاثًا)[٢].

وروى أحمد والترمذى وقال: حسن غريب عن ابن عمر رضى الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال:{**يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلومًا**} فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان[٣].

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافًا - أو قال اختلافًا وفتنة - فقال قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك**}[٤].

---

(١) (سنده صحيح) النسائي [٤٠١٩] أحمد [٤٣٧/ ٤٥٢/ ٤٦٨/ ١٤٠٢] الطيالسي [٧٢].

(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [٢٤٦١٠].

(٣) (سنده ضعيف، وله شواهد) وإسناد هذا ضعيف أحمد في المسند [٥٩٥٣] الترمذي [٣٧٠٨] به: سِنَانُ بْنُ هَارُونَ: ضعفه غير واحدٍ، وكُلَيْب بْن وَائِلٍ: مختلف فيه هو الآخر. وشواهده هي التي سيذكرها المصنف رحمه الله بعد هذا الحديث.

(٤) (سنده حسن) أحمد في المسند [٨٥٢٢] الدقاق في رؤية الله [٤٦٣].

ولـه عن مرة البهزي قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال:{**كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر**} قالوا نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال:{**عليكم هذا وأصحابه، أو اتبعوا هذا وأصحابه**} قال: فأسرعت حتى عييت، فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال:{**هذا**} فإذا هو عثمان بن عفان، فقال هذا وأصحابه يذكره(١).

وروى الترمذي في جامعه عنه رضى الله عنه قال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب فقال:{**هذا يومئذ على الهدى**} فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال:{**نعم**} ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة.

وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال:{**ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها، قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق، قال: فانطلقت مسرعًا - أو محضرًا - وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا**}(٣).

وروى أبو داود الطيالسي بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حوالة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل**

---

(١) (سنده حسن) أحمد في المسند [٢٠٣٦٨] ويقويه ما رواه أيضا في فضائل الصحابة [٧٢٠] الصياصى: قرون البقر واحدتها صيصية، شبه الفتنة بها لصعوبتها وشدة الأمر فيها.

(٢) (سنده صحيح) الترمذي [٣٧٠٤].

(٣) (سنده به ضعف) ابن ماجة [١١١] أحمد [١٨١٤٣] ذكر ابن حجر في التهذيب [٣٣٨]: أن أبا حاتم ذكر أن محمد بن سيرين لم يسمع من كعب بن عجرة. (الضبْع): وسط العضد وقيل هو ما تحت الإبط.

الجنة يبايع الناس} قال: فهجمنا على عثمان بن عفان معتجرًا يبايع الناس[1].

وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضى الله عنه وفي فضائله منفردًا ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

وكان الاعتداء على حياته رضى الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، لأنه بويع لـه في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين، وأما عمره رضى الله عنه فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة، والله أعلم.

(١) (سنده صحيح) الطيالسي [١٢٥٠] فضائل الصحابة [٨٤٥] الحاكم [٤٥٣٩] (معتجر ببردة): أي: ملتف أو ملتحف بكساء أسود مربع صغير.

٢٦٠- والرابع ابن عم خير الرسل ::: أعني الإمام الحق ذا القدر العَلي
٢٦١- مبيد كل خارجي مارق ::: وكل خب رافضي فاسق
٢٦٢- من كان للرسول في مكان ::: هارون من موسى بلا نكران
٢٦٣- ولا في نبوة فقد قدَّمتُ مَا ::: يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سوءِ ظنٍّ سَلِمَا

(**والرابع**) في الفضل والخلافة (**ابن عم**) محمد ﷺ (**خير الرسل**) أكرمهم على الله عز وجل (**أعني**) بذلك (**الإمام الحق**) بالإجماع بلا مدافعة، ولا ممانعة (**ذا**) صاحب (**القدر العلي**) الرفيع، وهو أمير المؤمنين أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه وأرضاه، كان أبو طالب عم النبي ﷺ أخا شقيقًا لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو، كفل أبو طالب رسول الله ﷺ بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دين قومه، ولله في ذلك حكمة، وقد حرص النبي ﷺ على هداية عمه كل الحرص، ولم يكن ذلك حتى خرجت روحه وهو يقول: على ملة عبد المطلب، وأنزل الله تعالى في ذلك تعزية لنبيه ﷺ {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] وقال النبي ﷺ :{**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**} فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل :{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة: ١١٣](١)الآيات.

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال:{**يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: نعم هو في**

(١) (صحيح) البخاري [١٢٩٤] مسلم [٢٤].

ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار}[1] وفي لفظ:**{وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح}**[2].

وفيه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال:**{لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه}**[3].

وفيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:**{أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه}**[4].

وكفل النبي ﷺ عليّا رضى الله عنه وهو صغير، فلما بعث آمن به وهو ابن ثمان سنين، وهو أول من آمن من الصبيان، كما أن أبا بكر أول من آمن به من الرجال، وخديجة رضى الله عنها أول من آمن به من النساء، وورقة بن نوفل رضى الله عنه أول من آمن من الشيوخ وزيد بن حارثة رضى الله عنه أول من آمن به من الموالي، وبلال رضى الله عنه أول من آمن به من الأرقاء ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

وكان علي رضى الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على رسول الله ﷺ : {وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء: ٢١٤] فأمر عليّا أن يدعوهم لـه فيجتمعون للنذارة، وهو الذي فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلة مكر المشركين كما قدمنا في حديث الهجرة، وهو الذي أدى الأمانات عنه بعدها، وهو الذي برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر وكان يقول: أنا أول من يجثو

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٧٠] مسلم[٢٠٩] الضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار.

(٢) (صحيح) مسلم [٢٠٩] (غمرات) واحدتها غمرة وهي المعظم من الشيء.

(٣) (صحيح) البخاري [٣٦٧٢] مسلم [٢١٠].

(٤) (صحيح) مسلم [٢١٢].

للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة[١]، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك على ما يأتي، وهو صاحب عمرو بن ود وخيله يوم الخندق، وفتح الله على يديه يوم خيبر بعد قتل فارسهم مرحب، وكان مع حماة النبي ﷺ يوم أحد، وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغًا عن الرسول ﷺ في الموسم، وشريكه في هديه في حجة الوداع، وخليفته في أهله في غزوة تبوك، وصاحب تجهيزه حين توفي مع جماعة من أهل البيت رضى الله عنه، وقد ثبت لـه في الأحاديث الصحاح والحسان[٢] من الفضائل الجمة ما فيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضة وخرطهم وكذبهم عليه وعلى رسول الله ﷺ وقولهم عليه ما لم يقل قبحهم الله.

(**مبيد**) أى مدمر (**كل خارجي**) نسبة إلى الخروج من الطاعة، ولكن صار هذا الاسم علمًا على الحرورية الذين كفروا أهل القبلة والمعاصي وحكموا بتخليدهم في النار بذلك، واستحلوا دماءهم وأموالهم، حتى الصحابة من السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم، حتى علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وخباب وأقرانهم رضى الله عنه، ثم صار هذا الاسم عامًا لكل من اتبع مذهبهم الفاسد وسلك طريقتهم الخائنة، وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لا يشعرون، فمنها أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كفر فاعله كما في الحديث:{**أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء لها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**}[٣]، ومنها أن من أكبر الكبائر التي يُكفرون بها المؤمنين قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وهم أسرع الناس في ذلك يقتلون أهل الإيمان ويَدَعون أهل الأوثان، ومنها أن

(١) (صحيح) البخاري (٣٧٤٧).
(٢) وقد خرج النسائي رحمه الله جزءًا في فضائله سماه (خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب) وقد استعنتُ بالله وخرجتُ أحاديثه - ووضعتُ عليه تعليقات هامة.
(٣) (صحيح) البخاري [٥٧٥٢] مسلم [٦٠].

المؤمن وإن عمل المعاصي فهو لا يستحلها وإنما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل شيطانه لـه وهو مقر بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود الشرعية فيما ارتكبه، وهم يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ويأخذون الأموال التي حرم الله أخذها إلا بالحق، ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلين لها، والذي يعمل الكبيرة مستحلاً لها أولى بالكفر ممن يعملها مقرّا بتحريمها بل لا مخالف في ذلك إذ هو تكذيب بالكتاب وبماأرسل الله تعالى به رسله عليهم السلام، وإنما توقف الصحابة عن تكفير أهل النهروان لأنهم كانوا يتأولون فحكموا أنهم بغاة.

(**مارق**) اسم فاعل من المروق وهو الخروج من جانب غير مقصود الخروج منه، وسمى الخوارج:{**مارقة**} لقول النبي ﷺ فيهم:{**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**} وقوله:{**تمرق مارقة.. الحديث، ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله** رضى الله عنه **قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب** رضى الله عنه **: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**}[١].

وفيه عن أبي سعيد في قصة الذهبية فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال: اتق الله يا محمد، قال فقال رسول الله ﷺ :{**فمن يطع الله إن عصيته؟ أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟**} قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرون أنه خالد بن الوليد

---

(١) (صحيح) مسلم [١٠٦٣].

- فقال رسول الله ﷺ :{**إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**} وفي لفظ:{**ثمود**}[١] وفي لفظ:{**فقال عمر بن الخطاب** رضى الله عنه **: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ : دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميه، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجد فيه شيء وهو القدح، ثم ينظر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدَرُ، يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب** رضى الله عنه **قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك فالتمس فوجد، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت**}[٢].

وفيه عنه رضى الله عنه أن النبي ﷺ ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التَحالُق قال:{**هم شر الخلق، أو من أشر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق**} قال فضرب النبي ﷺ لهم مثلاً - أو قال قولاً - الرجل يرمي الرمية أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضي فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة، قال قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم ياأهل العراق[٣]، وفيه عنه رضى

(١) (صحيح) البخاري [٣١٦٦] مسلم [١٠٦٤].

(٢) (صحيح) البخاري [٣٤١٤] مسلم[١٠٦٤] (تدردر): ترجرج تجيء وتذهب. (القدح): خشب السهام حين تنحت وتبرى وتسوى. (القذذ): جمع قذة وهى ريش السهم. (النضى): السهم بلا نصل ولا ريش أو ما بين نصل السهم وريشه.

(٣) (صحيح) مسلم [١٠٦٤].

الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :{**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق - وفي رواية - يكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق**} وفي لفظ قال قال ﷺ :{**تمرق مارقة في فرقة من الناس، فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق**}(1).

وفي رواية:{**يخرجون على فرقة مختلفة، يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**}.

وفيه عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضى الله عنه :{**إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحب إلى من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة.**

سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**}(2).

وفيه عن عبيدة رضى الله عنه قال:{**ذكر الخوارج فقال: فيهم رجل مخدج اليد - أو مُودَن اليد، أو مَثْدُون اليد - لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ، قال قلت: أنت سمعت من محمد ﷺ ؟ قال: إى ورب الكعبة، إى ورب الكعبة، إى ورب الكعبة**}(3).

وفيه عن زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضى الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضى الله عنه، أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن**

---

(1) (صحيح) مسلم [١٠٦٤] المارقة: طائفة تجاوزت حدود الشرع وتعدته.
(2) (صحيح) البخاري [٣٤١٥] مسلم [١٠٦٦].
(3) (صحيح) مسلم [١٠٦٦/١٥٥] (المثدون): صغير اليد مجتمعها (المخدج): ناقص الخلقة (المودن): ناقص اليد صغيرها.

ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً لـه عضد وليس لـه ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاءالقوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله} قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحَّشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم، قال وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، قال علي رضى الله عنه التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضى الله عنه بنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض قال أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين، الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف لـه(١).

وفيه عن عبيد بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف لنا وإني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم ولا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه -

(١) (صحيح) مسلم [١٥٦/١٠٦٦].

من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ماكذبت ولاكذبت - مرتين أو ثلاثًا - ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبدالله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي رضى الله عنه فيهم(١).

وفيه عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن بعدي من أمتي قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**}(٢).

ومثله عن رافع بن عمر الغفاري رضى الله عنه، وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال:{**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فُوقِه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله ليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا يا رسول الله ماسيماهم؟ قال: التحليق**}(٣).

ولـه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**سيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم**}(٤) قال أبو داود: التسبيد استئصال الشعر، والأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جدا وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) (صحيح) مسلم [١٠٦٦/١٥٧].
(٢) (صحيح) مسلم [١٠٦٧/١٥٨].
(٣) (سنده صحيح) أبو داود [٤٧٦٥] أحمد [١٣٣٦٢].
(٤) (صحيح) البخاري من حديث أبي سعيد [٧١٢٣]أبو داود من حديث أنس [٤٧٦٦] واللفظ له، (فأنيموهم) أي اقتلوهم، قال بن الأثير يقال: نامت الشاة وغيرها إذا ماتت والنائمة الميتة.

(و) مبيد (**كل خب رافضي فاسق**) الخب الخدّاع الخائن، والرافضي نسبة إلى الرفض وهو الترك بازدراء واستهانة، سموا بذلك لرفضهم الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنه، وزعموا أنهما ظلما عليّا واغتصبوه الخلافة ومنعوا فاطمة رضى الله عنها فدك، وبذلك يحطون عليهما ثم على عائشة ثم على غيرها من الصحابة وهم أقسام كثيرة لا كثرهم الله تعالى، أعظمهم غلوا وأسوأهم قولا وأخبثهم اعتقادًا بل وأخبث من اليهود والنصارى هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي قبحه الله، كانوا يعتقدون في علي رضى الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى في عيسى رضى الله عنه، وهم الذين أحرقهم علي رضى الله عنه بالنار، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاري والمسند وأبي داود والترمذي والنسائي عن عكرمة رضى الله عنه قال: أتى على رضى الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ :**{لا تعذبوا بعذاب الله}** ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ :**{من بدل دينه فاقتلوه}**[1].

حكى عن أبي المظفر الإسفريني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي رضى الله عنه طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهوديا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وتفصيل ذلك ما ذكره في الفتح من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي رضى الله عنه إن هنا قومًا على باب المسجد يزعمون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، قال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك

(١) (صحيح) البخاري [٢٨٥٤] أحمد[١٨٧١] أبو داود [٤٣٥١] الترمذي [١٤٥٨] النسائي [٤٠٦٠].

الكلام، فقال أدخلهم فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك، فأمر علي رضى الله عنه أن يخدَّ لهم أخدود بين المسجد والقصر، وأمر بالحطب أن يطرح في الأخدود ويضرم بالنار ثم قال لهم: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إني إذارأيت أمرا منكرا ::: أوقدت ناري ودعوت قنبرا

قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح، ومنهم طائفة يعتقدون أن لا إله إلا على، وهم النصيرية الذين يقول شاعرهم الملعون قبحه الله:

أشهد ألا إله إلا ::: حيدرة الأذرع البطين
ولا سبيل إليه إلا ::: مُحَّمد الصادق الأمين
ولا حجاب عليه إلا ::: سلمان ذو القوة المتين

ومنهم من يدعي فيه الرسالة وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد ﷺ.

ومنهم من يدعي فيه العصمة، ويرى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة، ويشتمون طلحة والزبير وعائشة ويرمونها بما رماها به ابن سلول قبحهم الله.

ومنهم من يدعي أنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة.

ومنهم من يدعي أنه وصى رسول الله ﷺ بأمته، وأنه عهد إليه ما يعهده إلى غيره وبلغه ما كتمه الناس، وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة.

وأما الزيدية الذين يدعون أنهم أصحاب زيد بن علي وأتباعه فهؤلاء لا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة، ولكنهم يفضلون عليّا رضى الله عنه ويقدمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان رضى الله عنه ويحطون على معاوية غفر الله لـه.

هذا الذي وقفنا في بعض رسائلهم، ثم رأيت في بعضها السكوت عن أبي بكر وعمر، فلا يذكرونهما بخير ولا شر، ولا بخلافة ولا غيرها، ثم يحصرون الخلافة في علي رضى الله عنه وذريته ففرقة تدَّعي عصمتهم، وأخرى لا تدعي ذلك، والمقصود أنهم فرق كثيرة متفاوتون في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم وأخفهم بدعة الزيدية.

هذا في شأن البيت طهرهم الله تعالى، وأما في مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهى كل فرقة منهم ما دهي غيرهم من الناس، ولكن المشهور من غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلاف والجبائي وأشباهه، والزيدية عمدتهم في تفسير القرآن كشاف الزمخشري وقد شحنه بقول القدرية والمعتزلة، وهم أخف وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ بالله، ومحل بسط مقالاتهم وفرق ضلالاتهم كتب المقالات.

هذا وقد قال علي رضى الله عنه في تفضيل أبي بكر وعمر رضى الله عنه ما قدمناه في الصحيح، وفي كتاب السنة عن علقمة في خطبة علي رضى الله عنه على منبر الكوفة: ألا إنه بلغني أن قومًا يفضلونني على أبي بكر وعمر رضى الله عنه، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل التقدم من قال شيئًا من ذلك فهو مفتر، عليه ما على المفتري، وخير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهم أحداثا يقضي الله فيها ما شاء[1]، وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لا تحصى، لأنه رضى الله عنه وكرم الله وجهه كان يجهر به ويظهره في المحافل وعلى المنابر، ويذم الرافضة كثيرًا، وقد جلد من قيل له إنه تكلم في عرض أم

(١) (سنده حسن) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل [٤٨٤] السنة لعبد الله بن أحمد [١٣٩٤] مستخرج الطوسي [١٩٨] الاعتقاد للبيهقي [٣٤٣] السنة لابن أبي عاصم [٨٢٦].

المؤمنين عائشة رضى الله عنها جلده مائة وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم رضى الله عنه.

(**من كان**) بمعنى صار (**للرسول**) أى منزلة (**هارون من موسى**) عليهما السلام في الاستخلاف، فموسى استخلف هارون في مدة الميعاد، ومحمد ﷺ استخلف عليّا في غزوة تبوك، ففي الصحيحين عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضى الله عنه :{**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**}[1].

وفيها من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا رضى الله عنه فقال:{**أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبى بعدي**}[2].

هذا الاستثناء يزيل الإشكال من الرواية الأولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوةكمشاركة هارون لموسى فيها إذ يقول الله تعالى لموسى{ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾} [طه: ٣١ - ٣٢] وقال لهما{ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾} [الشعراء: ١٦] ولهذا قلنا في المتن (**لا في نبوة**) لمنزلة هارون من موسى فيها، فلا تتوهم ذلك من اقتصاري على الرواية الأولى (**فقد قدمت**) في فصل النبوة (**ما يكفي**) في هذا الباب (**لمن من سوء ظن**) بأخيه المسلم (**سلما**) وهو قولي:

وكل من من بعده قد ادعى ::: نبوة فكاذب فيما ادعى

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٥٠٣] مسلم [٢٤٠٤] (بمنزلة هارون) نازلا مني منزلة هارون من موسى عليهما السلام في أخوة الدين والنسب، وقيل إنه ﷺ قاله له حين خرج إلى تبوك وخلفه على أهله وعياله وأمره أن يقيم فيهم فكان كهارون حين خلفه موسى عليهما السلام على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربه.

(٢) (صحيح) البخاري [٤١٥٤] مسلم [٣١/٢٤٠٤].

وما بعده، وفي الصحيحين في تفسير قول الله تعالى{ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ} [الحج: ١٩] عن قيس بن عدي عن أبي ذر رضى الله عنه إنه كان يقسم فيها أن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه برزوا في يوم بدر(١).

وفيهما عنه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت{ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ} قال: هم الذين بارزوا يوم بدر عليًّا وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(٢).

وفيهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:{**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا لـه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن تكون لك حمر النعم**}(٣).

وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصرًا، ونحوه عند مسلم أيضًا، وفيهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٧٥١] مسلم [٣٤/٣٠٣٣].

(٢) (صحيح) البخاري [٣٧٤٧].

(٣) (صحيح) البخاري [٣٤٩٨] مسلم [٢٤٠٦] (يدوكون ليلتهم) يخوضون ويتحدثون طوال ليلتهم، من الدوكة وهي الخوض والاختلاط.

فلان لأمير المدينة يدعو عليّا عند المنبر، قال: ماذا يقول لـه؟ قال: يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان لـه اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحليب سهلاً وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال:{**دخل علي** رضى الله عنه **على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي** ﷺ **: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين**}(١).

وفي رواية مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال:{**استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّا قال فأبي سهل فقال لـه أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به، فقال لـه أخبرنا عن قصته بِمَ سُمِيَ أبا تراب.. فذكره**}(٢).

وفي صحيح البخاري عن سعيد بن عبيدة قال:{**جاء رجل إلى ابن عمر** رضى الله عنه **فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله وقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي** ﷺ، **ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهدك**}(٣).

وفيهما عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة رضى الله عنها فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم، فقال:{**على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد**

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٥٠٠].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٤٠٩].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٥٠١].

قدميه على صدري وقال: ألا أعلمكما خيرًا مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعًا وثلاثين وتسبحان ثلاثًا وثلاثين وتحمدان ثلاثًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم}(١).

وفي البخاري عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي رضى الله عنه قال:{**اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي، فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي** رضى الله عنه **الكذب}**(٢).

قلت: وأكثر ما يكذب على علي رضى الله عنه الرافضة الذين يدعون مشايعته ونشر فضائله ومثالب غيره من الصحابة، فيسندون ذلك إليه رضى الله عنه وهو بريء منهم، وهم أعدى عدو لـه.

وفي الصحيحين من طرق عنه رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :{**لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار}**(٣).

وفي فضائله رضى الله عنه من الأحاديث الصحاح ما يغني عن أكاذيب الرافضة وهم يجهلون غالب ما لـه من الفضائل فيها.

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه رضى الله عنه

(١) (صحيح) البخاري [٢٩٤٥] مسلم [٢٧٢٧] (الرحى) الطاحون. (بسبي) ما يؤخذ من العدو في أرض المعركة من نساء ورجال وأولاد إذا جعلوا أرقاء وقد تطلق عليهم وعلى الأموال.

(٢) (صحيح) البخاري [٣٥٠٤] (اقضوا كما كنتم تقضون) قال هذا لأهل العراق حين أفتى باسترقاق أمهات الأولاد وقد كان يرى أن يعتقن كما كان يرى عمر رضى الله عنه. (أكره الاختلاف) أي مخالفة الأئمة من قبلي أبي بكر وعمر ☻. (حتى يكون للناس جماعة) حتى تبقى كلمة الأمة مجتمعة. (أو أموت) إلى أن أموت. (كما مات أصحابي) أي على الحق والهداية والمراد من سبقه من الخلفاء الراشدين. (عامة ما يروى) أكثر ما يروى عنه وينسب إليه مما فيه رائحة المخالفة ونحو ذلك مما لا يليق به رضى الله عنه. (الكذب) أي هو اختلاق عليه(هامش صحيح البخاري).

(٣) (صحيح) البخاري [١٠٦] مسلم [١] فليلج: فليدخل.

قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت فثلاث قالهن رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لـه وقد خلفه في مغازيه فقال لـه علي رضى الله عنه : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال لـه رسول الله ﷺ : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، قال فتطاولنا لها قال ادعوا لي عليّا، فأتى به أرمد فبصق في عينيه ودفع إليه الراية ليلة فتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية{فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ} [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال:{**اللهم هؤلاء أهلي**}(١).

وفي صحيح مسلم عن زر قال: قال علي رضى الله عنه : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي ﷺ إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق(٢).

والأحاديث في فضله كثيرة جدّا، و قد تقدم الحديث في الإشارة إلى خلافته رضى الله عنه في رؤيا الرجل الصالح الدلو التى شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم جاء علي وأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيئًا،

(١) (صحيح) مسلم [٣٢/٢٤٠٤] قال الإمام النووي لشرحه لمسلم [ج١٥ - ص١٧٥] (إن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص ما منعك أن تسب أبا تراب) قال العلماء الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها قالوا ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدا بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول: هل امتنعت تورعا أو خوفا أو غير ذلك؟ فإن كان تورعا وإجلالا له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدا قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال.
قالوا ويحتمل تأويلا آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ.

(٢) (صحيح) مسلم [٧٨].

وكان تأويل ذلك ما أصابه رضى الله عنه من اختلاف الناس عليه والفتن الهائلة والدماء المهرقة والأمور الصعاب والأسلحة المسلولة بين المسلمين بسبب السبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان، وكان غالبهم منافقين، وقليل منهم من أبناء الصحابة مغرورون، فحصل من ذلك في يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها.

فأما وقعة الجمل فكانت بحمض فعل السبئية قبحهم الله تعالى، ليس باختيار علي رضى الله عنه ولا طلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضى الله عنه، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلة، فتواطأ أهل الفتنة، وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين وينشبوا الحرب بين الفئتين من الغلس، فثار الناس من نومهم إلى السلاح فلم يشعر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بالرؤوس تندر والمعاصم تتطاير ما يدرون ما الأمر حتى عقر الجمل، وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإنما أنشب أهل الفتنة الحرب بين الفريقين لعلمهم أنهما إن تصالحا دارت الدائرة عليهم وأخذوا بدم عثمان وأقيم عليهم كتاب، فقالوا نشغلهم بأنفسهم، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

وأما في قتاله أهل الشام فكانوا هم مع معاوية، وكان هو رضى الله عنه متأولاً يطلب بدم عثمان ويرى أنه وليه وإن قتلته في جيش علي، فكان معذورًا في خطئه بذلك، وأما علي رضى الله عنه فكان مجتهدًا مصيبًا وفالجًا محقًا يريد جمع كلمة الأمة حتى إذا كانوا جماعة وخمدت الفتن وطفئت نارها أخذ بالحق من قتلة عثمان، وكان رضى الله عنه أعلم بكتاب الله من المطالبين بدم عثمان، وكان السبئية يخافونه أعظم من خصمائه، وذلك الذي حملهم على ما فعلوه يوم الجمل فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطئوا وعلي رضى الله عنه يقاتلهم ليرجعوا إلى الحق ويفيئوا إلى أمر الله، ولهذا كان أهل بدر الموجودون على وجه الأرض كلهم في جيشه وعمار قتل معه رضى الله عنه كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بناء المسجد، فقال كنا نحمل

لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمارا تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن(١)، فقتله أهل الشام مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدوق ﷺ وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف وإلى طاعة الإمام التى هى من أسباب دخول الجنة ويدعونه إلى الفتنة والفرقة التي هي من أسباب دخول النار، وكان علي رضى الله عنه أسعد منهم وأولاهم بالحق لقتله الخوارج بالنهروان، وقد قال النبي ﷺ تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، كما قدمنا.

وفي سنن أبي داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال لـه عمر: وهل تجدني في الكتاب؟ قال: نعم، قال: كيف تجدني؟ قال: أجدك قرنًا، فرفع عليه الدرة فقال: قرن مه؟ فقال: قرن حديد، أمين شديد، قال كيف تجد الذي يجيء من بعدي؟ فقال: أجده خليفة صالحًا غير أنه يؤثر قرابته، قال عمر: يرحم الله عثمان (ثلاثًا) فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجده صدأ حديد، فوضع يده على رأسه فقال: يا دفراه يا دفراه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح، ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق(٢).

وكان الأمر كما أخبر، وكان رضى الله عنه أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة والتمسك بكتاب الله وهدى محمد ﷺ مجتهدًا في جمع شمل الأمة

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٣٦] مسلم [٢٩١٥].

(٢) (سنده ضعيف) أبو داود [٤٦٥٦] وعلته: أنه من رواية حماد بن سلمة عن سعيد الجريري، وسعيد اختلط ورواية حماد عنه بعد اختلاطه. ولقد تابع كهمس بن الحسن الجريري في روايته عن عبد الله بن شقيق، وكهمس: ثقة، وهذا عند ابن أبي شيبة [٣٢٠٠٠] والآحاد والمثاني [١٠٧] والسند عندهما رواته ثقات. ولكن يبقى الأقرع مؤذن عمر والذي روى عنه عبد الله بن شقيق، فلم يوثقه إلا ابن حبان، والعجلي ومعروف تساهلهما رحمهما الله، وقال الذهبي: إنه لا يعرف، ذكره عنهم ابن حجر في التهذيب [٦٧٣].

وإطفاء الفتن والتذفيف على أهل البدع حتى اعتدى على حياته رضى الله عنه الشقي ابن ملجم الخارجي قبحه الله وقد فعل، ذلك يوم الجمعة في وقت الفجر وهو يقول: الصلاة الصلاة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد عاشر ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة، فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليالى، وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالإجماع، وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**الخلافة ثلاثون سنة، ثم تكون بعد ذلك ملكًا**} قال سفينة: فخذ سنتي أبي بكر وعشر عمر واثنتي عشرة عثمان وست علي رضى الله عنه أجمعين(١).

قلت: سفينة رضى الله عنه حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب في حدف الكسور في الحساب، وعلى ما قدمنا ضبطه فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن علي رضى الله عنه، وهي ستة أشهر، ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبي ﷺ، وولي معاوية بذلك واجتمع الناس عليه وكان ذلك العام يسمى:{**عام الجماعة**} وكان معاوية رضى الله عنه أول ملوك الإسلام وخيرهم.

وروى الإمام أحمد عن علي رضى الله عنه قال: سبق رسول الله ﷺ وصلَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا بعده فتنة فهو ما شاء الله، وفي رواية: يقضي الله فيها ما يشاء(٢).

---

(١) (سنده حسن) الترمذي [٢٢٢٦] أحمد[٢١٩٦٩].
(٢) (سنده صحيح لغيره) أحمد [٨٩٥/ ١٠٢٠].

ولـه عنه رضى الله عنه قال ليحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبى، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي(١).

ولـه عنه رضى الله عنه قال: يهلك في رجلان مفرط غال، ومبغض قال(٢)، ولـه عنه رضى الله عنه قال: يهلك فيَّ رجلان محب مفرط ومبغض مفتر(٣)، ولـه عن الشعبي عن علقمة قال: أتدري ما مثل علي في هذه الأمة؟ قال قلت: وما مثله؟ قال: مثله كمثل ابن مريم، أحبه قوم حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه(٤).

وقد روى عبد الله بن أحمد هذا المعنى مسندًا عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال:{**إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمة، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به**} ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان: محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن بهتني، ألا وإني لست بنبي ولا موصى إلىّ، ولكن أعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم(٥).

وكان رضى الله عنه يخبر أصحابه بولاية معاوية رضى الله عنه ويقول: لا تكرهوا إمارة معاوية، والذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم

---

(١) (سنده صحيح) ابن أبي شيبة [٣٢١٣٣] وأحمد في فضائل الصحابة [٩٥٢].

(٢) (سنده حسن لغيره) له متابعات كثيرة، رواه أحمد في المسند [١٣٧٦] وفضائل الصحابة لأحمد [٩٥١] ابن أبي شيبة [٣٢١٣٤] السنة لابن أبي عاصم [٩٨٣/٩٨٤/ ٩٨٦/ ٩٨٧] السنة لعبد الله [١٣٣٧/ ١٣٣٩] السنة للخلال [٣٦٢/ ٧٩٠/ ٧٩٧] الشريعة للآجري [١٩٦٣] وغيرهم.

(٣) انظر تخريج الأثر السابق.

(٤) (سنده يحتمل التحسين) فضائل الصحابة لأحمد [٩٤٢] السنة لعبد الله بن أحمد [١٣٤٠] معجم ابن الأعرابي [١٣٨١] به: أكيل: لم يوثقه إلا ابن حبان والعجلي.

(٥) (سنده ضعيف) أحمد [١٣٧٦/ ١٣٧٧] مستدرك الحاكم [٤٦٢٢].

الرجال تندر عن كواهلهم كأنها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية[1].

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: لا أعلم أحدًا يحفظ من الفضائل في الأحاديث الصحاح ما يحفظ لعلي رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

* * *

(١) (سنده ضعيف) ابن أبي شيبة في مصنفه [٣٧٨٥٤] بسنده: مجالد بن سعيد، والحارث الأعور: كلاهما ضعيف.

٢٦٤- فالستة المكملون العشرة ::: وسائر الصحب الكرام البرره

(**ف**) يليهم في الفضل (**الستة المكملون**) عدد (**العشرة**) المشهود لهم بالجنة كما في السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد، فذكر رجل عليّا رضى الله عنه، فقام سعيد بن زيد فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول:{**عشرة في الجنة: النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**} ولو شئت لسميت العاشر، قال فقالوا: من هو؟ فسكت، قال فقالوا: من هو؟ فقال:{**هو سعيد بن زيد**}(١)رضى الله عنه.

وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة(٢)، وفي الصحيح عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد(٣)، وفيه عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت(٤).

وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب:{**من يأتينا بخبر القوم؟**} فقال الزبير: أنا، ثم قال:{**من يأتينا بخبر القوم؟**} فقال الزبير: أنا، ثم قال:{**من يأتينا بخبر القوم؟**} فقال الزبير: أنا، ثم قال:{**إن لكل نبي حواريّا، وحواريّ الزبير**}(٥).

---

(١) (إسناده صحيح) أحمد [١٦٢٩] وأبو داود [٤٦٤٩] واللفظ له.
(٢) (سنده ضعيف) أبو داود الطيالسي [٦] علته: إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله: ضعيف، كما في التقريب.
(٣) (صحيح) البخاري [٣٥١٧] مسلم [٢٤١٤].
(٤) (صحيح) البخاري [٣٥١٨].
(٥) (صحيح) البخاري [٢٦٩١] مسلم [٢٤١٥].

وفيه عن مروان بن الحكم قال: أصاب عثمانَ رضى الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: ومن؟ فسكت، فدخل عليه رجل آخر - أحسبه الحارث - فقال: استخلف، فقال: عثمان وقالوا؟ فقال: نعم، قال: ومن هو؟ فسكت، فلعلهم قالوا الزبير، قال: نعم، أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ، وفي رواية قال: أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم (ثلاثًا)(١).

وفيه عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر ابن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبتي رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ بين أبويه فقال: فداك أبي وأمي(٢).

وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك: ألا شد فنشد معك، فحمل عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُربها يوم بدر، قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير(٣).

قلت: وقد اخترق صفوف الروم يومئذ أربع مرات، مرتين دخولاً فيهم ومرتين رجوعًا، وكانت الضربتان في رجعته من المرة الأخرى، كما هو مبسوط في موضعه من السير.

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٥١٢] الرعاف: خروج الدم من الأنف.
(٢) (صحيح) البخاري [٣٥١٥] مسلم[٢٤١٦].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٥١٦] (تشد) تحمل على الكفار وتهجم عليهم.

وفي مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن الزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ : {**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**} زاد في رواية: وسعد بن أبي وقاص(١).

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرق رسول الله ذات ليلة فقال:{**ليت رجلاً صالحا من أصحابي يحرسني الليلة**} قالت وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ : {**هذا؟**} قال: سعد بن أبي وقاص يا رسول الله، جئت أحرسك، قالت عائشة: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه(٢)، وفيهما عن عبد الله بن شداد قال: سمعتُ عليّا يقول: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول لـه يوم أحد:{**ارم فداك أبي وأمي**}(٣).

وعن عامر بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ جمع لـه أبويه يوم أحد، قال كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال لي النبي ﷺ :{**ارم فداك أبي وأمي**} قال: فنزعت لـه بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ نظرت إلى نواجذه(٤).

وفيه عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمتَ أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك آمرك بهذا قال: مكث ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال لـه عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآيات{وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي} [العنكبوت: ٨]

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٤١٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٨٠٤] مسلم [٢٤١٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٢٧٤٩] مسلم [٢٤١١].
(٤) (صحيح) البخاري [٣٨٣١] مسلم [٢٤١٢].

وفيها:{وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا} [لقمان: ١٥] قال: وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف، فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: نفلنى هذا السيف فأنا من قد علمتَ حاله، فقال:{**رده من حيث أخذته**} فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطينيه، قال فشد لي صوته:{**رده من حيث أخذته**} قال فأنزل الله عز وجل {يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ} [الأنفال: ١] قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي ﷺ فأتاني فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت، قال فأبى، قلت: فالنصف، قال فأبى، قلت فالثلث، قال فسكت فكان بعد الثلث جائزًا، قال وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرًا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال فأتيتهم في حش - والحش البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، قال فأكلت وشربت معهم، قال فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال فأخذ رجل أحد لحي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله عز وجل في يعني نفسه بشأن الخمر{إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ} [المائدة: ٩٠](١).

وعنه رضى الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فتحدث في نفسه، فأنزل الله عز وجل {وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ} [الأنعام: ٥٢](٢).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**إن لكل أمة أمينًا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**}(٣).

---

(١) (صحيح) مسلم [١٧٤٨].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٤١٣].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٥٣٤] مسلم [٢٤١٩].

وعنه رضى الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة قال:{**هذا أمين هذه الأمة**}[1].

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ابعث إلينا رجلاً أمينًا فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أمين حق أمين، قال فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح[2].

وروى ابن إسحاق في قصة خالد مع بني جذيمة فقال لـه عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام، فقال: إنما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:{**مهلا يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهبًا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحة**}[3].

(**وسائر الصحب**) بقيتهم (**الكرام البررة**) الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه، ثم هم على مراتبهم: أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم من الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق، ثم بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى.

* * *

(١) (صحيح) مسلم [٢٤١٩].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٥٣٥] مسلم [٢٤٢٠].
(٣) السيرة لابن هشام [ج٢ - ص ٤٣٠] تاريخ الطبري [ج٢ - ص ١٦٥] البداية والنهاية [ج٤ - ٣٥٩].

أهل بيته صلى الله عليه وسلم

٢٦٥- وأهل بيت المصطفى الأطهار ::: وتابعيه السادة الأخيار

٢٦٦- فكلهم في محكم القرآن ::: أثنى عليهم خالق الأكوان

٢٦٧- في الفتح والحديد والقتال ::: وغيرها بأكمل الخصال

٢٦٨- كذاك في التوراة والإنجيل ::: صفاتهم معلومة التفصيل

٢٦٩- وذكرهم في سنة المختار ::: قد سار سير الشمس في الأقطار

(**وأهل بيت**) الرسول محمد ﷺ (**المصطفى**) تقدم معناه (**المختار**) اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل، وهن زوجاته اللاتي هن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن{وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] وخيرهن الله تعالى بين إرادة زينة الحياة الدنيا وبين إرادة الله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسول الله ﷺ وقال الله تعالى فيهن{إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ} [الأحزاب: ٣٣ - ٣٤] وهُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة، فمنهن خديجة أم المؤمنين الصديقة الأولى التي هي أول من صدقه ﷺ فيما بعث به على الإطلاق قبل كل أحد رضى الله عنها، وقرأ جبريل عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب ولا نصب[1]، ومازالت تؤويه وتسكن جأشه وتعاضده بالنفس والمال حتى توفاها الله عز وجل .

وعائشة رضى الله عنها الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات بأربع عشرة آية تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمان ومكان، التي كان ينزل الوحي عليه وهو في حجرها، وتوفي في حجرها، وقد خُلط ريقها بريقه ﷺ في آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة، ودفن في حجرتها وكانت من أفقه الصحابة في الحديث والتفسير وغير ذلك، حتى كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن أشياء كثيرة

(١) (صحيح) البخاري [٣٦٠٩] مسلم [٢٤٣٢].

فيجدون منها عندها علمًا، لا سيما ما قاله الرسول الله ﷺ أو فعله في الحضر، أقرأها جبريل السلام أيضًا كما أقرأه على خديجة[١].

ومنهن أم سلمة رضى الله عنها ذات الهجرتين مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها نبي الله ﷺ بعد وفاة زوجها رضى الله عنه، وقد رأت جبريل عند النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة رضى الله عنه[٢].

ومنهن زينب أم المؤمنين التي زوجه الله إياها من فوق سبع سموات، وهي أطولهن يدًا لإنفاقها من كسب يدها، وأسرعهن لحوقًا به ﷺ، وبسببها نزل الحجاب.

وصفية بنت حُيي من ولد هارون بن عمران رسول الله وأخي رسوله موسى الكليم عليهما السلام.

وجويرية بنت الحارث ملك بني المصطلق التي كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها.

وسودة بنت زمعة التي كانت أيضًا من أسباب الحجاب، ولما كبرت اختارت نبي الله عز وجل أن تبقى في عصمة نكاحه، ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع قسمها.

وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضًا، وميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها التي نكحها النبي ﷺ في عمرة القضاء وهما حلالان على ما حدثت به هي والسفير بينهما، وكلهن زوجاته في الدنيا والآخرة رضي الله عنهنَّ.

ويدخل أهل بيته في هذه الآية من باب أولى بل بنص الحديث الخمسة الذين جللهم النبي ﷺ بكسائه كما في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت:

---

(١) (صحيح) البخاري [٣٥٥٧] مسلم [٢٤٤٧].

(٢) (صحيح) البخاري [٤٥٩٥].

خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال{إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣](١).

ويدخل في أهل بيته آله الذين حرمت عليهم الصدقة بنو هاشم وبنو المطلب كما في الصحيح عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغدوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بما يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله تعالى ورغب فيه ثم قال، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال نعم، وفي رواية - أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة، وفيه: فقلنا مَن أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجال العصر

(١) (صحيح) مسلم [٢٤٢٤] (مرط مرحل) المرط كساء جمعه مروط المرحل هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده(١)، وفي الصحيح أيضًا عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ :{**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها**}(٢).

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحبًا بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسرَّ إليها حديثا فبكت فاطمة، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضًا، فقلت لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقا ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك ثم إنه سارني فقال:{**ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟**} فضحكت لذلك(٣).

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لحسن:{**اللهم إني أحبّه فأحبه وأحبب من يحبه**} ونحوه عن براء بن عازب(٤).

وفيه عن أبي بكر رضى الله عنه سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول:{**ابني هذا سيد لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**}(٥).

(١) (صحيح)مسلم [٢٤٠٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٥٥٦] مسلم [٢٤٤٩] واللفظ لمسلم.
(٣) (صحيح) البخاري [٣٤٢٦] مسلم [٢٤٥٠].
(٤) (صحيح) البخاري [٣٥٣٩] مسلم [٢٤٢٢].
(٥) (صحيح) البخاري [٣٤٣٠].

وفيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول:{**اللهم إني أحبهما فأحبهما**} أو كما قال(١).

وللترمذي عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**}(٢)وقال حسن صحيح.

وفي الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:{**إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا**}(٣).

وللترمذي - وقال حسن - عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذا جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال:{**صدق الله**{إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ} [التغابن: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما(٤)ولـه عن علي رضى الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل(٥)، من ذلك هذا حديث حسن غريب.

(**وتابعيه**) تابعو الرسول ﷺ وأصحابه (**السادة**) من ساد يسود (**الأخيار**) على مراتبهم كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ} [التوبة: ١٠٠] الآية، وقال تعالى في سورة الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة:{هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢} [الجمعة: ٢] **هذا في الصحابة،**

(١) (صحيح) البخاري [٣٥٣٧].
(٢) (سنده صحيح) أحمد [١١٠١٢] الترمذي [٣٧٨١] ابن ماجة [١١٨].
(٣) (صحيح) البخاري [٣٥٤٣] الترمذي [٣٧٧٠] واللفظ للترمذي.
(٤) (سنده صحيح) أبو داود [١١٠٩] الترمذي [٣٧٧٤] النسائي [٣٧٧٤] ابن ماجة [٣٦٠٠].
(٥) (سنده ضعيف) الترمذي [٣٧٧٩] أحمد [٨٥٤] هانيء بن هانيء: مستور كما في التقريب.

ثم قال في التابعين{وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾} [الجمعة: ٣ - ٤] وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال:{**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أن قد رأينا إخواننا، قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله، قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد..**}[١]الحديث.

وفي المسند عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**وددت أني لقيت إخواني**} قال: فقال أصحاب النبي ﷺ : نحن إخوانك، قال:{**أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني**}[٢] إسناده حسن وقد صحح.

وفيه عن أبي أمامة وأنس بن مالك رضى الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ :{**طوبى لمن رآني وآمن بين وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات**}[٣].

وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ{ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ} [البقرة: ٢ - ٣] إلى قوله:{ٱلْمُفْلِحُونَ} [البقرة: ٥] وقال: على شرطهما[٤].

وبالجملة:

---

(١) (صحيح) مسلم [٢٤٩].

(٢) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٢٦٠١] ويغني عنه الحديث السابق.

(٣)(سنده حسن بالشواهد) أحمد [٢٢٢٦٨] مسند أبي يعلى [٣٣٩١] وابن حبان [٧٢٣٠] من حديث أبي سعيد. وعند الطيالسي [١٨٤٥].

(٤) (سنده صحيح) ابن أبي حاتم في تفسيره [٦٥] المستدرك للحاكم [٣٠٣٣].

فكلهم في محكم القرآن ::: أثنى عليهم خالق الأكوان

في مواضع من كتابه (**كالفتح**) أي سورة الفتح من أولها إلى آخرها (و) سورة (**الحديد**) كقوله تعالى فيها{ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد: ٧] إلى قوله{ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ} [الحديد: ١٠] الآيات، (و) سورة (**القتال**) كقوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ} [محمد: ٢ - ٣] الآيات، (و) سورة (**الحشر**) إلى آخرها، وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى:{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)} [الحشر: ٨ - ١٠] أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين في قلوبهم غل لهم إلى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم.

(و) في سورة (**التوبة**) وسورة (**الأنفال**) بكمالها تارة في الثناء عليهم وتارة في تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم، وتارة في حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد في سبيل الله والإثخان في الكفار والثبات لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم، ووعده

تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة، وألف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة، وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم في الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله، وجهادهم بأموالهم في سبيله ولـه الحمد والمنة، وغير ذلك من سور القرآن وآياته.

(**كذلك في التوراة**) الكتاب المنزل على رضى الله عنه (و) **في** (**الإنجيل**) الكتاب المنزل على عيسى رضى الله عنه موسى (**صفاتهم**) التي جعلهم الله عليها (**معلومة التفصيل**) كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقولـه عز وجل {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ} [الفتح: ٢٩] هنا تم الكلام ثم قال تعالى:{وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا} [الفتح: ٢٩]وتقدم قول الأسقف لعمر ووصفة الخلفاء رضى الله عنه وغير ذلك.

(**وذكرهم**) بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة (**في سنة المختار**) **محمد** ﷺ عمومًا وخصوصًا من الأحاديث الصحاح والحسان، (**قد سار**) انتشر وأعلن (**سير الشمس في الأقطار**) تمثيلاً لشهرة فضائلهم ووضوحها لا تحصيها الأسفار الكبار.

وفي الصحيح عن أبي بردة عن أبيه رضى الله عنه قال: صليت المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال:{**ما زلتم ههنا**} قلنا يا رسول الله صلينا المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال:{**أحسنتم أو أصبتم**} قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال{**النجوم أمنة السماء،**

فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون}(١).

وفيه عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم، فينفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب** رسول **الله ﷺ ؟ فيقول نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم فيفتح لهم}**(٢).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أى الناس خير؟ قال:{**قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته}**(٣).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**خير أمتي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، والله أعلم أذكر الثالث أم لا ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا}**(٤).

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم}** قال عمران فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا:{**ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن}** زاد في رواية:{**ويحلفون ولا يستحلفون}**(٥).

(١) (صحيح) مسلم [٢٥٣١].
(٢) (صحيح) البخاري [٢٧٤٠] مسلم [٢٥٣٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٢٨٢] مسلم [٢٥٣٣].
(٤) (صحيح) مسلم [٢٥٣٤].
(٥) (صحيح) البخاري [٦٠٦٤] مسلم [٢٥٣٥].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ أى الناس خير؟ قال:{**القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث**}(١).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه**}(٢).

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ :{**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ماأدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه**}(٣).

وفي الصحيحين من حديث علي رضى الله عنه في قصة كتاب حاطب مع الظعينة - وفيه - فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله فدعني فلأضرب عنقه، فقال:{**أليس من أهل بدر**} فقال ﷺ :{**لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة**} أو:{**فقد غفرت لكم**} فدمعت عينا عمر رضى الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم(٤).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثمائة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن(٥).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١} [الفتح: ١] قال: الحديبية، قال أصحابه هنيئًا مريئًا فما لنا؟ فأنزل الله تعالى:{لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [الفتح: ٥] وكل هذا في الصحيح.

(١) (صحيح) مسلم [٢٥٣٦].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٧٠] مسلم [٢٥٤٠].
(٣) (صحيح) انظر تخريج الحديث السابق.
(٤) (صحيح) البخاري [٣٧٦٢].
(٥) (صحيح) البخاري [٣٧٤٠].

وروى الترمذي عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**}[1].

وقال الترمذي حسن صحيح، وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين رضى الله عنه منها عامة ومنها خاص بالمهاجرين ومنها خاص بالأنصار ومنها خاص الآحاد فردًا فردًا، ومنها القطع لأحدهم بالجنة مطلقًا، ومنها القطع لبعضهم بمجاورة رسول الله ﷺ في الجنة، ليس هذا موضع بسطها.

* * *

(١) (سنده صحيح) أبو داود [٤٦٥٣] الترمذي [٣٨٦٠].

إجماع أهل السنة

على وجوب السكوت عما كان بين الصحابة رضى الله عنه

ثم السكوت واجب عما جرى ::: بينهم من فعل ما قد قدرا

فكلهم مجتهد مثاب ::: وخطؤهم يغفره الوهاب

أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضى الله عنه بعد قتل عثمان رضى الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم، عملاً بقول الله عز وجل {وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ} [الحشر: ١٠] الآية، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك، وما روى من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص مه وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معتقد أهل السنة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون وإن المدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا من بعدهم، ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر لـه بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعتة أو ابتلى

ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمهم على الله عز وجل .

وقال القاضي عياض في ذكر الصحابة رضى الله عنه وفضائلهم: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها، وكلهم عدول رضى الله عنه ومتأولون في حروبهم وغيرها ولم يُخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة: فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، فكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه

لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه فكلهم معذورون رضى الله عنه، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضى الله عنه أجمعين، وكلام الأئمة في هذا الباب يطول، وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تاليًا قول الله عز وجل :{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾} [البقرة: ١٣٤]. خاتمة

* * *

في وجوب التمسك بالكتاب والسنة
والرجوع عند الاختلاف إليهما

فما خالفهما فهو رد

٢٧٢- شرط قبول السعي أن يجتمعا ::: فيه إصابة وإخلاص معا
٢٧٣- لله رب العرش لا سواه ::: موافق الشرع الذي ارتضاه

(**شرط**) في (**قبول**) الله تعالى (**السعي**) أى العمل من العبد وخبر المبتدأ (**أن يجتمعا**) الألف للاطلاق (**فيه**) أى في السعي، شيئان: أحدهما (**إصابة**) ضد الخطأ، والثاني (**إخلاص**) ضد الشرك (**معا**) أى لم يفترقا، وتفسيره في البيت الذي بعده، فتفسير الاخلاص كون العمل (**لله رب العرش**) خالصًا (**لا**) شرك فيه لـ(**سواه**) وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وتفسير الإصابة كونه موافق الشرع الثابت عن الله الذي ارتضاه الله تعالى لعباده دينًا وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولم يقبل من أحد دينًا سواه ولا أحسن دينًا ممن التزمه، وقد سفه نفسه من رغب عنه، وقد جمع بين هذين الشرطين في قولـه تعالى{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠] وقد تقدم الكلام على الإخلاص مستوفى في بابه.

وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولاً:

الفصل الأول: في ذكر وجوب طاعة الله ورسوله:

قال الله تعالى:{ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾} [آل عمران: ١٣١ - ١٣٢] وقال تعالى:{ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾} [آل عمران: ٣٢] وقال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥] وقال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾} [النساء: ٦٩ - ٧٠]

وقال تعالى:{وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾} [النساء: ٧٩ - ٨٠] وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾} [النساء: ٥٩] وقال تعالى:{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [النساء: ١٣ - ١٤] وقال{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾} [النساء: ١٠٥] وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾} [المائدة: ٩٢] وقال تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [الأنفال: ١] وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾} [الأنفال: ٢٤] وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾} [الأنفال: ٤٦] وقال تعالى:{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾} [النور: ٥١ - ٥٢] وقال تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾} [النور: ٥٦] وقال تعالى:{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾} [النور: ٥٤] وقال تعالى:{ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾} [النور: ٦٣]

وقال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾} [النور: ٦٢] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] وقال تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾} [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ } [الأحزاب: ٢١] وقال{۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾} [محمد: ٣٣] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾} [الأنفال: ٢٠] وقال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا } [الفتح: ١٧] وقال تعالى:{وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [الحشر: ٧] وقال تعالى:{ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾} [التغابن: ١٢] وقال تعالى:{فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} [الطلاق: ١٠ - ١١] وقال{إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾} [الفتح: ٨ - ٩] وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال ابن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**} قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال:{**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**}(١).

حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا - أو سمعت - جابر بن عبد الله يقول:{**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم..**} الحديث تقدم، وفيه:{**فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس**}(٢).

ولـه عن حذيفة قال: يا معشر القراء استقيموا فقد سُبقتم سبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا(٣)، ولـه عن أبي موسى رحمه الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال:{**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا؟ وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق**}(٤).

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:{**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**}(٥).

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٥١].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٨٥٢].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٨٥٣].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٨٥٤].
(٥) (صحيح) البخاري [٦٨٥٨].

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت:{**صنع رسول الله ﷺ شيئًا ترخص فيه وتنزَّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزَّهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم لـه خشية**}(١).

وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال:{**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**}(٢).

وعن معاوية رضى الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:{**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله عزوجل، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**}(٣).

وفي المسند وابن ماجه وغيرهما قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فخط خطًّا هكذا أمامه فقال:{**هذا سبيل الله** عز وجل } وخطين عن يمينه وخطين عن شماله قال:{**هذه سبيل الشيطان**} ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣} [الأنعام: ١٥٣](٤).

وفي المسند والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:{**ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا ولا تفرَّقوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب**

(١) (صحيح) البخاري [٥٧٥٠] مسلم [٢٣٥٦].

(٢) (صحيح) البخاري [٣٤٤١] مسلم [١٩٢١].

(٣) (صحيح) البخاري [٦٨٨٢] مسلم [١٠٣٧] واللفظ للبخاري.

(٤) (سنده حسن لغيره) أحمد في المسند [١٥٣١٢] ابن ماجة [١١] من حديث جابر رضى الله عنه وعلته: مجالد بن سعيد: وهو ضعيف. والحديث جاء من رواية ابن مسعود رضى الله عنه بسند حسن عند أحمد [٤٤٣٧] سنن الدارمي

قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحه محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم}(١).

وفي جامع الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال:**{أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم ير اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ}** وقال هذا حديث حسن صحيح(٢).

ورواه أحمد وزاد:**{وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعه ضلالة}** وفي رواية: قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة، فماذا تعهد إلينا، قال:**{قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك}**.

وفي رواية:**{فعليكم بما عرفتم من سنتي}**(٣).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**{ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان لـه من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن،**

---

(١) (سنده صحيح لغيره) أحمد [١٧٦٧١ / ١٧٦٧٣] الترمذي [٢٨٥٩] سنن النسائي الكبرى [١١٤٧].

(٢) (سنده صحيح بالشواهد) أبو داود [٤٦٠٧] الترمذي [٢٦٧٦] ابن ماجة [٤٢ /٤٣] أحمد [١٧١٨٥] الطبراني في مسند الشاميين [٦٩٧] وهو في الكبير عنده.

(٣) (صحيح) انظر تخريج الحديث السابق.

ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل}(١).

ولأحمد عن مجاهد بإسناد جيد قال: كنا مع ابن عمر رضى الله عنه في سفر بمكان فحاد عنه، فسئل لم فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت(٢).

ولـه عن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه يقول: حرَّم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال:{**يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدَّث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإنما حرَّم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله}**(٣).

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ :{**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعان على أريكته يقول: عليكم القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإذا لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم}**.

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وإسناد أحمد جيد، وسكت عليه أبو داود وحسنه الترمذي(٤)، ولأحمد عن أبي هريرة نحوه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية.

---

(١) (صحيح) مسلم [٥٠].
(٢) (صحيح) أحمد في المسند [٤٨٧٠].
(٣) (سنده صحيح) الترمذي [٢٦٦٤] ابن ماجة [١٢] أحمد [١٧٢٣٣].
(٤) (سنده صحيح) أحمد [١٧٢١٣] أبو داود [٤٦٠٤].

الفصل الثاني: في تحريم القول على الله بلا علم، وتحريم الإفتاء في دين الله بما يخالف النصوص قال تعالى:{ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ
وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [الأعراف: ٣٣] وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾} [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى:{ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾} [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾} [الحجرات: ١] وقال تعالى:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾} [النساء: ١٠٥] وقال تعالى:{ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾} [الأعراف: ٣] وقال تعالى:{إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ } [الأنعام: ٥٧] وقال{لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا } [الكهف: ٢٦] وقال تعالى:{وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ } [المائدة: ٤٤]،{وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [المائدة: ٤٥]،{وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ } [المائدة: ٤٧] وقال تعالى:{وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾} [الأنعام: ١٥٥ - ١٥٦] الآيات، وقال تعالى:{ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾} [الزخرف: ٤٤].

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى

إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾} [الإسراء: ٨٥](١).

وفيه من حديث ابن عباس رضى الله عنه في قصة المتلاعَنيْن لما جاءت به على النعت المكروه فقال النبي ﷺ :**{لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولهما شأن}**(٢).

وفيه عن جابر رضى الله عنه قال:**{مرضت فجاءني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فأتاني وقد أغمى علي، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه عليَّ فأفقت فقلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي كيف أصنع في مالي؟ قال فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث**(٣).

وعلى هذا ترجم البخاري رحمه الله تعالى: باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقبل برأي ولا بقياس لقولـه تعالى{بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ} [النساء: ١٠٥] الآية.

وترجم رحمه الله تعالى: باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦] ثم ذكر فيه حديث عبد الله بن عمر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**{إن الله تعالى لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس يستفتون برأيهم فيَضلون ويُضلون}**(٤) وحديث سهل بن حنيف قال:**{يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، الخبر**(٥).

---

(١) (صحيح) البخاري [٧٠١٨] مسلم [٢٧٩٤] العسيب: العصا من جريد النخل.
(٢) (صحيح) البخاري [٤٤٧٠].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٨٧٩] مسلم [١٦١٦].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٨٧٧].
(٥) (صحيح) البخاري [٦٨٧٨] مسلم [١٧٨٥].

وفي خطبه ﷺ ما لا يحصى أن يقول:{**أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**}[1] وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: كان لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يومًا: إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك قائل يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه ولا يثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورًا[2].

وله من طرق عن سفيان الثوري قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز سأله عن القدر، فكتب: أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة.

ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم، أما في خلاف من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقعوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقوكم إليه، ولئن قلتم إنما حدث

---

(١) (إسناده صحيح) أحمد [١٤٣٧٣] النسائي [١٥٧٨].
(٢) (سنده صحيح) سنن أبي داود [٤٦١١].

بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم من دونهم فجفوا، وطمح عليهم أقوامًا فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم، كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلى الخبير بإذن الله وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثرًا، ولا أثبت أمرًا من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء، لا يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يعزّون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة.

ولقد ذكره رسول الله ﷺ في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منهم المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقينًا وتسليمًا لربهم وتضعيفًا لأنفسهم أن يكون شيء لم يحط به علمه ولم يحصه كتابه ولم يمض فيه قدره، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه، منه اقتبسوه ومنه تعلموه، ولئن قلتم لم أنزل الله آية كذا، ولم قال كذا؟ لقد قرأوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويل ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كله: بكتاب وقدر، وكتبت الشقاوة، وما يقدَّر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرّا ولا نفعًا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا (١)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا.

الفصل الثالث: في عظم إثم من أحدث في الدين ما ليس منه، قال تبارك وتعالى:{ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾} [النحل: ٢٥]، وقال تبارك وتعالى:{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾} [العنكبوت: ١٣].

(١) (سنده صحيح لعمر) أبو داود [٤٦١٢] كتاب (السنة)، باب لزوم السنة.

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ :{**ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سن القتل**}[1].

ولأحمد ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**من سن سنة ضلال فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من مثل أوزارهم شىء، ومن سن سنة هدى فاتبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شىء**}[2].

ولأحمد بإسناد جيد عن حبيب بن عبيد الرحبي عن غضيف بن الحارث الثمالى رضى الله عنه قال: بعث إلى عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء إنا قد جمعنا الناس على أمرين، قال: وما هما؟ قال: ترفع الأيدى على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر، فقال: أما إنهما أمثل بدعتكم عندي، ولست مجيبك إلى شىء منهما، قال: لم؟ قال: لأن النبي ﷺ قال:{**ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة**} فتمسكٌ بسنة خير من إحداث بدعة[3].

وفي حديث الحوض عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرهم قال:{**ليردن علىَّ الحوض رجال ممن صحبنى ورآني حتى إذا رفعوا إلى ورأيتهم اختلجوا دونى فلأقولن: ربى أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**} وفي بعضها زيادة:{**فأقول سحقًا سحقًا لمن بدل بعدى**}[4].

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ } [آل عمران: ٧] قالت:

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٩٠] مسلم [١٦٧٧].
(٢) (صحيح) مسلم [٢٦٧٤] أحمد [١٠٥٦٣] واللفظ لأحمد.
(٣) (سنده ضعيف) أحمد في المسند [١٧٠١١].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٢١١] مسلم [٢٣٠٤].

قال رسول الله ﷺ :{**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**[(١)].

وعن جرير بن عبد الله قال جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه حتى رؤى ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرَّة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله ﷺ :{**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شىء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شىء**}[(٢)].

ورواه الترمذى بلفظ: قال رسول الله ﷺ :{**من سن سنة خير فاتبع عليها فلها أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئًا، ومن سن سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئًا**}[(٣)].

وله عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال لبلال بن الحارث " اعلم " قال أعلم يا رسول الله، قال:{**إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، وما ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا**} قال هذا حديث حسن [(٤)]، والأحاديث في هذه كثيرة وفي هذا كفاية.

□

---

(١) (صحيح) البخاري [٤٢٧٣] مسلم [٢٦٦٥].
(٢) (صحيح) مسلم [١٠١٧].
(٣) (سنده حسن) الترمذي [٢٦٧٥] ابن ماجة [٢٠٣] أحمد [١٩٢٢٣].
(٤) (سنده ضعيف) الترمذي [٢٦٧٧] كثير بن عبد الله: ضعيف.

الفصل الرابع والخامس: ما في هذه الأبيات:

٢٧٤- وكُلُّ ما خَالَفَ للوحْيَيْنِ ::: فإنَّهُ بغير مَيْنِ

٢٧٥- وكُلُّ ما فيه الخلافُ نُصبا ::: فردُّهُ إليهما قَدْ وَجَبَا

٢٧٦- فالدِّينُ إنما أَتَى بالنَّقْلِ ::: ليس بالأوهامِ وحَدْسِ العَقْلِ

(**وكل ما**) أى أمر كان (**خالف للوحيين**) نصوص الكتاب والسنة لأن السنة وحى ثان أيضًا كما قال تعالى:{ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾} [النجم: ٢ - ٥] وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{**أوتيت القرآن ومثله معه..**} الحديث [١]، (**فإنه**) أي ذلك الأمر المخالف (**رد**) أي مردود على مبتدعه من كان (**بغير مين**) بدون شك، قال الله تبارك وتعالى:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران: ٨٥]. ودين الإسلام هو الذي أنزل الله تعالى به كتابه على رسوله ليبينه للناس، فتلاه الرسول ﷺ على أمته وبينه لهم بسنته من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ.

وتقدم في الأحاديث قوله ﷺ :{**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**} [٢].

وقال تعالى:{وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة: ١٣٠]، وقال تعالى:{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾} [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى:{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } [آل عمران: ٨٣]، وقال تبارك تعالى:{اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٣]، وقال تبارك تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾} [الجاثية: ١٨] الآيات. { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾}

---

(١) (إسناده صحيح) مسند أحمد [١٧٢١٣].

(٢) (صحيح) تقدم قريبا.

[العنكبوت: ٥١]، وقال تبارك تعالى:{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } [التوبة: ٣١] الآية، وقال تعالى:{أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ} [الشورى: ٢١] الآية، وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**}(١).

وفي رواية مسلم:{**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**}(٢).

وقال ﷺ :{**لقد تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك**}(٣).

وفي السنن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :{**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة**}(٤).

وفيها عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال:{**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهى الجماعة**} - زاد في رواية -:{**وإنه سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه**} وفي لفظ:{**بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**}(٥).

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:{**لا تقوم الساعة**

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٥٥٠] مسلم [١٧/١٧١٨].
(٢) (صحيح) مسلم [١٨/١٧١٨].
(٣) (صحيح) تقدم تخريجه.
(٤) (سنده حسن) أبو داود [٤٥٩٦] الترمذي [٢٦٤٠] ابن حبان [٦٢٤٧].
(٥) (سنده حسن) أبو داود [٤٥٩٧].

حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع} فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال:**{ومن الناس إلا أولئك}**[1].

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:**{لتتبعن سننَ من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموه}** قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:**{فمن}** [2] والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ثم اعلم أن البدع كلها مردودة ليس منها شىء مقبولاً، وكلها قبيحة ليس فيها حسن، وكلها ضلال ليس فيها هدى، وكلها أوزار ليس فيها أجر، وكلها باطل ليس فيها حق، ومعنى البدعة هو شرع ما لم يأذن الله به ولم يكن عليه أمر النبي ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسر النبى ﷺ البدعة بقوله:**{كل عمل ليس عليه أمرنا}**[3]. ووصف الطائفة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة بقوله:**{هم الجماعة}** وفي رواية:**{هم من كان ما مثل أنا عليه وأصحابي}**[4].

ثم البدع بحسب إخلالها بالدين قسمان: مكفرة لمنتحلها، وغير مكفرة، فضابط البدعة المكفرة من أنكر أمرًا مجمعًا عليه متواترًا من الشرع معلومًا من الدين بالضرورة من جحود مفروض أو فرض ما لم يفرض إو إحلال محرم أو تحريم حلال أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات، لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله ﷺ كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن، أو خلق أي صفة من صفات الله، وإنكار أن يكون الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليمًا وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله عز وجل وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٨٨٨].
(٢) (صحيح) البخاري [٣٢٦٩] مسلم [٢٦٦٩].
(٣) (صحيح) تقدم.
(٤) (سنده حسن) الترمذي [٢٦٤١] الطبراني في الكبير [٧٦٥٩].

المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه، وغير ذلك من الأهواء، ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدو له، وآخرون مغرورون ملبس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها، والقسم الثاني البدع التي ليست بمكفرة وهي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدًا من بيعتهم لأجلها كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، وجلوسهم في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها وسبهم كبار الصحابة على المنابر ونحو ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شريعة بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية، كما روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه عن أبي عمر الجونى قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: ما أعرف شيئًا اليوم مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ قال لنا: فأين الصلاة؟ قل أولم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم(١)، وله عن ثابت البناني بإسناد نير قال: قال أنس ابن مالك رضى الله عنه : ما أعرف فيكم اليوم شيئًا كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ، ليس قولكم لا إله إلا الله، قال قلت: يا أبا حمزة الصلاة؟ قال قد صليت حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ (٢)؟.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثًا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم

(١) (سنده صحيح) الترمذي [٢٤٤٧].
(٢) (سنده صحيح) أحمد في المسند [١٣٨٨٨].

ينصرف، قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في الأضحى أو الفطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد يرتقيه قبل أن يصلى، فجبذت بثوبه، فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[١].

وفي رواية مسلم: فلما رأيت ذلك منه قلت أين الابتداء بالصلاة؟ فقال: يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم، قلت كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم - ثلاث مرات - ثم انصرف[٢].

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد رضى الله عنه أيضًا قال: أخرج مروان المنبر في يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل فقال: يا مروان خالفت السنة، أخرجت المنبر في يوم عيد ولم يكن يخرج فيه، وبدأت الخطبة قبل الصلاة ولم يكن يبدأ بها، فقال أبو سعيد الخدري: من هذا؟ قالوا فلان ابن فلان، فقال: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول:{**من رأى منكرًا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**}[٣].

قلت: والمرفوع من قول النبي ﷺ في صحيح مسلم [٤]، ولعل تغيير هذا الرجل على مروان كان تارة أخرى في غير المرة التي غير فيها أبو سعيد بيده ولسانه، لأن تغيير أبي سعيد كان عند أول ما ابتدع ذلك ابتداء والله أعلم.

---

(١) (صحيح) البخاري [٩١٣] مسلم [٨٨٩].
(٢) (صحيح) مسلم [٩/٨٨٩].
(٣) (سنده صحيح) أبو داود [١١٤٠].
(٤) (صحيح) مسلم [٤٩].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائمًا ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائمًا، فمن نبأك أنه كان يخطب جالسًا فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفى صلاة[1].

وفيه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا، فقال انظر إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا، وقال الله تعالى:{وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا} [الجمعة: ١١][2].

وفيه عن عمار بن روبية قال: رُئى بشر بن مروان على المنبر رافِعًا يديه فقال: قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبحة [3]، وتقدم في فضائل الصحابة نصيحة سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وعظته إياهم عن سب الصحابة.

وعن عامر بن سعد رأى جماعة عكوفًا على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب عليًا وطلحة والزبير فنهاه عن ذلك فلم ينته فقال أدعو عليك، فقال الرجل تتعهدني كأنك نبي، فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقوامًا قد سبق لهم منك سابقة الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله اليوم آية وعبرة، قال فخرجت بختية نادرة من دار آل فلان لا يردها شيء حتى دخلت بين أضعاف الناس فافترق الناس فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبطه حتى مات، قال فلقد رأيت الناس يستعدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق[4]، وعن مصعب نحوه.

---

(١) (صحيح) البخاري [٨٧٨] مسلم [٨٦١].
(٢) (صحيح) مسلم [٨٦٤].
(٣) (صحيح) مسلم [٨٧٤].
(٤) (سنده صحيح) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي [١٩٢١] معجم ابن الأعرابي [٩١٣] الطبراني في الكبير [٣٠٧].

وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب نحوه، وغير ذلك من إنكار الصحابة عليهم، وكان الصحابة رضى الله عنه لا يخافون في الله لومة لائم، رضى الله عنه وأرضاهم آمين.

فصل: ثم تنقسم البدع بحسب ما تقع فيه إلى بدعة في العبادات، وبدعة في المعاملات، فالبدع في العبادات قسمان أيضًا:

الأول: التعبد بما لم يأذن الله تعالى أن يعبد به ألبتة، كتعبد جهلة الصوفية بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرها مما هم فيه مضاهئون
فعل الذين قال الله تعالى فيهم:{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً} [الأنفال: ٣٥].

والثاني: التعبد بما أصله مشروع ولكن وضع في غير موضعه، ككشف الرأس مثلاً هو في الإحرام عبادة مشروعة، فإذا فعله غير المحرم في الصوم أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة في غير ما شرعت فيه كصلوات النفل في أوقات النهي وكصيام الشك والعيدين ونحو ذلك، وفي الصحيح عن أنس في الرجل الذي رآه النبي ﷺ يمشى بين ابنيه فقال ﷺ :{**إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه**}(١).

وفيه عن ابن عباس رضى لله عنهما أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان يقود إنسانًا بخزامة في أنفه فقطعها النبي ﷺ بيده ثم أمره أن يقود بيده (٢)، وفيه عن رضى الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ :{**مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**}(٣)،

(١) (صحيح) البخاري [١٧٦٦] مسلم [١٦٤٢].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٣٢٥].
(٣) (صحيح) البخاري [٦٣٢٦].

فأمره النبي ﷺ بإتمام الصوم الذي هو عبادة مشروعة وضعت في محلها، وإلغاء قيامه وسكوته لكونه وإن كان عبادة في بعض الأحوال لكن ليس هذا محله، وأمره بالاستظلال لكون عدمه ليس بعبادة مشروعة.

وفيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه سئل عن رجل نذر أن لا يأتي عليه يوم إلا صام فوافق يوم الأضحى أو الفطر فقال:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]، لم يكن يصوم يوم الأضحى والفطر ولا يرى صيامهما (١).

وعن زياد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر رضى الله عنه فسأله رجل فقال نذرت أن أصوم كل يوم ثلاثاء، أو أربعاء ما عشت، فوافقت في هذا اليوم يوم النحر، فقال: أمر الله بوفاء النذر ونهينا أن نصوم يوم النحر، فأعاد فأعاد عليه، فقال مثله لا يزيد عليه(٢)، والمعنى أن النذر قربة من القربات إذا كان مشروعًا كصوم ما لم ينه عنه من الأيام، قال نذر صوم يوم منهى عنه كان ناذرًا معصية لا طاعة.

وقد قال ﷺ :{**لا نذر في معصية الله**} (٣)، وقال ﷺ :{**من نذر أن يعصى الله فلا يعصه**}(٤).

وعن عطاء أن ابن عباس رضى الله عنه أرسل إلى ابن الزبير في أول ما بويع له: إنه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، وإنما الخطبة بعد الصلاة(٥)، قال ذلك ردًا لبدعة المروانية في ذلك.

---

(١) (صحيح) البخاري [٦٣٢٧].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٣٢٨] مسلم [١١٣٩].
(٣) (صحيح) مسلم [١٦٤١].
(٤) (صحيح) البخاري [٦٣٢٢].
(٥) (صحيح) البخاري [٩١٦] مسلم [٨٨٦].

وفيه عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ :{**إن أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلى، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء..**} الحديث[١].

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى نساء النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم أما أنا فإني أصلى الليل أبدًا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال:{**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس مني**}[٢]، وقال ﷺ :{**ليس من البر الصيام في السفر**}[٣].

وقال ﷺ للذين صاموا بعد أمره بالإفطار:{**أولئك العصاة، أولئك العصاة**}[٤]، وغير ذلك من الأحاديث في هذا الباب ما لا يحصى، وهذا مثال يدل على ما بعده.

ثم البدعة الواقعة في العبادة قد تكون مبطلة للعبادة التى تقع فيها لمن صلى الرباعية خمسًا، أو الثلاثية أربعًا، أو الثنائية ثلاثًا وما شابه ذلك، وقد تكون معصية ولا تبطل العمل الذي تقع فيه كالوضوء أربعًا أربعًا، لأن النبي ﷺ قال في الوضوء المشروع:{**فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**}[٥]، ولم يقل فقد بطل وضوؤه، وكذا قراءة القرآن راكعًا أو ساجدًا منهى عنه شرعًا ولا يبطل الصلاة.

---

(١) (صحيح) البخاري [٥٢٢٥] مسلم [١٩٦١].
(٢) (صحيح) البخاري [٤٧٧٦] مسلم [١٤٠١].
(٣) (صحيح) البخاري [١٨٤٤] مسلم [١١١٥].
(٤) (صحيح) مسلم [١١١٤].
(٥) (سنده حسن) النسائي [١٤٠] أبو داود [١٣٥] ابن ماجة [٤٤٢].

والبدعة في المعاملات كاشتراط ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: جاءت بريرة رضى الله عنها فقال: إني كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينينى فقالت عائشة رضى الله عنها : إن أحب أهلك أعدها لهم عدة واحدة وأعتقك فعلت ويكون ولاؤك لي، فذهبت إلى أهلها فأبوا ذلك فقالت عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فسألني فأخبرته فقال:{**خذيها فأعتقيها واشرطى لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق**}، فقالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:{**أما بعد فما بال رجال منكم يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله فأيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط فقضاء الله حق وشرط الله أوثق، ما بال رجال منكم يقول أحدكم أعتق يا فلان ولى الولاء، إنما الولاء لمن أعتق**}(١) وأمثاله كثيرة.

(**وكل ما فيه الخلاف**) بين الصحابة فمن بعدهم (**نصب**) من فروع العبادات والمعاملات (**فرده**) أي المختلف فيه من ذلك (**إليهما**) أي إلى الكتاب والسنة (**وقد وجب**) على المعتبر، قال الله تبارك وتعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩} [النساء: ٥٩]. والرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه وإلى الرسول إلى سنته بعد انقطاع الوحى، فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُد على قائله كائنًا من كان (**فالدين**) الإسلام وشرائعه (**إنما أتى**) حصل بيانه (**بالنقل**) عن الله ورسوله (**ليس**) هو (**بالأوهام**) من آحاد الأمة (**وحدس**) تخمين (**العقل**) قال الله تعالى لرسوله ﷺ وهو أرجح الخلائق عقلاً وأولاهم بكل صواب:{إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ} [النساء: ١٠٥]

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٤٢٤] مسلم [١٥٠٤].

الآيات، ولم يقل بما رأيت، ويقول الله تعالى له:{وَلَا تَقْفُ مَا لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦]،

وقال تعالى له:{ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣)} [الزخرف: ٤٣] وأمثال هذا من الآيات ما لا يحصى.

وتقدم في الأحاديث جملة واحدة، وأنه ﷺ لا يقول في التشريع إلا عن الله عز وجل ، ولهذا لم يجب اليهود في سؤالهم إياه عن الروح، ولا جابرًا في سؤاله عن ميراث الكلالة، والمجادلة في سؤالها عن حكم الظهار حتى نزل عليه القرآن بتفصيل ذلك وبيانه، وأمثال هذا كثير:{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)} [الفرقان: ٣٣]، وفي قصة عمر رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ وفيه قال: فعملت لذلك أعمالاً [١]، وقال عثمان بن حنيف: اتهموا الرأى في دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردَّ أمر رسول الله ﷺ لرددته[٢]، وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفه[٣]، وأفتى عمر السائل الثقفى في المرأة التي حاضت بعد أن زارت البيت يوم النحر أن لا تنفر، فقال له الثقفى: إن رسول الله ﷺ أفتاني في مثل هذا المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له: لمَ تستفتينى في شيء قد أفتى فيه رسول الله ﷺ ؟ وكان ابن مسعود أفتى بأشياء فأخبره بعض الصحابة عن النبي ﷺ بخلافه، فانطلق عبد الله إلى الذين أفتاهم فأخبرهم أنه ليس كذلك، وقال عمر بن عبد العزيز: لا أرى لأحد من سنة سنها رسول الله ﷺ، والآثار في هذا عن الصحابة والتابعين لا تحصى.

---

(١) (صحيح) البخاري [٢٥٨١].
(٢) (صحيح) البخاري [٦٨٧٨] مسلم [١٧٨٥].
(٣) (سنده صحيح) أبو داود [١٦٢].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس، وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد من سنة رسول الله ﷺ، وقال رحمه الله: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت، وفي لفظ: فاضربوا بقولى عرض الحائط، وقال رحمه الله: إذا وجدتم سنة رسول الله خلاف قولى فخذوا بالسنة ودعوا قولى فإني أقول بها، وقال رحمه الله تعالى: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتى، وقال رحمه الله تعالى - وروى حديثًا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب، وأشار بيده على رءوسهم، وسأله رجل عن مسألة فأفتاه وقال: قال النبي ﷺ كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أرأيت في وسطى زنارًا؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول قال النبي ﷺ وتقول لى أتقول بهذا! أو روى عن النبي ﷺ ولا أقول به، وفي لفظ: فارتعد الشافعي رحمه الله واصفرَّ لونه وقال: ويحك، أى أرض تقلني وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئًا فلم أقل به، نعم على الرأس والعينين، وقال رحمه الله تعالى: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول وأصَّلت فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولى، وجعل يردد هذا الكلام، وقال الشافعى رحمه الله أيضًا: لم أسمع أحدًا نسبته العامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول رجل إلا بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما، وإن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه، وقال الربيع سألت الشافعى عن الطيب قبل الإحرام بما

يبقى ريحه بعد الإحرام وبعد رمى الجمرة والحلق وقبل الإفاضة، فقال: جائز وأحبه ولا أكرهه، لثبوت السنة فيه عن النبي ﷺ والأخبار عن غير واحد من الصحابة، فقلت وما حجتك فيه؟ فذكر الأخبار فيه والآثار ثم قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سالم قال: قال عمر رضى الله عنه : من رمى الجمرة فقد حل له ما حرم عليه إلا النساء والطيب، فقال سالم وقالت عائشة رضى الله عنها : طيبت رسول الله ﷺ بيدى، وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع، قال: وهكذا ينبغى أن يكون الصالحون وأهل العلم، فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة وغيرها وترك ذلك لغير شىء بل لرأى أنفسكم فالعلم إذا إليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم، وقال رحمه الله تعالى: من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته، ومن خلط فتركها خالفته، صاحبى الذي لا أفارق الملازم الثابت مع رسول الله ﷺ وإن بعد، والذي أفارق هو من لم يقل بحديث رسول الله ﷺ وإن قرب.

وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتاب (إبطال الاستحسان) الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله وكما ينبغى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله، ثم أنعم عليه وأقام الحجة على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً} [النحل: ٨٩]، وقال تعالى:{وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤]. وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم وسن رسول الله ﷺ فقال تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾} [الأحزاب: ٣٦]، فاعلم أن معصيته في ترك أمره وأمر رسول الله ﷺ ولم يجعل لهم إلا اتباعه، وكذلك قال لرسول الله ﷺ :{وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ} [الشورى: ٥٢ - ٥٣]،

مع ما علم نبيه، ثم فرض اتباع كتابه فقال:{ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ } [الزخرف: ٤٣]، وقال:{ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ } [المائدة: ٤٩]، وأعلمهم أنه كمل لهم دينهم فقال عز وجل :{ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة: ٣]. إلى أن قال: ثم منَّ عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيره إلا ما علمهم فقال لنبيه:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ} [الشورى: ٥٢]، وقال لنبيه ﷺ :{قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩] وقال لنبيه ﷺ :{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الكهف: ٢٣ - ٢٤] ثم أنزل على نبيه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورضوانه عنه وأنه أول شافع ومشفع يوم القيامة وسيد الخلائق وقال لنبيه ﷺ :{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦]، وجاءه ﷺ رجل في امرأة رجل رماها بالزنا فقال له يرجع، فأوحى الله إليه آية اللعان فلاعن بينهما، وقال:{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [النمل: ٦٥]، وقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ} [لقمان: ٣٤] الآية، وقال لنبيه ﷺ :{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾} [النازعات: ٤٢ - ٤٣]. فحجب عن نبيه علم الساعة، وكان من عَدَّ ملائكة الله المقربين وأنبيائه المصطفين من عباد الله أقصر علمًا من ملائكته وأنبيائه، والله عز وجل فرض على خلقه طاعة نبيه ولم يجعل لهم من الأمر شيئًا، وكلامه رحمه الله تعالى في هذا الباب كثير مشهور مذكور، وهذا الذي قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ما خالفهما هو الذي نطقا به وصرحت به نصوصهما وأجمع عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم كما حكى إجماعهم هو وغيره وكما هو المشهور من سيرتهم في الأقوال والأفعال، ونصوصهم في هذا الباب ملء الدنيا، وتصانيفهم في ذلك قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، ولو رأوا ما عليه مقلدوهم في هذا الوقت لتبرءوا منهم ومقتوهم أشد المقت فإنهم ليسوا على ما كانوا عليه، ولا

اهتدوا إلى ما أرشدهم إليه، بل اختلفوا اختلافًا شديدًا وافترقوا افتراقًا بعيدًا، وكل منهم يحصر الحق في إمامه ويرى ما خالفه باطلاً، ويرى سائر أهل العلم مفضولين وإمامه فاضلاً، وإذا خالف مذهبه نصّا ضرب له الأمثال، وتكلف له التأويل المحال، ويقابله الآخر بمثل ذلك، فهم بين رادٍ ومردود وحاسد ومحسود، وكان فيهم شبه من الذين قال الله تعالى فيهم:{ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾} [الروم: ٣٢]، ولم يعلم هؤلاء المساكين أن سلفهم الصالح الذين يزعمون الاقتداء بهم كانوا أبعد من هذه الصفة بعد ما بين المشارق والمغارب، بل كانوا رضى الله عنه وأرضاهم أجل شأنًا وأكمل إيمانًا من أن يقدموا بين يدي الله ورسوله، بل هم تبع له في أوامره ونواهيه، ولنصوص الشرع أعظم عندهم من أن يقدموا عليها آراء الرجال، وهي أجل قدرًا في صدورهم من أن تضرب لها الأمثال، وأعلى منزلة من أن تدفع بالأقيسة والتأويل المحال، وإنما المقتدى بهم على الحقيقة من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وحفظ وصيتهم وأحيا سنتهم في طلب الحق وأخذه أين وجده، والوقوف عند كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ كما بلغته، فكما كان اجتهاد السلف رحمهم الله في جمع الأدلة واستنباط الأحكام منها فالواجب عند الخلاف تتبع تلك الأدلة والاستنباطات والأخذ بالأصح منها مع من كان وبيد من وجد، فإن الحق واحد لا يجزئه الاختلاف، وكل واحد من أولئك الأئمة يدأب في طلبه جادًا مجتهدًا فإن أصابه فله أجران وإن أخطاه فله أجر والخطأ مغفور، وهذه أقوالهم مدونة في كتبهم، كلها تذم الرأى في الدين، وتحث من بعدهم على اقتفاء أثرهم في طلب الحق أين ما كان، ولم يدعُ أحد منهم إلى تقليده، ولم يكن أحد منهم معصومًا ولا ادعى ذلك ولا قال إن الحق معى لا يفارقني فتمسكوا بما أقول وأفعل ولا كان لأحد منهم التزام قول أحد من آحاد الأمة لا ممن هو مثلهم ولا من هو أفضل منهم فضلاً عمن هو دونهم، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النص الذي لم

يبلغه أو لم يستحضره، ولو كان ذلك خيرًا لسبقونا إليه، بل كان إمام الجميع محمد رسول الله ﷺ الذى بين للناس ما نزل إليهم، ويتبعون آثاره من الأفعال والأقوال والتقريرات يتلقونها من حفاظها من كانوا وأين كانوا وبيد من وجدوها وقفوا عندها ولم يعدوها إلى غيرها، وكانت طريقتهم في تلقى النصوص أنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويأخذون ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضًا ويصدق بعضها بعضًا، فإنها كلها من عند الله وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، قال الله تعالى:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء: ٨٢].

* * *

٢٧٧- ثم إلى هنا قَدِ انْتَهَيْتُ ::: وتَمَّ ما بجَمْعِهِ عُنِيتُ
٢٧٨- سميتهُ بسُلَّم الوُصُولِ ::: إلى سمَا مَبَاحِثِ الأصُولِ
٢٧٩- والحمدُ لله على انْتِهائى ::: كما حَمَدْتُ الله في ابتدائى
٢٨٠- أسْألهُ مَغْفِرةَ الذنوب ::: جَميعَها والسِّتْرَ للعُيُوب
٢٨١- ثمَّ الصلاةُ والسلامُ أبدا ::: تَغْشى الرسُولَ المُصْطَفَى مُحَمَّدا
٢٨٢- ثم جَميعُ صَحْبِهِ والآلِ ::: السادةِ الأئمةِ الأبْدَالِ
٢٨٣- تَدومُ سَرْمدًا بلا نفَادِ ::: ما جَرَت الأقْلامُ بالمِدَادِ
٢٨٤- ثم الدُّعا وصيةُ القُراءِ ::: جميعهم مِنْ غَيْرِ ما اسْتِثْنَاءِ
٢٨٥- أبياتُها " يُسْرُ " بِعَدّ الجمْلِ ::: تَأرِيخُها " الغُفْرانُ " فافْهَمْ وادْع لِي

(ثم إلى هنا) الإشارة إلى آخر الكلام على الاعتصام بالكتاب والسنة، وناسب جعل ذلك هو الخاتمة بكون الآية التى فيها الإشارة إلى ذلك هى من آخر ما نزل وهي قوله تعالى:{ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣]، بل السورة كلها من آخر ما نزل، وروى أنها نزلت جملة، ومن جهة أنها الاعتصام بها آخر

ما أوصى به النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع ثم من خطبته في غدير خُم ثم كان من آخر ما تكلم به عند خروجه من الدنيا (**قد انتهيت**) أى اقتصرت على هذا القدر، وفيه إن شاء الله تعالى كفاية (**وتم**) أى قضى (**ما**) أي الذي (**بجمعه**) في نظمى (**عنيت**) اهتممت له (**سميته**) حين تم (**بسلم**) أى المرقاة التى يصعد فيها لأجل (**الوصول إلى سما**) بتثليث السين (**مباحث**) جمع مبحث وهو ما يحصل به فهم الحكم (**الأصول**) جمع أصل وهو ما يبنى عليه، والمراد بها عند الإطلاق أصول الدين، وهو ما يجب اعتقاده فيه وهو المراد هنا، وأما إذا أضيفت فهى بحسب المضاف إليه: فأصول الحديث علم الاصطلاح الذي يبحث فيه عن تفاصيل أحوال السند والمتن وأحكامها، وأصول الفقه علم يبحث فيه عن الدليل والمدلول وحال المستدل وغير ذلك، وأصول العربية والنحو والصرف والمعانى والبديع كل بحسبه وتعريفه في فنه، وقولنا " سما مباحث الأصول " وصف له بالسمو وهو العلو إشارة إلى أنه أعلى العلوم وأهمها وأوجبها وألزمها لأنه معرفة ما خلق الله له الخلق والدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وفيه وله شرع الجهاد، وعليه يرتب الجزاء من الثواب والعقاب وغير ذلك، فحقيق بعلم هذا قدره أن يكون هو أول ما يهتم به العبد وأعظم ما يبذل فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يموت على ذلك، وناسب تسمية الشرح بمعارج القبول لأن الخروج هو الصعود والمعارج المصاعد فكأن القارئ في هذا الشرح يصعد في هذا السلم، وأضيفت المعارج إلى القبول لمناسبة الوصول لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد أو ينقطع (**والحمد لله على**) جزيل النعمة التى منها أن قدر (**انتهائى**) أى إتمامى هذا المتن المشتمل على معرفة الله تعالى ودينه ورسوله ﷺ (**كما حمدت الله في ابتدائى**) في نظمه كما تقدم، وذلك اقتداء بكلام الله تعالى حيث افتتح ذكر الخلق بالأمر فقال:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} [الأنعام: ١]،

وختم ذكرهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال:{وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الزمر: ٧٥]، (**أسأله**) أى أسأل الله (**مغفرة**) أى مغفرته تعالى (**الذنوب**) ذنوبي وجميع المسلمين، والمغفرة ستر الذنب في الدنيا والآخرة والعفو عنه وعدم المؤاخذة به (**جميعها**) من صغائر وكبائر، والاستغفار من أعلى أنواع الذكر (**والستر**) منه تعالى (**للعيوب**) منى ومن جميع المسلمين، (**ثم**) عطف على الحمد والاستغفار (**الصلاة والسلام**) تقدم معناهما (**تغشى الرسول المصطفى محمدًا**) تغمره من ربه عز وجل (**ثم**) تغشى (**جميع صحبه والآل**) تقدم تعريفهما (**السادة**) جمع سيد وهو النقيب المقدم (**الأئمة**) المقتدى بهم في الدين (**بلا نفاد**) فناء وانقطاع (**ما جرت الأقلام بالمداد**) أى عدد ما جرت به (**ثم الدعا**) لجامع هذا العقد متنًا وشرحًا (**وصية**) منه يلتمسه من (**القراء**) أن يدعوا له بخيرى الدنيا والآخرة (**جميعهم**) شاهدهم وغائبهم معاصريه ومن يأتى بعد عصره (**من غير ما**) صلة أى من غير (**استثناء**) إخراج أحد منهم من هذه الوصية (**أبياتها**) أى عدتها رمز حروف (**يسر**) وذلك مائتان وسبعون (**بعدّ الجمل**) الحروف الأبجدية المعروفة عند عامة العرب، وبما زدت فيها أقول (**أبياتها المقصود**) أى الذى فيه الأحكام والمسائل (**يسر فاعقل**) عنى (**تأريخا**) الذى ألفت فيه رمزه حروف (**الغفران**) وذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون، أى عامئذ، نسأل الله الغفران (**فافهم**) ما في ذا المعتقد (**وادع لى**) بصالح الدعوات في أوقات الإجابة كما أوصيتك، فإن ذلك من أعظم الصدقات:{إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف: ٨٨].

اللهم يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السماوات والأرض، برحمتك نستغيث، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفر لنا وارحمنا إنك الغفور الرحيم، اللهم ما كان في هذا السفر من حق

وصواب فبتعليمك وإلهامك، وفضلك وإنعامك، أنت أهله ومولیه، فلك الحمد كما أنت أهله، فانفعنا اللهم بتفهمه، وارزقنا العمل بما علمنا وجميع المسلمين، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسی وشیطانی، فألهمنی اللهم رشدی، وأعذني من شر نفسی، وقيض له من يصلحه ويسد خلله، وأعذني أن أضل عن سواء صراطك المستقيم، أو يضل بخطئی أحد من عبادك، واغفر لی ولوالدیَّ ولجميع المسلمين.

{سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾} [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرّ المحجَّلين.

ورضی الله عن آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بفضله ورحمته ووالدينا وإخواننا وجميع المسلمين آمين.

وكان الفراغ من تسويده نهار الاثنين بعد صلاة العصر السادس عشر من جمادی الأولى سنة ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

* * *